أطلس الخلق

هارون يحيى





حول الكاتب

ولد عدنان أوقطار عام 1956، وهو يستعمل الاسم المستعار هارون يحيى. ومنذ الثمانيات من القرن الماضي كتب عدداً كبيراً من المؤلفات في مواضيع مختلفة، إيمانية وعلمية وسياسية، إلا جانب ذلك يوجد للكاتب مؤلفات في غاية الأهمية تكشف زيف أتباع نظرية التطور، وتفند ادعاءاتهم، وتفضح الصلات الخفية، بين الداروينية والأيديولوجيات الدّموية.

وهدف المؤلف الرئيسي من وراء أعماله هو إيصال نور القرآن الكريم إلى شتى بقاع العالم، ودفع الناس بذلك إلى التفكير والتفكّر في قضايا إيمانية أساسية مثل وجود الله تعالى ووحدانيته، واليوم الآخر، وكذلك كشف الأسس المتهاونة لنظم الجاحدين وسلوكياتهم المنحرفة. وإلى حدّ الآن ترجم للكاتب نحو 250 مؤلفاً إلى 57 لغة مختلفة، وهي تحضى باهتمام بالغ من قبل شريحة واسعة من القرّاء. وبإذن الله تعالى سوف تكون كليات هارون يحيى خلال القرن الواحد والعشرين، وسيلة للبلوغ بالإنسان في شتى أنحاء العالم إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي جاء التعريف بها في القرآن الكريم.



بسم الله الرحمن الرحيم

الله
رسول
محمد

هارون يحيى

أطلس الخلق



إلى القراء الكرام

إن المواضيع الإيمانية الموجودة في جميع كتب المؤلف مشروحة وموضحة في ضوء الآيات القرآنية. وهذه الكتب تدعو الناس جميعًا إلى فهم هذه الآيات والعيش وفقا لتعاليمها. لقد تم شرح جميع المواضيع المتعلقة بآيات الله بحيث لا تبقى هناك أي شبهة أو تردد في ذهن القارئ. إن الأسلوب السلس والسهل والرصين المنبعث من القلب هو الذي يسَّر فهم هذه الكتب من قِبل الجميع صغارا وكبارا، ومن كل فئات المجتمع، بسهولة ودون أي صعوبة، وهو الذي جعل هذه الكتب كتبًا لا تستطيع أن تتركها قبل إتمام قراءتها. وحتى الذين اتخذوا موقفا معارضا للدين يتأثرون بالحقائق المذكورة في هذه الكتب، ولا يستطيعون دحض صحة محتوياتها.

وكما يستطيع القراء قراءة هذا الكتاب والكتب الأخرى للمؤلف على انفراد، فهم يستطعيون قراءتها بشكل جماعي، أو مناقشتها فيما بينهم والتسامر حولها. إن قراءة هذه الكتب بشكل جماعي ونقل كل فرد رأيه وخبرته إلى الآخرين أمر مفيد جدا.

علاوة على هذا، فإن المساهمة في تعريف هذه الكتب – التي لم تؤلَّف إلا لوجه الله تعالى ولمرضاته – ونشرها بين الناس تُعَد خدمة إيمانية كبيرة، لأن الأدلة والبراهين التي يوردها المؤلف في هذه الكتب قوية جدا ومقنعة، لذا كان على كل من يريد خدمة هذا الدين تشويق الآخرين لقراءتها والاستفادة منها.

إننا نأمل أن يتسع وقت القارئ للاطلاع على استعراض الكتب الأخرى، الذي نقدمه في نهاية هذا الكتاب، ليكون على علم بوجود منابع ثرَّة ومصادر غنية من الكتب في المواضيع الإيمانية والسياسية، التي تعد قراءتها مفيدة وممتعة للغاية.

لا ترى في هذه الكتب ما تراه في بعض الكتب الأخرى من رؤى شخصية للمؤلف، ولا ترى شروحا وإيضاحات مستندة إلى مصادر مشبوهة، ولا أي نقص أو قصور في أسلوب الأدب والتوقير الواجب اتخاذه تجاه المفاهيم والمواضيع المقدَّسة، ولا ما يجُر القارئ إلى الحيرة والتردد أو إلى اليأس والقنوط.

GLOBAL

PUBLISHING

Talatpaşa Mah. Emirgazi Caddesi

İbrahim Elmas İşmerkezi

A Blok Kat 4 Okmeydanı - İstanbul

Tel: (+90 212) 222 00 88

حول المؤلف

يتكون الاسم المستعار للكاتب من "هارون" و "يحيى" في ذكرى موقرة للنبيين اللذين جادلا ضد الكفر والإلحاد، بينما يظهر الخاتم النبوي على الغلاف رمزًا لارتباط المعاني التي تحتويها هذه الكتب بمضمون هذا الخاتم. ويشير هذا الخاتم النبوي إلى أنّ القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، وأنّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين. وقد اتخذ الكاتب لنفسه القرآن الكريم والسنة النّبوية دليلاً ومرشدًا، وفي جميع المؤلفات أخذ العهد على نفسه بنسف جميع الأسس التي تقوم عليها النظم الإلحادية وإبطال كل المزاعم التي تقوم عليها الحركات المناهضة للدّين. ويعتبر هذا الخاتم الذي مَهر به كتبه بمثابة إعلانٍ عن أهدافه هذه.

تدور جميع كتب المؤلف حول هدف رئيسي هو تبليغ نور القرآن ورسالته لجميع الناس، وحثهم على الإيمان بوجود الله ووحدانيته واليوم الآخر، وعرض تهافت النظم الإلحادية وفضحها على الملإ.

تحضى كتب هارون يحيى بقبول واهتمام كبيرين في شتى أنحاء العالم؛ من الهند إلى أمريكا، ومن إنكلترا إلى أندونيسيا، ومن بولونيا إلى البوسنة، ومن إسبانيا إلى البرازيل، ومن ماليزيا إلى إيطاليا، ومن فرنسا إلى بلغاريا وروسيا.

ترجمت كُتب المؤلّف إلى العديد من اللّغات الأجنبية، ومن بين تلك اللغات: الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والأوردية والعربية والألبانية والروسية والبوسنية والإويغورية والاندونيسية والمالاوية والبنغالية والصربية والبلغارية والصينية والسواحلية (لغة مستعملة في تنزانيا) ولغة الهوسه (لغة منتشرة في إفريقيا)، ولغة الدّيولهي (لغة مستخدمة في موريس) والدانماركية والمجرية وغيرها من اللغات. و هناك إقبال كبير على قراءة هذه الكتب بهذه اللغات.

لقد أثبتت هذه المؤلفات جدارتها، ووجدت تقدير كبيرًا في كافة أنحاء العالم. وقد كانت سببًا في هداية كثير من الناس إلى طريق الإيمان وساهمت من جانب آخر في تقوية إيمان كثير من المؤمنين. وكل من يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها يلاحظ بوضوح الحكمة البالغة التي تكمن فيها والسهولة الموجودة بين ثنايا سطورها والصدق الذي يميز أسلوبها والعمق في تناول القضايا العلمية. وما يميّز هذه المؤلفات أيضا سُرعة تأثيرها وضمان نتائجها وعدم القدرة على نقض ما فيها ودحضه. وكل من يقرأ هذه الكتب ويتأمل فيها بعمق لن يكون بإمكانه بعد ذلك الدّفاع عن الفلسفات المادية والآراء الإلحادية والأفكار المُنحرفة الأخرى.

وإذا حدث وأن نافح منافح عن تلك النظريات بعد مطالعة هذه المؤلفات فلن يكون ذلك سوى عن عنادٍ عاطفي لأنّ السّند العلميّ قد تمّ دحضه وإبطاله. ولا شك أن هذه الخصائص نابعة من قوة حكمة القرآن وحُججه الدّامغة. والكاتب لا يسعى من وراء عمله هذا إلى نيل المديح والثناء إنما هدفه وغايته هداية الناس والسير بهم في طريق الإيمان، كما أنّ ليس همّه تحصيل أيّ ربح أو مكسب مادّي.



وعلى ضوء هذه الحقائق، فإن الذين يساهمون في نشر هذه الكتب ويحثون الناس على قراءتها لتكون وسيلة لهدايتهم هم في الحقيقة يقدمون خدمة للدين لا تقدّر بثمن.

وعلى هذا الأساس، فإنّ العمل على نشر الكتب التي ثبت بالتجربة أنها تشوش الأذهان وتُدخل البلبلة على الأفكار وتزيد من الشّكوك والتردّد ولا تملك تأثيرًا قويّا وحاسمًا في طرد الشبهات من القلوب، يُعتبر مَضيعةً للجهد والوقت. ومن الواضح أن هذه المؤلفات لم تكن لتترك كل هذا التأثير لو كانت تركز على بيان القوة الأدبية للكاتب أكثر من تركيزها على الهدف السامي المتمثل في هداية الناس. ومن لديه أدنى شك في ذلك فيمكنه أن يتحقّق من أن الغاية القصوى هي دحض الإلحاد ونشر أخلاق القرآن من خلال تأثير هذا الجهد وإخلاصه ونجاحه.

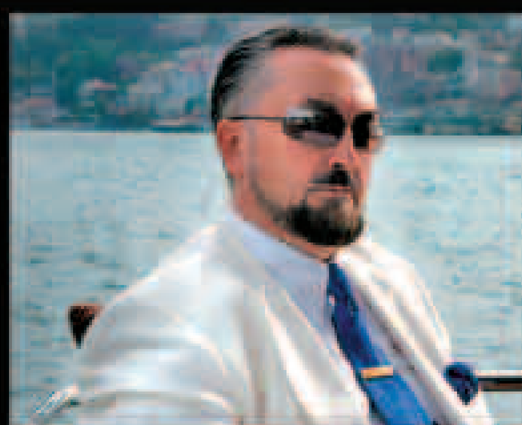
يتعين إدراك حقيقة مهمة، وهي أن الظلم والفوضى السائدين اليوم في أنحاء الأرض وما يتعرض له المسلمون من أذى سَببه تحكّم الفكر الإلحادي في شؤون العالم. والطريق الذي يضمن الخلاص من هذا كلّه هو إلحاق الهزيمة بالفكر الإلحادي وبيان حقائق الإيمان و إجلاء الأخلاق القرآنية بحيث يُصبح النّاس قادرين على التمسك بها. وبالنظر إلى حالة العالم وما يُراد له من مزيد جرّه إلى الفساد والشّرور والدمار فإنه من الضروري المُسارعة قدر المستطاع إلى القيام بما هو ضروري، وإلا فقد يُقضى الأمر ولاتَ حين مناص. وخلال القرن الواحد والعشرين، وبإذن الله تعالى سوف تكونُ كليّات هارون يحيى –من خلال نهوضها بهذه المهمّة– الوسيلة للوصول بالنّاس إلى مراتب السكينة والسلام والصدق والعدل والجمال والسعادة التي أوضحها لنا القرآن الكريم.

أطلس الخلق

هارون يحيى







المحتويات



المقدمة 10

ما هو المتحجر؟ 14

نماذج لحفريات عُثر عليها في أمريكا

نماذج لحفريات عُثر عليها في الولايات المتحدة الأمريكية........ 42

نماذج لحفريات عُثر عليها في كندا 180

نماذج لحفريات عُثر عليها في جمهورية الدومينيك 216

نماذج لحفريات عُثر عليها في البرازيل 306

نماذج لحفريات عُثر عليها في بيرو........ 326

نماذج لحفريات عُثر عليها في الأرجنتين 334

نماذج لحفريات عُثر عليها في شيلي........ 335

نماذج لحفريات عثر عليها في أوربا

نماذج لحفريات عثر عليها في ألمانيا 348

نماذج لحفريات عثر عليها في أسبانيا........ 376

نماذج لحفريات عثر عليها في جمهورية التشيك........ 377

نماذج لحفريات عثر عليها في إيطاليا........ 382

نماذج المتحجرات التي وجدت في إنجلترا 394

نماذج المتحجرات التي وجدت في روسيا........ 412

نماذج المتحجرات التي وجدت في بولونيا 413

نماذج المتحجرات التي وجدت في أفريقيا والشرق الأوسط

نماذج المتحجرات التي وجدت في المغرب الأقصى........ 440

نماذج المتحجرات في لبنان........ 460

نماذج المتحجرات في مدغشقر 484

نماذج المتحجرات في الصين وأوستراليا ونيوزلندا

نماذج المتحجرات في الصين 504
نماذج المتحجرات في أوستراليا 560
نماذج المتحجرات في نيوزيلندا 561

متحجّرات الجمــاجم

الضربة التي أنزلتها حفريات الجماجم بالداروينية 568

خاتمة 602

ملـــــــــحق

انهيار نظرية التطور 606
مــدخل الداروينية والفلسفة المادية: المنبعان الاصليان للإرهاب 608
لماذا نظرية التطور؟ 618
الإيمان بخديعة التطور من أكبر المعجزات في عصرنا 620
لكي نتحرر من الأحكام والأفكار المسبقة 622
نبذة تاريخية عن نظرية التطور 626
آليات متخيَّلة للتطور 634
سجل المتحجرات يدحض نظرية التطور 639
حكاية الإنتقال من الماء إلى اليابسة 644
أصل الطيور والثدييات 648
التأويلات الخادعة للمتحجرات 658
تزييفات التطوريين 660
سيناريو تطور الإنسان 663
المأزق الجزيئي لنظرية التطور 683
إستحالة تفسير التصميم بالمصادفات 712
تهافت مزاعم التطور أمام الحقائق 720
نظرية التطور: ضرورة مادية إلحادية 733
الإعلام مرتع خصب لنظرية التطور 739
النتيجة: التطور خدعة 742
حقيقة الخلق 747
السرّ الكامن وراء المادة 761
نسبية الزمن وحقيقة القدر 783

المقدمة


تشارلس داروين

قبل 150 عاما، حصل تشارلز داروين في إحدى رحلاته في الطبيعة على بعض الملاحظات ثم بعد ذلك بنى عليها نظرية لا تستند إلى أية أدلة علمية؛ هي نظرية التطوّر. وأصل هذه النظرية مجموعة من السيناريوهات والاحتمالات والتخمينات التي تدور في مخيلة تشارلز داروين.

ووفق سيناريوهات هذه النظرية فإن الكائنات غير الحية قد ظهرت من خلال المصادفة ثم تكوّنت بعد ذلك الخلية الحية. وهذا بلا شك، لم يثبته أيّ دليل علمي على الإطلاق، بل هو زعم يقوم على أقصى درجات الوهم. وحسب هذه النظرية كذلك، فإن هذا الكائن الذي يمتلك خلية حية واحدة حدثت له تغيرات عن طريق المصادفة بشكل تدريجي وتحول إلى كائنات حية جديدة، بمعنى أنه تطور. ووفقا لخديعة التطور هذه فإن جميع الكائنات الموجودة على الأرض؛ من الجراثيم إلى الإنسان قد ظهرت تبعا لهذه العملية الخيالية.


والمجهر ذو العدسة الواحدة الذي استعملها داروين، يوضح مدى محدودية الإمكانيات التكنولوجية وتخلفها آنذاك.

لا ريب أن مزاعم داروين هذه لا تستند إلى أيّة أدلة أو براهين علمية، غير أن المفاهيم العلمية والأدوات التكنولوجية التي كانت موجودة في الفترة التي ظهر فيها داروين لم تستطع أن تكشف خور ادعاءات نظرية التطور ومدى بعدها عن الحقيقة. في هذه البيئة تمكنت الداروينية من أن تجد لها أنصارًا وأتباعًا، وكانت المادية هي الدعاية الأساسية لنظر ية التّطور عند داروين. ولهذا السبب بقيت هذه النظرية مدعومة بقوة ولمدّة من الوقت من قبل الماديين. فالأوساط المادية تلقت نظرية التطور بالقبول بعين مغمضة لأنها ترفض فكرة الخلق، بل وأعلنت أن نظرية التطور (النّشوء والإرتقاء) هي الأساس في دنيا العلم. وقد اجتهد أنصار نظرية النشوء والارتقاء في إيجاد أدلة مصطنعة مفبركة في المخابر تقوم دليلا على صحة مزاعمهم.


وتحتل سجلات المتحجرات المرتبة الأولى ضمن الأدلة المؤيدة لبطلان نظرية الارتقاء، حيث تكشف هذه السجلات عن عدم وقوع تغير في تركيبة الكائنات الحية على مدى عشرات ملايين السنوات. وترون في الصورة نوعا من الحشرات التي تعيش في يومنا هذا ومتحجرا لـــ **50** مليون سنة لنفس الحشرة. وهذه الحشرة التي لم تتغير على مدى **50** مليون سنة تفند نظرية الارتقاء.

غير أن كل ما قاموا به من أبحاث وكل ما توصلوا إليه من أدلة وبراهين لم تُجد نفعا في إثبات صحة ادعاءاتهم، وانقلب السّحر على الساحر. فمع بداية القرن العشرين قطعت العلوم والتكنولوجيا خطوات عملاقة في التقدّم والرّقي، وكشفت للعيان بطلان هذه النظرية.



وقد جاء علم الأحياء المجهري وعلم الرياضيات الأحيائي وعلم أحياء الخلية وعلم الكيمياء الأحيائية وعلم الوراثة وعلم التشريح والفيزيولوجيا وعلم الأنتروبولوجيا وعلم الأحافير، جاءت كل هذه العلوم لتضع أدلة لا حصر لها على بطلان وفساد نظرية التطور. ولعل المتحجرات والحفريات تعتبر الجهة الكبرى التي سددت ضربة قاصمة للنظرية وقلبتها رأسًا على عقب، ذلك أن آثار المتحجرات قد حافظت على أشكالها، وهي تعرض لنا أدلة ملموسة تثبت أن الكائنات الحية الموجودة في الأرض لم يطرأ عليها أيّ تغيير مهما كان بسيطا، وأنها لم تتحول من بعضها البعض.



متحجر السمندر (نوع من الضفدعيات) لـ 125 مليون سنة ونموذج منه في يومنا.

وعند النظر في هذه المتحجرات نلاحظ أن هذه الكائنات مثلما تبدو اليوم فهي كذلك منذ ملايين السنين، وهي تشبه بعضها تمامًا بجميع خصائصها ومميزاتها التي وُجدت عليها أوّل مرة. وحتى أقدمها في العمر تمتلك ذات التعقيد الذي تتميز به اليوم.

وهذا الوضع يكشف الحقيقة الآتية: إن الكائنات الحية لم تتكون وفق المراحل الخيالية التي أوردتها نظرية التطور، وجميع الكائنات الحية الموجودة اليوم والتي وجدت وانقرضت خلقت من قبل الله عز وجل. وحقيقة الخلق تثبت وتتجلى مرّة أخرى عن طريق آثار الكائنات الحية المتبقية من الماضي السحيق.

وهذا الكتاب، يبين من ناحية معنى المتحجرات، وكيف تكوّنت وتشكّلت ومن أين تم استخراجها وكيف تم ذلك، ومن ناحية ثانية تتعرفون من خلاله إلى بعض نماذج المتحجّرات التي تعود أعمارها إلى مئات الملايين من السنين الخالية، وهي تصرخ بلسان حالها قائلة: "نحن لم نتطوّر، وإنما خُلقنا". وهذه المتحجرات التي تم إيرادها في هذا الكتاب ليست سوى نماذج قليلة جدّا من بين مئات الملايين من المتحجرات التي تثبت حقيقة الخلق. وهذه النماذج القليلة كافية وحدها لتؤلكد أن نظريّة التطور كانت أكبر خديعة وأكبر تزييف في تاريخ العلم.

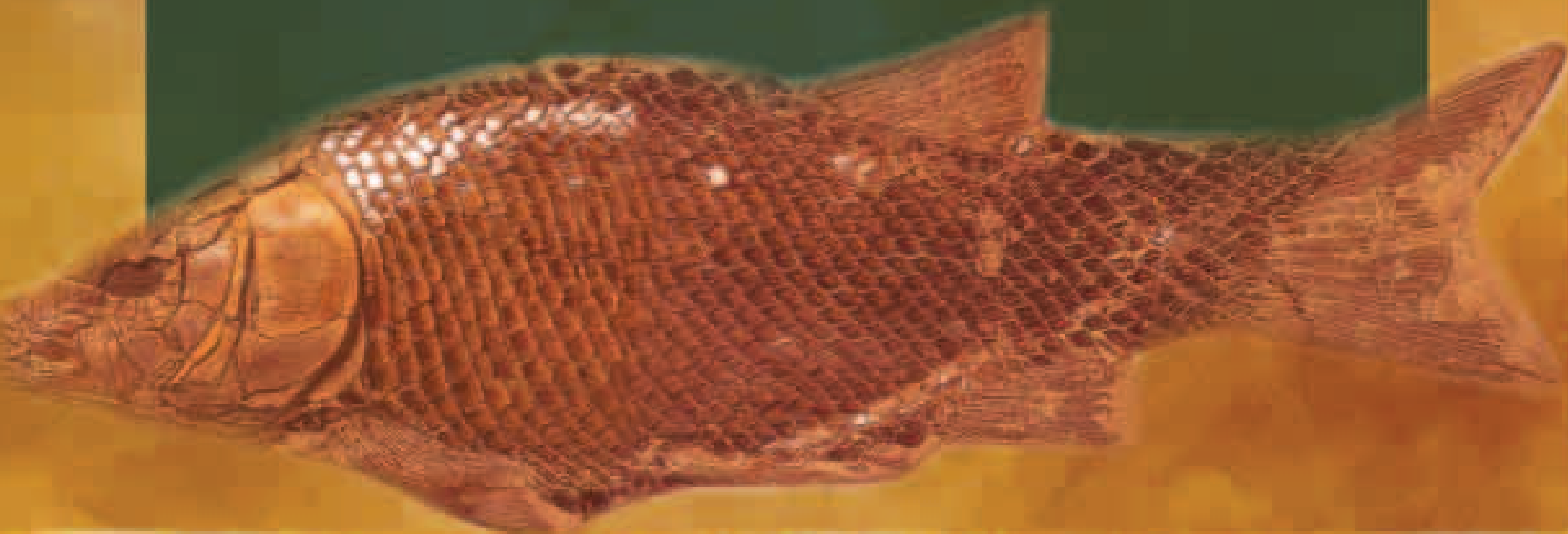




ويحافظ السرخس على بنيته الأصلية منذ بداية وجوده. ويُعد السرخس الذي لم يتغير منذ حوالي 300 مليون سنة أحد الأدلة المثبتة لبطلان نظرية الارتقاء.



ما هو المتحجر؟

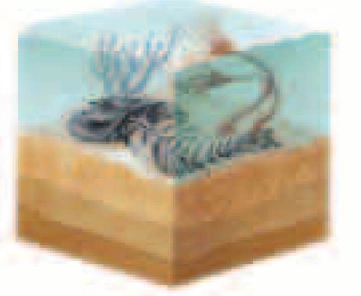




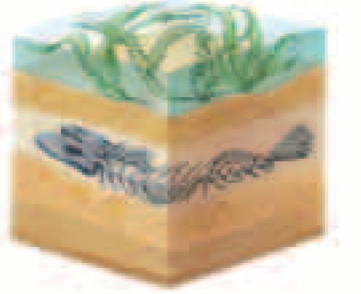
ما هو المتحجر؟

المتحجر بتعريفه العام، هو أثر محفوظ لهيئة الكائنات الحية التي عاشت قبل زمن بعيد والتي وصلت تحت العوامل الطبيعية إلى يومنا هذا. والمتحجرات هي وصول جزء من الكائن الحي أو الآثار التي خلفها خلال حياته (ويطلق عليها اسم الأثر المتحجر) إلى يومنا هذا. ويتكون المتحجر بتحول الحيوانات الميتة أو النباتات، دون التعرض للفساد، إلى جزء من قشرة الأرض. ولحدوث أو النبات – بعد تغطيه بطبقة من الوحل المكثف - بشكل عادة مسارٌ كيماوي، حيث تتحقق الصيانة بفضل التغيرات

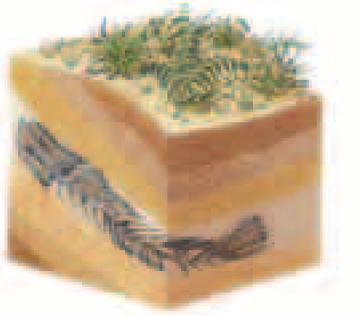
الحيوية، وتوجد مئات ملايين المتحجرات في مختلف أنحاء المتحجرات تتعلق بتاريخ الكائنات الحية وتركيبتها. وتشير الكائنات الحية ظهرت فجأة مع صورتها المتكاملة وبنيتها السنوات، دون التعرض لأي تغير، دليل هام لإثبات إتيان



عقب موت الكائن الحي، تتعرض أنسجته الناعمة للتشوه في المرحلة الأولى، ولا يبقى من الجسد في الأخير إلا الأجزاء الصلبة مثل العظام والأسنان. ويجب أن تتم عملية الدفن بسرعة فائقة لكي لا تتعرض العظام للتشوه.



وبعد مضي سنوات طويلة، تنحدر العظام نحو طبقات تحت الراسب، وتبدأ العظام بعد ذلك في تبادل الأماكن مع المعادن المتواجدة في المياه تحت الأرض، وبذلك يتحجر جسد الكائن الحي.



ومع تحرك الأرض شيئا فشيئا، تصعد الطبقة الصخرية التي تحتوي على المتحجر إلى سطح الأرض.



والمتحجر المتصاعد إلى سطح الأرض، إما يظهر بنفسه وإما يتم العثور عليه نتيجة أبحاث علماء الإحاثة.



وهذا متحجر شجر القضبان الذي يعود إلى عهد البالوسين (65.5– 55 مليون سنة) Paleocene (العصر الحديث الأسبق) والذي وجد في مونتانا وهو بأبعاده الثلاثة.

متحجر الضفدع لــ 280 مليون سنة

لا فرق بين الضفادع التي عاشت قبل 280 مليون سنة وبين التي تعيش في عصرنا الحالي.













متحجر نجم البحر لــ 443 – 490 مليون سنة، يصرح بأن نجوم البحر لم تتعرض للارتقاء على مدى مئات ملايين السنوات ببقائها على أصلها.

متحجر السرطان البحري، يعود تاريخه إلى ما قبل 23 – 38 مليون سنة.

الكائنات الحية من العدم أي دليل لخلقها. **وليس هناك أي متحجر يثبت تكون الكائنات الحية عبر مراحل أي عن طريق الارتقاء.** ونماذج المتحجرات التي يدعي الارتقائيون بأنها " انتقالية " معدودة، كما ثبت بطلانها علميا. وفي نفس الوقت أُكتشف وقوع تزييف في بعض النماذج التي قدمها الدارفينيون إلى العالم على أنها متحجرات انتقالية، مما يؤكد مدى عجزهم في هذا الموضوع إلى درجة اللجوء إلى التزييف. وسجلات المتحجرات التي تم العثور عليها عبر عمليات حفر جدّت على ما يزيد عن 150 سنة في كافة أنحاء العالم، تؤكد على أن الأسماك كانت أسماكا، والحشرات كانت حشرات، والطيور كانت طيورا، والزواحف كانت زواحف، وذلك دوما. وفي المقابل، لم يتم العثور على أي متحجر ولو واحد يثبت وقوع انتقال – أي كأنْ تتحول الأسماك إلى الزواحف، وأن تتحول الزواحف إلى الطيور – بين أنواع الكائنات الحية. وخلاصة القول، إن سجلات المتحجرات تفنّد ذاك الادعاء القائم على نظرية الارتقاء الذي يقول إن الكائنات الحية تتولد عن بعضها البعض نتيجة تغييرات تطرأ عليها في مسار طويل.



النملة المجنحة لــ 15–20 مليون سنة
والمتحجرات داخل العنبر الذي يتكون جراء تغطي الكائنات الحية براتينج الأشجار، تفند كذلك نظرية الارتقاء.



ولا فرق بين روبيان عاش قبل 70– 250 مليون سنة وبين الذي يعيش في يومنا. والروبيان الذي لم يتغير على مدى ملايين السنوات، يؤكد أن الارتقاء لم يحدث قط.



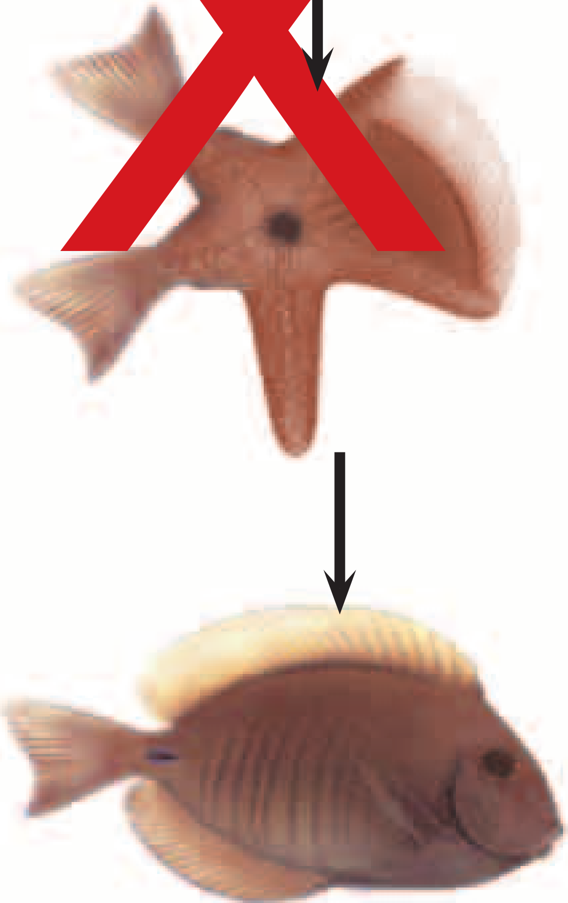
لا وجود لمتحجر انتقالي



إن الحقيقة التي تشير إليها الآثار المتحجرة، هي أن الكائنات الخيالية التي وردت في هذه الرسوم لم تحي قط. وتتطابق الكائنات الحية بخصائصها الكاملة مع سجلات المتحجرات، إذ لم يطرأ عليها أي تغير خلال بقاء نوعها على الحياة.







يدعي أصحاب النظرية الداروينية أن الكائنات الحية تتولد عن بعضها البعض عن طريق تحولات صغيرة تتم عبر ملايين السنوات. وحسب هذا الادعاء الذي تفنده الأدلة العلمية، فإن الأسماك تحولت إلى زواحف والزواحف تحولت إلى طيور. ويستلزم هذا الأمر أن نجد أمثلة مسار التحول المزعوم عبر ملايين السنوات ضمن سجلات المتحجرات. ويعني ذلك أن نجد كائنا نصفه سمك ونصفه سحلية، وكائنا نصفه عنكبوت ونصفه ذباب، وكائنا نصفه سحلية ونصفه طير، وهكذا أن نجد كائنات غريبة تم الكشف عنها نتيجة الأبحاث المكثفة التي تجرى في هذا الميدان منذ ما يربو عن قرن من الزمن. ولكن رغم إجراء عمليات حفر في كافة أنحاء العالم فإن أصحاب النظرية الداروينية لا يملكون نموذجا واحدا لإثبات زعمهم بحدوث فترة انتقالية بين الكائنات الحية. وفي المقابل، هناك أمثلة لا يمكن حصرها في إثبات أن العنكبوت كان عنكبوتا والذباب كان ذبابا والسمكة كانت سمكة والتمساح كان تمساحا والأرنب كان أرنبا والطيور كانت طيرا وهلم جرا. ومئات ملايين المتحجرات تثبت بأن الكائنات الحية لم تتعرض لما يسمى بالارتقاء بل هي مخلوقة.

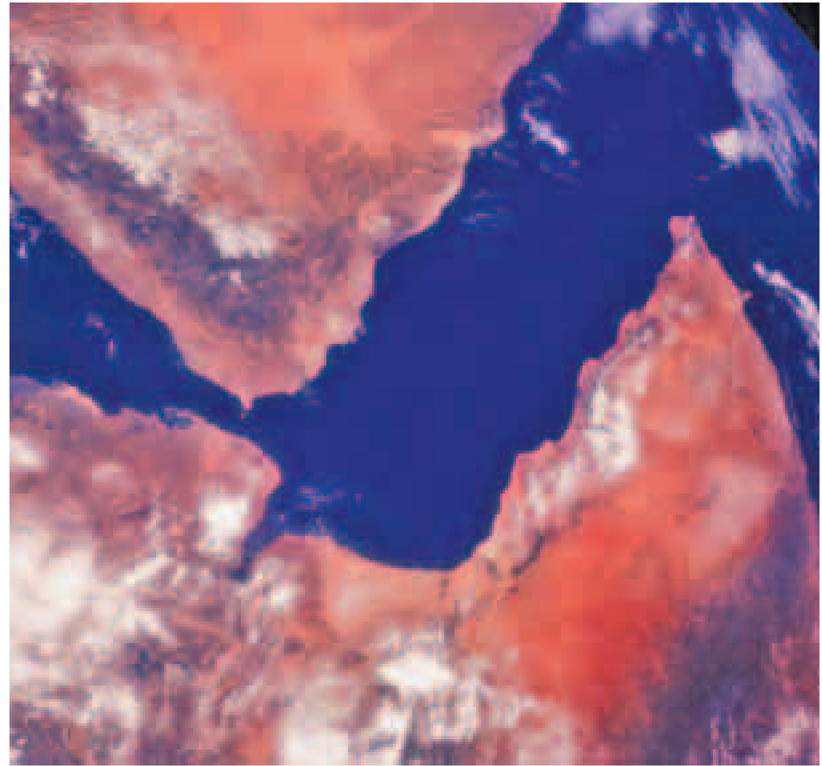


باحث يبحث في تشكل متحجرات " أدياكارا " بأوستراليا.

وإلى جانب معلومات عن الكائنا الحية، فإن المتحجرات تقدم كذلك معلومات عن كيفية تغير سطح الأرض بتحرك الطبقات القطرية، إلى جانب تقديم معلومات هامة عن ماضي الكرة الأرضية والتقلبات الإقليمية في تاريخ العالم.

وقد جذبت المتحجرات اهتمام الباحثين منذ العهد اليوناني، إلا أن إجراء تدقيق على المتحجرات أصبح اختصاصا علميا بداية من منتصف القرن السابع عشر. وجاءت مؤلفتا الباحث "روبرت هوك" Robert Hooke ،Micrographia في 1665 وDiscourse of Earthquake في 1668) أولا ثم عقبتهما أبحاث " نيلس ستانسن Niels Stensen (ويعرف كذلك باسم " نيكولا ستانو " Nicolai Steno). وفي الوقت الذي كان هوك وستانو يجريان فيه أبحاثهما على المتحجرات، كان جل المفكرين لا يعتقدون بأن المتحجرات آثار لكائنات حية عاشت في الماضي، بل ادعوا أن الطبيعة تقلـّـد الكائنات الحية. وكان السبب الرئيسي من وراء نفيهم لأن تكون المتحجرات آثارا للكائنات الحية، هو عدم إمكانية تفسيرهم لتلك الأماكن التي وجدت فيها المتحجرات بالأدلة الجيولوجية، إذ أنهم عادة ما كانوا يعثرون على المتحجرات في أماكن جبلية، ولكنهم على سبيل المثال لا يجدون أي تفسير من الناحية الفنية لتحجر سمكة في مكان مرتفع عن مستوى البحر.وكان رأي ستانو مثل رأي ليوناردو دا فينجي Leonardo Da Vinci حيث يؤمن بأنه وقع تراجع عبر التاريخ في مستوى المياه في العالم، في حين كان هوك يرى بأن الجبال وجدت نتيجة زلازل وقعت في طبقات المحيطات والحرارة الداخلية.



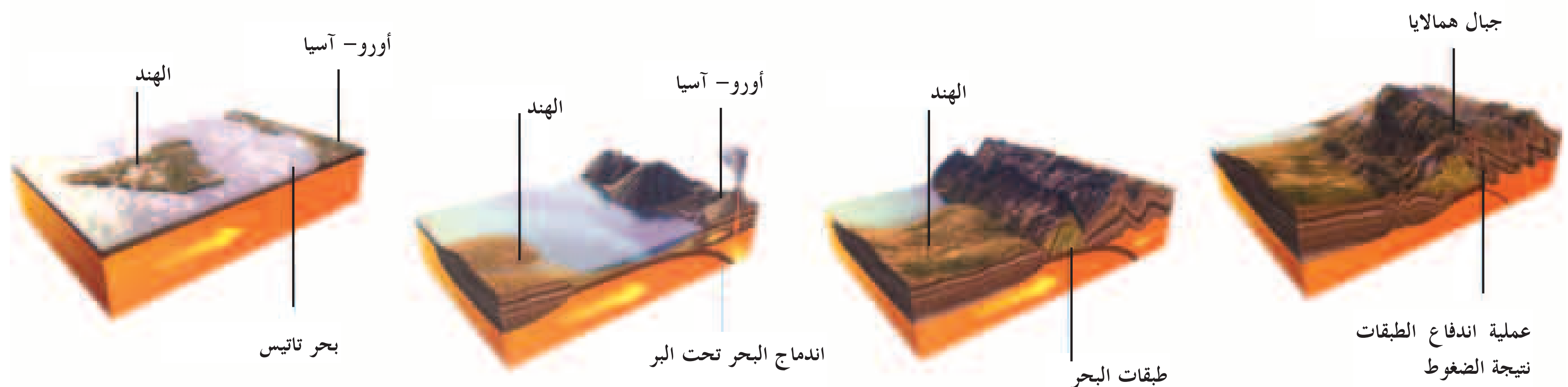


مشهد من الفضاء عن سطح الأرض.

وبعد هوك وستون اللذين صرحا بأن المتحجرات هي آثار للكائنات الحية التي عاشت في الماضي، وخاصة بعد تطور الجيولوجيا في القرنين 18 و19، تحولت عملية جمع المتحجرات وإجراء بحوث عليها إلى اختصاص علمي منتظم، واتـُـبعت في ذلك المبادئ التي رسمها ستون في تصنيف المتحجرات وتقييمها. كما أن تطور استخراج المعادن وتزايد الأشغال لإنشاء سكك الحديد خلال القرن 18، قد أتاحت فرصة لإجراء بحوث أكثر وأعمق تحت الأرض.

وأثبتت الجيولوجيا الحديثة أن سطح الأرض يتكون مما يسمى بــ " الطبقات " وأن هذه الطبقات تتحرك على الكرة الأرضية مع الأقطار وأرض المحيطات، وأثبتت أن هذا التحرك يؤدي إلى تغير جغرافيا العالم، وأن الجبال تكونت مع تحرك الطبقات الكبرى واصطدامها ببعضها البعض. كما أشارت التغيرات الطارئة على جغرافيا العالم عبر فترات زمنية طويلة إلى أن بعض المناطق الجبلية اليوم كانت محاطة بالمياه في وقت سابق.

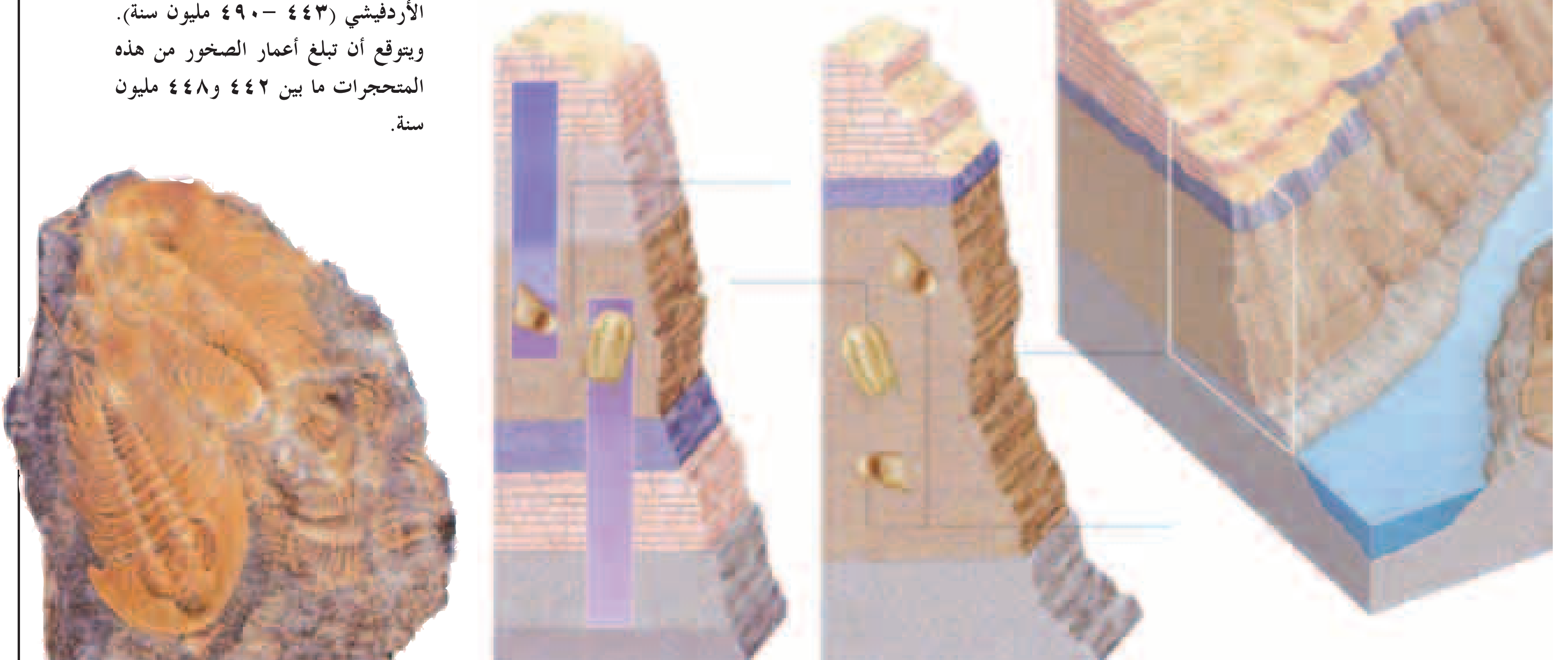
وبذلك أُكتشف أن المتحجرات المتواجدة داخل الطبقات الصخرية، تعتبر من أهم الوسائل للحصول على معلومات عن العهود المختلفة للكرة الأرضية. وكانت المؤشرات الجيولوجية تدل على أن المتحجرات، أي الآثار المحفوظة للكائنات الحية داخل الرواسب إثر موتها، قد ارتفعت أثناء تكون الصخور خلال مراحل زمنية طويلة إلى قشرة سطح الأرض. وكانت بعض الصخور المحتوية على المتحجرات تعود إلى مئات ملايين السنوات.



أثبتت الأبحاث الجيولوجية أن طبقات الأرض في حالة تحرك، وأن الجبال تكونت من جراء تحرك هذه الطبقات واصطدامها ببعضها البعض. ويفسر الرسم أعلاه التكوين التاريخي لجبال همالايا، حيث تحركت منطقة الهند نحو أورو– آسيا قبل 145 مليون سنة، وعند وصولها إلى أورو–آسيا دخلت أرض البحر تحت أورو–آسيا، انجر عنه اندماج كبير بين الهند وأورو– آسيا. وأدى هذا الأمر إلى حدوث ضغط على طبقات أرض البحر الواقعة بين الأقطار مما أدى إلى اندفاع هذه الطبقات نحو الأعلى وظهور جبال همالايا الموجودة اليوم على سطح الأرض.



وكشفت الأبحاث عن أن بعض أنواع المتحجرات تتواجد فقط داخل أنواع معينة من الطبقات والصخور. وكل طبقة من الطبقات المتراكمة فوق بعضها، تحتوي على مجموعة من المتحجرات الخاصة بنوعها وهي تعتبر بمثابة توقيع لهذه الطبقات. وكانت هذه "المتحجرات التوقيعية " قد تختلف عن بعضها البعض نظرا لاختلاف الأماكن والفترات الزمنية. وعلى سبيل المثال، يمكن العثور في موطن المتحجرات التابع لنفس الفترة على عاملين بيئيين وراسبين مختلفين كأن يكون أحدهما مجرى نهر قديم والآخر صخرة مرجانية، أو على عكس من ذلك، فإنه يمكن العثور على نفس " التوقيع " للمتحجر في صخرتين مختلفتين وبعيدتين عن بعضهما بالكيلومترات. وبهذه المعلومات التي أفادتها تلك الإشارات، أمكن وضع جدول زمني جيولوجي، لا يزال استعماله جاريا في يوما هذا.



تجدون في الصورة متحجرا من بطنيات الأقدام عاش في عهد ثلاثيات الفصوص (Trilobite) و العهد السيلوري (٤١٧ – ٤٤٣ مليون سنة) والعهد الأردفيشي (٤٤٣ –٤٩٠ مليون سنة). ويتوقع أن تبلغ أعمار الصخور من هذه المتحجرات ما بين ٤٤٢ و٤٤٨ مليون سنة.

يطلق على المتحجرات المعروفة أعمارها والمستعملة لتثبيت تاريخ تكون الصخور، اسم متحجرات الفهرس. وجل هذه المتحجرات، تتصف بسهولة تعريفها وانتشارها وتبعيتها لفترة تاريخية معينة.



نحلة متوحشة عمرها حوالي 54– 28 مليون سنة وقد تحجرت داخل العنبر.

تكوّن المتحجرات

تتكون المتحجرات ببقاء الأجزاء الصلبة مثل العظام والأسنان والقشور والأظافر للكائنات الحية بعد موتها أو بقاء آثار منها. ويعرف المتحجر عموما بأنه الشكل المتحجر لهذه الأجزاء المذكورة للكائنات الحية. ولكن المتحجر، لا يتكون بالتحجر فحسب، بل هناك أنواع أخرى من المتحجرات وصلت إلى يومنا دون حدوث أي تغير في بنيتها الأصلية مثل الماموث المتجمد داخل كتلة من الجليد وأنواع الزواحف الصغيرة والحشرات المحبوسة داخل الراتينج.

ومع موت الكائن الحي، تفسد الأنسجة الناعمة التي تكوّن الجسد بعوامل البيئة والبكتيريا (وقد لا يتحقق الفساد، وذلك في حالات نادرة). والأعضاء المتينة للكائن الحي (وهي الأجزاء التي تحتوي على المعادن مثل العظام والأسنان والقشور وما شابهها) تبقى موجودة لمدة طويلة إلى مرحلة المرور بالمسارات الفيزيائية والكيماوية. وهذه المسارات تمكـّـن من تكوّن المتحجرات. ويعني ذلك أن الأجزاء المتحجرة عادة هي عظام الفقريات وأسنانها، وقشور عضديات الأرجل (brachiopod) والرخويات، وهيكل الأسنان لبعض القشريات وثلاثيات الفصوص، والهيكل العام للمرجانيات والإسفنجيات، والأقسام الشجرية للنباتات.

ولمحيط الكائن الحي والعوامل البيئية أثر هام في تكون المتحجر. ويمكن توقع حدوث التحجر وفق المحيط الذي عاش فيه الكائن الحي. وعلى سبيل المثال ، فإن الفضاءات الموجودة تحت المياه أكثر تميزا من الفضاءات البرية في تكون المتحجرات.

وأكثر المسارات انتشارا في التحجر هو مسار ما يسمى بالتمعدن، حيث تحول المعادن الموجودة في مياه الراسب المدفون فيه الجسد، محل الكائن الحي خلال هذا المسار. ومراحل مسار التمعدن كالآتي :

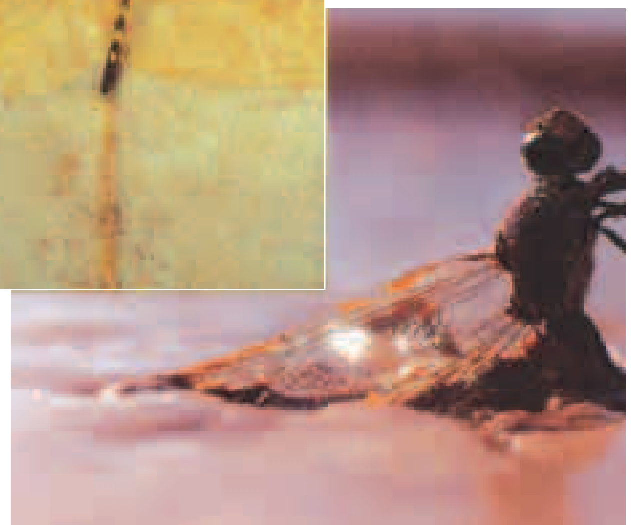
يجب أولا أن تنقطع صلة جسم الحيوان الميت بالهواء، وذلك ببقائه تحت التراب أو الوحل أو الرمل بشكل فوري عقب الموت.

وخلال الأشهر الموالية، يتغطى مكان الحيوان المدفون بطبقات جديدة من التراب، حيث تلعب هذه الطبقات دور الدرع لجسم الحيوان وتقيه من العوامل الخارجية والتغيرات الفيزيائية. ومع مرور الوقت تتكاثف هذه الطبقات ويصبح جسم الحيوان تحت سطح الأرض أو أرض البحر ببعض الأمتار، وذلك خلال مئات سنوات معدودات. وتتعرض أنسجة الحيوان مثل العظام والقشور والحرشفات والغضروف للفساد الكيماوي شيئا فشيئا مع مرور الزمان. وتتسرب المياه الموجودة تحت الأرض داخل الجسد المعرض للفساد، وتحول المعادن الموجودة داخل الميال محل كيماويات الأنسجة. وهذه المعادن التي تحول محل الكيماويات أكثر مقاومة ضد الفساد وهي معادن مكونة للصخور مثل كالسيت وبريت وسليس والحديد. وبذلك تكون هذه المعادن قد حلت محل الأنسجة الموجودة في جسم الحيوان وكأنها تقوم بنسخها على الحجر. وفي النهاية يحمل المتحجر شكل الكائن الحي نفسه، ولكن مادته الخامة هي الصخرة.

ويمكن مصادفة حالات مختلفة للتحجر عبر التمعدن :

1. إذا امتلأ الهيكل العظمي بالراسب ووقع الفساد بعد ذلك فإن التحجر يتم في القالب الداخلي.





من المحتمل كثيرا أن يتحجر هذا القَماري الذي وقع في الوحل، ليثبت للأجيال القادمة أنه لم يكن ثمة أيّ تطور على الإطلاق.

1. المرجانات : حيوانات بحرية كلسية تكوّن شُعَبا مرجانية.

2. الشعوعي : نوع من العوالق المجهرية ذات الهيكل العظمي من السيليكا.

3. الرخوي ذو القشرتين : بقشر كلسيوم كربونات. يمكن لمثل هذه الأعضاء الصلبة أن تبقى محفوظة دون التعرض لأي تغير.

4. كرابتوليت : متحجرات ذات هياكل عظمية عضوية تعيش عادة في شكل مجموعات وغالبا ما تتواجد آثارها داخل السجّيل الأسود.

5. أسنان القرش : تحتوي العظام والأسنان على الفوسفات ولهذا السبب فإنها أكثر مقاومة بالمقارنة مع أغلب الأعضاء الأخرى.

6. متحجرات الأثر : وهي متحجرات تتكون من الآثار التي يعثر عليها في الرواسب.

7. العموني : تجدون نموذجا وقع تحجره باستبدال قشره بحجر النار الحديدي.

8. شجرة متحجرة : مع مرور الوقت يقع استبدال خلايا الشجرة بالسليكا وتتحجر.

9. العنبر : تتحجر الكائنات الحية الصغيرة عبر انحباسها داخل الراتنج.

10. الأوراق المكربنة : تتحول النباتات إلى ألياف كربونية.



إن هذا المتحجر للسمك البالغ من العمر 50 مليون سنة دليل على أن الأسماك ظلت دوما أسماكا.

2. وإذا استبدل الهيكل العظمي بمعادن مختلفة تماما، فإنه يتم النسخ الكامل للقشرة.

3. وإذا انعكس قالب الهيكل العظمي على الراسب بسبب الضغط فإنه يتم الحصول على الوجه الخارجي للهيكل العظمي.

وأما بالنسبة إلى متحجرات النباتات، فإن الأمر يتعلق بتسبب البكتيريا في حدوث تحولات إلى الكربون، حيث يخلف الأكسيجن والنيتروجين مكانيهما للكربون والهدروجين أثناء التحولات إلى الكربون. وعملية التحول إلى الكربون تتم بإحداث البكتيريا تغييرا كيماويا في بنية البروتين والسليلوز عبر تمزيق ذرات الأنسجة لحدوث تغيرات في مستوى الحرارة والضغط أو لأسباب كيماوية أخرى حتى تبقى ألياف الكربون فقط. وتنعدم جميع المواد العضوية مثل ثاني أكسيد الكربون والميثان والهيدروجين سولفات وبخار الماء وما شابهها. وبفضل هذا المسار، قد تكونت مواطن الفحم الطبيعية في مستنقعات تحولت إلى غابات خلال العهد الكربوني (354 – 290 مليون سنة).

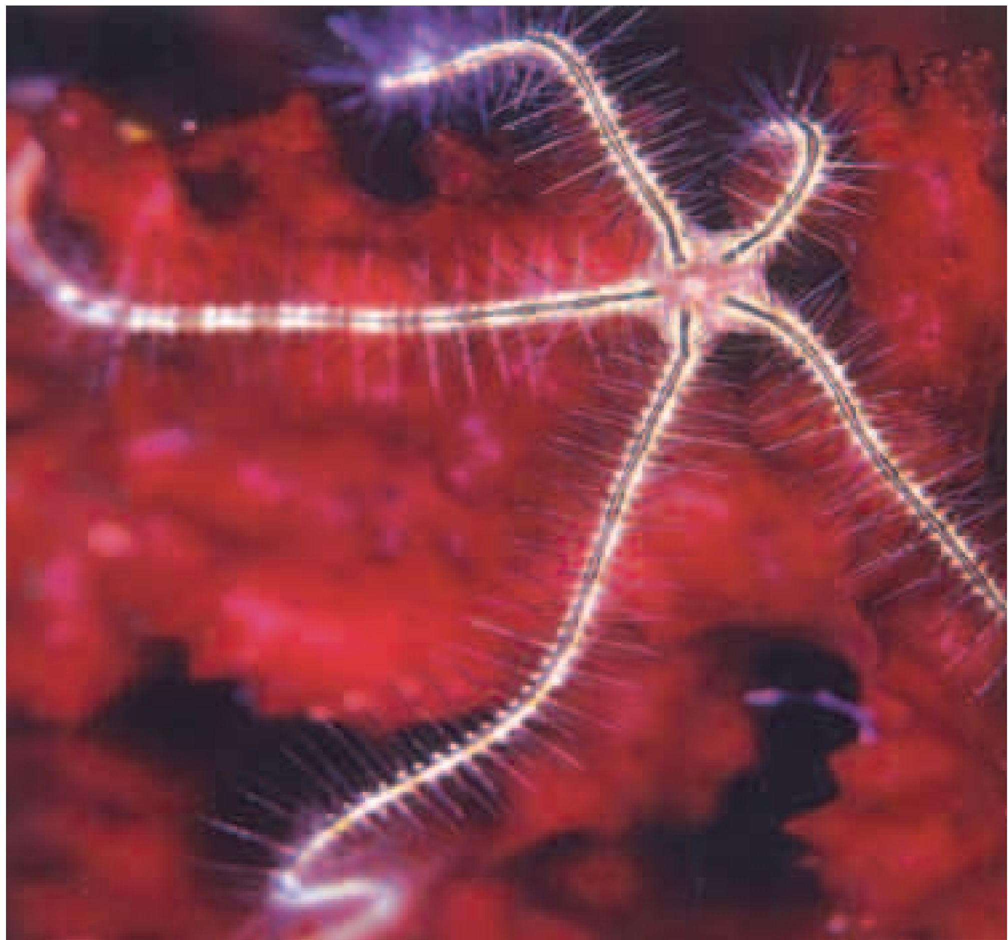
وتتكون المتحجرات أحيانا بتغطي الكائنات الحية المدفونة في المياه الغنية بالكلسيوم، بمعادن مثل الترافرتين. وتبقى آثار الكائن الحي على مواطن المعادن بعد تعرضه للتلاشي.

ونادرا ما يقع التحجر الكامل للكائن الحي مثل أن يتحجر مع أجزائه الناعمة كالشعر والريشة أو الجلد. وآثار الكائنات الحية ذات الأنسجة الناعمة لعهد ما قبل العهد الكمبري (4.6 مليار – 543 مليون سنة) ظلت محفوظة بشكل جيد. ومنذ العهد الكمبري (543 – 490 مليون سنة) إلى يومنا هذا، نجد آثارا للأنسجة الناعمة للكائنات الحية مما يمكّـن من الاطلاع على بُناها الداخلية إلى جانب آثار الأنسجة



عنبر ذبابة الرمل لـ 20 – 15 مليون سنة.

يمكن للكائنات الحية الحساسة أن تتحجر في بعض الأحيان. ولا يوجد أي فرق بين متحجر نجم البحر الذي يعود إلى العهد الجراسي (206 – 144 مليون سنة) وبين الذي يعيش في عصرنا.







لقد تحجر جلد وحراشف هذا السمك الذي يعود إلى العهد الترياسي والذي له ما بين 250 و 203 مليون سنة بجميع تفاصيلها. ويرينا هذا النموذج أن الأسماك كانت تحتوي على نفس هيئة الحراشف قبل 250 مليون سنة.

الصلبة لها. كما أن شعر الحيوانات وريشها المحفوظين داخل العنبر وآثار المتحجرات منذ 150 مليون سنة، يُعتبر من النماذج التي تمكـّننا من إجراء بحوث حول آثار المتحجرات. والماموث المحبوس داخل جليد سيبيريا أو الحشرات والزواحف المتحجرة نتيجة الانحباس داخل راتنج غابات بلطيق، كلها من الكائنات المتحجرة بأجسامها الناعمة.

وأما المتحجرات الكبيرة فهي متنوعة أيضا. كما أنه تم الكشف عن مختلف أنواع المتحجرات، بدئا بالكائنات الحية المجهرية ووصولا إلى المتحجرات العملاقة للحيوانات التي تعيش جماعيا. ومن أكثر نماذج المتحجرات العملاقة إثارة للتعجب، نجد صخور الإسفنج المرجانية في شكل جبل بإيطاليا. وهذه الصخور المرجانية التي هي أكبر " مرتفع حي " في العالم إلى حد الآن، تكونت من الإسفنج الكلسي، حيث ارتفعت صخور الإسفنج المرجانية هذه نتيجة تحركات الطبقات التكتونية بعد أن تطورت في أسفل بحر ثاتيس (Thetys) العتيق،. وهي تحتوي على نماذج الكائنات الحية التي عاشت في صخور إسفنج المرجانية في العهد الترياسي. ويعتبر موطنا المتحجرات " Chengjiang " بالصين و"Burgess Shale " بكندا من أهم فضاءات المتحجرات الكبيرة في العالم، حيث يحتويان على آلاف متحجرات الكائنات الحية للعهد الكمبري. كما أن مواطن العنبر الموجودة في جمهورية دومينيك والسواحل الغربية لبحر بلطيق، تـُعد من أهم موارد المتحجرات. ويمكن أن نضرب أمثلة أخرى على ذلك مثل مواطن المتحجرات " Green River " بإيالة "Wyoming " الأمريكية، ومواطن المتحجرات في "Eichtatt " بألمانيا و" حجولة " بلبنان.



أكبر إسفنج مرجاني في العالم

هذا الإسفنج المرجاني الذي له من العمر 145 مليون سنة، قد وصل إلينا من أعماق "بحر تيتيس" (Tethys) بأوروبا والذي لم تعد لها آثار سوى بعض الأنهر. ولا فرق بين الإسفنج الذي يعيش في يومنا وبين الذي يكوّن هذا المرتفع، حيث يؤكد أنه لم يتعرض إلى ما يسمى بالارتقاء.

في كم من مجموعة مختلفة يمكن دراسة المتحجرات ؟

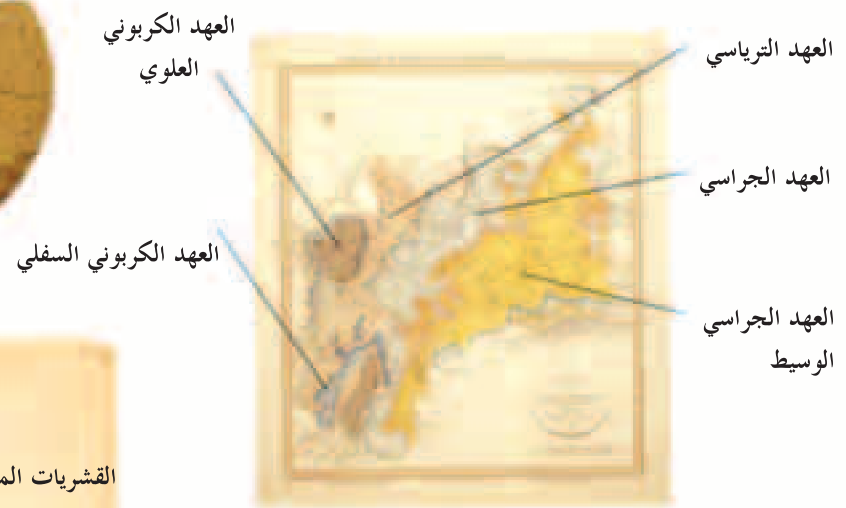
تقع دراسة المتحجرات تحت مجموعات يطلق عليها اسم " العالم " مثلما هو الحال بالنسبة إلى عالم الأحياء. وكانت المتحجرات في القرن التاسع عشر، تنقسم إلى مجموعتين أساسيتين وهما النباتات والحيوانات. وقد فرضت الأبحاث التي أجريت والمتحجرات التي تم الكشف عنها فيما بعد، إعادة تقسيم المتحجرات إلى مجموعات أساسية أخرى تضم كذلك كائنات مثل البكتيريا والفطائر. وحسب التقسيم الذي وقع تطويره في عام 1963، تمت دراسة المتحجرات تحت خمسة عوالم، فهي :

1. متحجرات عالم الحيوانات (Animalia). وأقدم نماذج لها تعود إلى 600 مليون سنة.
2. متحجرات عالم النباتات (Plantae). وأقدم نماذج لها تعود إلى 500 مليون سنة.
3. متحجرات عالم البكتيريا الخالي عن النواة (Monera). وأقدم نماذج لها تعود إلى 3.9 مليارات سنة.
4. متحجرات الكائنات الحية ذات الخلية الواحدة (Protoctista). وأقدم نماذج لها تعود إلى 1.7 مليار سنة.
5. متحجرات الكائنات الحية ذات الخلايا المتعددة (الفطائر). وأقدم نماذج لها تعود إلى 550 مليون سنة.

المراحل الجيولوجية وعلم المتحجرات

مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، بدأ جمع معلومات أساسية حول قشرة الأرض خلال أشغال سكك الحديد وبناء الأنفاق. وعلى سبيل المثال، لاحظ " ويليم سميث William Smith " باني النفق البريطاني وجود تشابه بين الصخور المستخرجة أثناء الأشغال الجارية في " سومرست Somerset " والتي تعود إلى العهد الجوراسي (206 – 144 مليون سنة) وبين الصخور الواقعة في سواحل البحر الشمالي. وقام برسم أول خريطة سطحية جيولوجية لإنكلترا بجمع نماذج الصخور والمتحجرات من أقصى البلاد إلى أقصاها. بل واستطاع أن يرسم خرائط جيولوجية لتحت الأرض لبعض المناطق استنادا إلى


بعض نماذج المتحجرات التي جمعها " ويليام سميث".





إن الخرائط الجيولوجية الأولى التي رسمها مؤسس الجيولوجيا البريطاني ويليام سميث قد ساهمت كثيرًا في تطور علم الجيولوجيا الحديث.

نماذج الصخور الموجودة لديه. وقد ساهمت هذه الخرائط في تطور علم الجيولوجيا المعاصر وفي تحديد جدول زمني جيولوجي للكرة الأرضية. وبفضل المعلومات الواردة في هذه الخرائط، تيسرت معرفة نوعية الطبقة الموجودة تحت سطح الأرض ولو كانت الأرض الصخرية مغطاة بالنباتات ومعرفة محتوياتها (جوهر الحديد والفحم وما شابههما).

وقد لعبت المتحجرات دورا حياتيا في الحصول على كل هذه المعلومات، حيث تم إعداد الجدول الزمني الجيولوجي المستعمل حاليا للفترة ما بين عهد ما قبل الكمبريPrecambry والعهد الرباعي Quarternary، بناء على المعلومات المستنتجة من مواطن المتحجرات وهياكل الصخور. وبفضل الدراسات التي أجريت على الصخور، تم تحديد العهود والمراحل التي مرت بها الأرض. وبفضل المتحجرات الموجودة في الصخور تحققت معرفة الكائنات الحية التي عاشت في مختلف العهود. وبجمع هاتين المعلومتين، وقع إعداد جدول. ووفق هذا الجدول، ينقسم تاريخ الأرض إلى حُقب، والحقب إلى أزمنة، والأزمنة إلى العهود قصد دراستها بهذا الشكل.



قام الجيولوجيون وعلماء الإحاثة بتقسيم تاريخ العالم إلى فترات جيولوجية قصد تيسير الفهم لتاريخ الطبيعة. وقد لعب تكوّن الصخور وأعمارها والمتحجرات التي تحتوي عليها دورًا مهمّا في تحديد هذه الفترات.

1. حقبة ما قبل العهد الكمبري (4.6 مليار – 543 مليون سنة)

تعتبر حقبة ما قبل العهد الكمبري أقدم وأطول حقبة لتاريخ الأرض. وتقع دراسة هذه الحقبة بتقسيمها إلى العهود، حيث يطلق على فترة ما بين 4.6 - 3.8 مليار سنة تسمية عهد هديين Hadean Era وهو عهد بداية تكون قشرة الأرض. والعهد السحيق Archean Era يشمل فترة ما بين 3.8 – 2.5 مليار سنة، يليه العهد الفجري Proterozoic Era الذي يشمل فترة ما بين 2.5 مليار – 543 مليون سنة. ونجد ضمن سجلات المتحجرات عديد آثار الكائنات الحية المجهرية لهذه العهود.

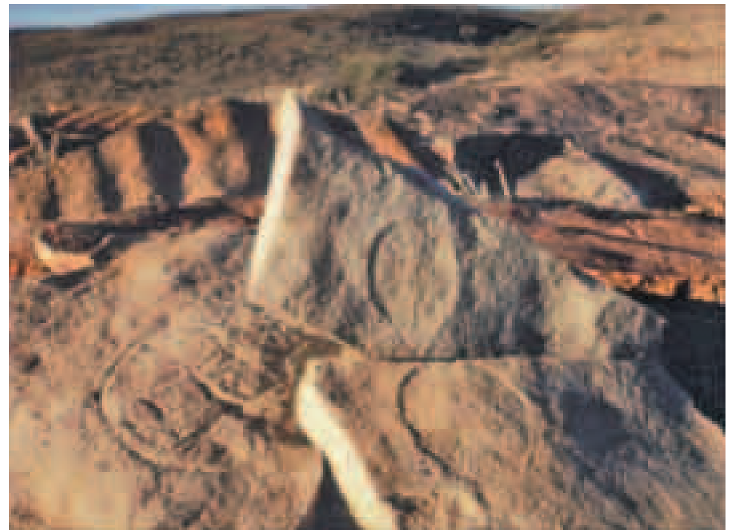
2. الحقبة الفانيروزوكية Phanerozoic Eon (من 543 مليون سنة إلى يومنا هذا)

وتعني كلمة Phanerozoic " الحياة المرئية أو المعلومة ". وتنقسم هذه الحقبة إلى ثلاث فترات زمنية، فهي : الفترة القديمة (Paleozoic Era) والفترة الوسيطة (Mesozoic Era) والفترة الحديثة (Cenozoic Era).

2 أ. الفترة القديمة 251 – 543 (Paleozoic Era مليون سنة)

الفترة القديمة التي امتدت حوالي ثلاثمائة مليون سنة هي أولى الفترات وأهمها للحقبة الفانيروزوكية. وكان المناخ خلال هذه الفترة رطبا ومعتدلا. كما عاشت الفترة عصورا جليدية في بعض الأوقات.

وتنقسم الفترة القديمة إلى ستة عهود هي : العهد الكمبري Cambrian والعهد الأردفيشي Ordovician والعهد السلوري Silurian والعهد الديفوني Devonian والعهد الكربوني Carboniferous والعهد البرمي Permian.



تحتوي هضاب "أدياكارا" (Ediacara) في أوستراليا على صخور تعود إلى العهد ما قبل الكمبري. ومتحجرات قناديل البحر التي ترونها في الصورة، قد تم العثور عليها في "أدياكارا" وهي تعود إلى ما قبل 570 – 543 مليون سنة. وسجلات المتحجرات لمئات ملايين السنوات هذه، تفند نظرية "المسار الارتقائي". وحسب ادعاءات التطوريين المناهضة للثوابت العلمية فإن سجلات المتحجرات : 1–) يجب أن تقدم لنا نماذج انتقالية عديدة 2–) ويجب أن يكون شكل التحول ضمن هذه السجلات بطيئا ومرحليا عبر التطور من البسيط نحو المعقد 3–) ويجب حدوث أنواع جديدة من الكائنات الحية كلما تطورت الخلية الأولى الخيالية، ويجب العثور على آثار هذه الأنواع داخل المتحجرات. لكن ادعاءات الارتقائيين لم تجد دعما من قبل سجلات المتحجرات. والحقيقة التي تشير إليها المتحجرات هي أن الكائنات الحية تمتلك خصائص متميزة ومختلفة عن بعضها البعض بهياكلها الخاصة بها، وأن هذه الخصائص لم تتكون مع مرور الوقت عبر المراحل، وأنه لا توجد أية صلة ارتقائية فيما بين مجموعات الكائنات الحية. وهذا الأمر هو دليل على أن الله تعالى خلق كافة الكائنات الحية بخصائصها المتميزة ولا يشوبها عيب.

صخور لما قبل العهد الكمبري (4.6 مليار – 543 مليون سنة) في جرينلند.



العهد الكمبري (543 – 490 مليون سنة)

العهد الكمبري هو تسمية لعهد جيولوجي ظهرت فيه – بشكل فوري – جميع الفصائل الأساسية الحية التي تعيش في يومنا (Phylum) والتي انقرضت. (Phylum: هو أكبر شعبة بعد العالم في تصنيف الكائنات الحية. ويتم تحديده وفق عدد أعضاء الكائنات الحية وأنسجتها وأنواعها والتناسق الجسدي لها وتركيباتها الداخلية الأخرى. وهذه الشعبة Phylum التي حددت بـــ 35 في يومنا، كانت حوالي 50 في العهد الكمبري). وكان ظهور الكائنات جد فوريا وشاملا إلى درجة ما أطلق عليه العلماء اسم "الانفجار الكمبري". ووصف العالم الإحاثي والارتقائي" Stephen Jay Gould " هذا الحدث بـــ " الحدث الأكثر حيرة وجلبا للانتباه في تاريخ الحياة " في حين كتب عالم الحيوان والارتقائي " Thomas S. Ray " : "أن أصول الكائنات المتعددة الخلايا حدث خارق للعادة بنفس الدرجة من الأهمية مع بدء الحياة ".

وعند النظر في المعلومات التي قدمها علم الإحاثة (علم الدراسات القديمة) حول الانفجار الكمبري، تبين أن هذه المعلومات تثبت خلق الله بكل وضوح وتهدم نظرية الارتقاء. لأن في عهد ما قبل الكمبري، عاشت كائنات حية ذات الخلية الوحيدة، في حين ندر



رسم للكائنات الحية في العهد الكمبري

وجود الكائنات المتعددة الخلايا التي لم تكن لها أوصاف مميزة وكانت تفتقر إلى التركيبات المعقدة مثل العين والرجل. وبالتالي، لا نجد أي دليل – ولو واحد – يثبت حدوث ارتقاء انتقالي (الخيالي) إلى كائنات العهد الكمبري، ولا نجد أي متحجر يدعى أنه جَدُّ هذه الكائنات الحية. وفي هذا الفضاء الهادئ الذي كانت به كائنات ذات الخلية الوحيدة، حدث فجأة تنوع حيوي مدهش بخصائصه المعقدة. وانجرت عن هذا الانفجار، كائنات حية تتميز فيما بينها بخصائص مختلفة تماما. وكشف هذا الوضع عن وجود فراغ عميق بين الكائنات الحية في عهد ما قبل الكمبري وبين كائنات العهد الكمبري من حيث الأصول والتركيبة المعقدة. وكان



هذا الفراغ جذابا للانتباه إلى درجة إعجاز أصحاب النظرية الارتقائية عن الإتيان بما يثبت وجود قرابة بين كائنات هذين العهدين ولو على المستوى النظري، فضلا عن إثبات التسلسل والديمومة بينها.

ويشير العهد الكمبري إلى ظهور كائنات حية مختلفة وذات تركيبات معقدة منذ بداية تاريخ الحياة وبشكل فجائي، وهو حقيقة تتمثل في الخلق. أي أن البُنى المتكاملة للكائنات الحية تعود إلى خلق الله تعالى. وهو ما ثبت في سجلات المتحجرات بكل وضوح، بعيدا عن نظرية الارتقاء التي تستند إلى الصدف وتتسم بكثير من النقص والمراحل غير العملية.

العهد الأردفيشي (490 – 443 مليون سنة)

وقد عاش في هذا العهد عدد كبير من اللا فقريات البحرية. وأظهرت سجلات المتحجرات وجود ثراء كبير في عائلات الحيوانات البحرية خلال العهد الأردفيشي. كما توجد متحجرات النباتات البرية لهذا العهد. وقد حدثت خلال هذا لعهد تغيرات مناخية عالمية مما أدى إلى انقراض بعض أنواع الكائنات الحية. ويطلق على هذا الوضع الذي حدث جراء العصور الجليدية اسم " الانقراض الأردفيشي ".

ولا يزال بعض أنواع الكائنات الحية التي عاشت في العهد الأردفيشي موجودا في الوقت الحالي. وأحد هذه الكائنات هو سرطان حدوة حصان بحري. ويشير متحجر سرطان حدوة حصان بحري لـــ **450** مليون سنة إلى أن هذا الكائن الحي المتواجد في يومنا يحمل نفس الخصائص والمواصفات المعقدة التي كان يحملها قبل ما يقارب نصف مليار سنة. وأقدم متحجر لعنكبوت الماء يعود إلى العهد الأردفيشي (**425** مليون سنة) وهو أحد أهم الأدلة التي تثبت أن الكائنات الحية ظلت موجودة على مدى ملايين السنوات دون أن يطرأ عليها أي تغير. وكل هذه الحقائق دليل ساطع على عدم حدوث ما يسمى بالارتقاء في عهد يُفترض وقوعه حسب سيناريوهات الدارفينيين.



هذه الصخور الموجودة في "نيوفاوندلند (**Newfoundland**) تعتبر من المواقع الهامة التي تشير إلى الانتقال بين العهدين الكمبري والأردفيشي.



سرطان حذوة الحصان لـــ **450** مليون سنة. ولا فرق بين هذا المتحجر ومثيله الذي يعيش في عصرنا الراهن.

رسم للكائنات الحية في العهد الأردفيشي.

العهد السلوري (443 – 417 مليون سنة)

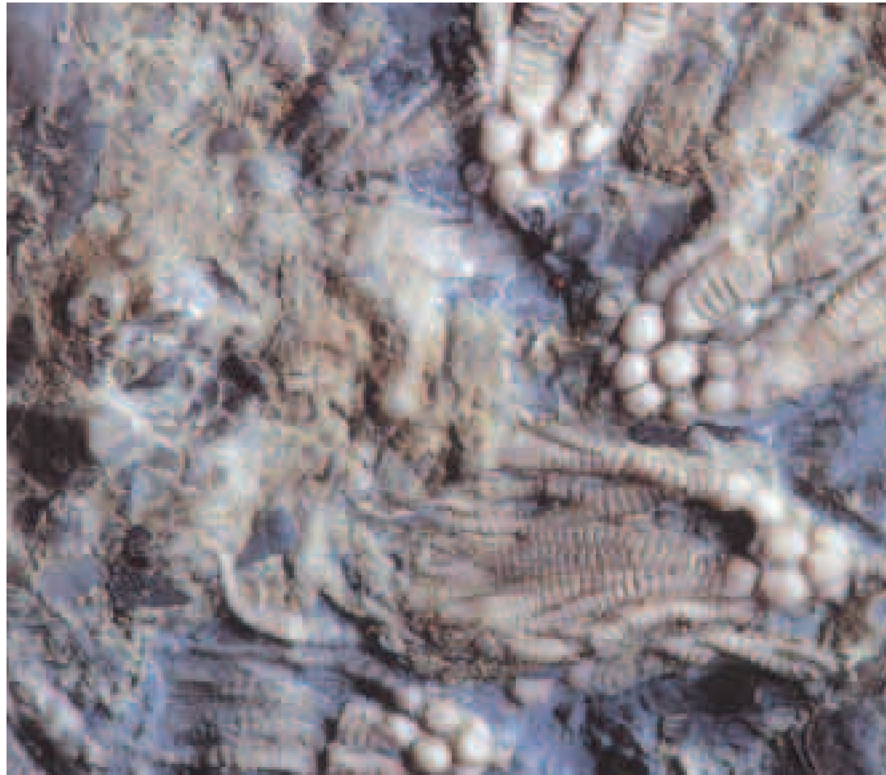
مع ارتفاع درجة الحرارة من جديد وذوبان الجليد وتعرض بعض القارات للفيضانات في هذا العهد، ظهر العديد من متحجرات النباتات البرية . كما وجدت متحجرات من قنفذيات الجلد مثل زنبق البحر والمفصليات مثل عقرب البحر وأنواع الأسماك مثل سمك اللا فكي والسمك المدرع إلى جانب أنواع مختلفة للعنكبوت. وكلها تعود إلى هذا العهد.

العهد الديفوني (417 – 354 مليون سنة)

يوجد عديد متحجرات الأسماك التابعة لهذا العهد. وكذلك حدث في العهد الديفوني ما يسمى بـ"الانقراض الجماعي " مما أدى إلى انقراض بعض أنواع الكائنات الحية. وقد تأثرت الصخور المرجانية بهذا الانقراض الجماعي. كما انقرض مرجان Tabulat-Stromatoporoids (نوع من المرجان المكون للصخور المرجانية) بشكل نهائي.

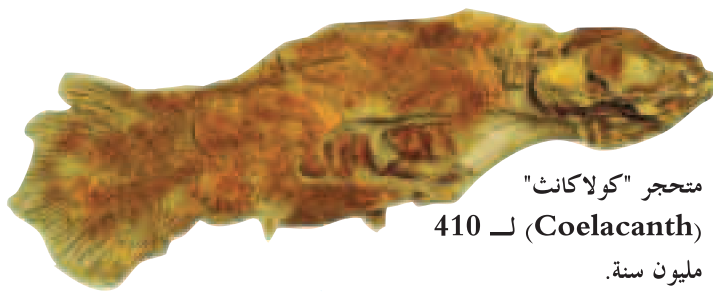
ولا فرق بين متحجرات الأسماك التي عاشت في العهد الديفوني وبين التي تعيش في يومنا. وهو دليل هام على أن الكائنات الحية لم تتغير عبر مئات ملايين السنوات وأنه لا أساس لما يسمى بالارتقاء.

زنبقانيات البحر التي عاشت في العهد السلوري.



العهد الكربوني (354 – 290 مليون سنة)

وهذا العهد الذي يعرف كذلك باسم العهد الفحمي ينقسم إلى فترتين، هما الكربون السفلي أو المسيسيبي Mississipian والكربون العلوي أو البنسيلفاني Pennsylvanian. وارتفاع الأرض وانخفاضها نتيجة اصطدام القارات ببعضها البعض، وارتفاع مستوى البحر وانخفاضه نتيجة ذوبان الجليد القطبي، من أهم الأحداث التي حددت ملامح الأرض وحياة الكائنات في هذا العهد. ويوجد عدد كبير من متحجرات الكائنات الحية البرية والبحرية لهذا العهد. ومن أشهر هذه المتحجرات، متحجر Coelacanth. وقد وقعت إشاعته من قبل الدارفيين كنموذج للشكل الانتقالي طوال سنوات مديدة، إلا أن Coelacanth قد فنّد صحة ذلك بنفسه، حيث لا يزال هذا الكائن حيا في يومنا هذا، وهو لم يتعرض لأي تغيير منذ ملايين السنوات أي أنه " لم يرتق " أبدا. و Coelacanthهو نموذج لـ" متحجر حي " يفند الارتقاء كليا على عكس الادعاءات المساندة لـ " الارتقاء الانتقالي ". وهناك مئات نماذج المتحجرات من هذا القبيل وكلها تفند صحة الارتقاء. ولكن ظهور Coelacanth كمتحجر حي كان انهزاما كبيرا بالنسبة إلى الارتقائيين، رغم ما أثاروا حولها من ضجة كبيرة ولمرات عديدة.



متحجر "كولاكانث" (Coelacanth) لـ 410 مليون سنة.



"كولاكانث" الذي يعيش في بحار عالمنا اليوم.





متحجر العنكبوت يعود إلى 355 – 295 مليون سنة.



العهد البرمي (290 – 248 مليون سنة)

وقد حدث كذلك انقراض جماعي كبير في أواخر هذا العهد البرمي الذي هو آخر عهود الفترة القديمة. وهذا الانقراض الجماعي كان بمثابة نهاية الفترة القديمة. وتشير سجلات المتحجرات إلى أن هذا الانقراض الجماعي الكبير قد أدى إلى انقراض أنواع الكائنات الحية بنسبة 90 – 95 %. ومع ذلك هناك كائنات حية بقيت منذ العهد البرمي إلى يومنا هذا، مثل طير أبو مغزل منذ 230 مليون سنة والعنكبوت منذ 240 مليون سنة. وتؤكد نماذج متحجرات العهد البرمي أنه لم يقع الارتقاء حتما في أية فترة من فترات التاريخ.

2 ب. والفترة الوسيطة (Mesozoic Era 248 – 65 مليون سنة)

تنقسم الفترة الوسيطة إلى ثلاثة عهود هي : العهد الترياسي Triassic Period والعهد الجراسي Jurassic Period والعهد الطباشيري Cretaceous Period. وقد عاشت الديناصورات في الفترة الوسيطة ثم انقرضت.

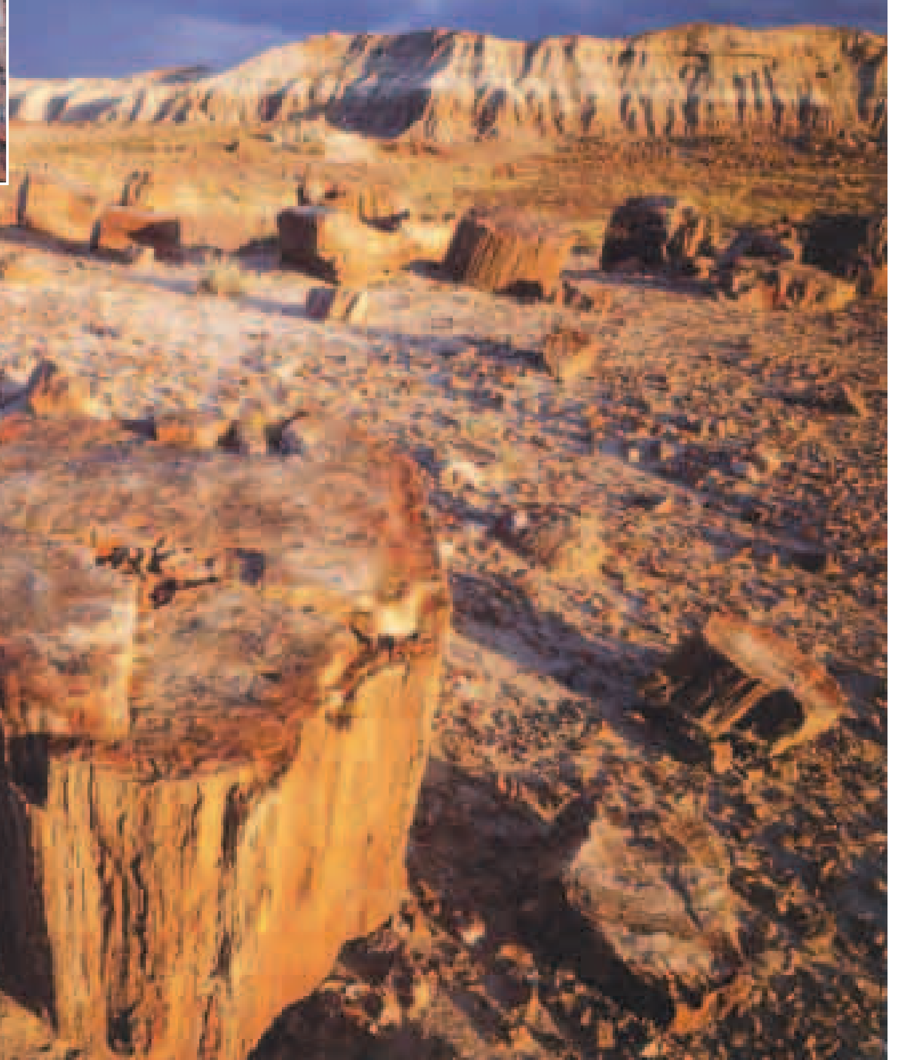
العهد الترياسي (248 – 206 مليون سنة)

وقد بدأت فترة جديدة مع العهد الترياسي، أطلق عليها اسم الفترة الوسيطة الجديدة. وتم العثور على عدد كبير من متحجرات الكائنات الحية للعهد الترياسي في كافة أنحاء العالم. وتشير سجلات المتحجرات إلى مدى ثراء الحيوانات البرية والبحرية المتنوعة خلال هذا العهد. وخلافا لما يأمله الارتقائيين، فإنه لا يوجد أي متحجر انتقالي يعود تاريخه إلى هذا العهد مثلما هو الحال بالنسبة إلى بقية العهود.





علماء يجرون أبحاثا على متحجرات العهد الترياسي.



الغابات المتحجرات في أريزونا تعتبر من أهم الآثار للنباتات التابعة للعهد الترياسي. وهذه الغابات المتكونة من الأشجار التي تعرف باسم " أوروكارية شيلي " دليل على أن النباتات لم تتعرض للارتقاء، إذ لا فرق بين أوراكورية شيلي التي عاشت قبل 248– 206 مليون سنة وبين مثيلاتها التي تعيش في يومنا الحالي.

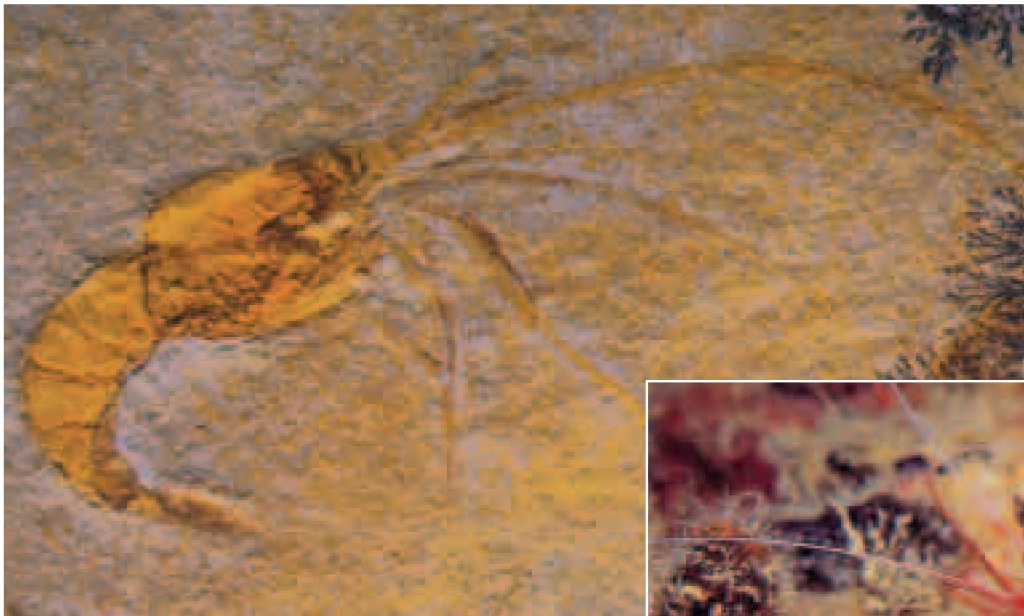
العهد الجراسي (206 – 144 مليون سنة)

يتميز هذا العهد من الفترة الوسيطة باحتوائه على عدد كبير من الديناصورات المتنوعة. وشهدت نهاية العهد الجراسي انقراضا لبعض أنواع الآمونية وزواحف البحر والمحار وبلح البحر. ودام نسل كثير من الكائنات الحية منذ العهد الجراسي دون أي تغير أي دون التعرض للارتقاء. وسجلات المتحجرات مليئة بالشواهد على ذلك. وعلى سبيل المثال فإن أقدم متحجر للتمساح يعود إلى ما قبل 200 مليون سنة. وتوجد كذلك نماذج المتحجرات لسحليات تواتارا لـــ 200 مليون سنة. كما يوجد عدد كبير من متحجرات الروبيان للعهد الجراسي. وكانت هذه الكائنات الحية، تحافظ على نفس الأنظمة والبنى المعقدة التي هي عليها اليوم قبل ملايين السنوات.



سحلية تواتارا لــ 200 مليون سنة ونموذجها في يومنا الحالي.





متحجر الروبيان الذي يعود إلى ما قبل 206 – 144 مليون سنة، إذ لا فرق بينه وبين الروبيان الذي يعيش في بحار عالمنا اليوم.







هناك تطابق كامل بين أبو مغزل الذي عاش قبل 150 مليون سنة وبين الذي يعيش قي يومنا.



متحجرا الخفاش والسمك لـ 144 – 65 مليون سنة. تم العثور عليهما في فرنسا.

العهد الطباشيري (144 – 65 مليون سنة)

ويعرف العهد الطباشيري آخر عهود الفترة الوسيطة بانقراض الديناصورات. ومع انقراض الديناصورات انقرض كذلك كثير من زواحف الأرض أنواع النباتات.

ومن ناحية أخرى، ظل عدد كبير من أنواع الحيوانات مثل نجم البحر والسرطان وعقرب الماء والعنكبوت وأبو مغزل والسلحفاة وبعض أنواع الأسماك والنباتات موجودة إلى الوقت الحالي. ومتحجرات نجم البحر لـ 135 مليون سنة وسرطان حدوة حصان بحري لـ 140 مليون سنة وورق شجر كينكو لـ 125 مليون سنة تعد بعض الأدلة المثبتة لهذه الحقيقة. وكل هذه الكائنات الحية التي تحمل نفس الأنظمة المعقدة رغم مرور ملايين السنوات، تفسخ ادعاءات الدارفينيين حول تاريخ الطبيعة.

2 ت. الفترة الحديثة Cenozoic Era (من 65 مليون سنة إلى يومنا)

مع انتهاء العهد الطباشيري، تبدأ الفترة الحديثة التي تشمل كذلك الوقت الحالي. وكان علماء الإحاثة والجيولوجيون يدرسون الفترة الحديثة تحت قسمين غير متوازيين من حيث المدة وهما الدهر الثالث والدهر الرابع. ويشمل الدهر الثالث الفترة الماضية ما قبل 65 مليون سنة إلى 1.8 مليون سنة بينما يشمل الدهر الثالث فترة 1.8 مليون سنة الأخيرة. وفي ماض قريب، وقع تقسيم الفترة الحديثة إلى ثلاثة عهود لدراستها. وهذه العهود الثلاثة للفترة الحديثة حسب النظام الجديد هي : العهد البالوسيني Paleocene والعهد النيوسيني Neocene والعهد الرباعي Quaternary.

وسجلات المتحجرات للفترة الحديثة غنية أيضا مثل بقية الفترات. وكل هذه نماذج المتحجرات تفند نظرية الارتقاء التي تزعم بأن جميع الكائنات الحية تولـــدت وانحدرت من جَـــدّ مشترك.

وأحد أبرز الخصائص الهامة لهذه المتحجرات المجموعة من فترات جيولوجية مختلفة هو أن الكائنات الحية لم تتعرض لأي تغير عبر المراحل الجيولوجية. وبعبارة أخرى : ما من نوع من أنواع الكائنات الحية، إلا وحافظ على هيئته الأصلية منذ أول العثور عليه في سجلات المتحجرات إلى وقت انقراضه أو وصوله إلى يومنا، دون أن يطرأ عليه أي تغير خلال عشرات ملايين بل مئات ملايين السنوات. وهو دليل ساطع لعدم تعرض الكائنات الحية لما يسمى بالارتقاء.

وتاريخ الكائنات الحية تفند نظرية الارتقاء بكل وضوح وبصورة قطعية. وإن الله العليم القدير هو الذي خلق أنواع الكائنات الحية المختلفة من العدم وهو الذي هيأ الأرض للحياة.



متحجر لتمساح يرجع إلى ما قبل 56 – 35 مليون سنة، تم العثور عليه في ألمانيا.

أين يقع أكثر العثور على المتحجرات؟



أقدم الصخور المعروفة في العالم تتواجد في جرينلند، حيث تبلغ أعمار هذه الصخور ما بين 3.9 و 3.8 مليار سنة.

تتوزع المتحجرات في جميع أنحاء العالم. وإذا كان لا يتم العثور على المتحجرات في بعض أنواع الصخور فإن بعضها الآخر يحتوي على كثير منها. ويقسم الجيولوجيون أنواع الصخور إلى ثلاث مجموعات عامة :

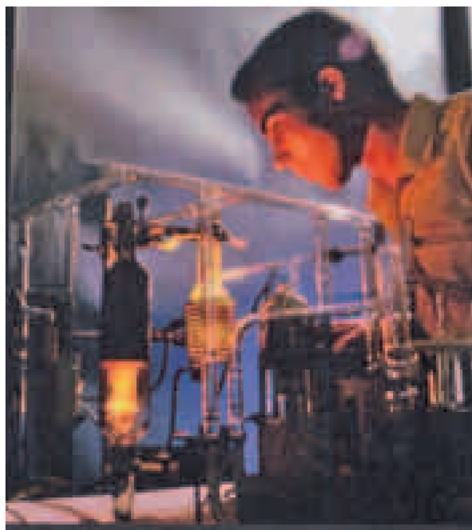
الصخور البركانية Igneous

الصخور الرسوبية Sedimentary

الصخور المسخية Metamorphic

والصخور البركانية هي صخور مثل الصون أو من نوع بازلت، تكوّنت مع برودة الحمم البركانية و المواد المذوبة التي انبثقت من البراكين الموجودة في أعماق الأرض أو خارجها. وتتشكل الصخور الرسوبية من الرمال والغرين والذرات الأخرى أو المواد الموجودة داخل المياه، وذلك مع تراكمها فوق بعضها البعض. وأما الصخور المسخية فهي الصخور البركانية والرسوبية التي تعرضت لتغييرات هيكلية نتيجة الضغوط والحرارة المرتفعة في الطبقات السفلية للأرض.

وفي غالب الأحيان، لا يتم العثور على المتحجرات في الصخور البركانية. والأمثلة النادرة لهذه المتحجرات هي التي تكونت بانحباس النباتات أو الحيوانات داخل الحمم البركانية. كما يندر تحجر الكائنات الحية تحت الضغوط والحرارة المرتفعة اللتين تكونان الصخور المسخية. وإن وقع ذلك فإن هذه المتحجرات تكون منقوصة أو مشوهة. ويتم العثور على أغلب المتحجرات في الصخور الرسوبية أو في الرواسب.



يمكن تحديد أعمار الصخور عن طريق التدقيق في الآثار المشعة.

ويتكون جل الصخور الرسوبية إما من المواد التي تتنقل بالرياح أو المياه وإما بتآكل سائر الصخور. بينما يتكون بعض أنواع هذه الصخور مثل الفحم من آثار النباتات أو الحيوانات. ويطلق على الصخور المتكونة من الأجزاء الصغيرة والحَبات اسم الصخور الرسوبية الفـُتات مثل حصاة الرمل والشِّست. وإذا حدث تآكل في المواد المتنقلة فإنه تتكون آنذاك صخور رسوبية غير الفتات بسبب الرسوب الكيماوي أو التبخر مثل حجر الكلس والدولوميت. والصخور الرسوبية عادة ما تكون مخلوطة بالصخور الفتات وغير الفتات. وغالبا ما يتواجد المتحجر في الشست وحصاة الرمل وحجر الكلس الذي يتكون كل منها من كربونات الكالسيوم.

كيف يمكن العثور على المتحجرات وكذلك كيف يتم استخراجها ؟



الأدوات المستعملة خلال أبحاث المتحجرات أدوات بسيطة يستعملها الجيولوجيون أثناء جمع أنواع الأحجار وهي مثل : المطرقة والمالج وأدوات حادة مختلفة والبوصلة والفرشاة والغربال.

وتنسلخ المتحجرات أحيانا من الطبقة الصخرية الناعمة وتظهر على سطح الأرض وحدها. ويكفي تنظيف المتحجر بالفرشاة في هذه الحالة. ولكن جمع المتحجرات ليس هكذا سهلا في غالب الأحيان. لأن الصخرة المدفون فيها المتحجر عادة ما تكون صلبة مما يستصعب عملية فصل المتحجر عنها في ساعات طويلة. وفي المكان الذي سيتم فيه





من أهم المراحل في استخراج المتحجرات : جمع الأحجار والصخور المناسبة وكسر هذه الأحجار والصخور المتوقع احتواؤها على المتحجرات بعناية فائقة.

البحث عن المتحجر، يجب أولا تعيين النقطة التي سيبدأ الباحث منها كسر الصخرة، حيث يقع تعيين نقاط الكسر وفق أسطح مواطن الصخور. ويتم تقسيم الصخور على حسب أنواعها. ويحتوي الشست مثلا على أسطح الموطن يمكن من خلالها تعيين نقاط الكسر. بينما لا تحتوي الصخور الطباشيرية على ذلك.
كما يجب تتبع علامات مثل اختلاف الألوان أو الأنسجة في النقاط المكسورة حتى لا تتضرر المتحجرات.
ويخضع المتحرج لإجراءات مختلفة عقب استخراجه من موطن الصخرة. وفي أول الأمر، يجب صيانته وتثبيته بشكل جيد، وذلك منذ لحظة استخراجه إلى وقت إيصاله إلى المختبر. وإحدى الطرق المستعملة في ذلك هي تثبيت المتحجر بالمواد اللاصقة الكيماوية. وأما بالنسبة إلى المتحجرات الكبيرة فيتم استعمال قوالب من الجبس. كما يقع لفّ الأماكن الحساسة للمتحجر بالأوراق المبلولة بالماء وغطسه بعد ذلك في الجبس كي لا يتضرر أثناء حمله.





يجب حماية المتحجرات باستعمال الجص أحيانا أثناء نقلها. وتجدون في الصورة عملية تغليف المتحجرات بالجص.

وبعد ذلك، ينبغي تنظيف المتحرج بأكمله حتى يبدو جميع تفاصيله. وإذا كان التحجر أكثر صلابة من الحجر الذي يحيطه فإن عملية التنظيف تكون سهلة. ولكن إذا كان المتحجر أقل صلابة فيجب آنذاك استعمال مواد كيماوية لتنظيفه. ومن أكثر الطرق المستعملة هو تنظيف المتحجر بالحامض، حيث يتضح بفضل ذلك جميع تفاصيل المتحجر. وفي بعض الأحيان، خاصة عندما تكون بنية المتحرج حساسة جدا، يتم تشخيص مكان المتحجر بأشعة أكس (X) وأجهزة التدقيق بالكمبيوتر. ويمكن بفضل ذلك معرفة شكل المتحجر قبل استخراجه.



تنظيم المتحجرات باستعمال الحامض

التنظيم بالحامض هو إحدى الطرق المستعملة لإظهار المتحجر بأكمله. وهي طريقة مؤثرة في تنظيف المتحجر من الصخر المحاط به دون إلحاق ضرر به.

1. يتم غطس الصخر المحيط بالمتحجر داخل حامض مناسب حتى ينكشف جزء صغير من المتحجر.
2. يتم غسل الجزء المنكشف للمتحجر ويُغطىّ بمادة مقاومة ضد الحامض.
3. يقع غطس المتحجر في الحامض مرة أخرى، وتتكرر هذه العملية خلال مدة طويلة.
4. يجب تطبيق المادة المقاومة ضد الحامض على الجزء المنكشف للمتحجر حتى لا يتضرر.
5. وفي آخر المطاف يتخلص المتحجر من الصخر المحيط به كليا، ويتم غسل المتحجر من جديد حتى لا يبقى عليه أثر الحامض والمادة المقاومة.



الحقيقة التي كشفت عنها المتحجرات حول الكائنات الحية : الخلق

تتسم سجلات المتحجرات التي وقع جمعها إلى اليوم بخاصيتيْن هامتين، كلتاهما تتناقض مع ادعاءات نظرية الارتقاء.

1. **الثبات** : لم يطرأ أي تغير على كافة أنواع الكائنات الحية خلال تواجدها على الكرة الأرضية، إذ هناك تطابق مطلق لبنية الكائن الحي منذ أول ظهوره في سجلات المتحجرات إلى آخر نموذج له قبل الانقراض. وتبقى التغيرات الشكلية محدودة وفي اتجاه معين.

2. **الظهور الفجائي** : لا يقع ظهور نوع من أنواع الكائنات الحية في منطقة ما عبر المرور بتحولات وتغيرات لأشكال أجداده بصورة تدريجية، بل يأتي ظهوره في آن واحد وعلى "هيئة متكاملة ".

وتعني هاتان المادتان أن الكائنات الحية مخلوقة دون أن تمر بمسار ارتقائي ومرحلة انتقالية، إذ أنها لم تكسب خصائصها فيما بعد بل خـُـلقت عليها منذ أول اليوم.

وتفنيد نظرية الارتقاء من قبل سجلات المتحجرات حقيقة عرفها داروين نفسه واستنكرها الدارفينيين. وقد اعترف داروين في كتابه " أصول الأنواع " تحت عنوان " مصاعب النظرية " بأنه لا يمكن تفسير سجلات المتحجرات بنظرية الارتقاء.

وإن كانت الأنواع قد انجرت حقا عن بقية الأنواع بتغيرات بطيئة، فلماذا لا نجد عديد الأمثلة للأنواع الانتقالية ؟ ولماذا ليست الطبيعية في حالة فوضى بل فيها كل شيء منتظم ومعروف ؟ ومن المفروض أن نجد عديد أشكال الكائنات الانتقالية ولكننا لا نستطيع العثور عليها في طبقات الأرض الكثيرة التي لا تحصى... ولماذا لا تحتوي البُنى الجيولوجية وطبقات الأرض على مثل هذه الروابط الانتقالية ؟ والجيولوجيا لا تقدم مسارا مقــيّما جيدا، ولعل هذا الأمر سيمثل أكبر اعتراض على نظريتي. (شارلس داروين، أصل الأنواع، الطبعة الأولى، ص 172).

وفكرة " الأشكال الانتقالية غير موجودة الآن ولكن يمكن العثور عليها بأبحاث جديدة " التي دافع عنها داروين قبل 140 سنة عندما غابت عنه المتحجرات الانتقالية، هي فكرة غير مقبولة اليوم. وتشير المعطيات الإحائية اليوم إلى أن سجلات المتحجرات غنية جدا، حيث أمكن تعريف 250 ألف نوع من الكائنات الحية بالاعتماد على ملايين المتحجرات المستخرجة من مختلف أنحاء العالم. وإن لم يتم العثور على متحجر انتقالي، رغم ثراء المراجع في هذا الميدان، فإنه لا يمكن ذلك عبر إجراء حفريات جديدة في المستقبل.



شارلس داروين



متحجر لنحلة يعود إلى ما قبل 54 – 37 مليون سنة.



أقدم نموذج متحجر لهذا النوع من الحلزون الذي ترونه في الصورة يعود إلى العهد الجراسي (206 – 144 مليون سنة). وأما نماذج الكائنات الحية التي تنتمي إلى نفس الصنف مع هذا النوع، فوصلت إلينا من العهد الكمبري (543 – 490 مليون سنة). والحلزون الذي ظل على هيئته على مدى مئات ملايين السنوات يؤكد بطلان نظرية التطور.

مـزيّف



إن الكائنات الحية وُجدت ضمن سجلات المتحجرات بصورها الممتازة والمتكاملة، ومثلا لم يتم العثور البتة داخل طبقات الأرض على متحجرات لكائنات حية غريبة مثل العثور في عهود ما قبل التماسيح والسناجيب على كائن يشبه السنجاب قليلا ويشبه التمساح قليلا ويحمل مواصفات أخرى لكائنات حية أخرى، إذ كان التمساح تمساحا والسنجاب سنجابا منذ الأزل. وكل هذه الحقائق تؤكد لنا أن نظرية الارتقاء "أي تطور الكائنات عبر المراحل على مدى ملايين السنين" هي نتاج خيالي لا غير.

وفي وقت لا تقدم فيه سجلات المتحجرات نموذجا واحدا لـــ " الشكل الانتقالي "، تقدم ملايين النماذج لتفنيد ما يسمى بنظرية الارتقاء. وأهم هذه الأدلة " المتحجرات الحية ". وهذه المتحجرات التي لها أمثلة حية في يومنا هذا، والتي ثبت تواجدها في مختلف الفترات الجيولوجية والتي أطلق عليها اسم " المتحرجات الحية "، دليل على وقوع " اللا ارتقاء "، إذ لا فرق بين المتحجرات التي عاشت قبل ملايين السنوات وبين أمثلتها الحية في يومنا، الأمر الذي جعل الدارفينيين في عجز أمام هذا الوضع.

ويعترف الارتقائي نيلس ألدريج Niles Eldredge بأنه ليس لديهم أي تفسير للمتحجرات الحية التي تمثل واحدا من عديد الأسرار التي لم تستطع نظرية الارتقاء معرفتها، حيث يقول:

يبدو أنه لا فرق – بالنظر إلى نموذج يمكن مقارنته – بين الكائن الحي الذي يعيش اليوم وأجداده المتحجرة التي عاشت في الماضي الجيولوجي البعيد. والمتحجرات الحية هي أدلة بارزة لفكرة الثبات الارتقائي ... ونحن لم نستطع كشف سر المتحجرات الحية.

(http://www.nwcreation.net/fossilsliving.html).

هناك العديد من أنواع النباتات لم تتعرض لأي تغير منذ العهد الترياسي (248 – 206 مليون سنة). وأحد هذه النباتات، شجرة "كينكو". وأما المتحجر الذي ترونه في الصورة فيعود إلى العهد الجراسي (206 – 144 مليون سنة).



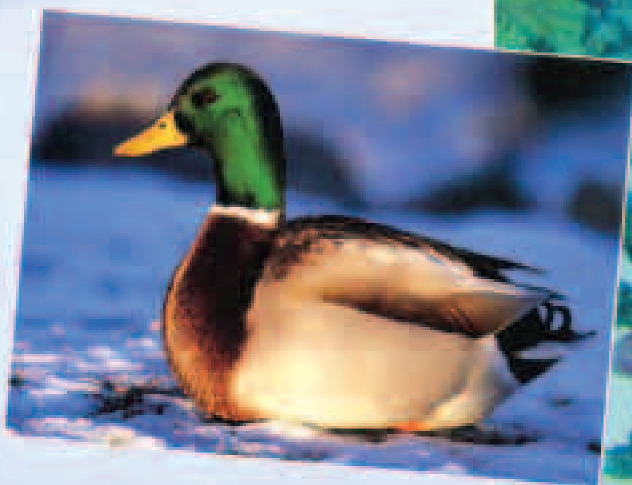
غصن شجر كينكو الذي يوجد في وقتنا الحالي.











و" السر " الذي أراد نيلس ألدريج معرفته هو الحقيقة البينة. والمتحجرات الحية دليل على عدم ارتقاء الكائنات الحية أي أنه دليل على خلقها. ولكن الدارفينيين يغضون الطرف عن هذه الحقيقة خوفا على إيديولوجيتهم ويقاومون من أجل إحياء عقيدتهم التي تعود إلى 150 سنة. بينما اليوم أصبحت الحقائق أكثر وضوحا وتحديدا من زمن داروين. كما يتزايد عدد الأناس الذين يرون الحقيقة ويرجّحونها مقابل تقلص عدد الأناس الذين يؤمنون بالحكايات دون محاكمتها. والحقائق اليوم، ليست قابلة للإخفاء والإهمال مثلما كانت في عهد داروين، حيث كشفت علوم مثل علم الجينات والبيولوجيا المجهرية وعلم الإحاثة والجيولوجيا وغيرها عن حقيقة وبشكل مستمر، لم يردها ولم يتوقع حدوثها داروين وأنصاره. وهذه الحقيقة هي حقيقة الخلق.

والإدعاءات المخالفة للعقل والعلم التي ابتكرها الدارفينيين والحيل التي انتهجوها لمخادعة الناس والدعايات التي توسلوا بها لتوجيه الناس، كلها ترينا مدى عجزهم. ولا شك أن الأجيال اللاحقة ستتساءل حول كيفية إيمان الناس بالحكاية الداروينية. لأن عدم حدوث الارتقاء وخلق الله للكون والكائنات الحية حقيقة واضحة وبأدلة علمية.

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الأَوَّلِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ (الدخان 7-9)

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْـقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (الشورى: 2)





نماذج لحفريات عُثر عليها في أمريكا



نماذج لحفريات عُثر عليها في الولايات المتحدة الأمريكية



تُعد الطبقات الحفرية لجرين ريفر(Green River) بالولايات المتحدة الأمريكية واحدة من أهم المصادر التي ترجع إلى العصر الإيوسيني (منذ 55ــ 34 مليون سنة) . وقد كانت أولى عمليات الحفر المعروفة في المنطقة قد أُجريت في الخمسينيات من القرن التاسع عشر الميلادي. وفي عام 1856 أذاع د.جون إيوانس (Dr.John Evans) ــ عالم الآثار ــ نبأ حفريات الأسماك التي جمعها من المنطقة إلى دنيا العلم، وانتقل تكوين جرين ريفر إلى الأدبيات العلمية.

وجرين ريفر (النهر الأخضر) في الأصل، فرع من فروع نهر كلورادو (Colorado)، وتكوينه كذلك حوض لبحيرات جبلية ، ويضم هذا الحوض ساحة تتفرع في ثلاث ولايات مختلفة. شطر من هذه الساحة يقع في جبال يونيتا (Unita) الواقعة شمال شرقي يوتاه (Utah) ، وشطر آخر منها يقع شمال شرقي جبال يونيتا ، أي شمال غربي كلورادو. وثمة شطر شاسع آخر واقع جنوب غربي يومنيج (Wyoming) . وتتشكل البنية الصخرية لجرين ريفر من طبقات متباينة، ويتباين باطن هذه الطبقات بشكل مطَّرد كلما نزلنا إلى العمق. وتتفاوت التوزيعات الحفرية بالتبعية وبذات الشكل. وحتى اليوم تم العثور على نحو 60 مجموعة مختلفة من الحفريات الفقارية الحية وذلك في عمليات الحفر والتنقيب التي أُجريت في جرين ريفر. وتم رصد 11 حفرية مختلفة خاصة بالزواحف. وعُثر كذلك على أعداد لا حصر لها من الحفريات اللافقارية الحية.



حفرية لسمكة عُثر عليها في تكوين جرين ريفر

في اليسار يبدو العلماء الذين يعملون على حفرية لديناصور عُثر عليه في الطبقات الموجودة في يوتاه، أما في اليمين فتظهر عملية نقل إحدى الحفريات، وفي الأسفل تبدو حفرية يجري نقلُها.





حديقة كانيونلاندز (**Canyonlands**) الوطنية، كُلُورادو.



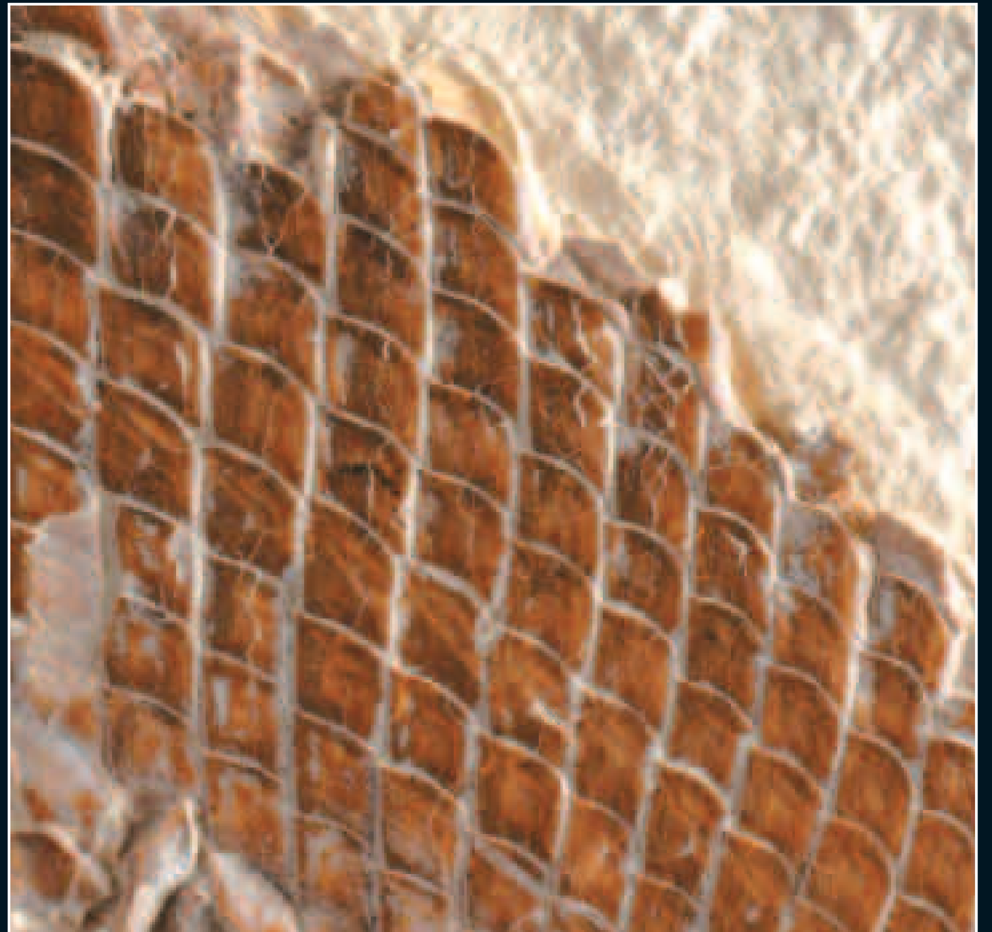
ساحة بحث حفري في يومينج.



ومن بين الولايات الأخرى التي توجد بها مواقع الحفريات الشهيرة، ولاية أوهايو. وتثبت الدراسات الجيولوجية أن أوهايو ــ قبل 510 مليون سنة على وجه التقريب ــ كانت تقع جنوب خط الاستواء. وطبقا للمعلومات الواردة بتلك الدراسات فإنه ــ إبّان تغيير القارات لمواضعها ــ بينما كانت تتقدم أمريكا الشمالية نحو الموضع الذي هي فيه الآن، غمرت المياه أوهايو لمرات عديدة. ولهذا السبب استُخرجت من أوهايو أعداد هائلة من الحفريات ترجع إلى الزمن الباليوزوي (منذ 543ــ 251 مليون سنة)، وكذلك من الولايات الأمريكية التي تحوز طبقات حفرية غنية، يوتاه. وقد استُخرجت من الطبقات الحفرية الموجودة في يوتاه حفريات خاصة بكائنات حية متنوعة: من اللافقاريات إلى الكائنات الحية البحرية، ومن الزواحف إلى الثدييات. ويثبت ما عُثر عليه حديثا من حفريات مجهرية في جبال يونيتا أن في يوتاه طبقات حفرية ترجع إلى العصر الكمبري.

ويقيم كافة ما عُثر عليه من حفريات في الولايات المتحدة الأمريكية ، مثلما هو الشأن في مناطق العالم الأخرى، الدليل على حقيقة واحدة، ألا وهي أنه ما من تفاوت قط بين ما يعيش في عصرنا الراهن من أسماك قشر البياض، وأسماك الشيفنين، والزنابق البحرية، والرعّاشات (فرافير الماء) والذباب والعناكب والسرطانات والسلاحف، وبين مثيلاتها التي عاشت قبل ملايين السنين. فالكائنات الحية لم تتعرض لأي تغير في غضون مئات الملايين من السنين التي مرت متعاقبة عليها. وبتعبير آخر لم تتطور هذه الكائنات عن غيرها. وتكذّب سجلات الحفريات نظرية التطور (النشوء والارتقاء) ، وتورد الشواهد من جديد على حقيقة الخَلْق.

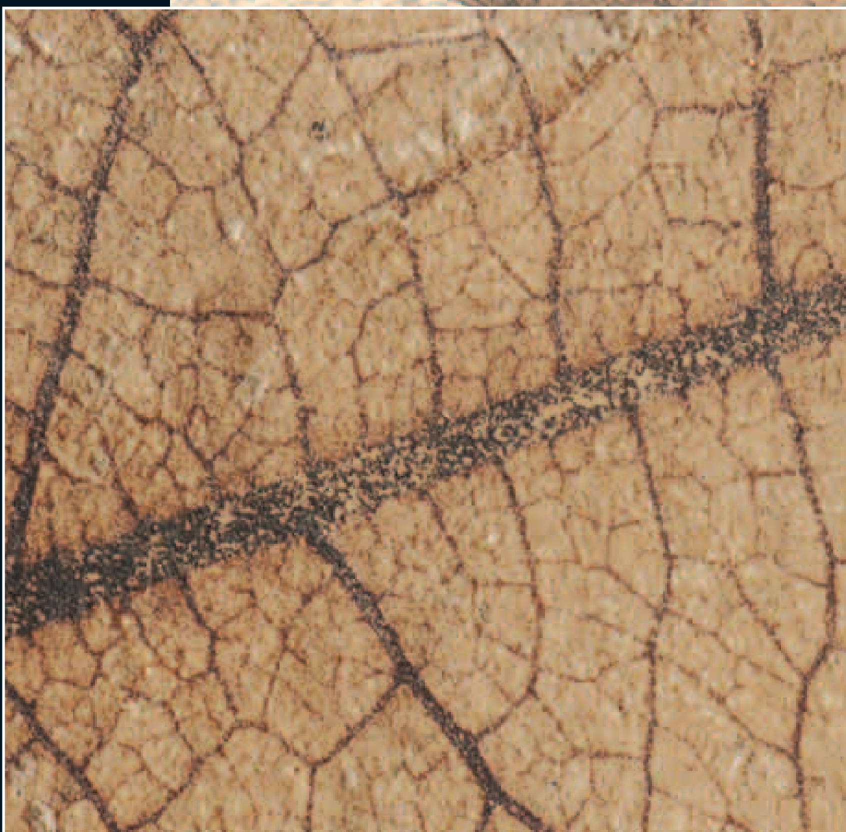




سمكة كُرْكي ذات عظم

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة .
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج ، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن مئات الحفريات التي عُثر عليها لسمكة الكركي ذات العظم تثْبت أنّ هذه الكائنات الحيّة لم يعترها أدنى تغير منذ ملايين السنين. وليس ثمة فارق قط بين سمكة الكركي ذات العظم التي تبدو في الصورة والبالغ عمرها ما بين 54 و 37 مليون سنة، وبين مثيلاتها التي تعيش في البحار في عصرنا الراهن. وعدم الاختلاف هذا أمر ليس بوسع الداروينيّين تفسيره، ويؤكّد من جديد حقيقة الخلق.







ورقة شجر الحور

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

تبرهن ورقة شجر الحور التي تظهر في الصورة على أن أشجار الحورــ شأنها شأن كافة النباتات الأخرى ــ لم يلحق بها أي تغير قط، بمعنى أنها لم تمر بأي عملية تطور. وتدحض هذه الحفرية ــ التي تطابق أشجار الحور الموجودة في عصرنا الراهن ــ زعم التطور القائل بأنّ الأنواع الحية كانت قد تطوّرت ونجمت عن بعضها البعض بتغيرات طفيفة.









سمكة الشِفنين البحرية المشعة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .

العمر : 54 ـــ 37 مليون سنة

الموقع : يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية .

تُعد أسماك الشفنين البحرية المُشعّة من الكائنات البحرية ذات البنية الغضروفية، وحيال تعرّض هذه الأسماك للخطر فإنها تقوم بالدفاع عن نفسها باللدِغ بالإبرة السامة الموجودة في أذيالها. وعيون هذه الأسماك توجد فوق أبدانها، أما أفواهها فتوجد أسفلها. وشأنها شأن أسماك القِرش تبحث عن طعامها مستخدمة في ذلك حواس الشم وأجهزة استشعار كهربائية. وهي تعيش في أغلب الأحيان مدفونة في أعماق البَحر بحيث لا يبدو منها سوى عيونها وأذنابها.

وتعدّ الحفرية التي في الصورة دليلاً يكشف أنّ أسماك الشفنين المشعة لم تمر بأي عملية تطور، وليس ثمة تباين قط بين أسماك الشفنين التي عاشت قبل 50 مليون سنة، وبين نظيراتها التي تعيش في عصرنا الراهن. ورغم مرور ملايين السنين فإن تطورًا لم يطرأ قط على بنيات هذه الأسماك. ولو صحت مزاعم التطوريين، لكانت هذه الأسماك قد مرّت بمراحل مختلفة، ولوُجدت أعداد هائلة من الحفريات التي تبرز هذه المراحل وتوضحها. بيد أن كل ما يُعثر عليه من حفريات يُدلل على أنه ثمة تطابق بين أسماك الشفنين التي عاشت في الماضي، وبين مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الحالي؛ أي أنها تدحض ما يزعمه التطوريّون.





السّردين

العصر: زمن السينوزوي، العصر الأيوسيني

العمر: 54-37 مليون سنة

الموقع: حوض كرين ريفر، وومينغ، الولايات المتحدة الأمريكية

لو كان زعم أنصار نظرية التطور صحيحا لكان من المفروض أن يوجد اختلاف كبير بين متحجر السردين وبين مثيلاته التي تعيش في وقتنا الحاضر، ولكان من المفروض كذلك أن تلاحظ في هذه المتحجرات آثار التطور التي تحدث عنها الداروينيون. بيد أنه لم يوجد أي أثر لهذا التطور إلى حد اليوم، وليس من الممكن أن يظهر شيء من ذلك في المستقبل لأن الكائنات الحية ليست نتاجا للمصادفات العمياء مثلما زعم التطوريون بل هي من خلق الله تعالى الحكيم القدير.





سمكة الرنجة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .

العمر : 54 ــ 37 مليون سنة

الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج ، الولايات المتحدة الأمريكية.

تبرهن الحفريات الحية على أنّ الأحياء لم تمر بأطوار تطورية، وإنما هي قد خُلقت. فالأنواع الحية لم تصل إلى ما هي عليه في عصرنا الراهن من بنيات مروراً ــ على نحو ما يفترض التطوريّون ــ بوتيرة تغير صُدفي، إنّما أوجدها الله دون عيب أو مثلبة، فعاشت دوماً طيلة وجودها على وجه الأرض بالشكل الذي خُلقت عليه.

وتعد حفرية سمكة الرّنجة التي تظهر في الصورة، أحد الشواهد المؤكدة لهذه الحقيقة الجلية. فأسماك الرنجة ــ التي لم تتعرض لأي تغير قط على مدار ملايين السنين ــ هي اليوم كذلك بذات الكيفية التي كانت عليها يوم وُجدت. إنها ــ مثلها مثل كافة الحفريات الأخرى ــ تثبت أن نظرية التطور تأسست على أكاذيب وحجج داحضة.







سرطان البحر

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .

العمر : 50 مليون سنة

الموقع : أوريجون (Oregon) ، الولايات المتحدة الأمريكية .

إن من أبرز خصائص سجلات الحفريات هو عدم تعرض الكائنات الحية للتغير طيلة العصور الجيولوجية التي تم رصدها في هذه السجلات. وبعبارة أخرى إن نوعًا حيا، أياً كانت الكيفية التي بدا عليها لأول مرة في سجلات الحفريات ، فإنه حتى انقراض هذا النوع أو حتى بلوغه عصرنا الراهن لا يُظهر أي تغير قط طيلة عشرات الملايين أو حتى مئات الملايين من السنين، ويحتفظ بالبنية ذاتها. وإن هذا لدليل واضح على أن الكائنات الحية لَم تمرّ بعملية تطور.

وتعد السرطانات التي حافظت على كافة سماتها دون أن تتعرض لأي تغير قط، هي الأخرى دليلا من بين هذه الأدلة. والسرطانات التي تعيش في عصرنا الراهن تماثل تماماً تلك السرطانات التي سبق وأن عاشت قبل ملايين السنين.

سمكة الفَرْخ

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .
العمر : 54 ـــ 37 مليون سنة
الموقع : تكوين جرين ريفر، يوتاه، الولايات المتحدة الأمريكية.

تعيش أسماك الفرخ في المياه العذبة التي في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، وهي أسماك يمكنها التكيّف بسهولة مع مختلف الظروف المناخية ودرجات حرارة المياه. وتكذِّب حفريات أسماك الفرخ مرة أخرى الزعم الذي يروّج له الداروينيّون من أن الكائنات الحية قد نجمت وتطورت عن بعضها البعض تدريجيا عبر مراحل. فالحفرية التي تظهر في الصورة تبرهن على أن أسماك الفرخ لم يمسسها أي تغيّر قط منذ ملايين السنين، ولم تمر بأي مرحلة فرعية مثلما يزعم القائلون بالتطور. والبنية التي كانت لأسماك الفرخ قبل ملايين السنين، هي نفسها ذات البنية التي تحوزها أسماك هذا النوع التي تعيش في عصرنا الراهن.







ورقة شجر السُّمَّاق

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.

العمر : 54 ـــ 37 مليون سنة

الموقع : تكوين جرين ريفر، يوتاه، الولايات المتحدة الأمريكية .

إن الأنواع النباتية ـــ شأنها شأن كافة الكائنات الحية ـــ ظهرت دفعة واحدة بكامل بنياتها وأنظمتها المعقدة ، بمعنى أنها خُلقت بالسمات التي تحوزها. ومئات الآلاف من الحفريات النباتية التي وردت في سجلات الحفريات هي شواهد مؤكدة على هذا الوضع. وما من حفرية واحدة بمقدور التطوريين الكشف عنها لشجرة نصفها تنّوج ونصفها الآخر صفصاف، أو لعشب نصفه طحلب ونصفه الآخر خلنج، أو زهرة نصفها أوركيد ونصفها الآخر قرنفل. هذا في حين أن هناك مئات الآلاف من الحفريات التي تثبت أن شجر الصفصاف كان دوما ولا يزال شجر صفصاف، وبالمثل كان شأن أشجار التنوج والآرز والطحالب وأشجار الحور والدلب، كلها وُجدت ولا تزال على ذات الكيفية التي وُجدت عليها دون أدنى تغير قط. وكل واحدة من هذه الحفريات التي يبلغ عمرها ملايين السنين، تكشف زيف نظرية التطور وعريها من الحقيقة. وتُعد حفرية السّماق البالغ عمرها ما بين 54 و 37 مليون سنة هي الأخرى دليلا آخر يفضح خدع الداروينيّين ومكائدهم .

سمكة قشر البياض

العصر : زمن السينوزوي ، العصر الإيوسيني .

العمر : 54 ــ 37 مليون سنة

الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية .

تنتمي أسماك قشر البياض إلى عائلة السلمون، ويُطلق على كافة الأسماك ــ التي تدخل ضمن العائلة الفرعية للسّلمون ــ اسم سمكة قشر البياض. وتعيش هذه الأسماك في الأعم الأغلب في البحار والأنهار والبحيرات الباردة. وتثبت حفرية سمكة البياض التي تظهر في الصورة أنّ أسماك البياض قد تابعت وجودها منذ ملايين السنين دون أن يصيبها تغير، أي أنها لم تمر بعملية تطور. ولو أن ثمة كائناً حياً تابع وجوده بشكل يخلو من العيوب والمثالب في عصرنا الراهن، واحتفظ بكافة سماته التي يحوزها منذ ملايين السنين دون أن يعتريه أي تغير، فإن هذا يُعد دليلاً دامغاً يقضي تماماً على نموذج التطور التدريجي عبر مراحل الذي يفترضه داروين. وليس هناك على وجه الأرض مثال واحد فقط يثبت هذا، إنما هناك ملايين الأمثلة والعينات. وحفرية سمكة قشر البياض التي نتحدث عنها ما هي إلا أحد هذه الأدلة.





سمكتا الرنجة



العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .
العمر : 54 ـــ 37 مليون سنة
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج ، الولايات المتحدة الأمريكية.

لم يطرأ أيّ تغير قط على أسماك الرنجة منذ ملايين السنين شأنها في ذلك شأن كافة الأحياء الأخرى، ومن ثم فإنّ بنية أسماك الرنجة التي عاشت قبل 55 مليون سنة تماثل بنية أسماك الرّنجة التي تعيش في عصرنا الراهن. وإنّ هذا الوضع لينسف ما يزعمه التطوريون من أن الكائنات الحية تطورت عن بعضها البعض عبر مراحل.

ويبدو في الصورة نوعان مختلفان من سمكة الرنجة كانا قد تحفّرا بجانب بعضهما البعض. وهاتان السمكتان اللتان تحفّرتا بكامل تفاصيلهما هما بمثابة دليل على أنّ الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور، وإنما قد خُلقت.



حيوان التريلوبايت

العصر : زمن الباليوزوي، العصر الديفوني .
العمر : 380 مليون سنة
الموقع : أوهايو، الولايات المتحدة الأمريكية .

يُعد حيوان التريلوبايت واحداً من أهم الكائنات الحية التي ظهرت في العصر الكمبري. وهي حيوانات عاشت في مختلف بقاع العالم، وأكثر حيوانات العصر الكمبري تركا للآثار. ومن بين سمات حيوانات التريلوبايت المثيرة لأقصى درجات الدّهشة، أنها ذات عيون متعددة العدسات. وتشتمل هذه العيون على أعداد هائلة لا حصر لها من الوحدات التابعة للعين. وكل وحدة من هذه الوحدات هي عدسة. وكل واحدة من هذه العدسات ــ مثلها مثل عيون الذبابة المركبة المسدسة ــ تضطلع بوظيفتها وكأنها عدسة مستقلة بنفسها. وتلتقط كل واحدة من هذه العدسات منظراً مختلفاً، ويتوحّد هذا المنظر في وحدة واحدة.

وقد كشفت الدراسات والأبحاث عن أن العين الواحدة لحيوان التريلوبايت كان بها ما يزيد عن ثلاثة آلاف عدسة. وما يزيد عن ثلاثة آلاف عدسة يعني أن هذا الحيوان يصله ما يزيد عن ثلاثة آلاف منظر مختلف. وهذا بدوره يظهر بجلاء مدى التعقيد البالغ الذي تتسم به بنية عين ومخ كائن حي عاش قبل 530 مليون سنة، وتمثيله لبنية خالية من أي عيب ليس في الإمكان ظهورها بأي شكل من الأشكال من خلال التطور.



أسماك الرنجة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة .
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية .

تبدو في الصورة أسماك رنجة تحفَّرت بشكل جماعي إثر عملية اندثار فجائية على أرجح الاحتمالات. وأسماك الرنجة هذه التي تحجرت دون أن تتحلل أذيالها وزعانفها، واحتفظت بتجاويف عيونها وبنياتها العظمية بتفصيلاتها توضح بالعِيان حقيقة أن التاريخ لم يشهد في أي عصر من عصوره قطّ تطورًا للأنواع الحية .





أم أربعة وأربعين

العصر : زمن الباليوزوي ، العصر الكربوني .
العمر : 300 مليون سنة .
الموقع : مازون كريك (Mazon Creek)، برادوود (Braidwood)، إلينوي(Illinois)، الولايات المتحدة الأمريكية .

ما يظهر في الصورة هو حفرية لدويبة أم أربع وأربعين التي يبلغ عمرها 300 مليون سنة، وما من أدنى تفاوت بين دويبات أم أربع وأربعين التي كانت تعيش قبل 300 مليون سنة، وبين مثيلاتها الموجودة في عصرنا الحالي. وهي مثل كافة الكائنات الحية الأخرى لم تمر بأيّ عملية تطور، وإنما هي خُلقت.

أرنب حَدَث

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 30 مليون سنة .

الموقع : تكوين وايت ريفر (White River)، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الأرانب التي كانت تعيش قبل 30 مليون سنة والتي هي تماثل الأرانب التي تعيش في عصرنا الحالي، لتُكَذِّب نظرية التّطور. وتثبت الاكتشافات الحفرية أن الأرانب وُجِدت دوما ولا تزال أرانب.









سمكة قشر البياض

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .
العمر : 50 مليون سنة .
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

ثمة أنواع كثيرة من أسماك قشر البياض، توشك أن تكون كلها موجودة في سجلات الحفريات. وتبين هذه السجلات أنّ أسماك قشر البياض كانت قد وُجدت منذ ملايين السنين بذات السمات والخصائص، وأنها لم تمر بأي وتيرة تطور.



شجرة القَسْطَل البحري

العصر : زمن الباليوزوي، العصر الكربوني.
العمر : 295 مليون سنة.
الموقع : تكوين وينتشل (Winchell)، تكساس (Teksas)، الولايات المتحدة الأمريكية.



شجر القسطل البحري من الأحياء البحرية الشوكية التي تُصادف في كافة بحار العالم. وتبرهن حفريات شجر القسطل البالغ عمرها نحو 300 مليون سنة على أنّ هذه الأحياء وُجدت منذ ملايين السنين ببنياتها المعقدة. وفي غضون هذه الحقبة لم يطرأ أيّ تغير قط على بنياتها، ولم تمر بأيّ مراحل فرعية.

ويقف الداروينيون عاجزين مبهوتين حيال هذه الحفريات، باعتبارها براهين تثبت أن وتيرة التطور التي يزعمها هؤلاء لم تحدث في أي وقت قط.

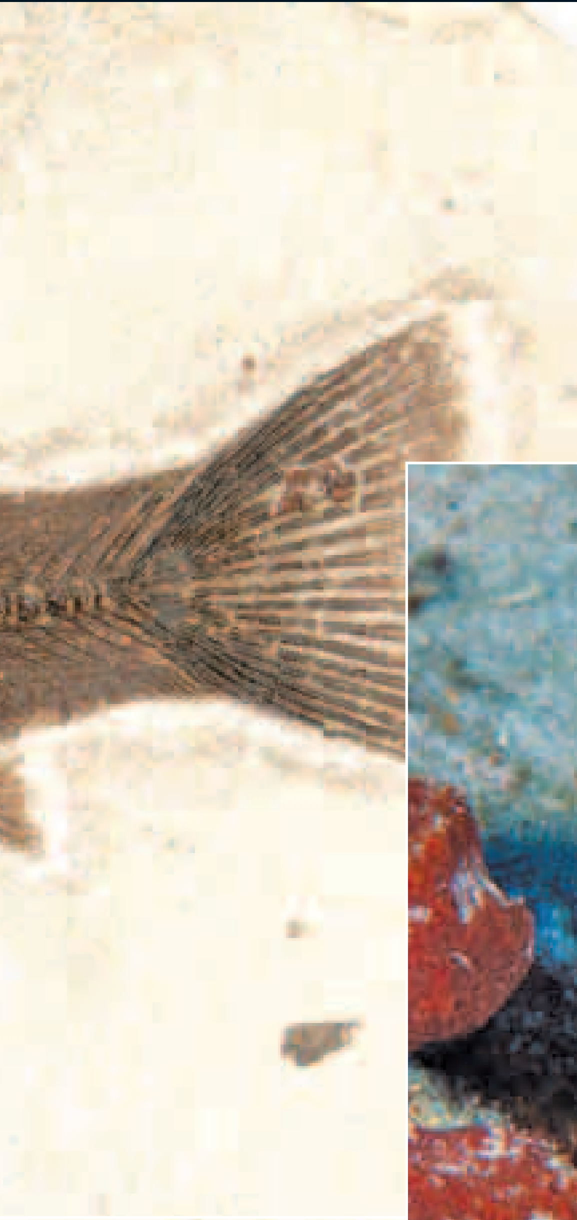


ورقة الدُلّب

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 50 مليون سنة.
الموقع : كلورادو، الولايات المتحدة الأمريكية .

حينما نبحث في التاريخ الحفري للنباتات التي تعيش في البر، وندقق في سماتها البنيوية، تطالعنا لوحة لا تتفق قط وفروض نظرية التطور. ولا تكاد توجد سلسلة حفرية واحدة من شأنها تأييد حتى فرع واحد من شجرة التطور المزعوم للنباتات التي يمكن أن تصادفوها في أي كتاب من كتب علم الأحياء. فمعظم النباتات لها بقايا مطَمْئنَة نوعًا ما في سجلات الحفريات. لكن ليس هناك واحدة من بين هذه البقايا تبرهن على سمة نموذج التحول الفرعيّ من نوع إلى نوع. فكلها أنواع شديدة التباين، خُلقت مستقلة بنفسها بشكل خاص وأصيل، وليس ثمة علاقة كونية من أي نوع تربط بينها مثلما يزعمون. وعلى نحو ما يذهب أولسون العالم التطوري المتخصص في علم معايش الإنسان في الأزمنة القديمة، فإنّ "أغلب المجموعات النباتية الجديدة قد ظهرت فجأة، ودون أن يكون لها أي أسلاف قريبة قط " (E.C.Olsun ,The Evolution of Life, New York, The New American Library,1965, p.9) .

وتعد حفرية ورقة الدلب التي تظهر في الصورة ويبلغ عمرها 50 مليون سنة، أيضا من الشواهد الدالة على هذا الوضع.







سمكة الرمل

العصر : زمن السينوزوي ، العصر الإيوسيني.
العمر : 50 مليون سنة.
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

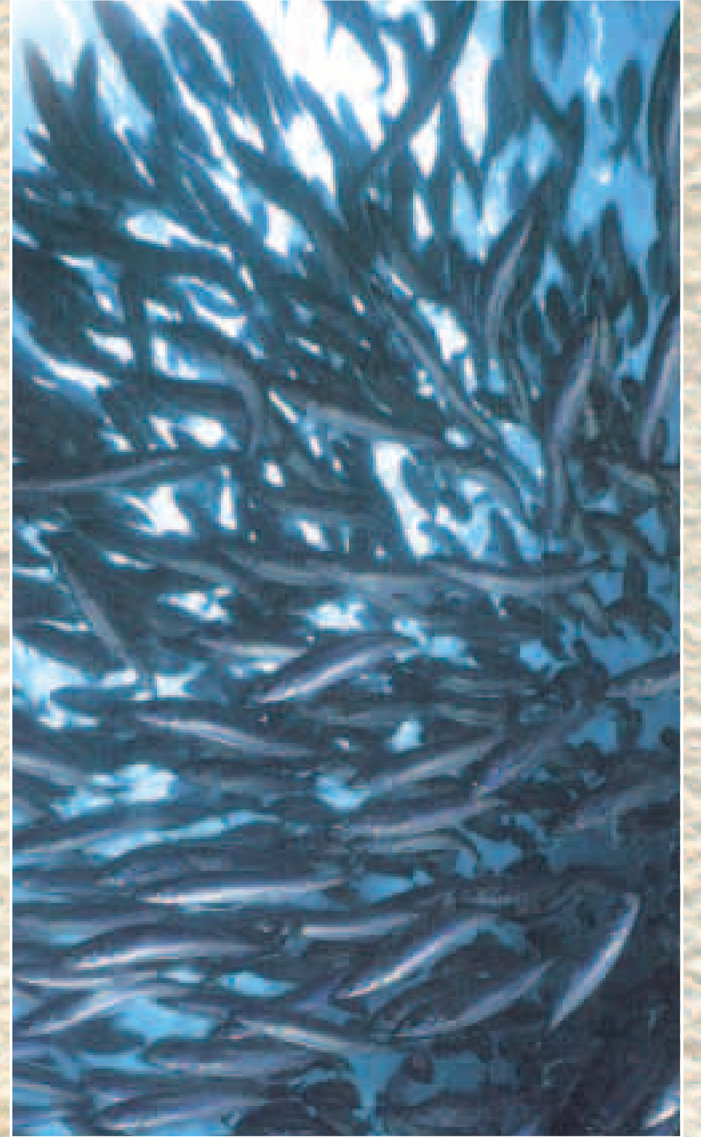
يبلغ عمر السمكة التي تبدو في الصورة 50 مليون سنة. ومنذ هذه الحقبة لم تتعرض لأي تغير قط. وهذه الحفرية التي تتطابق تمام التطابق مع أسماك الرمل التي تعيش في البحار في عصرنا الراهن، تعد دليلاً على بطلان نظرية التطور.



أسماك الرنجة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .
العمر : 55 مليون سنة .
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الحفريات الحية لا تختلف نماذجها المتبقية من الماضي مع نماذجها التي في عصرنا الراهن، ومن ثم فهي تعد بمثابة وثائق توضح بالعِيان حقيقة أن الأنواع لم تمر بعملية تطور قط على مدار ملايين السنين. وحفرية أسماك الرنجة التي تبدو في الصورة ويُقدر عمرها بـ 55 مليون سنة، هي إحدى الحفريات الحية التي نقصدها بحديثنا.











ورقة شجر الجِنكجو (Ginkgo)

العصر : زمن السينوزوي، العصر البليوسيني .
العمر : 65 ــ 54 مليون سنة.
الموقع : تكوين سينتنل بيوت (Sentinnel Bute)، داكوتا(Dakota) الشمالية، الولايات المتحدة الأمريكية.

تظهر النباتات فجأة في سجلات الحفريات بالسمات المشابهة للنباتات الحية التي توجد في عصرنا الحالي. وهذا إنما يشير إلى أنها خُلقت مثل الكائنات الحية الأخرى.

وحفرية ورقة الجنكجو التي تبدو في الصورة ويبلغ عمرها 65 مليون سنة تقريبا، هي من الأدلة على أن شجر الجنكجو ــ شأنه شأن كافة النباتات الأخرى ــ لم يمر قط بعملية تطور. وقد تحفّرت الخطوط العامة للورقة وبنيتها العروقية بشكل مفصل. وهذه الحفرية البالغ طولها 12 سم تثبت أنّ شجر الجنكجو لا يزال على نفس الكيفية التي كان عليها منذ ملايين السنين، وأنه ليس ثمة تفاوت بين شجره الذي ينمو في عصرنا الحالي، وبين شجره الذي نما في الماضي.



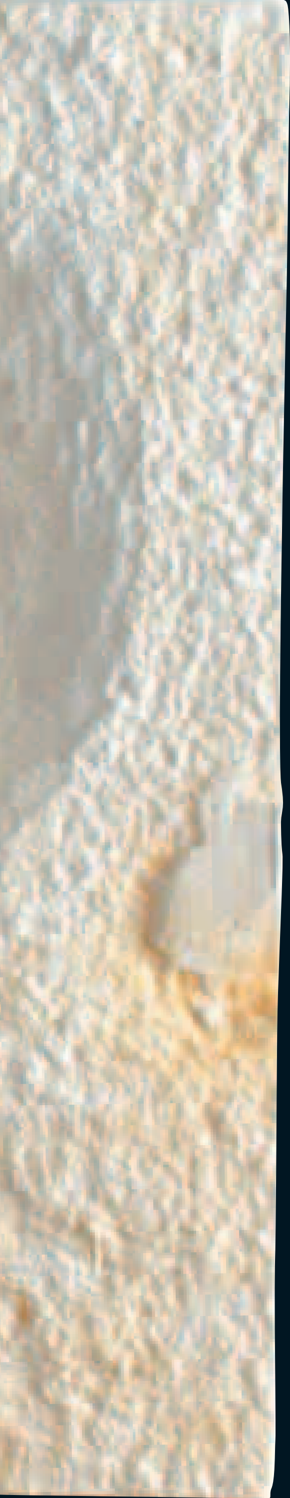




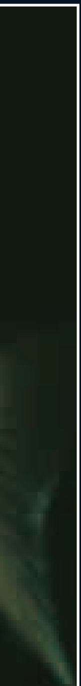
سمكة الرنجة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 55 مليون سنة.
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

رغم أن الداروينيين لا يودّون التسليم، فإن الحقيقة التي تكشف عنها الحفريات واضحة. فملايين الحفريات التي تم جمعها من شتى بقاع سطح الأرض تؤكد أن الكائنات الحية لم تمر بتطور، وإنما هي خُلقت. ومن بين هذه الحفريات التي توضح هذه الحقيقة بالعِيان، حفرية سمكة الرنجة التي تبدو في الصورة. فأسماك الرنجة التي لم يجر عليها أيّ تغير قط منذ ملايين السنين تقيم الشواهد مجدداً على أن نظرية التطور محض خدعة كبرى.









سمكة القَيْصانة (سمكة الشمس)

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54ـــ 37 مليون سنة .
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية .

هناك أنواع غاية في الوفرة من أسماك القَيْصانة تعيش في البحار في عصرنا الراهن. وحفرية سمكة القَيْصانة التي تبدو في الصورة توضح أنّ هذه الأسماك لم تمر بأي مرحلة تطور. ولم يطرأ أي شكل من أشكال التغيّر في علم وظائف الأعضاء التشريحية لسمكة القَيْصانة هذه على مدار ملايين السنين التي مرت عليها. والبنية والشكل اللذان كانا لهذه الأسماك قبل 55 مليون سنة، هما ذاتهما البنية والشكل اللذان لهذه الأسماك في عصرنا الحاضر.











سمكة الجُلَكي

العصر : زمن البليوزوي ، العصر البرمي .

العمر : 300 مليون سنة تقريبا.

الموقع : مازون كريك، برادوود، إلينوي، الولايات المتحدة الأمريكية .

تُعد منطقة برادوود منطقة غنية إلى حد ما من حيث التنوع الحفري. وتُصادف الحفريات غالباً في رواسب الفحم الموجودة بالمنطقة. وسمكة الجلكي التي تبدو في الصورة هي نوع من الأسماك اللافكية. ورغم أنها تعيش عموما في المياه الضحلة، فإن من بين أنواعها ما يقوم برحلات طويلة في المحيطات.

و تُعد هذه الحفرية أحد الأدلة المؤكدة على أن أسماك الجلكي لم تتغير منذ 300 مليون سنة. أي أنها لم تمر بعملية تطور، وظلت دوماً على مدى ملايين السنين محتفظة بنفس الهوية التي كانت عليها. وما من فرق قط بين أسماك الجلكي التي تعيش في عصرنا وبين مثيلاتها التي عاشت قبل مئات الملايين من السنين.









سمكة قشر البياض

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .

العمر : 50 مليون سنة.

الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

يزعم التطوريون أن الأسماك كانت قد نجمت وانحدرت عن أحياء بحرية لافقارية، وأن البرمائيات وأسماك عصرنا الراهن انحدرت من سمكة جد مفترضة، وأن الزواحف نتجت وتطورت عن البرمائيات، وأن الطيور والثدييات نتجت متسلسلة عن الزواحف، وانحدر البشر وقردة عصرنا الحالي في نهاية الأمر من جد مشترك. ولكن من أجل أن يتسنى لهم إثبات هذه المزاعم بشكل علمي، عليهم أن يكشفوا عن حفريات لأحياء متطورة وناتجة عن بعضها البعض تظهر أن هناك تحولا بين هذه الأنواع. إلا أنه ــ على نحو تقدم تبيانه ــ ما من أثر لهذه الكائنات الخرافية.

ومن جهة أخرى فإن هناك مئات الملايين من الحفريات التي تثبت أن وتيرة التطور الخيالية التي يزعمها الدارونيون لم تحدث قط. ولقد أكدت هذه الحفريات بشكل قاطع أن الأسماك والطيور والزواحف والثدييات والبشر، إنما وُجدوا دوماً ولا يزالون على نفس الكيفية والهوية التي وُجدوا عليها، لم يتطوروا ولم يتحولوا. وتؤكد حفرية سمكة البياض التي تظهر في الصورة ويبلغ عمرها 50 مليون سنة أن الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور، وإنما هي قد خُلقت.











ذيل سمكة قشر البياض

العصر : زمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 15 مليون سنة.
الموقع : تكوين ستيوارد سبرينجس (Stewart Springs)،نيفادا، الولايات المتحدة الأمريكية.

يحدث أن نصادف كذلك في سجلات الحفريات أجزاء معينة من أجسام الكائنات الحية. ويبدو في الصورة ذيل لسمكة قشر بياض يبلغ عمره 15 مليون سنة. ومثلما يبدو فإنه لا فرق قط بين أذيال أسماك قشر البياض التي عاشت قبل 15 مليون سنة، وبين أذيال مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الراهن.

ورقة شجر الحُوْر

العصر : زمن السينوزوي ، العصر الميوسيني .
العمر : 15 مليون سنة .
الموقع : تكوين ستيوارد سبرينجس، نيفادا، الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد تابعت أشجار الحور، التي تدخل ضمن عائلة الساليكاكيا (Salicaceae)، على وجودها دون أن يعتريها أي تغير قط. وليس ثمة اختلاف قط بين سمات هذه الأشجار العضوية والبنيوية لحظة وجودها لأول مرة، وبين سماتها العضوية البنيوية في وقتنا الراهن. وحفرية ورقة شجر الحور هذه والتي ترجع إلى 15 مليون سنة، تثبت هذه الحقيقة.





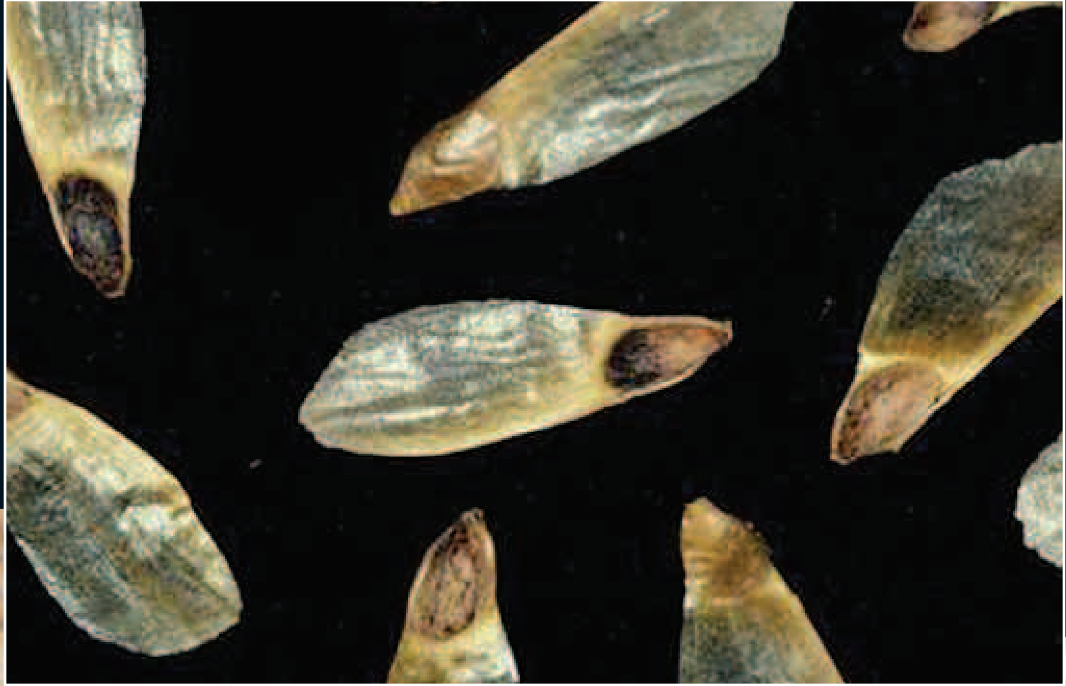


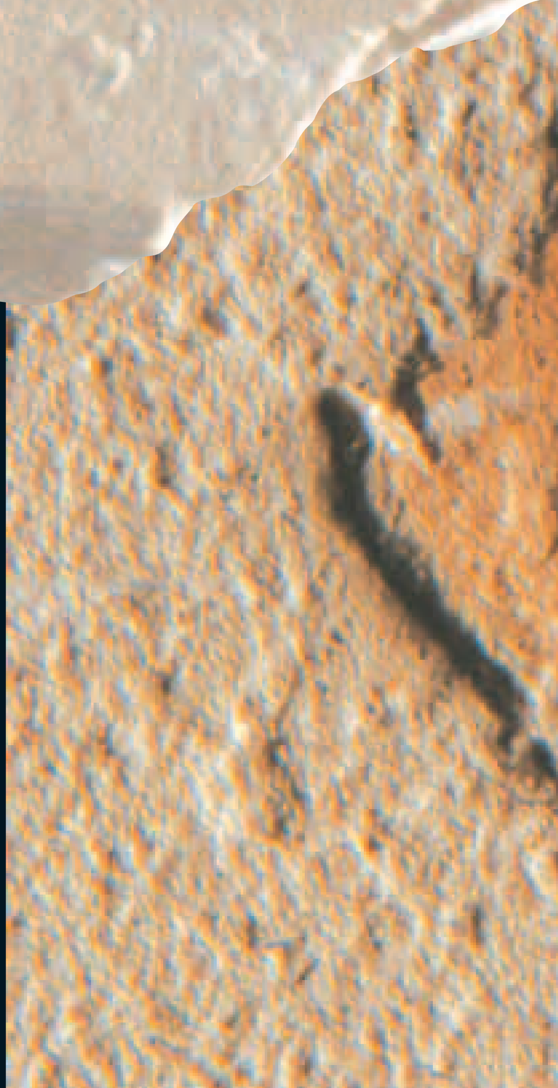


شَبَثة (أبو شبث)

العصر: زمن السينوزوي، العصر الأيوسيني
العمر: 48- 37 مليون سنة
الموقع: الولايات المتحدة الأمريكية

إن الثبات في تركيبة حشرة الشبثة (أبو شبث) والذي يلاحظ كذلك في جميع الكائنات الحية الأخرى يثبت بطلان مزاعم التطوريين. ونظرية التطور ظهرت خلال القرن التاسع عشر في ظروف متخلفة، وبسبب الجهل الذي كان سائدا لقيت النظرية قبولا، بيد أنه تم دحضها بواسطة الحقائق العلمية في القرنين العشرين والواحد والعشرين.





بذرة شجر الآرز

العصر : زمن السينوزوي، العصر الميوسيني .

العمر : 15 مليون سنة.

الموقع : تكوين ستيوارد سبرينجس، نيفادا ، الولايات المتحدة الأمريكية.

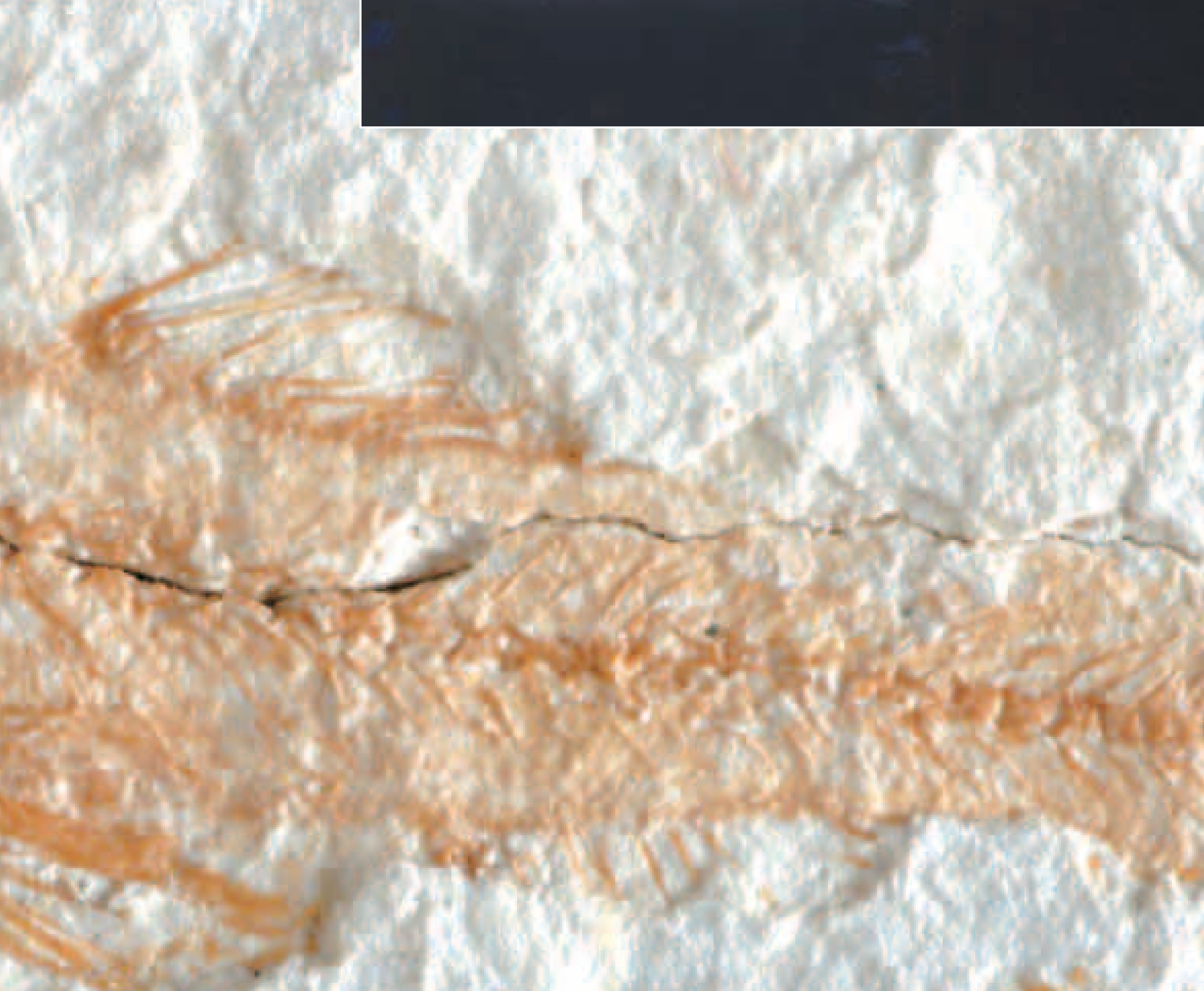
الآرز اسم عام يُطلق على نحو 35 نوعاً من الأشجار دائمة الخضرة على مدار الفصول الأربعة، وتدخل ضمن الفصيلة الصنوبرية.وتشير سجلات الحفريات إلى أن أشجار الآرز تحتفظ بنفس هويتها منذ ملايين السنين، ولم تمر بأي عملية تطور. وترجع بذرة شجر الآرز التي تبدو في الصورة إلى ما قبل 15 مليون سنة. ومثلما تثبت هذه الحفرية، فقد ظلت أشجار الآرز دوماً أشجار آرز طيلة ملايين السنين التي تعاقبت عليها، وأنها لم تمر بأي مرحلة فرعية. وليس ثمة اختلاف قط بين أشجار الآرز التي تنمو في عصرنا الحالي، وبين مثيلاتها التي نمت قبل 15 مليون سنة.

السمكة المضيئة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 23 ـــ 5 مليون سنة .
الموقع : تكوين بيونت (Puente) ، كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

الأسماك المضيئة أسماك تعيش في أعماق المحيطات المختلفة، وهي مزودة بأعضاء في بدنها تنتج الضوء. وغالباً ما تقع الأنظمة التي تختص بإنتاج الضوء في منطقة البطن. ولأنها تعيش في المياه العميقة والمظلمة، فهي تستخدم أضواءها في كشف ما حولها، وتهديد أعدائها على السواء. ويعد امتلاك الأسماك المذكورة لبنية معقدة إلى أقصى درجات التعقيد، ومتطورة إلى أبعد مراحل التطور بما يمكِّنها من إنتاج الضوء في جسمها منذ ملايين السنين، وضعاً ليس في الإمكان تفسيره من وجهة نظر التطوريين.







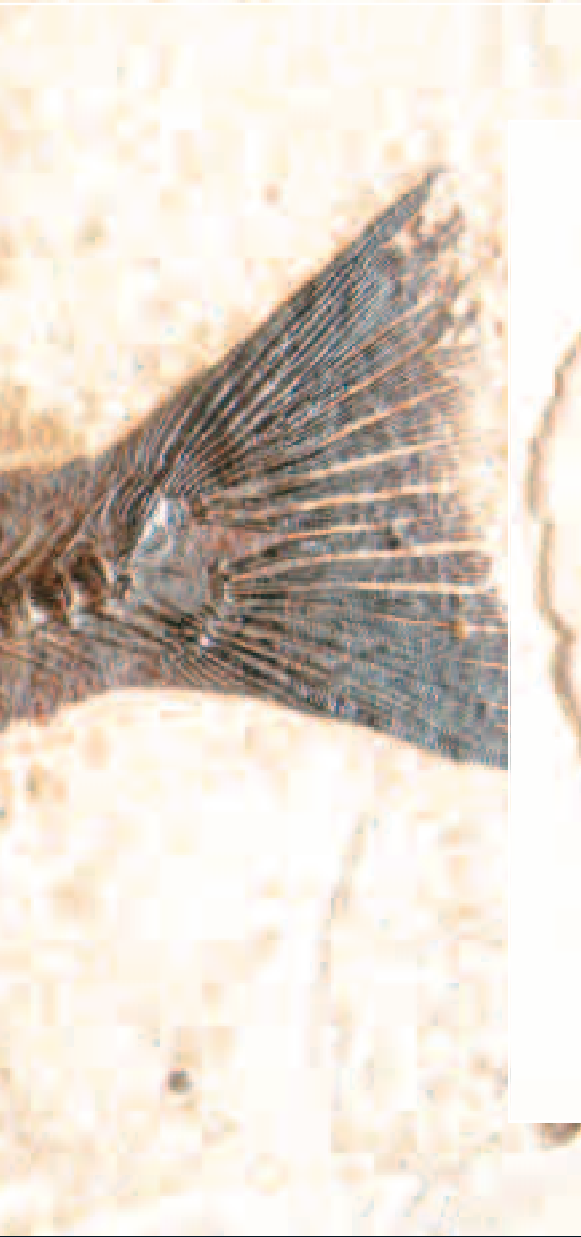


ورقة شجر التَّنُّوج

العصر : زمن السينوزوي، العصر الميوسيني .
العمر : 15 مليون سنة .
الموقع : تكوين ستيوارد سبرينجس، نيفادا، الولايات المتحدة الأمريكية.

يبلغ عمر حفرية ورقة شجر التنوج التي تبدو في الصورة 15 مليون سنة. وتماثل أوراق شجر التنوج التي في عصرنا الراهن أوراق شجر التنوج الذي كان موجوداً قبل 15 مليون سنة. وإن عدم حدوث أي تغير في أوراق هذا النوع من الشجر رغم مرور ملايين السنين عليها، ليقيم الدليل مجدداً على أنها لم تشهد تطوراً في أي وقت قط.







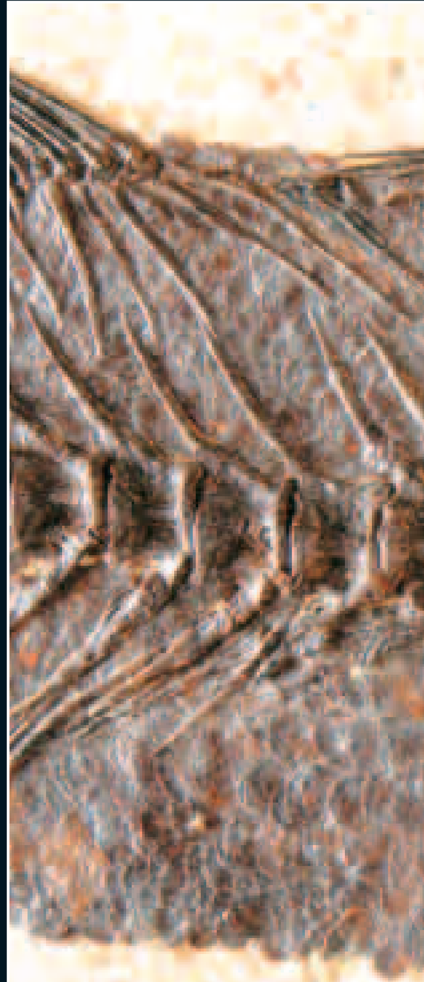


سمكة الفَرْخ

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ـــ 37 مليون سنة .
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

طبقاً لمزاعم التطوريين فإن أجداد الأسماك الفقارية الأولى، هي الكائنات الحية اللافقارية. ولكن كيف يتسنى لهذه الكائنات ذات القشور الصلبة من الخارج، والتي ليس لها عظام ولا عمود فقري أن تتطور إلى كائنات فقارية ذات حبل شوكي ؟! . إنه سؤال أعجز التطوريين الإجابة عنه والتدليل عليه. إذ يُفترض أن تكون هذه الكائنات الحية قد مرت بتغيرات عظيمة حتى يبدأ الهيكل العظمي يتشكل بداخلها، فيما تكون قشورها الصلبة التي تكسوها آخذة في الضمور والانمحاء. ومن أجل حدوث تحول كهذا يتعين أن يكون هناك الكثير من أشكال التحول البيني بين الأنواع. إلا أنه لا توجد حفرية واحدة تسنى للتطوريين الكشف عنها كنموذج بيني أو تحولي بين الكائنات الحية اللافقارية وبين الكائنات الحية الفقارية.

أما ما يثبت أن الأسماك كانت دوما ولا تزال أسماكا، فهناك ملايين من الحفريات. وتعد حفرية سمكة الفرخ البالغ عمرها 54 ـــ 37 مليون سنة، أيضا أحد شواهد الإثبات هذه.





سمكة الرنجة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 55 مليون سنة .
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

سمكة الرنجة نوع من الأسماك يعيش في المياه الضحلة والدافئة، ويُصادف أكثر ما يُصادف في شمال الأطلنطي وبحر البلطيق. والسمات العامة لأسماك الرنجة التي يبلغ عدد أنواعها نحو 200 نوع، تكاد تكون واحدة؛ فكلها تقريباً فضية اللون، يعلو ظهرها زعنفة واحدة. وحفرية سمكة الرنجة التي في الصورة يبلغ طولها 20 سم. وكانت قد استُخرجت من عمق 2200 متر في تكوين جرين ريفر. وتؤكد حفرية سمكة الرنجة المذكورة ــ مثل كافة السجلات الحفرية الأخرى ــ أن الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور. وإن التطوريين ليقفون عاجزين لا حيلة لهم إزاء سجلات الحفريات، وكل حفرية جديدة يُعثر عليها تزيدهم عجزاً على عجزهم.







ورقة شجر الصفصاف

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .

العمر : 54 ــ 37 مليون سنة.

الموقع : تكوين جرين ريفر، يوتاه، الولايات المتحدة الأمريكية .

تشير الحفريات إلى أن النباتات ــ مثلها مثل الأحياء الأخرى ــ ظلت منذ ملايين السنين دون أن تتغير. وكافة ما تحتويه النباتات اليوم من الأنظمة والأجهزة، كانت تحتويه بحذافيره أيضا قبل ملايين السنين. وتدحض آلاف النماذج من الحفريات النباتية التي جُمعت من شتى أنحاء العالم، وبشكل قاطع نظرية التطور. وتعد حفرية ورقة شجر الصفصاف التي توجد في الصورة، هي الأخرى دليلاً على أن أشجار الصفصاف قد تابعت وجودها دونما تغير. وتقطع الحفرية المذكورة بأن النباتات لم تمر بعملية تطور، وإنما هي قد خُلقت.





وَرَق الحَوْر

العصر: زمن السينوزوي، العصر الأيوسيني
العمر: 54- 37 مليون سنة
الموقع: الولايات المتحدة الأمريكية

هذا المتحجّر يثبت أن شجرة الحور قد ظلت دائما على ما كانت عليه منذ نحو 50 مليون عام. فالحور الذي لم يتغير منذ 50 مليون سنة يثبت أن نظرية التطور ليست سوى خدعة لا غير. والتطور لم يحدث في أي زمن من الأزمنة، والكون وما يحتويه من كائنات حية هو من خلق الله سبحانه وتعالى.





ورقة شجر البلوط

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .
العمر : 45 مليون سنة .
الموقع : تكوين وايت ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

تكشف سجلات الحفريات عن أن النباتات لم تمر بالتطور في أي زمن قط، وأنه ليس لها أي حدّ خيالي. فلقد وُجدت الأسماك دوما ولا تزال أسماكا، والشأن كذلك بالنسبة إلى الطيور والعناكب وأشجار التنوج والآرز والبلوط، كلها وُجدت ولا تزال على ذات الشكل الذي وجدت عليه، لم تتطور ولم تتحول. وتؤيد حفرية ورقة شجر البلوط التي تظهر في الصورة ويبلغ عمرها 45 مليون سنة هذه الحقيقة وتؤكدها.





النّحلة المتوحّشة

العصر: زمن السينوزوي، العصر الأيوسيني

العمر: 54– 37 مليون سنة

الموقع: الولايات المتحدة الأمريكية

العمر: 54–37 مليون سنة

الموقع: الولايات المتحدة الأمريكية

لا يوجد أدنى فرق بين النحل المتوحش الذي عاش قبل 50 مليون سنة من الآن وبين مثيله الذي يعيش في عصرنا الحالي، فإذا لم يطرأ أدنى تغيير على الكائن الحي بالرغم من مرور ملايين السنين فإنه من غير الممكن الحديث عن موضوع التطور. وسجلات المتحجرات تثبت بشكل صارخ أنه لا وجود لتطور في أي وقت من الأوقات.





ورقة شجر الكَرْم

العصر: زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 38 ــ 23 مليون سنة .
الموقع : تكوين مودي كريك(Muddy Creek)، مونتانا(Montana)، الولايات المتحدة الأمريكية.

تعد حفرية ورقة الكَرْم التي يبلغ عمرها 38 ــ 23 مليون سنة ــ مثلها مثل الكائنات الحية الأخرى ــ أحد الأدلة التي تثبت أن النباتات هي الأخرى لم تمر بتطور، إنما كانت قد خُلقت. وليس ثمة فرق قط بين أوراق شجر الكرم التي في عصرنا الحالي، وبين مثيلاتها التي نمت قبل ملايين السنين.





الرنغة

السمكة الشمسية



سمكة الرنجة، وسمكة القَيْصانة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة.
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

تُعد أسماك الرنجة وأسماك القَيْصانة (أسماك الشمس) من أكثر الأنواع التي نصادفها في سجلات الحفريات. وكل حفرية تُستخرج تبين بالعِيان مجدداً أن الكائنات الحية لم يجر عليها تطور. وهذه الحفرية التي يبلغ عمرها 54 ــ 37 مليون سنة، لهي أيضا تؤكد أنه ما من أدنى تفاوت بين أسماك الرنجة وأسماك القَيْصانة التي في عصرنا الحالي من جهة، وبين نظيراتها التي كانت تعيش في الماضي.



الرنغة





ورقة شجر السُّماق

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .

العمر : 54ــ 37 مليون سنة .

الموقع : تكوين جرين ريفر، كلورادو، الولايات المتحدة الأمريكية.

ليس ثمة اختلاف بنيوي قط بين حفرية نبات السماق هذه التي يبلغ عمرها 54 ــ 37 مليون سنة، وبين نباتات السماق التي في عصرنا الراهن. فهذه النباتات لم ينلها تغير طيلة ملايين السنين، ولم تمر بعملية تطور.







جمجمة دُب

العصر: زمن السينوزوي، العصر البليستوسيني.

العمر : 50 ألف سنة.

الموقع : ميتشيجان (Michigan)، الولايات المتحدة الأمريكية.

يزعم التطوريون أن الكلب والدب قد نحما وتطورا عن جد مشترك محتجين في ذلك بوجود بعض أوجه الشبه بين كلا هذين النوعين. أما سجلات الحفريات فتبرهن على أن هذا الزعم لا نصيب له من الصحة. فحتى يومنا هذا لم يُعثر على حفرية واحدة نصفها كلب ونصفها الآخر دب، في حين عُثر على مئات الحفريات التي تبين أن الدببة وُجدت دوما ولا تزال دببة، وأن الكلاب هي الأخرى وُجدت ولا تزال كلابا. وتعد حفرية جمجمة الدب الأسود التي تبدو في الصورة، هي الأخرى من بين الأدلة على أن الدببة لم تمر بأي شكل من أشكال التطور.

سمكة الفرخ

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 45 ــ 37 مليون سنة.
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

ليس هناك أي فرق على الإطلاق بين أسماك الفرخ البالغ عمرها 54 ــ 37 مليون سنة، وبين أسماك هذا النوع التي تعيش في وقتنا الحاضر. وتنهض أسماك الفرخ دليلاً على أن الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور، وإنما هي خُلقت.




سمكة القيصانة



سمكة القَيْصانة

العصر : زمن السينوزوي ، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ـــ 37 مليون سنة.
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومنج، الولايات المتحدة الأمريكية.

منذ قرن ونصف من الزمان والدارونيون يفتشون في شتى أنحاء العالم عن حفرية واحدة يتسنى لهم اتخاذها دليلاً على تطور الأسماك المفترض. بيد أن كل حفرية يُعثر عليها، تؤكد أن الأسماك لم تمر بأي شكل من أشكال التطور، وإنما هي خُلقت. ولم يتأت للتطوريين أن يجدوا حفريات لكائنات حية تبرز المراحل البينية أو الفرعية المفترض أن تكون قد مرت بها الأسماك. بل على النقيض من ذلك، وُجدت مئات الآلاف من الحفريات التي تؤكد أن الأسماك على مدار التاريخ وُجدت دوما ولا تزال كأسماك. ومن بين هذه الحفريات أيضا حفرية سمكة القَيْصانة التي يبلغ عمرها 54 ـــ 37 مليون سنة. ويقف التطوريون عاجزين، لا حجة لهم إزاء هذه الحفريات التي تُعد كل واحدة منها دليلا على الخَلْق.



ورقة شجر جوز أمريكا الشمالية

العصر : زمن السينوزوي، العصر البليوسيني.
العمر : 65 ــ 54 مليون سنة .
الموقع : داكوتا الشمالية ، الولايات المتحدة الأمريكية.

تعد ورقة شجر جوز أمريكا الشمالية التي تظهر في الصورة ويبلغ عمرها 65 ــ 54 مليون سنة، دليلاً من بين الأدلة على أن هذه النباتات لم تتطور عن نبات آخر، وأنها لم تمر بعملية تطور، فالأنواع التي عاشت قبل ملايين السنين هي نفسها الموجودة في عصرنا الراهن.









سمكة الرنجة

العصر: زمن السينوزوي ، العصر الإيوسيني .
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة .
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

ما من تباين قط بين أسماك الرنجة التي عاشت قبل 54 ــ 37 مليون سنة، وبين نظيراتها التي تعيش في عصرنا الحالي، ويبطل هذا الوضع كافة ادعاءات التطوريين، ويؤكد من جديد على حقيقة خلق الله للكائنات الحية.



ورقة شجر التين

العصر : زمن السينوزوي، العصر البليوسيني.
العمر : 65 ـــ 54 مليون سنة.
الموقع : داكوتا الشمالية، الولايات المتحدة الأمريكية.

التين نوع نباتي ينتمي إلى الفصيلة التوتية التي لها ما يزيد عن 800 نوع. ومنذ ملايين السنين لم يحدث أي تغير في أوراق أشجار التين ولا في ثمارها أيضا . ويعد هذا الوضع دليلا هام على أن أشجار التين لم تمر بتطور. ومن بين هذه الأدلة التي توضح بالعِيان هذه الحقيقة، حفرية ورقة التين التي تظهر في الصورة والتي يبلغ عمرها 65 ـــ 54 مليون سنة.





أسماك الرنجة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ـــ 37 مليون سنة.
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن نظرية التطور(النشوء والارتقاء) ما هي إلا قصة خيالية كُذِّبت بشكل قاطع، ليس بما دُون بشأن التاريخ الطبيعي للأنواع فحسب، وإنما أيضا بما تحقق في هذا المجال من اكتشافات علمية. وتعد الحفريات أحد أهم هذه الاكتشافات التي فنّدت هذه النظرية. وتثبت أسماك الرنجة التي لم يعترها أدنى تغير والتي ظلت على ما هي عليه منذ ملايين أن تلك النظرية ما هي إلا خدعة.







حشرة من غمديات الجناح (خنفساء أبو العيد)

العصر : زمن السينوزوي، العصر البليستوسيني.
العمر : 1.8 مليون ــ 11 ألف سنة .
الموقع : كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية .

إن هذه الحشرة التي لا تختلف قط عن نظيراتها التي تعيش في عصرنا الراهن، لهي من الأدلة على أن كافة الكائنات الحية التي على وجه الأرض إنما خلقها الله سبحانه وتعالى.





ورقة شجر القَسْطَل البري (أبو فروة)

العصر : زمن السينوزوي، العصر البليوسيني .
العمر : 65 ــ 54 مليون سنة.
الموقع : داكوتا الشمالية، الولايات المتحدة الأمريكية.

ليس هناك ثمة تباين قط بين ورقة شجر القسطل البري التي كانت تنمو قبل 65 ــ 54 مليون سنة، وبين ورقة شجر القسطل البري التي تنمو في عصرنا الحاضر. وإن عدم التباين هذا ليس سوى دليل من الأدلة التي تؤكد أن النباتات لم تمر بعملية تطور.





عشب السَّرخَس

العصر : زمن الباليوزوي، العصر الكربوني.
العمر : 360 ــ 286 مليون سنة .
الموقع : بنسيلفانيا (Pensilvanya)، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن كافة السمات التي تتسم بها أعشاب السرخس في عصرنا الحالي، كانت تختص بها أيضا مثيلاتها التي عاشت قبل مئات الملايين من السنين. وتكشف سجلات الحفريات عن هذه الحقيقة وتظهرها بجلاء. فأعشاب السرخس التي في عصرنا الحالي تتطابق تماماً مع عشب السرخس الذي يظهر في الصورة ويبلغ عمره 360 ــ 286 مليون سنة.







سمكة الرنجة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة.
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن بين الملايين من نماذج الحفريات التي تم اكتشافها حتى يومنا هذا لم تُصادف حفرية لنوع حي وسطي مثل سمكة نصفها رنجة ونصفها الآخر فرخ، أو سمكة نصفها قِرش ونصفها الآخر قشر بياض، وتثبت الحفريات أن أسماك الرنجة كانت قد وُجدت دوما ولا زالت أسماك رنجة، وبالمثل وُجدت أسماك الفرخ والقرش دوماً ولا زالت على نفس ما وُجدت. وتعد حفرية سمكة الرنجة التي هي نفسها منذ 54 ــ 37 مليون سنة، من الأدلة على هذا الوضع.







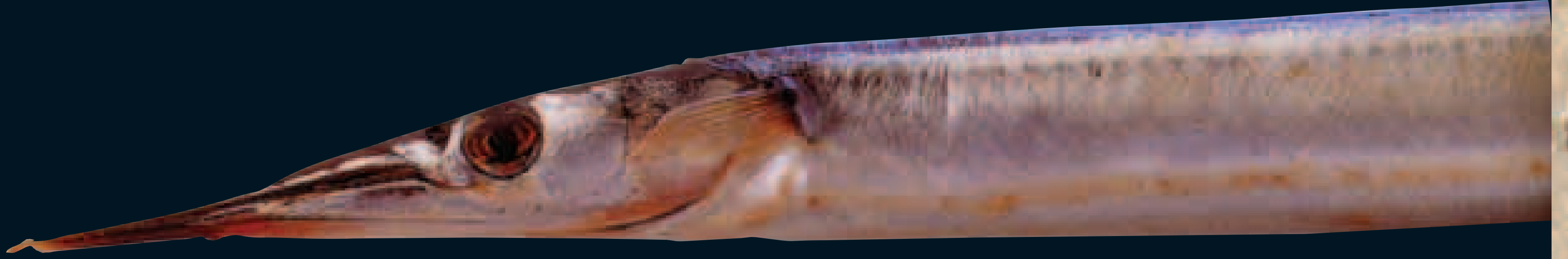
سمكة الرنجة

العصر : زمن السينوزوي ، العصر الإيوسيني .
العمر : 54 ـــ 37 مليون سنة .
الموقع : تكوين جرين ريفر ، يومينج ، الولايات المتحدة الأمريكية.

تبين معطيات علم الحفريات في عصرنا الراهن أن سجلات الحفريات ثرية ثراء غير عادي. وليست هناك ـــ في إطار هذا الثراء ـــ حفرية واحدة يمكن للتطوريين أن يستخدموها كدليل. فسجلات الحفريات برمتها تؤكد حقيقة الخَلْق وتكذِّب التطور. وسمكة الرنجة التي تبدو في الصورة هي أيضا من بين الأدلة التي توضح بجلاء بطلان نظرية التطور.







سمكة إبرة البحر

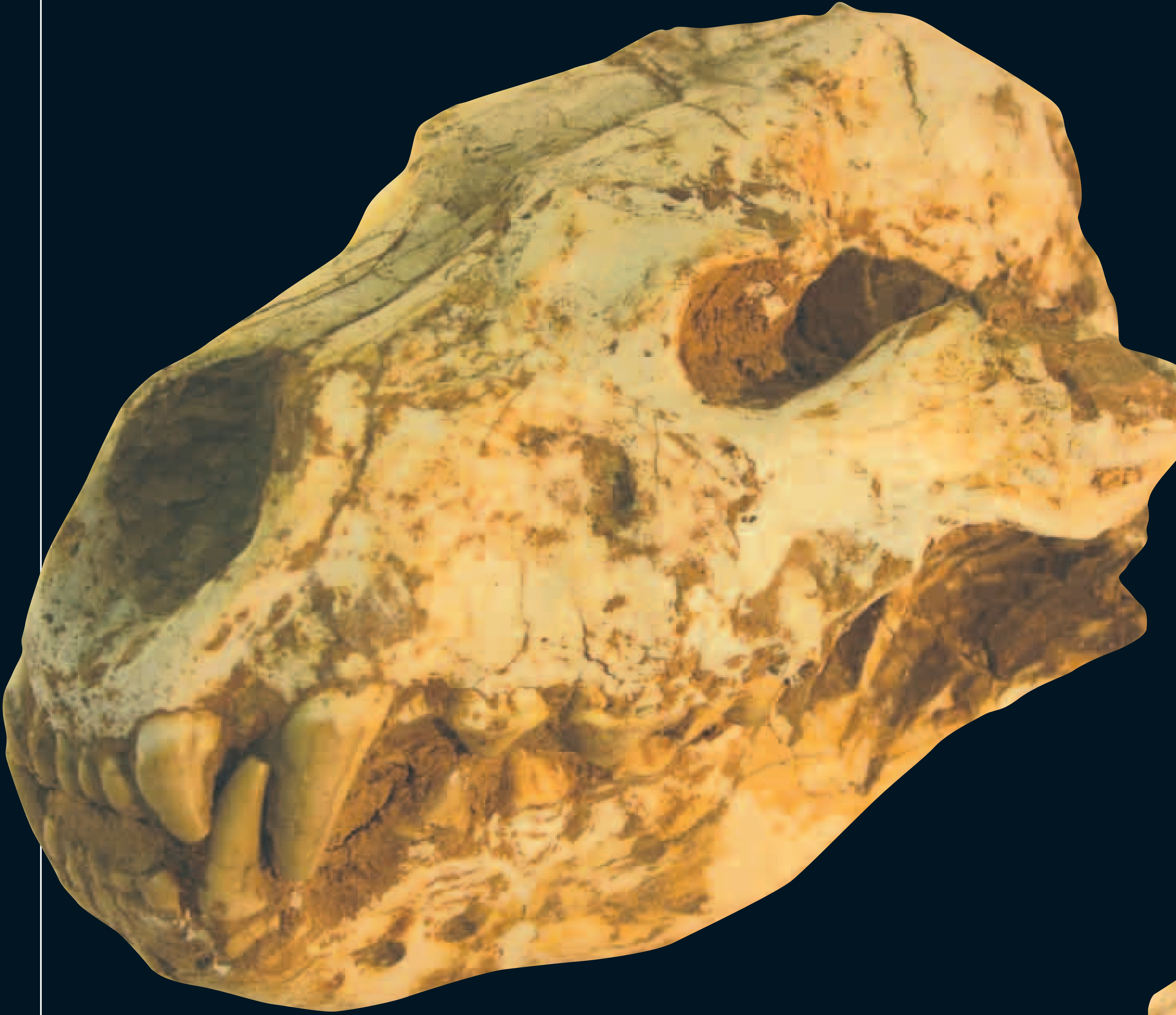
العصر : زمن السينوزوي، العصر الميوسيني.

العمر : 23 ـــ 5 مليون سنة.

الموقع : كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية.

سمكة إبرة البحر نوع من الأسماك صغيرة الحجم تدخل هي وأسماك فرس البحر ضمن نفس الفصيلة الفرعية للسينجثويداي (Syngathoidei). ولا تختلف أسماك إبرة البحر التي تعيش في عصرنا الراهن عن مثيلاتها البالغ عمرها 23 ـــ 5 مليون سنة. وإن هذا الوضع ليكذِّب الداروينيين الذين يزعمون أن الكائنات الحية تطورت عن بعضها البعض عبر مراحل متدرجة.



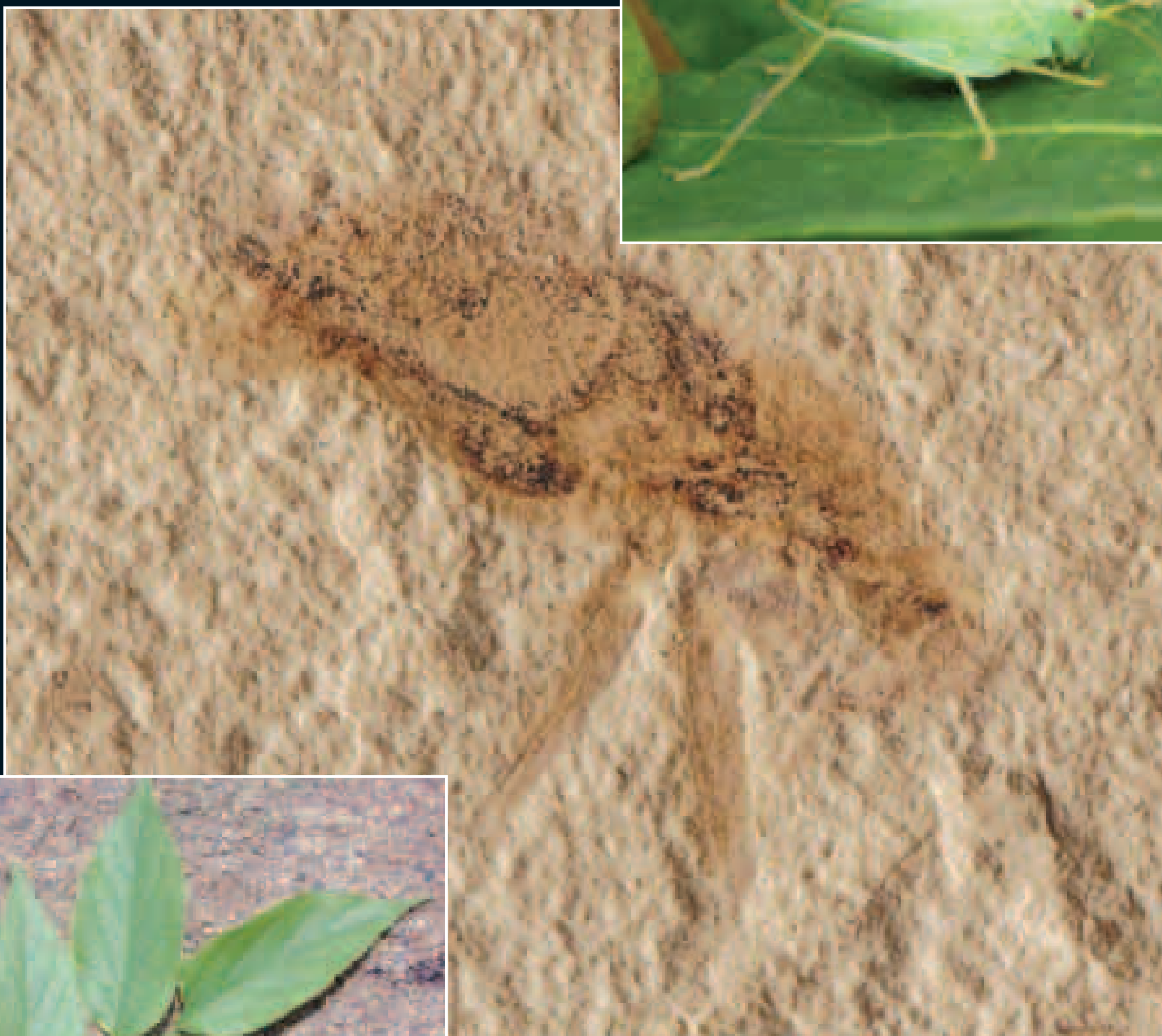


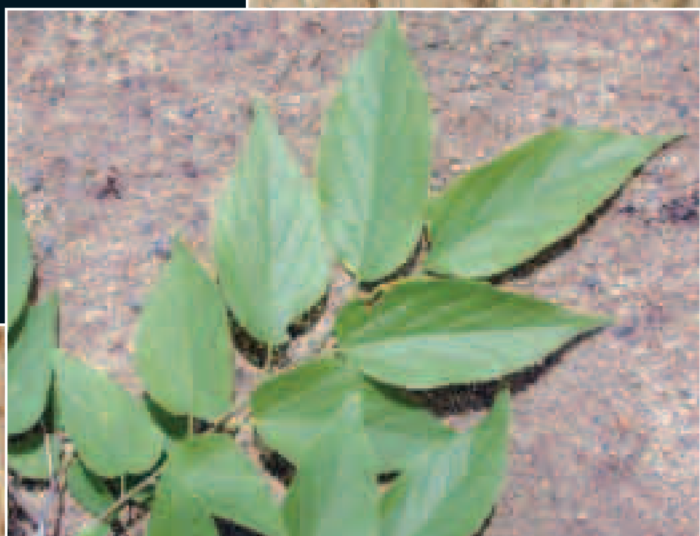
جمجمة النمر

العصر: الزمن السينوزوي، العصر الكريتاسي
العمر: 89 مليون سنة
الموقع: الصين

من خلال سجلات الحفريات لجميع الكائنات الحية يتضح أن جميع هذه الكائنات إنما خُلقت على صورتها الكاملة، فكل واحد من هذه الكائنات مكتمل من حيث جميع خصائصه. ولا توجد أية مرحلة انتقالية بينية، ولايوجد أي عضو ناقص النمو. وليس هناك أي نقص سواء في جمجمة الرأس أو العمود الفقري أو اليد والسيقان. ولا يوجد أي دليل يثبت أن النمر انتقل عن كائن حيّ آخر أو أنه هو نفسه انتقل إلى كائن آخر، بل توجد نماذج لسجلات حفرية لا تحصى تثبت أن النمر ظل نمرا منذ أن وجد. ومن بين هذه النماذج رسم جمجمة النمر التي يبلغ عمرها 89 مليون سنة.









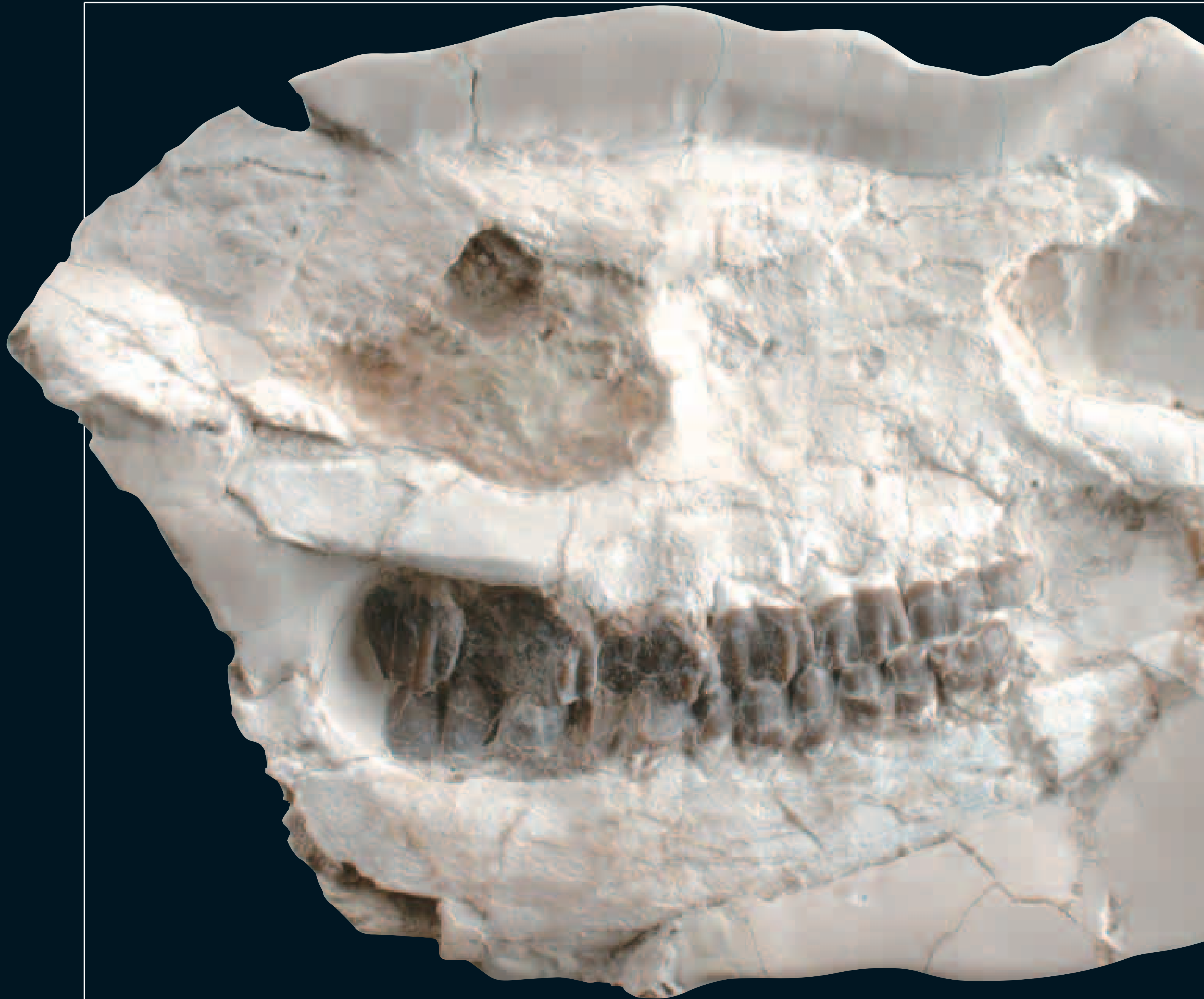
ورق ثمر الميس، حشرة المِحْجَلة

العصر: الزمن السينوزوي، العصر الإيوسيني

العمر: 54-37 مليون سنة

الموقع: الولايات المتحدة الأمريكية

يلاحظ في هذه الصورة حشرة محلج وقد تحجرت مع ورقة çitlembik . وهذا المتحجر يبين لنا بوضوح أن حشرات المحلج وكذلك وورق çitlembik التي عاشت قبل 50 مليون سنة لا تختف ادنى اختلاف عن مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الحالي، وهو أمر لجَم التطوريين ودفعهم إلى التزام الصمت. وإزاء هذه الحقائق العلمية لم يجد التطوريون ما يردون به. فالحقيقة التي كشف عنها العلم هي أن التطور كذبة كبيرة وأن الخلق حقيقة كبرى.



جمجمة الكَرْكَدَن (الخرتيت)

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 33 مليون سنة.
الموقع : كونفرس كونتي (Converse County)، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

تثبت الحفرية التي تبدو في الصورة أنه ليس ثمة فارق قط بين حيوانات الكركدن التي عاشت قبل 33 مليون سنة، وبين مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الحاضر. وتؤكد الكائنات الحية التي لم يمس التغير بنياتها منذ ملايين السنين، أن نظرية التطور ما هي إلا خدعة كبرى.







أرنب

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 33 مليون سنة.

الموقع : كونفرس كونتي، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

ما من نموذج واحد في سجلات الحفريات يشير إلى أن الكائنات الحية نتجت وتطورت عن أنواع أخرى، وأنها تشكلت عبر مراحل متدرجة. فعلى سبيل المثال لم يظهر بين ملايين الحفريات نموذج واحد لكائن حي يحمل سمات نصف تمساح ونصف أرنب، أو نصف ثعبان وآخر أرنب. هذا في حين أن هناك آلاف الحفريات التي تؤكد أن الأرانب كانت قد وُجدت وما تزال أرانب. والحقيقة التي تكشفها الحفريات واضحة؛ ألا وهي أن الكائنات الحية لم تمر بتطور، وإنما خلقها الله عز وجل.

سمكة القَيْصانة، وسمكة الرنجة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.

العمر : 54 ــ 37 مليون سنة.

الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الحفريات الحية ــ التي تثبت عدم حدوث أي تغير قط في بنيات الكائنات الحية منذ ملايين ــ لتوَجِّه ضربة قاسمة لنظرية تطور الأنواع. وكما هو معروف، تزعم هذه النظرية أن الكائنات الحية التي استطاعت أن تتكيف مع ظروف البيئة المتغيرة هي وحدها فقط التي ستظل على قيد الحياة، وأن هذه الأنواع الحية سوف تتطور ــ بتأثير سلسلة من التغيرات العشوائية في هذا السياق ــ إلى أنواع حية أخرى. أما الحفريات الحية فتثبت أن تلك النظرية ما هي إلا قصة لا أساس لها من الصحة للزّعم بأن الأنواع يتعين عليها المرور بتغير وفقاً لظروف متغيرة عبر الزمان.



سمكة الرنجة


سمكة القيصانة





ورقة شجر الصَّفْصَاف

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ـــ 37 مليون سنة .
الموقع : تكوين جرين ريفر، يوتاه، الولايات المتحدة الأمريكية.

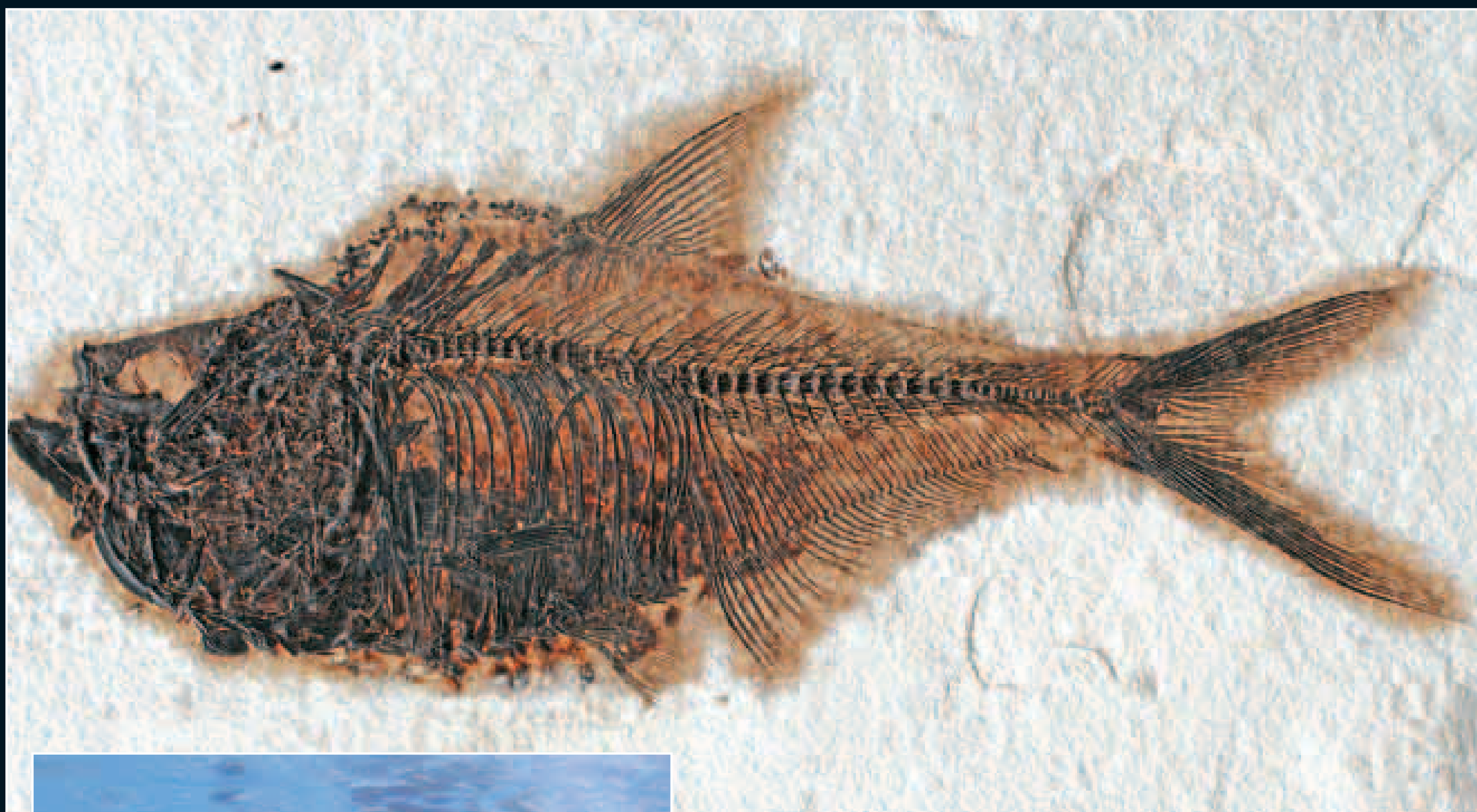
تسدد النباتات التي تابعت وجودها دون أن يعتريها أي تغير قط منذ ملايين السنين، ضربة كبرى لنظرية التطور، فحفرية ورقة شجر الصفصاف البالغ عمرها 54 ـــ 37 مليون سنة هي الأخرى لم يمسسها أي تغير رغم مرور ملايين السنين عليها، أي أنها لم تتطور. وأوراق شجر الصفصاف التي في عصرنا الراهن تماثل أوراق هذا النوع من الشجر الذي عاش قبل 54 ـــ 37 مليون سنة.



ورقة الغار

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة .
الموقع : تكوين جرين ريفر، يوتاه، الولايات المتحدة الأمريكية.

يُستخرج الزيت من أوراق وثمار شجرة الغار التي تدخل ضمن عائلة اللاوريات. فضلا عن أن أوراق هذا النبات تستعمل أيضا كتوابل. والموطن الأصلي لهذا النبات هو آسيا، وكثيراً ما نصادفه في بلادنا(تركيا) ومنطقة حوض البحر الأبيض. وحفرية ورقة الغار التي تبدو في الصورة، تعد دليلاً أن نباتات الغار مثل كافة النباتات الأخرى، لم تمر بأيّ تطور. وتختص هذه النباتات التي نمت قبل 54 ــ 37 مليون سنة ومثيلاتها التي تنمو في عصرنا الراهن بالسمات نفسها وبحذافيرها.

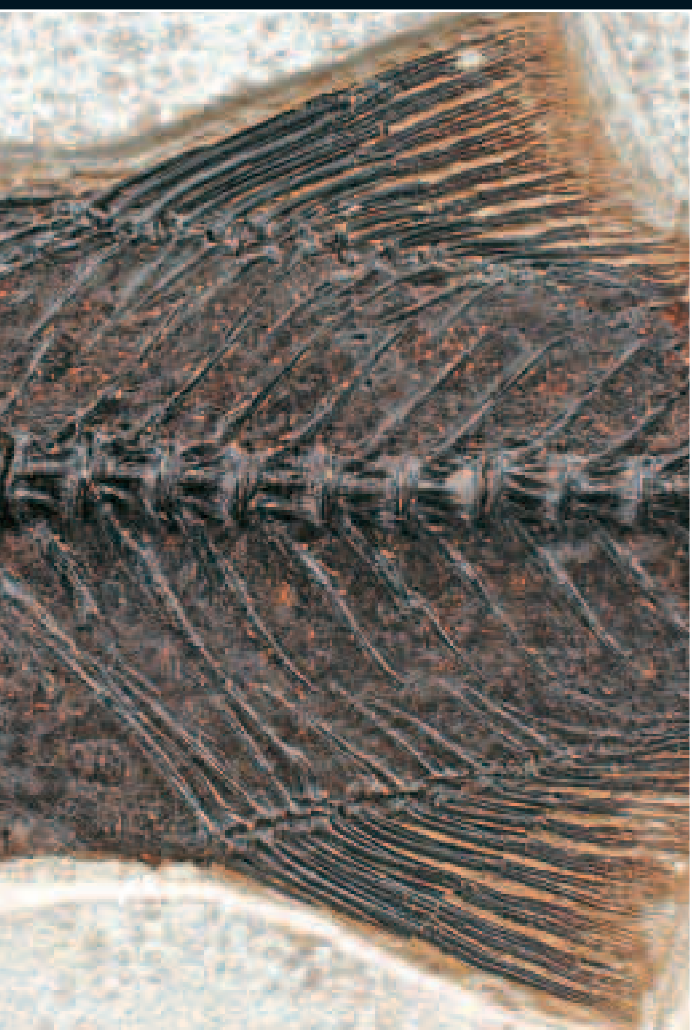




سمك الرنجة



سمكة الفرخ





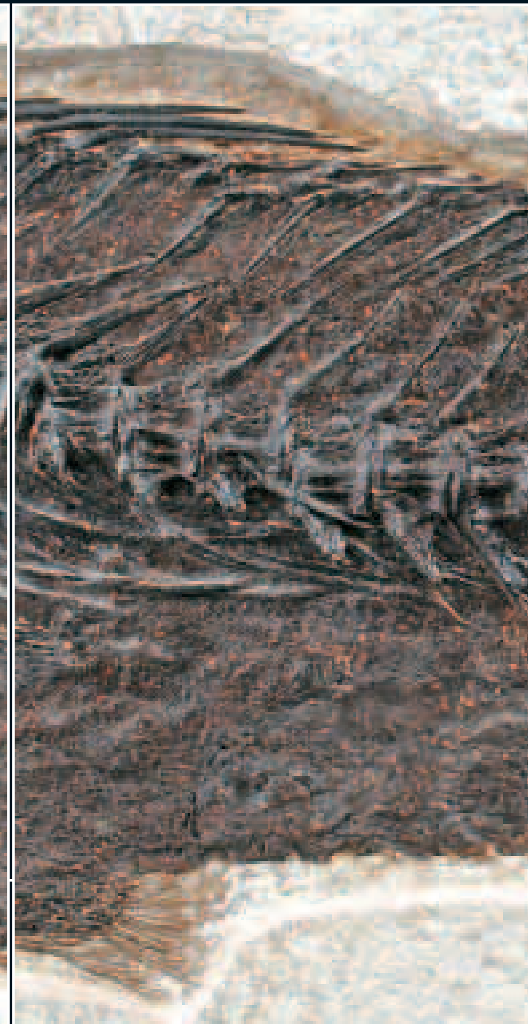


سمكة الرنجة وسمكة الفرخ

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة.
الموقع : تكوين جرين ريفر، يومينج، الولايات المتحدة الأمريكية.

تثبت هذه الحفرية التي يبلغ عمرها 54 ــ 37 مليون سنة أن أسماك الرنجة وكذلك أسماك الفرخ لم تتعرض لتغير قط منذ ملايين السنين، أي أنها لم تتطور. وليس هناك أي فارق قط بين أسماك الرنجة وأسماك الفرخ الموجودة في وقتنا الحاري، وبين مثيلاتها التي عاشت قبل ملايين السنين.









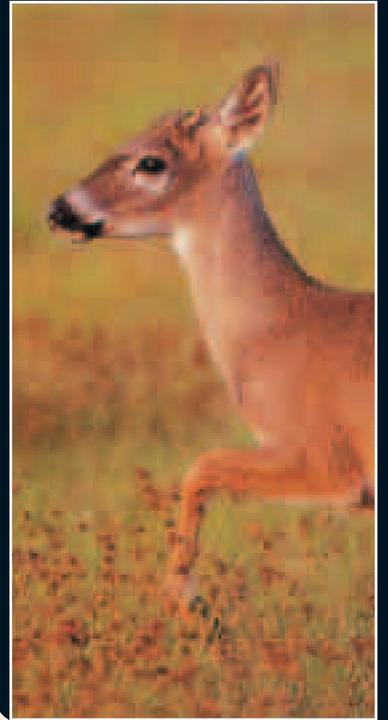
أرنب

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

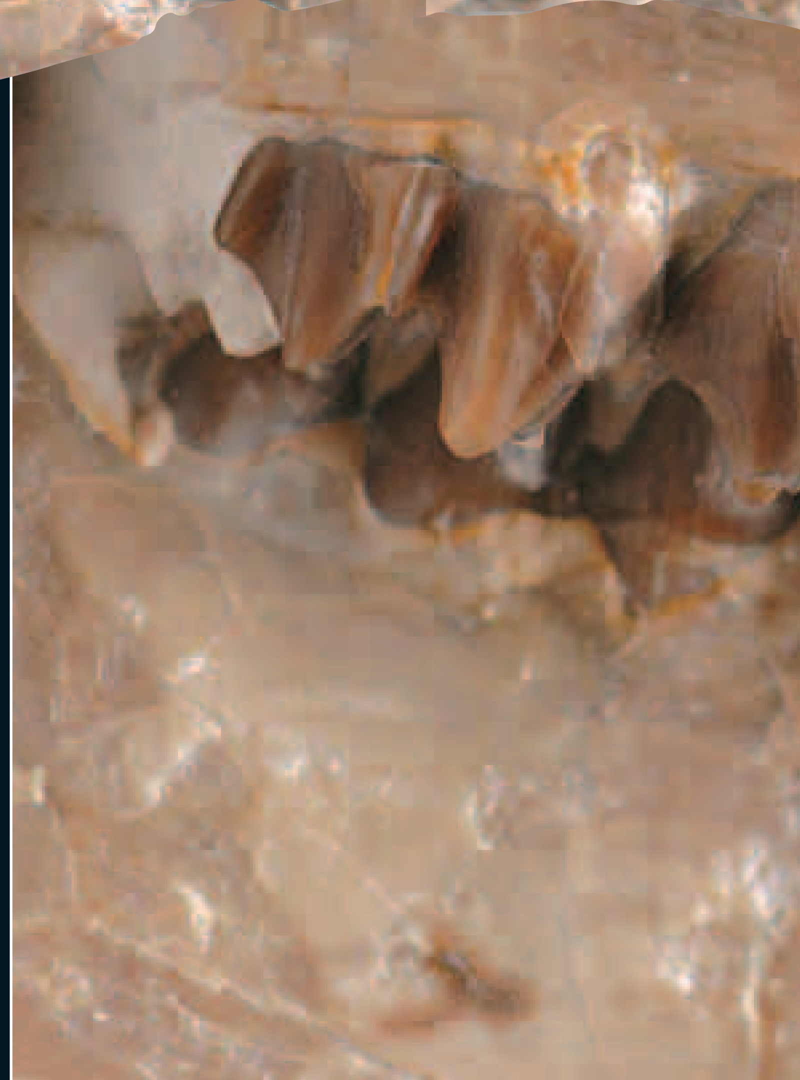
العمر : 38 ـــ 23 مليون سنة .

الموقع : تكوين وايت ريفر، يومينج ، الولايات المتحدة الأمريكية.

ليس ثمة اختلاف قط بين الأرانب التي تعيش في عصرنا الحالي، وبين هذا الأرنب البالغ عمره 38 ـــ 23 مليون سنة. والأرانب التي لم يمسسها التغير منذ ملايين السنين، تُؤكد أنها لم تتطور عن غيرها، وإنما هي خُلقت.







جمجمة ظبي

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 38 ــ 23 مليون سنة.
الموقع : نبراسكا (Nebraska)، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن انتفاء وجود أي فرق بين الظباء التي يُقدَّر عمرها بـ 38 ــ 23 مليون سنة وبين نظيراتها التي تعيش في وقتنا الراهن، ليعني أن هذه الأحياء لم يطرأ عليها أي تغير منذ ملايين السنين، أي أنها لم تمر بعملية تطور.







السلحفاة

العصر: الزمن السينوزوي، العصر الإيوسيني
العمر: 54-37 مليون سنة
الموقع: الولايات المتحدة الأمريكية

إن علم الإحاثة شأنه شأن بقية العلوم الأخرى قد وضع أمام الأعين عددا لا يحصى من الأدلة تثبت أن تخريفات داروين لا علاقة لها بالعلم. ومن بين هذه الأدلة متحجرة السلحفاة التي يبلغ عمرها ما بين 54 و37 مليون سنة. وهذا المتحجر الذي لم يتغير منذ ملايين السنين يك1ب مزاعم التطوريين.





أبو صدفتين

العصر : زمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 13 ــ 5, 12 مليون سنة .
الموقع : تكوين كالفرت (Kalvert) ، مريلاند، الولايات المتحدة الأمريكية.

أبو صدفتين نوع من المحار من الرخويات ذات الصدفتين. وما من فارق قط بين محار أبي صدفتين الذي عاش قبل ملايين، وبين نظيره الذي يعيش في عصرنا الراهن. ويبطل هذا الوضع زعم التطور على مراحل الذي يفترضه التطوريون، ويُفْحِمهم.



سلحفاة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 38 ــ 23 مليون سنة.
الموقع : تكوين برول(Brule) ، نبراسكا، الولايات المتحدة الأمريكية.

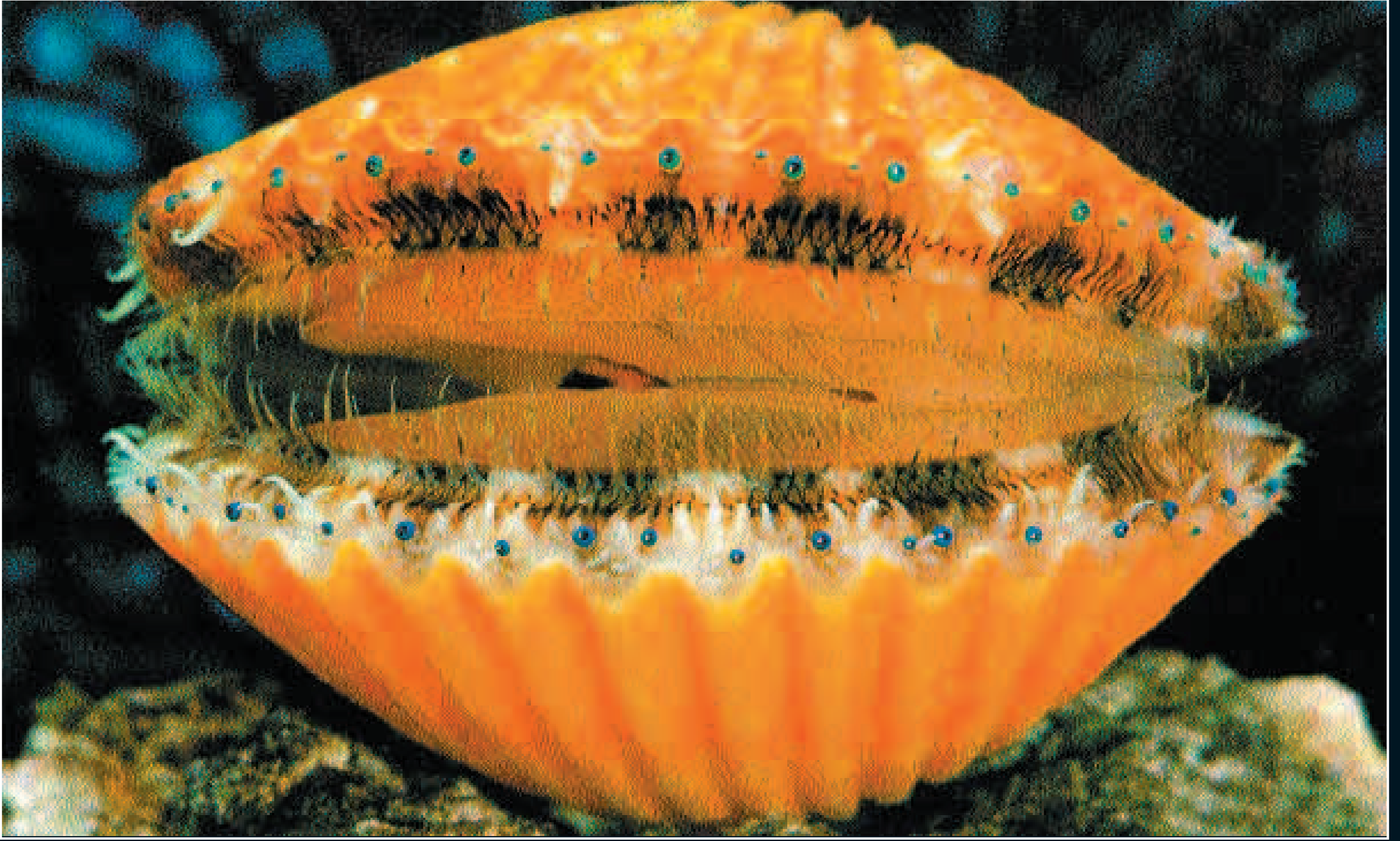
يعترف التطوريون بأنه ليس هناك اكتشاف واحد في سجلات الحفريات يثبت أن السلاحف قد مرت بتطور، فيقولون : " تُقابل أقدم السلاحف في الطبقات الحفرية للعصر الترياسي الموجودة في ألمانيا، ومن السهل تمييزها عن الأنواع الأخرى بفضل أصدافها الصلبة شديدة الشبه بنماذجها التي تعيش في عصرنا الحالي. ورغم هذا لم يتم العثور على أي أثر قط يتعلق بالسلاحف الأسبق زمنا أو الأكثر بدائية، هذا في حين أن السلاحف تتحفر بسهولة بالغة، ويُتعرف عليها بسهولة حال انكشاف أجزاء صغيرة منها" (Robert Carroll, Vertebrate Paleontology and Evolution, p.207).











مَحَارَة

العصر : زمن الباليوزوي، العصر الديفوني.
العمر : 410 ــ 360 مليون سنة.
الموقع : تكوين جيفرسون، إنديانا، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن المحار ليتحدى التطوريين الذين يزعمون أن الأنواع الحية نتجت عن بعضها البعض، وأنها تطورت مرحلة بعد مرحلة. وتشهد هذه الكائنات بأنها لم تتطور عن غيرها، وإنما هي خُلقت.









قنفذ البحر

العصر: الزمن الباليوزوي، العصر الكاربوني
العمر: 306-299 مليون سنة
الموقع: الولايات المتحدة الأمريكية

إن متحجر قنفذ البحر الذي يظهر في الصورة هو من بين الأدلة التي لا تحصى والتي تثبت عدم صحة مزاعم تطور الكائنات الحية. ولو كانت هذه المزاعم صحيحة لكان من الضروري أن يكون قنفذ البحر الذي عاش قبل 306- 299 مليون سنة خلت مختلفا عن قنفذ البحر الذي يوجد في عصرنا الحالي. لكن، ومثلما تبينه الصورة فإنه لا يوجد أدنى فرق بين قنفذ البحر الذي يعيش في عصرنا وذلك الذي وجد قبل ملايين السنين.







نجم البحر

العصر : زمن الباليوزوي، العصر الكربوني.
العمر : 360 ــ 325 مليون سنة.
الموقع : تكوين ادوارسفيل(Edwarsville)، إنديانا، الولايات المتحدة الأمريكية.

إن السمات التي تتسم بها نجوم البحر في عصرنا الراهن، تتسم بها أيضا مثيلاتها التي عاشت قبل مئات الملايين من السنين. وإن هذه الحفرية التي تثبت أن نجوم البحرهي نفسها منذ 360 ــ 325 مليون سنة، لتدحض مزاعم التطوريين، وتقيم الحجة على أنها خُلقت بالسمات التي تختص بها.

نماذج لحفريات عُثر عليها في كندا

تُعد كندا واحدة من الدول الأقدم من حيث البنية الجيولوجية وشطر كبير من بنياتها الصخرية إنما يعود إلى زمن ما قبل الكمبري (منذ 6, 4 مليار ـــ 543 مليون سنة). وهي غنية إلى حد ما بطبقات الحفريات.

ومن أهم طبقات الحفريات الموجودة في كندا، هو تكوين برجس شيل(Burgess Shale) الشهير عالمياً. وتُعد الطبقة الحفرية المذكورة واحدة من الاكتشافات الحفرية المهمة للعصر الراهن. وتشير الأبحاث والدراسات الجيولوجية إلى أن هذه المنطقة، في الفترة التي تكونت فيها الطبقات التي أُخذت منها النماذج، كانت منطقة قريبة من خط الاستواء. وفي هذه الأثناء كانت برجس شيل تقع على الحدود السفلى لقارة أمريكا الشمالية.

وأول ما عُثر عليه من حفريات في برجس شيل، إنما كان بعض حفريات لافقارية عثر عليها تشارلز دوليتل ولكوت (Charles Doolittle Walcott) عالم الحفريات في بدايات العقد الأول القرن العشرين. لا سيما وأن برجس شيل منطقة معروفة بالحفريات اللافقارية. وبفضل هذه النماذج الحفرية الأقدم من 500 مليون سنة، تم رصد نحو 140 نوعا عاش في العصر الكمبري. وسمة هذه الأحياء المتحفرة التي ترجع إلى العصر الكمبري، هي أنها تتعلق بأجناس مختلفة للغاية، وأنها ظهرت فجأة دون أن يكون لها أجداد قط في الطبقات السالفة. وتذهب المصادر التطورية أيضا إلى أنه ليس في الإمكان تفسير هذه الاكتشافات الحفرية طبقاً لنظرية التطور.

وثمة منطقة حفريات هامة أخرى موجودة في كندا، تقع داخل حديقة ميجوشا. وتقع هذه المنطقة التي تحوز





عمليات البحث والتنقيب عن حفريات في برجس شيل

رصيداً من النماذج الحفرية الغنية في شبه جزيرة جسب. وقد اكتُشفت الحفريات التي في المنطقة أولاً في أواسط العقد الأول من القرن 19 الميلادي، ويُقدّر عمر البنية الصخرية للمنطقة بـــ 375 ـــ 350 مليون سنة. وقد كشفت الدراسات عن أن سواحل "جسب" كانت خليجا استوائياً قبل حوالي 370.

وتتنوع الحفريات الموجودة في ميجوشا بشكل كبير من كائنات حية دقيقة (مجهرية) إلى فقاريات، ومن كائنات حية لافقارية إلى نباتات. ويُعد بعض ما أُخذ من ميجوشا من حفريات سمكية ونباتية، من أقدم الحفريات. فعلى سبيل المثال يُعتقد أن النبات المسمى سبرمسبوزيتا(Spermasposita)هو أقدم حفرية معروفة لنبات زهري. وتؤكد هذه النماذج أن الكائنات الحية عاشت حياة معقدة ببنيات كاملة لا عيوب فيها في الفترة التي يزعم التطوريون أنها كانت حياة بدائية على ما يُعتقد.



صورة تظهر عمليات البحث عن حفريات في منطقة ألبرتا.

برجس



سمكة الرنجة ذات السِّن

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 50 مليون سنة .
الموقع : تكوين كاتش كريك، كولومبيا البريطانية، كندا.

سمكة الرنجة ذات السن وهي سمكة متوسطة الحجم، نوع من الأسماك يُقابل بشكل عام في أمريكا في البحيرات العظمى وبعض الأنهار. وهي ضمن عائلة الهيودونداى. ويتابع هذا النوع من الأسماك مثل كافة الأحياء الأخرى، وجوده منذ ملايين السنين دون أن يغيِّر في بنيته. والتطابق التام بين أسماك الرنجة ذات السن التي عاشت قبل 50 مليون سنة، وبين نماذجها التي تعيش في عصرنا الراهن، لَهوَ وضع غير قابل للتفسير من وجهة نظر التطوريين.



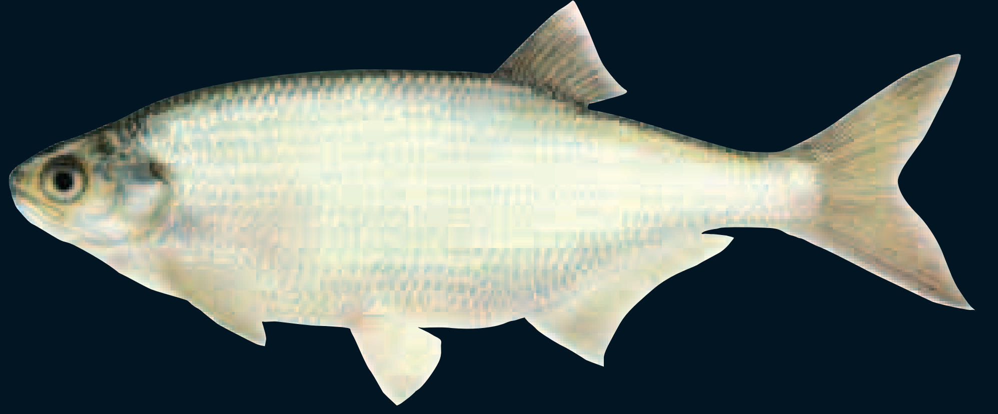


فرع شجرة التَّبَلْدي

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 50 مليون سنة.
الموقع : كاملوبس، كولومبيا البريطانية، كندا.

تعد أشجار التبلدي المعروفة بأنها أضخم أشجار العالم، في الوقت ذاته من الأشجار المعمرة للغاية. إذ يوجد نماذج منها يبلغ طولها 150 مترا، ويُقدّر عمرها بـــ 100 سنة. وتنمو هذه الأشجار في الغالب في أمريكا الشمالية. وتوضح النماذج الحفرية أن أشجار التبلدي هي نفسها منذ ملايين السنين، أي أنه لم يعترها التطور. وما من فارق قط بين حفرية فرع شجرة التبلدي الذي يظهر في الصورة والبالغ عمره 50 مليون سنة، وبين نماذجه الموجودة في الوقت الراهن.

سمكة الرنجة ذات السن



العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 50 مليون سنة.
الموقع : تكوين كاتش كريك، كولومبيا البريطانية، كندا.

عُثر على كثير من حفريات سمكة الرنجة ذات السن في الطبقات الحفرية الواقعة في كندا. وتظهر كافة هذا النماذج أن أسماك الرنجة ذات السن ظلت على ما كانت عليه منذ ملايين السنين. ويعد هذا الثبات (عدم التغير في البنية) المستمر منذ ملايين السنين، دليلا هام على أن التطور لم يحدث قط.











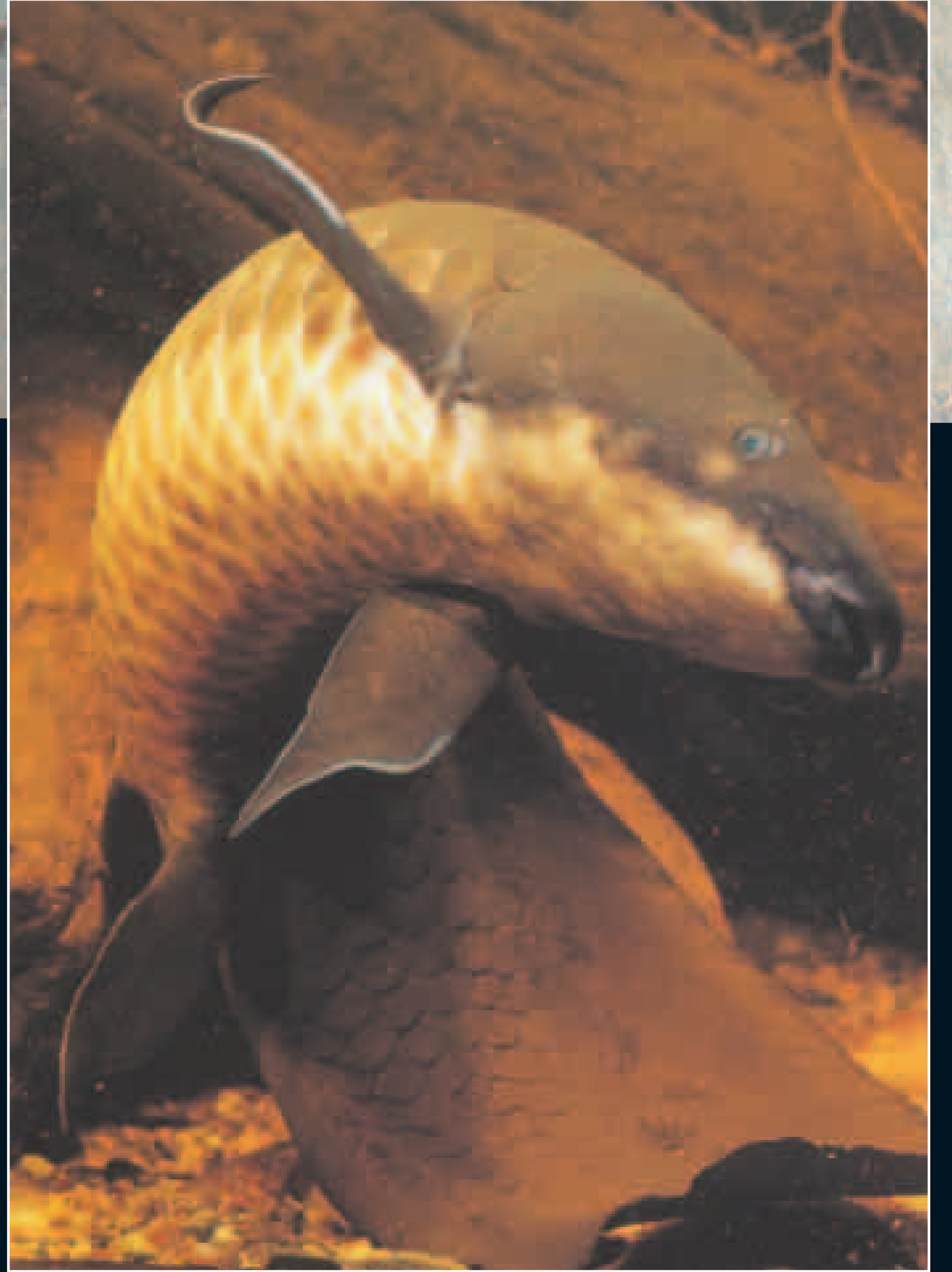
يبلغ عمر هذه الحفرية المؤلفة من قسمين 50 مليون سنة.



بعوضة مارس، وورقة شجر التبلدي

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 50 مليون سنة.
الموقع : كاملوبس، كولومبيا البريطانية، كندا.

تتغذي أغلبية بعوض مارس على غبار طَّلْع النباتات الأصفر، وهي تنتمي لعائلة البيبيونيداي (Bibionidae) . وتُصادف النماذج الحفرية المتعلقة بأعضاء هذه العائلة بدءاً من العصرين: الأُليجوسيني (منذ 33 ــ 23 مليون سنة) والميوسيني (منذ 23 ــ 5 مليون سنة). ولقد أوضحت سجلات الحفريات بجلاء أن كافة أنواع البعوض ظهرت فجأة، وأنها تابعت وجودها منذ ملايين السنين دون أن يطرأ أي تغير قط على بنياتها. وهذا بدوره وضع يقطع بأن البعوض مثل كافة الكائنات الحية الأخرى، لم يمر بتطور. ويقر التطوريون بهذه الحقيقة، وبأنه لم يتأت لهم شرح أصل الحشرات بنظرية التطور. يقول العالم التطوري بول بيير جراس (Paul Pierre Grasse) : " إنّنا في ظلام دامس فيما يتعلق بموضوع أصل الحشرات". (Pierre- P Grasse Evolution of living Organisms,New York : Academic Press , 1977 , p.30,) . وحينما يقول هذا العالم كلامه هذا فإنه يلفت بذلك الانتباه إلى هذه الحقيقة. وقد أقامت سجلات الحفريات الشواهد على أن أصل البعوض وكافة الحشرات إنما هو خَلْق الله تعالى.



سمكة رئوية

العصر : زمن الاليوزوي، العصر الديفوني.
العمر : 35 مليون سنة.
الموقع : ميجوشا، كيباك ، كندا.

تعيش نماذج الأسماك الرئوية التي في عصرنا الراهن في الغالب في إفريقيا وأمريكا الجنوبية. وفي الأوقات التي تصبح فيها المياه ضحلة، تدفن هذه الأسماك نفسها في الطمي حتى تستطيع مواصلة حياتها. وتعود أقدم حفرية معروفة لسمكة رئوية إلى العصر الديفوني(منذ 417 ــ 354 مليون سنة). والحفرية التي تبدو في الصورة هي أيضا تعود إلى العصر نفسه. وليس ثمة فارق بين الأسماك الرئوية التي عاشت قبل 350 مليون سنة، وبين نظيراتها التي تعيش في عصرنا الحالي. وتُعد هذه الأسماك التي لم يعترها أي تغير منذ مئات الملايين من السنين أحد الشواهد على أن الكائنات الحية لم تتطور، وإنما هي خُلقت.



شجر الدردار



شجر التبلدي

ورقة شجر التبلدي، وورقة شجر الدَّرْدار(الزان الأبيض)

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.

العمر : 54 ــ 37 مليون سنة.

الموقع : تكوين كاتش كريك، كولومبيا البريطانية، كندا.

تختص النباتات ببنيات معقدة إلى أقصى درجات التعقيد، ويستحيل أن تكون هذه البنيات قد ظهرت بمؤثرات عشوائية، أو تحولت فيما بينها مثلما يزعم التطوريون. وتبرهن سجلات الحفريات على أن الفصائل النباتية المختلفة إنما ظهرت فجأة على وجه الأرض ولكل منها بنياته الخاصة، وأنه لم يوجد أي وتيرة تطور فيما بينها.

وتُعد حفريتا ورقة التبلدي وورقة الدردار كذلك من الشواهد المؤكدة على بطلان نظرية التطور، فما من فارق بين هذه النباتات التي نمت قبل 54 ــ 37 مليون سنة، وبين مثيلاتها التي تنمو في زمننا الجاري.



تتألف هذه الحفرية البالغ عمرها **54 ـــ 37** مليون سنة، من جزأين، أحدهما سالب، والآخر موجب.



ورقة شجر التبلدي وغصن ذو براعم

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.

العمر : 54 ـــ 37 مليون سنة.

الموقع : تكوين كاتش كريك، كولومبيا البريطانية، كندا .

ليس ثمة تفاوت قط بين أشجار التبلدي التي كانت تنمو قبل ملايين السنين وبين مثيلاتها في زمننا الراهن. وهذا التماثل إنما ينهض دليلا على أن النباتات مثل الحيوانات، لم يمسسها التطور.







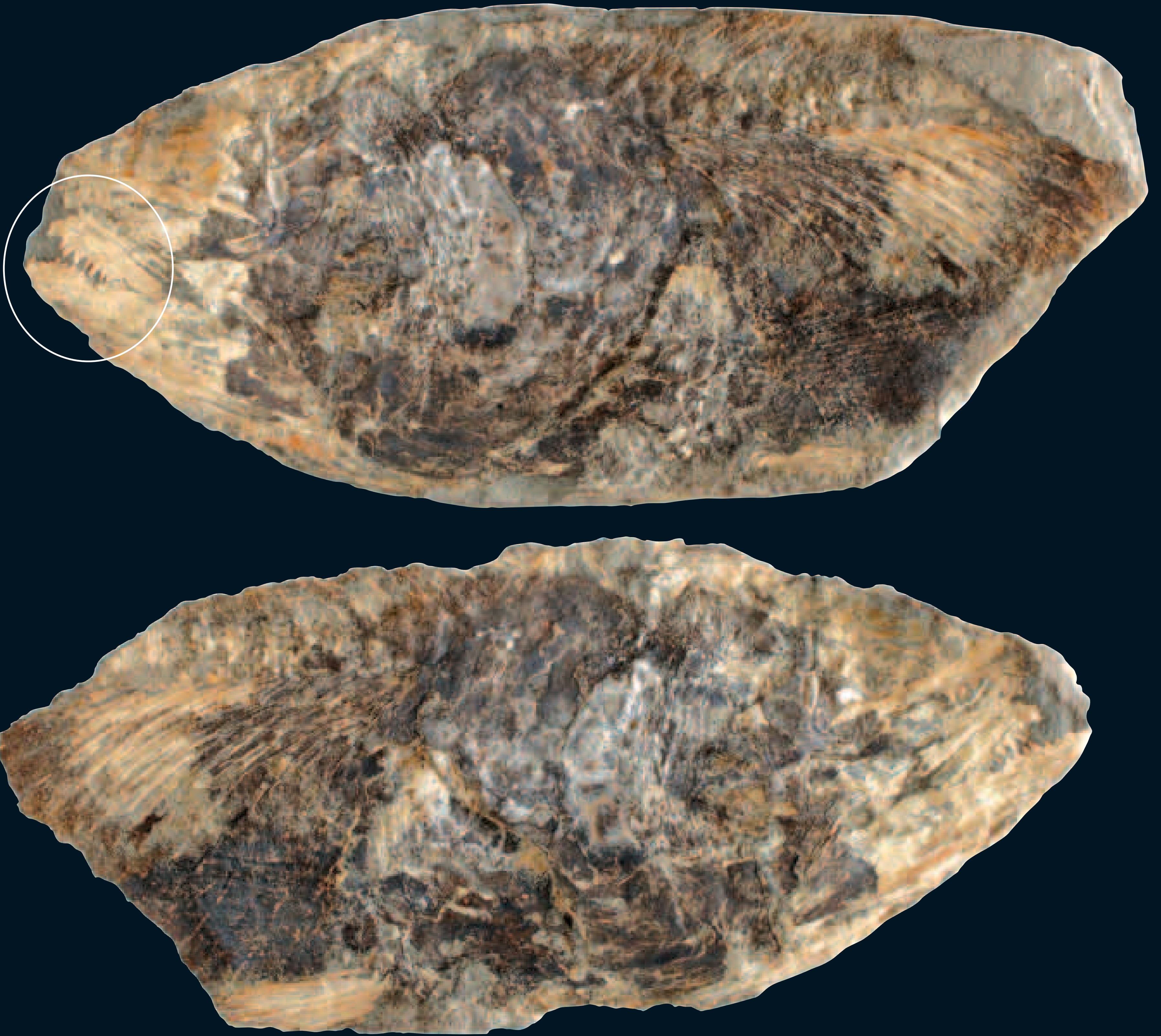
ورقة شجر الغَوش

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة.
الموقع : تكوين كاتش كريك، كولومبيا البريطانية، كندا.

هو نبات ينتمي إلى فصيلة البيتوليات، وينمو في الأقاليم الشمالية. والحفرية التي تظهر في الصورة يبلغ عمرها 54 ــ 37 مليون سنة. وهذا النموذج الحفري الذي يطابق تماماً النماذج الموجودة في عصرنا الراهن، ليُعد شاهداً من الشواهد على أن أشجار الغوش شأنها شأن كافة الأحياء الأخرى، لم يعترها التطور.







رأس سمكة السَّلَمون

العصر : زمن السينوزوي، العصر البليستوسيني.

العمر : 8, 1 ــ 11 ألف سنة.

الموقع : كاملوبس، كولومبيا البريطانية ، كندا .

هناك الكثير من النماذج الحفرية لأسماك السلمون يرجع تاريخها إلى العصور الجيولوجية المختلفة. وكافة أسماك السلمون التي عاشت في هذه العصور، تطابق نماذجها التي تعيش في زمننا الحاضر. وإن كل حفرية يُعثر عليها لتكذِّب الدارونيين، وتؤكد حقيقة أن أسماك السلمون هي أيضا مثل الأحياء الأخرى، لم تتغير في أي زمن قط.

الجنكجو



ورقة شجر الجنكجو، وورقة شجر التبلدي

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.

العمر : 54 ــ 37 مليون سنة .

الموقع : تكوين كاتش كريك، كولومبيا البريطانية، كندا.

يُعد الجنكجو أحد الحفريات الحية التي لها أكثر النماذج في عالم النبات، وهو ينتمي إلى الفصيلة الجنكجوية (Ginkgophyta) التي تشتمل عليه هو فحسب. وأقدم نماذجه المعروفة يرجع تاريخها إلى 270 مليون سنة. أما حفرية ورقة الجنكجو التي تبدو في الصورة، فيبلغ عمرها 54 ــ 37 مليون سنة. وتتحدى هذه النباتات التي ظلت على ما هي عليه منذ مئات الملايين، نظرية التطور.



التبلدي





ورقة شجر الجنكجو

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني .
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة.
الموقع : تكوين كاتش كريك، كولومبيا البريطانية، كندا.

تأبى الاكتشافات الحفرية إلا أن ترفض وبشكل قاطع الزعم القائل بتطور النباتات. ومن بين هذه الاكتشافات أيضا، حفرية ورقة الجنكجو البالغ عمرها 54 ــ 37 مليون سنة. وليس ثمة تفاوت قط بين نباتات الجنكجو التي نمت قبل ملايين السنين، وبين نماذجها التي تنمو في عصرنا الراهن.



ورقة شجر البَقْس

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 50 مليون سنة.
الموقع : تكوين كاتش كريك، كولومبيا البريطانية، كندا.

تنمو أشجار البقس في الأقاليم المعتدلة، وتوجد بوجه عام في أمريكا الشمالية وأوربا وآسيا. وترفض حفرية ورقة شجر البقس التي يبلغ عمرها 50 مليون سنة، وبشكل واضح الزعم القائل بتطور النباتات.

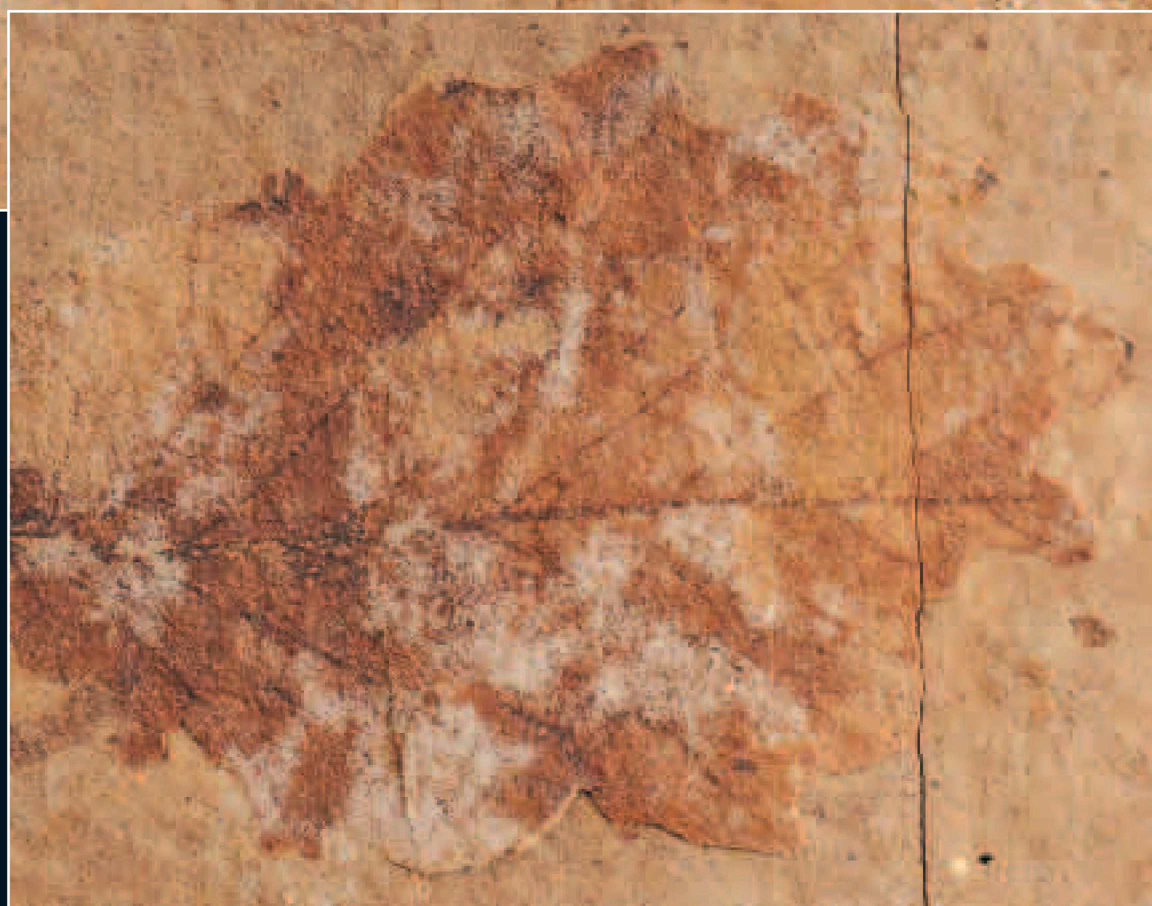




ورق الجنكو

العصر: الزمن السنوزوي، العصر الأيوسيني
العمر: 54-37 مليون سنة
الموقع: تكوين كاش كرين، كولومبيا البريطانية، كندا

توجد مئات آلاف المتحجرات التي تثبت أن النباتات لم تمر بأية مرحلة تطور في مقابل عدم وجود ولو نموذج واحد يثبت مزاعم التطور. وأحد هذه المتحجرات هو لورق الجنكو ويبلغ عمره ما بين 54 و 37 مليون سنة. وأوراق الجنكو التي لم تتغير منذ ملايين السنين تكشف أن نظرية التطور ليست سوى كذبة كبيرة.







ورقة شجر النَغْط (الحور الرومي)

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة.
الموقع : تكوين كاتش كريك، كولومبيا البريطانية، كندا.

لا تفترق أشجار النغط التي نبتت قبل 54 ــ 37 مليون سنة ، عن مثيلاتها التي تنبت في عصرنا الحالي في شيء. وتختص أشجار النغط التي نمت قبل ملايين السنين بكافة الأنظمة التي تختص بها أشجار هذا النوع التي في عصرنا الراهن دون نقص؛ ومن ثم تُعد دليلا على عدم حدوث عملية تطور على وجه الأرض في أي زمن قط.





الشجرة السوداء



هورن بيم



ورقة شجر الدردار، وورقة شجر البَقْس

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ـــ 37 مليون سنة.
الموقع : تكوين كاتش كريك، كولومبيا البريطانية، كندا.

تشهد سجلات الحفريات بأن كافة الأنواع النباتية قد تابعت وجودها منذ العصر الأول التي وُجدت فيه دون أن يعتريها أي تغيّر. ولو أن أحد الأحياء ظل يحوز السمات نفسها دونما تغير على مدار ملايين السنين، فإن الحقيقة التي يعبر عنها هذا الوضع حقيقة واضحة جلية، ألا وهي أن الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور، وإنما هي خُلقت. ومن بين الشواهد المدللة على هذه الحقيقة حفريتا ورقة الدردار، وورقة البقس اللتان تبدوان في الصورة.





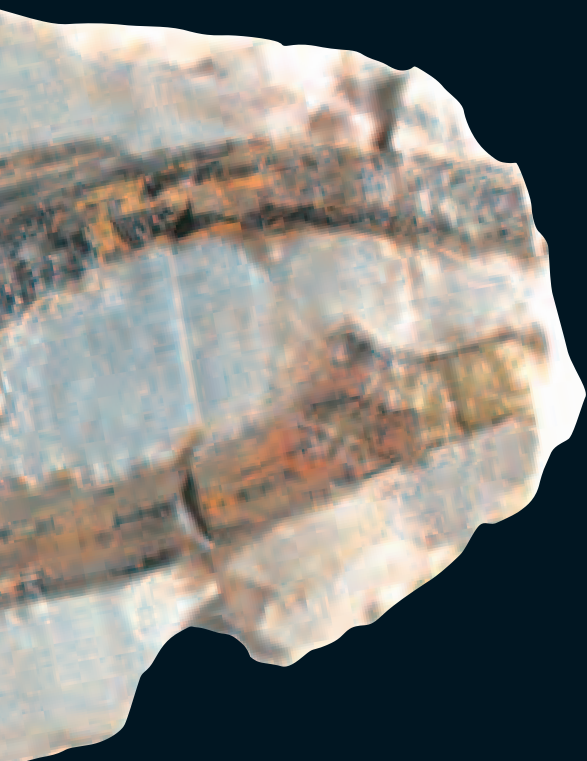
الدردار شجرة البقس لوزة الدردار

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.

العمر : 52 ــ 6, 43 مليون سنة .

الموقع : تكوين كاتش كريك، كولومبيا البريطانية، كندا .

تُعد لوزة الدردار البالغ عمرها 52 ــ 6, 43 مليون سنة أحد البراهين على أن الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور. وما من أدنى تباين بين أشجار الدردار التي نمت قبل ملايين السنين، وبين نظيراتها التي تنمو في عصرنا الحالي. ويجزم عدم التباين بأن الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور.







سرطان بحري

العصر : زمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 146 ـــ 65 مليون سنة.
الموقع : تكوين بير بو (Bear Paw)، كندا.

أثبتت سجلات الحفريات التي عُثر عليها منذ قرن ونصف من الزمان وبشكل قاطع أن الأنواع الحية لم يعترها التغير في أي وقت قط، وأنها لم تتحول فيما بينها أو تتطور عن بعضها البعض. وحفرية السرطان البحري البالغ عمرها 146 ـــ 65 مليون سنة والتي لا تختلف عن نماذجها التي تعيش في عصرنا الراهن، تشدد مجدداً على هذه الحقيقة.

نماذج لحفريات عُثر عليها في جمهورية الدومينيك





تُعد الطبقات العنبرية إحدى البيئات التي تتشكل فيها الحفريات. وتتشكل الحفريات التي بداخل العنبر من تحجر الراتنج الذي يُفرز من الأشجار فوق الكائن الحي، واحتفاظ الكائن بالكيفية التي كان عليها آنئذ. ويتكون الراتنج من مواد عضوية مختلفة كيميائيا، وهو غير قابل للذوبان في الماء، وسريع التجمد حال تعرضه للهواء، بعدها تبدأ عملية بلمرة (دخول جزيئات أحادية البعد في تفاعل كيميائي من أجل تكوين سلاسل جزيئات ثلاثية الأبعاد)، ويستمر الراتنج في التصلب. ويظل الكائن الذي ينسكب فوقه الراتنج طيلة ملايين السنين محتفظا بالحالة التي كان عليها تلك اللحظة.

ومن المعروف أنه يوجد الآن في العالم ما يزيد عن 100 من الطبقات العنبرية. وأقدم النماذج العنبرية المعروفة عُثر عليها في جبال لبنان، ويبلغ عمرها 130 ـــ 120 مليون سنة، وتعود إلى العصر الطباشيري. وقد أظهرت الدراسات التي أُجريت في الآونة الحديثة أن بعض الطبقات العنبرية الجديدة تعود إلى الزمن الميزوزوي. ومن أمثلتها: عنابر الأردن التي يبلغ عمرها نحو 120 مليون سنة، وعنابر نيو جيرسي (New Jersey) ، البالغ عمرها قرابة 80 مليون سنة، وعنابر بحيرة سيدار(Cedar) التي يقدر عمرها بـــ 80 ـــ 75 مليون سنة، وعنابر فرنسا التي يبلغ عمرها 70 مليون سنة، وعنابر بيرن (Pirene). أما نماذج الحفريات التي عُثر عليها في كثير من الطبقات العنبرية الأخرى، فيرجع غالبيتها إلى العصرين الإيوسيني والميوسيني (منذ 55 ـــ 5 مليون سنة).

أما نماذج الحفريات العنبرية التي عُثر عليها في جمهورية الدومينيك ، فيعود





هناك ما يزيد عن **100** من الطبقات العنبرية في العالم، أحد هذه الطبقات أيضا في النرويج التي يوجد بها الطبقات العنبرية للبلطيق.

أغلبها إلى العصرين الإيوسيني والميوسيني. ويوجد في الدومينيك طبقتان عنبر، إحداهما المنطقة الجبلية الواقعة في شمال مدينة سانتياجو(Santiago)، أما الأخرى فهي المناجم القريبة من قصبة إلفال(Elvalle) الواقعة شمال شرقي مدينة سانتو دومينجو (Santo Domingo).ومن المعروف أن الطبقات العنبرية للدومينيك تشكلت من راتنج أشجار من جنس المخروطيات. ومن أهم سمات الطبقات العنبرية الدومينكية هو تنوع الأنواع الحية التي تحفرت بها. فبالإضافة إلى أعداد هائلة من الأنواع الحشرية، توجد أيضا نماذج لضفادع وضِباب وعقارب متحفرة داخل العنبر.

وتبرز عشرات الآلاف من الحفريات العنبرية التي عُثر عليها في جمهورية الدومينيك مثل كافة الحفريات الأخرى ، حقيقة غاية في الأهمية ؛ ألا وهي أن الكائنات الحية لم يعترها أي تغير منذ ملايين السنين، أي أنها لم تمر أصلاً بأي عملية تطور. فالبعوض والنمل والرَّعَّاشات والعناكب وُجدت دوماً ولا تزال على نحو ما وُجدت عليه، لم تتغير ولم تتطور. خلاصة القول إن كافة الكائنات الحية تابعت وجودها ـــ منذ اللحظة الأولى لميلادها ـــ بكافة السمات ذاتها ، وبالشكل ذاته. وتطابق الكائنات الحية التي عاشت قبل ملايين السنين وتحفرت داخل الطبقات العنبرية ، نماذجها التي تعيش في عصرنا الراهن . وتسدد هذه الحقيقة ضربة قاسمة إلى نظرية التطور، وتقيم الشواهد على حقيقة الخَلْق.



بعض الطبقات التي يوجد بها حفريات بداخل العنبر في جمهورية الدومينيك











عنكبوت وثّاب

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني ــ الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة .

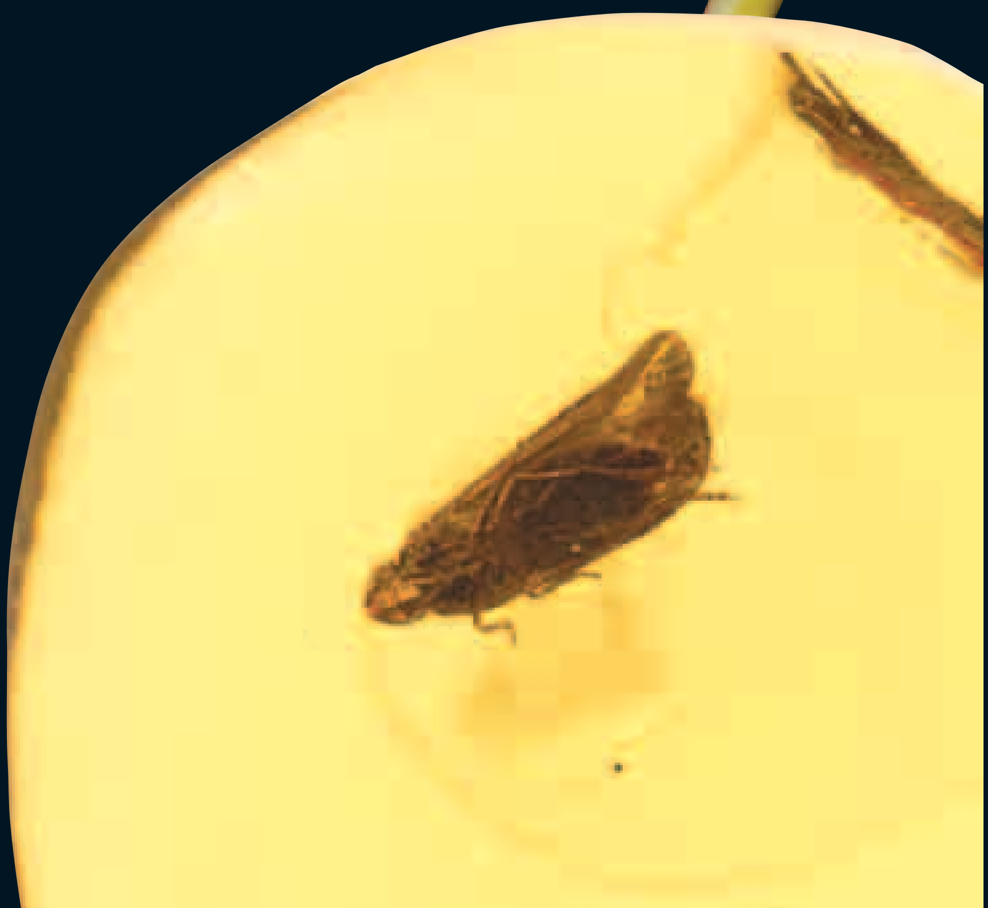
الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

في شريحة العنبر هذه يقبع عنكبوت وثاب من فصيلة السالتيكيداي (Salticidae). ومرد تسمية هذه العناكب بهذا الاسم إنما يعود إلى طريقة اصطياد هذه الحشرات لفريستها، حيث تصعد أعلاها وتثب عليها من ارتفاع 50 ضِعفا من طول قامتها. وإضافة إلى أربع عيون توجد في الجهة الأمامية من رؤسها، هناك أربع عيون أخرى

صغيرة تعلوها تماماً. وهي تستخدم هذه العيون ــ كاملة البنية من غير عيب ــ في رصد فرائسها.
وتملك العناكب الوثابة التي عاشت قبل ملايين السنين ــ مثل مثيلاتها التي تعيش في وقتنا الراهن ــ بنية كاملة لا يشوبها عيب. ولم يحدث أي تغير في هذه البنيات على مدى ملايين السنين. وتعد شريحة العنبر التي تبدو في الصورة ويبلغ عمرها 25 مليون سنة، دليلاً على هذه الحقيقة.







طفيليات الأوراق

العصر : زمن السينوزوي ، العصر الإيوسيني ـــ الأُليجوسيني .
العمر : 25 مليون سنة .
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تتطابق طفيليات الأوراق التي تبدو في الصورة ويبلغ عمرها 25 مليون سنة،مع نظيراتها التي تعيش في عصرنا الحالي. وتكذِّب طفيليات هذه الأوراق التي لم تتعرض قط لأي تغير رغم مرور ملايين السنين عليها، مزاعم نظرية التطور.



نحلة برية

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 34 مليون سنة.

الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

يعيش النحل البري بوجه عام تحت أوراق الشجر المتساقطة. ومن المعروف أنه يضر بكثير من أنواع الحشرات ويلحق بها الأذى، خصوصاً بيض هذه الأنواع. وقد تحفرت النحلة البرية التي تبدو في الصورة وهي تطير. وهي لا تختلف قط عن نماذجها الموجودة في عصرنا الراهن.

وشريحة العنبر التي بداخلها النحلة والتي يبلغ عمرها 34 مليون سنة تثبت أن النحل البري ــ مثل كافة الأحياء الأخرى ــ لم يمر بعملية تطور.

خُنْفُساء حدوة الفرس

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة .
الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

تعيش هذه الحشرات في الأغلب بالقرب من مستعمرات النمل. وتُعد هذه الحفرية البالغ عمرها 25 مليون سنة دليلاً على أن الحشرات المذكورة لم تمر بعملية تطور، وليس ثمة تفاوت بين خنافس حدوة الفرس التي عاشت قبل ملايين السنين، وبين مثيلاتها التي تعيش في زمننا الحاضر.





الحشرة القاتلة غِيلةً

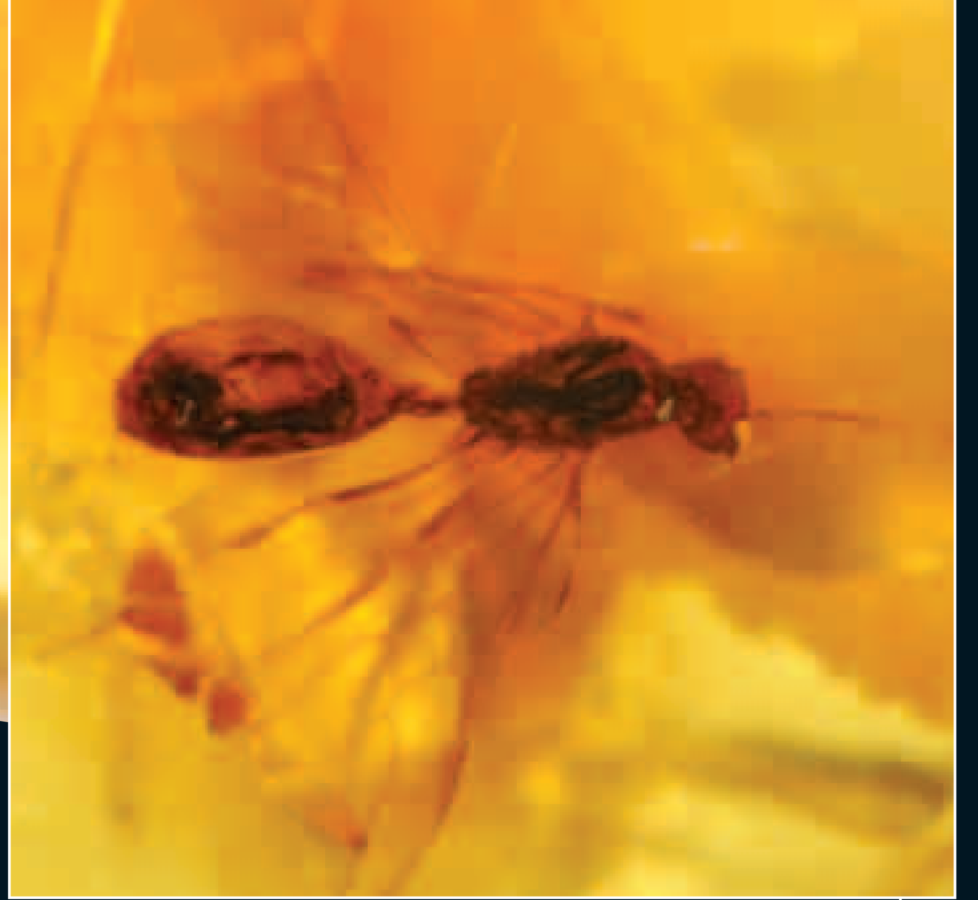
العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

تبدو في شريحة العنبر الحشرة القاتلة غيلة التي تُعد واحدة من أندر نماذج فصيلة الريدوفيداي (Reduviidae) ظهوراً. والحشرة التي هنا هي الحشرة القاتلة غيلة ذات القوائم الخيطية، والتي تنحدر من الفصيلة الفرعية لــالإيميسيناي(Emesinae). وهذه الحشرة تتغذي بأسلوب يعرف بالهضم الخارجي. فهي تفرز سماً يحوّل النسيج الخلوي لفريستها إلى ما يشبه السائل، لتقوم بامتصاصه بعد ذلك. ويتسم سمها هذا بأنه سريع المفعول، يخدّر الفريسة في ثوان معدودة. ومن الحشرات القاتلة غيلة من يخرج للبحث عن فريسته واصطيادها، في حين أن منها من يتلبث مكانه في انتظارها. وقد احتفظت هذه الحشرة بألوان أجنحتها. وكافة السمات التي تتسم بها الحشرات القاتلة غِيلة الموجودة في عصرنا الراهن، كانت تختص بها أيضا مثيلاتها التي عاشت قبل 38 ــ 5 مليون سنة. وتُعد الحفرية التي تبدو في الصورة أحد الشواهد المؤكدة على أن الحشرات القاتلة غيلة التي احتفظت بذات السمات منذ ملايين السنين، لم يلحقها التّطور.





الحشرة القاتلة غيلةً وهي تصطاد



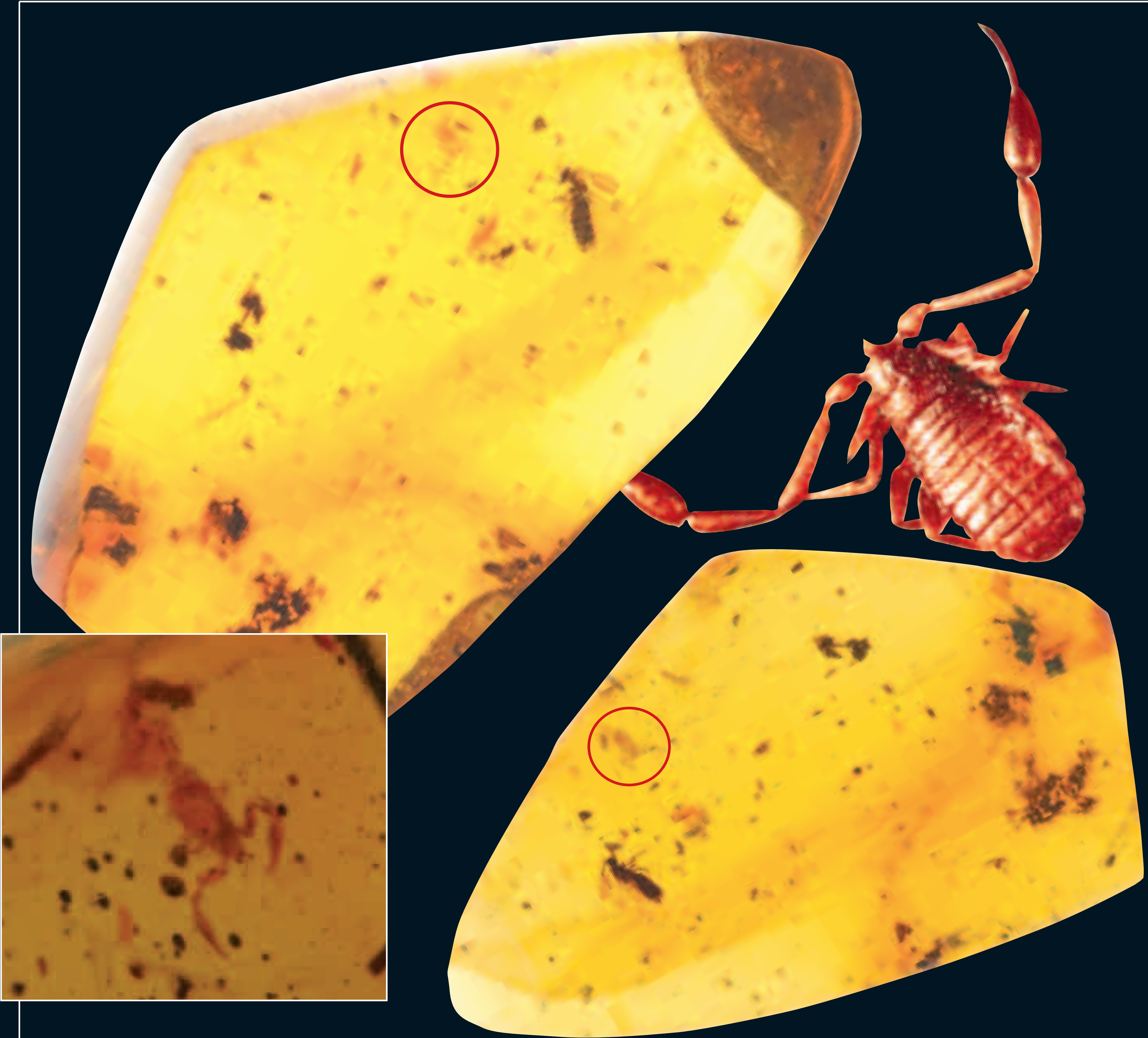
نملة مُجَنَّحَة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

لنوع النمل المجنح جناحان طويلان يتراوح طولهما بين 5 ـــ 8 مم. وهي تقيم مساكنها بالقرب من مصادر الماء والطعام. ولم يتعرض هذا النمل منذ ملايين السنين، لأيّ تغير قط.

وتقيم حفرية النملة المجنحة التي داخل العنبر والبالغ عمرها 25 مليون سنة، الحجة على أن النمل الذي نتحدث عنه لا يزال على نفس ما كان عليه منذ ملايين السنين، أي أنه لم يمر بعملية تطور.





عقرب كاذب

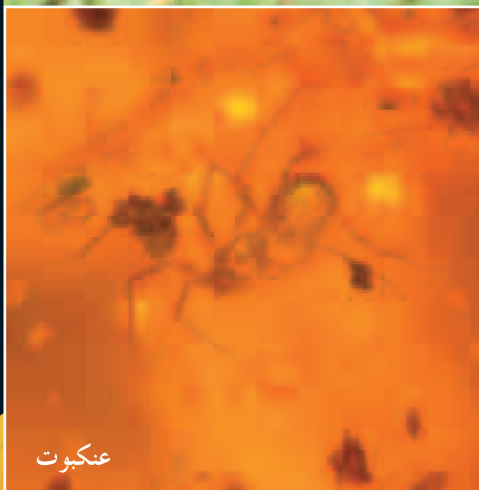
العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

العقارب الكاذبة هي عناكب تشبه العقارب، إلا أنها ليس لها الذنب والإبرة الطويلتين اللتين للعقرب. وهي تشل حركة فريستها باستخدام مخالبها. ومن الممكن أن تتواجد العقارب الكاذبة أسفل أوراق الشجر المتساقطة والتراب والصخر. ومنها ما يتقوَّت بمفصليات الأرجل الأخرى مثل الذباب. ومن المعروف أنه يعيش 2000 نوع منها في أنحاء العالم.

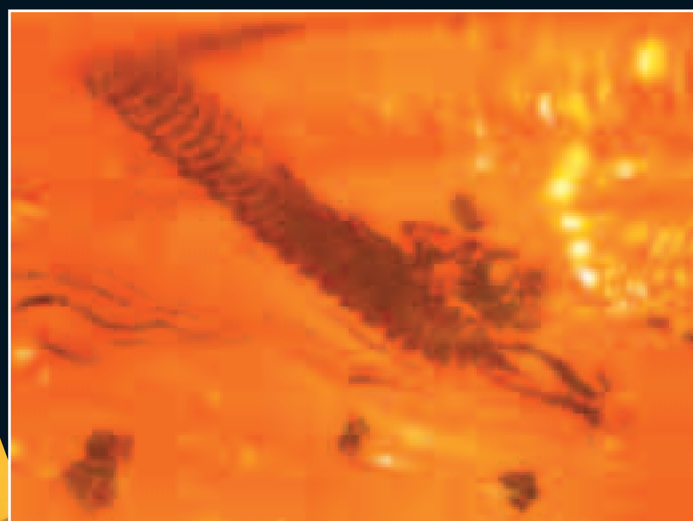
وليس ثمة فارق قط بين العقارب الكاذبة التي تعيش في عصرنا الراهن وبين نماذجها التي يبلغ عمرها 25 مليون سنة. ويُعد هذا التماثل دليلاً دامغاً على أن الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور.



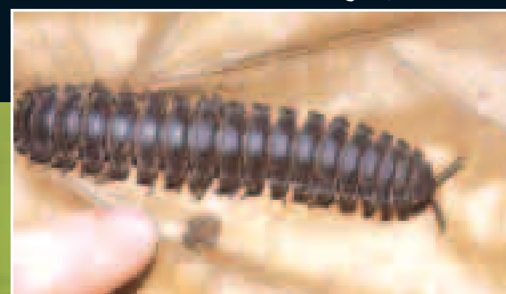
عنكبوت



عنكبوت

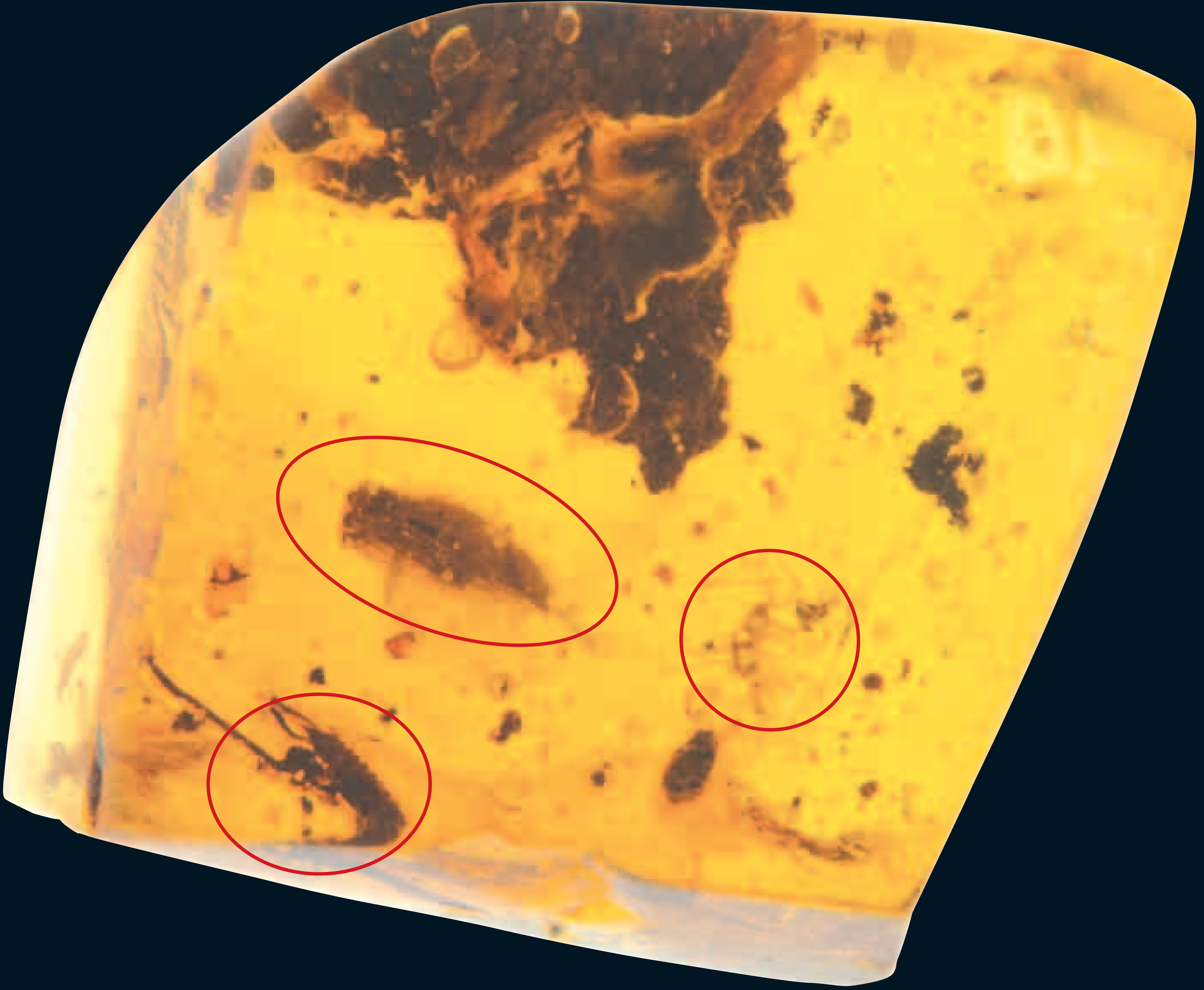


دويبة أم أربع وأربعين





حشرة النار



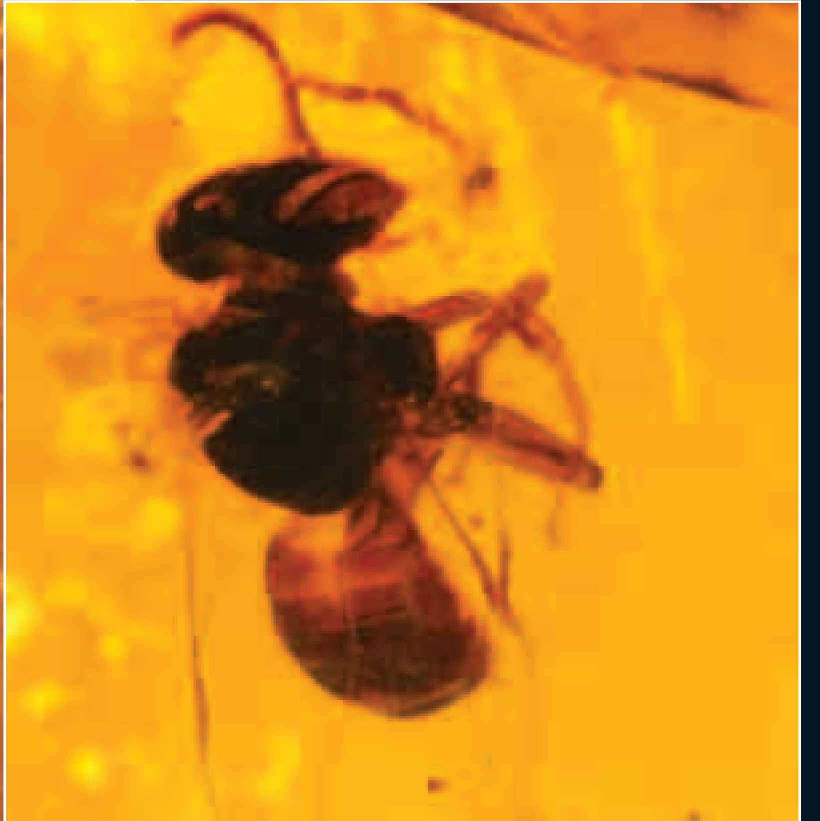
حشرة النار، وأم أربع وأربعين، وعنكبوت

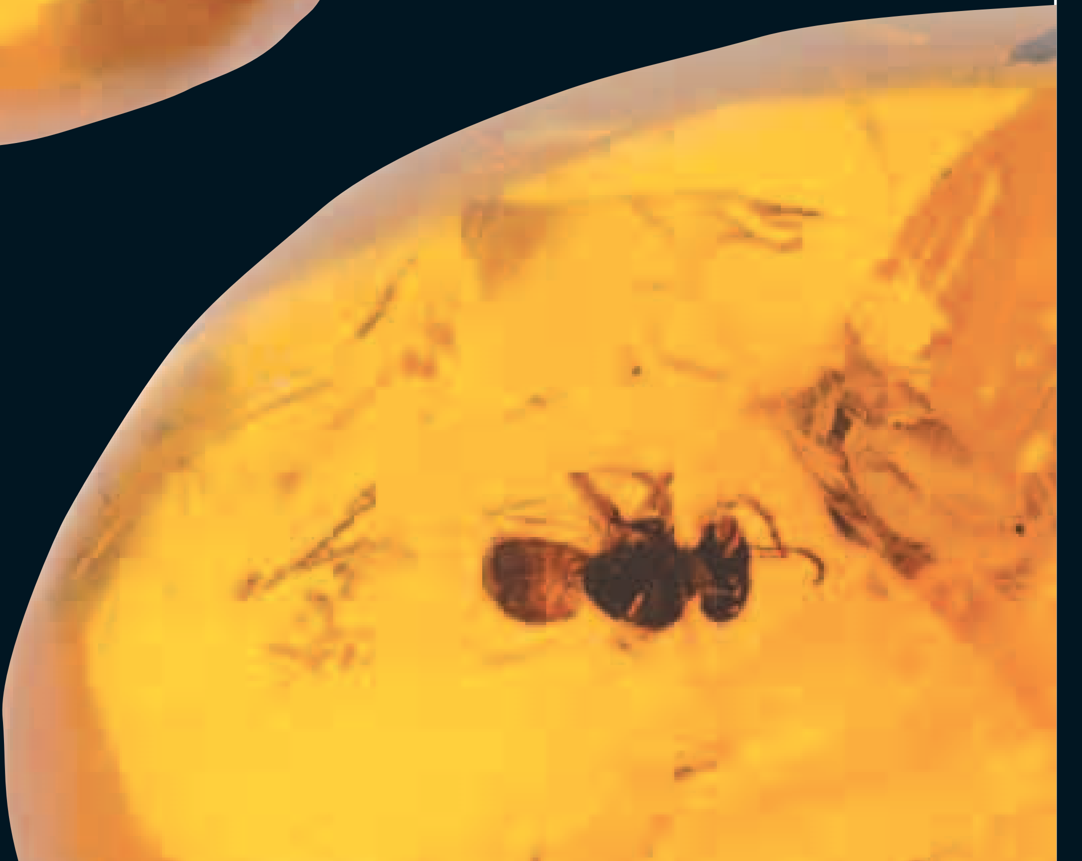
العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

تنتمي هذه الحشرة إلى فصيلة اليراعات (Pyrochroidae)، وتُعرف بوجه عام بحشرة النار أو الحشرة نارية اللون. ويبدو لحشرة النار في هذا النموذج وبوضوح شديد قرن استشعار مسنن. ويوجد في الوقت ذاته في شريحة العنبر حفرية لدويبة أم أربع وأربعين، وأخرى لعنكبوت. وتثبت حشرات النار ودويبات أم أربع وأربعين والعناكب التي ظلت كما هي منذ ملايين السنين، لم تتغير، أن الكائنات الحية لم تتطور وتنتج عن بعضها البعض عبر مراحل تدريجية، وإنما هي خُلقت ومعها كافة السمات التي تختص بها.









نحلة عديمة الإبرة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تظهر في الصورة حفريتان لنحلتين عديمتين الإبرة وقد تحفرتا داخل العنبر. ولا تختلف نماذج هذه الأحياء التي تعيش في عصرنا الراهن عن نماذجها التي عاشت قبل ملايين السنين.





نحلة برية طفيلية، ذبابة حَدْباء

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

تُعد حفرية النحلة البرية والذبابة الحدباء والتي يبلغ عمرهما 25 مليون سنة، برهاناً على أن أنواع الحشرات أيضا مثل كافة الكائنات الحية، لم تمر بعملية تطور. فهذه الأحياء لا تزال على نفس ما كانت عليه منذ ملايين السنين، لم تتغير، ولم يسمها أي شكل من أشكال التغير.

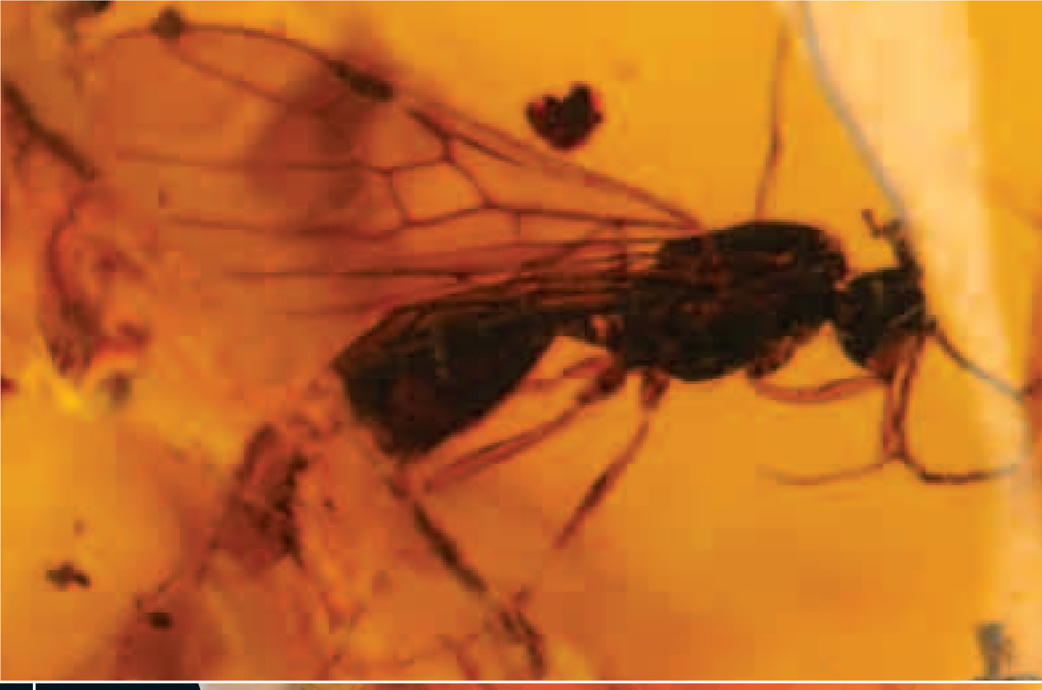


عنكبوت وشبكته

العصر : زمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر :25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تُعد العناكب إحدى الكائنات الحية التي تابعت وجودها منذ مئات الملايين من السنين دون أن تغيِّر في بنياتها. أما العنكبوت وشبكته اللذان داخل شريحة العنبر التي تظهر هنا، فيبلغ عمرهما 25 مليون سنة. وكأن هذا الكائن الذي لا يفترق قط عن نماذجه التي تعيش في عصرنا الراهن، يشهد قائلاً : " إننا لم نمر بعملية تطور، إنما نحن خُلقنا ".







ذبابة العَفَص

نملة مجنحة



نملة مجنحة، وذبابة العَفَص

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

ينسف النمل المجنح وذباب العفص الذي تابع وجوده دون تغير منذ 25 مليون سنة، مزاعم نظرية التطور.



حشرة لحاء الشجر

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

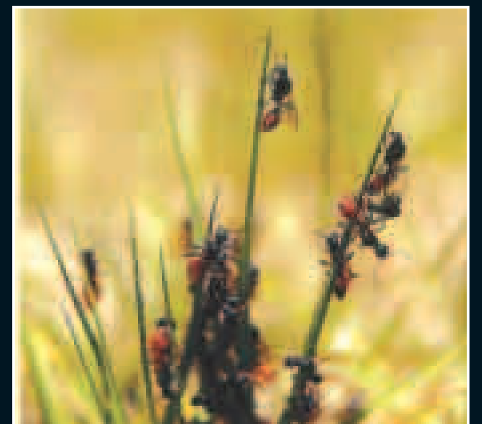
تماثل حشرات لحاء الشجر التي يبلغ عمرها 25 مليون سنة، مثيلاتها الموجودة في عصرنا الراهن. وتُعد هذه الحشرات التي لا تزال على عين ما كانت عليه منذ ملايين السنين، إحدى النماذج التي تبرهن على أن الكائنات الحية لم تتطور عن بعضها البعض، وإنما هي خُلِقت.



سوسة لحاء الشجر

العصر : زمن السينوزوي ، العصر الميوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

هناك ما لا يقع تحت حصر من نماذج الحفريات المتعلقة بآلاف الأنواع المختلفة من الحشرات. وتؤكد كافة هذه الحفريات أن الكائنات الحية منذ يوم ظهورها، تتسم بنفس السمات، لم تتغير على مر الزمان، ولم تخضع لتطور. ومن بين الشواهد المؤكدة على أن سوس لحاء الشجر لا يزال على نفس ما كان عليه منذ ملايين السنين، شريحة العنبر هذه التي يبلغ عمرها 25 مليون سنة.



نملة مجنحة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

توجد داخل شريحة العنبر هذه حفرية لنملة مجنحة. وليس ثمة تباين قط بين النمل المجنح الذي يعيش في عصرنا الراهن، وبين نماذجه التي عاشت قبل ملايين السنين. وهذا بدوره يُعد دليلا على أن النمل مثل الأحياء الأخرى، لم يمر هو الآخر بعملية تطور.

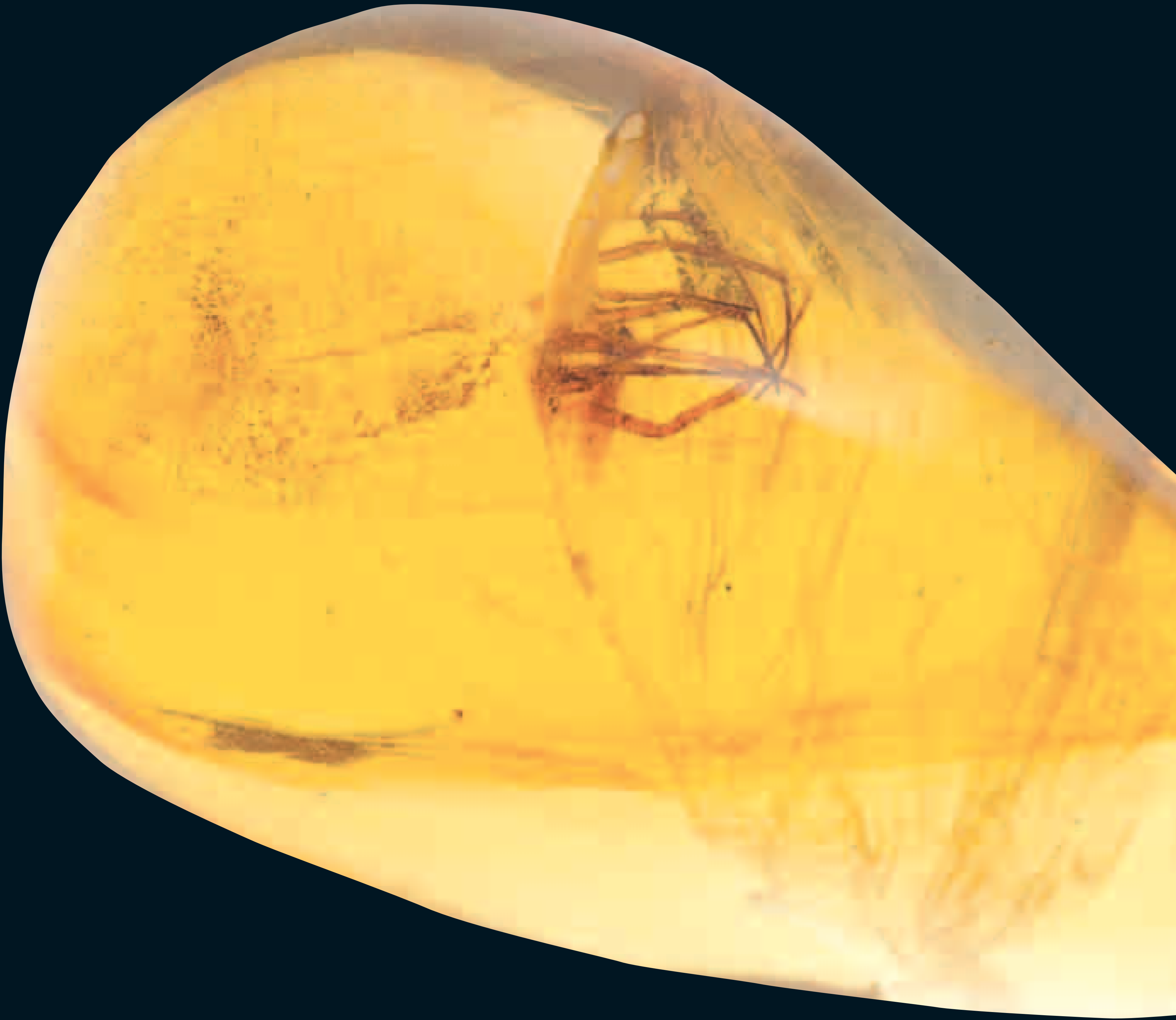


خُنْفُساء حدوة الفرس

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تكذِّب كافة سجلات الحفريات الدارونيين. فهم يزعمون أن الأنواع الحية قد تطورت تدريجيا عن بعضها البعض، في حين أن الحفريات تجزم بأن الكائنات الحية ظهرت فجأة وبنياتها التي لا يشوبها أي نقص أو عيب، وأنه لم يمسسها تغير طيلة وجودها. وهذا الوضع الذي يُعد دليلا دامغا على خَلْق الله، ليس في وسع التطوريين تفسيره. ومن النماذج التي يعجز التطوريون عن أن يجدوا لها تفسيراً، حفرية خنفساء حدوة الفرس هذه التي يبلغ عمرها 25 مليون سنة. إن خنافس حدوة هذه، لتتحدى نظرية التطور.





عنكبوت

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تتسم العناكب التي عاشت قبل ملايين السنين بكافة السمات نفسها التي تختص بها مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الحاضر. وتُعد حفرية العنكبوت التي بداخل شريحة العنبر، شاهد صدق على هذه الحقيقة.



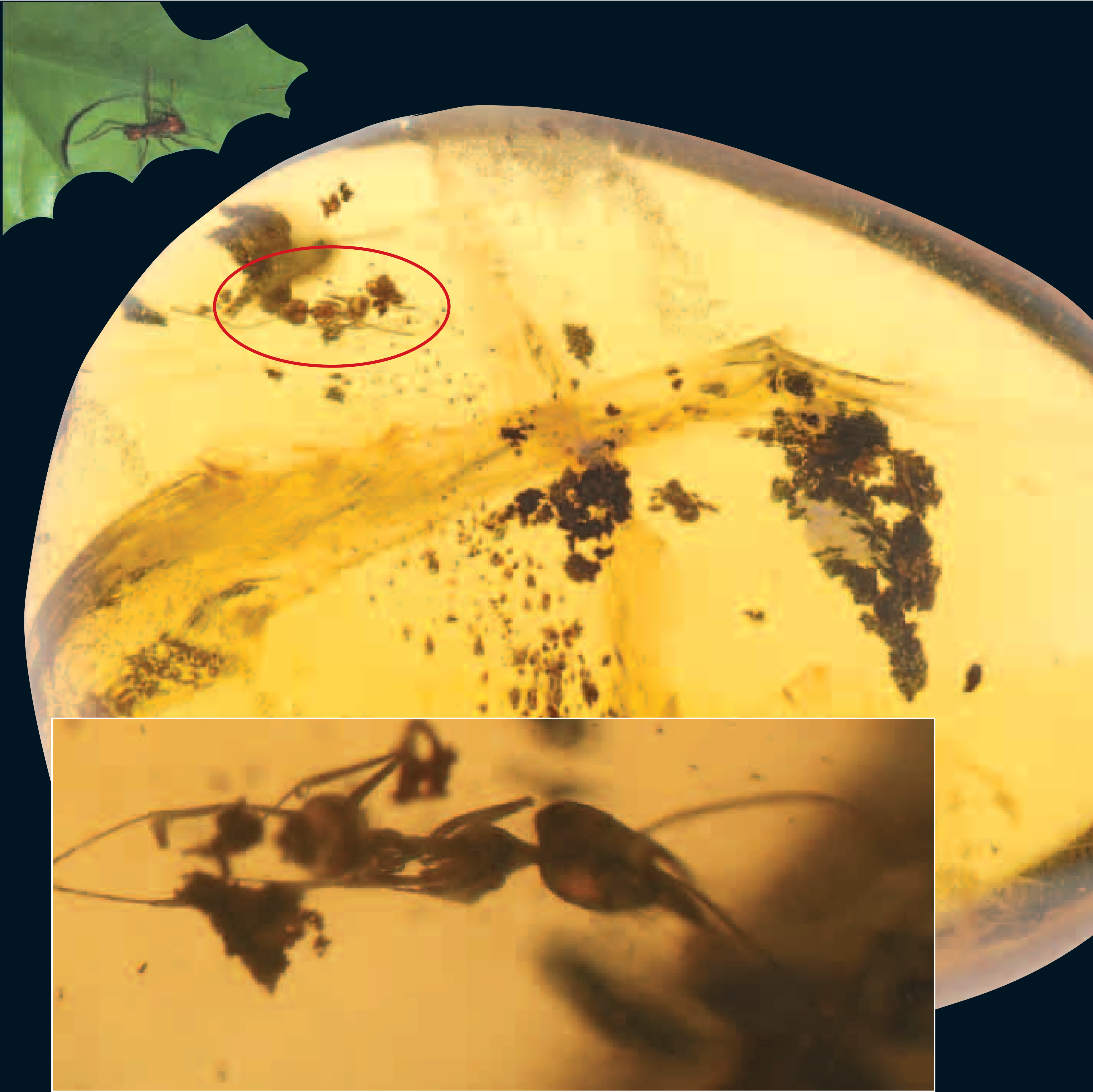
نملة مجنحة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

ما من أدنى تفاوت بين النمل المجنح الذي يبلغ من العمر 25 مليون سنة، وبين نماذجه التي تعيش في وقتنا الراهن. ويُعد النمل المجنح الذي لا يزال على هيئته نفسها رغم انقضاء ملايين السنين، دليلاً على أن النمل المجنح لم يتطور.



نملة شغَّالة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

يُعد النمل من أكثر الأنواع الحية على وجه الأرض كثافة لتجمعات أفراده. وتقطع سجلات الحفريات بأن النمل لا يزال على نفس الهوية التي وُجد عليها منذ ملايين السنين، لم يتغير، أي أنه لم يمر بعملية تطور. وتؤيد حفرية النملة الشغَّالة التي تظهر في الصورة، ويبلغ عمرها 25 مليون سنة، أيضا هذه الحقيقة.



أَرَضَة (نملة بيضاء) مجنحة

العصر : زمن السينوزوي، العصر ـــ الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

توجد حفرية الأرضة المجنحة داخل شريحة العنبر التي في الصورة والبالغ عمرها 25 مليون سنة. وتمتلك هذه الكائنات الحية منذ ملايين السنين الأنظمة ذاتها بلا عيب أو مثلبة، كذلك لم يطرأ أدنى تغير على بنياتها.


بعوضة الفُطْر سوداء الجناح




الحشرة ذات البيت الصغير

الحشرة ذات البيت الصغير، وثلاث بعوضات فُطْر سوداء الجناح

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

توجد حشرة ذات البيت الصغير وبعوض الفُطر داخل شريحة العنبر التي تبدو في الصورة. وتتابع هذه الكائنات الحية وجودها منذ ملايين السنين دون أن يحدث أي تغير في بنياتها. ويُعد انتفاء حدوث أي تغير في الكائنات التي نحن بصدد الحديث عنها، مؤشراً دالاً على أنها لم تمر بعملية تطور.

عنكبوت وشبكته

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

يبدو في الصورة نموذج لعنكبوت تحفَّر هو وشبكته داخل العنبر. ويماثل هذا العنكبوت وشبكته البالغ عمرهما 25 مليون سنة، تماماً العناكب التي تعيش في عصرنا الراهن وشباكها، وإن هذا التماثل ليدحض تماماً نظرية التطور.







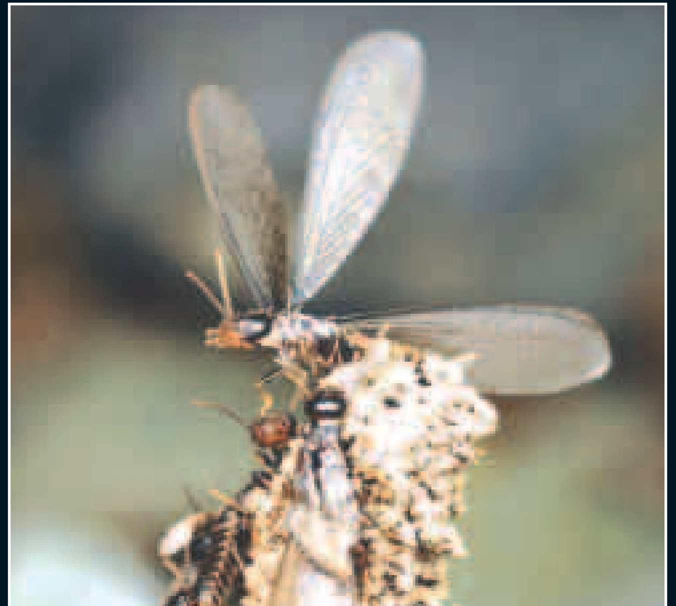
نوع من بَّق الفِراش

العصر : زمن السينوزوي ، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

إن حشرات بق الفراش التي تنتمي لجنس الحشرات نصفية الأجنحة (Hemiptera) الذي يضم ما يزيد عن 48 ألف نوع، تظهر فجأة في سجلات الحفريات. وتتابع وجودها منذ ملايين السنين دون أن يلحق بها أي تغير من أي نوع. وتكذّب الحشرات المنتمية للجنس المذكور أيضا، مثل كافة الأنواع الحشرية الأخرى، نظرية التطور.

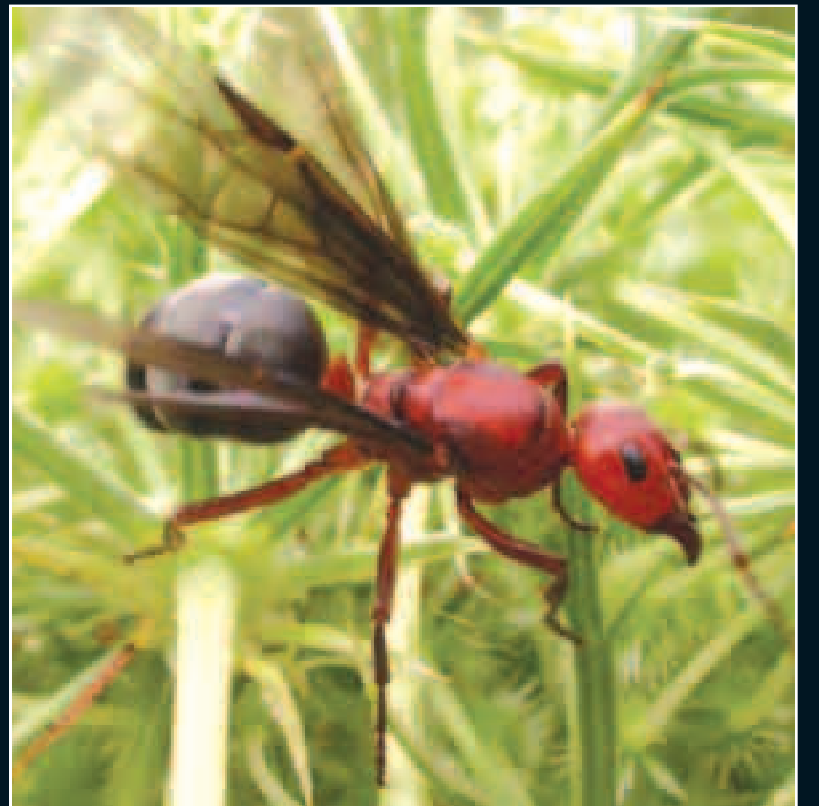


أَرَضَة مجنحة



العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

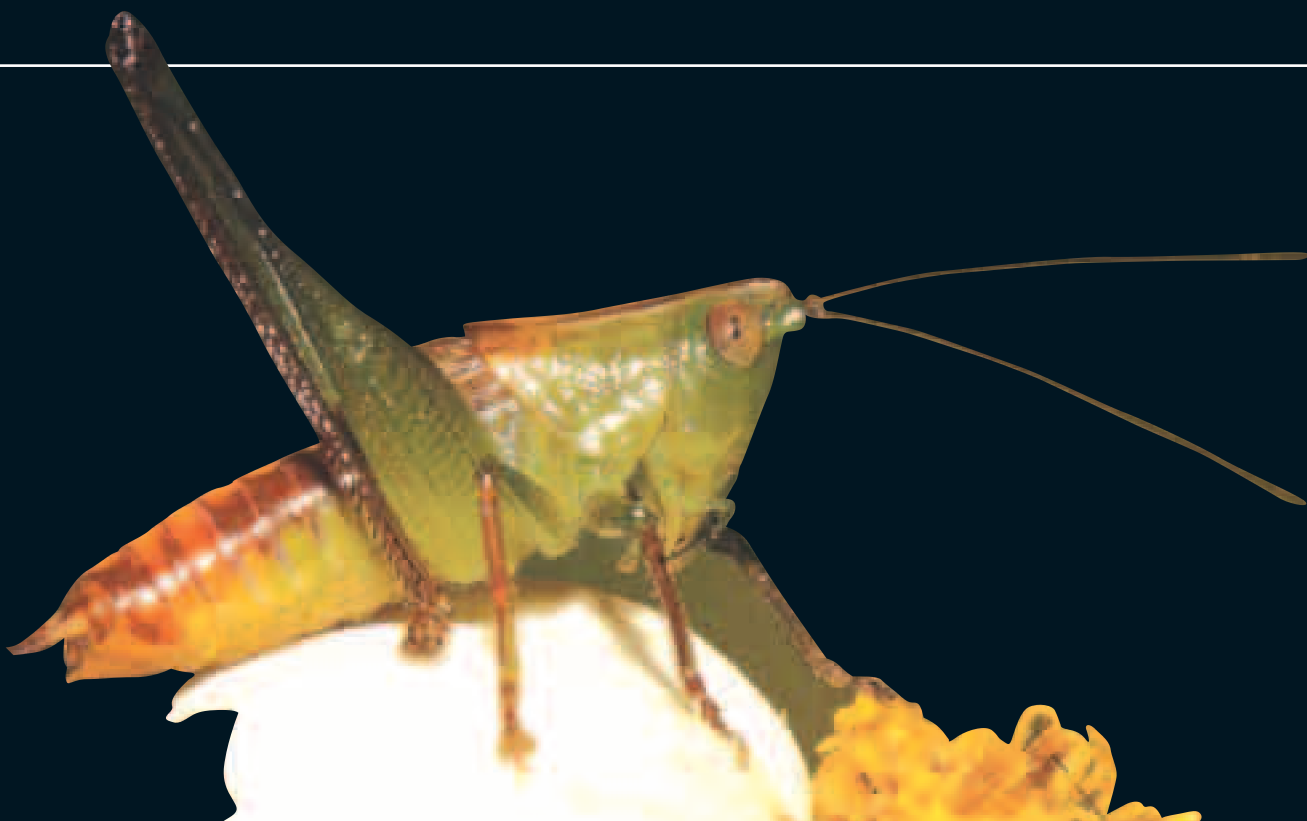
تشكل الأنواع الحشرية التي لم يلحق بها تغير قط منذ ملايين السنين، مأزقاً بالنسبة لنظرية التطور. وتُعد الأنواع الحشرية التي تطالعنا في الاكتشافات الحفرية بنفس بنياتها دوما، أدلةً تؤكد على أن الكائنات الحية لم تتطور. والحشرة والأرضة المجنحة الموجودتان داخل شريحة العنبر التي تبدو في الصورة، يبلغ عمرهما 25 مليون سنة. وما من أدنى تفاوت بين هاتين الحفريتين، وبين مثيلاتهما الموجودة في عصرنا الراهن.

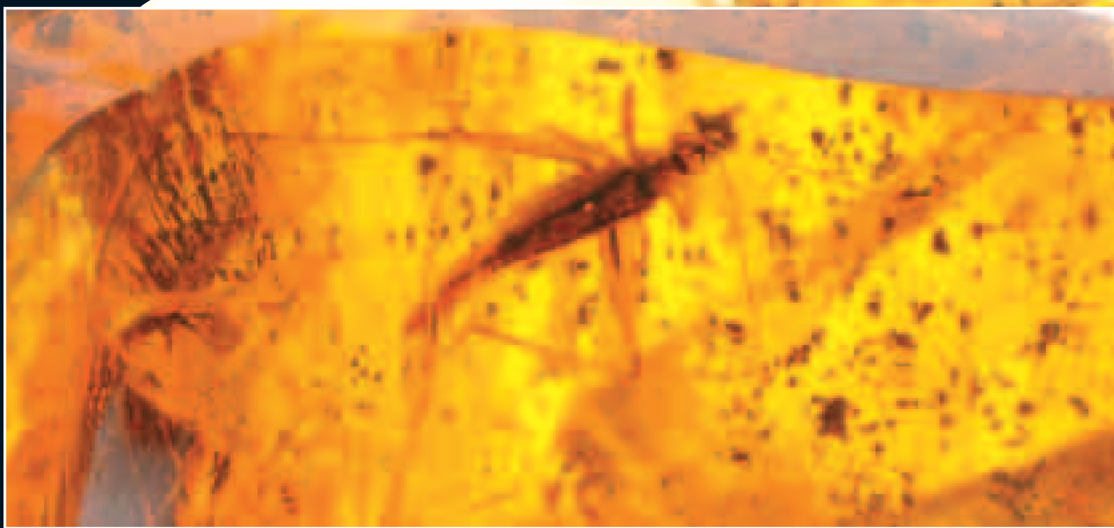


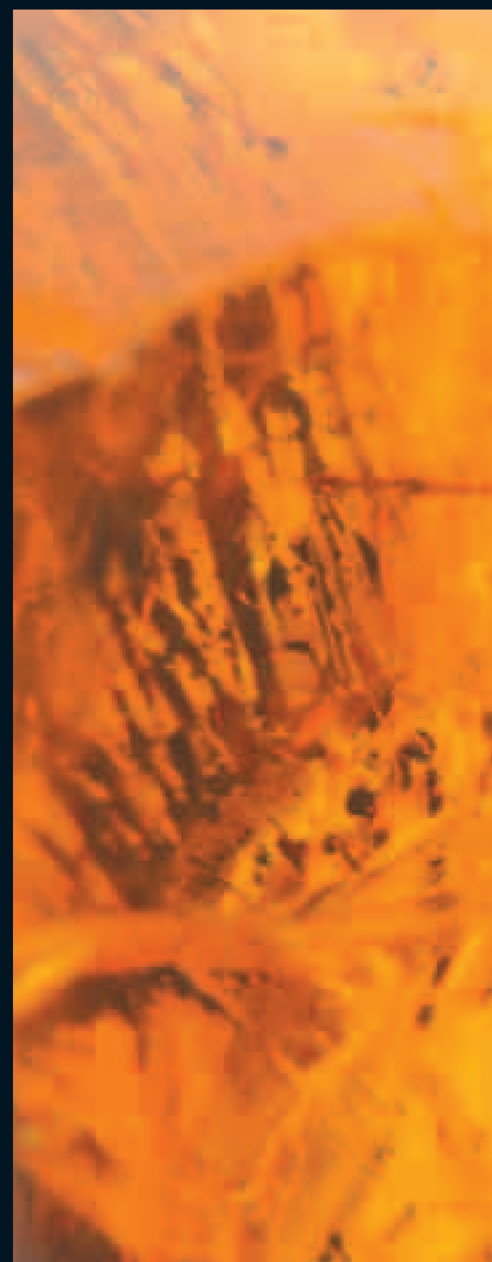
نملة مجنحة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

يُعد النمل المجنح الذي لا يزال على نفس هويته منذ 25 مليون سنة، من النماذج التي تثبت بطلان نظرية التطور. ولم يُدْل التطوريون بتفسير علمي متماسك قط إزاء هذه الكائنات الحية التي لم ينلها تغير منذ ملايين السنين.







جرادة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تطابق كافة نماذج الجراد الواردة في سجلات الحفريات، مثيلاتها التي تعيش في زمننا الحاضر. وإن عدم اختلاف الجراد الذي عاش قبل 25 مليون سنة عن نظيره الذي يعيش في عصرنا الراهن، ليثبت أن تطور الأنواع لم يحدث في أي زمن قط.

حشرة ثقّابة



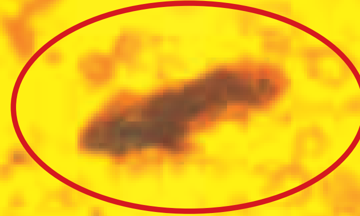
العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

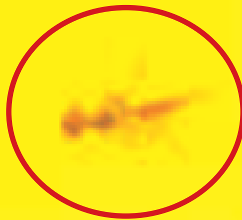
يعجز التطوريون عن العثور على حفرية واحدة تتعلق بمرور الحشرات بعملية تطور، هذا في حين أن هناك عشرات الآلاف من الحفريات التي تقيم الدليل على أن الحشرات لم تمر بأي سياق تطوري. وتبرهن هذه الحفريات على أن الحشرات أيضا مثل كافة الكائنات الحية الأخرى، ظهرت فجأة وبكافة السمات التي تتسم بها، وأنها لم تتعرض لأي تغير على مدى مئات الملايين من السنين. ومن بين الاكتشافات التي تدلل على هذه الحقيقة، حفرية الحشرة الثقابة التي تظهر في الصورة داخل شريحة العنبر التي يبلغ عمرها 25 مليون سنة.





نحلة برية



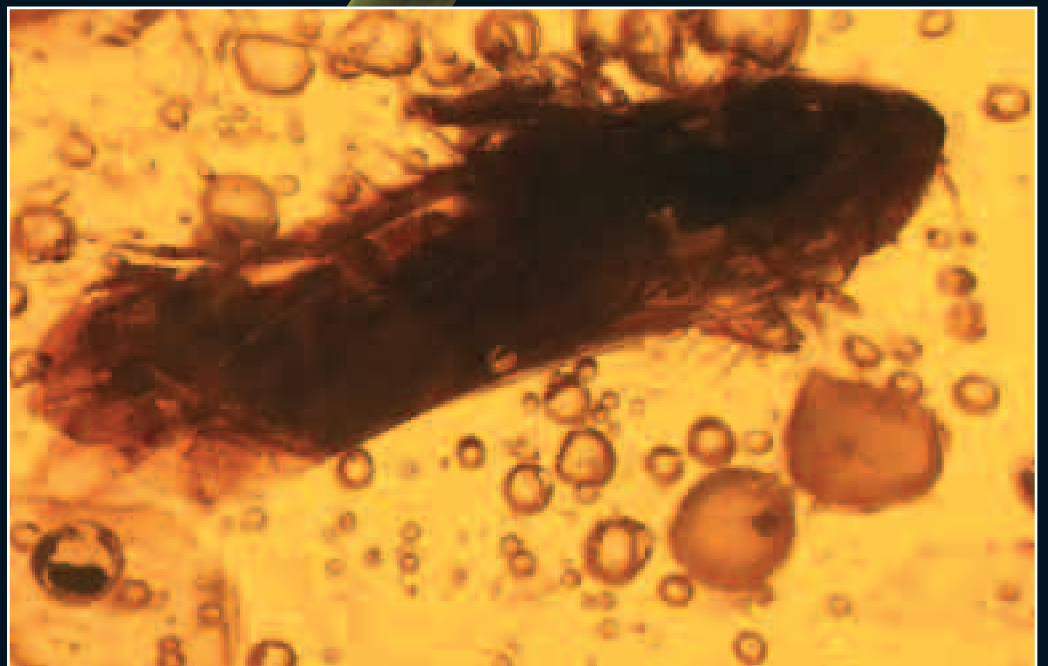


صرصور قزم

نحلة برية، وصرصور قِزم

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

يوجد داخل شريحة العنبر التي يبلغ عمرها 25 مليون سنة،حفرية لصرصور قزم سوياً مع نحلة برية. وينكر النحل البري والصراصير الأقزام التي لم تتعرض لأي تغير قط منذ ملايين السنين، نظرية التطور وترفضها.















نحلة برية طفيلية

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني .
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

لم يعتر التغير النحل البري الطفيلي طيلة ملايين السنين. أي أنه لم يمر في أي وقت قط بعملية تطور. وهذه حقيقة علمية تؤكدها سجلات الحفريات، وما من سبيل لإنكارها. ومن بين هذه النماذج التي تثبت هذه الحقيقة، حفرية النحلة البرية الطفيلية الموجودة داخل قطعة العنبر، والتي يبلغ عمرها 25 مليون سنة.

حشرة وثابة بالذّيل



نحلة برية صغيرة، وحشرة وثابة بالذّيل

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

لقد مُنيت نظرية التطور بهزيمة ساحقة إزاء الاكتشافات الحفرية. ومن بين النماذج الحفرية أيضا التي فضحت هزيمة هذه النظرية هو نحلة برية صغيرة وحشرة وثابة بالذيل، اللذان يظهران في الصورة ويبلغ عمرهما 25 مليون سنة. وتبرهن هذه الكائنات الحية التي لا تفترق قط عن نماذجها التي تعيش في عصرنا الراهن، على حقيقة الخَلْق وتثبتها.



نملة مجنحة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

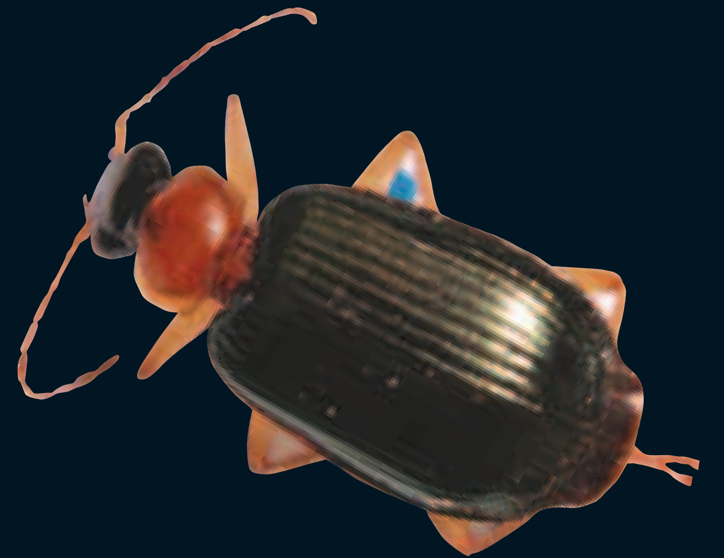
النمل الطيار هو النمل الذي يُرسل من المستعمرات من أجل تكاثر أنواع كثيرة من النمل. ويبلغ عمر النملة التي تبدو في الصورة متحفرة داخل العنبر، 25 مليون سنة. وما من فارق يفرقها قط عن مثيلها من النمل الطائر الذي يعيش في عصرنا الراهن.



حشرة الذيل المنتصب

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

حشرات الذيل المنتصب نوع من الحشرات ينتمي إلى طبقة الكولليمبولا (Collembola) التي تضم 18 عائلة و6500 نوع . وثمة حشرة صغيرة أخرى تحفرت إلى جوار حشرة الذيل المنتصب داخل العنبر. وتكّذب حشرات الذيل المنتصب التي ظلت على نفس ما كانت عليه منذ 25 مليون سنة لم تتغير، مزاعم التطوريين.




برغشة

النملة المجنحة



نملة مجنحة وذبابة العفص

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني ــ الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

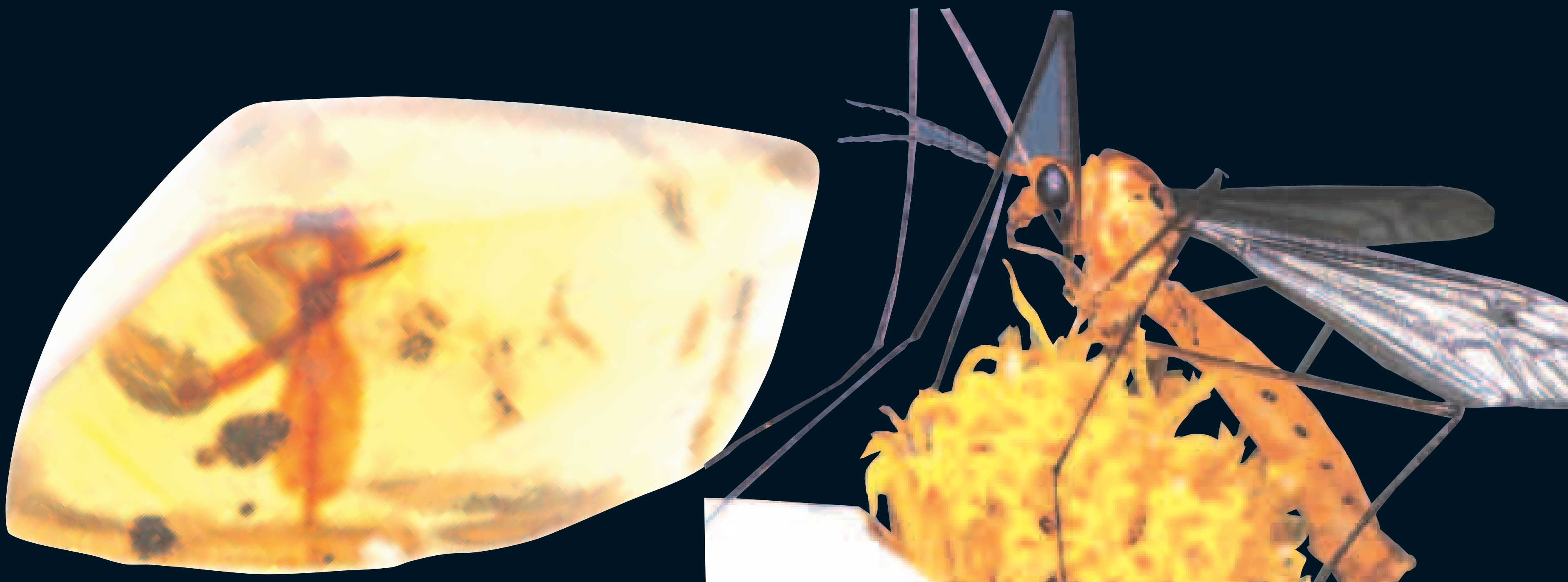
ذباب العفص هو نوع من الذباب أصغر حجماً من البعوض. وحفرية ذبابتي العفص الموجودتين داخل العنبر، يبلغ عمرها 25 مليون سنة. ويوجد كذلك مع ذبابتي العفص حفرية لنملة مجنحة. ويُعد ذباب العفص والنمل المجنح الذي ظل دون تغير منذ ملايين السنين، أحد الأدلة على أن تطور الأنواع الحية لم يحدث في أي وقت قط.

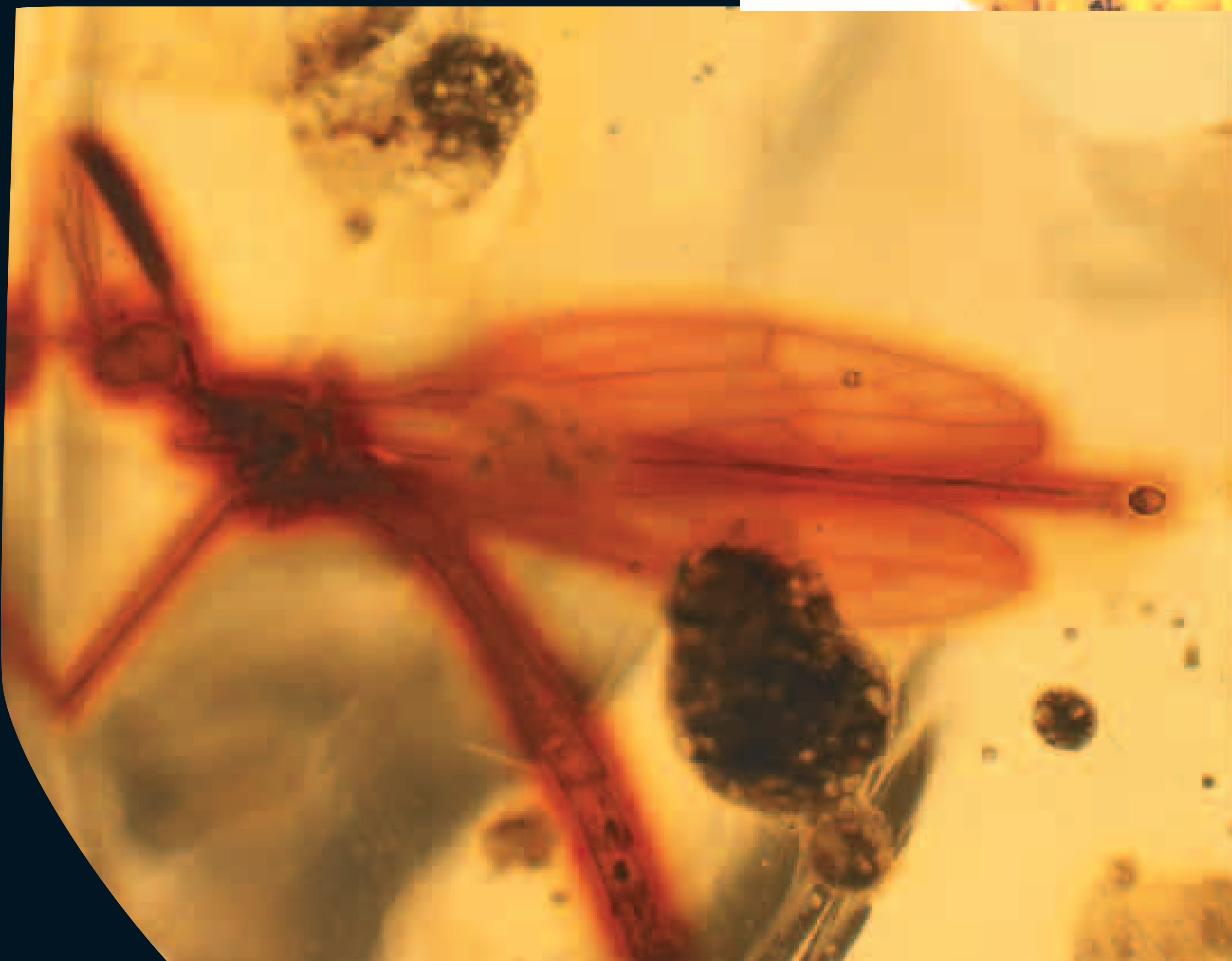


ذبابة حدباء

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

إن الذباب الأحدب الذي يشبه ذباب الفاكهة، هو نوع من الذباب ضئيل الحجم للغاية. وكافة نماذج الحفريات التي عُثر عليها تظهر بجلاء أن الذباب الأحدب وُجد دوما ولا يزال ذباباً أحدب. وحفرية الذبابة الحدباء الموجودة داخل شريحة العنبر التي يبلغ عمرها 25 مليون سنة، تؤيد بدورها هذه الحقيقة مجددا وتؤكدها.





شَبَثة (أبو شبث)

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني .

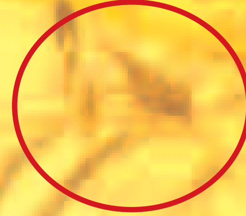
العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

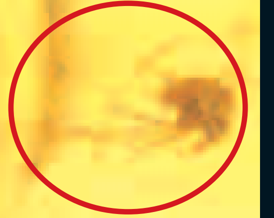
ما من تفاوت على الإطلاق بين الأشباث التي تعيش في عصرنا الحالي، وبين مثيلاتها التي عاشت قبل 25 مليون سنة. وتقيم الحفرية التي تبدو في الصورة داخل شريحة العنبر، هي الأخرى الدليل على هذه الحقيقة وتؤكدها.











بعوضة الفُطر سوداء الجناح

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني .

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

تبدو ثلاث ذبابات من ذباب العثة وبعوضة فطر سوداء الجناح، متحفرين جميعا في ذات اللحظة داخل العنبر. وتتحدى هذه الكائنات التي ظلت على ذات ما كانت عليه منذ 25 مليون سنة، لم تتغير، مزاعم التطوريين.

بعوضة القطر







بعوضة الهَمَجة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تبدو بعوضة الهمجة داخل العنبر، وما من فارق قط بين بعوض الهمجة الذي يعيش في عصرنا الراهن، وبين مثيله الذي عاش قبل ملايين السنين. ومن بين الشواهد على هذا التطابق أيضا، هذه الحفرية التي تبدو في الصورة والتي يبلغ عمرها 25 مليون سنة.

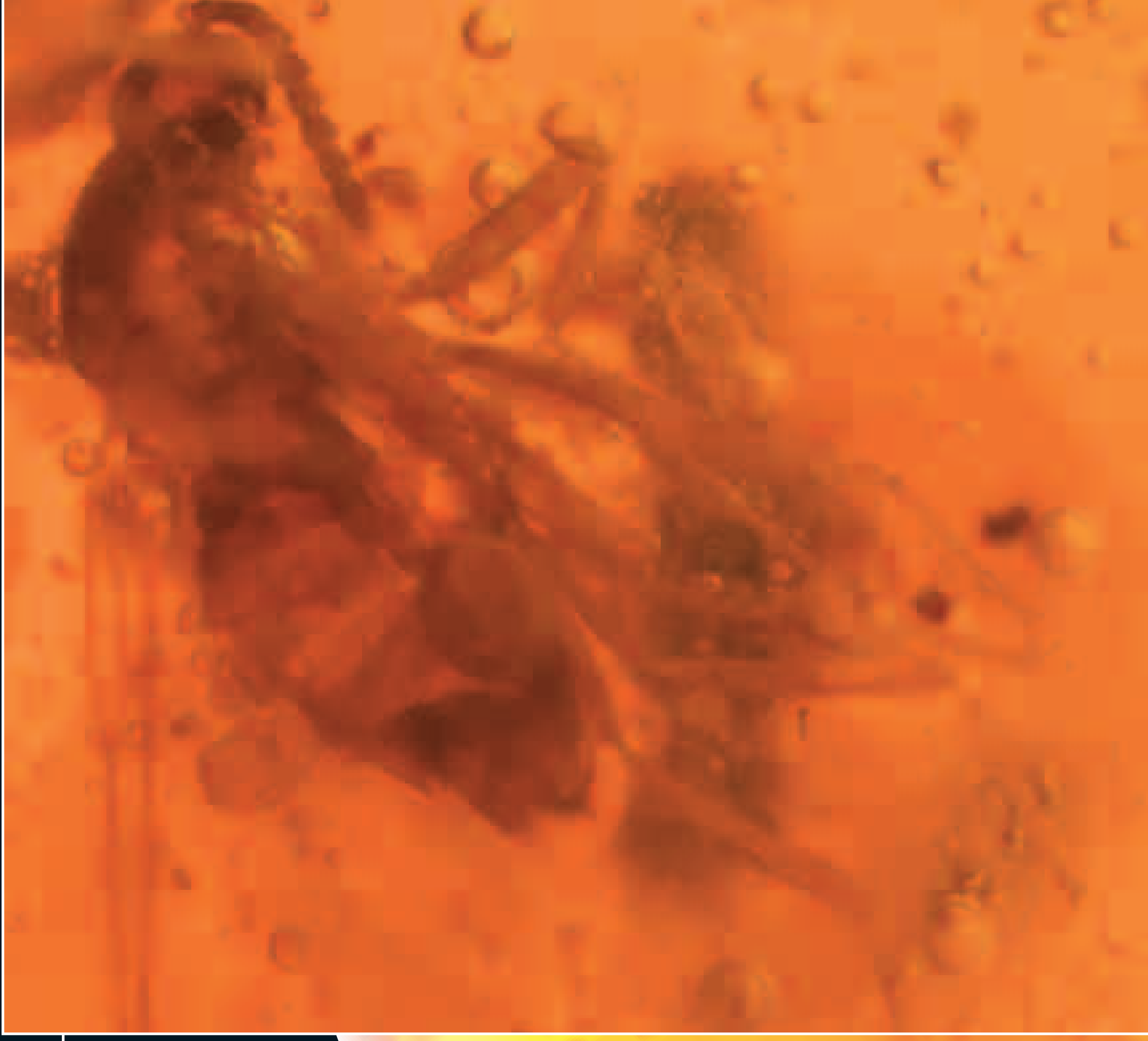


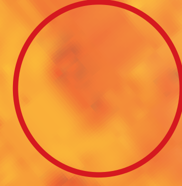


الحشرة الوثّابة بالذيل

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

ليس ثمة تفاوت قط بين الحشرات الوثابة بالذيل التي عاشت قبل 25 مليون سنة، وبين نماذجها التي تعيش في زمننا الحاضر.





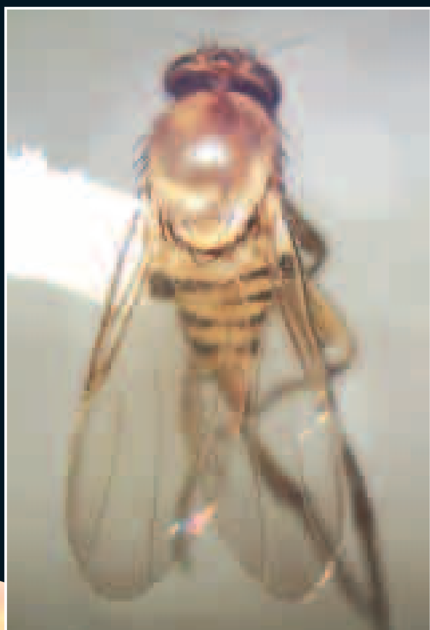
شبكة عنكبوت ،وذبابة طفيلية

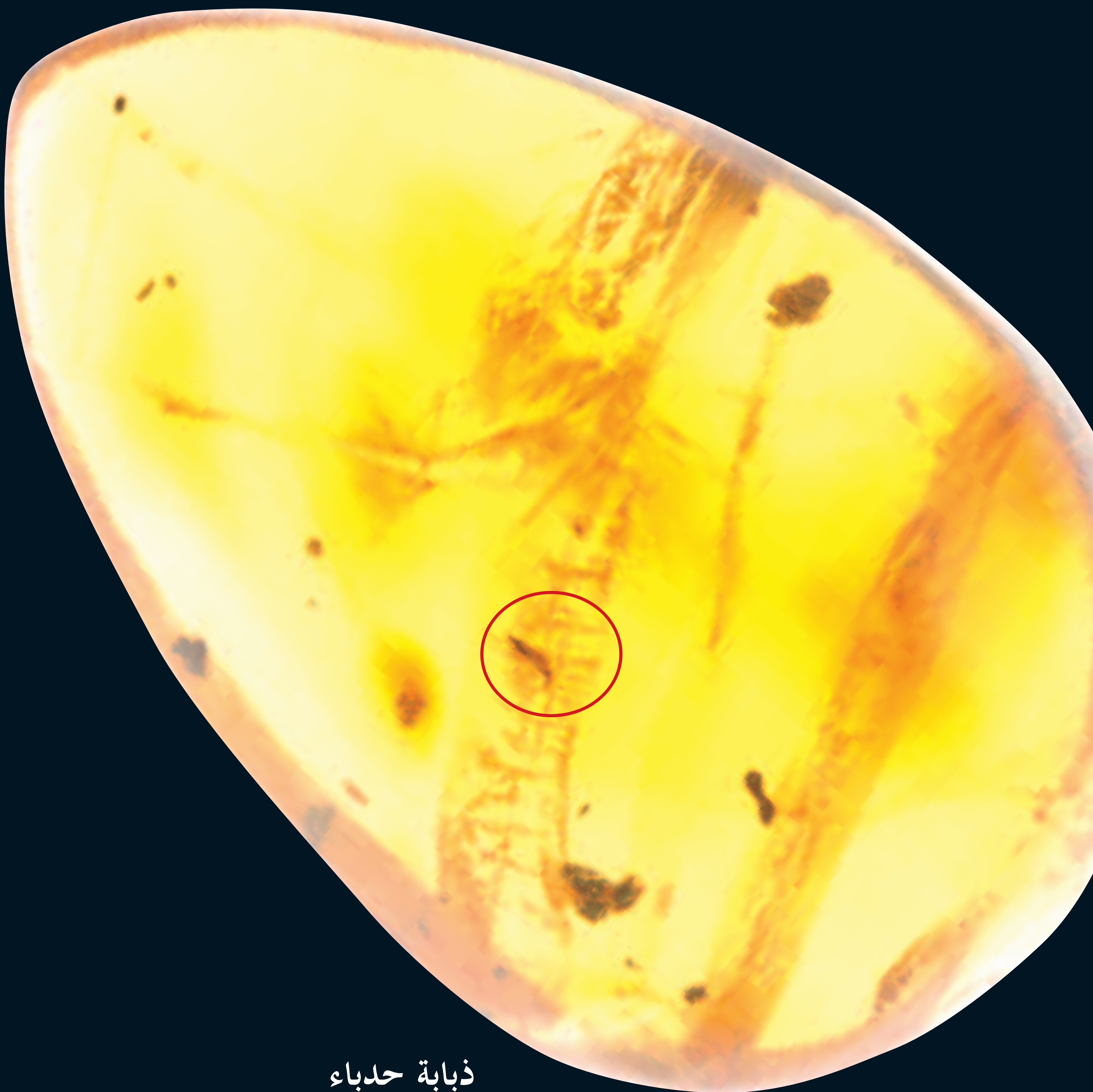
العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

من بين الاكتشافات التي تظهر بجلاء أن الحشرات لم تتعرض لأي تغير على مدى ملايين السنين، حفرية الذبابة الطفيلية التي يبلغ عمرها 25 مليون سنة التي تظهر في الصورة. وكان قد تحفر في اللحظة نفسها مع هذه الذبابة شبكة عنكبوت. ومثلما تتطابق العناكب التي كانت تعيش قبل ملايين السنين مع مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الحالي، فإن بنية شباكها كذلك واحدة.









ذبابة حدباء

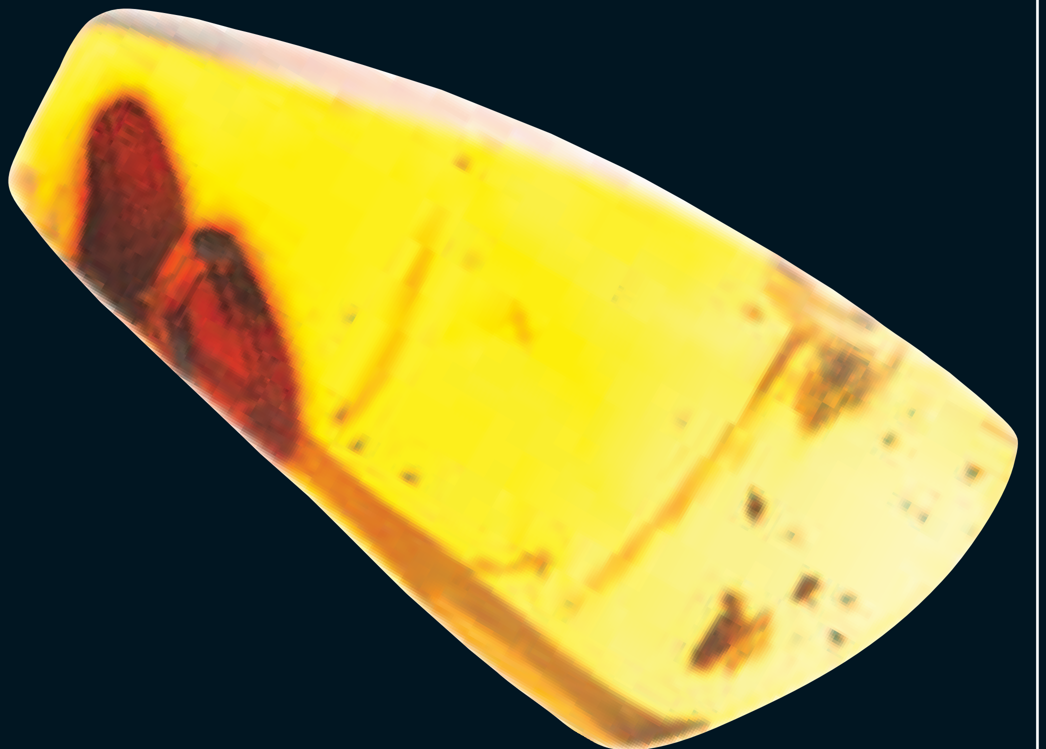
العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

مثلما وُجدت الأسماك والزواحف والطيور، ولم تزل على نفس ما وُجدت عليه، لم تتغير، فإن الحشرات هي الأخرى وُجدت ولم تزل على ما كانت عليه. وإن الذباب الأحدب الذي هو نفسه دونما اختلاف منذ 25 مليون سنة، ليشدد على هذه الحقيقة ويؤكدها.









يرقة الحشرة الوثَّابة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تختص يرقة الحشرات التي نحن بصدد الحديث عنها، مثل الحشرات النباتية، بنفس الخصائص منذ ملايين السنين. وتثبت العينة الحفرية التي تظهر في الصورة ويبلغ عمرها 25 مليون سنة، أن يرقات الحشرات التي تعيش في عصرنا، لا تختلف عن يرقات مثيلاتها التي عاشت في الماضي.

حشرة دَخَّال الأُذُن، ونملة شغَّالة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني .
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

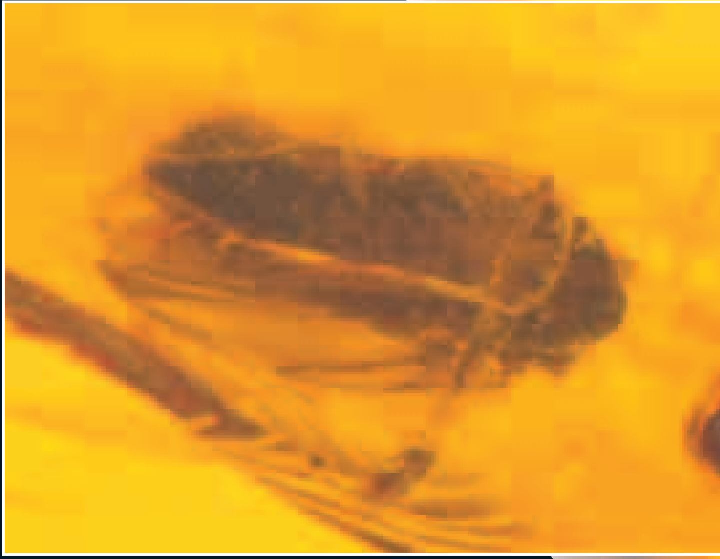
يوجد كذلك مع حشرة دخال الأذن داخل شريحة العنبر، نملة شغالة . ودَخَّال الأُذُن اسم يطلق عام يطلق على الحشرات التي تنتمي إلى طبقة متساويات الأجنحة(Dermaptera). وقد تم رصد نحو 1800 نوع ينحدر من 10 عائلات مختلفة. ولعل من أبرز السمات جذباً للانتباه في كافة النماذج الحفرية لهذا الكائن الحي، هو عدم حدوث أدنى تغير في بنيته، شأنه شأن الكائنات الحية الأخرى. وتُعد حشرات دخال الأذن التي ظلت على مر السنين دون أن يلحق بها تغير، دليلاً دامغاً على بطلان نظرية التطور.



نملة شغالة



حشرة دخال الأذن





ذبابة طفيلية

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

وُجدت كافة أنواع الذباب المعروفة حاملة لنفس الخصائص على مدار التاريخ، والحقيقة التي تجليها السجلات الحفرية هي أن الذباب ــ مثل كافة الأحياء الأخرى ــ من خَلْق الله.

ذبابة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

وُجد الذباب ولم يزل على نفس ما كان عليه، لم يتطور، ولم يتولد عن غيره من الكائنات الحية، أو يمر بطور فرعي. ومن بين الأدلة على هذه الحقيقة، حفرية الذبابة الموجودة داخل شريحة العنبر والبالغ عمرها 25 مليون سنة.







ذبابة العُثّة

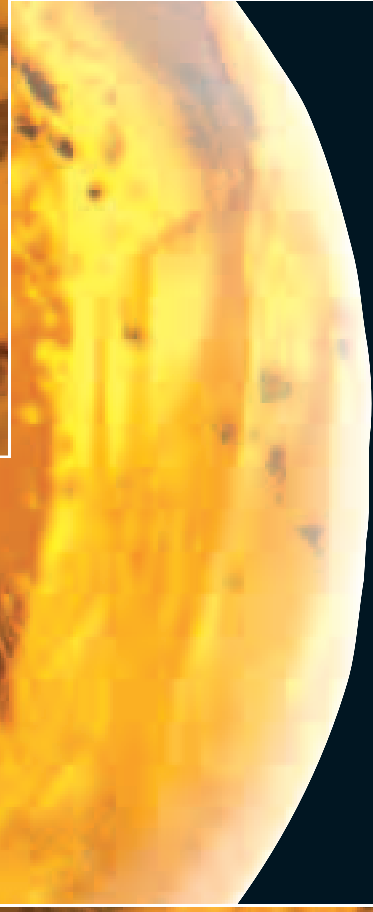
العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

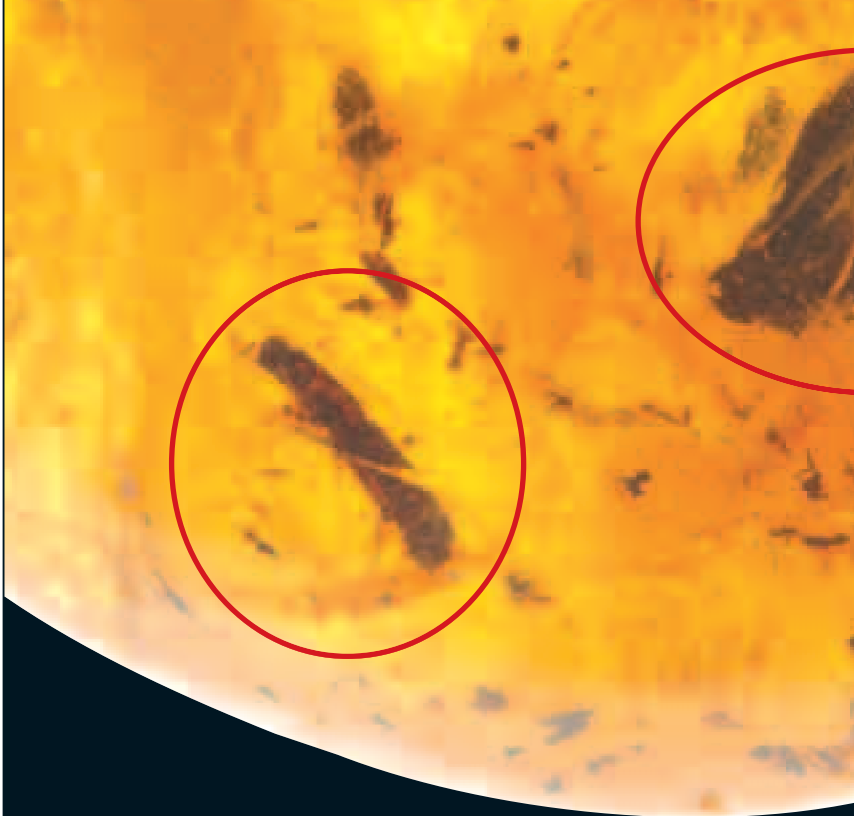
العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

إن الذباب الذي اتخذ هذا الاسم بسبب وجه الشبه القائم بينه وبين حشرات العثة في الشكل والهيئة، لم يعتره أي شكل من أشكال التغير منذ ملايين السنين. وتقيم حفرية ذبابة العثة الموجودة داخل شريحة العنبر، ويبلغ عمرها 25 مليون سنة، وهي من الشواهد على أن نماذج هذه الحشرات التي عاشت في الماضي، تطابق مثيلاتها الموجودة في عصرنا الراهن.









حشرة ذات خرطوم



حشرة ذات خرطوم، وحشرة ثقَّابة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

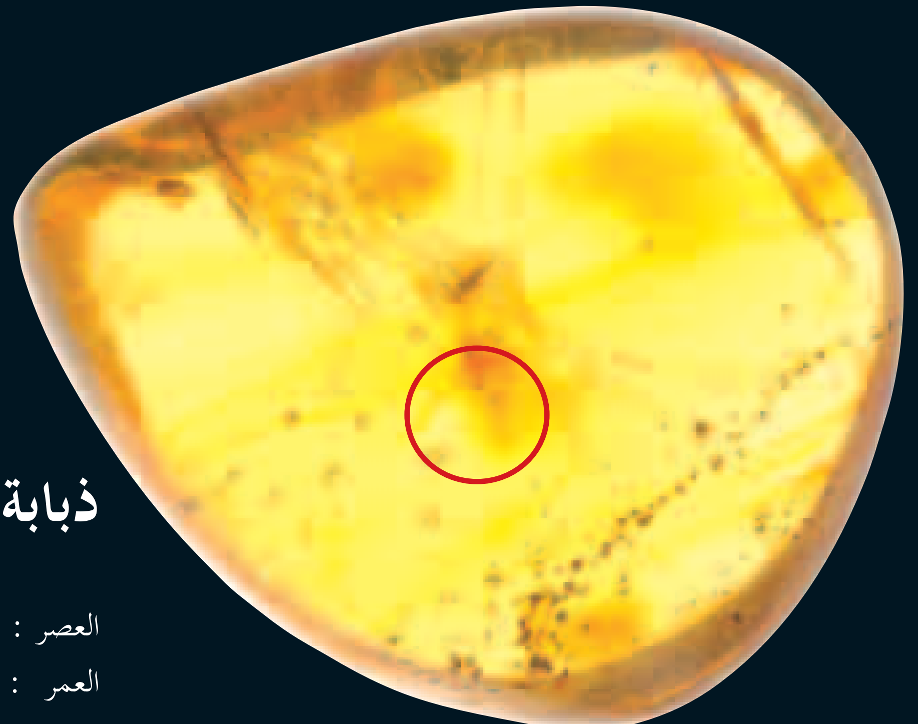
الموقع : جمهورية الدومينيك.

ليس ثمة تفاوت بين الحشرات ذات الخرطوم والحشرات الثقابة التي عاشت قبل 25 مليون سنة، وبين نماذجها التي تعيش في عصرنا الراهن، وعدم التفاوت هذا إنما هو مؤشر دال على أن تطور الأنواع لم يحدث في أي وقت قط.









ذبابة العَفَص

العصر : زمن السينوزوي ، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

يُعد ذباب العفص الذي ظل على نفس ما كان عليه منذ ملايين السنين، لم يتغير، دليلا على بطلان نظرية تطور الأنواع. أما حفرية ذبابة العفص الموجودة داخل شريحة العنبر والتي تبدو في الصورة، فيبلغ عمرها 25 مليون سنة.







جُدْجُد (صرّار الليل)، وحشرات من جنس الحشرات نصفية الأجنحة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني .

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

يظهر أيضا مع حشرة الجدجد الموجودة داخل شريحة العنبر التي في الصورة حشرات متنوعة من جنس الحشرات نصفية الأجنحة(Hemiptera)، ولا تختلف حشرات الجدجد التي عاشت قبل ملايين السنين، عن مثيلاتها تلك التي تعيش في زمننا الحاضر.



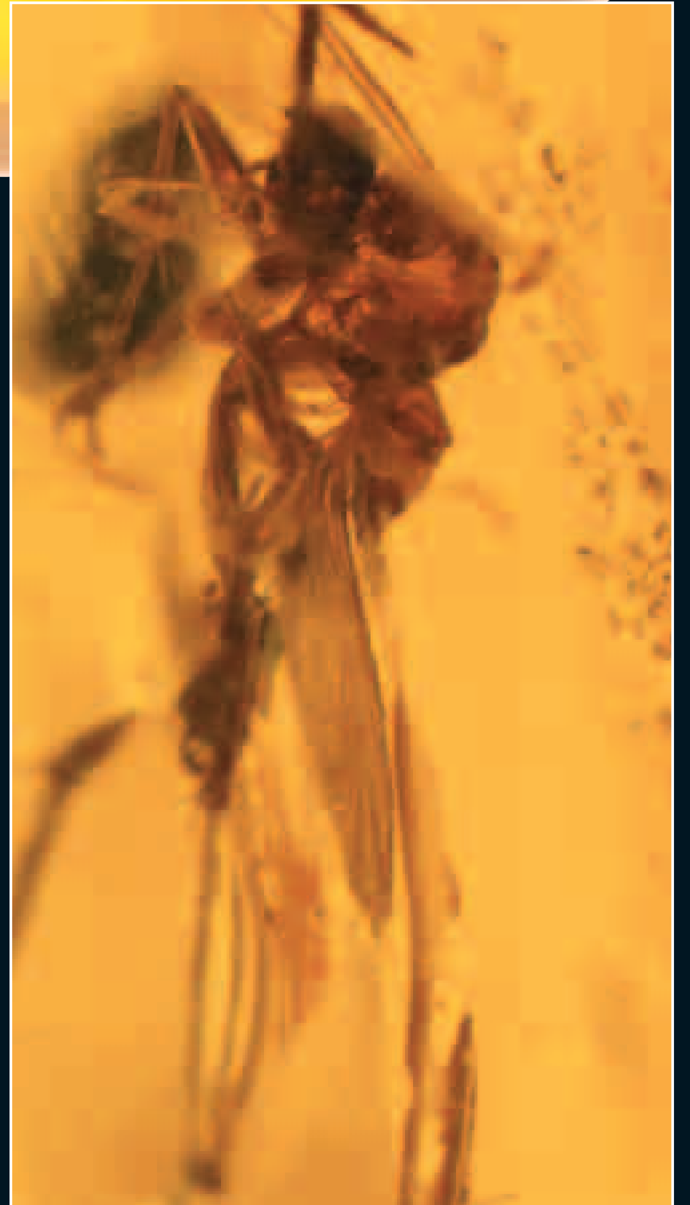


بعوض الفطر

بعوضة الفُطر

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تبدو في الصورة حفرية لبعوضة الفطر وهي داخل شريحة العنبر. ولا تزال هذه الأحياء على ذات ما كانت عليه، دون تغير منذ ملايين السنين. وعدم حدوث أي تغير قط طيلة ملايين السنين في بنيات هذه الكائنات الحية، هو وضع ليس بمقدور التطوريين تفسيره.













بعوضة الهمجة، وذبابة العَفَص

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

تُعد هذه الحشرات التي يبلغ عمرها 25 مليون سنة، والتي تطابق تماماً بعوض الهمج وذباب العفص الموجود في عصرنا الراهن، من بين الأدلة الدامغة على أن الكائنات الحية لم تمر بتطور.

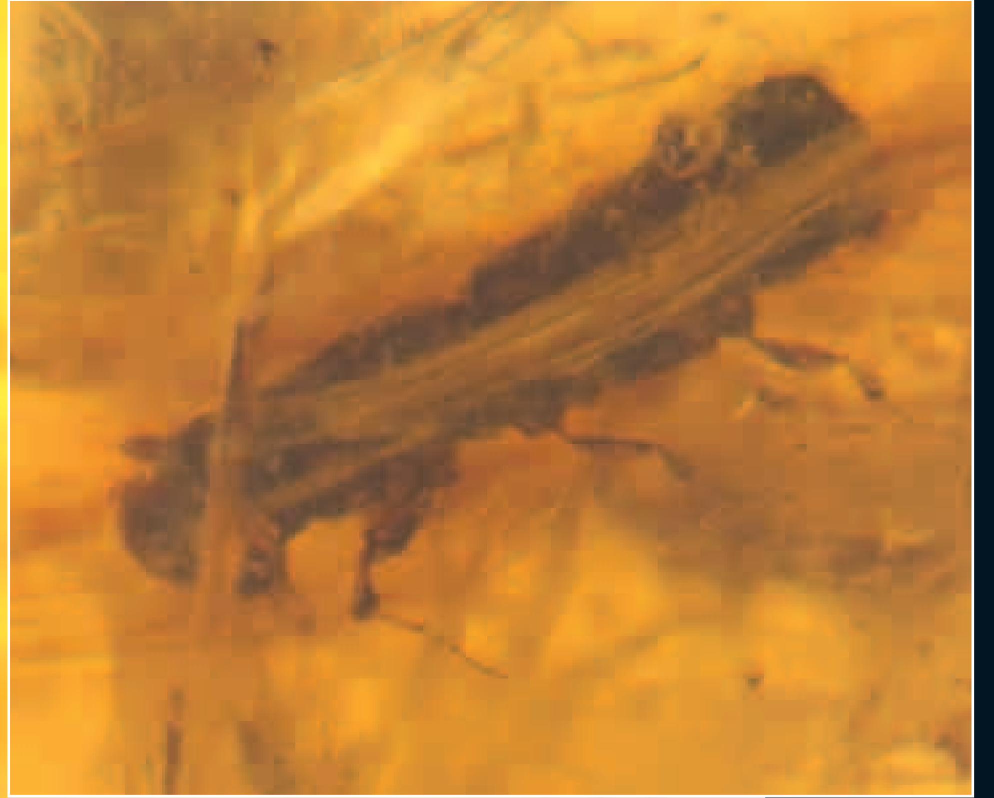




ذبابة طفيلية

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

إن الذبابة الطفيلية التي تبدو في الصورة وقد تحجّرت داخل العنبر، يقدر عمرها بـــ 25 مليون سنة. وإن الذباب الطفيلي الذي ظل محتفظا بنفس الهوية رغم ملايين السنين، ليفحم التطوريين ويسكتهم بالحجة.







حشرة ثقَّابة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

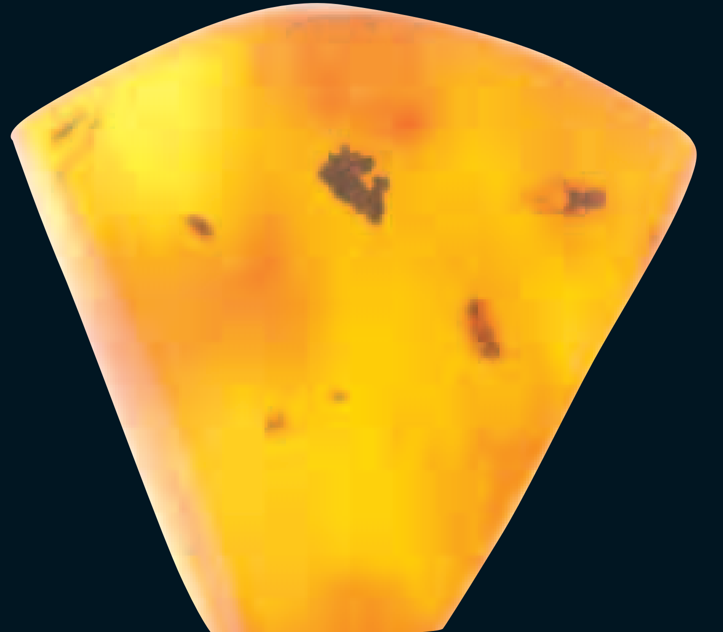
العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

إن ما للحشرات الثقابة التي تعيش في وقتنا الراهن من أنظمة وبنيات، إنما كان أيضا لمثيلاتها التي عاشت قبل ملايين السنين. وتماثل الحشرات الثقابة التي عاشت قبل 25 مليون سنة، مع نظيراتها الموجودة في عصرنا الحالي يثبت هذه الحقيقة ويؤيدها.







سوسة الشجر

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

ليس هناك أي تباين قط بين سوس الشجر الذي في عصرنا الراهن، وبين مثيله الذي عاش قبل 25 مليون سنة. وتهدم هذه الحشرات التي لم يعترها تغير طيلة 25 مليون سنة، مزاعم التطوريين وتقلبها رأساً على عقب.





بعوضة النافذة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

من بين النماذج التي تدحض مزاعم الداروينيين أيضا، حفرية لبعوضة النافذة التي تبدو في الصورة داخل العنبر ويبلغ عمرها 25 مليون سنة. وتُعد هذه البعوضة التي ظلت منذ ملايين السنين دون أن يمسسها تغير، دليلا على أن الكائنات الحية لم تنخرط في أي سياق تطوري.





سوس القمح

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

تنتمي حشرات سوس القمح إلى عائلة الكيركيليونيداي التي تضم ما يزيد عن 60 ألف نوع، وهي نوع حشري يلحق الضرر بالغلال. وتثبت حفريات سوس القمح التي يقدر عمرها بملايين السنين، أن الكائنات الحية منذ لحظة وجودها، لم يطرأ أي تغير على بنياتها ، ومن ثم فهي لم تمر بعملية تطور.





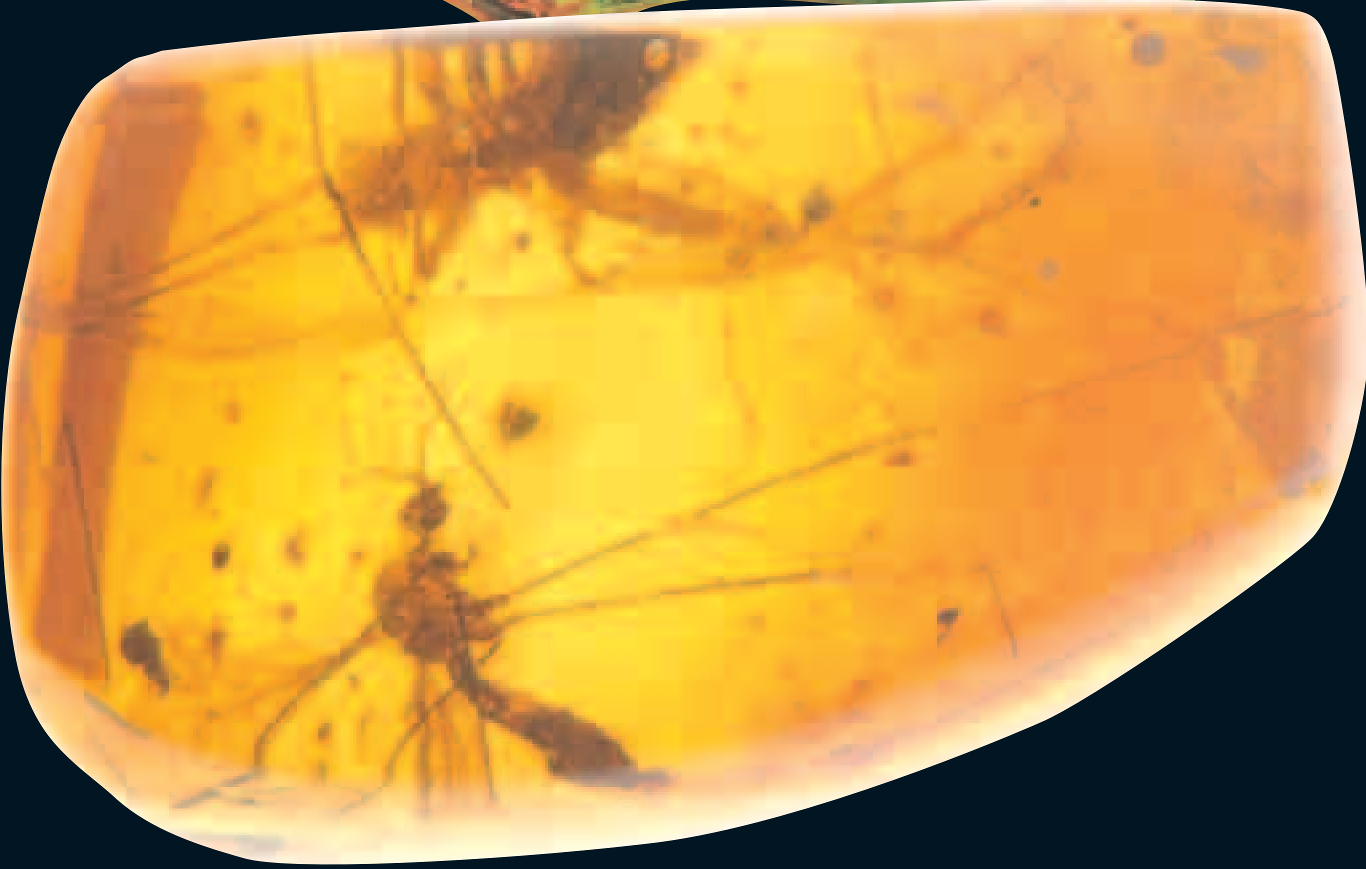
ذبابة مايو

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

لذبابة مايو ما يزيد عن 2500 نوع معروف. وقد احتفظ هذا الذباب، قصير العمر للغاية، على بنياته بحذافيرها منذ ملايين السنين. وذبابة مايو التي تبدو في الصورة داخل العنبر، يبلغ عمرها 25 مليون سنة. ويشهد هذا النوع من الذباب الذي ظل على نفس ما كان عليه منذ 25 مليون سنة، بأن الكائنات الحية لم تتطور عن بعضها البعض، وإنما هي خُلقت.



جد جد



جُدْجُد وشبثة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

لقد تحفر الجدجد سوياً مع الشبثة في ذات اللحظة. ومثلما يبدو، فإن هذه الكائنات الحية لم يعترها أي تغير منذ 25 مليون سنة، والحقيقة التي يؤكدها هذا، أن الكائنات الحية لم تتطور عن بعضها البعض، وإنما هي خُلقت.



شبثة







ذبابة العثة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

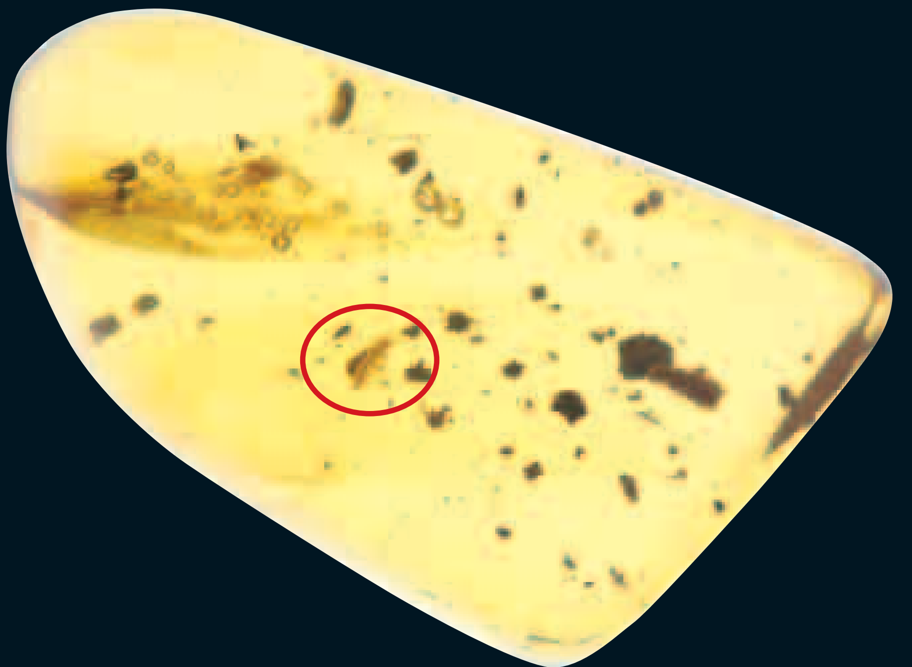
ليس هناك فارق قط بين ذباب العثة الذي يبلغ عمره 25 مليون سنة، وبين مثيله الذي يعيش في عصرنا الحاضر. والحفرية التي تبدو في الصورة هي أيضا، تبرز هذه الحقيقة وتجليها.



شرنقة حشرة المِسْبَحَة (حِمار قَبَّان)

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

اليرقة هي إحدى مراحل النمو التي تمر بها بعض أنواع الحشرات قبل البلوغ. وبعد مرحلة الشرنقة، تأتي مرحلة اليرقة. وكما أنه ليس هناك فارق بين حشرات المسبحة التي عاشت قبل 25 مليون سنة، وبين نظيراتها الموجودة في عصرنا الحالي، فإنه كذلك لا فرق بين شرنقاتها.











سوسة القمح

العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني ــ الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

يثبت سوس القمح الذي تابع وجوده منذ ملايين السنين دون أن يتغير، أن تطور الأنواع لم يحدث في أي وقت قط. ومن بين النماذج التي تبرز هذه الحقيقة وتؤكدها، حفرية سوسة القمح التي تبدو في الصورة، والتي يبلغ عمرها نحو 25 مليون سنة.





نملة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

يُعد النمل الذي تابع وجوده منذ ملايين السنين دون أن يمسه تغير، واحداً من الأدلة التي تثبت بطلان نظرية التطور.





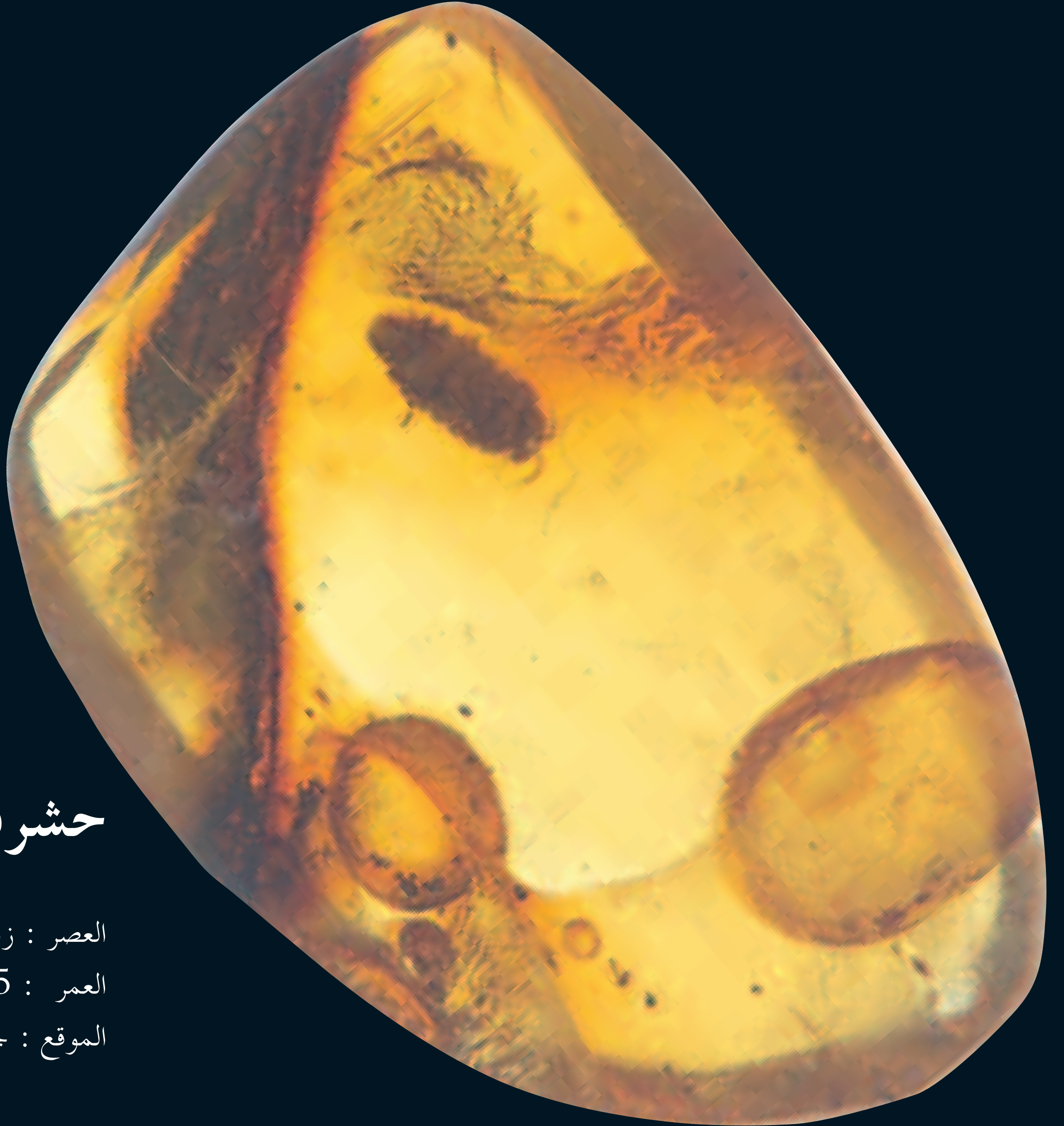
سوسة النبات الوثَّابة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

هذه الحشرات هي الأحياء التي تتغذى على عصارات النبات، وتتحرك واثبة، وهي لم تتعرض لأي تغير قط منذ ملايين السنين. ومن بين الشواهد الدالة على هذه الحقيقة حفرية يبلغ عمرها 25 مليون سنة موجودة داخل العنبر. وما من تفاوت قط بين الكائن الحي الذي في الحفرية، وبين نماذجه التي تعيش في عصرنا الحالي.







حشرة حِمار قَبّان

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تثبت حفرية حشرة حمار قبان التي بداخل العنبر والبالغ عمرها 25 مليون سنة، أن هذه الحشرات ظلت على ما كانت عليه منذ ملايين السنين، أي أنه لم يعترها التطور.





النملة النجار

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

هذا النوع من النمل لا يختلف عن نماذجه التي عاشت قبل ملايين السنين، عن مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الحاضر. ويدحض عدم الاختلاف هذا كافة مزاعم التطوريين بأن الكائنات الحية تطورت على مراحل متدرجة.



حشرة الذيل المنتصب



العصر : زمن السينوزوي، العصر الإيوسيني ــ الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

ليس ثمة تفاوت قط بين حشرات الذيل المنتصب التي عاشت قبل 25 مليون سنة، وبين نظيراتها الموجودة في زمننا الراهن. وتُعد هذه الحشرات التي ظلت كما كانت دون أدنى تغير منذ ملايين السنين، دليلاً على أن تطور الأنواع لم يحدث في أي وقت قط.







حشرة لحاء الشجر

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

تبدو في الحفرية حشرة لحاء الشجر وقد تحجّرت سوياً مع صغيرها الذي فوقها داخل العنبر. ولم تتغير حشرات لحاء الشجر هي الأخرى رغم مرور ملايين السنين عليها. وتدحض هذه الكائنات الحية التي ظلت هي نفسها منذ 25 مليون سنة، نظرية التطور وتثبت بطلانها.







أسد النمل

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

أسد النمل نوع من الحشرات المجنحة يشبه الرعاشات. ويبلغ عمر حفرية رأس أسد النمل التي تبدو في الصورة داخل العنبر، 25 مليون سنة. وهي لا تختلف قط عن نماذجها الموجودة في عصرنا الحالي.







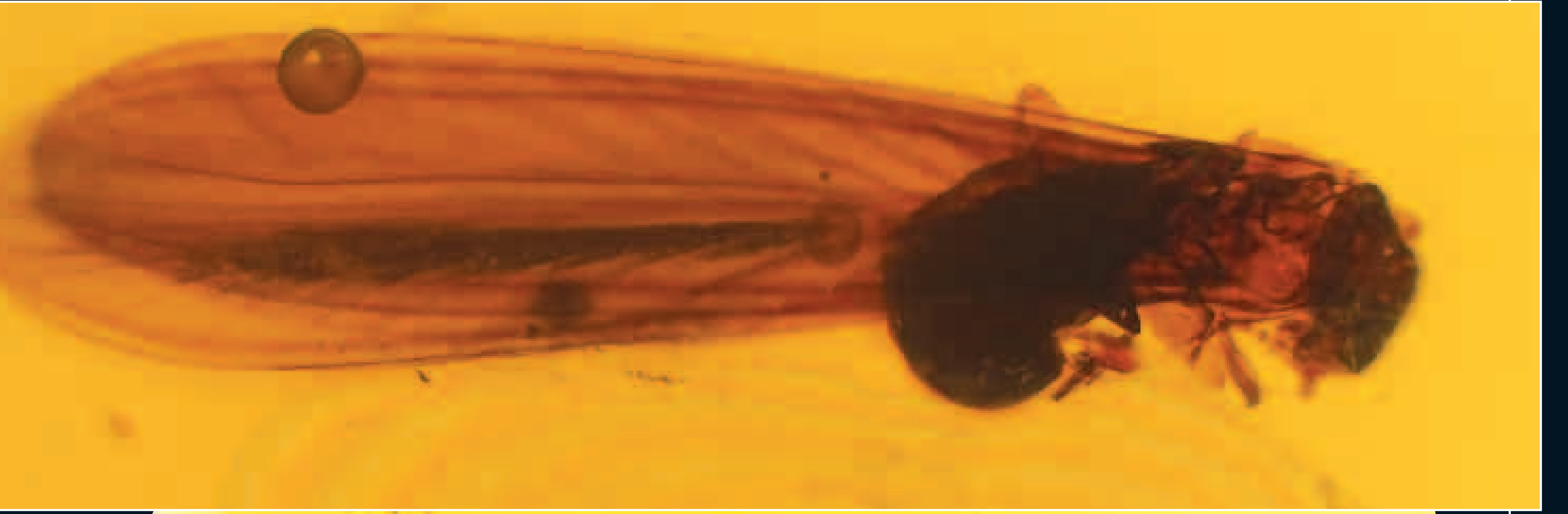
الحشرة القاتلة غِيلةً

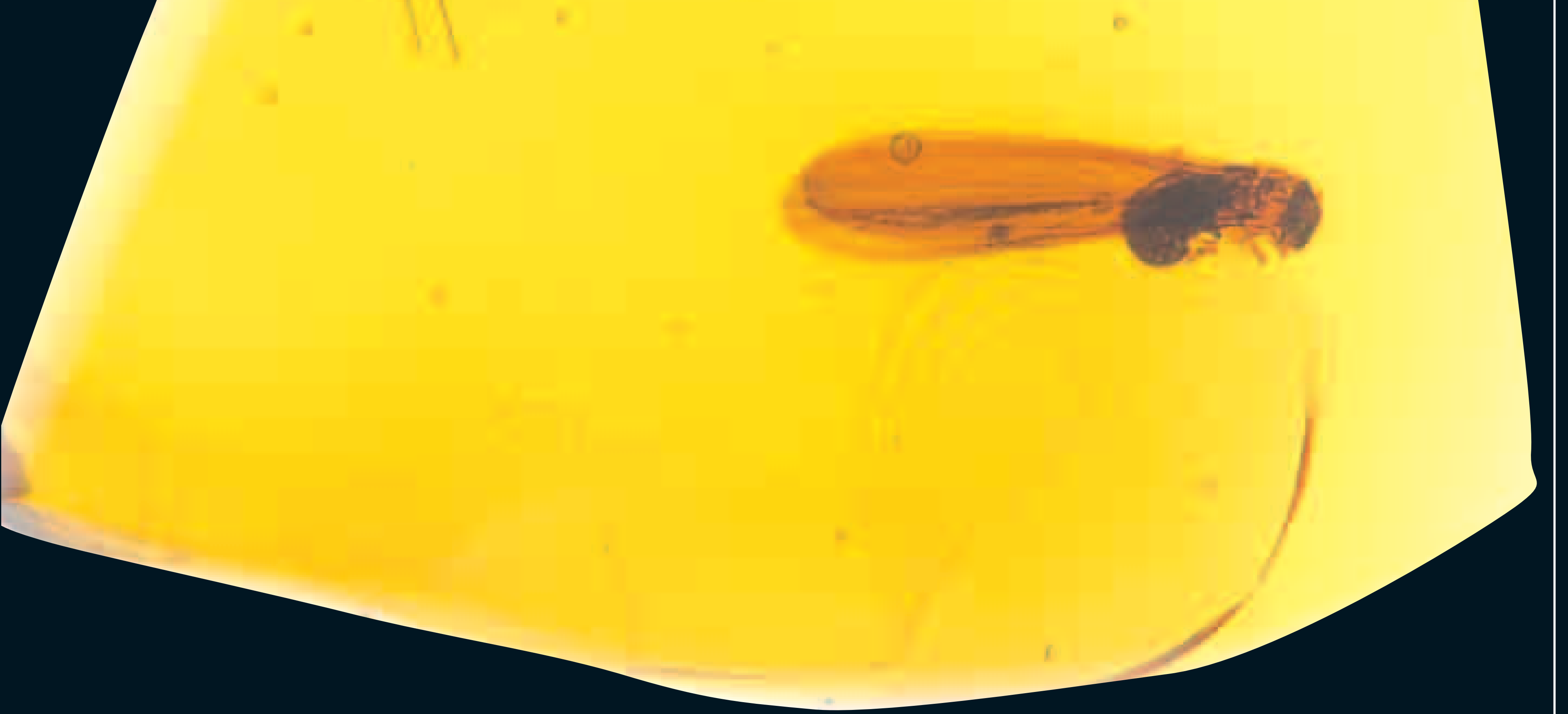
العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

وُجدت الحشرة القاتلة غيلة ـــ شأنها شأن كافة الأحياء الأخرى ـــ وتزال على ما كانت عليه، لم تتطور عن غيرها من الأحياء، ولم تمر بأي طور فرعي مثلما يزعم الداروينيون. وتقيم الحشرات القاتلة غيلة الشواهد على هذه الحقيقة وتثبتها.







أرضة مجنحة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : المنطقة الجبلية الواقعة بالقرب من سانتياجو، جمهورية الدومينيك.

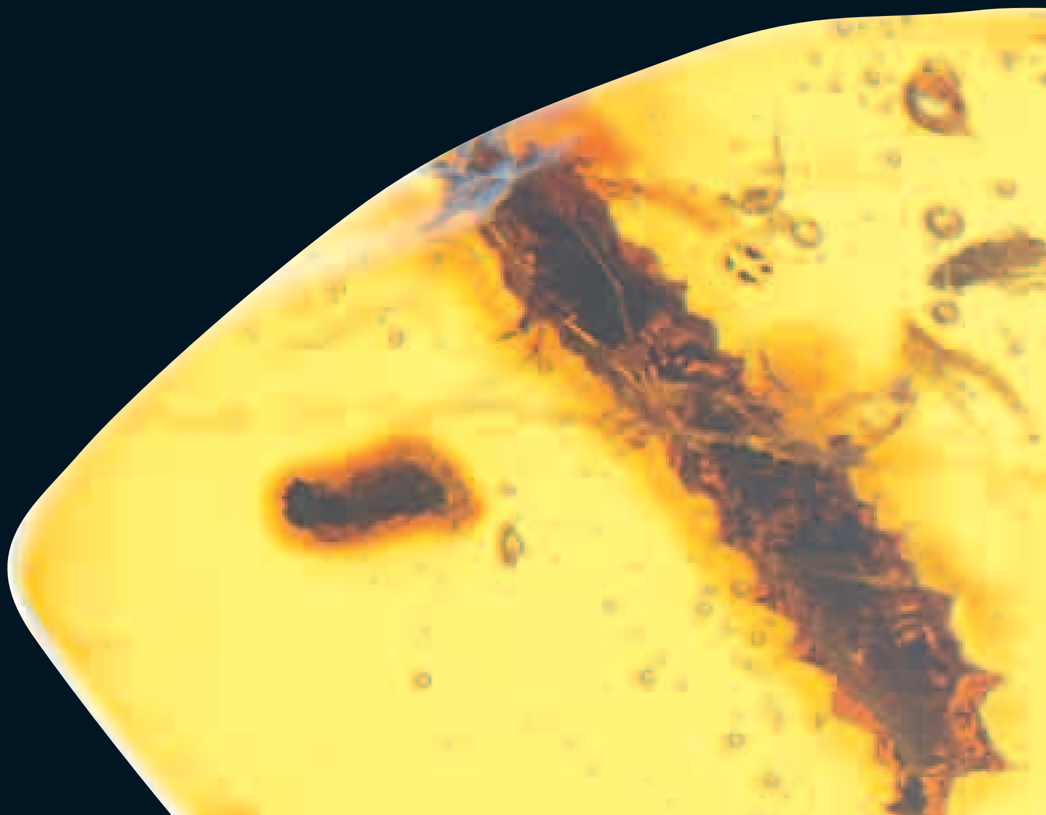
يبدو في داخل شريحة العنبر التي في الصورة أَرَضَة مجنحة يبلغ عمرها 25 مليون سنة. وتثبت هذه الأحياء التي حافظت على بنياتها دون تغير رغم مرور 25 مليون سنة عليها، أن نظرية التطور محض كذب وافتراء، وأن خَلْق الله الفائق حقيقة شديدة الوضوح.



طُرْطُر (يَسروع)

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تثبت العنابر أيضاــ مثل الحفريات الأخرى ــ أن الكائنات الحية لم تنجم وتتولد عن بعضها العض عبر مراحل، وأن كافة الأحياء تحوز نفس السمات منذ لحظة ظهورها. والحقيقة التي تبرزها الحفريات هي أن حشرات الطُرْطُر أيضا، وُجدت دوماً ولا تزال على نفس ما وجدت عليه، دون أن تمر بأيّ عملية تطور.







بعوضة العفص

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

هذه الحفرية تبين أنه لم يحدث أي تغير في بنيات هذه الكائنات الحية، وفي الوقت نفسه تكذب مزاعم نظرية التطور.

بنتُ وَردان (صرصور الحمام)

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تثبت الاكتشافات الحفرية أن حشرات بنات وردان (صراصير الحمام) لم يمسسها تغير منذ مئات الملايين من السنين. وما تعنيه هذه المعلومة هو أن هذه الحشرات لم تتطور عن غيرها من الكائنات، وإنما هي خُلقت.









الذبابة الراقصة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

من بين الأدلة التي تثبت أن الذبابة الراقصة وُجدت وظلت دوماً على ما هي عليه، هذه الحفرية البالغ عمرها 25 مليون سنة. وليس ثمة تفاوت قط بين الذباب الراقص الذي عاش قبل ملايين السنين، وبين مثيله الموجود في وقتنا الراهن.

بعوضة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

ومن بين عشرات الآلاف من الحفريات التي تثبت أن الذباب وُجد دوما وظل كما هو دون تغير، الحفرية التي تبدو في الصورة والتي يبلغ عمرها 25 مليون سنة. وتقيم هذه الحفريات التي ظلت نفسها منذ ملايين السنين، الحجة على أن مزاعم الداروniين إنما يجانبها الصواب.



بعوضة

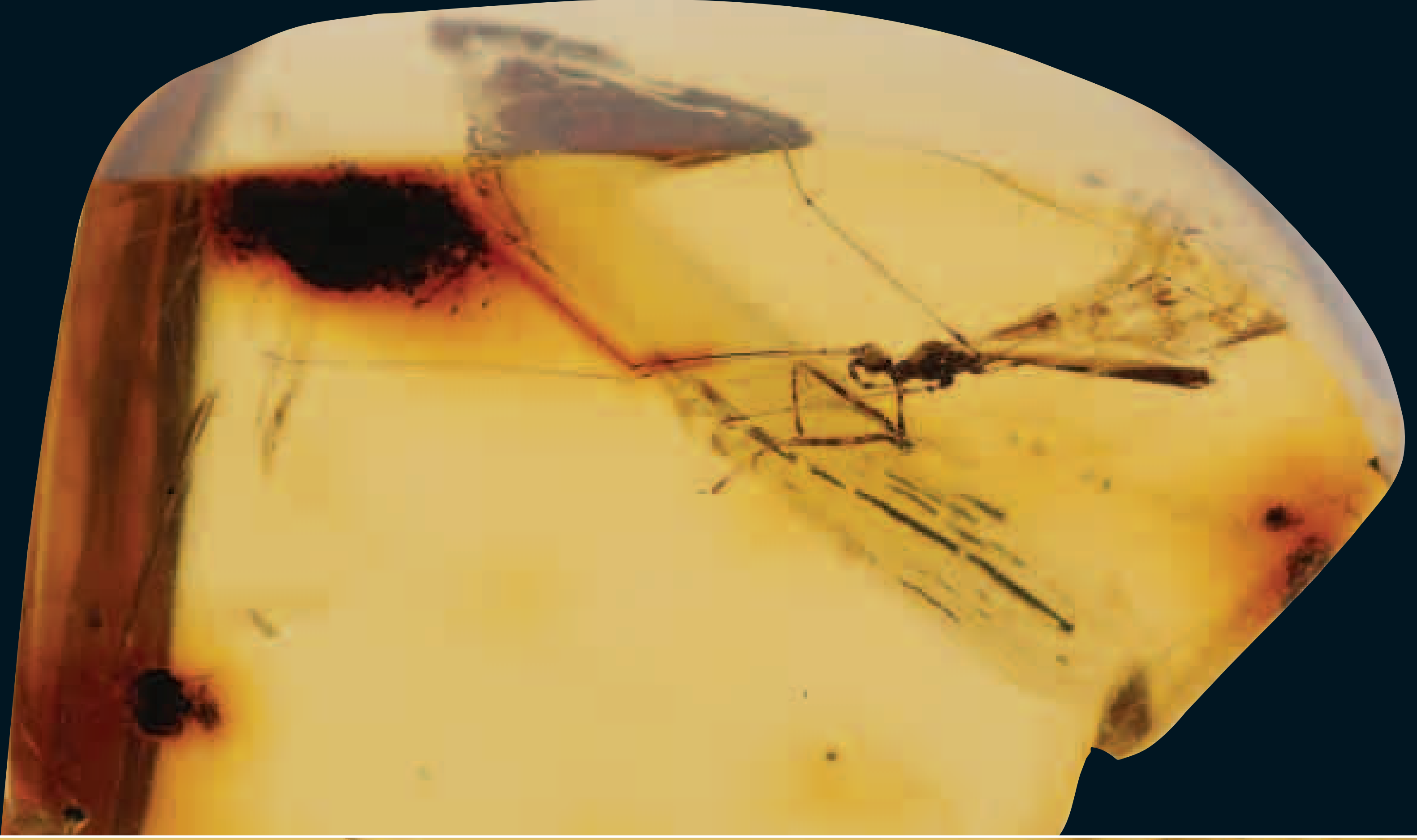




نحلة برية

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تظهر داخل شريحة العنبر هذه نحلة متحجرة. وهذه الأحياء التي يبلغ عمرها 25 مليون سنة، يُعد كلاً منهما نموذجاً مهما يدحض مزاعم التطور ويؤكد تهافتها.





الحشرة القاتلة غيلةً

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.

العمر : 25 مليون سنة.

الموقع : جمهورية الدومينيك.

يقدر عمر حفرية الحشرة القاتلة غيلة التي تبدو في الصورة داخل العنبر بـ 25 مليون سنة. وتشهد هذه الحفرية التي لا تختلف أدنى اختلاف عن مثيلاتها التي في زمننا الراهن، بأن الكائنات الحية لم تمر بأي عملية تطور.



الحشرة القاتلة غيلةً وهي تصطاد









نحلة برية طفيلية

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

يبلغ عمر النحلة البرية الموجودة داخل العنبر 25 مليون سنة، وهي لا تختلف أدنى اختلاف عن مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الحالي. ويُعد هذا الوضع أحد الشواهد الهامة على بطلان نظرية التطور.



حشرة دخَّال الأذن

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

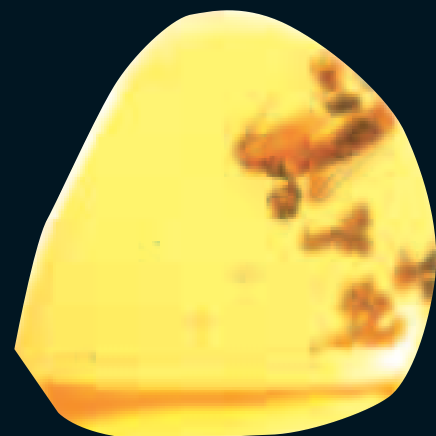
إن ملايين الحفريات لتفحم الدارونيين بكل ما تحمله الكلمة من معان. ومن بين هذه الحفريات التي تضع هؤلاء في موقف العاجز، حفرية حشرة دخال الأذن التي تبدو في الصورة داخل شريحة عنبر يبلغ عمرها 25 مليون سنة. وتثبت هذه الحفرية أيضاـــ شأنها شأن كافة الاكتشافات الحفرية الأخرى ـــ بطلان نظرية التطور.





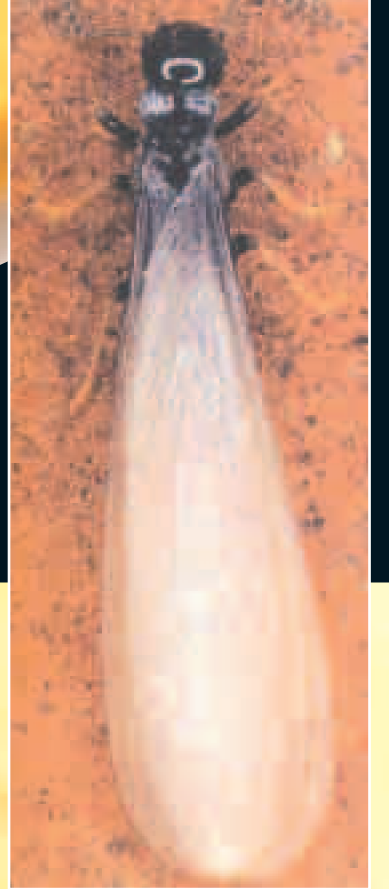


حشرة الزهر



العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

يعيش هذا النوع من الحشرات في الغالب فوق الزهر أو في الأجزاء السفلية من أوراق الشجر، ويضع بيضه داخل النسيج النباتي للزهر. وليس ثمة اختلاف قط بين حشرات الزهر التي عاشت قبل ملايين السنين، وبين نماذجها الموجودة في عصرنا الراهن.





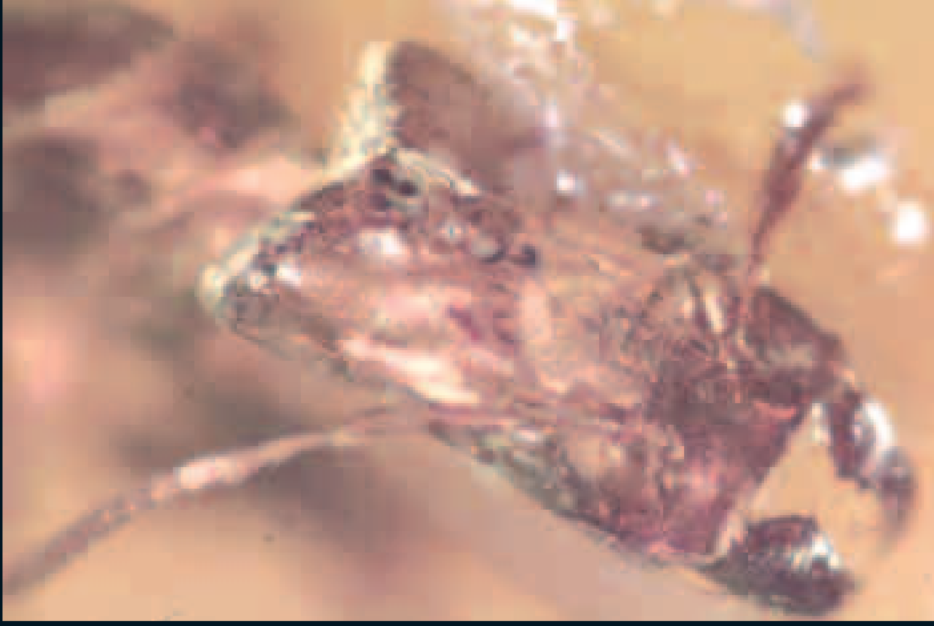
أرضة مجنحة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

حتى وإن كانت هناك كائنات حية تشبه الأَرَض، فإنها في الأصل تحوز سمات وقدرات شديدة التباين. والأَرَض كائنات حية عاشت في مستعمرات منذ ملايين السنين، ووصلت إلى وقتنا الراهن دون أن يحدث أي تغير في بنياتها. وتُعد حفريات الأَرَض البالغ عمرها 25 مليون سنة أحد الشواهد على هذا. وكافة الأَرَض التي عاشت طيلة هذه الفترة التي تبلغ ملايين السنين، تشارك مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الحالي السمات نفسَها. والأرض الشغالة التي كانت قبل 25 مليون سنة، شأنها شأن مثيلاتها الموجودة في عصرنا الراهن كانت تقوم بأعمال فدائية، فهي تطعم اليرقات والجنود والملكات، وتقيم بيوتا في حجم أمتار رغم أن عيونها لا تبصر. وينسحب ما للأرض الموجودة في عصرنا الراهن من سمات، على مثيلاتها كافة التي عاشت قبل ملايين السنين. أما حفرية الأَرَضَة التي تظهر في الصورة بداخل العنبر، فيبلغ عمرها 25 مليون سنة.











نملة ملكة

العصر : زمن السينوزوي، العصر الأُليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : جمهورية الدومينيك.

تقيم ملكات النمل مستعمرات النمل، ومن بين المهام الموكلة للنمل الشغال أيضا هو حماية الملكة وبيضها. وتنهض حفرية النملة الملكة التي تبدو في الصورة ويبلغ عمرها نحو 25 مليون سنة، دليلاً على أن النمل ظل هو نفسه دون تغير منذ ملايين السنين. ويؤكد هذا الدليل على أن تطور الأنواع لم يحدث في أي وقت قط ، وأن كافة الأحياء إنما خلقها الله عز وجل.

نماذج لحفريات عُثر عليها في البرازيل

تبدي البنية الجيولوجية للبرازيل تشابها تاما مع صعيد أمريكا الجنوبية. وما يزيد عن نصف البنية الصخرية الموجودة بالبلاد كان قد تشكل في عصر ما قبل الكمبري (منذ 6, 4 مليار ــ 543 مليون سنة). وتتكون قاعدة البرازيل من صخور متحولة وبركانية. أما الطبقة التي تعلو القاعدة، فهي طبقات رسوبية. وفي حين تعود بعض هذه الطبقات الرسوبية إلى عصر ما قبل الكمبري، فإن منها ما قد تشكل في العصر القريب.

وقد رُصدت في صخور منطقة ساو فرانسيسكو (Sao Francisco) ساحة حفريات تختص بكائنات مجهرية هائلة العدد ترجع إلى عصر ما قبل الكمبري.

أما الساحتان الأخريان الموجودتان في البرازيل فهما: تكوين سانتانا (Santana)، وتكوين كراتو(Crato).

ويعود أغلب ما عُثر عليه من حفريات في تكوين سانتانا الواقع في حوض آراريب (Araripe)، إلى العصر الطباشيري (منذ 144 ــ 65 مليون سنة). ومن أهم ما يتسم به هذا التكوين هو إيواؤه لحفريات حُفظت بشكل جيد للغاية، تتعلق بما يزيد عن 25 نوعاً من الأسماك. ومن بين الحفريات التي جُمعت من تكوين سانتانا، حفريات لزواحف وبرمائيات ولافقاريات ونباتات متنوعة.



أسفرت أعمال التنقيب عن الحفريات التي أجريت في حوض آراريب عن العثور على حفريات حُفظت بشكل جيد للغاية لما يربو على 25 نوعا من الأسماك.





إحدى المناطق الحفرية الهامة بحوض آراريب، توجد بسييرا (**Ceara**)

أما تكوين كراتو فقد كان جزءاً من تكوين سانتانا حتى عهد قريب، إلا أن الأنشطة الحفرية التي بُذلت كشفت عن الطبقات التي توجد بها الأنواع الحشرية التي عاشت في الأزمنة الأقدم. وكانت مجموعة الحشرات التي عثر عليها سبباً في تقييم كراتو على أنه تكوين مستقل. وإضافة إلى مجموعة الحشرات المتقدم ذكرها، فقد أُخذت أيضا حفريات لعناكب وعقارب وسرطانات وأنواع نباتية كثيرة للغاية. وتقيم الحفريات البالغ عمرها ملايين السنين والتي تم جمعها من الطبقات الحفرية الموجودة البرازيل، الشواهد مرارا وتكرارا على حقيقة هامة، ألا وهي أن الزعم بأن الكائنات الحية تطورت تدريجيا عن جد مشترك، لا يستند إلى سند علمي. وتنفي الحفريات أن تكون الأنواع الحية قد تطورت عن بعضها البعض، وتؤكد على أنها خُلقت.



إحدى المناطق التي جمعت منها نماذج حفرية بأعداد هائلة أيضا، هي محجر نوفا أوليندا (Nova Olinda).



الأحجار الجيرية التي استخرجت من تكوين كراتو وعليها نماذج حفرية.



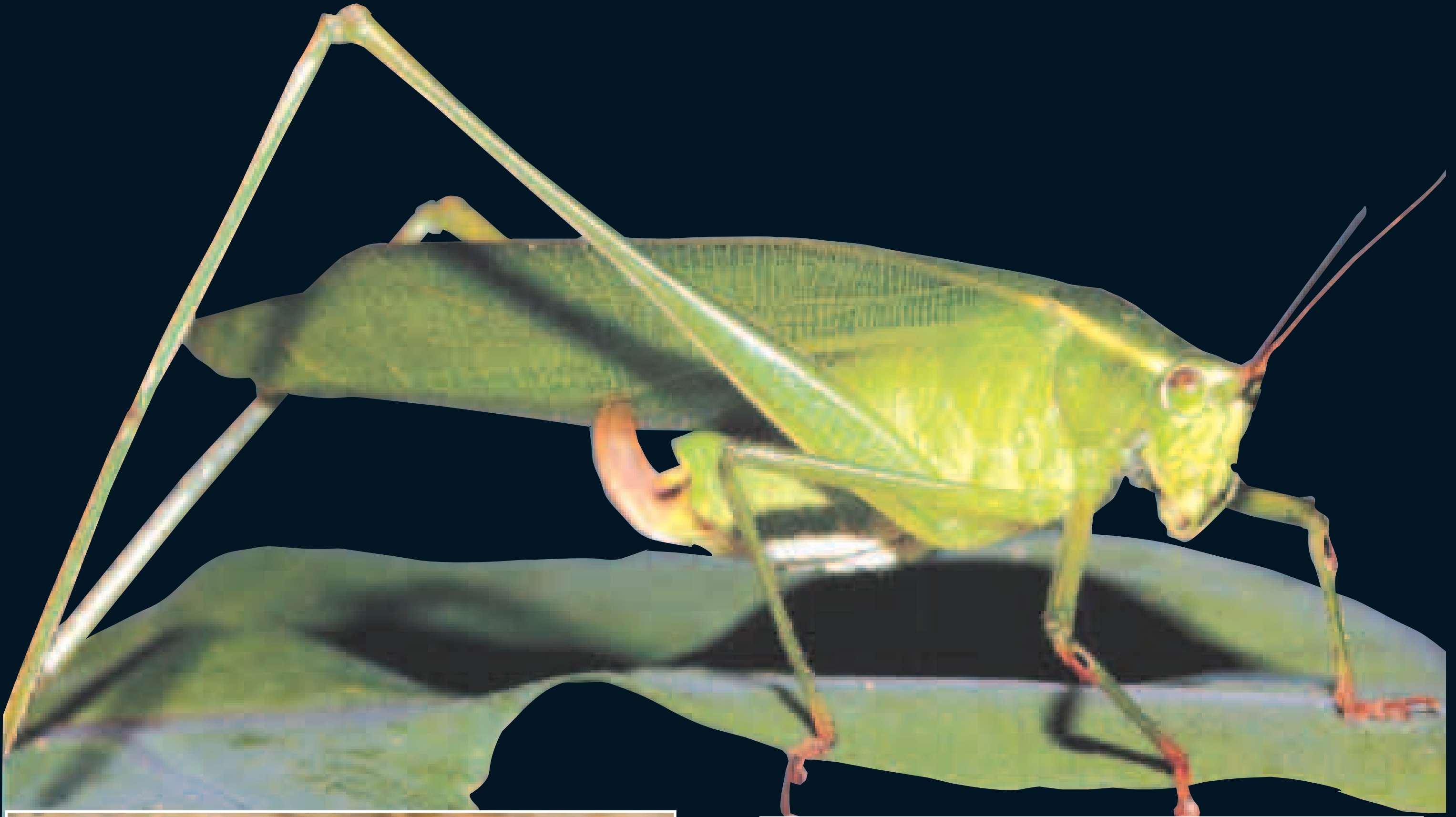
يبرهن ما لا يقع تحت حصر من حفريات جُمعت من تكوين سانتانا، على أن الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور.

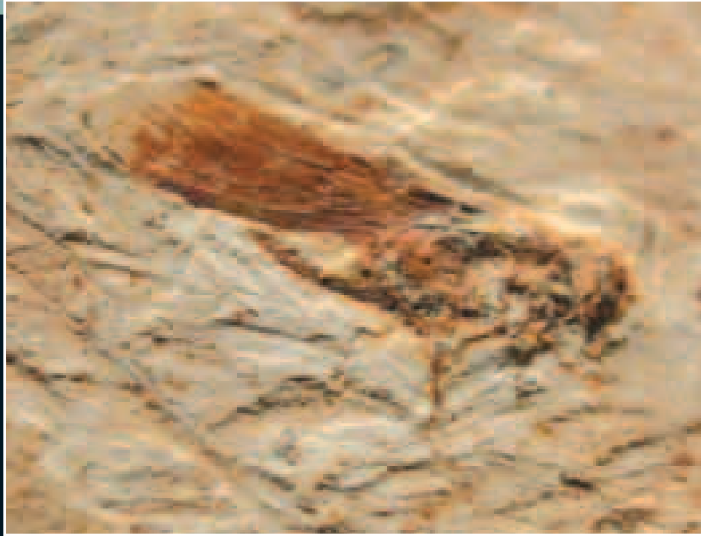


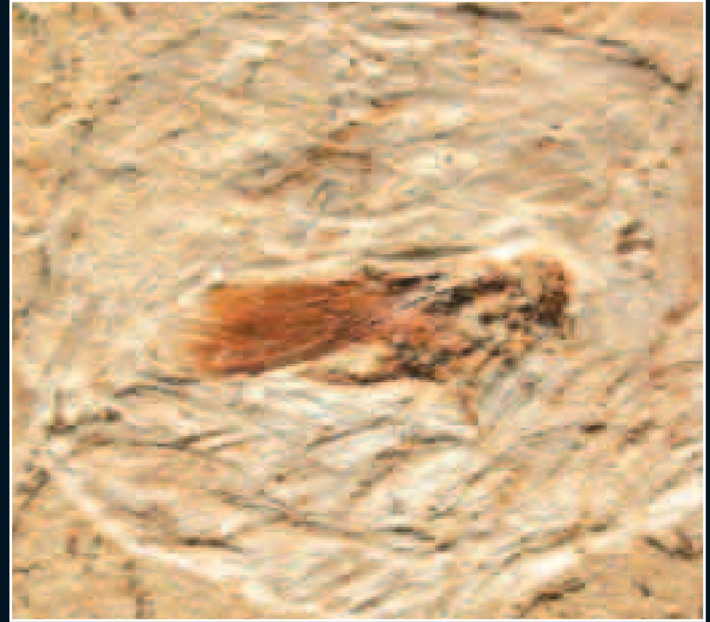
صَرْصُور

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 108 ــ 92 مليون سنة.
الموقع : تكوين كراتو ، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.

يأوي حوض آراريب البرازيلي نماذج حفظت بشكل مفصَّل إلى حد ما لحفريات العصر الطباشيري، وبعض من هذه الحفريات حُفظ بشكل ثلاثي الأبعاد. ويمكن التثبت من الحفرية وبشكل تفصيلي من النظام الوعائي الدموي لترس رأس الصرصور وأجنحته. وتثبت هذه الحفرية أن الصراصير التي عاشت قبل 108 ــ 92 مليون سنة، تماثل تماماً تلك الموجودة في عصرنا الراهن.







جرادة الزرع



العصر : الزمن الميزوزوي ، العصر الطباشيري
العمر : 128 مليون سنة
الموقع : تكوين سانتانا، حوض آراريب، سييرا، البرازيل

ينتمي جراد الزرع إلى العائلة التيتيجونية (Tettigoniidae)، وله ما يزيد عن 225 نوعا تعيش فقط في أمريكا الشمالية، إلا أن أغلبية هذه الحشرات تعيش في المناطق الاستوائية.

ولقد ظل جراد الزرع على ذات ما هو عليه منذ ملايين السنين، دون أن يعتريه تغير. وتُعد حفرية جرادة الزرع التي تبدو في الصورة والتي يبلغ عمرها 128 مليون سنة ، دليلا على هذه الحقيقة.



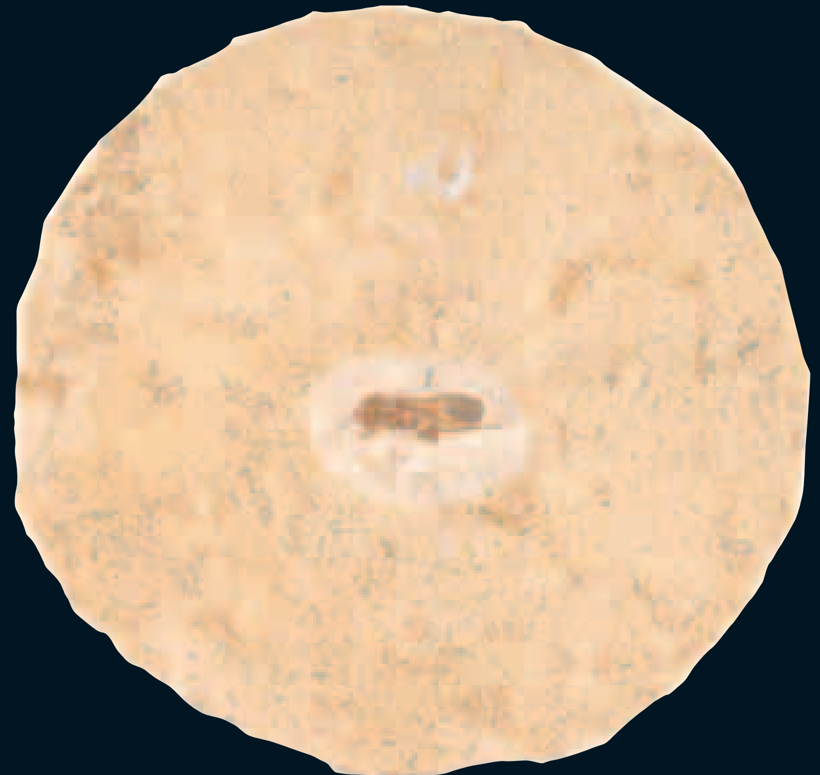


صرصور

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 146 ــ 65 مليون سنة.
الموقع : تكوين سانتانا، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.

ليس ثمة تفاوت بين الصرصور الذي يظهر في الصورة ويبلغ عمره 146 ــ 65 مليون سنة، وبين نماذجه التي تعيش في عصرنا الراهن. وتثبت الصراصير التي تختص بذات السمات البنيوية منذ ملايين السنين، أنها لم تشهد تطورا في أي زمن قط.





ذبابة

العصر : الزمن الميزوزوي ، العصر الطباشيري .
العمر : 125 مليون سنة .
الموقع : تكوين كراتو، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.

توضح الاكتشافات الحفرية أن الحشرات ذات الأجنحة كالذباب، إنما هي ظهرت فجأة، وسويا مع أنواع الحشرات عديمة الأجنحة. وإن هذا الوضع ليبطل الزعم بأن الحشرات عديمة الأجنحة نمت لها الأجنحة على مر الزمان، وتحولت إلى ذباب. هذا ويكذّب الذباب الذي لم يطرأ أي تغير قط على بنياته منذ ملايين السنين ، التطوريين. وما حفرية الذبابة التي تبدو في الصورة، ويبلغ عمرها 125 مليون سنة، إلا أحد الاكتشافات الحفرية التي تكذّب أولئك القائلين بالتطور.





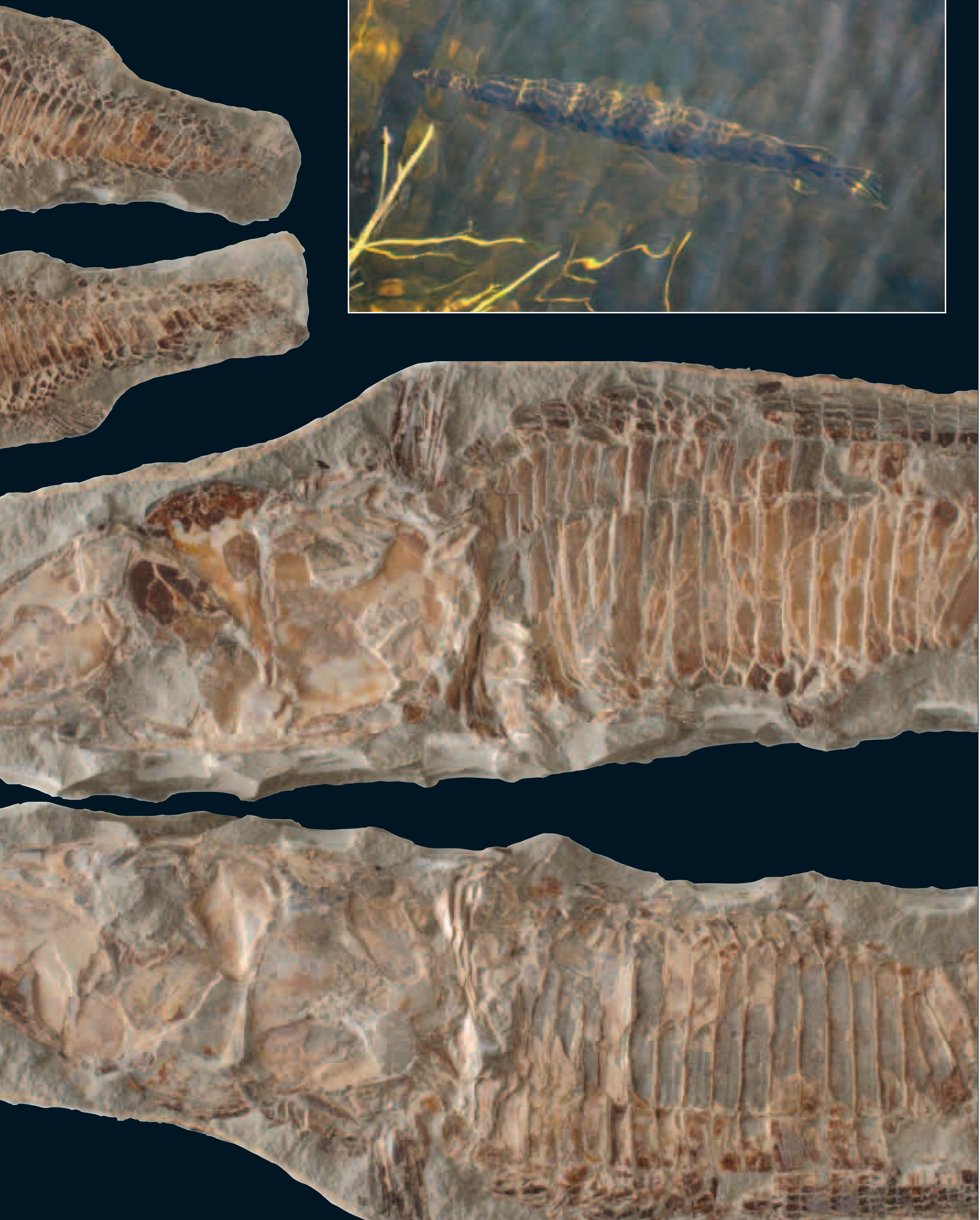
جرادة

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.

العمر : 108 ــ 92 مليون سنة.

الموقع : تكوين كراتو، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.

تُعد حفريات الجراد البادية في الصورة والبالغ عمرها 108 ــ 92 مليون سنة، دليلا على أن الجراد وُجد دوما كجراد. وتعرب هذه الحشرات التي لبثت على ذات ما كانت عليه منذ ملايين السنين، عن أن الكائنات الحية لم تتطور، وإنما هي خُلقت.



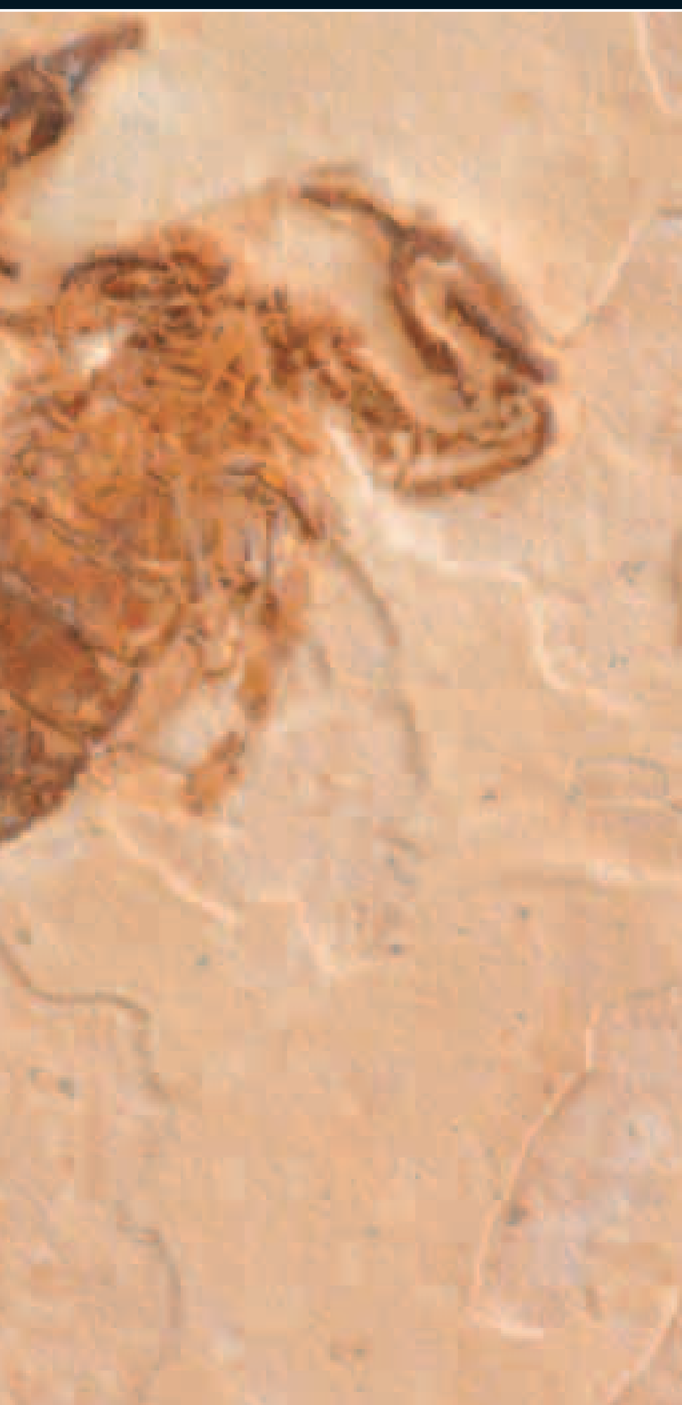


سمكة إسوكس ذات العظم

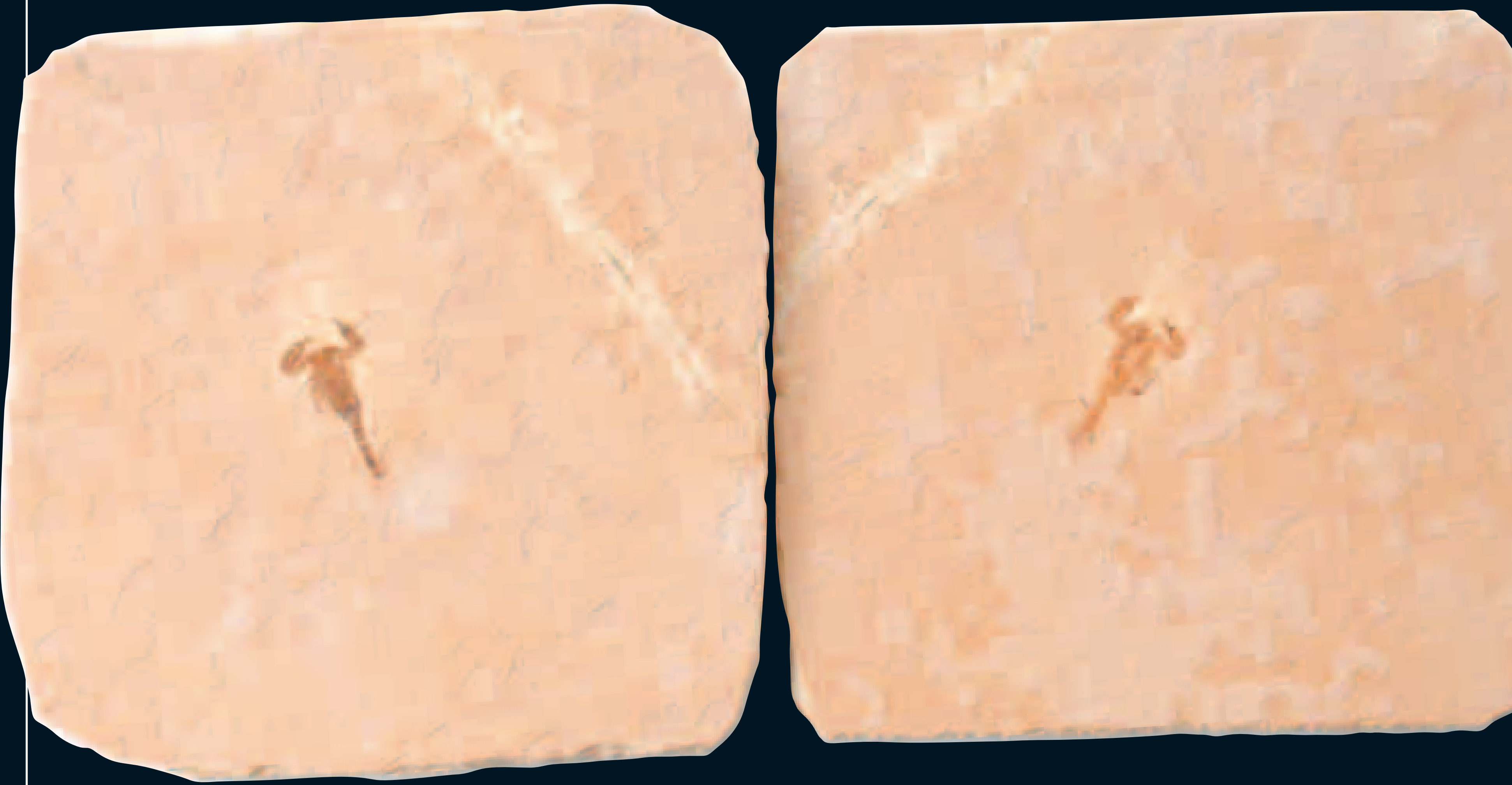
العصر: العصر الميزوزوي، الزمن الكريتاسي
العمر: 110 مليون سنة
الموقع: تكوين سانتانا، حوض أراريب، سيرا، البرازيل

سمكة إسوكس ذات العظم هي من الأدلة التي لا تحصى والتي تبين أن نظرية التطور نظرية داحضة. وأقدم النماذج لسمكة إسوكس ذات العظم عاشت في العصر الجوراسي (206-144 مليون سنة)، ورغم مرور ملايين السنين فهي لم تتغير. والمتحجر الموجود في الصورة لسمكة إسوكس ذات العظم، ويبلغ عمره 110 مليون سنة، ولسان حال هذا النوع من الأسماك يقول إنه لم يمر بأي تطور.

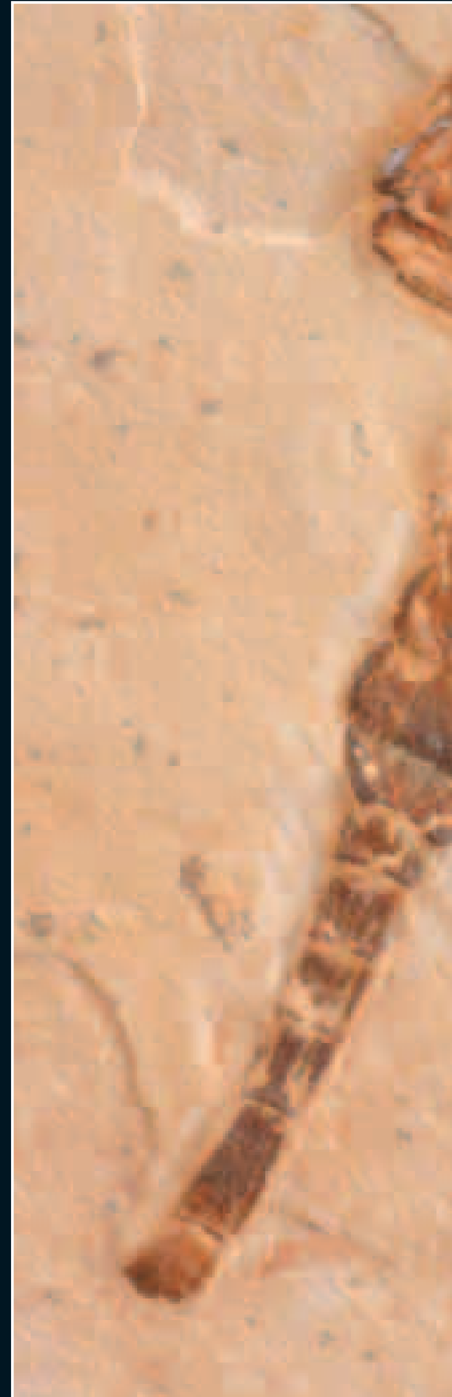








بعض الحفريات تخلف أثرها بشكل متساوٍ على طرفي الصخر، وحفرية العقرب هذه البالغ عمرها 110 مليون سنة هي أيضا نموذج للحفرية ذات القطعتين.



عقرب

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 110 مليون سنة.
الموقع : تكوين سانتانا، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.

يبلغ عمر أحد أقدم حفريات العقارب المعروفة 320 مليون سنة. والعقارب التي عاشت قبل 320 مليون سنة، وأيضا مثيلاتها التي عاشت قبل 110 مليون سنة، هي كذلك نفسها التي تعيش في عصرنا الحالي. وتُعد العقارب التي لم يلحق بها تغير منذ مئات الملايين من السنين، هي الأخرى دليلا على الخَلْق.





صرصور

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 128 مليون سنة.
الموقع : تكوين سانتانا، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.

لو أن كائنا حيا لم يعتره تغير قط طيلة ملايين السنين، وبقيت بنيته على ذات ما هي عليه رغم كل الظروف البيئة المتنوعة، فإنه من المستحيل القول بأن هذا الكائن الحي مر بعملية تطور. وتبين ملايين النماذج الحفرية المتعلقة بمئات الآلاف من الكائنات الحية، بالعِيان هذه الاستحالة وتجليها. ومن بين هذه الحفريات أيضا، حفرية الصرصور البالغ عمرها 128 مليون سنة.





صرصور

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 108 ـــ 92 مليون سنة.
الموقع : تكوين كراتو، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.

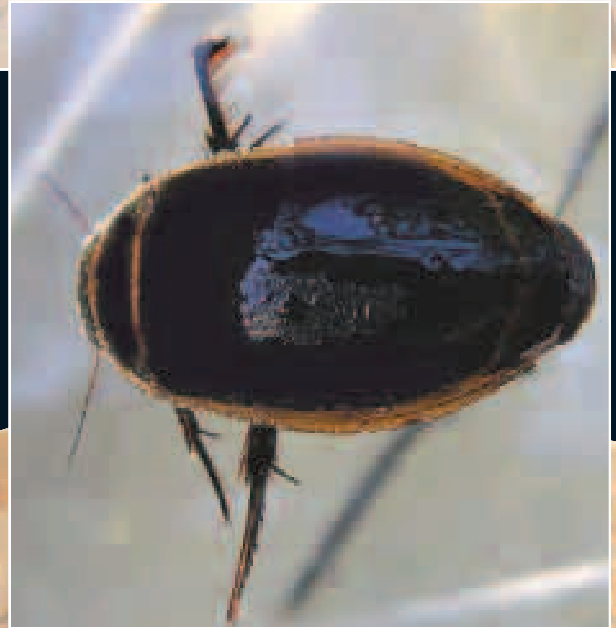
من بين الحفريات الخاصة بالصراصير والتي تكشف عن أن نظرية التطور ما هي إلا حكاية من نسج الخيال، الحفرية التي تبدو في الصورة ويبلغ عمرها 108 ـــ 92 مليون سنة. وما من تباين قط بين الصراصير التي عاشت قبل ملايين السنين، وبين مثيلاتها الموجودة في عصرنا الحالي.



جرادة

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 108 ــ 92 مليون سنة.
الموقع : تكوين كراتو ، حوض آراريب ، سييرا ، البرازيل .

يبلغ عمر حفرية الجرادة التي تظهر في الصورة، 108 ــ 92 مليون سنة، وهي تقول للدارونيين أن الجراد، مثل كافة الأحياء الأخرى، لم يمر بتطور.





خنفساء المياه

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 108 ــ 92 مليون سنة.
الموقع : تكوين كراتو، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.

تمضّي خنافس المياه شطراً عظيماً من عمرها داخل المياه. ومن المعروف أنه يوجد 5000 نوع منها في عموم العالم، 500 منها في أمريكا الشمالية. وهي أيضا تستطيع التنفس تحت المياه مستخدمة فقاعات الهواء التي تصنعها تحت أجنحتها فيما تكون على سطح المياه. وتحوز هذه الكائنات الحية أنظمة معقدة إلى أقصى درجات التعقيد، وتختص بذات السمات الخالية من أي وجه للقصور منذ ملايين السنين. وتنهض حفرية خنفساء المياه التي تبدو في الصورة، والتي يبلغ عمرها 108 ــ 92 مليون سنة، دليلا على أن هذه الأحياء هي نفسها منذ ملايين السنين، أي أنها لم تمر بعملية تطور.



جرادة

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 125 مليون سنة.
الموقع : تكوين كراتو، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.

ينتمي الجراد إلى رتبة الحشرات مستقيمة الأجنحة، وهو يطالعنا في سجلات الحفريات بذات البنى البالغ عمرها ملايين السنين. ويعيش الجراد في الأغلب في المناطق الاستوائية، إلا أنه من الممكن أن يظهر في مختلف مناطق العالم. وتؤكد كافة متحجرات الجراد التي عثر عليها أن هذه الحشرات لم يعترها تغير على مدار ملايين السنين، أي أنها لم تمر بتطور. ومن شواهد هذه الحقيقة، متحجرة الجرادة التي تبدو في الصورة، والبالغ عمرها 125 مليون سنة.



صرصور

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 125 مليون سنة.
الموقع : تكوين كراتو، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.



من الكائنات الحية التي ظلت على نفس ما هي عليه منذ مئات الملايين من السنين، الصراصير أيضا. وقد عُثر على حفريات لصراصير عاشت قبل 320 مليون سنة. ويُعبر عن الضربة التي أنزلتها الصراصير بنظرية التطور، في جريدة Focus(البؤرة) كالتالي :

... ورد بالنظرية أنه ينبغي أن تكون عناصر الضغط المتنوعة مثل الظروف البيئة المتغيرة والأنواع العدوة والتنافس بين الأنواع، سببا للانتقاء الطبيعي، وأن تُنتخب الأنواع المتفوقة التي واجهت تغيرا فجائياً، وتتعرض هذه الأنواع خلال حقبة زمنية بهذا القدر، لتغيرات كثيرة . ولكن الحقيقة ليست كذلك. ولنتناول على سبيل المثال الصراصير، فهي سريعة التكاثر، وأعمارها كذلك قصيرة، إلا أنها بقيت هي نفسها منذ 250 مليون سنة (مآزق التطور: الحفريات الحية، Focus " البؤرة " ، إبريل 2003).





جرادة طويلة القرن

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 125 مليون سنة.
الموقع : تكوين كراتو، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.

من أهم السمات التي تفرق هذا الجراد عن غيره من الجراد، هو قرون استشعار رفيعة وطويلة. والجراد طويل القرن هو الآخر، مثل أنواع الجراد الأخرى، نفسه منذ ملايين السنين. وعدم وجود أي فارق بين الجراد الذي عاش قبل 125 مليون سنة، وبين مثيله الموجود في عصرنا الراهن، ليظهر بجلاء أيضا في الحفرية الموجودة في الصورة.



جرادة

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 125 مليون سنة.
الموقع : تكوين كراتو، حوض آراريب، سييرا، البرازيل.

تنهض حفرية الجرادة البالغ عمرها 125 مليون سنة، دليلاً على أن الجراد وُجد دوماً كجراد. وليس بمقدور التطوريين أن يدلوا بتفسير عقلي وعلمي إزاء هذه الدليل.

نماذج لحفريات عُثر عليها في بيرو

هيأت البنية الجيولوجية والجغرافية لبيرو فرص العثور على اكتشافات حفرية متباينة في مختلف بقاع البلاد. وللبلاد ثلاثة أقاليم رئيسية: الإقليم الساحلي، والإقليم الأوسط الذي تقع فيه جبال الأنديز، وحوض الأمازون الذي توجد به غابات الأمازون. وتتركز الطبقات الحفرية في جبال الأنديز والمناطق الموجودة شمالي البلاد. ومن بين الطبقات الحفرية الهامة الموجودة في بيرو، تكوين كاجامركا (Cajamarca)، الواقع شمالي البلاد. ويغلب الحجر الجيري على تشكيل البنية الصخرية لهذا التكوين. أما الطبقة الحفرية الأخرى، فتتمثل في تكوين بيسكو(Pisco) الشهير بحفريات حوت البال. وهذا التكوين من الطبقات الحفرية الواقعة في الإقليم الجنوبي للبلاد. وفي هذه الطبقة تم رصد آلاف من الأحياء البحرية المختلفة يأتي في مقدمتها حيتان البال، وأسماك الدولفين،



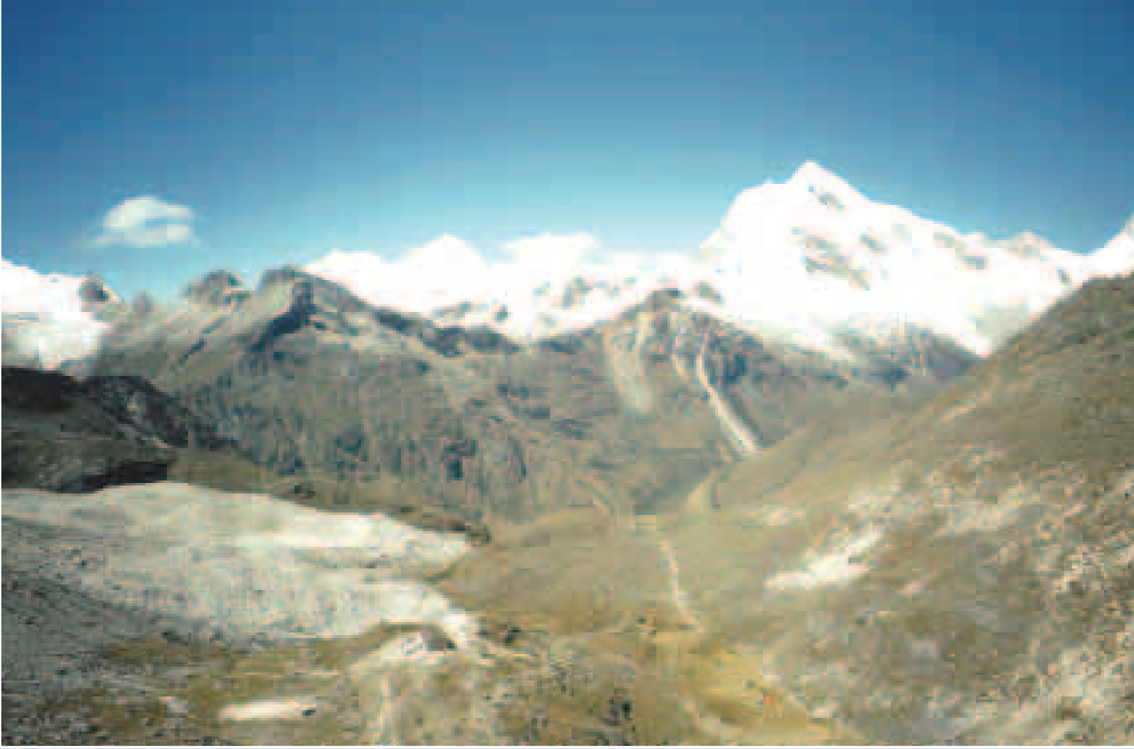




تكوين بيسكو الواقع بالمنطقة الجنوبية للبلاد، هو إحدى الطبقات الحفرية الهامة.

وأسود البحر، وطيور البطريق، والسلاحف المائية. ويوفر هذا التكوين الواقع بالداخل بنحو 30 كم من الساحل، معلومات هامة حول الطبيعة الجيولوجية لبيرو في العصور السحيقة.

أما أهم حقيقة تبرزها الاكتشافات الحفرية التي تحصلت في بيرو، فهي رفض هذه الاكتشافات، مثل كافة الحفريات، للتطور. إذ أثبتت الأبحاث الحفرية التي قام بإجرائها علماء الحفريات التطوريون منذ أواسط القرن/19م إلى الآن، حتى يتأتّى لهم العثور على حفريات من شأنها دعم نظريتهم، أن ما بُذل من جهد راح سدًى. ورغم كل الجهود لم يُعثر على حفرية واحدة يمكن تقديمها كدليل على النظرية. وأثبتت كافة الاكتشافات التي تحققت إبان أعمال الحفر والتنقيب عن الحفريات، على عكس فروض نظرية التطور، أن الكائنات كانت قد ظهرت على وجه الأرض فجأة، وبشكل خالٍ من العيوب والمثالب. علاوة على ذلك توضح السجلات الحفرية بجلاء أن الكائنات الحية، منذ اللحظة التي وُجدت فيها، لم يمسسها أي تغير قط. ويُعد هذا دليلاً على أنها لم تمر بأي وتيرة تطورية بأي شكل من الأشكال.



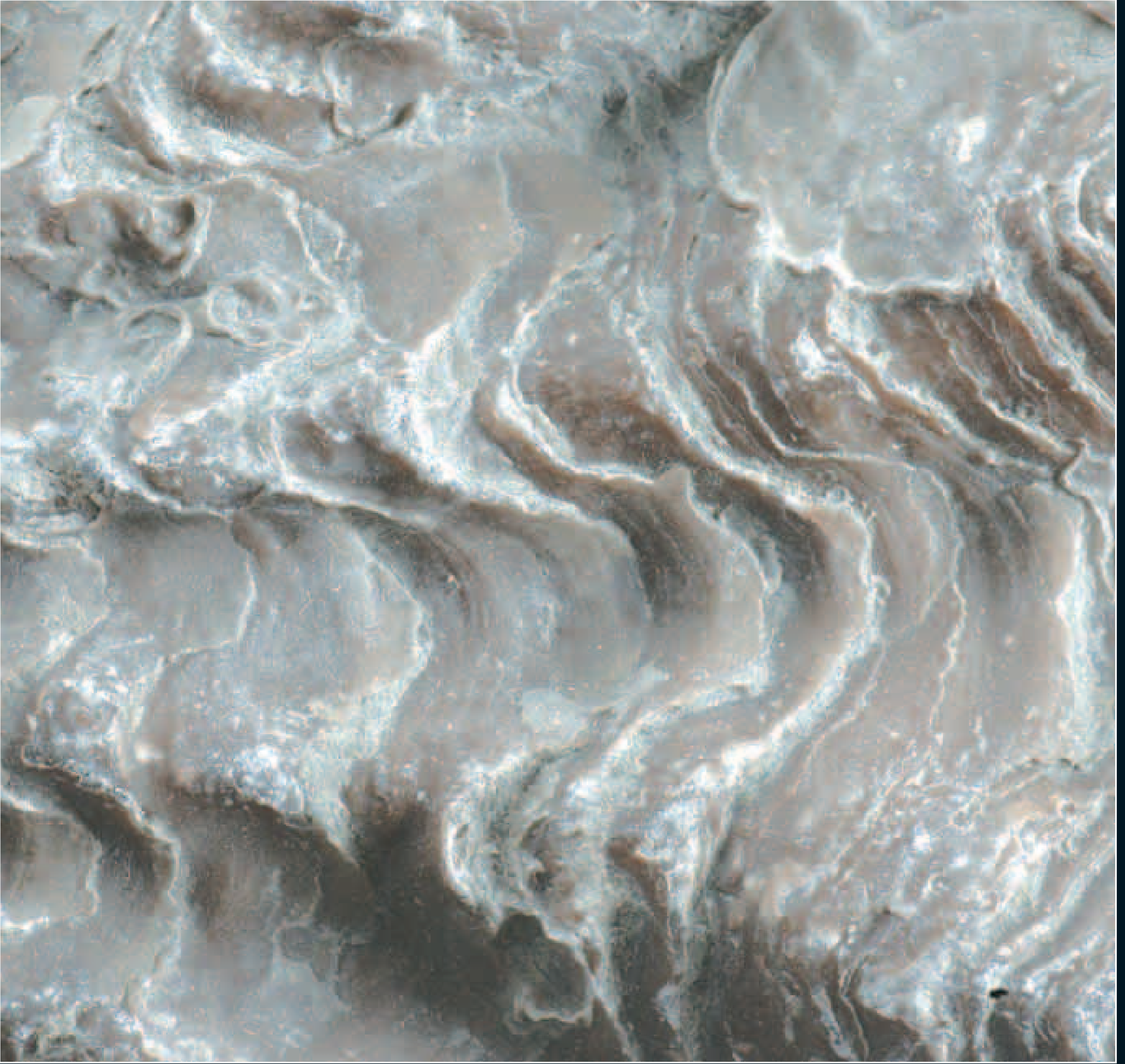
تأوي الأحجار الجيرية الموجودة في كاجامركا أعداداً هائلة من النماذج الحفرية.



تثبت النماذج الحفرية التي تم جُمعت في بيسكو، شأنها شأن الاكتشافات الحفرية الأخرى، أن تطور الأنواع لم يحدث في أي زمن قط.





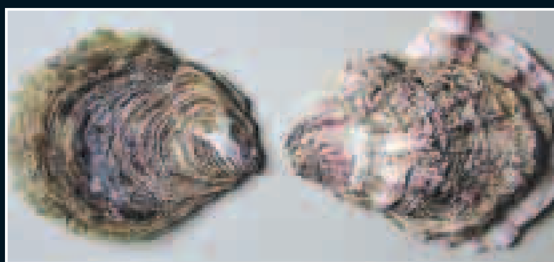


محارة

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 23 ــ 5 مليون سنة.
الموقع : تكوين كاجامركا ، بيرو.

إن المحار البالغ عمره 23 ــ 5 مليون سنة، والذي يماثل المحار الموجود في عصرنا الراهن، يُثبت بطلان مزاعم نظرية التطور. فهذا الكائن الذي هو نفسه منذ ملايين السنين، لم يمر بعملية تطور قطّ، وإنما هو خُلِق.

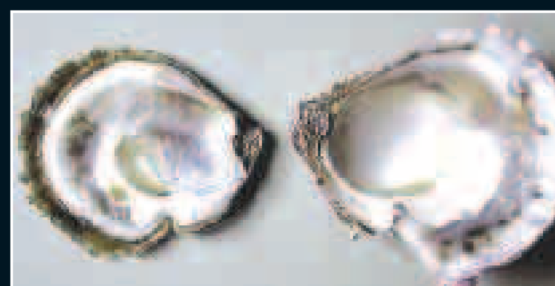


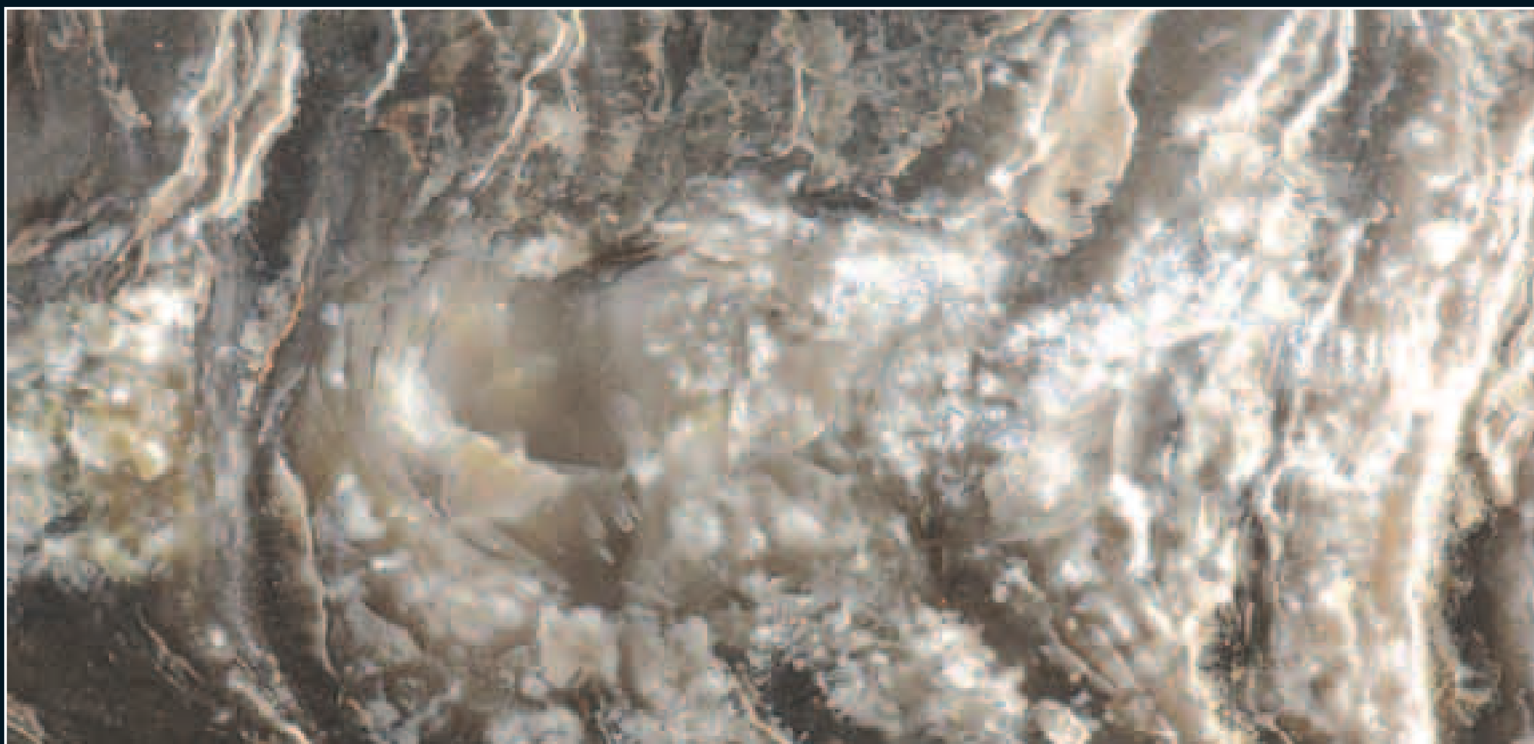


محارة

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الجوراسي.
العمر : 208 ـــ 146 مليون سنة.
الموقع : تكوين كاجامركا، بيرو.

يبلغ عمر المحارة التي تبدو في الصورة، 208 ـــ 146 مليون سنة، وهذه الحفرية التي تظهر أن المحار الذي عاش قبل عشرات الملايين من السنين، هو نفسه ذلك المحار الموجود في عصرنا الراهن، لتكذِّب نظرية التطور.





محارة تعيش في عصرنا الحاضر



محارة

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الجوراسي.
العمر : 208 ــ 146 مليون سنة.
الموقع : تكوين كاجامركا ، بيرو.

تمتلئ سجلات الحفريات بنماذج لكائنات حية هي نفسها منذ مئات الملايين السنين. ومن بين هذه النماذج أيضا، حفرية المحارة التي تبدو في الصورة، ويبلغ عمرها 208 ــ 146 مليون سنة. وترفض هذه الحفرية هي أيضا، مثل كافة الاكتشافات الحفرية، مبدأ التطور.

نماذج لحفريات عُثر عليها في الأرجنتين

إن شطراً عظيماً من الحفريات التي تأتى جمعها في الأرجنتين، يختص بإقليم باتاجونيا (Patagonya). وباتاجونيا هو اسم أُطلق على الأقسام الجنوبية لشيلي والأرجنتين في قارة أمريكا الجنوبية. والقسم المتبقي شرقي جبال الأنديز، هو منطقة من باتاجونيا تدخل ضمن الأرجنتين. وتتسم سجلات الحفريات التي في المنطقة التي تسكنها في عصرنا الراهن مختلف أنواع الأحياء من مثل طيور البطريق وحيتان البال وأسماك القرش وطيور النعام البرية وأفيال البحر، نوعا ما بالثراء.

ومن بين الطبقات الحفرية الموجودة بالإقليم، تكوين إيشيجولاستو (Ischigualasto). وقد كشفت الأبحاث الجيولوجية النقاب عن أن هذه المنطقة إنما كانت حوضا سيلي، وأنه كان يصيبها أمطار موسمية شديدة الغزارة، وتحوز براكين نشطة. ومما تتسم به هذه الطبقات الحفرية،هو حيازتها لنماذج حفرية لأعداد هائلة من الثدييات والأحياء البحرية التي تعود إلى العصر الترياسي(منذ 248 ـــ 206 مليون سنة). ولم تُدرك أهمية المنطقة بشكل تام من زاوية السجلات الحفرية حتى الخمسينيات من القرن العشرين. أما من بعد هذا التاريخ، فقد أُجريت الكثير من أعمال الحفر والتنقيب عن الحفريات.

ومن مناطق الحفريات الموجودة في الأرجنتين أيضا، غابة جراميللو الواقعة بسانتا كروز (Santa Cruz). وهنالك غابة حفرية تشكلت من الأشجار المتحجرة. ويبلغ عمر هذه الغابة المتحجرة نحو 350 مليون سنة، وتُعد إحدى النماذج الهامة التي تثبت أن كثيراً جداً من الأنواع النباتية لم يمسسه تغير منذ مئات الملايين من السنين؛ وعليه فهي لم تمر بعملية تطور.



الغابة الحفرية لجراميللو المكونة من الأشجار المتحجرة.







إيشيجولاستو، وهي طبقة حفرية كانت حوضا سيلي قبل 230 مليون سنة.

نماذج لحفريات عُثر عليها في شيلي

تُصادف نماذج حفرية في كثير من المناطق الموجودة خارج صحراء آتاكاما(Atacama) الواقعة شمالي شيلي. أما إحدى أغنى المناطق من حيث الحفريات، فهي باتاجونيا الواقعة جنوبي البلاد. فضلا عن وجود طبقات حفرية أيضا في جبال الأنديز.

ومن الساحات الحفرية الموجودة في شيلي جُمعت أعداد هائلة من الحفريات المتعلقة بمختلف أنواع الثدييات والأحياء البحرية والزواحف والنباتات. ومن الساحات الأكثر شهرة، تكوين كويريكوينا (Quiriqina). وترجع الحفريات الموجودة بالتكوين في غالبيتها، إلى العصر الطباشيري. وبفضل هذه الحفريات أمكن الحصول على معلومات هامة حول الحياة البحرية في ذلك العصر. أما بعض الطبقات الحفرية الموجودة في شيلي وبصفة خاصة في جبال الأنديز، فتشتهر بالاكتشافات الحفرية المتعلقة بالثدييات.

وتضع كافة الحفريات التي جمعت من المنطقة الداروينيين مرة أخرى في مأزق كبير؛ إذ تبين هذه الاكتشافات أن الأحياء لم يعترها تغير طيلة العصور الجيولوجية، وبتعبير آخر إن نوعاً حياً، مهما كانت الكيفية التي ظهر عليها لأول مرة في سجلات الحفريات، فإنه لا يبدي أي تغير قط على مدار عشرات وأحيانا مئات الملايين من السنين حتى انقراضه، أو بلوغه عصرنا الحالي، ويحتفظ بذات البنية. وهذا إنما ينهض دليلا على أن الأحياء لم يعترها أي تطور قط.

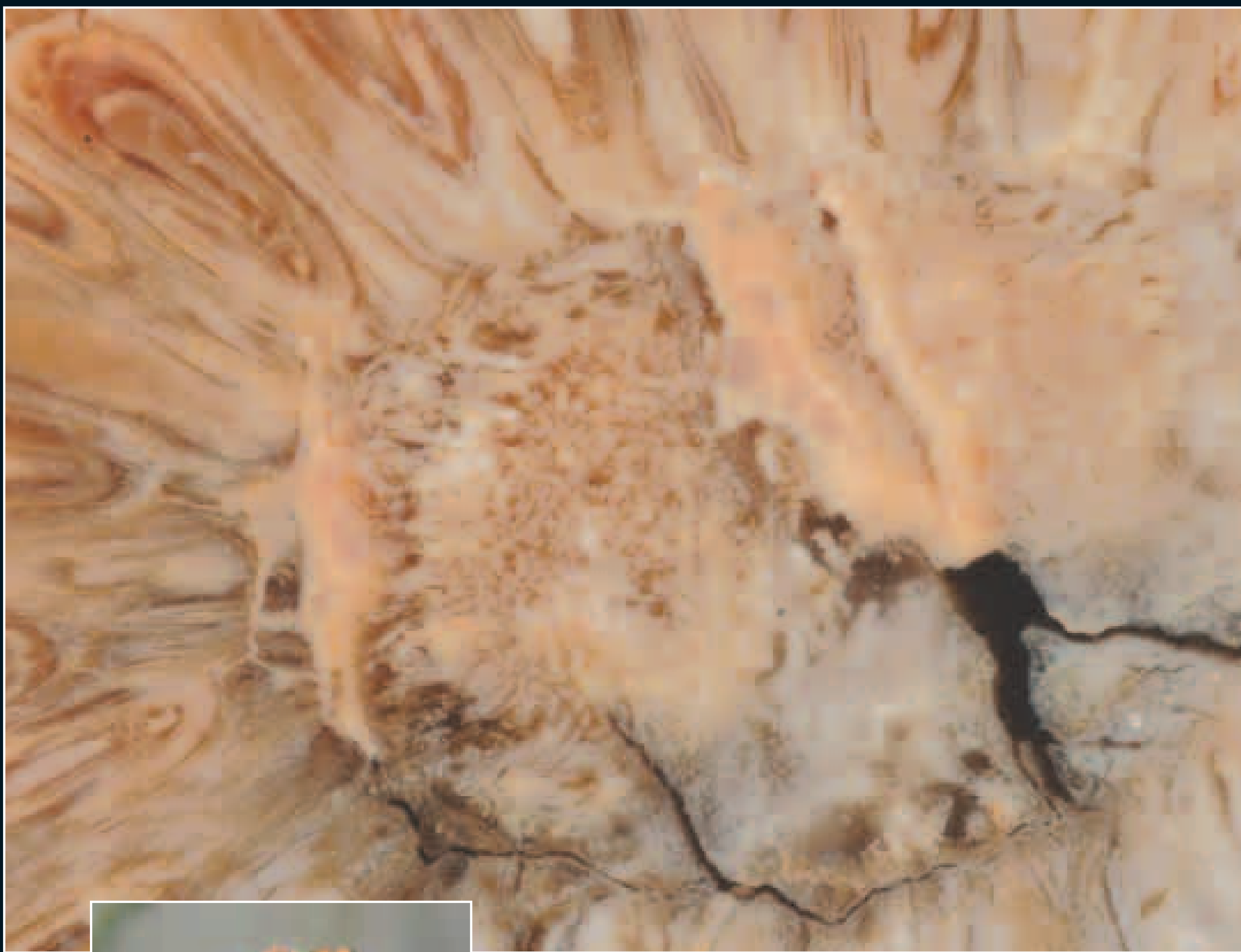
ومثلما توضح الاكتشافات الحفرية، فإن الحياة على وجه الأرض ظهرت فجأة، وليس بالتطور. أما الظهور فجأة فمعناه الخَلْق، إذ خلق الله كافة الكائنات من العدم بشكل يخلو من النقائص. وإن الاكتشافات الحفرية لتبرز هذه الحقيقة، وتبينها بالعِيان.



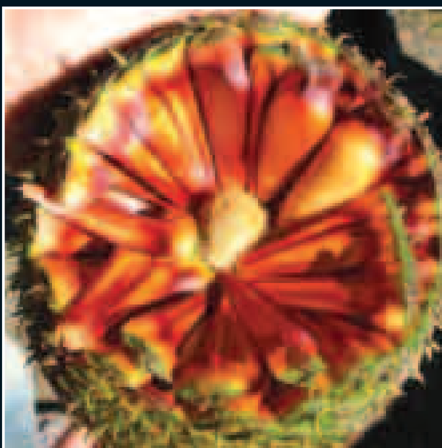




عثر على حفريات لمختلف أنواع الثدييات، وذلك في الطبقات الحفرية الموجودة في جبال الأنديز.









شريحة جوزة السَّرو

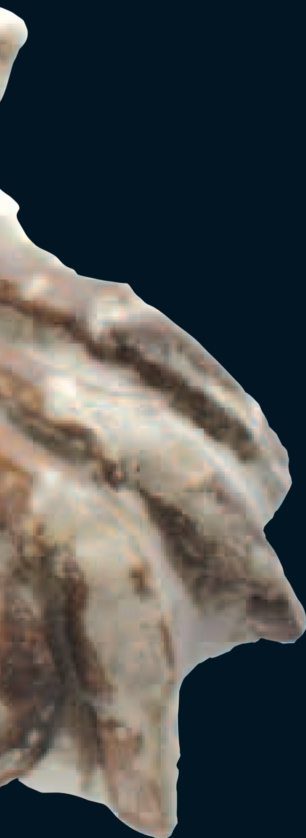
العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الجوراسي.
العمر : 165 مليون سنة.
الموقع : جراميللو، سانتا كروز، الأرجنتين.

أُحذت شريحة جوزة السرو التي تظهر في الصورة، والبالغ عمرها 165 مليون سنة،من الغابة المتحجرة الكائنة بجراميللو. ومثلما تبدو الجوزة بكافة تفاصيلها، فإن هذا النموذج الحفري، يُعد أحد الأدلة المؤكدة على أن النباتات لم تمر بتطور. وكافة السمات التي يختص بها جوز السرو الموجود في وقتنا الراهن، يتسم بها نظيره الذي نما قبل 165 مليون سنة.















سرطان بحري

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.

العمر : 23 ــ 5 مليون سنة.

الموقع : ريو ديلابلاتا، الأرجنتين.

السرطانات البحرية، هي أيضا من الأحياء التي لها نماذج كثيرة العدد في سجلات الحفريات. وانتفاء وجود أي تباين بين السرطانات التي عاشت قبل ملايين السنين، وبين تلك التي تعيش في عصرنا الحالي، حقيقة لا سبيل إلى إنكارها، تبرزها الاكتشافات الحفرية. ومن بين الشواهد القائمة على هذه الحقيقة أيضا، هذا السرطان البحري الذي يظهر في الصورة، والذي يبلغ عمره 23 ــ 5 مليون سنة. ويطابق هذا السرطان تماما، مثيله الذي يعيش في عصرنا الحالي.











جوزة السَّرو

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الجوراسي.
العمر : 208 ــ 146 مليون سنة.
الموقع : الأرجنتين.

إن حفرية جوزة السرو هذه التي لا تختلف قط عن جوز السرو الموجود في وقتنا الراهن، والتي يبلغ عمرها 208 ــ 146 مليون سنة، لتنهض دليلا على أن نظرية التطور خدعة كبرى. وتظهر الاكتشافات الحفرية برمتها أن هذه النظرية كذب وبهتان، وأن خلق الله حقيقة واضحة بجلاء.







جمجمة غراب البحر(طائر الغاق)

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 18 مليون سنة.
الموقع : شيلي.

يبلغ عمر حفرية جمجمة غراب البحر التي تظهر في الصورة 18 مليون سنة، وهي تُعد دليلا على أن غربان البحر التي عاشت قبل 18 مليون سنة، لا تختلف عن نماذجها الموجودة في عصرنا الحالي. وعدم الاختلاف هذا، إنما هو يبين أن الكائنات المذكورة لم تتغير منذ ملايين السنين ، أي أنها لم تمر بعملية تطور.

سرطان بحري

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الأوليجوسيني.
العمر : 25 مليون سنة.
الموقع : كونسيبسيون، شيلي.



تكذّب السجلات الحفرية نظرية التطور من كافة زواياها، ومن النماذج الحفرية التي تكذب هذه النظرية أيضا، حفرية السرطان البحري التي تبدو في الصورة، ويبلغ عمرها 25 مليون سنة. وتؤكد السرطانات التي بقيت دونما تغير منذ عشرات الملايين من السنين، مجدداً أن الكائنات الحية لم تتطور. وليس ثمة تفاوت قط بين حفرية السرطان هذه، وبين مثيله الذي يعيش في عصرنا الحالي.



جمجمة غراب البحر

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 18 مليون سنة.
الموقع : شيلي.

غراب البحر نوع من الطيور البحرية، ينتمي للفصيلة الفالاكروكوراسيدية، ومن المعروف أن له 38 نوعاً مختلفاً. وتظهِر الاكتشافات الحفرية أن غربان البحر التي عاشت قبل ملايين السنين، تختص بذات السمات التي تختص بها مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الراهن. ويقضي هذا الوضع الذي يثبت أن هذه الطيور شأنها شأن كافة الأحياء الأخرى، لم تمر بتطور، بهزيمة الداروِنيين مرة أخرى.



نماذج لحفريات عثر عليها في أوروبا



نماذج لحفريات عثر عليها في ألمانيا

تظهِر الأبحاث الجيولوجية أن شطراً عظيماً من غرب أوربا كانت تغطيه البحار شديدة العمق طيلة العصر الجوراسي (منذ 206 ــ 144 مليون سنة). وقد تأتّى الحصول على أعداد هائلة من الحفريات من هذه المناطق في وقتنا الراهن، تختص بالكائنات البحرية. وقد ساعدت بعض الطبقات الحفرية الموجودة في ألمانيا على وجه الخصوص، في الحصول على كثير من المعلومات التفصيلية حول الكائنات الحية التي عاشت في العصرين الديفوني والجوراسي . وأهم هذه الساحات الحفرية: تكوينات ميسيل وسولنهافن وهولزمادين، ومجتمع حيوانات هونزروكشايسفر.

ومجتمع حيوانات هونزروكشايسفر منطقة تضم بين جنباتها حفريات لأنواع مختلفة، وبأعداد هائلة تخص كائنات حية عاشت في الزمن الباليوزوي (منذ 543 ــ 251مليون سنة). وتعود الحفريات التي تأتّى جمعها من المنطقة، إلى العصر الديفوني الأدنى والأوسط. ومن السمات الهامة لمجتمع حيوانات هونزروكشايسفر، هو تحفر بعض الحيوانات بأنسجتها الرخوة كما هو حادث بالضبط في برجس شيل. يسهل هذا الوضع الحصول على معلومات ليس فحسب حول البنية الفيزيقية للكائنات الحية التي عاشت قبل ملايين السنين، وإنما أيضا حول أساليب حياتها وأشكال تصرفاتها.

وتكشف هذه المعلومات عن أن الكائنات الحية، إنما كانت ذات أنظمة معقدة في كل العصور التي وُجدت فيها، وأنها مارست حياة متطورة. أما الداروينيون الذين يفترضون أن الكائنات الحية نتجت وتطورت بشكل تدريجي من البدائي إلى المعقد، فهم عاجزون إزاء هذا الوضع. إذ إن السجلات الحفرية كافة بلا استثناء تكذّب نظرية التطور من جهة، ومن جهة أخرى تؤكد مجددا على حقيقة الخلق.

أما الحفريات التي جُمعت من تكوين هولزمادين، فهي في الأغلب تخص كائنات حية عاشت في المياه العميقة. وشطر عظيم من هذه الكائنات تحفرت بكامل أعضائها وبنياتها الهيكلية العظمية دون نقص. كذلك جُمعت حفريات رخوية النسيج من النادر مصادفتها في هولزمادين. أما الحفريات التي تأتّى جمعها من سولنهافن، فهي في أغلبها حفريات لكائنات حية عاشت في الخلجان ضحلة المياه والأرصفة المرجانية والإسفنجية. ويوجد في سولنهافن علاوة على ذلك أيضا،

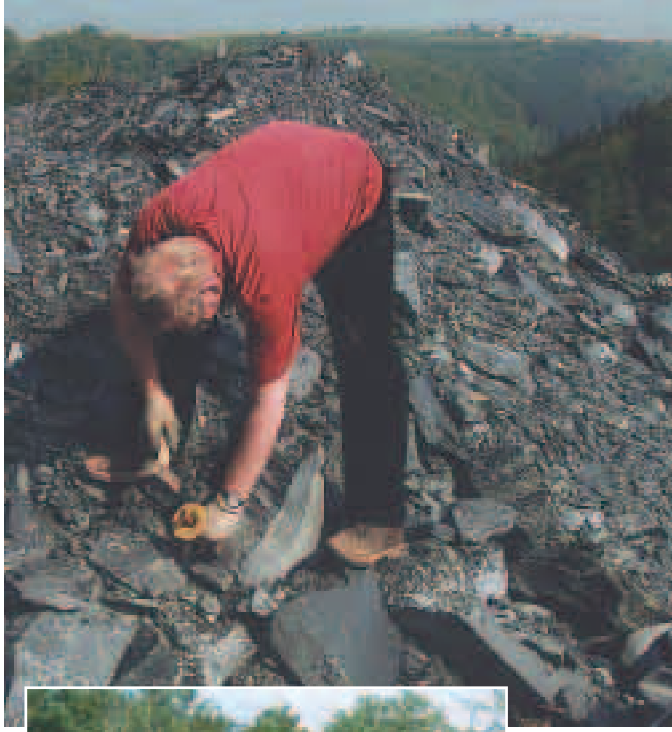
أنشطة البحث والتنقيب عن حفريات التي أجريت في تكوين ميسيل





سولنهافن، وهي من الساحات الحفرية الهامة الموجودة في ألمانيا، تُعد إحدى المناطق التي جمعت منها أعداد هائلة من الحفريات.







حفريات لكائنات برية مثل الحشرات والنباتات والضِباب والتماسيح والطيور. ومن بين الحفريات التي استخرجت من سولنهافن سبع حفريات مختلفة لطائر الآرخيا أوبترخي، وهو من أقدم أنواع الطيور.

أعمال الحفر التي في هونزروكشايسفر وشيفرهالدى (Schieferhalde).

أما الطبقة الحفرية الهامة الأخرى الموجودة في ألمانيا، فهي تكوين ميسيل. ويأوي هذا التكوين، الذي كان في العصور الماضية بحيرة يبلغ عمقها حوالي 1000 متر، واتساعها 700 متر، أعداداً هائلة من النماذج الحفرية التي تعود إلى العصر الإيوسيني (منذ 54 ــ 37 مليون سنة). ويوجد في ميسيل المعروف أنها كانت ذات مناخ استوائي في ذلك العصر، حفريات لمختلف أنواع الكائنات الحية مثل النباتات والطيور والوطاويط والزواحف والأسماك والسلاحف والحشرات.



ساحة حفريات هولزمادين القريبة من شتوتجارت (Stuttgart) ،وهي إحدى ساحات الحفر والتنقيب الهامة التي عثر بها على أعداد هائلة من الحفريات التي ترجع إلى العصر الجوراسي المبكر.







جمبري

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الجوراسي.
العمر : 145 مليون سنة
الموقع : تكوين سولنهافن، آيكشتات، ألمانيا.

الجمبري هو أحد مفصليات الأرجل التي تنتمي إلى الجنس الفرعي للقشريات، وجسمه مغطى بدرع مكون من كربونات الكالسيوم. وجذعه مفصلي. وله أنواع بعضها يعيش في المياه العذبة، وبعضها الآخر في المياه المالحة على السواء. وأقدم حفرية معروفة للجمبري تعود إلى ما قبل 200 مليون سنة. أما حفرية الجمبري التي تظهر في الصورة، فعمرها 145 مليون سنة. ويعد هذا الحيوان الذي احتفظ ببنيته ذاتها منذ ملايين السنين ولم يعتره أي شكل من أشكال التغير، دليلاً حياً على أن الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور.



نجم البحر

العصر : الزمن الباليوزوي، العصر الديفوني.
العمر : 390 مليون سنة
الموقع : بوندنباخ، ألمانيا.

ليس ثمة فارق قط بين نجوم البحر التي عاشت قبل 390 مليون سنة، وبين مثيلاتها التي تعيش في البحار في عصرنا الحالي. وتؤكد هذه الكائنات التي لم يلحق بها أي تغير رغم ملايين السنين التي مرت عليها، أن تطور الأنواع الحية لم يحدث في أي عصر من عصور التاريخ قط.



سمكة الكركي الصلعاء

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 50 مليون سنة
الموقع : تكوين ميسيل، ألمانيا.

أسماك الكركي الصلعاء، نوع من الأسماك ينتمي إلى الفصيلة الوسطية من رتبة الأشكال الوسطية. وهي ذات تراث حفري ثري كشأن كثير من الأنواع الأخرى. وأحد أقدم نماذجه المعروفة يبلغ عمره 150 مليون سنة. ويظهِر ما جُمع من حفريات أن أسماك الكركي الصلعاء هي نفسها منذ ملايين، أي أنها لم تمر بأي شكل من أشكال التطور. وليس ثمة تفاوت قط بين سمكة الكركي الصلعاء الموجودة في الصورة، والبالغ عمرها 50 مليون سنة، وبين مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الراهن.





الإربيان (جراد البحر)

العصر: زمن الميزوزوي، عصر الجورا
العمر: 150 مليون سنة
الموقع: حوض سلنهوفن، ألمانيا

لا يوجد أي فرق بين الإربيان الذي عاش قبل 150 مليون سنة وبين مثيله الموجود في الوقت الحاضر. وانعدام الاختلاف هذا يعد من أهم الأدلة على عدم وجود تطور. والإربيان أو جراد البحر كان منذ أن وجد كذلك، والله تعالى هو الذي خلقه شأنه شأن بقية الكائنات الحية الأخرى.









جمبري

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الجوراسي.

العمر : 145 مليون سنة

الموقع : تكوين سولنهافن ، آيكشتات (Eichstatt) ، ألمانيا .

لم يعثر الداروِنيون، رغم أبحاثهم التي استمرت عشرات السنين، على حفرية واحدة تثبت حدوث التطور. هذا في حين أن هناك ملايين الحفريات التي تؤكد عدم حدوث التطور في أي زمن قط. وكل حفرية يتأتّى الحصول عليها تنهض دليلاً على أنه لم يحدث أي تغير في بنى الكائنات الحية طيلة فترة وجودها، وأنها ظلت على ذات ما كانت عليه رغم مرور مئات الملايين من السنين عليها.

وتُعد حفرية الجمبري التي تبدو في الصورة هي أيضا أحد الأدلة على أنه ليس ثمة تفاوت قط بين الجمبري الذي يعيش في زمننا الراهن، وبين مثيله الذي عاش قبل 145 مليون سنة.



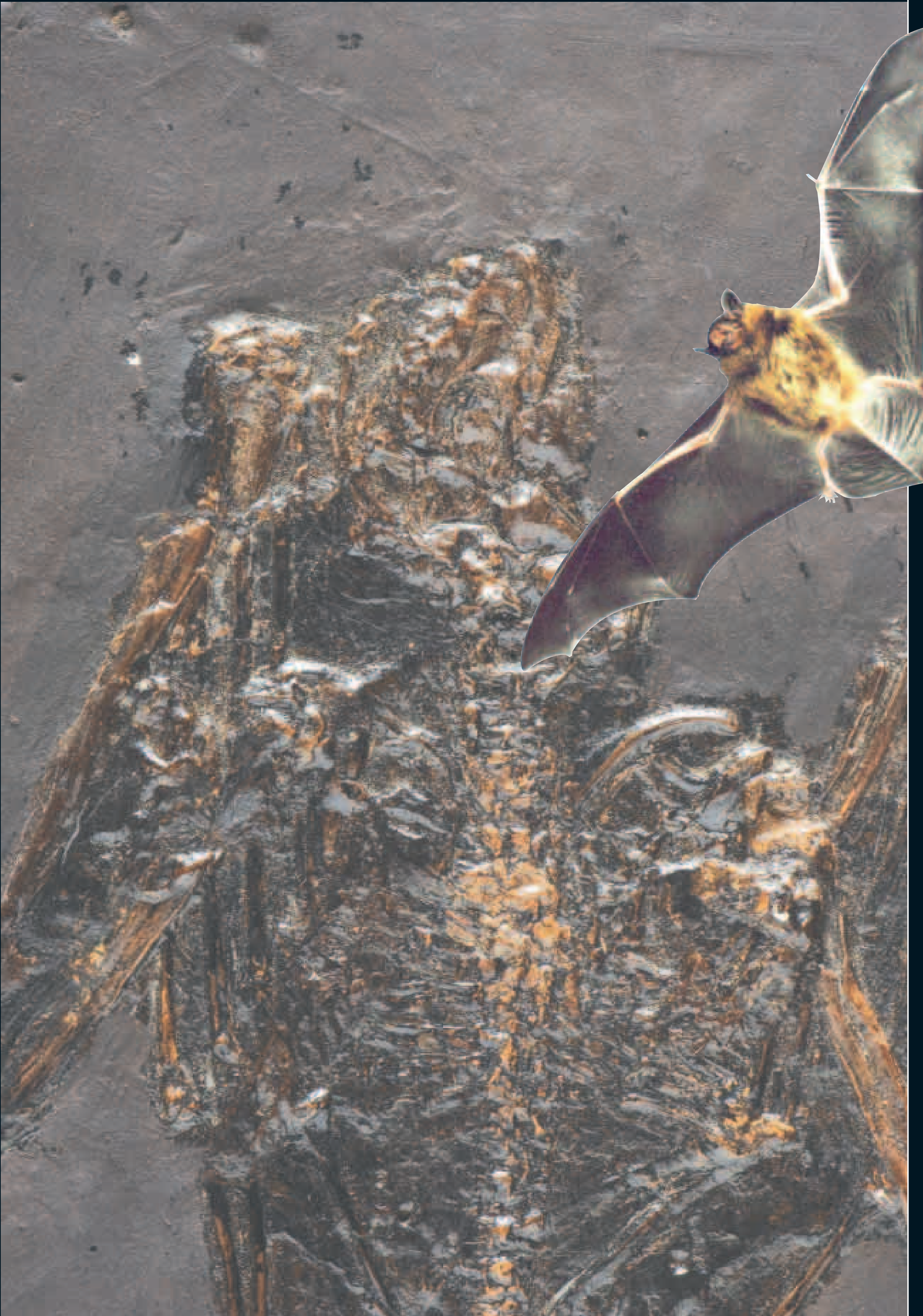




سمكة الكركي ذات العظم

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة
الموقع : تكوين ميسيل ، ألمانيا.

إن أسماك الكركي ذات العظم التي عاشت أقدم نماذجها قبل نحو 180 مليون سنة، تعد كل واحدة منها نموذجاً حفرياً حياً. أما حفرية سمكة الكركي التي تظهر في الصورة، فعمرها 54 ــ 37 مليون سنة. وتدحض هذه الأسماك التي ظلت على ذات ما كانت عليه منذ عشرات الملايين من السنين، نظرية التطور.





وطواط

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 54 ــ 37 مليون سنة
الموقع : تكوين ميسيل، ألمانيا.

ترفض حفريات الوطواط البالغ عمرها ملايين السنين، الزعم بتطور الكائنات الحية. والحقيقة التي تجليها هذه الحفريات هي أن الله خالق الأحياء.





نجم الحية

العصر: زمن الميزوزوي، عصر جورا
العمر: 150 مليون سنة
الموقع: تشكل سلنهوفن، ألمانيا

إن حفرية نجم الحية التي تظهر في الصورة يبلغ عمرها 150 مليون سنة، وهي من الأدلة التي تؤكد أن هذا الكائن الحي لم يمر بأية عملية تطور على الإطلاق. ولا يوجد أي فرق أبدا بينه وبين مثيله الموجود في وقتنا الحاضر. ولم يجد أنصار نظرية التطور ما يقولونه في مقابل هذه الحقيقة.

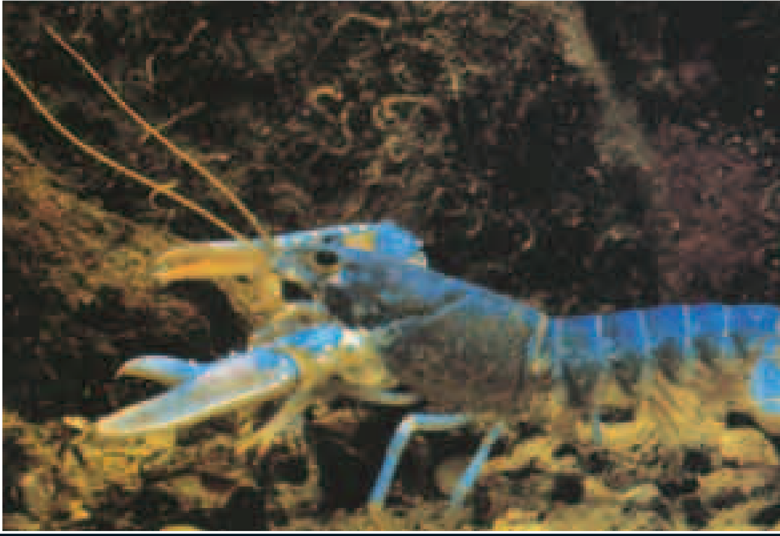
سمكة الكويلاكانث

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الجوراسي.
العمر : 145 مليون سنة
الموقع : تكوين سولنهافن، آيكشتات، ألمانيا.

قدم الداروينيون سمكة الكويلاكانث لسنوات طويلة كنموذج لشكل بيني مزعوم، إلا أن هذه السمكة التي يزعم الداروينيون أنها نوع منقرض السلالة، وأن نصفها سمكة ونصفها الآخر زاحفة تم صيدها حية في بحار عصرنا الحالي. وبالعثور على هذه السمكة التي صيد نحو 200 من نماذجها إلى الآن، تكشّف أن المزاعم التي حول هذا النوع الحي ليست سوى خدعة، وأن الكويلاكانث ليست نموذجا بينياً ، وإنما هي سمكة تعيش في المياه العميقة ، ذات أنظمة كاملة خالية من العيوب. وتعود أقدم النماذج الحفرية المعروفة لهذه الأسماك إلى ما قبل 410 مليون سنة، وهي قد تابعت وجودها منذ نصف مليار سنة دون أن يمسها تغير.
أما حفرية سمكة الكويلاكانث التي تبدو في الصورة وتقيم الدليل على أن مزاعم الانتقال من الماء إلى البر ما هي إلا أباطيل، فيبلغ عمرها 145 مليون سنة.





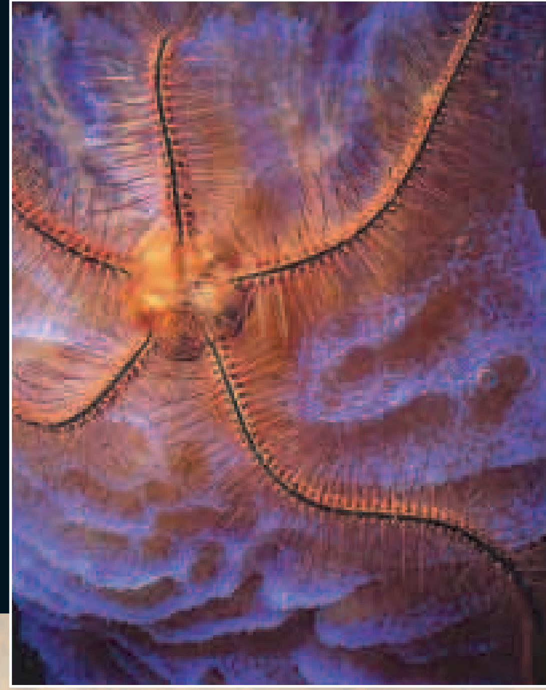


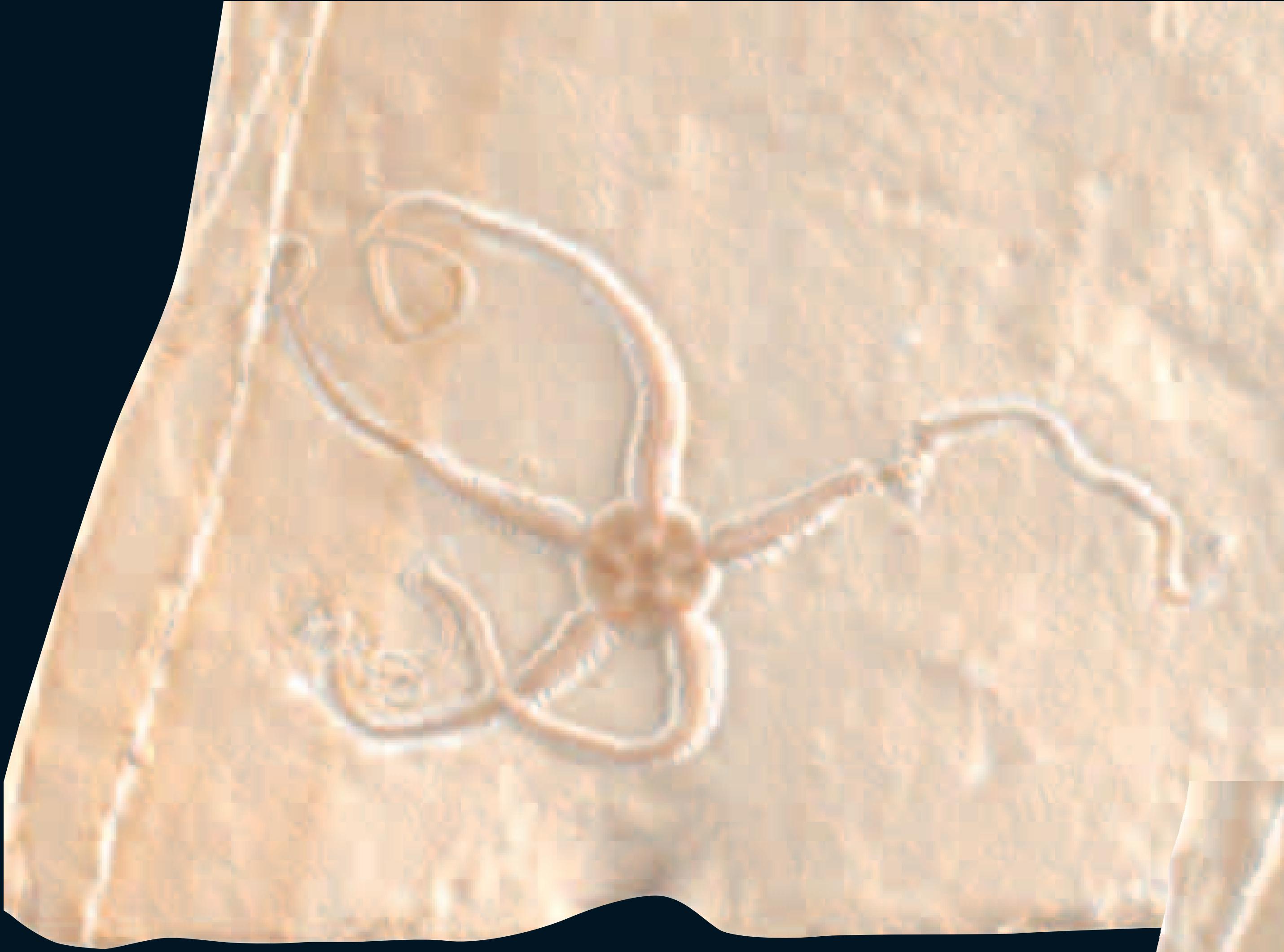
سرطان بحري

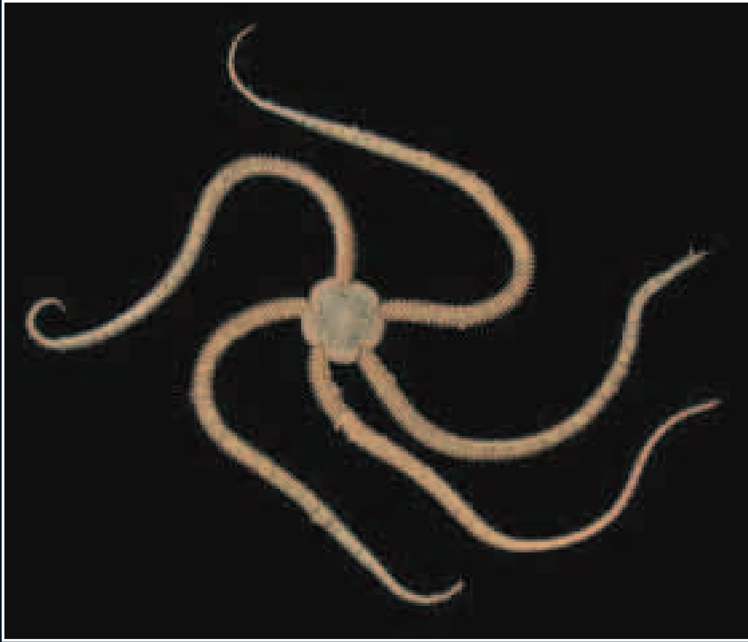
العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الجوراسي.
العمر : 208 ــ 146 مليون سنة
الموقع : تكوين سولنهافن، آيكشتات، ألمانيا.

للسرطان البحري عيون تتألف من أسطح مربعة منتظمة، وكل واحد من هذه المربعات المنتظمة في الأصل عبارة عن سطح أمامي لمنشور مربع، والسطح الداخلي لكل واحد من هذه المناشير المربعة الموجودة في عين السرطان له بنية مرآة، وتعكس هذه الأسطح أشباه المرآة الضوء بشكل قوي، ويتجمع الضوء المنعكس من أسطح هذه المرايا بشكل خالٍ من العيوب فوق الطبقة الشبكية الكائنة في الجهة الخلفية. وقد ثُبِّتت هذه المناشير الموجودة بداخل العين بزاويةٍ، بحيث تعكس كل الضوء على نقطة واحدة بشكل يخلو من أي خطأ . ويعمل هذا النظام البديع بلا قصور منذ مئات الملايين من السنين لدى كافة حيوانات الجمبري. وتبصر هذه الحيوانات التي عاشت قبل 200 مليون سنة، وكذلك مثيلاتها التي تعيش في وقتنا الراهن بذات النظام . وإن هذا الوضع ليفحم الداروينيين الزاعمين بأن الكائنات الحية تطورت بشكل تدريجي.











نجم البحر

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الجوراسي.
العمر : 150 مليون سنة
الموقع : تكوين سولنهافن، آيكشتات، ألمانيا.

نجم البحر حفرية حية تكذّب بشكل قاطع نظرية التطور، ونجوم البحر التي عاشت قبل 300 سنة، ونماذجها التي عاشت قبل 245 مليون سنة، وتلك التي عاشت قبل 150 مليون سنة، تماثل تماما نماذجها التي تعيش في عصرنا الحالي. وتشهد نجوم البحر التي ظلت على ذات ما هي عليه منذ مئات الملايين من السنين، بأن التطور إنما هو زور وبهتان.





مئذنة البحر

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الديفوني.
العمر : 410 ــ 360 مليون سنة
الموقع : بوندنباخ ، ألمانيا.

لا تختلف مآذن البحر التي عاشت قبل 410 ــ 360 مليون سنة عن مثيلاتها الموجودة في عصرنا الحالي. وهذه الأحياء التي لم تتغير رغم ملايين السنين التي تعاقبت عليها، لتُعد دليلاً هام على أن الأحياء لم تمر بأي وتيرة تطور بأي شكل الأشكال.







مئذنة البحر(مَعِديّة الأَرْجُل).

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الديفوني.
العمر : 410 ـــ 360 مليون سنة
الموقع : بوندنباخ، ألمانيا.

مآذن البحر (معديات الأرجل) أحياء تنتمي إلى جنس الرخويات، وتُصادف أقدم نماذجها المعروفة في الفترات الأخيرة من الكمبري، أما مئذنة البحر التي تبدو في الصورة، فعمرها 410 ـــ 360 مليون سنة. وتدحض هذه الأحياء التي ظلت على ذات ما هي عليه منذ مئات الملايين من السنين، نظرية التطور.



جمبري

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الجوراسي.
العمر : 208 ـــ 146 مليون سنة
الموقع : تكوين سولنهافن، آيكشتات، ألمانيا.

تشهد حيوانات الجمبري التي تابعت وجودها منذ ملايين السنين دون أن يمسسها تغير قط، بأنها لم تتطور، وإنما هي خُلقت. ولو أن كائنا حيا اختص اليوم بنفس السمات التي اختص بها قبل ملايين السنين، استحال الزعم بأنه تطور عن غيره. وتقيم سجلات الحفريات الشواهد على أن مزاعم التطوريين ليس لها نصيب من الصحة والصواب.

نماذج لحفريات عثر عليها في أسبانيا

تشكل مناطق الجبال والمرتفعات مثل البرانس وسييرا الشطر الأعظم من أسبانيا، و24 % من مساحة البلاد أعلى من 1000 متر. وتوجد الطبقات الحفرية الهامة في المناطق الجبلية المذكورة. أما البنية الصخرية فتنقسم إلى قسمين، وفي حين يتكون شمال وغرب شبه الجزيرة من صخور كريستالية ذات كثافة مثل الجرانيت والصلصال، فإن قسماً آخر يتألف من صخور رسوبية تكثر فيها الأحجار الجيرية.

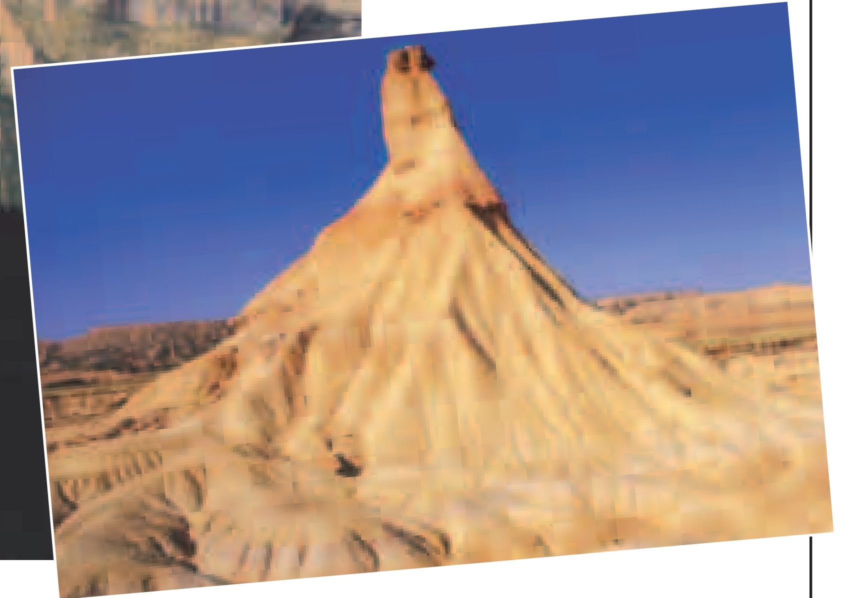


ومن بين الحفريات التي جُمعت من أسبانيا حفريات لذوات الأرجل الشبيهة بالأذرع، وأحياء بحرية مختلفة تعود إلى العصر الديفوني (منذ 417 ــ 354مليون سنة)، وحفريات لأنواع نباتية وحيوانية بالغة التنوع ترجع إلى العصر الكربوني (منذ 354 ــ 290 مليون سنة)، وأعداد هائلة من حفريات لأنواع ثديية وزاحفة وأحياء بحرية وطيور ونباتات.

وتبين كافة هذه الحفريات أن الداروينيين في مأزق كبير، إذ إن هذه الاكتشافات، في حين أنها لا تقدم دليلاً واحداً يدعم زعم التطور التدريجي على مراحل، تكشف عن ملايين النماذج التي تثبت أن الكائنات الحية وُجدت من عدم، وأنها لم تتغير طيلة العصور الجيولوجية. أما مفهوم هذا الكلام فواضح، وهو أن الكائنات الحية لم تتطور، وإنما خلقها الله كافة.



الوادي العميق لأورديسا الذي يتكون من الصخور الرسوبية الجيرية والتي يبلغ ارتفاعها 600 متر.



بردينااس رياليس أسبانيا

نماذج لحفريات عثر عليها في جمهورية التشيك

تشكل المنطقة الجبلية الموجودة في إقليم بوهيميا قسماً عظيماً من البنية الجغرافية لجمهورية التشيك. وتُعد هذه المنطقة التي ترتفع نحو 900 عن مستوى البحر ، إحدى مناطق جمهورية التشيك الغنية نوعا ما من حيث الحفريات . وقد عُثر في بوهيميا على نماذج حفرية كثيرة للغاية لأحياء العصر الكمبري (منذ 543 ــ 490 مليون سنة) والعصر الديفوني (منذ 417 ــ 354 مليون سنة). هذا بالإضافة إلى حفريات الأحياء المجهرية التي عاشت في العهد البروتروزوي (منذ 5, 2 مليار ــ 545 مليون سنة). ومن أكثر هذه الحفريات جذباً للانتباه هي حفرية التريلوبايت الذي له ما يزيد عن 1300 نوع مختلفة. وقد سمى عالم الحفريات جواشم براندي (Joachim Barrande) 300 منها ، ومن ثم أُطلق عليها تريلوبايتات براندي. ومن التكوينات التي يُصادف فيها التريلوبايتات براندي بكثرة، تكوين جاينتشى. وقد جُمعت من جاينتشى المعروف أنها كانت ذات مناخ بارد في العصر الكمبري، نماذج حفرية لكثير من الأحياء البحرية التي عاشت في الزمن الباليوزوي (منذ 543 ــ 251 مليون سنة).



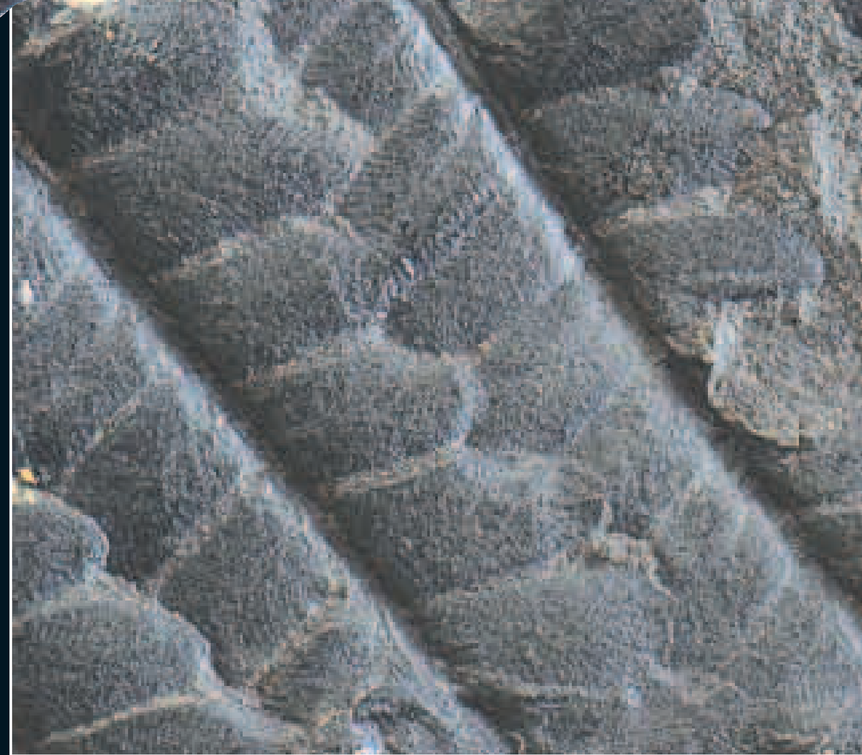
وتحظى المصادر الحفرية التي عثر عليها في جمهورية التشيك، بأهمية من حيث فهم التاريخ الطبيعي الحقيقي. وتثبت هذه الاكتشافات أن وتيرة التطور التي يزعمها الداروينيون لم تُشهد في أي زمن قط، ولم تتطور الأحياء عن جد بدائي مزعوم مثلما يزعم التطوريون، وأن كل نوع ظهر فجأة في سجلات الحفريات بما يختص به دون غيره من سمات. وقد سددت هذه الحقيقة التي تنهض دليلاً هام على الخلق، ضربة ساحقة للنظرية الداروينية.

جُمعت من بوهيميا الشهيرة بالطبقات الحفرية الغنية حفريات تبلغ أعمارها مئات الملايين من السنين، وكل واحدة من هذه الحفريات تظهر بجلاء أن الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور، وإنما قد خلقها الله.





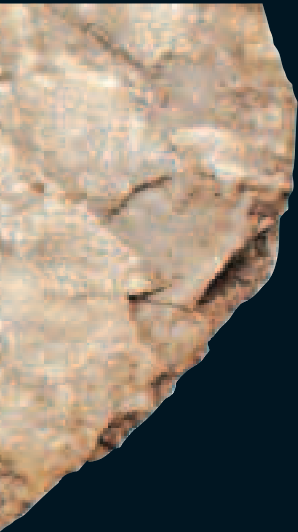




عشب السرخس

العصر : الزمن الباليوزوي، العصر الكربوني.
العمر : 360 ـــ 286 مليون سنة.
الموقع : ليون، أسبانيا.

هناك تطابق بين أعشاب السرخس التي نمت قبل 360 ـــ 286 مليون سنة، وبين مثيلاتها الموجودة في عصرنا الراهن. وهذه النباتات التي ظلت على ذات ما هي عليه على مدى مئات الملايين من السنين دون تغير، لتكشف عن أن نظرية التطور كذب وبهتان، وأن خلق الله حقيقة بالغة الوضوح.







ضفدع

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 12 مليون سنة.
الموقع : جمهورية التشيك.

من بين الأدلة التي تؤكد أن الضفادع إنما وُجدت دوماً ضفادع، حفرية الضفدع التي تظهر في الصورة ويبلغ عمرها 12 مليون سنة. وما من تفاوت قط بين الضفادع التي عاشت قبل 12 مليون سنة، وبين نماذجها الموجودة في عصرنا الراهن.

نماذج لحفريات عثر عليها في إيطاليا

تشكل أرض بحر تيثيس (Tethys) المعروف أنه كان يحيط بالأجزاء الواضحة لأوربا القديمة، جزءاً عظيماً من البنية الصخرية الموجودة في إيطاليا. وتشير الدراسات الجيولوجية إلى أنه قبل 165 مليون سنة من يومنا هذا، برز بحر تيثيس كبحر عظيم مع انفصال بانجيا (Pangea). وهذا البحر الذي كان يحيط بمنطقة كبيرة نوعا ما، كان ذا سمة استوائية لقربه من خط الاستواء. ونتيجة للحركات الأرضية الحادثة في العصور الجيولوجية (ملايين السنين) ظهر البحر الأبيض قبل نحو 65 مليون سنة من الآن مع ارتفاع الأجزاء البرية من داخل بحر تيثيس الذي زُحزح تدريجيا نحو الشمال.

وتوجد في الطبقات الصخرية لإيطاليا والتي كانت أرضا لبحر تيثيس في أحد الأزمنة، أعداد هائلة لحفريات أحياء بحرية. وتظهِر هذه الحفريات أن كافة الأنواع المعروفة للأحياء البحرية ظهرت فجأة بالبنى المعقدة التي تحوزها، أي أنها خُلقت من عدم. وليس ثمة حفرية واحدة توضح أن هذه الأحياء إنما انحدرت عن جد واحد مشترك مزعوم، وأنها نجمت وتطورت عن بعضها البعض. ولقد مُنيت الداروينية بالهزيمة أمام الاكتشافات الحفرية. وأوضحت مئات الملايين من النماذج الحفرية هذه الحقيقة وضوح الشمس.



توجد الطبقات الرخامية بوجه عام في المناطق التي تشتمل على أرصفة المرجان الموجودة تحت المحيط لأزمنة، أو في أراضي السلاسل الجبلية. وتبدو في الصورة الطبقات الرخامية الموجودة في جبال الألب الإيطالية.



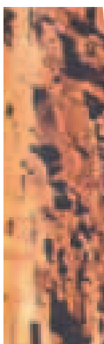


حفرية لسمكة عثر عليها في منطقة حفريات مونتي بولكا(**Monte Bolca**) بإيطاليا



عمليات البحث والتنقيب عن الحفريات التي أجريت في مونتي بولكا.





يحوز الوادي السحيق لبوترلوك (**Butterloch**) بنية صخرية تعود للعصر البرمي (منذ 290 ـ 248 مليون سنة).

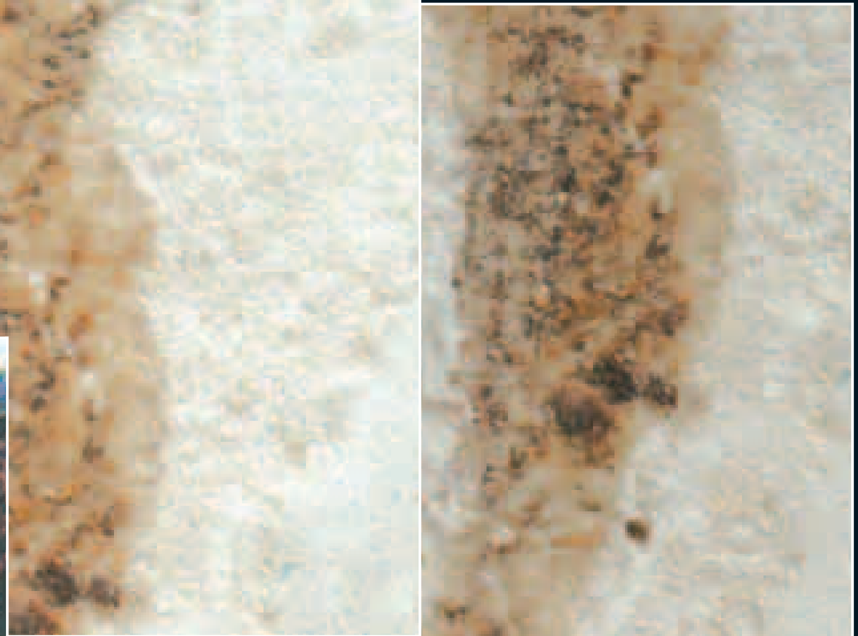
سمكة السِفَرد

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 6 مليون سنة.
الموقع : فيومي (Fiume)، مركيا(Marecchia)، إيطاليا.

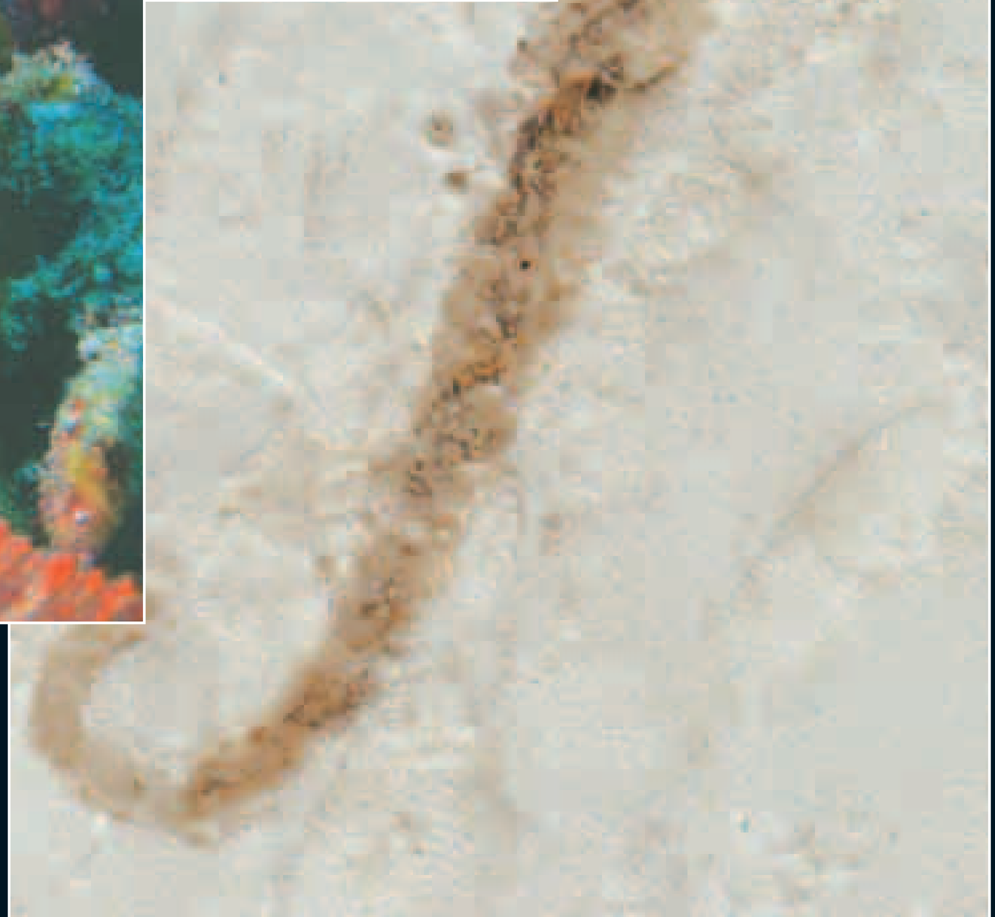
تنتمي أسماك السفرد إلى الفصيلة المئوية (Sentriscidae). والأجزاء الأمامية من أجسامها مصفّحة، وزعنفها الظهرية شائكة. وتبلغ عمر سمكة السفرد التي تظهر في الصورة مليون سنة، وهي تختص بكافة السمات التي تختص بها أسماك السفرد التي تعيش في عصرنا الحالي. وهذا يبين أن هذه الأسماك لم يلحق بها أي تغير منذ ملايين السنين، وأنها لم تمر بأي مرحلة بينية بأي شكل من الأشكال.











فرس البحر

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الأوليجوسيني.
العمر : 26 مليون سنة.
الموقع : إيطاليا.

تنتمي أفراس البحر للفصيلة السينجاسيدية (Syngnathidae)، وهي من الأحياء التي تتحدى نظرية التطور ببنياتها التي لم تتغير منذ ملايين السنين. ويبلغ عمر حفرية فرس البحر التي تبدو في الصورة 26 مليون سنة، و هي تطابق أفراس البحر التي تعيش في عصرنا الراهن.





السمكة صفراء الذيل

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الإيوسيني.
العمر : 48 مليون سنة.
الموقع : مونتي بولكا، فيرونا، إيطاليا.

من بين حفريات الأنواع السمكية التي جُمعت في إيطاليا أيضا، حفرية السمكة صفراء الذيل، ويبلغ عمر حفرية صفراء الذيل التي تبدو في الصورة 48 مليون سنة. ووجود نفس كافة السمات التي تحوزها الأسماك صفراء الذيل التي عاشت قبل 48 مليون سنة، لدى مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الحالي، إنما يثبت أن التطور ليس حقيقة.

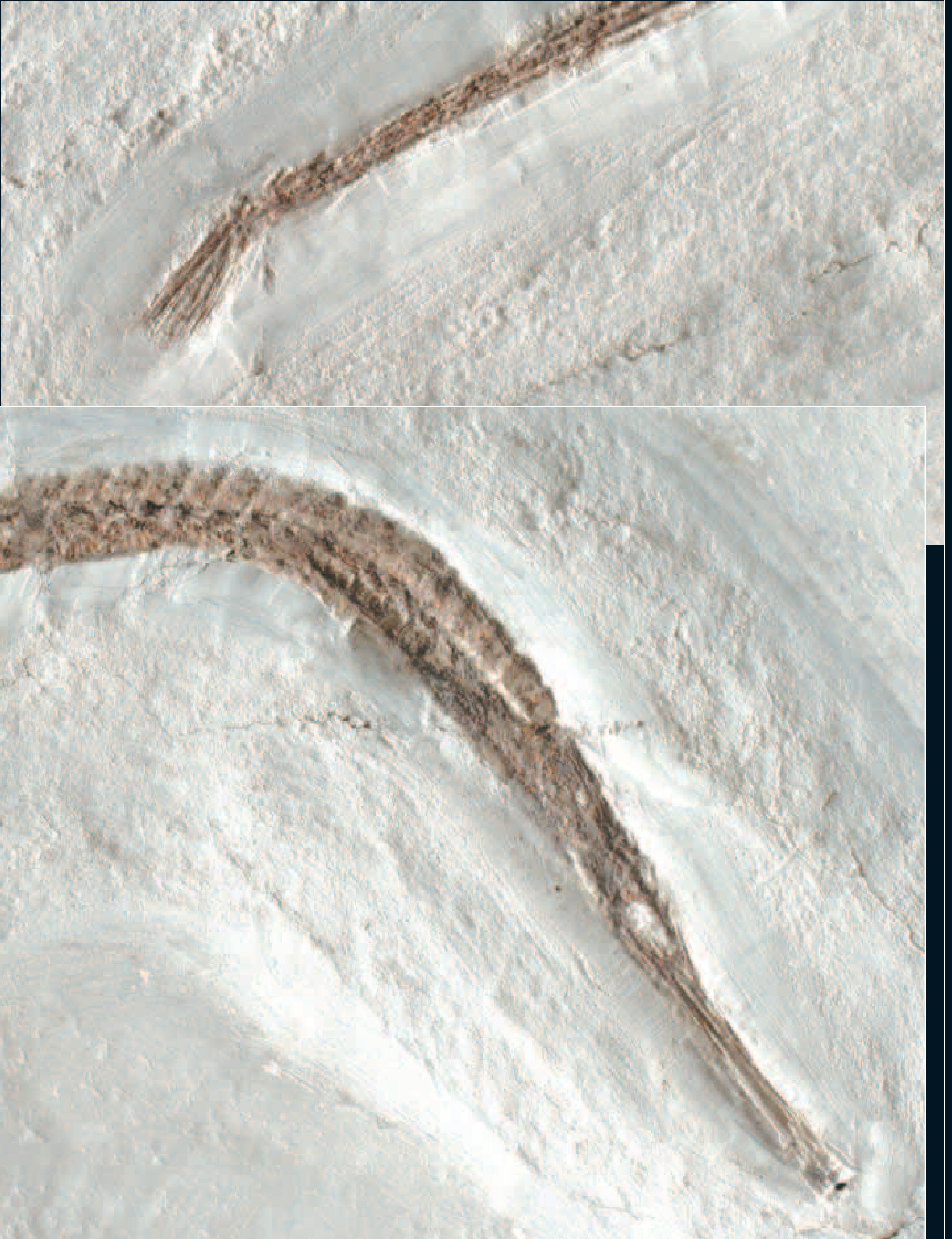




يرقة الرعاش

العصر : الزمن السينوزوي ، العصر الميوسيني .
العمر : 10 مليون سنة .
الموقع : كوينو، إيطاليا.

توضح حفريات يرقات الرعاشات، شأنها شأن حشراتها البالغة، أن التطور لم يحدث في أي وقت قط. وما من أي تفاوت بين يرقة الرعاش التي تبدو في الصورة والتي يبلغ عمرها 10 مليون سنة، وبين مثيلاتها الموجودة في عصرنا الراهن. وعدم التفاوت هذا إنما يبين بالعِيان أن التطور ما هو إلا قصة من نسج الخيال.





سمكة إبرة الماء

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 23 ــ 5 مليون سنة.
الموقع : بيرني، إيطاليا.

تنحدر أسماك إبر الماء من ذات الفصيلة التي منها أفراس البحر، وهي ذات بنية جسدية رفيعة وطويلة. و تعد هي الأخرى إحدى نماذج الحفريات الحية التي تدحض نظرية التطور. ويبلغ عمر حفرية سمكة إبرة البحر الموجودة في الصورة 23 ــ 5 مليون سنة، وهي تماثل تماما مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الراهن.

نماذج المتحجرات التي وجدت في إنجلترا

تنتمي أقدم المتحجرات التي تم العثور عليها في إنجلترا إلى العصرين السيلوري (443-417 مليون سنة) والديفوني (417-354 مليون سنة). ويرجع تاريخ إنجلترا الجيولوجي إلى ما قبل 600 مليون سنة. وعاشت في الماضي السحيق مناخا استوائيا وكذلك عصورًا جليدية. فضلا عن التغييرات التي حصلت على مناسيب البحر، وحدوث الانفجارات البركانية والتعرية. وأدت هذه الأسباب إلى العثور على متحجرات لمختلف أنواع الأحياء. ويعتبر الجزء الجنوبي من البلد من أكثر الأجزاء احتواء على مكامن المتحجرات، والتي تم العثور فيها على الكثير من المتحجرات. وتعتبر منطقة دورسيت أحدى هذه المكامن.

يتسم التركيب الصخري لهذه المنطقة بخصائص متفاوتة. إلا أن دورسيت تشتهر بشريطها الساحلي المسمى بـ" الساحل الجوراسي" والذي يتألف من الصخور التي تعود إلى العصر الجوراسي. وتوجد مكامن مختلفة للمتحجرات في هذا الشريط الساحلي. وقد تم العثور في هذه المكامن على متحجرات لمئات الأنواع من الأحياء محفوظة تفاصيلها الجسمية فيها بصورة جيدة جدًا. ويظهر مرة أخرى من خلال كل متحجر من هذه المتحجرات التي تم العثور عليها أن الأحياء لم تشهد أي تغيير طيلة ملايين السنين؛ أي أنها لم تمر بمراحل تطورية.







يعتبر مقلع كروكي ثيل للأحجار أحد المكامن المهمة للمتحجرات بإنجلترا. وتدل المتحجرات التي تم الحصول عليها من هذه المنطقة بأن الأحياء لم تمر بمراحل التطور في أي وقت من الأوقات.

وتوجد منطقة مهمة أخرى بإنجلترا تحوي مكامن للمتحجرات وهي منطقة لانكشاير. وتنتمي أقدم المناطق الصخرية فيها إلى العصر الكاربوني أو الفحمي (354-290 مليون سنة). وهناك رأي متفق عليه بأن هذه المنطقة كانت قاعا لبحر معتدل وغير عميق وذلك قبل 340 مليون سنة. ولهذا السبب تم العثور في هذه المنطقة على متحجرات للكثير من أنواع الأحياء البحرية.

وإن متحجرات الكثير من أنواع الأحياء التي تم العثور عليها بإنجلترا تؤكد مرة أخرى عدم صحة نظرية التطور التي تدعي بأن الأحياء قد نشأت تدريجيا مما يسمى بالجد المشترك لها. وتبين هذه المتحجرات مثلها مثل باقي المتحجرات الأخرى بأن الأحياء خُلِقت ولم تمر بمراحل تطورية.



تبين الصورة الدراسات الجارية على صَدَفة متحجرة تم العثور عليها في الساحل الجوراسي في منطقة دورسيت.





الشريط الساحلي في دورسيت، والمتكون من الصخور التي تعود للعصر الجوراسي. وقد تم العثور على الكثير من المتحجرات من هذه الصخور.

ب

أ





يرى في الصورة تصويرًا موجِبا وسالِبا لمتحجر ذي طرفين.





سرطان حدوة الفرس (سرطان آتنه)

الفترة: الحقبة البالوسينية – العصر الكاربوني (الفحمي)

العمر: 300 مليون سنة.

المنطقة: مقلع كوك هاي أوبين كاست للأحجار، لانكشاير، إنجلترا.

يعتبر سرطان حدوة الفرس (أكسيفوسورا؛ سيفية الذيل) كائنا حيا وجد منذ العصر الكامبيري. ويبلغ عمر النموذج الذي يرى في الصورة 300 مليون سنة. وتقوم هذه السرطانات التي تعيش منذ 300 مليون سنة دون تغيير بنسف الإدعاءات القائلة بحدوث التطور التدريجي للأحياء.





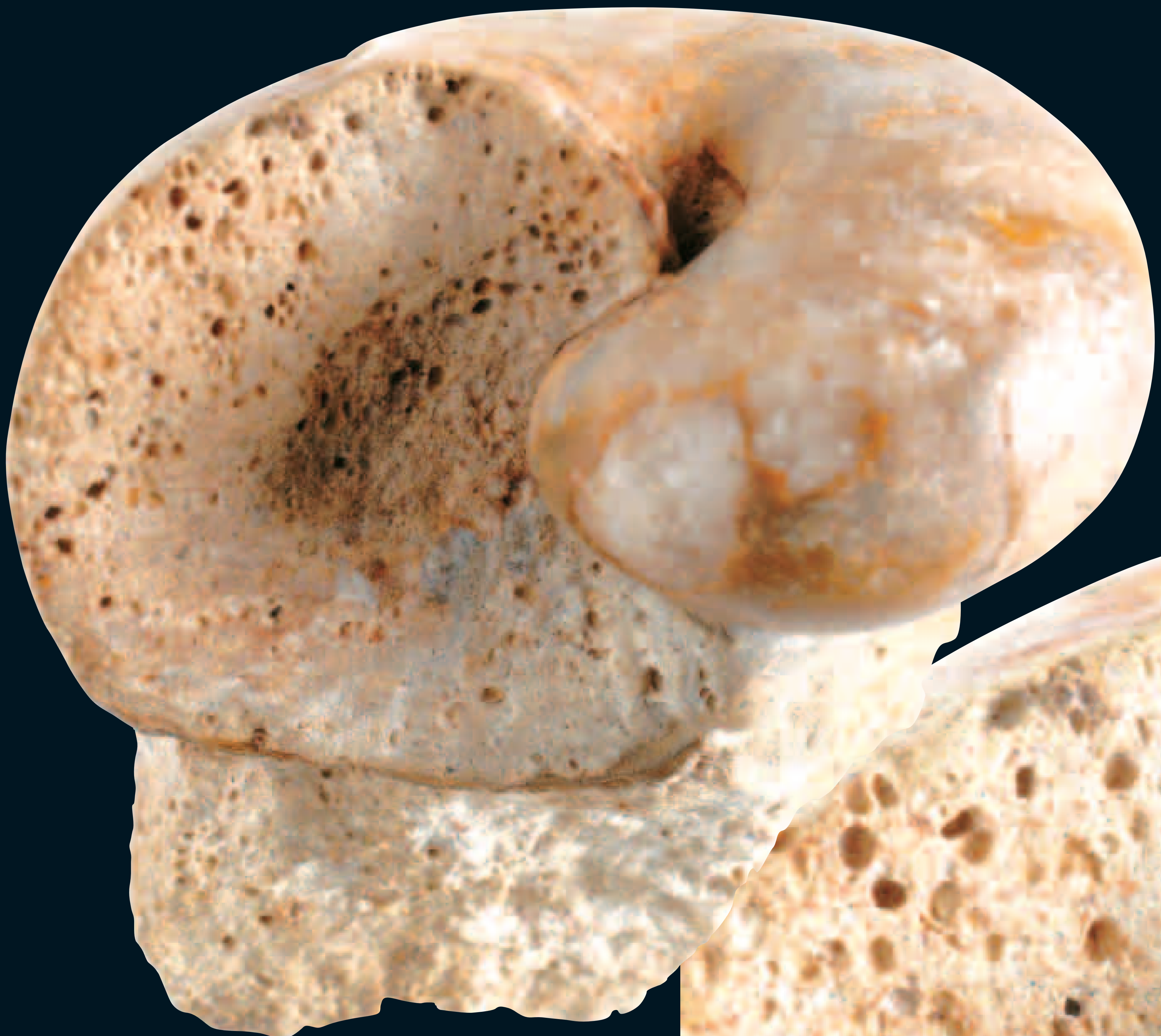

نجم البحر

الفترة: الحقبة الوسيطة– العصر الجوراسي
العمر: 180 مليون سنة.
المنطقة: آيب، دورسيت، إنجلترا.

يبين متحجر نجم البحر الذي يبلغ عمره 180 مليون سنة بأن هذه الحيوانات تعيش دون تغيير منذ حوالي مئتي مليون سنة. وهي لا تختلف عن مثيلاتها التي تعيش في وقتنا الحاضر. وبذلك تثبت عيانا مرة أخرى عدم صحة نظرية التطور.







القوقع البحار (النوتي)

الفترة: الحقبة الوسيطة– العصر الجوراسي
العمر: 167 مليون سنة.
المنطقة: فريشووتر، دورسيت، إنجلترا.

يعتبر القوقع البحار واحدا من ملايين الكائنات الحية التي تعيش بدون تغيير منذ خُلقت قبل ملايين السنين. ومتحجر القوقع البحار الذي يرى في الصورة والبالغ عمره 167 مليون سنة لهو إثبات لهذه الحقيقة.





بيفالف

الفترة: الحقبة الوسيطة– العصر الجوراسي

العمر: 200 مليون سنة.

المنطقة: مقلع كونينجسبي للأحجار، همبرسايت، إنجلترا.

ينتمي هذا الحيوان ذو القشرتين إلى صنف القشريات. وتوجد نماذج متحجرة منه يبلغ عمرها 200 مليون سنة؛ وهي مطابقة للأنواع التي تعيش منها حاليا. وهذه البيفالفات مثلها مثل باقي الأحياء تمتلك الخصائص نفسها منذ خلقت، ولم تتعرض لأي تغيير.



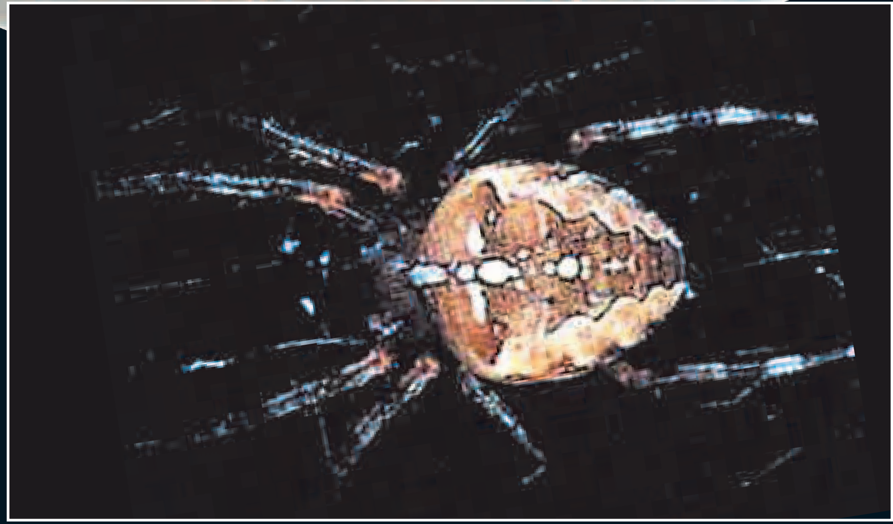




القوقع البحار (النوتي)

الفترة: الحقبة الوسيطة– العصر الجوراسي
العمر: 167 مليون سنة.
المنطقة: بورتون برادستوك، دورسيت، إنجلترا.

يمتلك القوقع البحار الحالي كافة الخصائص التي كان يمتلكها القوقع البحار الذي كان يعيش قبل ملايين السنين. وتدل سجلات المتحجرات أن القوقع البحار لم يتغير طيلة العصور الماضية. أي أنه لم يمر بمرحلة التطور. ومتحجر القوقع البحار الذي يرى في الصورة والبالغ عمره 167 مليون سنة لهو إثبات لهذه الحقيقة.



العنكبوت

الفترة: الحقبة البالوسينية – العصر الكاربوني (الفحمي)
العمر: 300 مليون سنة.
المنطقة: مقلع كوك هاي أوبين كاست للأحجار، لانكشاير، إنجلترا.

تعيش العناكب كما هي منذ 300 مليون سنة. وهي أحد الأحياء التي توجه ضربة كبيرة لنظرية التطور، وتنسف جميع إدعاءات متبني هذه النظرية. فهي تمتلك الخصائص نفسها منذ ملايين السنين، ولم تتعرض لأي تغيير.



القوقع البحار (النوتي)

الفترة: الحقبة الوسيطة– العصر الجوراسي
العمر: 167 مليون سنة.
المنطقة: بورتون برادستوك، دورسيت، إنجلترا.

لا يوجد أيّ فرق بين القوقع البحار الحالي ونظيره الذي كان يعيش قبل ملايين السنين. ويعتبر هذا الانعدام في الفرق أهم دليل على عدم حدوث عملية التطور أبدًا.









سمك الجنّ (كابروس)

العصر: زمن السينوزوي، العصر الأليجوسيني
العمر: 35 مليون سنة
الموقع: بولونيا

إن سمك الجن الذي عاش قبل 35 مليون سنة يشبه تماما مثيله الذي يعيش في وقتنا الحالي، وهذا من أهم الأدلة التي تثبت أن زعم نظرية التطور كذبة كبيرة. وأعمال البحث في ميدان علم الإحاثة متواصلة منذ 150 عاما، لكن لم يتم العثور ولو على حفرية واحدة تكون دليلا على صحة ما تزعمة هذه النظرية. وجميع المتحجرات الموجودة لدينا تثبت أن الكائنات الحية لم تمر بأية عملية تطور.

نماذج المتحجرات التي وجدت في روسيا



لقد تم العثور على متحجرات متجمدة للحيوانات في منطقة سيبيريا من روسيا. وبالإضافة إلى ذلك تم العثور على الكثير من المتحجرات وهي محفوظة داخل الكهرمان. وتصنف هذه المتحجرات ضمن كهرمانات البلطيق. وتنتشر هذه الكهرمانات على امتداد منطقة واسعة إلى حد كبير تبدأ من برلين غربا حتى جبال أورال شرقا. وتنتمي أغلب كهرمانات البلطيق إلى العصر الأيوسيني (54-37 مليون سنة).

ويوجد أغلب هذه الكهرمانات المذكورة مطمورًا تحت مستوى سطح الأرض بـــ 25-40 مترًا في منطقة ساملاند التي تقع ضمن روسيا الحالية. وتطلق على طبقة التربة الحاوية على الكهرمانات تسمية "التراب الأزرق". ويحتوي كل 1000 كغم من هذا التراب على 1 كغم تقريبا من الكهرمان. ويحتوي كهرمان واحد فقط على المتحجرات من بين مئات الكهرمانات.

وتختلف الكهرمانات تبعا لاختلاف ألوانها، وفترة تكونها؛ واختلاف خواصها الفيزيائية الأخرى، وتختلف أيضا تبعا لاختلاف الفترة التي تكونت خلالها، والشجرة التي أفرزت الراتنج المكون للكهرمان. وينتمي أقدم كهرمان معروف إلى العصر الكاربوني (الفحمي) (354-290 مليون سنة). ويوجد أغلب كهرمانات العصر الكاربوني (الفحمي) في إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية.

يمر الكائن الحي بمرحلتين متتاليتين مهمتين بعد التصاقه بالراتنج وقبل تحوله إلى متحجر داخل كهرمان. تتمثل المرحلة الأولى في التصلب الناتج عن التبريد أو التجفيف. أما المرحلة الثانية فتتمثل في تفسخ أنسجة الكائن الحي الموجود داخل الراتنج. ويتكون تركيب خاص خلال فترة التفسخ ينتج عن اختلاط سائل الراتنج مع السوائل التي تتولد من تفسخ جسم الكائن الحي.

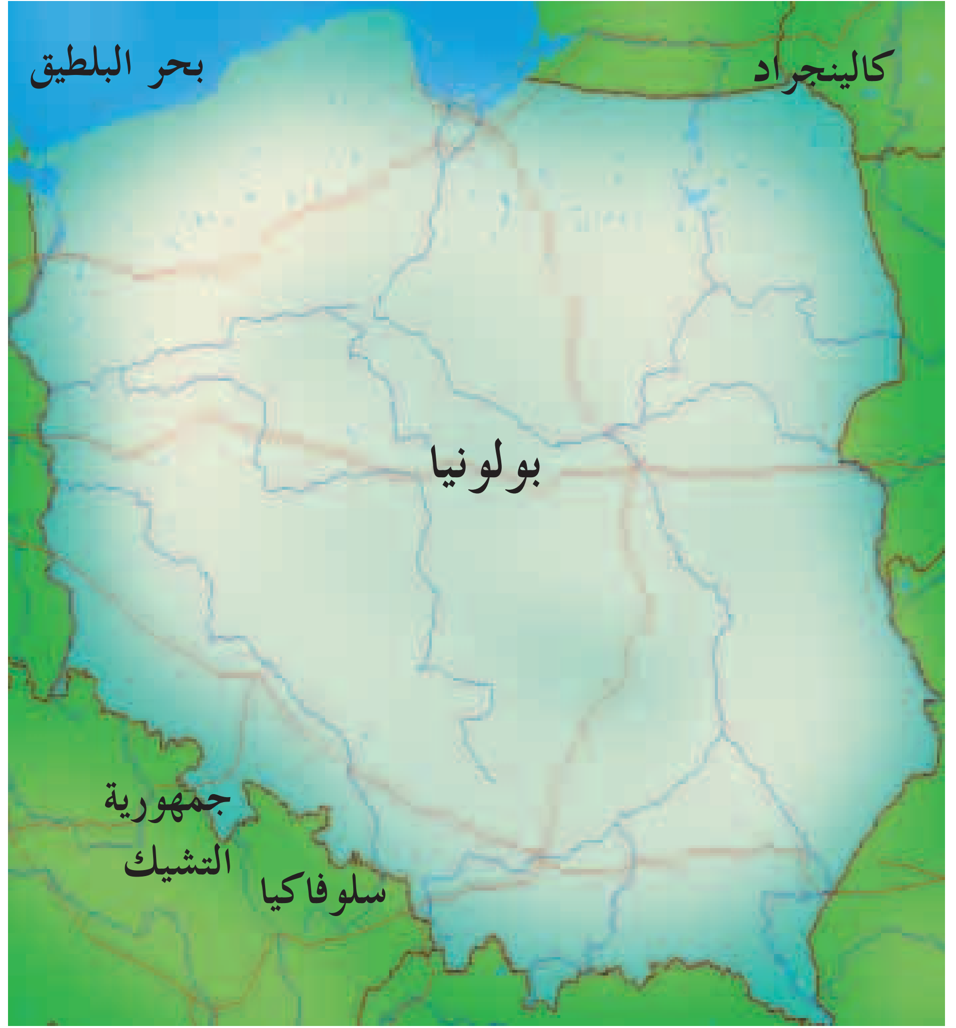
ويتم الحفاظ على جسم الكائن الحي داخل هذا السائل ذي القوام الرغوي والمظهر الشبيه بالبالون. ويتطلب تكون الكهرمان بصورة كاملة أن يمر الراتنج بمراحل كيماوية وجيولوجية عديدة.

وتعتبر المتحجرات الموجودة داخل الكهرمانات مجالا مهما لإجراء الدراسات من قبل الكثير من رجال العلم. وهناك نماذج عديدة للكهرمانات تحوي داخلها حيوانات متحجرة بوضعها الذي كانت تأخذه تلك اللحظة؛ فمنها ما كان يذهب بالمأكل إلى عشه، ومنها ما كان في وضع الدفاع، وآخر في وضع التخفي، وحيوان في وضع المدافع عن أفراخه، وحيوان في وضع إفراز مواد كيماوية ضد أعدائه. وتبين لنا هذه النماذج جميعا أن خصائص الأحياء لم تتغير منذ ملايين السنين. أي أن المرحلة المسماة بالتطور لم تحدث أبدا.



أحد المناطق الحاوية على الكهرمان بروسيا.

نماذج المتحجرات التي وجدت في بولونيا



تعتبر بولونيا إحدى الدول التي توجد فيها الكهرمانات. وإن منطقة البلطيق بالذات تعتبر من أغنى المناطق بالكهرمان. فقد تم الحصول في هذه المنطقة على المتحجرات المحفوظة داخل الكهرمانات. ويبلغ عمر هذه المتحجرات 35 -40 مليون سنة. إلا أن المنطقة تحوي متحجرات أخرى أقدم تاريخا. وإن أحدى أهم الصفات التي تميز كهرمانات هذه المنطقة عن الكهرمانات الأخرى هي احتواؤها على أحد الأحماض وهو المسمى بحامض السكسينيك. ويعتقد أن هذا الحامض كان موجودًا في راتنج شجرة يفترض أنها كانت تعيش في العصر الأيوسيني (54–37 مليون سنة).

تشكل المفصليات الجزء الأكبر من متحجرات الحيوانات التي تم العثور عليها في كهرمانات البلطيق. ويندر في هذه المنطقة وجود متحجرات لأحياء مثل القواقع، والرخويات، أو مختلف الأحياء الفقرية. وتبين هذه المتحجرات أن الأحياء ظلت كما هي عبر التاريخ دون تغيير. أي أن البعوض ظل بعوضا؛ والفراشة ظلت فراشة؛ واليرقات ظلت يرقات دومًا. وبهذه الميزة تكون المتحجرات قد دفعت نظرية التطور نحو مأزق كبير لا مخرج منه. فالمتحجرات تضم الأحياء المتحجرة ببيضها، أو يرقاتها، أو مع فرائسها، أو تضمها وهي خارجة من طورها اليرقي. ولكن جميعها تحمل خصائصها الذاتية، وطريقة المعيشة نفسها طيلة عشرات الملايين من السنين؛ دون أن تمر بأية مرحلة من التطور.





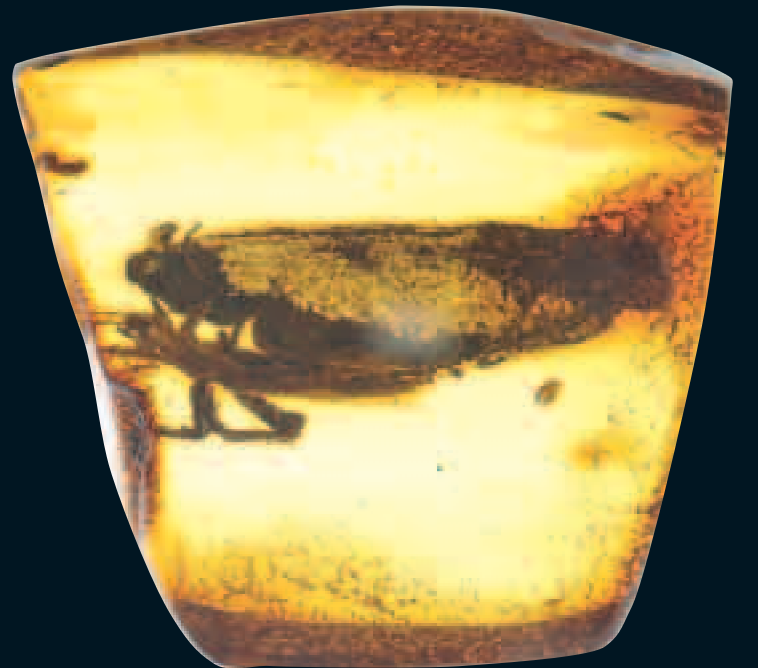
يتم الحصول على كهرمانات البلطيق من منطقة واسعة إلى حد كبير. وتمثل الصورة أحد الأعمال الجارية في المنطقة.



يرقة الحشرة العصوية

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

تعتبر الحشرات العصوية خبيرة ف فن الاختفاء. فمظهرها شبيه بغصن شجرة أو ورقتها. وربما يستحيل تمييزها عن الغصن الذي تقف عليه. وقد كانت هذه الحشرات سواء التي عاشت قبل 45 مليون سنة أو تلك التي تعيش في الوقت الحاضر تستخدم التخفي بالأسلوب الدفاعي نفسه ضد الأعداء. وإنّ عدم تغير بنية الأحياء المذكورة منذ 45 مليون سنة لهو دليل على عدم حدوث عملية التطور.







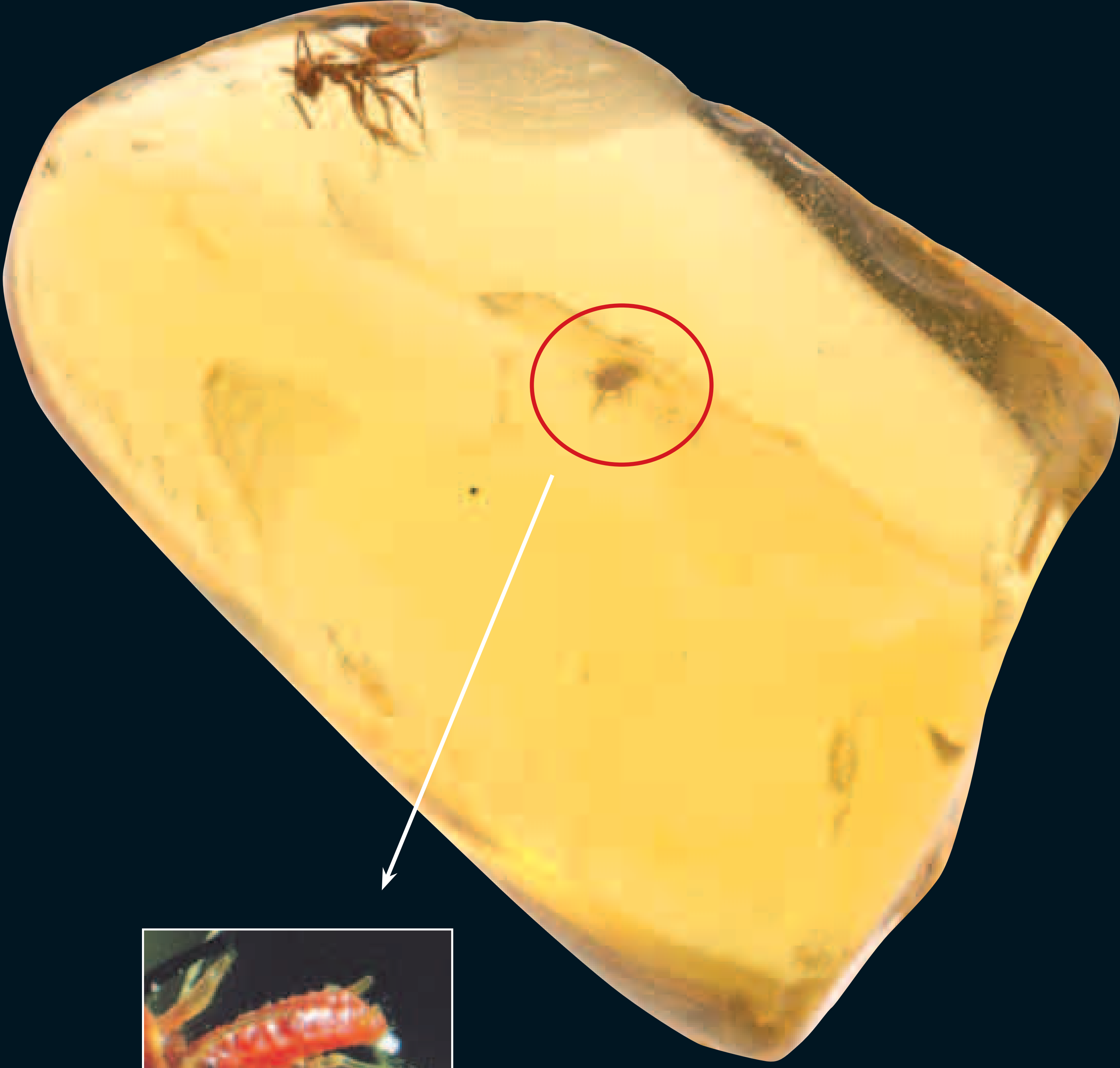


أنثى ذبابة الرمل

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

تعتبر سجلات المتحجرات من أهم الأدلة التي تفند المزاعم القائلة بأن الأحياء نشأت بالتطور التدريجي من أحياء أخرى. ومما يبين لنا هذه الحقيقة مرة أخرى هو التطابق الموجود بين أنثى ذبابة الرمل التي عاشت قبل 45 مليون سنة وبين نظيرتها التي تعيش في وقتنا الحاضر.







يرقة المن

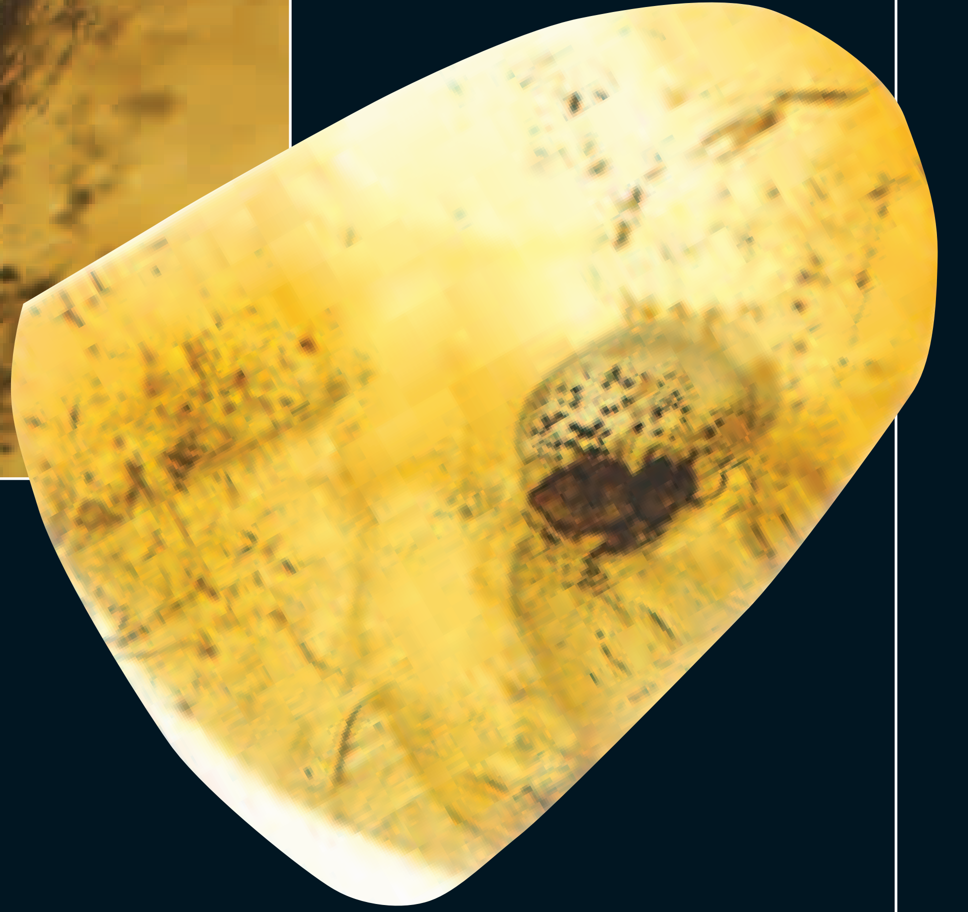
النملة العاملة ويرقة المن

الفترة: الحقبة السينوزوية – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

إن كلمة "النمل" تطلق كتسمية عامة على تلك الأنواع الكثيرة من الحشرات ذات الأجنحة الغشائية، والتي تعيش على شكل جماعات، وتكون يرقاتها تحت التربة. ويعيش النمل ضمن مستعمرات، ويوجد منه حوالي 800 نوع. ولكل نوع منها صفاته الخاصة به. ويضم هذا الكهرمان في داخله نملة عاملة متحجرة؛ وكذلك حشرة من شبه ناضجة. ويعيش المن غالبا بالتكافل المعيشي مع النمل لأن بعض النمل يتولى تغذية المن.

ونرى الشيء نفسه يحدث لدى النمل والمن الحالي. وتتحدّى هذه الكائنات الحية التي يبلغ عمرها 45 مليون سنة الإدعاءات التي تتبناها نظرية التطور.





البق الدقيقي

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

ينتمي البق الدقيقي إلى فصيلة الـــ بيمبيجيدي وهو عديم الأجنحة. ويعيش غالبا على الأشجا، ويرى أحيانا على الأعشاب والنباتات الأخرى. ويبلغ عمر متحجر البق الدقيقي الذي يرى في الصورة 45 مليون سنة. وإن البق الدقيقي لم يتغير منذ 45 مليون سنة. وبذلك ينسف كافة إدعاءات نظرية التطور.









عنكبوت السرطان

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

يشبه هذا العنكبوت سرطانا صغيرًا. ويوجد 2000 نوع مختلف منه، ويبلغ عمر عنكبوت السرطان الذي يرى في الكهرمان 45 مليون سنة، وهو متطابق مع العناكب السرطانية الموجودة في وقتنا الحاضر.



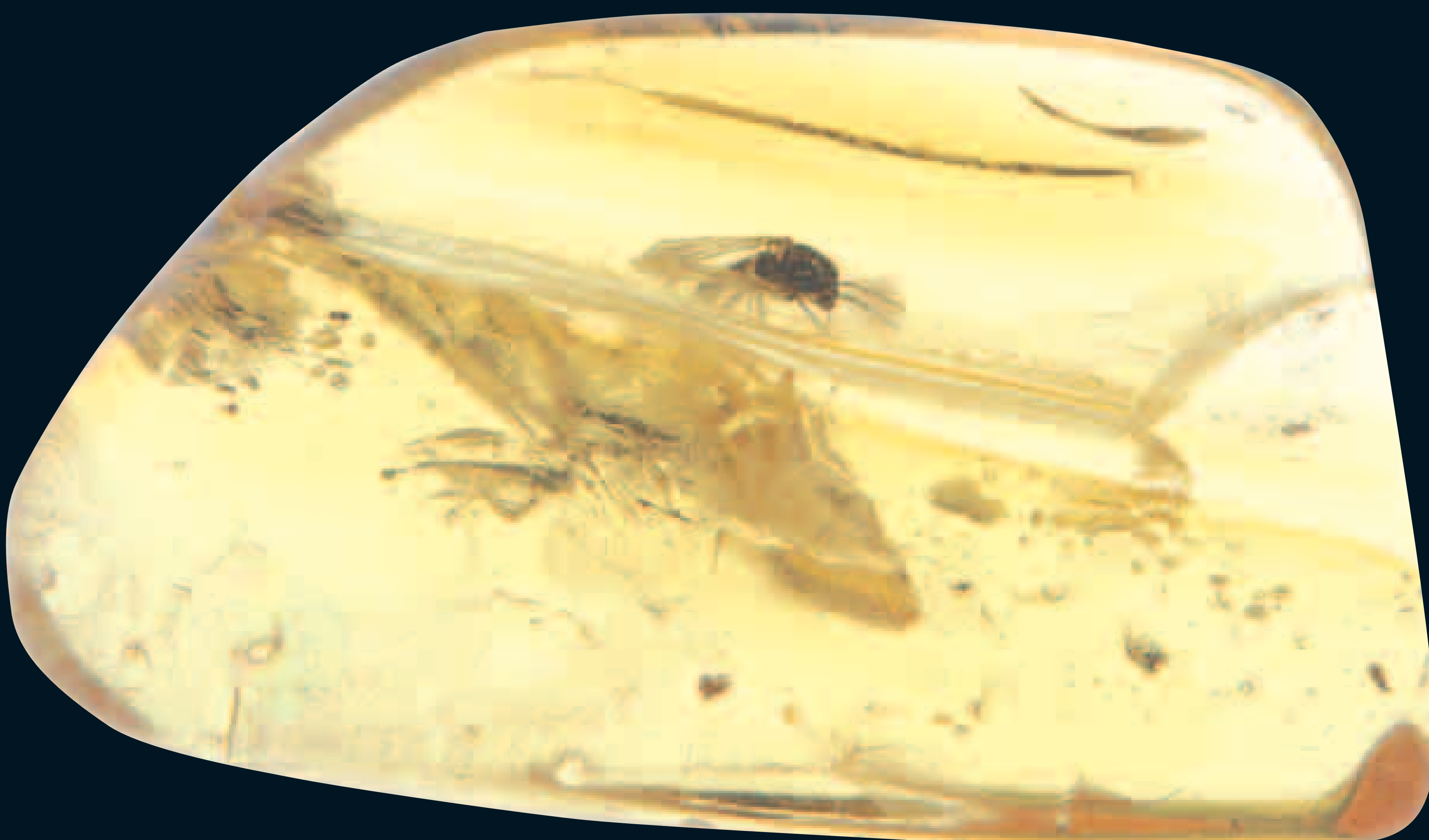




الذباب طويل الساق

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

ينتمي هذا الذباب إلى فصيلة الـــ ديبتيرا، وقد حافظ على جميع خصائصه التي تميزه منذ ملايين السنين. وبذلك يقوم الذباب الذي حافظ على خصائصه منذ45 مليون سنة بإثبات عدم صحة مفهوم التطور.





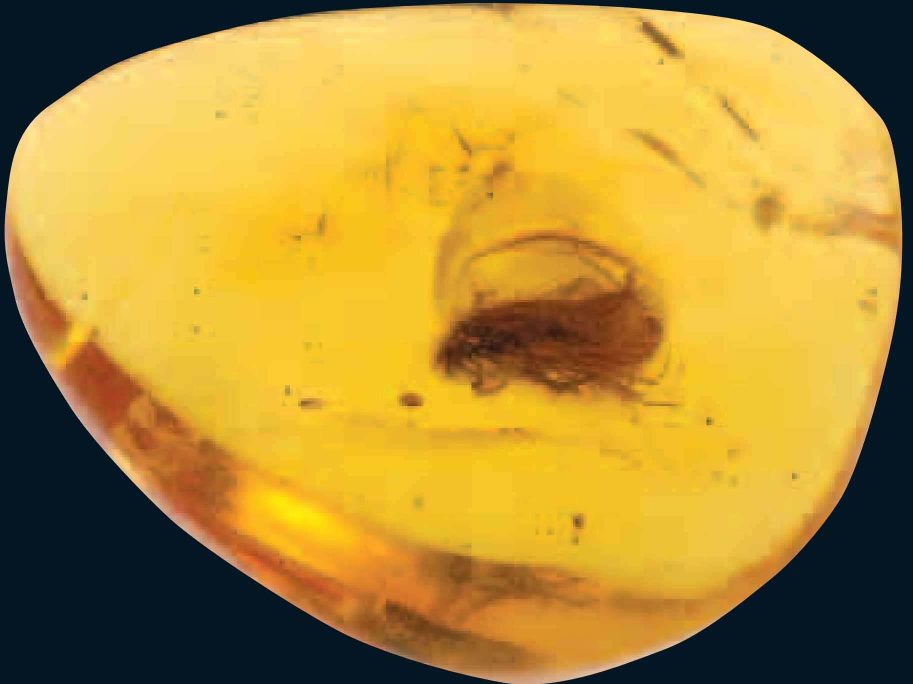


الذباب الهزاز

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

يعجز الداروينيون عن تفسير أصل الحشرات كعجزهم في تفسير الكثير من المواضيع الأخرى، بل لا يستطيعون إيجاد أي تفسير علمي للمتحجرات الموجودة داخل الكهرمان. فكل واحد من هذه الكائنات الحية يعتبر دليلا وحده على عدم حدوث عملية التطور أبدًا.





الحشرة المنزلية

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 54-28 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

تنتمي الحشرة المنزلية إلى رتبة الـتركوبتيرا، وتستخدم يرقاتها كعلف في مزارع تربية السمك. وحافظت هذه الحشرات على بنيتها وخصائصها طيلة ملايين السنين، ولم تتعرض لأيّ تغيير. وتعتبر الحشرة المنزلية المتحجرة داخل الكهرمان الذي يبلغ عمره 54-28 مليون سنة دليلا على عدم تغيّر الأحياء أيضا.



النحل الطفيلي

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 54-28 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

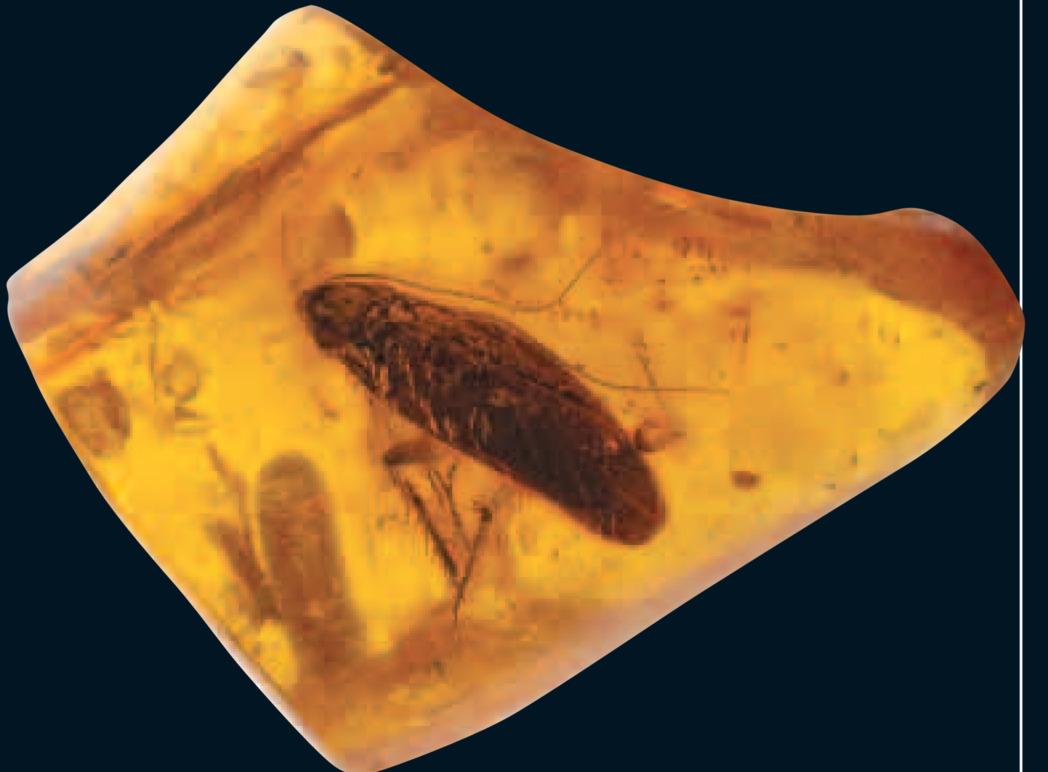
يُرى في الصورة نحل طفيلي داخل كهرمان يرجع عمره إلى 54-28 مليون سنة. والنحل الطفيلي ظل كما هو لم يتغير منذ 54-28 مليون سنة. أي أنه لم يمر بمرحلة تطورية مثله مثل باقي الأحياء. وبذلك يثبت أنه مخلوق من قبل الله عز وجل.



الصرصار

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 54-28 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

يعتبر الصّرصار أقدم حشرة مجنحة، وتشير متحجراته إلى ظهوره قبل 350 مليون سنة أي في العصر الكربوني (الفحمي). ويتميز هذا الكائن الحي بامتلاكه زوائد جسمية حساسة للغاية تجاه أية حركة أو تيار هوائي. ويتميز أيضا بأجنحته الفائقة، وتركيبة جسمه المقاومة حتى ضد الإشعاعات النووية. ولا يزال كما هو منذ مئات الملايين من السنين. ويتطابق الصرصار الموجود في الكهرمان البالغ عمره 54-28 مليون سنة مع نظيره الحالي.







ذبابة الحجر

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 54–28 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

يبلغ طول هذه الحشرة 5 -50 ملم. وتتميز بقرنين طويلين للاستشعار، وتستخدم يرقاتها كعلف في مزارع تربية السمك. ولم تتعرض ذبابة الحجر لأي تغيير طيلة ملايين السنين. وإن ذبابة الحجر المتحجرة داخل الكهرمان الذي يبلغ عمره 54–28 مليون سنة تعتبر مطابقة لنظيرتها التي تعيش في وقتنا الحاضر.

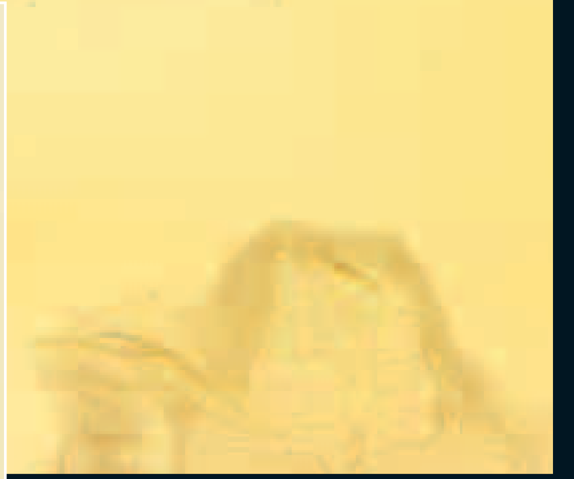
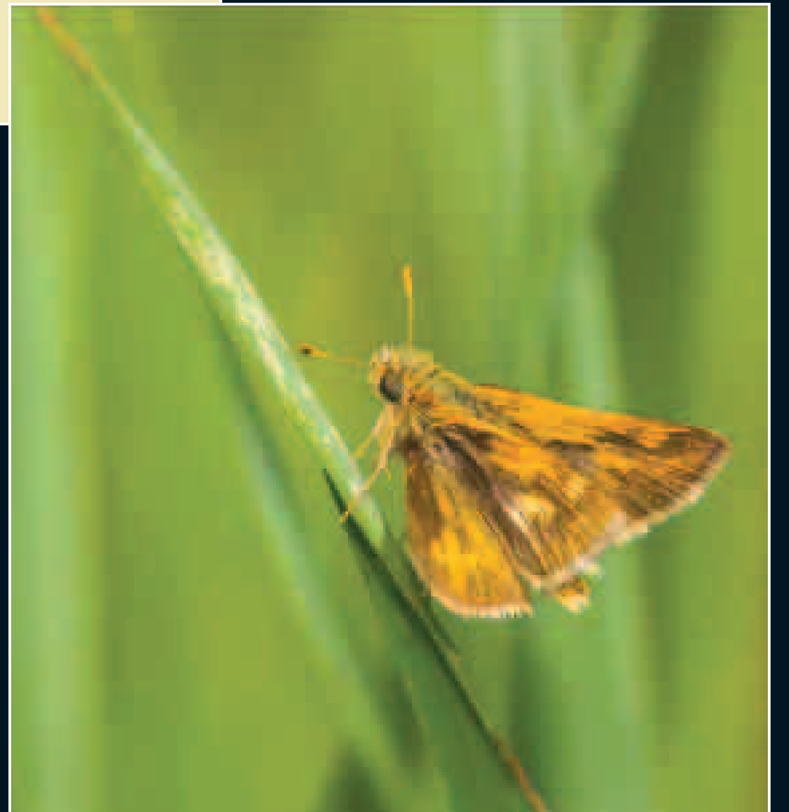


الجراد

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 54-28 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

تدل سجلات المتحجرات على أن الحشرات لم تنشأ مما يسميه دعاة نظرية التطور بالجد البدائي، فالمتحجرات المكتشفة تشير إلى أن كل نوع من أنواع الحشرات قد ظهر بشكل آني وبخصائصه الذاتية، ومستمرًّا في الوجود بهذه الخصائص دوما. وأحد الأدلة على ذلك هو نموذج الصرصار المتحجر البالغ عمره 54-28 مليون سنة. فهذا الصرصار المتحجر لا يختلف عن نظيره الحالي في أيّ شيء.



العث

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 54-28 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

العث حشرة شبيهة بالفراشة، ويصنف كلاهما ضمن رتبة حيوانية تدعى اللبيدوبتيرا. وترى في الصورة حشرة عث يبلغ عمرها 54-28 مليون سنة ولا تختلف عن نظيرها الحالي أبدا. مما يؤيد مرة أخرى عدم مرور الكائنات الحية بفترات تطورية.

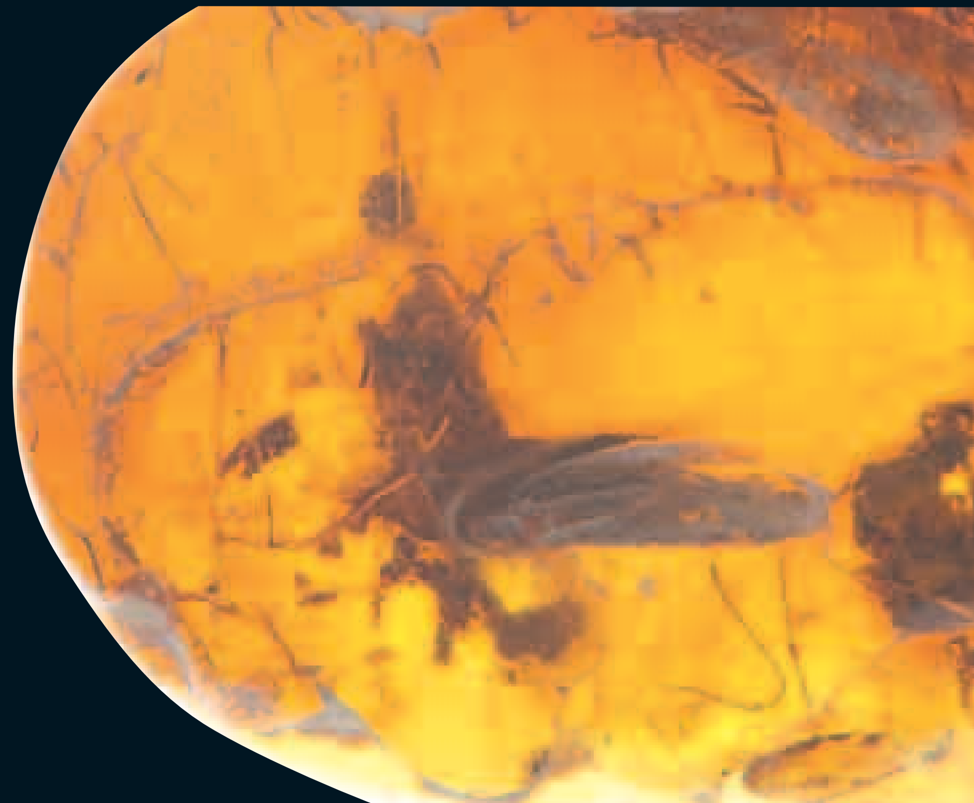


اليرقة

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 54-28 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

لقد ظلت اليرقات كيرقات دوما، وأحد الأدلة على ذلك هي اليرقة المتحجرة داخل كهرمان والبالغ عمرها 54-28 مليون سنة. فقد حافظت اليرقات على خصائصها المميزة كما هي بالرغم من مرور ملايين السنين. وبذلك تثبت أن نظرية التطور ليست إلا أكذوبة.





صرّار الليل

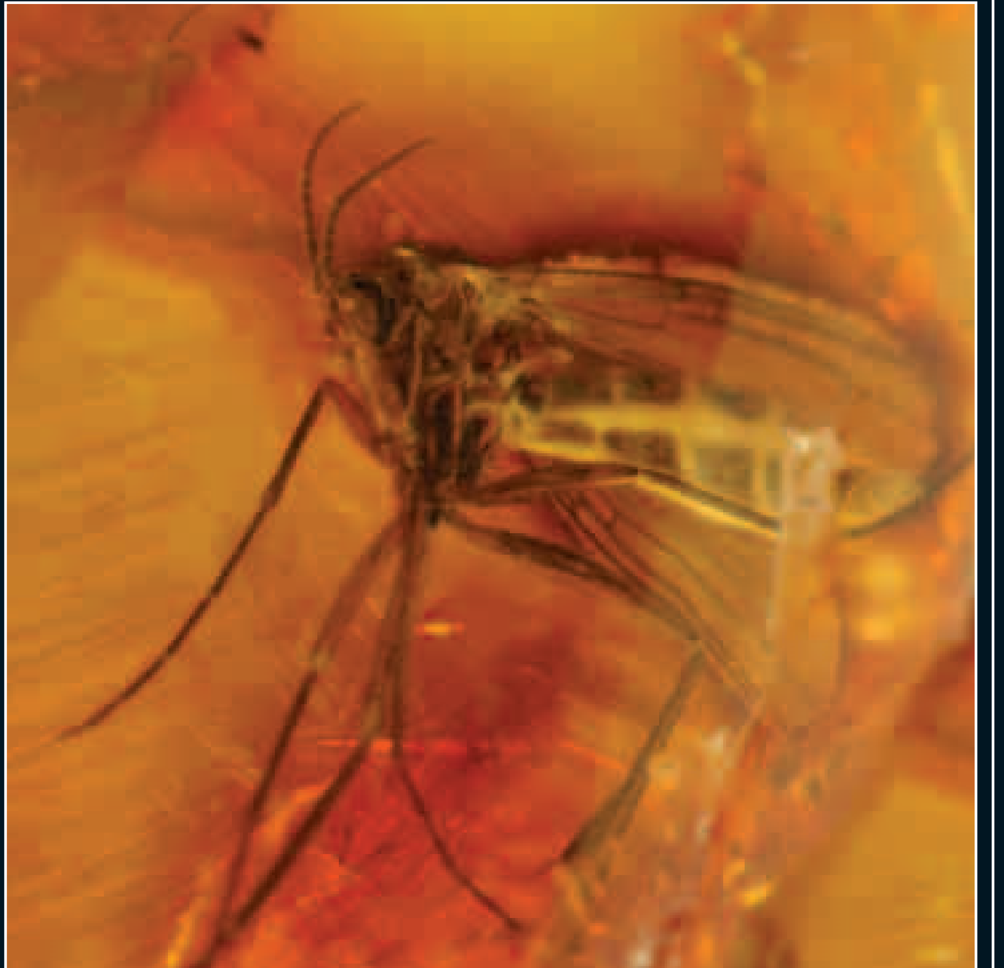
الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 54-28 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

لا يختلف صرار الليل المتحجر داخل الكهرمان والبالغ عمره 54-28 مليون سنة عن صرار الليل الحالي في أي شيء. فهذه الكائنات الحية التي ظلت كما هي طيلة ملايين السنين لم تمر بمراحل تطورية وإنما خُلِقت.





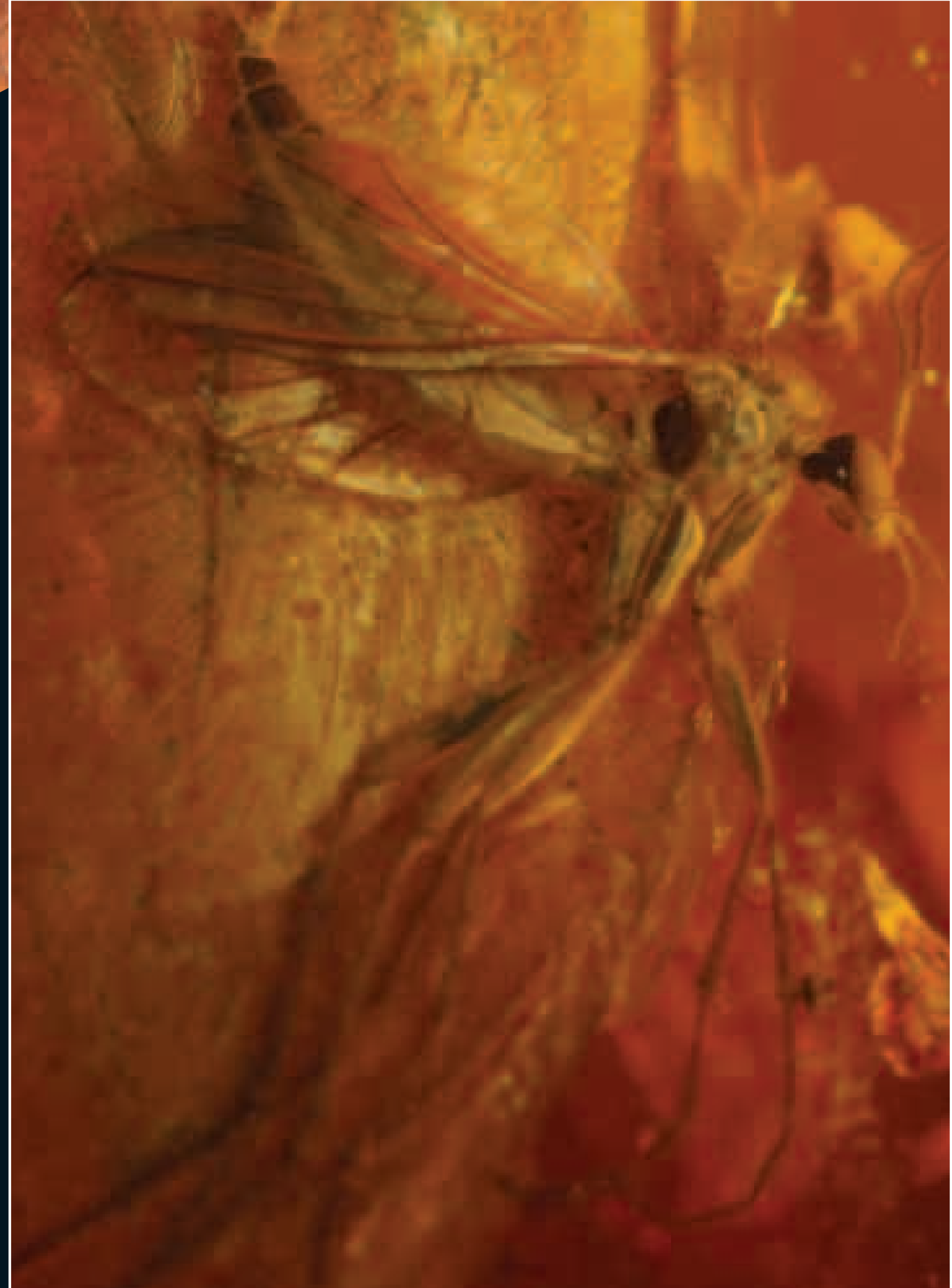
الذباب



الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 50 مليون سنة.
المنطقة: بولونيا.

لقد تبين من خلال المتحجرات المسجلة أن الذباب قد ظهر بشكل آني. ويتميز بأساليبه المذهلة في الطيران. فالإنسان يعجز عن فتح ذراعيه 10 مرات في الثانية، أما الذباب فيمتلك المقدرة على هز جناحيه 500 مرة في الثانية. فضلا عن هزه إياهما بشكل متزامن. ويختل توازن الذباب إذا حدث أي خلخل في تزامن اهتزاز الجناحين مهما كان طفيفا. ولكن الواقع أن هذا الاضطراب لا يحدث أبدا. وتشير المتحجرات المسجلة أن الذباب قد ظهر بشكل آني. ولا يمكن حتما سوق نظرية التطور كتفسير للظهور الآني لهذه الكائنات الحية على وجه البسيطة بينما هي تمتلك هذا التصميم المدهش. وما هذا إلا دليل واضح على أنها مخلوقة بقدرة الله عز وجل.



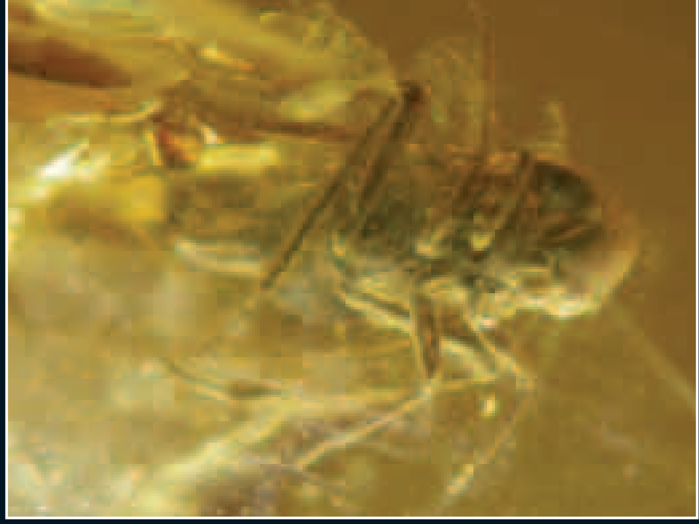


الذباب

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 50 مليون سنة
المنطقة: بولونيا

لا يوجد أي فرق بين الذباب الذي عاش قبل 50 مليون سنة وبين نظيره الحالي. وأحد الأدلة على ذلك هو الذباب المتحجر داخل الكهرمان الذي يُرى في الصورة









طفيلي الأوراق

الفترة: الحقبة السينوزوية – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

تُرى في الصورة حشرة طفيلي الأوراق يبلغ عمرها 45 مليون سنة. وهي لا تختلف عن نظيراتها الحالية أبدا. ويدل انعدام الفوارق هذا إلى أن نظرية التطور ليست إلا محض خيال ومؤشر مهم على عدم حدوث عملية التطور أبدًا.







الفراشة

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 50 مليون سنة.
المنطقة: بولونيا.

تدل هذه الفراشة المتحجرة البالغ عمرها 50 مليون سنة على أن الفراشات ظلت كما هي بالرغم من مرور ملايين السنين.



الذباب الأحدب

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

تظهر أكاذيب نظرية التطور من خلال الذباب المتحجر البالغ عمره 45 مليون سنة. فالكائنات الحية لم تمر بمراحل تطورية بينية، ولا نشأت مما يسمى بالجد المشترك لها على عكس ما يدعيه الداروينيون.











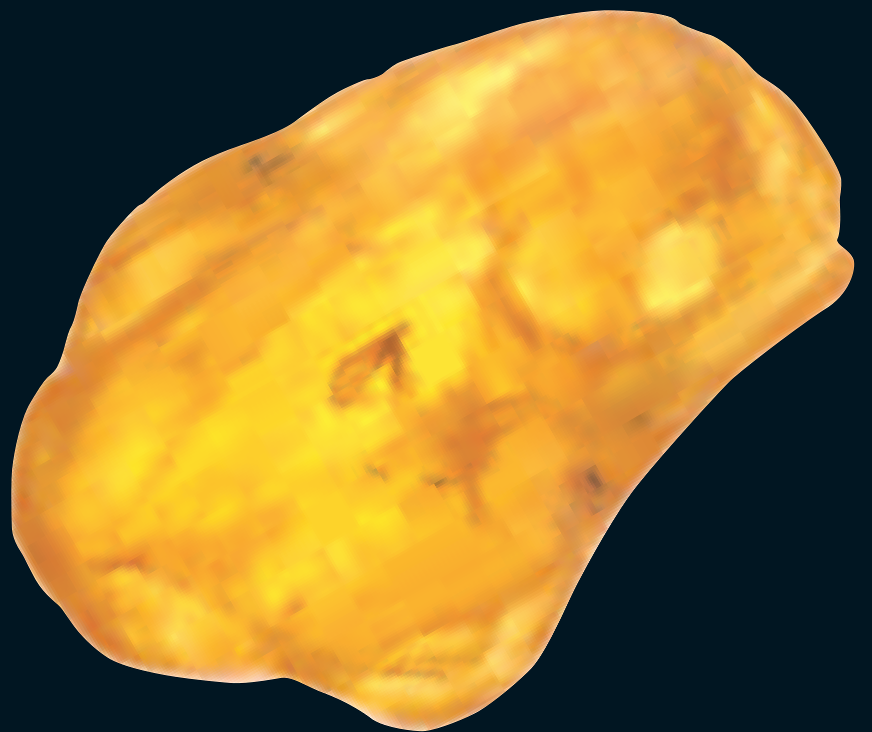


العث

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

تبرز حقيقة مهمة جدّا للعيان وذلك من خلال انعدام الفرق بين العث الذي عاش قبل ملايين السنين وبين نظيره الحالي. وهذه الحقيقة هي أن الكائنات الحية لم تمر بأية مرحلة تطورية منذ وجدت. وتتأكد هذه الحقيقة مرة أخرى من خلال العث المتحجر الذي يرى في الصورة والبالغ عمره 45 مليون سنة.





الذباب الراقص

الفترة: الحقبة الكينوزوية (الحديثة) – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

لقد حافظت الكائنات الحية على خصائصها الذاتية نفسها، ولم تتغير، ولم تمر بأية مرحلة تطورية طيلة وجودها. وأحد الأدلة على ذلك هو الذباب الراقص المتحجر والبالغ عمره 45 مليون سنة، ولا يختلف إطلاقا عن نظيره الحالي.







النمل المجنّح

الفترة: الحقبة السينوزوية – العصر الأيوسيني
العمر: 45 مليون سنة.
المنطقة: كالينجراد، روسيا.

يتطابق النمل المجنّح الذي يرى في الصورة والبالغ عمره 45 سنة مع نظرائه الحاليين.



نماذج المتحجرات التي وجدت في أفريقيا والشرق الأوسط



نماذج المتحجرات التي وجدت في المغرب الأقصى

تم العثور على عديد المتحجرات لمختلف الفترات والعهود في المغرب التي اشتهرت خاصة بمتحجرات ثلاثيات الفصوص التي تعود إلى ما قبل 400 مليون سنة. وقد كشفت عمليات الحفر التي أجريت في جبال الأطلس وفي بعض المساحات الأخرى عن احتواء المغرب على مواطن غنية للمتحجرات. ومتحجرات إيكهينويد Echinoid هي من أكثر المتحجرات وجودا في المغرب. وكلمة إيكهينويد التي تعني كذلك قنفذ البحر، تسمية تـُطلق على مجموعة واسعة من الكائنات البحرية اللا فقرية. ولهذه الكائنات الحية التي عادة ما تعيش في أرض البحر أكثر من 800 نوع ولها نماذج متحجرة تعود إلى ما قبل 450 مليون سنة. ومجموعة إيكهينويد التي دام بقاؤها حوالي نصف مليار سنة بتركيباتها المعقدة وآلياتها الخالية عن العيوب قد ضربت بنظرية الارتقاء عرض الحائط، حيث عاشت هذه الكائنات الحية في فترة اعتبرها الارتقائيين فترة بدائية وبصورتها الناضجة والمتكاملة، وهي لا تزال اليوم تعيش محافظة على بنيتها الأصلية، إذ لم تتعرض لأي تغير منذ مئات ملايين السنوات أي أنها لم ترتق.

هذا، وتم العثور في المغرب على متحجرات الحيوانات البرية المتنوعة ومختلف النباتات أيضا.







تحتوي جبال الأطلس التي يبلغ طولها 2400 كيلومتر مربع على مواطن غنية للمتحجرات. وأرفع نقطع فيها هو جبل طوبقال الواقع في جنوب غرب المغرب حيث يصل ارتفاعه إلى 4167 متر. وحسب التوقعات فإن جبال الأطلس تكونت قبل ملايين السنوات نتيجة اصطدام قارتي أمريكا وأفريقيا ببعضهما، وكذلك الشأن بالنسبة إلى جبال آبالاشي Appalache الواقعة في أمريكا الشمالية.



متحجر نجم البحر لـ **490 – 443** مليون سنة، وقع العثور عليه في هفلا.



متحجر السمك الإبري لــ **144 – 65** مليون سنة. ولا فرق بينه وبين السمك الإبري الذي يعيش في يومنا.









قنفذ البحر

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 146 – 65 مليون سنة.
المنطقة : مواطن إيكهينويد، المغرب.

لا يوجد أي فرق بين قنفذ البحر الذي يعيش في يومنا وبين الذي عاش قبل مئات ملايين السنوات. ومتحجر قنفذ البحر الذي ترونه في الصورة، وله ما بين 146 و45 مليون سنة، دليل على أن الكائنات الحية لم ترتق، بل وحافظت على خصائصها وأنظمتها منذ لحظة خلقها.



رسم نموذجي للكائنات الحية التي عاشت في العهد الكمبري.



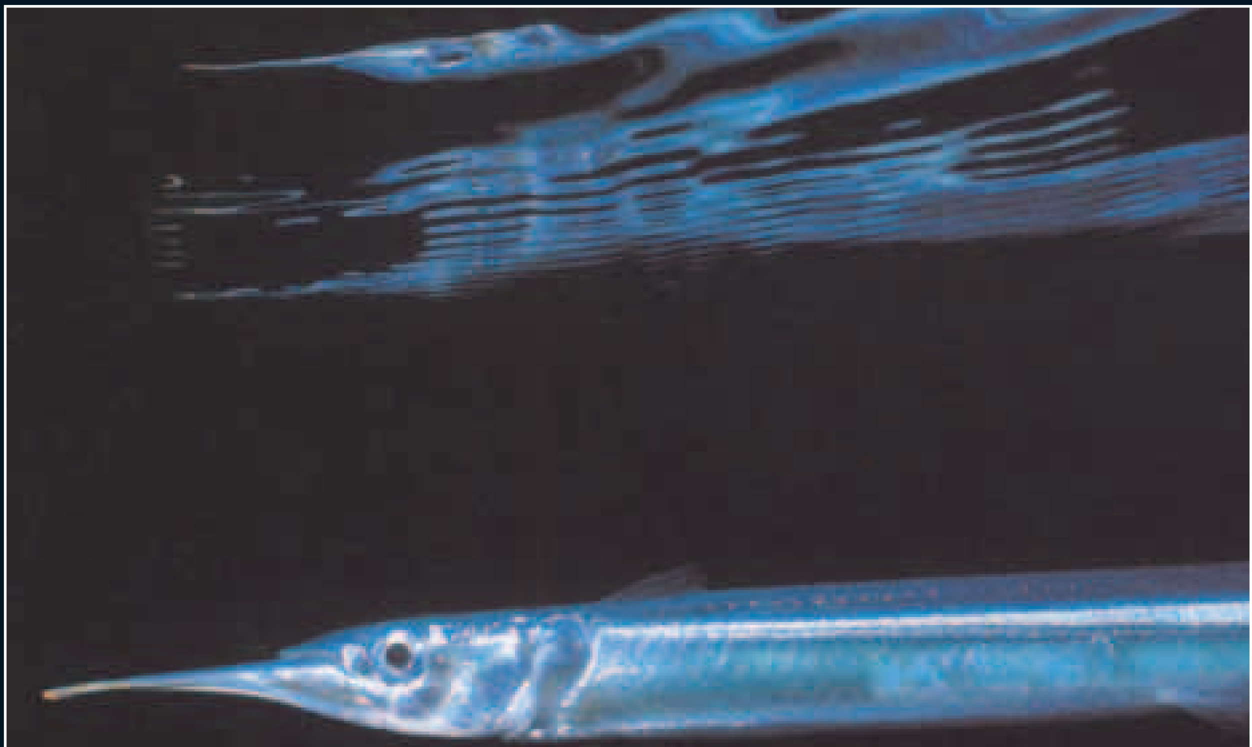
ثلاثيات الفصوص

العهد : الفترة القديمة والعهد الديفوني.
العمر : 417 – 354 مليون سنة.
المنطقة : جبال الأطلس، المغرب.

ثلاثيات الفصول التي تم العثور على نماذجها الأولية ضمن سجلات المتحجرات قبل 530 مليون سنة هي كائنات ذات بنية معقدة ونظام متطور مما يستصعب على الدارفينيين إيجاد تفسير لها، إذ لا يمكن تفسير هذه الكائنات التي ظهرت قبل حوالي نصف مليار سنة فجأة بنظرية الارتقاء، لا سيما أنها تتميز بنظام معقد في عيونها. ومن الواضح أنها كائنات من خلق الله كسائر المخلوقات.





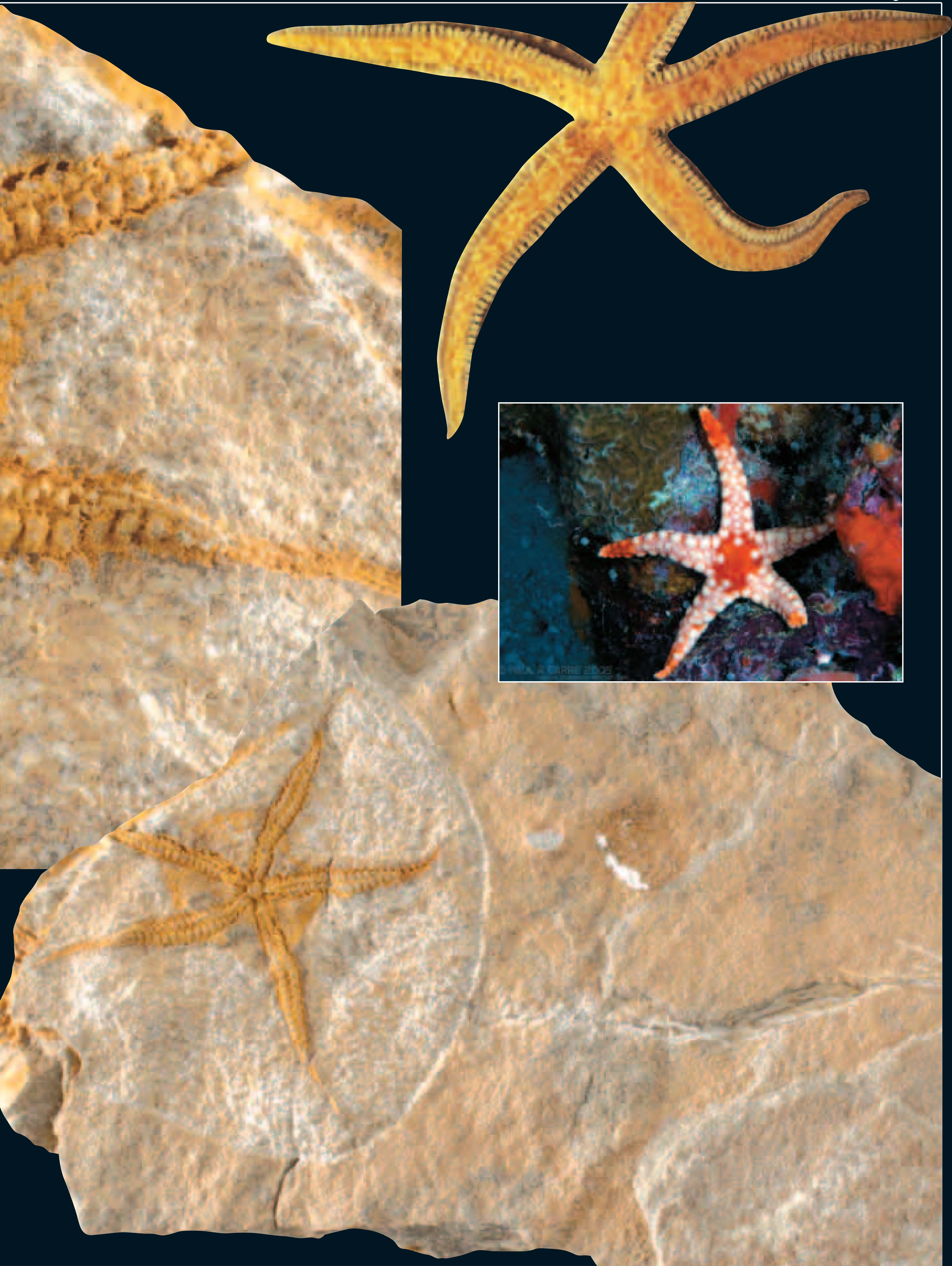


السمك الإبري

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري
العمر : 144 – 65 مليون سنة.
المنطقة : رملية دوز، المغرب.



هذا السمك الذي يبلغ من الطول 203 ملليمترا هو سمك راشد بقيت جميع تفاصيلها محفوظة. ولا فرق بين السمك الإبري الذي عاش قبل ملايين السنوات وبين الذي يعيش في يومنا. وهذا السمك الذي ظل حيا دون أن تتغير بنيته منذ ملايين السنوات ينفي صحة نظرية الارتقاء.





نجم البحر

العهد : الفترة القديمة والعد الأردفيشي.
العمر : 420 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة قطوة، المغرب.

نجم البحر الذي ينتمي إلى فصيلة قنفذيات الجلد (Echinodermata)، بقي وجوده منذ مئات ملايين السنوات. وهناك تطابق تام من حيث الخصائص بين نجم البحر الذي عاش قبل 420 مليون سنة وبين الذي يعيش في يومنا، وهو أمر يستعصي على الارتقائيين تقديم تأويل له. والحقيقة التي يؤكدها هذا الوضع هو أن الكائنات الحية لم تتعرض للارتقاء بل كلها مخلوقة.





ثلاثيات الفصوص

العهد : الفترة القديمة والعهد الديفوني.
العمر : 417 – 354 مليون سنة.
المنطقة : جبال الأطلس، المغرب.

لا تقدم سجلات المتحجرات أي دليل يؤيد مزاعم نظرية الارتقاء. وعلى عكس من ذلك، فإنه عند التدقيق في طبقات الأرض وسجلات المتحجرات، نرى أن حياة الكائنات على الأرض بدأت فجأة. وأقدم طبقة تم العثور فيها على متحجرات الكائنات الحية هي " الطبقة الكمبرية " التي تبلغ من العمر 530 مليون سنة. وأكثر المتحجرات تواجدا في هذه الطبقة هي متحجرات ثلاثيات الفصوص. وهذه ثلاثيات الفصوص التي عاشت في عالم ما قبل 530 مليون سنة والتي تستطيع الاصطياد بعيونها المتكونة من عدسات عديدة وتستطيع الإبحار والتغذي بهيكلها الممتاز، قد ألحقت بنظرية الارتقاء ضررا كبيرا.

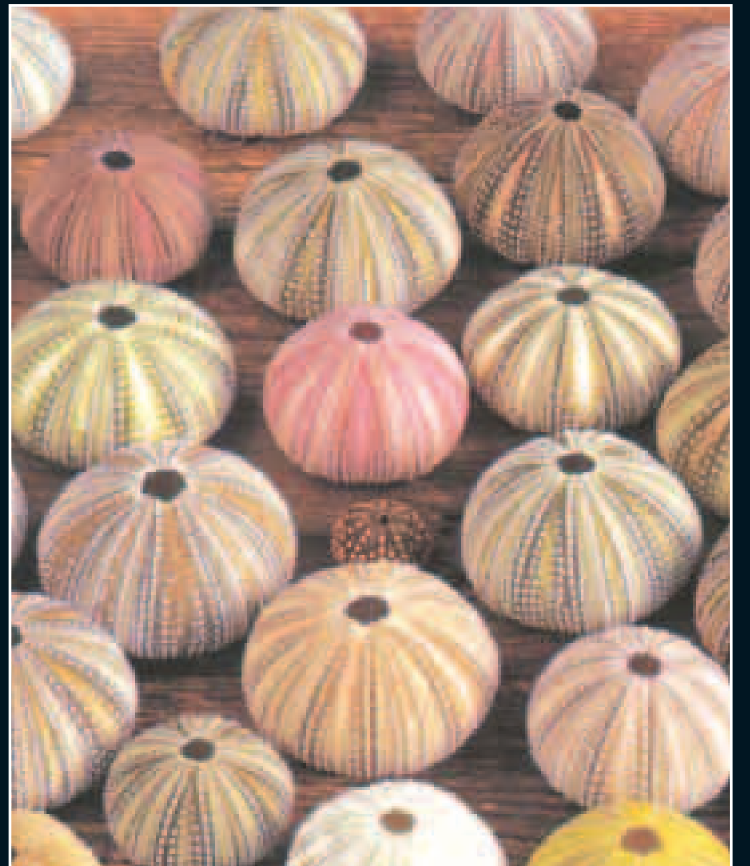




قنفذ البحر

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 95 – 72 مليون سنة.
المنطقة : ميدلت، المغرب.

لا يوجد فرق بين قنفذ البحر الذي يعيش في يومنا وبين الذي عاش قبل ملايين السنوات. وقنفذ البحر الذي لم يطرأ على بنيته أي تغير منذ ملايين السنوات يكشف للعيان عن أن نظرية الارتقاء كذب وبهتان.



قنفذ البحر

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 146 – 65 مليون سنة.
المنطقة : مواطن إيكهينويد، المغرب.

أقدم نموذج لقنفذ البحر يعود إلى العهد الأردفيشي (490 – 450 مليون سنة). وقنفذ البحر الذي لم يتغير منذ حوالي نصف مليار سنة، أحد الأدلة المثبتة بعدم ارتقائه.



كليبيستيرويدا (ساند دولّر)

العصر : زمن الميزوزوي ، العصر الكريتاسي.
العمر : 100 مليون سنة .
الموقع : منطقة تاسه، المَغرب الأقصى.

هذه أنواع من الكائنات الحية تشبه الإكينودرماتا (في جلودها أشواك) مثل نجم البحر وكيرنويدات crinoids وسلاطة البحر sea cucumbers. وهذه الكائنات موجودة منذ نصف مليار سنة، وبذلك تكون قد أنزلت ضربة قاضية بنظرية التطور.

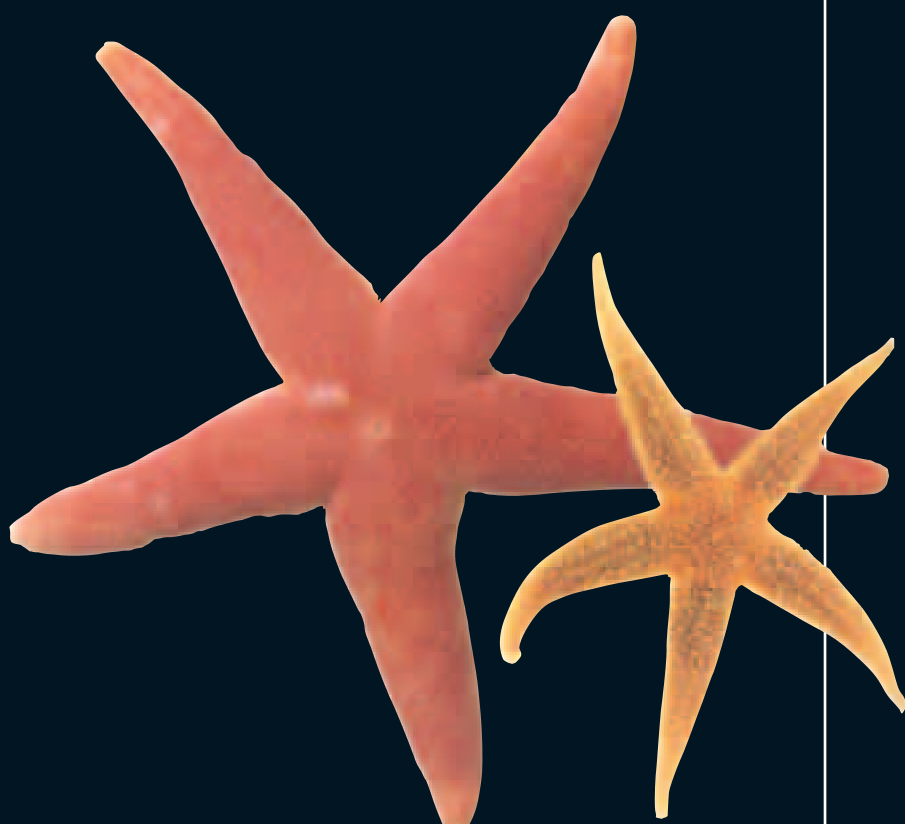


قنفذ البحر

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 95 – 72 مليون سنة.
المنطقة : منطقة دوز، المغرب.

لا يوجد أي فريق بين قنفذ البحر الذي عاش قبل 95 –72 مليون سنة وبين الذي يعيش في يومنا. وقنفذ البحر الذي لم يتغير رغم مرور ملايين السنوات أحد أهم الأدلة التي تثبت بأن الكائنات الحية لم تتعرض لما يسمى بالارتقاء.







نجم البحر

العهد : الفترة القديمة والعهد الأردفيشي.
العمر : 490 - 443 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة حفلـّـة، المغرب.

هذا المتحجر لنجم البحر الذي له قرابة 500 مليون سنة أحد النماذج النادرة التي تثبت بقاء تفاصيل نجم البحر محفوظة بشكل جيد، حيث وصلت كامل أيادي نجم البحر الخمسة إلى يومنا دون التعرض لأي فساد. ويؤكد هذا المتحجر كسائر المتحجرات على أن الكائنات الحية لم تتعرض لما يسمى بالارتقاء ولم تتغير عبر مئات ملايين السنوات، إذ لا فرق بين نجم البحر الذي عاش قبل حوالي نصف مليار سنة وبين الذي يعيش في يومنا.

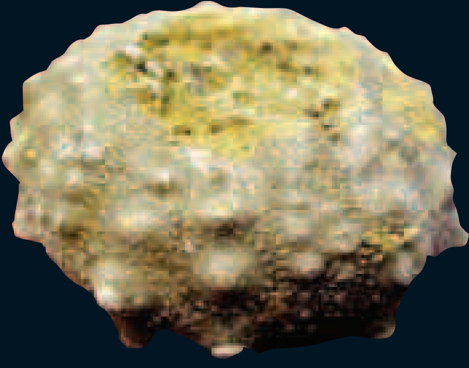


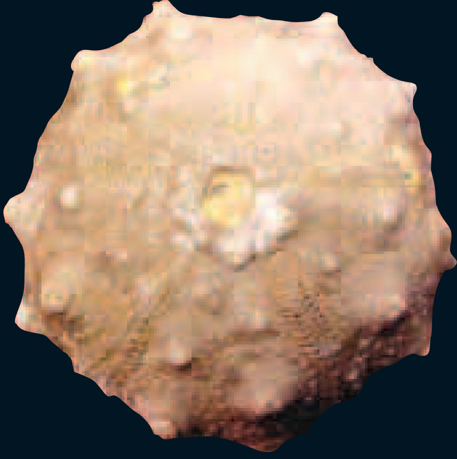
قنفذ البحر

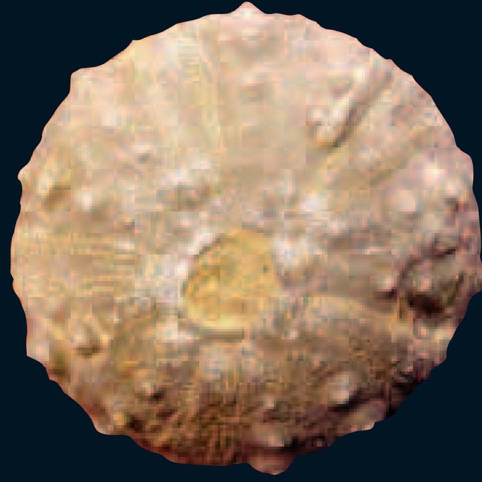
العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 146 – 65 مليون سنة.
المنطقة : مواطن إيكهينويد، المغرب.

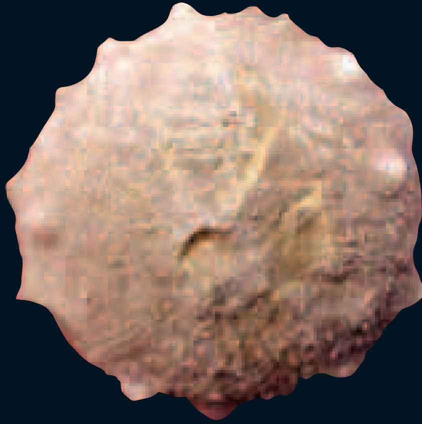
هذا المتحجر لقنفذ البحر الذي تم العثور عليه في مواطن إيكهينويد بالمغرب والذي يُعدَ أحد أدلة الخلق، يعود عمره إلى 146 – 65 مليون سنة. ولا يوجد أي فرق بين قنفذ البحر الذي عاش قبل ملايين السنوات وبين الذي يعيش في يومنا.

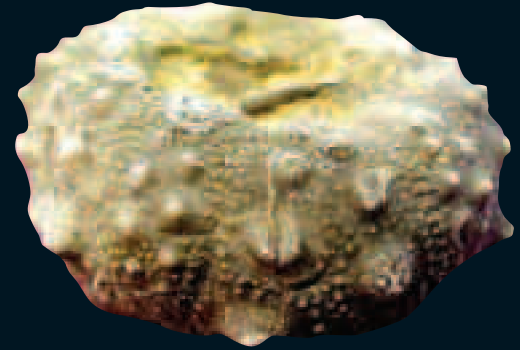












قنفذ البحر

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.

العمر : 95 – 72 مليون سنة.

المنطقة : ميدلت، المغرب.



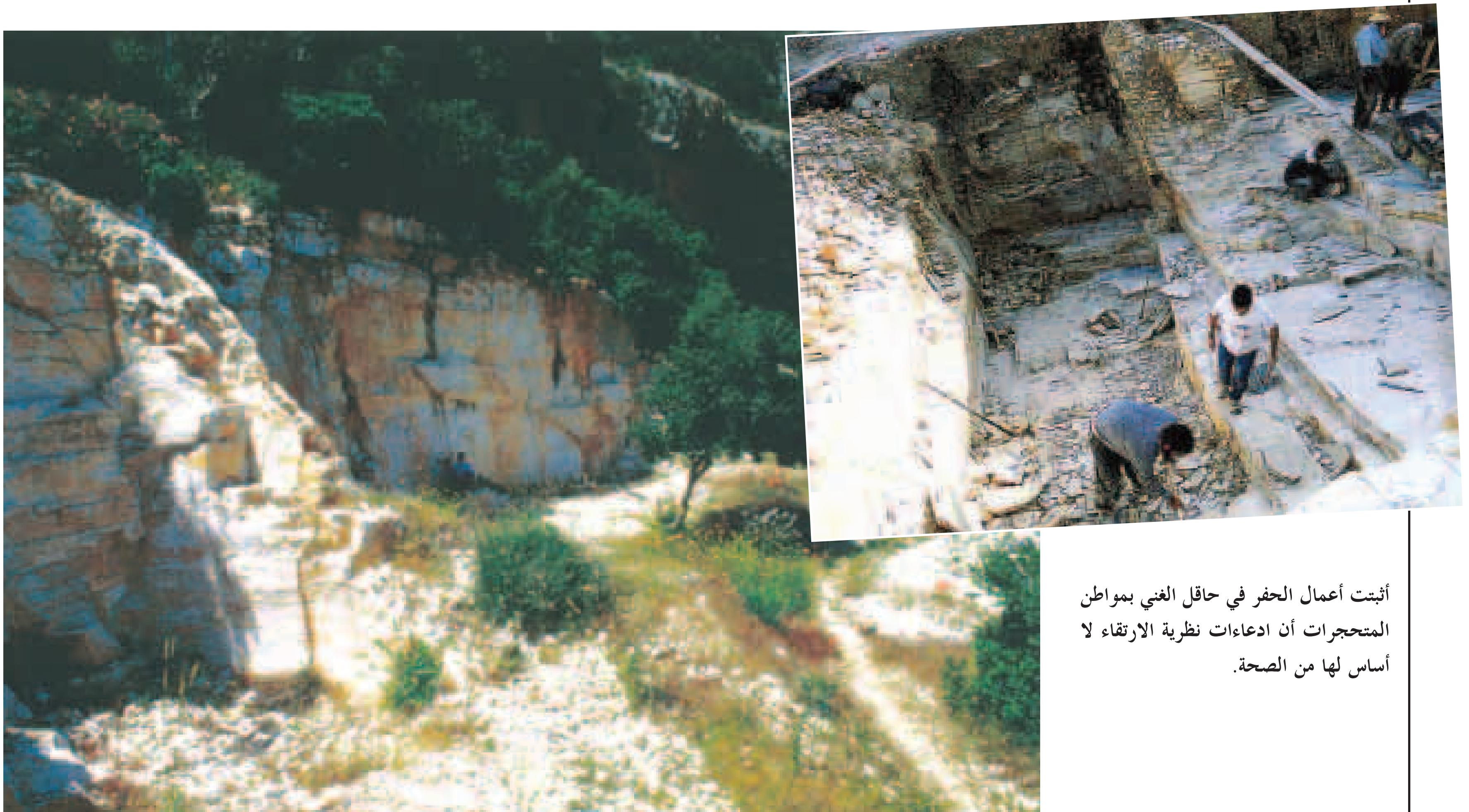
قنفذ البحر الذي له ما بين 65 و72 مليون سنة، هو أحد ملايين المتحجرات التي تنفي صحة نظرية الارتقاء. وهذه المتحجرات التي تتطابق أوصافها مع قنافذ البحر اليوم، أحد الأدلة المثبتة بأن الكائنات الحية هي من خلق الله.

نماذج المتحجرات في لبنان



لبنان هي منطقة تحتوي على صخور لعهد Cretaceous الذي يعرف بالسم العهد الطباشيري (144 – 65 مليون سنة) وكذلك على صخور للعهد الجراسي (206 – 144 مليون سنة)، خاصة وأن جل الجبال اللبنانية تتكون من الصخور الرسوبية التي توفر إمكانية تكوّن المتحجرات. وأغلب المتحجرات التي تم العثور عليها في لبنان تعود إلى العهدين المذكورين. وتضم الصخور القريبة من سطح الأرض مواطن عديدة للمرجان والإسفنج والهياكل العظمية للكائنات الحية القشرية. كما تم الحصول على متحجرات النباتات والعنبر إلى جانب متحجرات الحيوانات البحرية للعهد الطباشيري.

وتعتبر مواطن المتحجرات في لبنان من أهم المراجع في العالم. وبعض المواطن الغنية بالمتحجرات هي خجولة وحاقل والنامورة، حيث تم العثور في هذه المواطن على ما يزيد عن 250 نوعا من متحجرات الأسماك، تم تعريف ما يزيد عن 150 نوعا منها. وغالبا ما تعود المتحجرات الفقرية في لبنان إلى الفترة الحديثة (من 65 مليون سنة إلى يومنا).



أثبتت أعمال الحفر في حاقل الغني بمواطن المتحجرات أن ادعاءات نظرية الارتقاء لا أساس لها من الصحة.

وتشير كل هذه المتحجرات المعثور عليها إلى أن الكائنات الحية لم تتعرض لأي تغير عبر ملايين السنوات، حيث أثبتت سجلات المتحجرات أن الكائنات الحية التي عاشت قبل مئات ملايين السنوات لا تختلف عن مثيلاتها التي تعيش اليوم، نافية في ذلك صحة ادعاءات الدارفينيين. والحقيقة التي تكشف عنها المؤشرات العلمية هي أن الكائنات الحية وُجدت بخلق الله وليس بالارتقاء.





متحجر السمك والروبيان لـ 144 – 65 مليون سنة.







يجب كسر الصخرة بعناية تامة حتى لا يتضرر المتحجر. وترون في الصورة أعلاه منطقة الحفريات في حاقل والأعمال الجارية هناك.





القرش

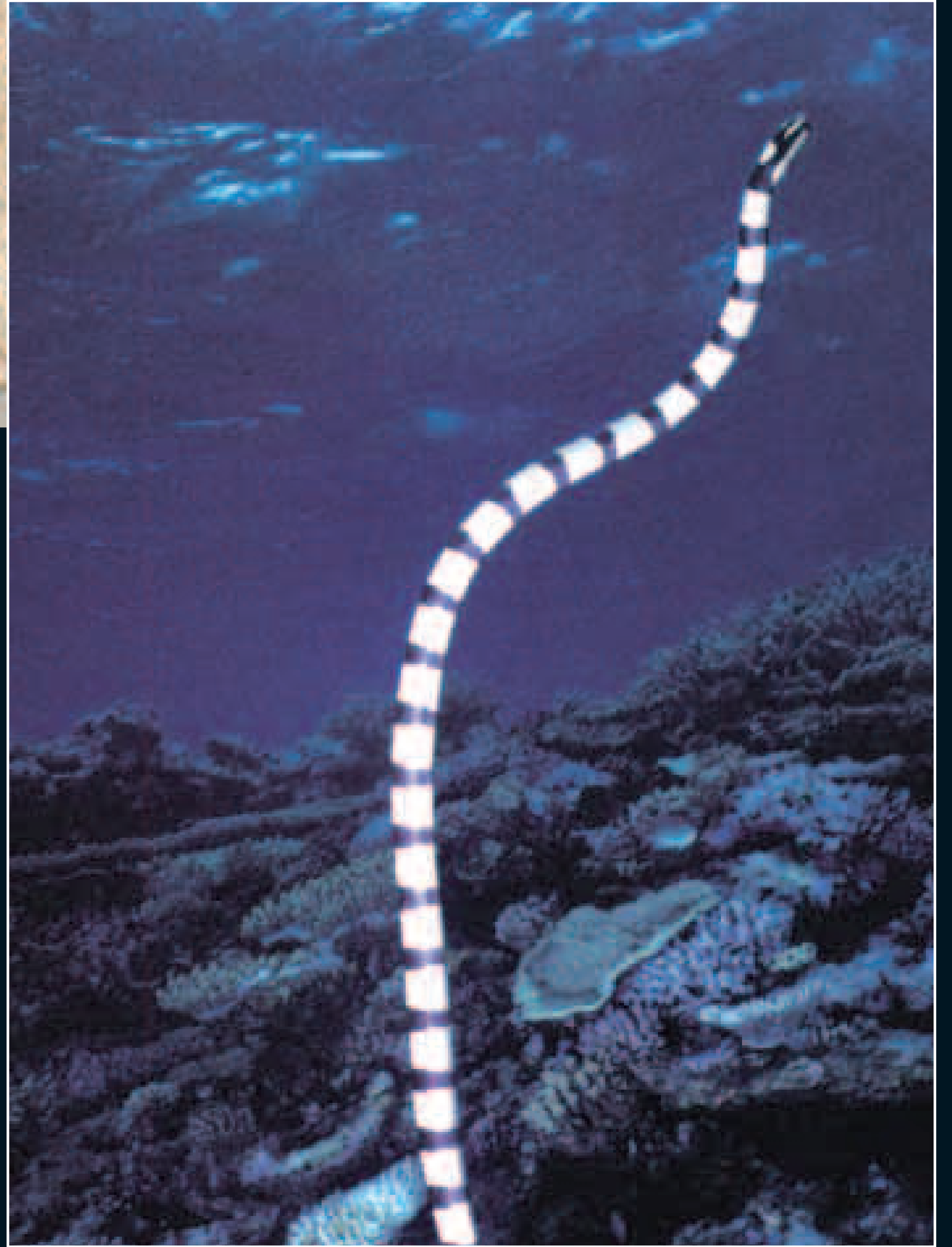
العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.

العمر : 95 مليون سنة.

المنطقة : حاقل، لبنان.

متحجر هذا القرش الصغير الذي بقيت خطوط هيكله العظمي وغضروفه محفوظة بكل تفاصيلها هو دليل على عدم ارتقاء الكائنات الحية، إذ لا فرق بين القرش الذي يعيش في يومنا وبين الذي عاش قبل ملايين السنوات.

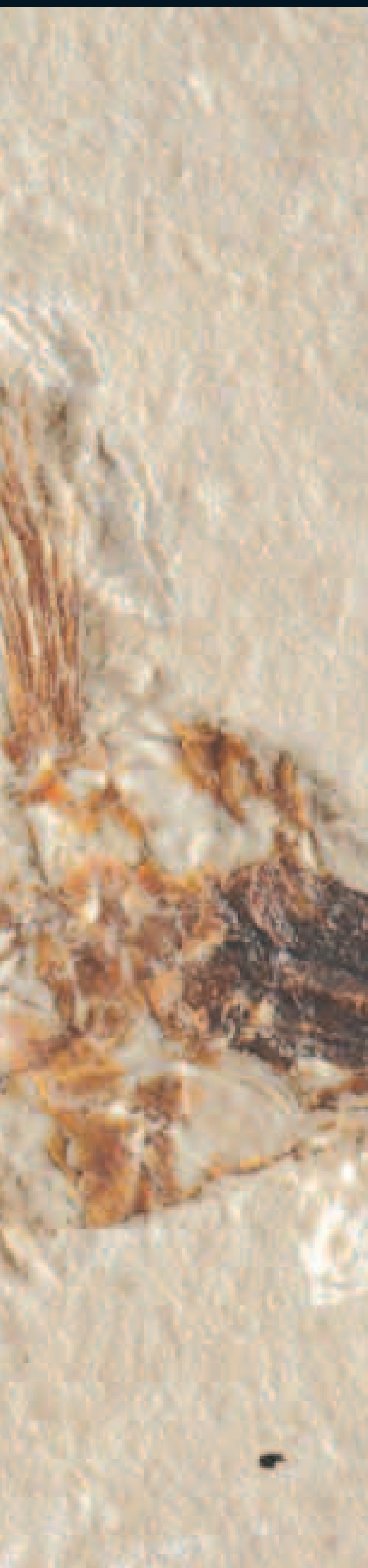




الأنقليس

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 95 مليون سنة.
المنطقة : حاقل، لبنان.

وللأنقليس الذي ينتمي إلى صنف Anguilliformes (أنقليسيات الشكل) أكثر من 400 نوع. ويؤكد الأنقليس الذي لم يطرأ عليه أي تغير منذ ملايين السنوات بطلان نظرية الارتقاء من جديد.





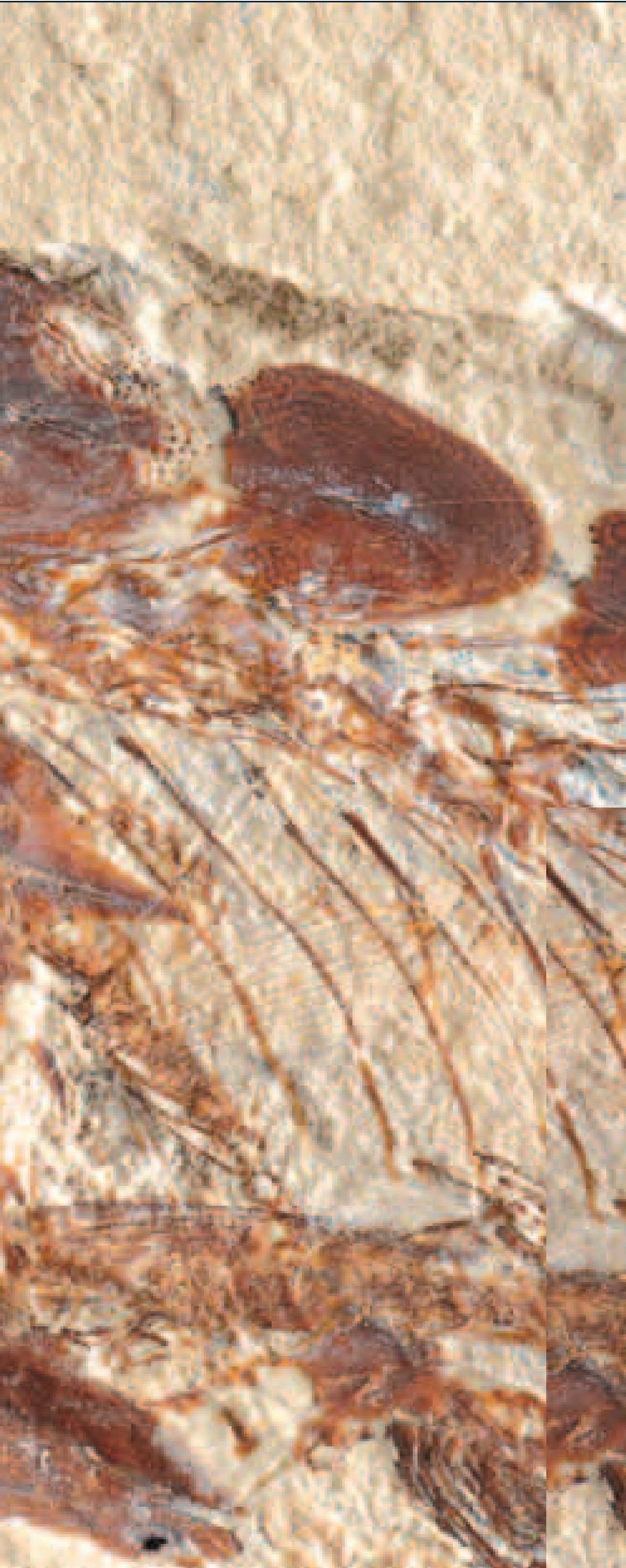


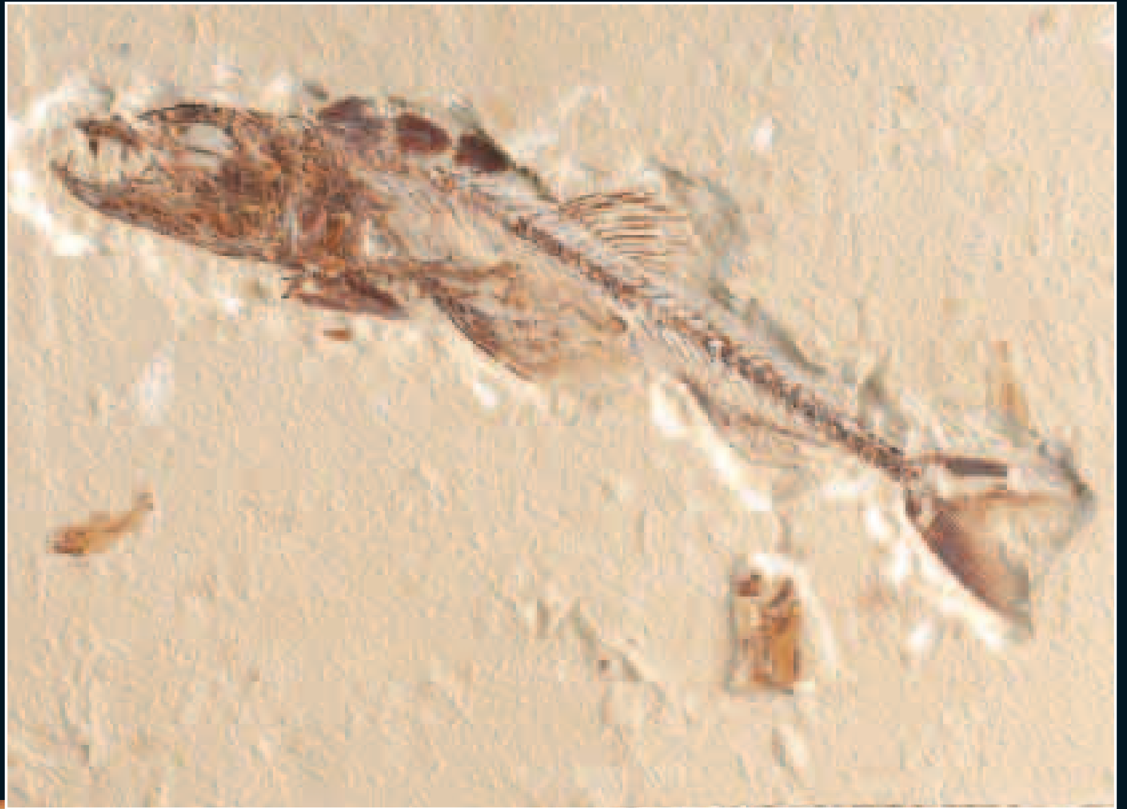


السمك الطائر

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 95 مليون سنة.
المنطقة : حاقل، لبنان.

متحجر السمك الطائر الذي يماثل السمك الطائر في يومنا هو أحد الأدلة المثبتة لعدم ارتقاء الكائنات الحية. وهذه الكائنات الحية التي دام بقاؤها منذ ملايين السنوات دون التعرض لأي تغير قد حطمت ادعاء " الارتقاء المرحلي " الذي هو بمثابة قاعدة الفكر الدارفيني.









سمك أفعى

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 95 – 72 مليون سنة.
المنطقة : حاقل، لبنان.

هذا السمك الذي يعيش عادة في المياه الاستوائية، لم يتعرض لأي تغير منذ ملايين السنوات. وجميع متحجرات هذا السمك تشير إلى أنه أدام حياته منذ ملايين السنوات مع الحفاظ على بنيته الأساسية. وإن هذا الوضع الذي يصعب على الارتقائيين تفسيره، يُثبت حقيقة الخلق مرة أخرى.





الروبيان

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.

العمر : 144 - 65 مليون سنة.

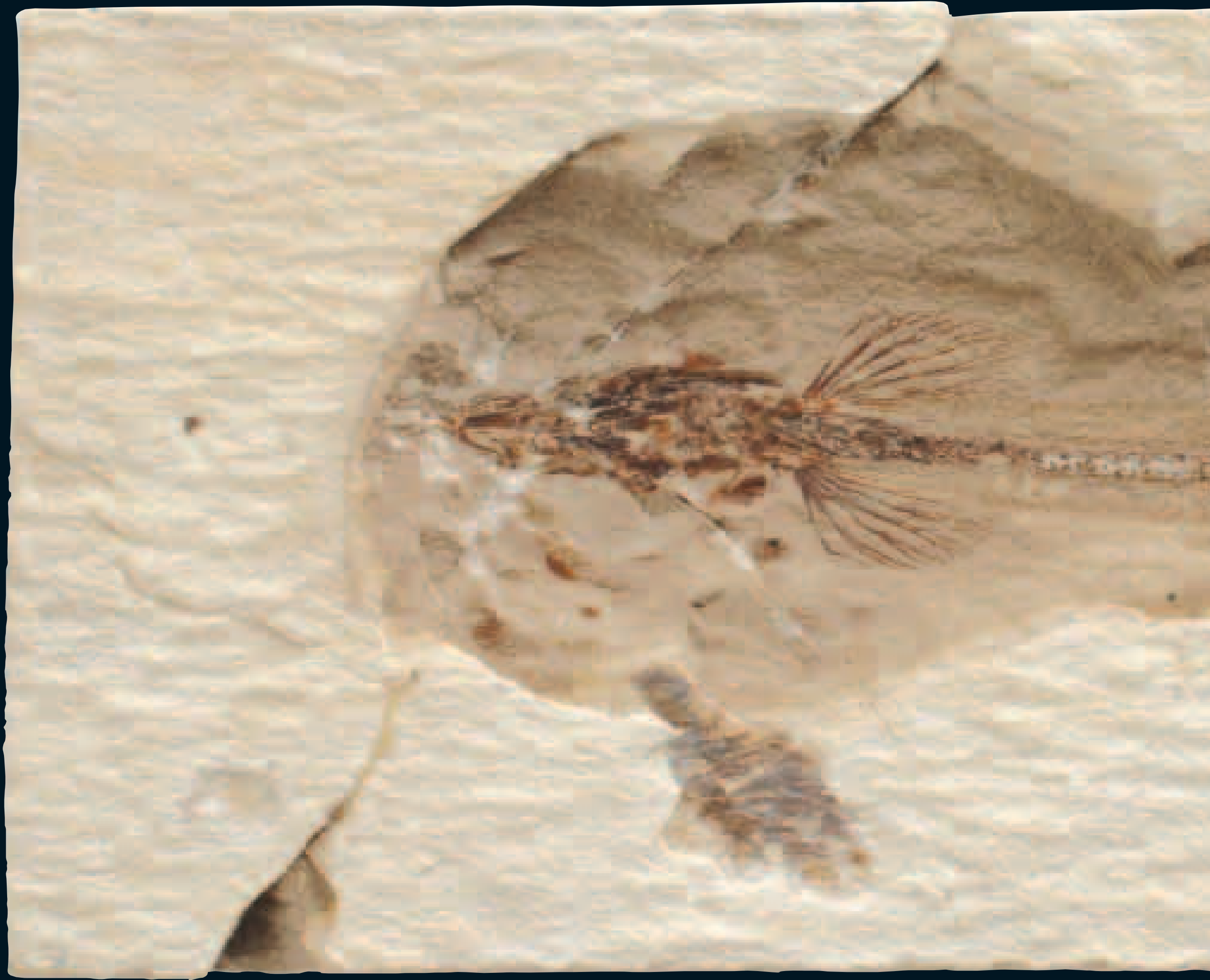
المنطقة : حجولة، لبنان.

يوجد في هذا النموذج متحجر الروبيان وسمك آخر أصغر منه قد تحجر معه في نفس الوقت. وظل الهيكل العظمي والغضروف لكلا السمكين محفوظين بكل تفاصيلهما. وأقدم متحجر للروبيان الذي ينتمي إلى فصيلة المفصليات يعود إلى العهد الجراسي (206- 144 مليون سنة). والحقيقة التي تشير إليها المتحجرات هي أن الروبيان لم يتغير منذ مئات ملايين السنوات وأنه لم يمر بالمرحلة الانتقالية أي أنه لم يرتق بل وقع خلقه.











السمك الطائر

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 100 مليون سنة.
المنطقة : حاقل، لبنان.

هذا المتحجر للسمك الطائر الذي تم العثور عليه في مواطن المتحجرات داخل أحجار الكلس بحاقل، يُعد أحد النماذج المحفوظة بشكل جيد، حيث وقع تحجر السمك بكافة خطوطه الخارجية. وغضروف هذا السمك الذي يبلغ طوله 13 سنتيمترا، يقدر بـــ 2.6 سنتيمتر. ولا يوجد أي فرق بين السمك الطائر الذي يعيش في يومنا وبين الذي عاش قبل ملايين السنوات. وهذا التشابه هو دليل على أن الكائنات الحية لم ترتق بل كلها مخلوقة.



السمك الطائر

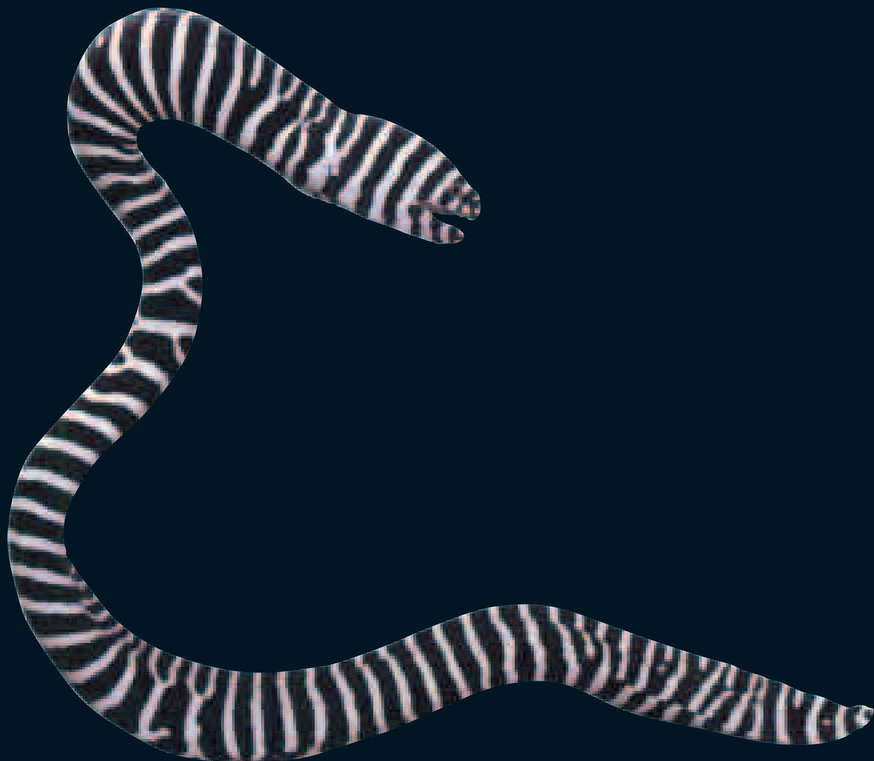


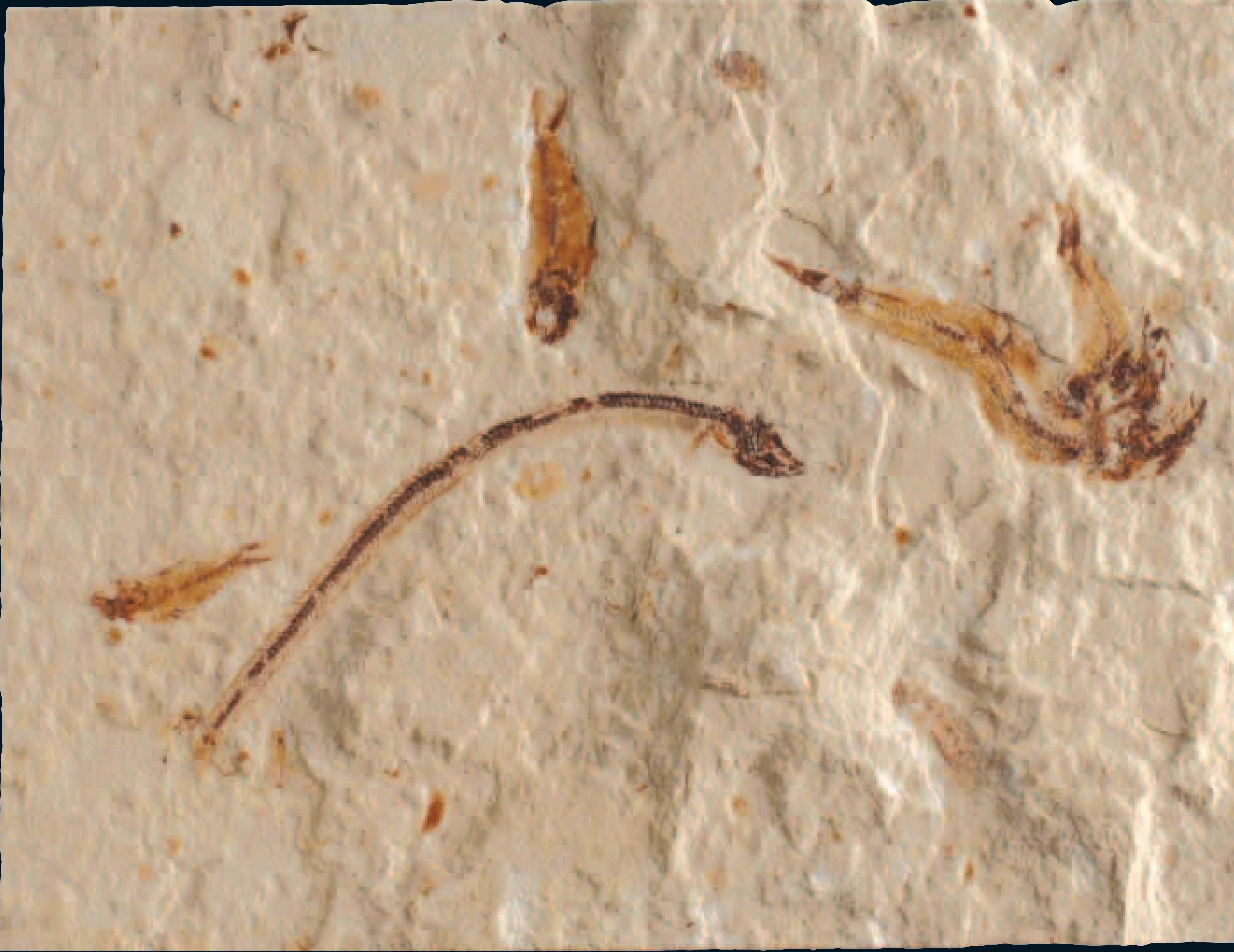
العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 95 – 72 مليون سنة.
المنطقة : خجولة ، لبنان.

ومن بين الأدلة التي تثبت بأن الكائنات الحية لم تتطور عبر مراحل أي أنها لم تتعرض للارتقاء، متحجر السمك الطائر الذي ترونه في الصورة. وينتمي هذا المتحجر مثل الأسماك الطائرة التي تعيش في يومنا إلى فصيلة Exocoetidae. ولا يختلف السمك الطائر الذي عاش قبل 95 -72 مليون سنة عن السمك الطائر الذي يعيش في يومنا. وتوجد لهذا السمك المذكور مخارج مثل الأجنحة وذيل طويل مما يمكّنه من التحرك فوق الماء بكيفية وكأنه يطير.









الأنقليس

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.

العمر : 95 – 72 مليون سنة.

المنطقة : حاقل، لبنان.

توجد في هذا النموذج أنواع أخرى من متحجرات الأسماك إلى جانب متحجر الأنقليس. وينتمي الأنقليس الذي يعيش عادة في المياه الضحلة إلى فصيلة Anguilliformes (أنقليسيات الشكل). وبعض أنواع الأنقليس تعيش في المياه العميقة (4000 متر). ويتراوح طوله ما بين 10 سنتيمترات و3 أمتار. وقد يصل وزنه إلى 65 كيلوغراما. ولا يختلف الأنقليس المتحجر عن الأنقليس الذي يعيش في يومنا. وهذه الأسماك التي لم تتغير منذ 95 – 72 مليون سنة هي من بين الأدلة المثبتة بأن الكائنات الحية لم تتعرض لما يسمى بالارتقاء.





الأنقليس

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 144 – 65 مليون سنة.
المنطقة : خجولة، لبنان.

هذا المتحجر للأنقليس الذي يحمل مقياس 8 15 X سنتيمترا هو من أقدم أنواع الأنقليس الذي يعرف كذلك باسم " Urenchelys abditus ". وظل رأس المتحجر محفوظا بشكل جيد، كما تظهر تفاصيل جسمه بشكل واضح. وهناك تطابق كامل بين الأنقليس الذي عاش قبل ملايين السنوات وبين الذي يعيش في يومنا. والأنقليس الذي ترونه في الصورة، والذي له ما بين 144 و65 سنة من العمر، دليل على هذه الحقيقة.









هذا المتحجر ذو الجزأين الموجب والسالب يبلغ من العمر 75 مليون سنة.



القرش

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.

العمر : 75 مليون سنة.

المنطقة : حاقل، لبنان.

أنواع القرش هي من أكثر المتحجرات الموجودة في جبال لبنان. وينتمي القرش إلى صنف الأسماك الغضروفية. ولا تحتوي الهياكل العظمية للأسماك الغضروفية على كالسيوم فهي متكونة من الأنسجة الغضروفية ما عدا الأسنان وأحيانا الفقرات. ولهذا السبب يتم العثور على متحجر أسنان القرش أكثر من هيكله العظمي.

وأقدم متحجر للقرش يعود إلى حوالي 400 مليون سنة. وتؤكد هذه المتحجرات كسائر المتحرجات للكائنات الحية على أن القرش لم يتعرض لأي تغير منذ ملايين السنوات، إذ لم ينشأ القرش عبر التحول المرحلي من سائر الأنواع حسب زعم الارتقائيين، بل ظهر فجأة وعلى تركيبته المعقدة، وهو ما يعني أنه مخلوق.





سرطان البحر الدبي

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 98 مليون سنة.
المنطقة : لبنان.

تتحرك هذه الكائنات الحية البحرية التي هي من قشريات البحر بصورة بطيئة ويبلغ طولها ما بين 40 و45 سنتيمترا. وهي تنتمي إلى فصيلة Scyllaridae. ورغم مرور العصور فإن سرطان البحر الدبي لم يتعرض لأي تغير. ولا شك أن متحجر سرطان البحر الدبي لـ 98 مليون سنة الذي ترونه في الصورة يؤيد هذه الحقيقة.

نماذج المتحجرات في مدغشقر

جزيرة مدغشقر الواقعة في المحيط الهندي بقرب من ساحل شرق أفريقيا – وهي أكبر جزيرة رابعة في العالم – تحتوي على 5 % من أنواع النباتات والحيوانات الموجودة في العالم. و80 % من هذه الأنواع خاصة بمدغشقر. وفي السواحل الشرقية غير المرتفعة للبلاد، توجد منحدرات حادة. وأما في الشمال فتوجد منطقة جبلية تسمى تساراتانانا Tsaratanana بعض الجبال فيها بركانية.



وتشير الأبحاث الجيولوجية إلى أن جزيرة مدغشقر كانت جزئا من القارة الأفريقية قبل 165 مليون سنة، حيث انفصلت عنها فيما بعد. واكتشف علماء الإحاثة الذين أجروا حفريات في المنطقة، عددا كبيرا من متحجرات الطيور والثدييات والحيوانات البحرية التي عاشت في الفترة الوسيطة (248 – 65 مليون سنة).

وإن المتحجرات المعثور عليها في مدغشقر، تعلن مثل سائر المتحجرات عن وجود تناقض بين نظرية الارتقاء وما أثبتته سجلات المتحجرات، حيث أكدت نماذج المتحجرات أنه لا يمكن تفسير أصل الحياة بناء على نظرية الارتقاء، لأن الكائنات الحية التي ظهرت فجأة ودام وجودها مئات ملايين السنوات دون أن يطرأ عليها أي تغير كما ثبت في سجلات المتحجرات، قد كشفت عن حقيقة الخلق بعيدا عن الارتقاء.







تم العثور في جزيرة مدغشقر التي تحتوي على غابات الأمطار الاستوائية و الصحاري معا على متحجرات عديدة لحيوانات عاشت في فترات متباينة من التاريخ. وتشير هذه المتحجرات إلى أن الكائنات الحية لم تتغير على مدى مئات ملايين السنوات أي أنها لم تتعرض لما يسمى بالارتقاء.

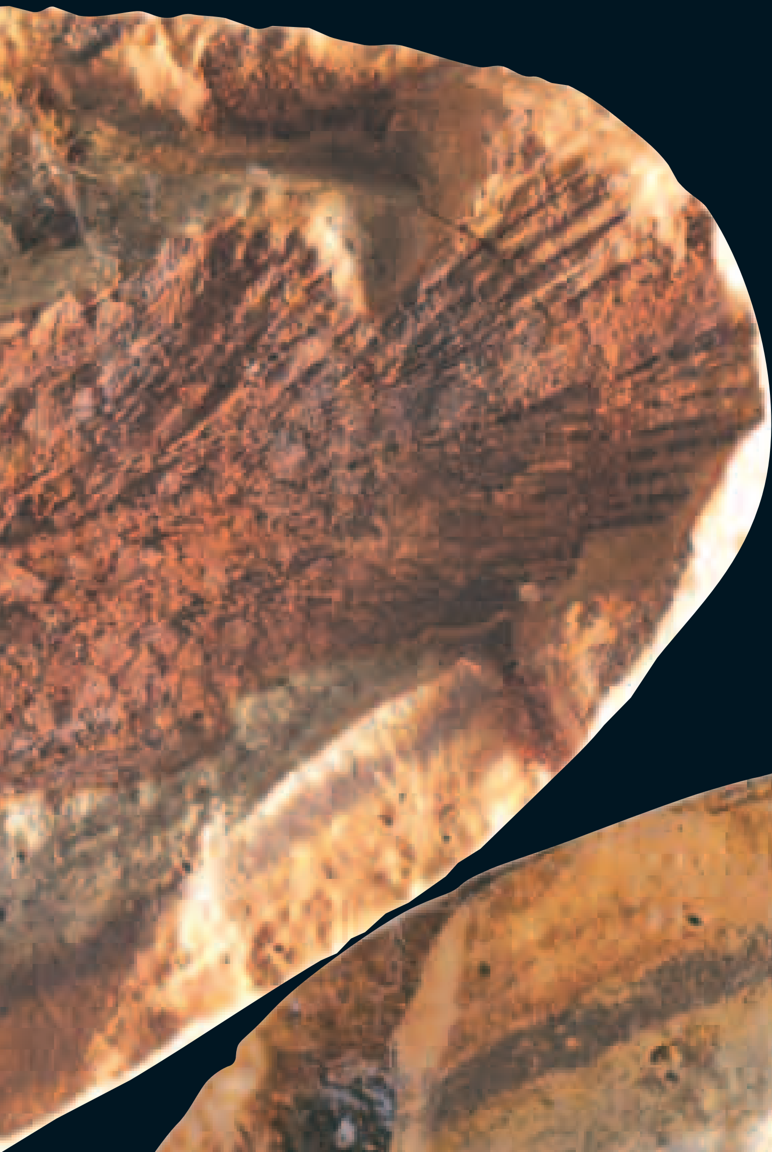


متحجرات لكليبيستيرويدا يبلغ عمرها ما بين **172** و **168** مليون سنة.

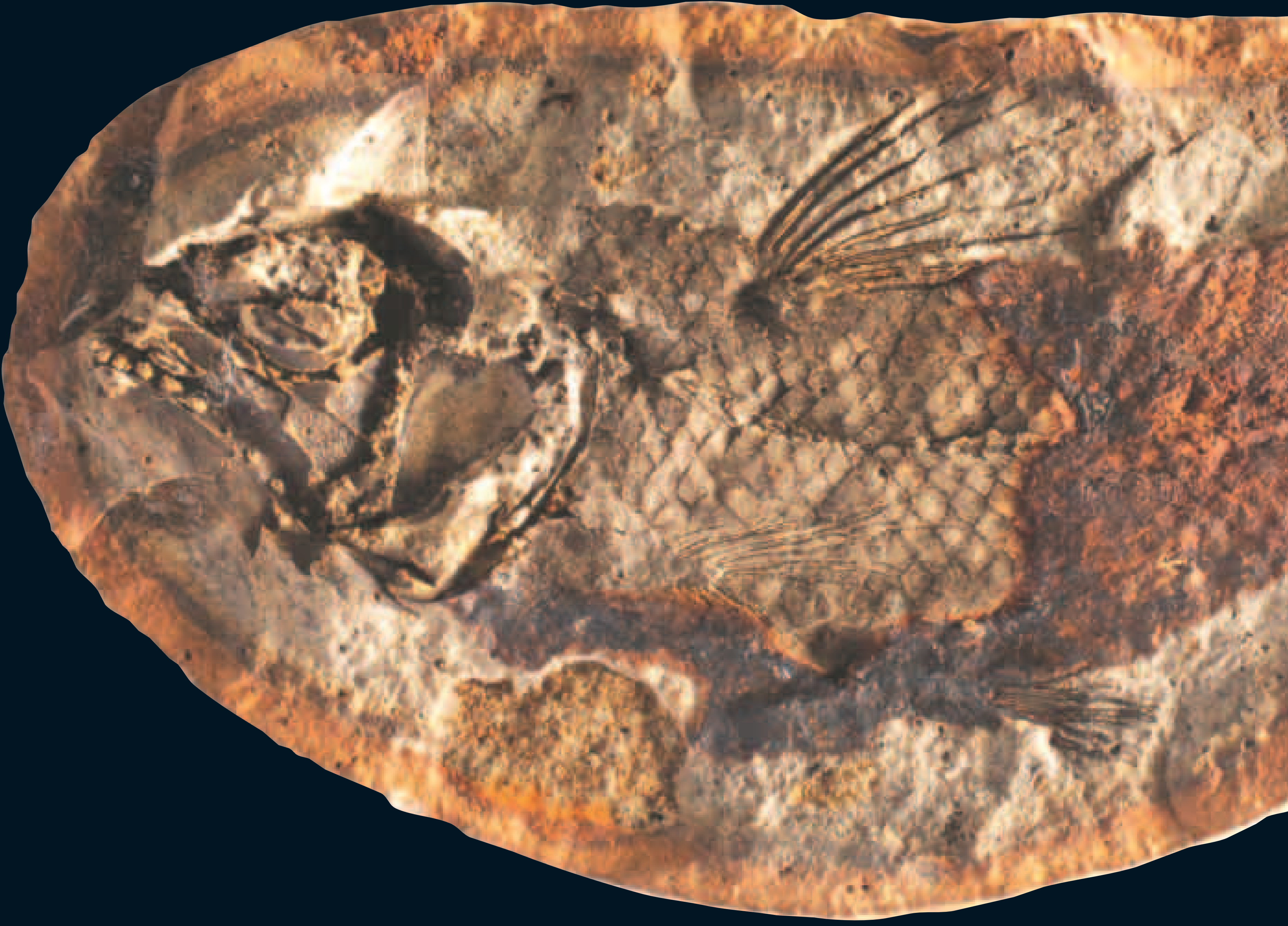


متحجرات النوتي **Nautilus** لـ **114** مليون سنة ، لا يختلف عن النوتي الذي يعيش في يومنا.









كويلاسانت Coelacanth

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الترياسي.
العمر : 240 مليون سنة.
المنطقة : آمبلوب، مدغشقر.

هذا النوع من السمك الذي له 400 مليون سنة من العمر قد أعجز أصحاب نظرية الارتقاء، لأنه لم يتغير منذ 400 مليون سنة بل حافظ على بنيته الأصلية رغم تحركات الأقطار وتقلبات المناخ واختلافات البيئية التي جرت خلال 400 مليون سنة. ويفنـّد هذا السمك نظرية الارتقاء الدائم مرة أخرى، كما ينفي أن تكون الكائنات الحية قد وجدت عن طريق الارتقاء.

ومتحجر هذا السمك الذي ترونه في الصورة يتكون من جزأين، حيث ينعكس في مثل هذه المتحجرات أثر الكائن الحي على وجهي الحجارة بالموجب والسالب.

سمك Coelacanth هو سمك كبير يبلغ طوله 150 سنتيمترا وكأنه مدرع بحراشفه السميكة التي عممت كامل جسمه. وينتمي هذا السمك إلى صنف Osteichthyes. وتم أول العثور على متحجراته داخل طبقات الأرض التابعة للعهد الديفوني. وكان كثير من علماء الحيوانات، يعتقدون إلى غاية 1938 أن هذا السمك هو نموذج انتقالي من بين الحيوانات البرمائية حيث ادعوا أنه كان يمشي في أسفل البحر باستعمال زعنفتيه المزدوجتين. واستشهدوا في ذلك بالعظام الموجودة في زعنفتي السمك. وفي عام 1938 حدث تطور جديد أعلن عن بطلان هذا الادعاء، حيث تم العثور على سمك Coelacanth في بحار جنوب أفريقيا وهو حي ! وأعرب من ذلك فإن البحوث التي أجراها العلماء على هذا السمك الحي أثبتت أن سمك Coelacanth المعتقد انقراضه قبل 70 مليون سنة حسب ظنون العلماء، لم يتعرض لأي تغير خلال هذه المدة.











ذو صدفتين BIVALVE

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي.
العمر : 208 – 146 مليون سنة.
المنطقة : مدغشقر.

لا يوجد أي فرق بين ذو صدفنين الذي ترونه في الصورة وله ما بين 208 و146 مليون سنة من العمر وبين ذو صدفتين الذي يعيش في يومنا. وهذا التطابق هو أحد الأدلة المثبته بأن مسار الارتقاء لم يحدث وأن الكائنات الحية لم تمر بمرحلة انتقالية.



النوتي NAUTILUS

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 113 – 97 مليون سنة.
المنطقة : مدغشقر.

عند النظر إلى المتحجرات، نرى أنه لا فرق بين الكائنات الحية التي عاشت قبل مئات ملايين السنوات وبين مثيلاتها التي تعيش في يومنا. ومن بين هذه الكائنات نجد النوتي، حيث بقي هذا الكائن الحي على هيئته الأصلية منذ البداية. ومتحجر النوتي الذي ترونه في الصورة والذي يتراوح عمره ما بين 113 و 97 مليون سنة يشير إلى هذه الحقيقة.



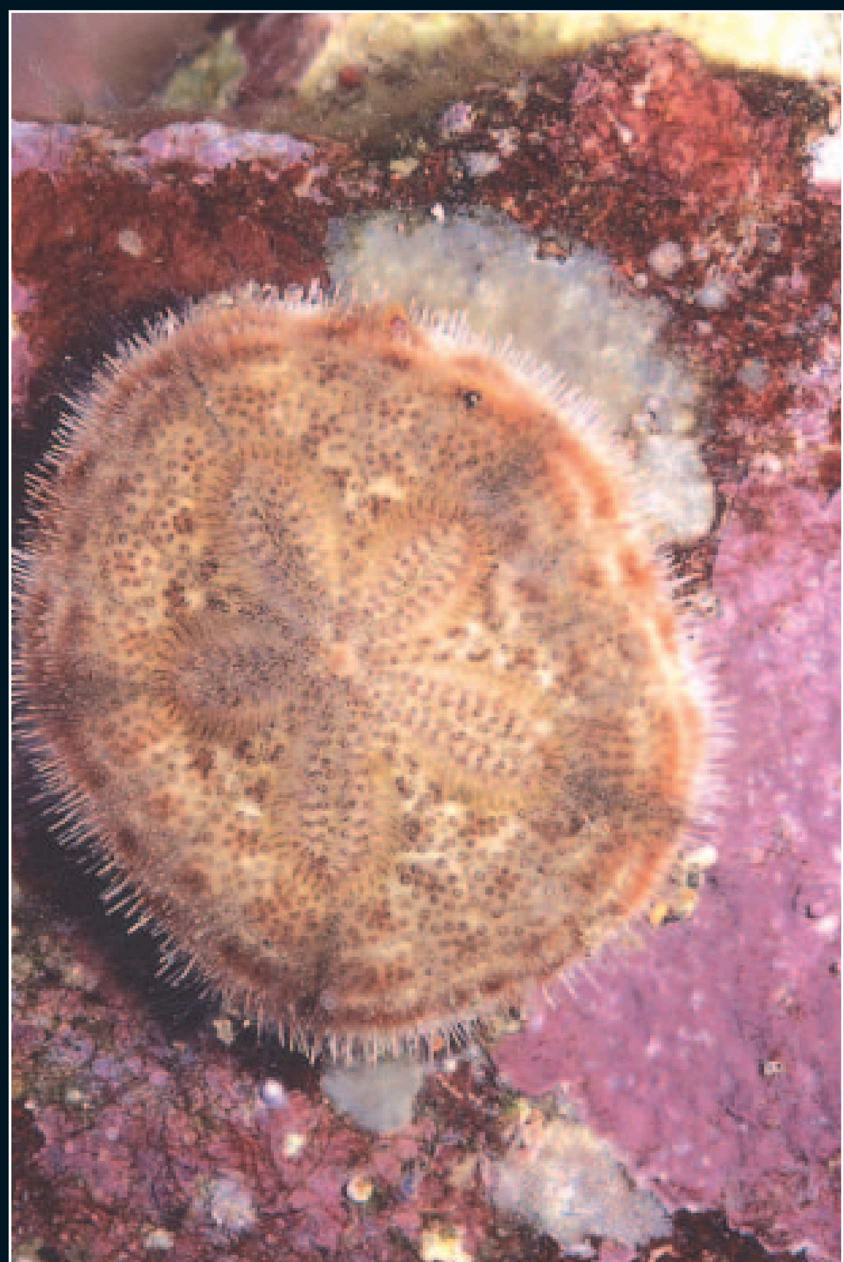
النوتي NAUTILUS

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 114 مليون سنة.
المنطقة : مدغشقر.

لا فرق بين النوتي الذي عاش قبل 300 مليون سنة والذي عاش قبل 150 مليون والذي يعيش في يومنا. وأحد الأدلة التي تؤكد على أن هذه الكائنات الحية لم تتغير عبر مئات ملايين السنوات، هو متحجر النوتي الذي ترونه في الصورة وله من العمر 114 مليون سنة.







كليبيستيرويدا (ساند دولّر)

العصر : زمن الميزوزوي ، العصر الجوري .
العمر : 172-168 مليون سنة .
الموقع : مدغشقر.

الكليبيستيرويدا (ساند دولّر) التي تُرى في الصّورة يبيغ عمرها ما بين 172 و 168 مليون سنة، ولا يُوجد أدنى فرق بينها وبين مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الراهن، وهي بذلك تؤكد أن الكائنات الحية قد خلقت ولم تمر بأية عملية تتطور.

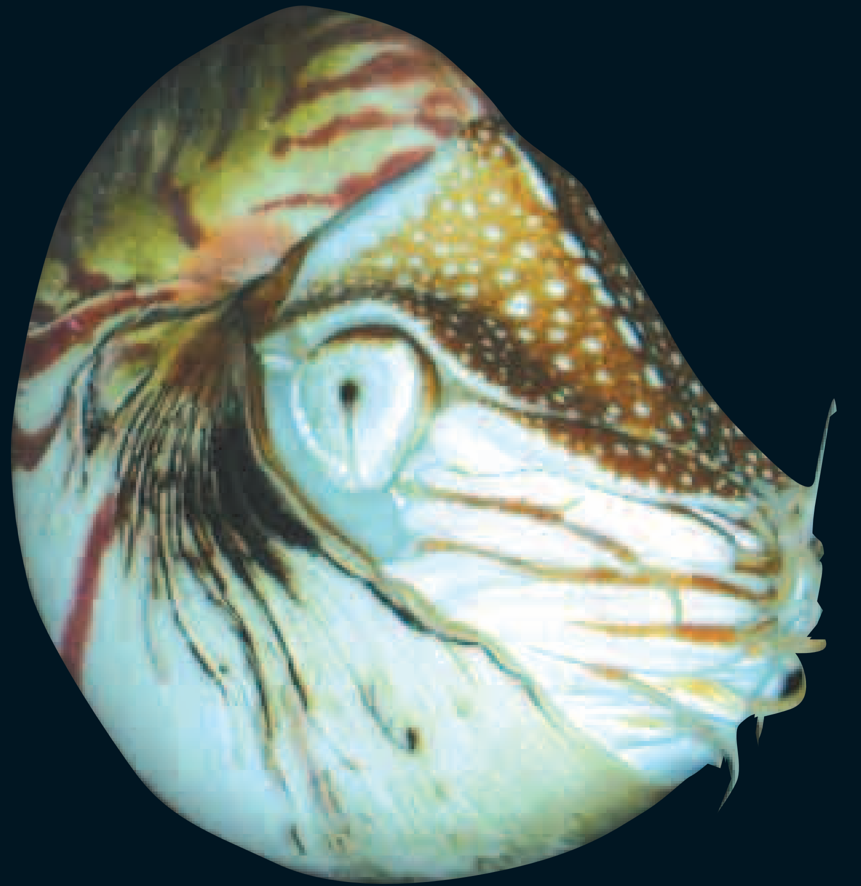




النوتي NAUTILUS

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 114 مليون سنة.
المنطقة : مدغشقر.

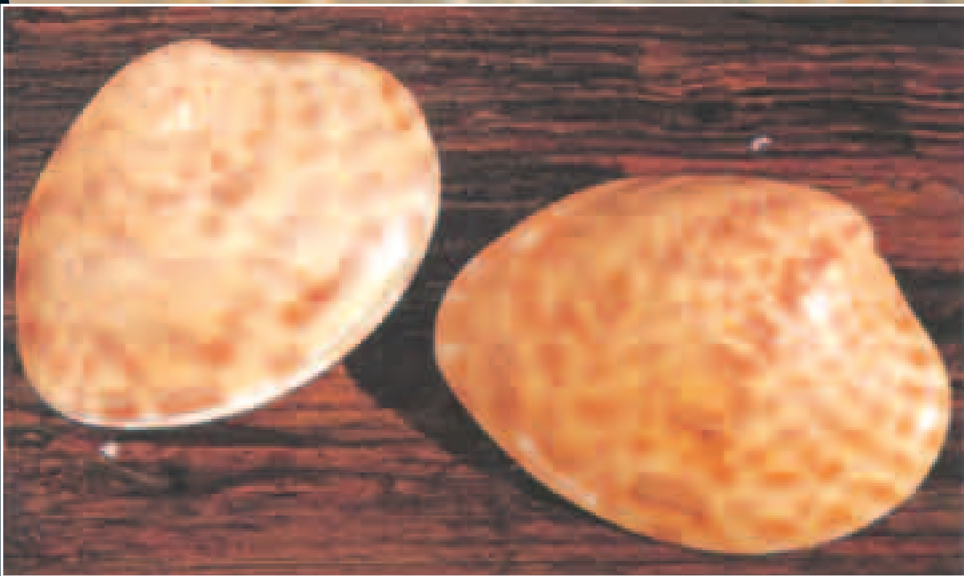
والنوتي الذي يلحق بنظرية الارتقاء ضررا كبيرا، لم يتعرض لأي تغير منذ 300 مليون سنة. وهنا تشابه كامل بين النوتي الذي عاش قبل 114 مليون كما ترونه في الصورة وبين الذي يعيش في يومنا.



النوتي NAUTILUS

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 113 - 97 مليون سنة.
المنطقة : مدغشقر.

النوتي الذي عاش قبل 113 – 97 مليون سنة والذي يماثل النوتي الحالي، يكشف للعيان مرة أخرى عن أن نظرية الارتقاء هي عبارة عن كذب كبير.





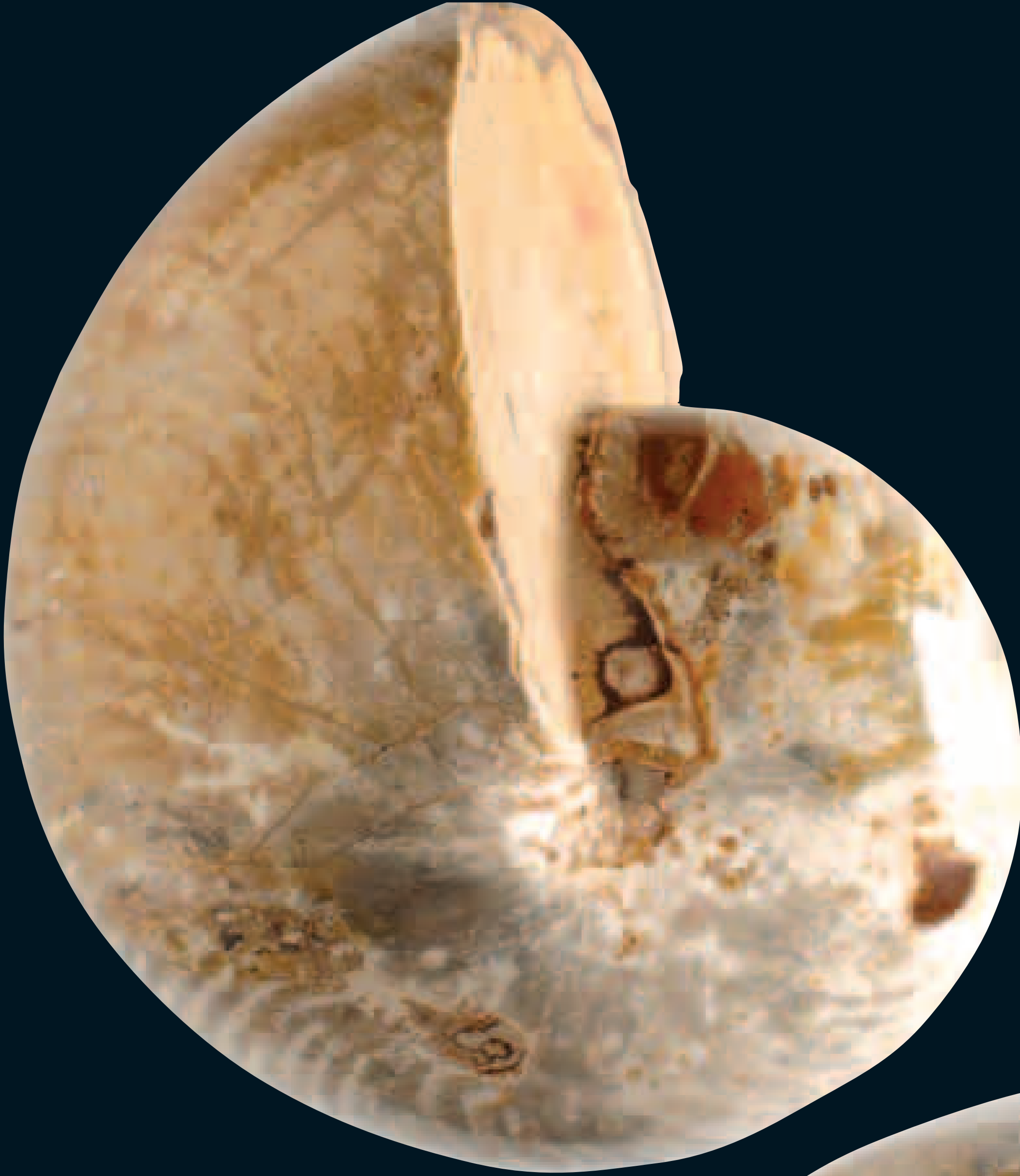




ذو صدفتين BIVALVE

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي.
العمر : 208 – 146 مليون سنة.
المنطقة : مدغشقر.

حافظت قشريات البحر على خصائصها الأصلية منذ مئات ملايين السنوات كما ثبت ذلك ضمن سجلات المتحجرات. وأحد هذه الكائنات الحية هو ذو صدفتين الذي هو كائن بحري ذو قشرتين. ومتحجر ذو صدفتين الذي ترونه في الصورة والذي له من العمر ما بين 208 و 146 مليون سنة يتحدى نظرية الارتقاء.

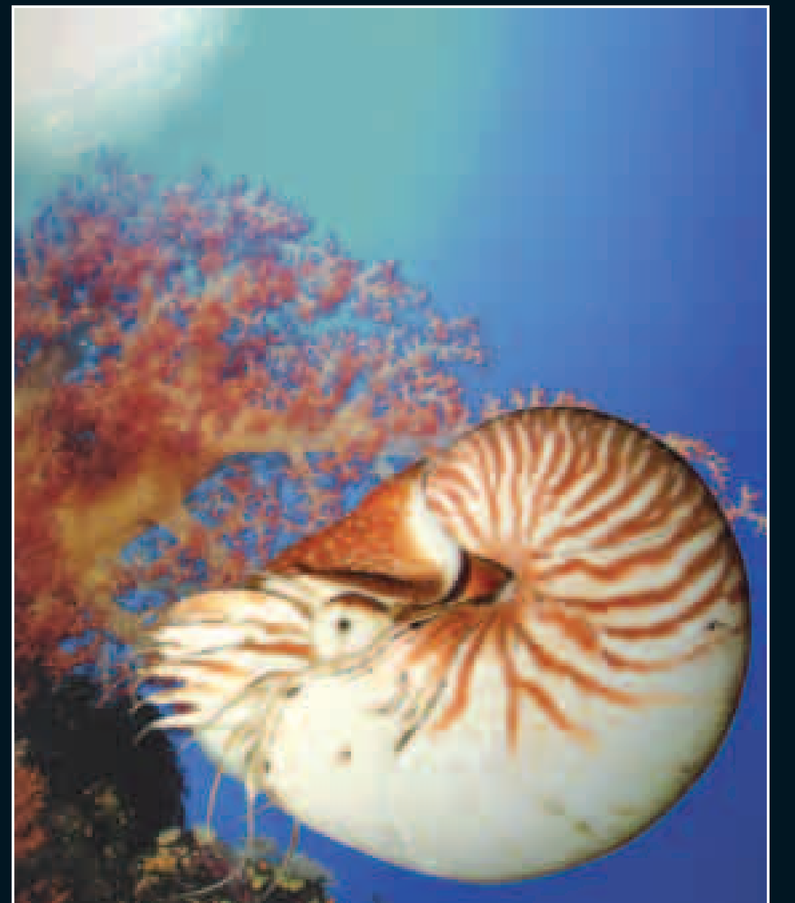




النوتي NAUTILUS

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 114 مليون سنة.
المنطقة : مدغشقر.

النوتي الذي تمتد حياته إلى ما قبل 300 مليون سنة، قد حافظ على بنيته الأصلية رغم مرور مئات ملايين السنوات. ومتحجر النوتي الذي ترونه في الصورة يبلغ من العمر 114 مليون سنة. وهذه الحيوانات التي بقيت على أصولها منذ مئات ملايين السنوات، تـُعتبر شواهد حية على عدم حدوث ما يسمى بالارتقاء.



النوتي NAUTILUS

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 114 مليون سنة.
المنطقة : مدغشقر.

والنوتي الذي كثيرا ما نراه في بحار عالم اليوم هو حيوان اللافقري ينفي بدوره صحة النظرية الداروينية. ولا يوجد أي فرق بين النوتي الذي يعيش في يومنا وبين الذي عاش قبل 114 مليون سنة.



نماذج المتحجرات في الصين وأوستراليا ونيوزلندا



نماذج المتحجرات في الصين

إن تكوّن الجبال يحتل مكانة هامة في التاريخ الجيولوجي لقارة آسيا. وجبال همالايا هي من أحدث الجبال في العالم. وتشير متحجرات الكائنات البحرية اللافقرية الموجودة في ضواحي همالايا إلى أن هذه الطبقات كانت تحت المياه في وقت سابق.

و أهم المواطن المحتوية على المتحجرات في قارة آسيا توجد في الصين، حيث تـُعرف مناطق لياونينك الغربية West Liaoning ويوننان Yunnan وشاندونك Shandong بأنها مناطق ثرية بالمتحجرات، فهي تتضمن متحجرات كثيرة لأنواع الطيور والثدييات والبرمائيات والزواحف والأسماك والحشرات والنباتات. وما من متحجر يتم العثور عليه إلا وهو يجدد عدم مرور الكائنات الحية بالمسار الارتقائي ويؤكد أن خلق الله حقيقة واضحة.

وقد تم اكتشاف أنواع خاصة لبعض الحيوانات في تشكيلتي يكزيان Yixian وجيوفوتانك Jiufotang بمنطقة لياونيينك. وتوجد في كلتي التشكيلتين نماذج متحجرات للعهد الطباشيري (144



ترون في الصورة الأعمال الجارية في مكان الحفر للمتحجرات بـ Beipiao. وبعض أنواع متحجرات النباتات الزهرية التي تم العثور عليها في هذه المنطقة هي أقدم نماذج هذه الأنواع.





ترون في الصورة إحدى طبقات الصخور التي تحتوي على نماذج المتحجرات في لياونيينك.



الأعمال التي أجريت في لياونيينك، كشفت عن عديد نماذج المتحجرات التي تفند نظرية الارتقاء. وترون في الصورة أحد هذه الأعمال.

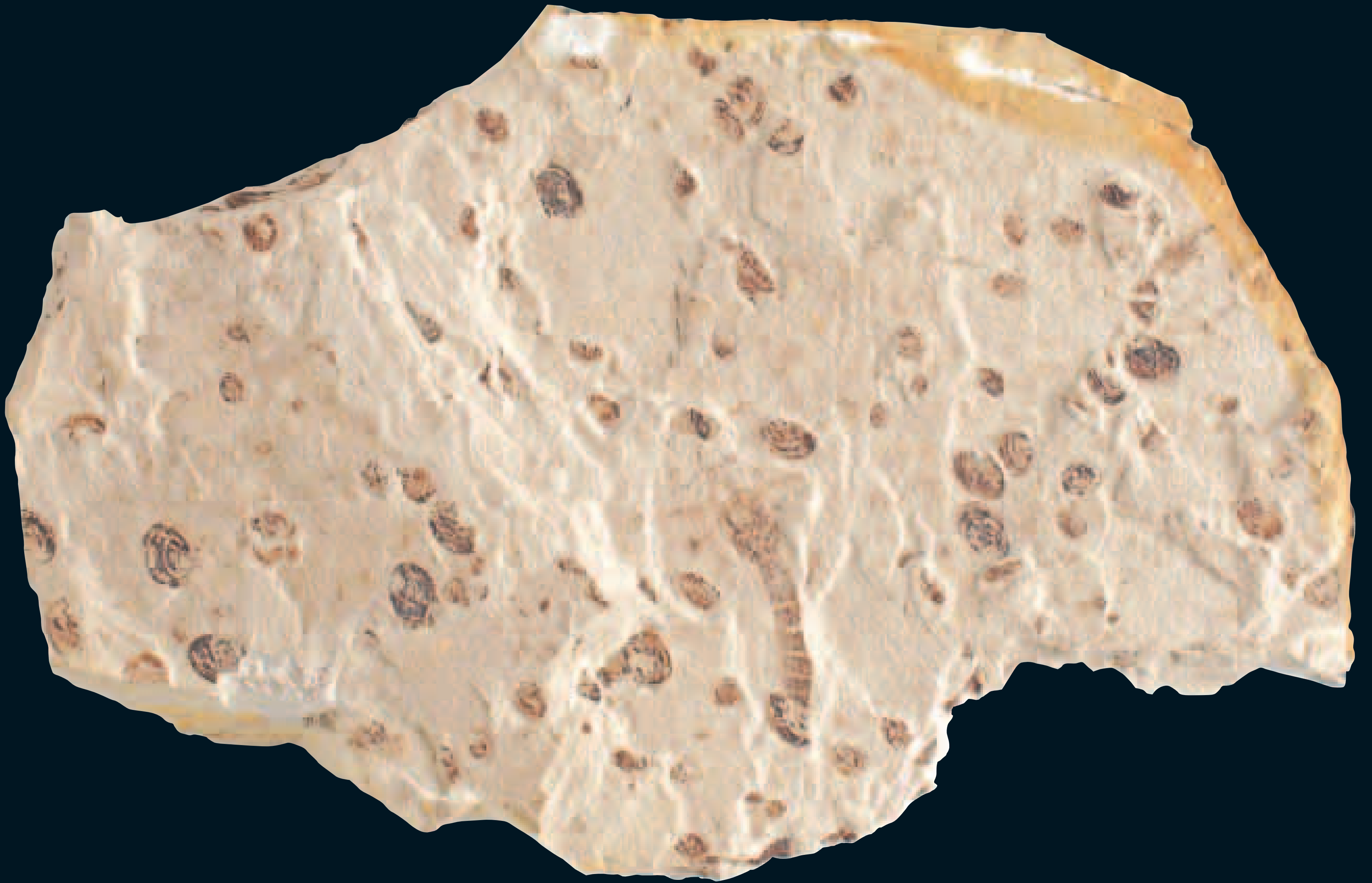
– 65 مليون سنة).

وأما تشكيلة جنكشيانك Chengjiang الواقعة في منطة يوننان فهي تكتسي أهمية خاصة لاحتوائها على متحجرات العهد الكمبري (543 – 490 مليون سنة). وهذه التشكيلة التي تم العثور فيها على عدد كبير من أنواع لمتحجرات مثل الأعشاب البحرية وشقائق النعمان والإسفنج وثلاثيات الفصوص وغيرها من المفصليات الشبيهة بثلاثيات الفصوص والديدان الحلقية والديدان الأخرى، هي من أهم مواطن المتحجرات التي تضرب بنظرية الارتقاء عرض الحائط. وتشير هذه المتحجرات إلى أن الكائنات الحية التي عاشت في العهد الكمبري تحمل خصائص معقدة تشبه الكائنات الحية التي تعيش في يومنا بل وتتميز عنها أحيانا بامتلاك أجزاء خاصة ومتميزة. وهذا الأمر، يفند ادعاءات الارتقائيين الذين يزعمون بأن الكائنات الحية تولدت وتطورت عن كائنات بدائية.





أحد الأماكن المحتوية على المتحجرات في يوننان.





ذبابة مايو

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 125 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك، الصين.

ذبابة مايو التي ترونها في الصورة ولها 125 مليون سنة من العمر هي نموذج لمتحجر حي. وهذه الذبابة التي تماثل ذبابة مايو في يومنا، تبطل مزاعم الارتقائيين.



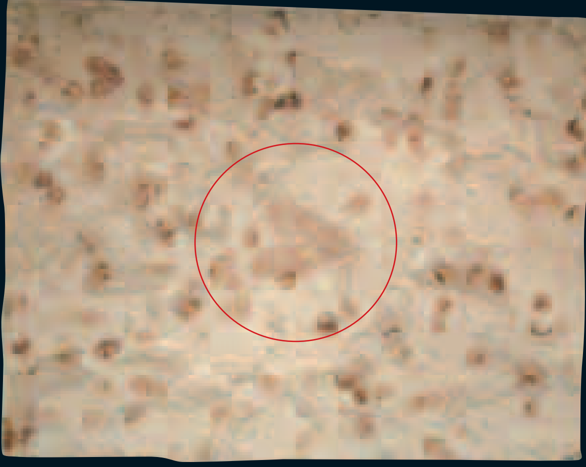


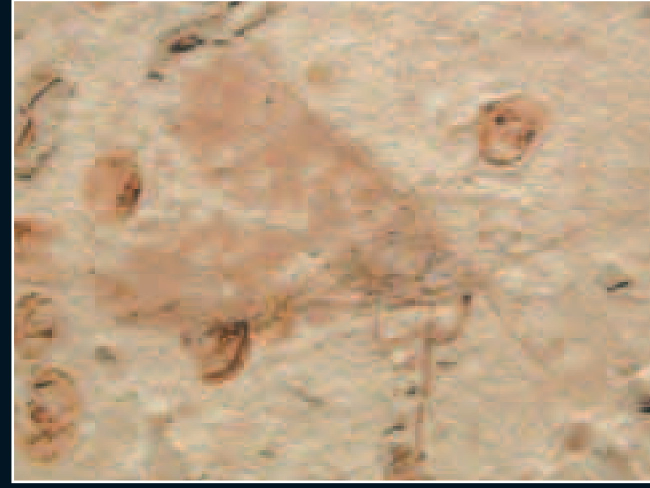


بعوضة عشب

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 128مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك، الصين.

بعوضة عشب التي تشبه بعوضة عملاقة تختلف عن البعوضات المعروفة. وأهم خصائصها هي أرجلها الطويلة جدا بالمقارنة مع أجسامها، حيث يبلغ طول الرجل ضعف طول الجسم.
وبقيت ذبابة عشب كسائر الكائنات الحية على هيئتها الأصلية عند مقارنتها بنماذجها الموجودة ضمن سجلات المتحجرات. وعدم وجود أي فرق بين ذبابة عشب التي تعيش في يومنا وبين التي عاشت قبل ملايين السنوات دليل على أن الكائنات الحية لم تتعرض للارتقاء.











ذبابة عقرب

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 125 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك، الصين.

ميسوبترا Mecoptera أو ذبابة عقرب نوع من ذبابة صغيرة يبلغ طول جناحها حوالي 50 ملليمترا. وسميت بـــ " ذبابة عقرب " لسبب وجود عضو شبيه بإبرة عقرب على بطنها.
ومتحجر ذبابة عقرب التي ترونها في الصورة يبلغ من العمر 125 مليون سنة. ولا فرق بين ذبابة عقرب التي عاشت قبل 125 مليون سنة وبين التي تعيش في يومنا. ويشير هذا الوضع كما هو الحال بالنسبة إلى سائر الكائنات لحية إلى عدم تعرض ذبابة عقرب للارتقاء.



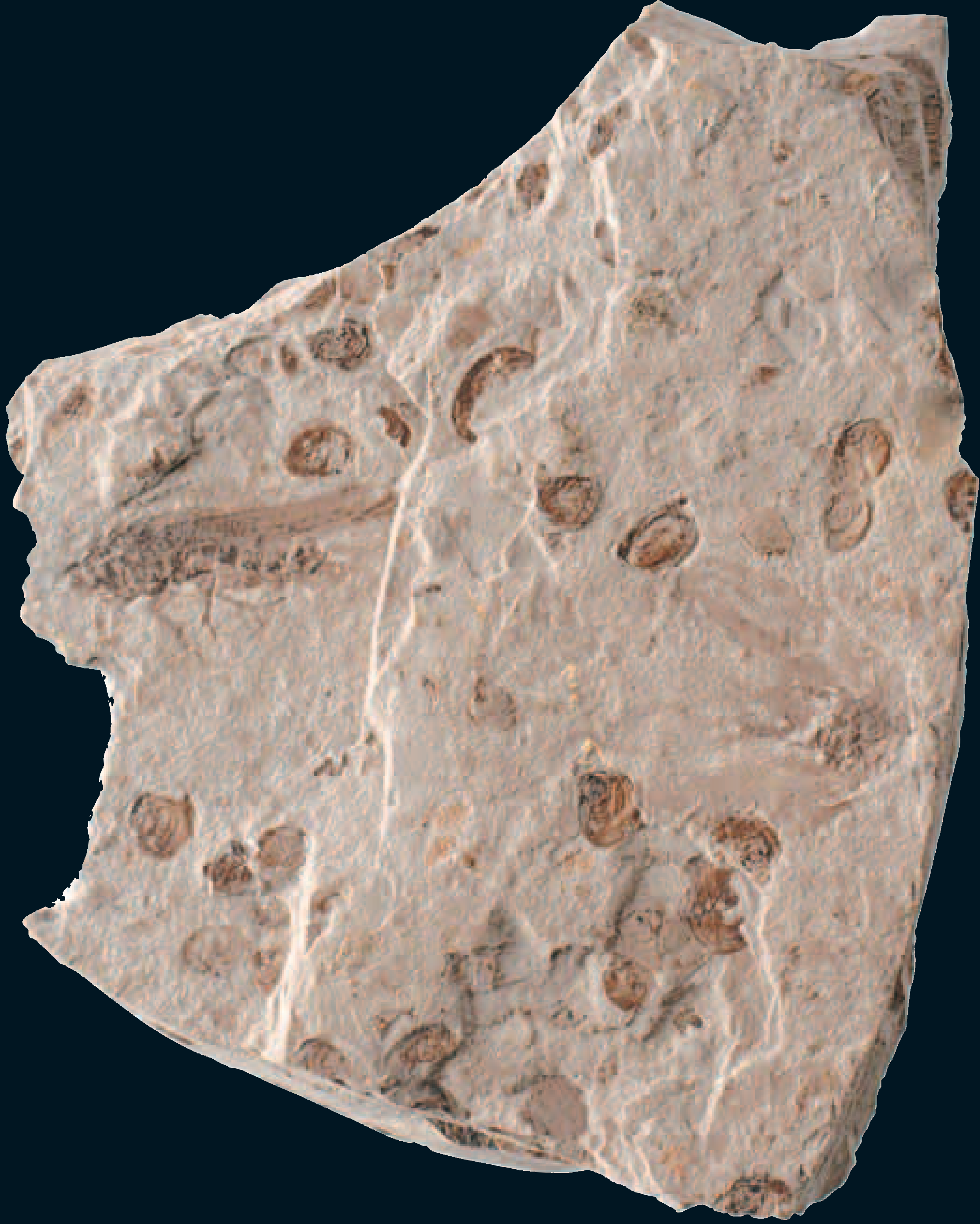
الباصوق

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 125 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك، الصين.

الباصوق هو حشرة ينتمي إلى عائلة Cercopidea ويترك يرقاته داخل مادة بصاقية بين أوراق النباتات.

ولا يوجد أي فرق بين الباصوق الذي يعيش في يومنا وبين الذي عاش قبل ملايين السنوات. وهذه الحشرات التي لم تتغير على مدى ملايين السنوات هي أدلة على عدم وقوع ما يسمى بالارتقاء بتاتا.





حشرة نبات

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 125 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك، الصين.

ينقسم الناضج من هذه الحشرات إلى نوعين مختلفين. أحدهما قادر على الطير والآخر غير قادر على ذلك. والخاصية المشتركة لكلا النوعين أن بنيتيهما لم تتغير منذ ملايين السنوات. والتركيبة والأنظمة المعقدة التي تمتلكها حشرة نبات اليوم، كانت موجودة عند مثيلتها التي عاشت قبل ملايين السنوات. وظلت هذه الخصائص محفوظة على مدى ملايين السنوات مما يؤكد عدم حدوث مسار الارتقاء الذي يدعي به الدارفينيين.









بعوضة فطر

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 128 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك، الصين.

بعوضة فطر التي تنتمي إلى فريق Diptera وعائلة Sciaridae، تعيش عادة في مناخ رطب وتتواجد في أسفل النباتات القريب من التراب.

ومتحجر بعوضة فطر التي ترونها في الصورة لها من العمر 128 مليون سنة. وهذه البعوضة التي عاشت قبل ملايين السنوات متكاملة لا يشوبها أي نقص بالمقارنة مع مثيلتها التي تعيش في يومنا. وتشير سجلات المتحجرات إلى أن بعوضة فطر كانت دوما على هيئتها إذ لم ترتق من كائن حي آخر وهي بذلك تفند الادعاء القائل بأنها مرت بمراحل مختلفة حتى تكونت هيئتها الحالية.





وهذا متحجر السمندر الذي له 208 – 65 مليون سنة ينقسم إلى جزأين، حيث يعكس المتحجر أحيانا على الحجر الموجود فيه بشطريه الموجب والسالب. وهذا المتحجر يعتبر أحد أمثلته.

السمندر

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي – الطباشيري.
العمر : 208 – 65 مليون سنة.
المنطقة : لياونينك، الصين.

متحجرات السمندر المعثور عليها في الصين هي أقدم متحجرات لهذا النوع. وظلت هذه المتحجرات محفوظة بشكل جيد لبقائها تحت أغطية الحمم المتكونة جراء انفجار بركاني حسب التوقعات، حتى إنه أمكن الكشف على بعض المتحجرات عن الأنسجة الناعمة للحيوانات والمأكولات الأخيرة في بطونها .

ولا يختلف هذا النموذج للسمندر عن الذي يعيش في يومنا. وتكشف متحجرات السمندر التي لم تتغير على مدى ملايين السنوات عن غلط الارتقائيين مجددا.





الحفش

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.

العمر : 144 – 127 مليون سنة.

المنطقة : تشكيلة جيولونكسونك، لياونينك ، الصين.

كما لا يوجد نموذج انتقالي يثبت صحة نظرية الارتقاء، فإنه لا يوجد متحجر واحد يثبت "ارتقاء الأسماك ". بل وعلى عكس من ذلك فإن جميع أصناف الأسماك ظهرت ضمن سجلات المتحجرات بصورة فجائية دون الانحدار من جد مشترك. وهناك مئات آلاف المتحجرات من الكائنات الحية اللا فقرية، وهناك مئات آلاف متحرجات الأسماك ولكن لم يتم العثور على متحجر انتقالي واحد. ومن بين الأدلة المثبتة بأن الأسماك كانت أسماكا منذ البداية، متحجر الحفش الذي له من العمر ما بين 144 و 127 مليون سنة.

السلحفاة

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 146 - 65 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك، الصين.

إن الحقيقة التي أكدتها المؤشرات العلمية هي أن الكائنات الحية لم تتعرض للارتقاء، إلا أن أصحاب النظرية الداروينية يستنكرون هذه الحقيقة وبإصرار شديد. ومتحجر السلحفاة الذي له من العمر ما بين 146 و 65 مليون سنة يجدد الحقيقة التي يأبى الدارفينيين إدراكها. وهي أن الكائنات الحية لم تتغير على مدى ملايين السنوات أي أنها لم ترتق.



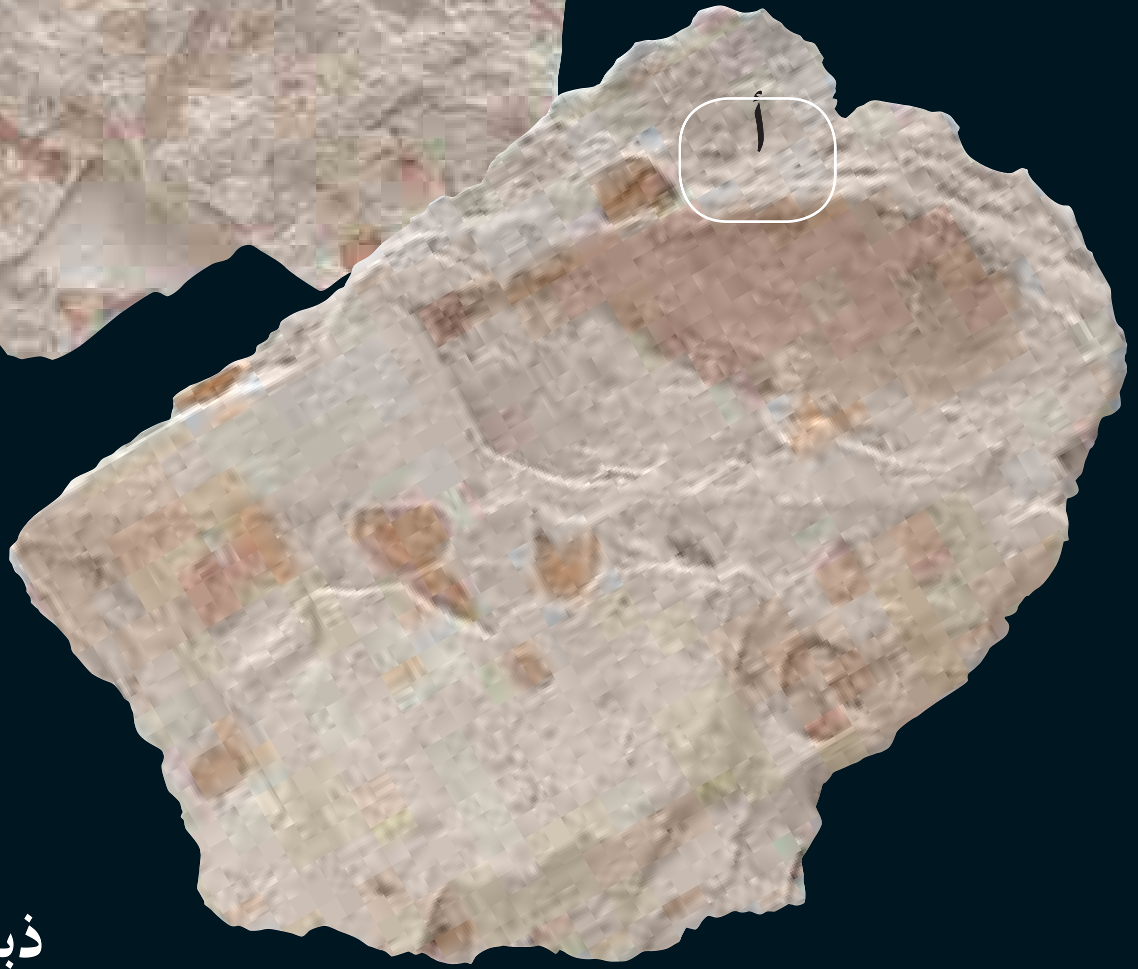


أ

ب



وهذا المتحجر هو من بين المتحجرات ذات الجزأين الموجب والسالب.





ذبابة مايو

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي.
العمر : 156 – 150 مليون سنة.
المنطقة : بيبياو، لياونينك، الصين.

حافظت ذبابة مايو مثل سائر الحشرات على خصائصها وأنظمتها الأصلية منذ لحظة ظهورها. وتشير سجلات المتحجرات إلى أن ذبابة مايو ظلت كذلك منذ البداية وأنها لم تتولد عن كائن حي آخر ولم تمر بمرحلة انتقالية. وهناك تشابه كامل بين ذبابة مايو التي عاشت قبل 156 – 150 مليون سنة وبين التي تعيش في يومنا.





أ

ب


وهذا المتحجر ينقسم إلى الجزأين الموجب والسالب.

السمندر

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 125 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك، الصين.

يؤكد متحجر السمندر لـ 125 مليون سنة الذي ترونه في الصورة على أن هذا النوع من الكائنات الحية أدام بقاءه منذ ملايين السنوات دون التعرض لأي تغير. وهذا السمندر الذي لا يختلف عن مثيلاته الموجودة في يومنا هو أحد الأدلة المثبتة بعدم وقوع ما يسمى بالاتقاء.


ب


أ

ومتحجر هذا العنكبوت الذي له من العمر ما بين 156 و 150 مليون سنة ينقسم إلى جزأين.



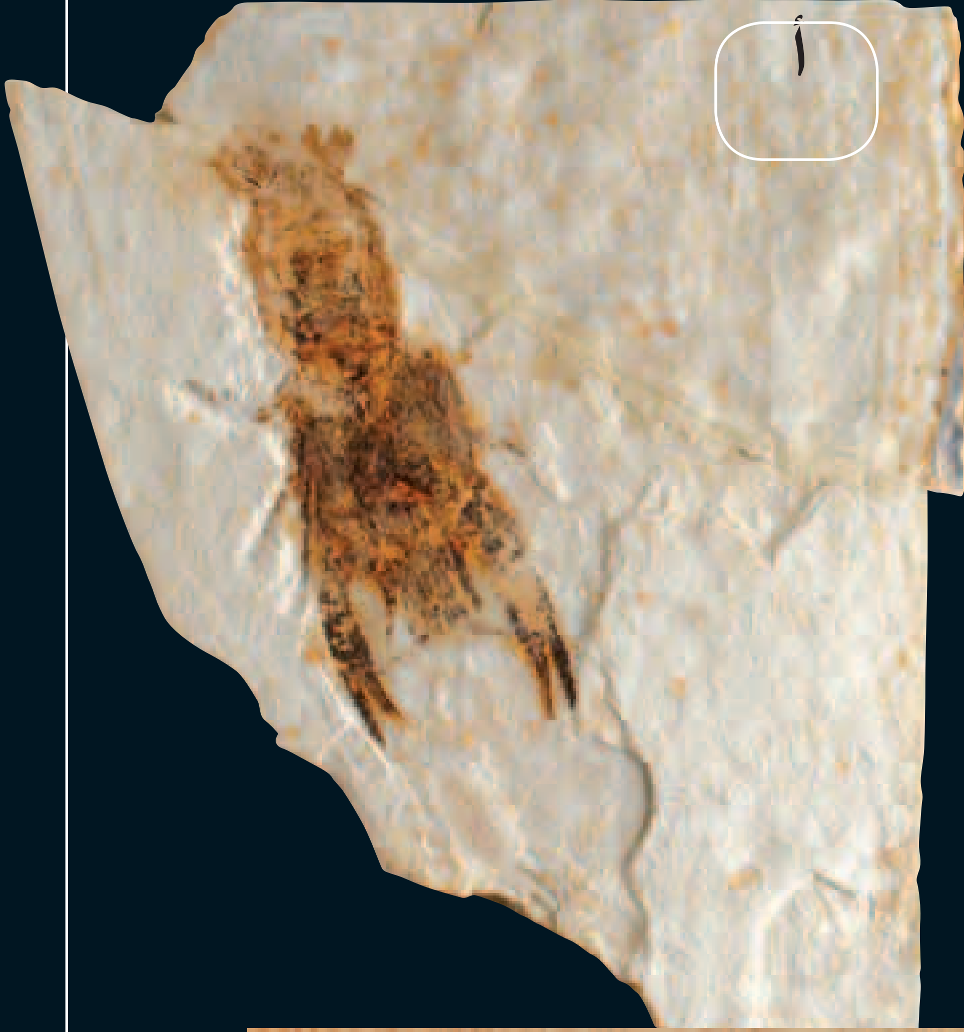
العنكبوت

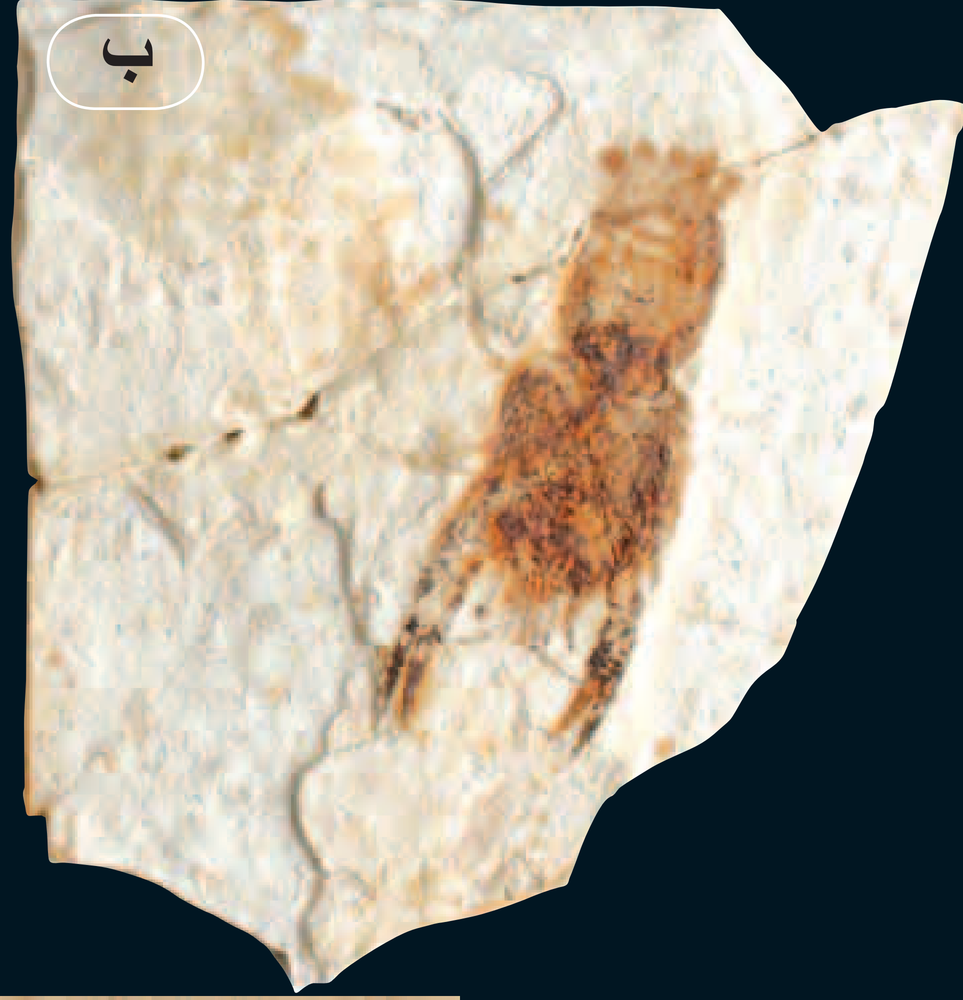
العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي.
العمر : 156 – 150 مليون سنة.
المنطقة : بيبياو، لياونينك، الصين.

وأقدم نموذج لمتحجر العنكبوت يعود إلى 425 مليون سنة وهو عنكبوت الماء. وأما متحجر العنكبوت الذي ترونه في الصورة فهو ما بين 156 و 150 مليون سنة. وتشير سجلات المتحجرات إلى أن العنكبوت حافظ على خصائصه الأصلية على مدى مئات ملايين السنوات دون التعرض لأي تغير. وليس بوسع أصحاب النظرية الداروينية أن يقدموا أي جواب علمي ومنطقي على هذه المؤشرات.

أ

ب







جراد البحر

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.

العمر : 125 مليون سنة.

المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك، الصين.

جراد البحر هو نوع من أنواع سرطان البحر ويعيش في المياه العذبة. وأدام بقاءه على مدى ملايين السنوات دون التعرض لأي تغير. وتشابه جراد البحر الذي عاش قبل 125 مليون سنة بجراد البحر الذي يعيش في يومنا أمر لا يستطيع الارتقائيين تفسيره. والحقيقة التي تؤكدها المتحجرات هي أن الكائنات الحية من خلق الله.











أبو مغزل

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي.
العمر : 156 – 150 مليون سنة.
المنطقة : بيبياو، لياونينك، الصين.

إن هيكلة أجنحة أبو مغزل الذي حافظ على بنيته الأصلية منذ ملايين السنوات وآلية طيرانه، قد كانتا مصدر إلهام لأكبر الشركات العالمية في صناعة المروحيات. وبنية أجنحة أبو مغزل وآلية طيرانه المتطورة التي تمكنه من الطير على أحسن وجه، كانتا موجودتين قبل 150 مليون سنة وهما لا زالتا على النظام نفسه. وليس لدى أصحاب النظرية الداروينية أي مجال لتفسير هذا الأمر، بحيث يمكن القول إن متحجر أبو مغزل حطّم ادعاءات الارتقائيين.

ومتحجر السلحفاة الذي ترونه في الصورة والذي له **120** مليون سنة من العمر دليل على أن السلحفاة لم تتحول عن الكائنات الحية الأخرى وأنها لم تمر بمرحلة انتقالية إذ بقيت على هيئة موحدة على مدى ملايين السنوات.







السلحفاة

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي – الطباشيري.
العمر : 120 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك ، الصين.

ظهرت السلحفاة ضمن سجلات المتحجرات بقوقعتها الخاصة بها على وجه فجائي. وهناك اعتراف من بعض مراجع النظرية الارتقائية أمام هذا الوضع وهو كالآتي : '' ولئن كانت السلحفاة قد تركت لنا متحجرا جيدا وأكثر حفاظا على خصائصها بالمقارنة مع بقية الكائنات الفقرية، إلا أنه لا يوجد أي أثر انتقالي يربط بين هذا الكائن الحي والزواحف المتوقع ارتقاؤه منها. (Encyclopedia Britannica, 1992, 26/ 704-705).





الحفش

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي.
العمر : 156 – 150 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة جيوفوتانك، لياونينك ، الصين.

ينتمي الحفس إلى صنف له 20 نوعا مختلفا من بين أصناف الأسماك. ويقضي الحفش معظم أوقات السنة في البحار ويتجمع في الأنهر في بعض الفترات. وغالبا ما يعيش الحفش في أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية.

ولا يوجد أي فرق بين الحفش الذي عاش قبل 156 – 150 مليون سنة وبين الذي يعيش في يومنا. والحقيقة التي تؤكدها سجلات المتحجرات هي أن أقدم جد للأسماك كان سمكا، وأقدم جد للطيور كان طيرا، وأقدم جد للناس كان إنسانا. وهذا ما يعني أن جميع أنواع وأصناف الكائنات الحية قد ظهرت بهياكلها المختلفة والمطلقة والخالية عن العيوب مثلما هي عليها اليوم. ولم تتكون الكائنات الحية بالارتقاء عن سائر الأنواع بل خلقها الله العلي القدير.





حشرة النبات

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي.
العمر : 156 – 150مليون سنة.
المنطقة : بيبياو، لياونينك، الصين.

إن حشرة النبات التي لم تتغير بنيتها منذ 150 مليون سنة تلغي صحة ادعاء أصحاب النظرية الداروينية المتمثل في ارتقاء الكائنات الحية من المرحلة البدائية إلى المرحلة المتطورة. لأن بنية حشرة النبات اليوم هي نفس بنيتها قبل 150 مليون سنة وقبل 120 مليون سنة.



التمساح

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 100 مليون سنة.
المنطقة : آسيا.

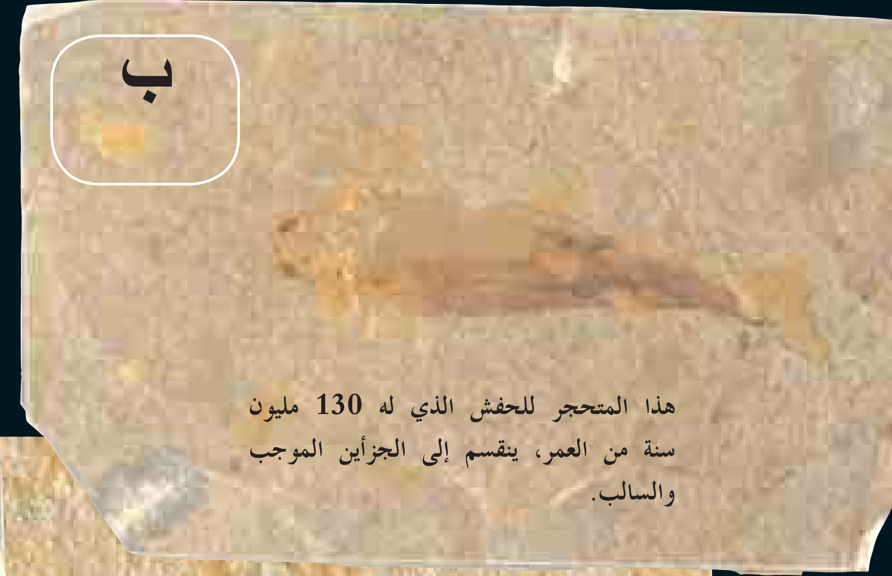
التمساح هو نموذج للمتحجرات الحية. وقد ظهر التمساح بتركيبته الكاملة فجأة ووصل إلى يومنا دون التعرض لأي تغير على مدى مئات ملايين السنوات (توجد للتمساح متحجرات تعود إلى ما قبل 140 مليون سنة). وعدم وجود أي فرق بين متحجر التمساح لــ 100 مليون سنة الذي ترونه في الصورة وبين الذي يعيش في يومنا، إنما هو تأكيد على هذه الحقيقة.



أ

ب





هذا المتحجر للحفش الذي له 130 مليون سنة من العمر، ينقسم إلى الجزأين الموجب والسالب.





الحفش

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.

العمر : 130 مليون سنة.

المنطقة : لياونينك ، الصين.

إن الخصائص التي اتصف بها الحفش قبل 130 مليون سنة هي نفس الخصائص التي امتلكها قبل 146 مليون سنة وكذلك قبل 120 مليون سنة وما يمتلكها اليوم. والحفش الذي لم يمر بالمرحلة الانتقالية رغم مرور ملايين السنوات، يحطم مزاعم الارتقاء.

السمك الأسود

العهد : الفترة الحديثة والعهد الحديث السابق.
العمر : 54 – 37 مليون سنة.
المنطقة : هوباي، الصين.

السمك الأسود هو نوع من الأسماك التي تعيش في سواحل الأطلس الشمالي. وهو كسائر الكائنات الحية لم يتعرض لأي تغير منذ ملايين السنوات أي أنه لم يرتق. ولا فرق بين السمك الأسود الذي عاش قبل 54 – 37 مليون سنة وبين الذي يعيش في يومنا.



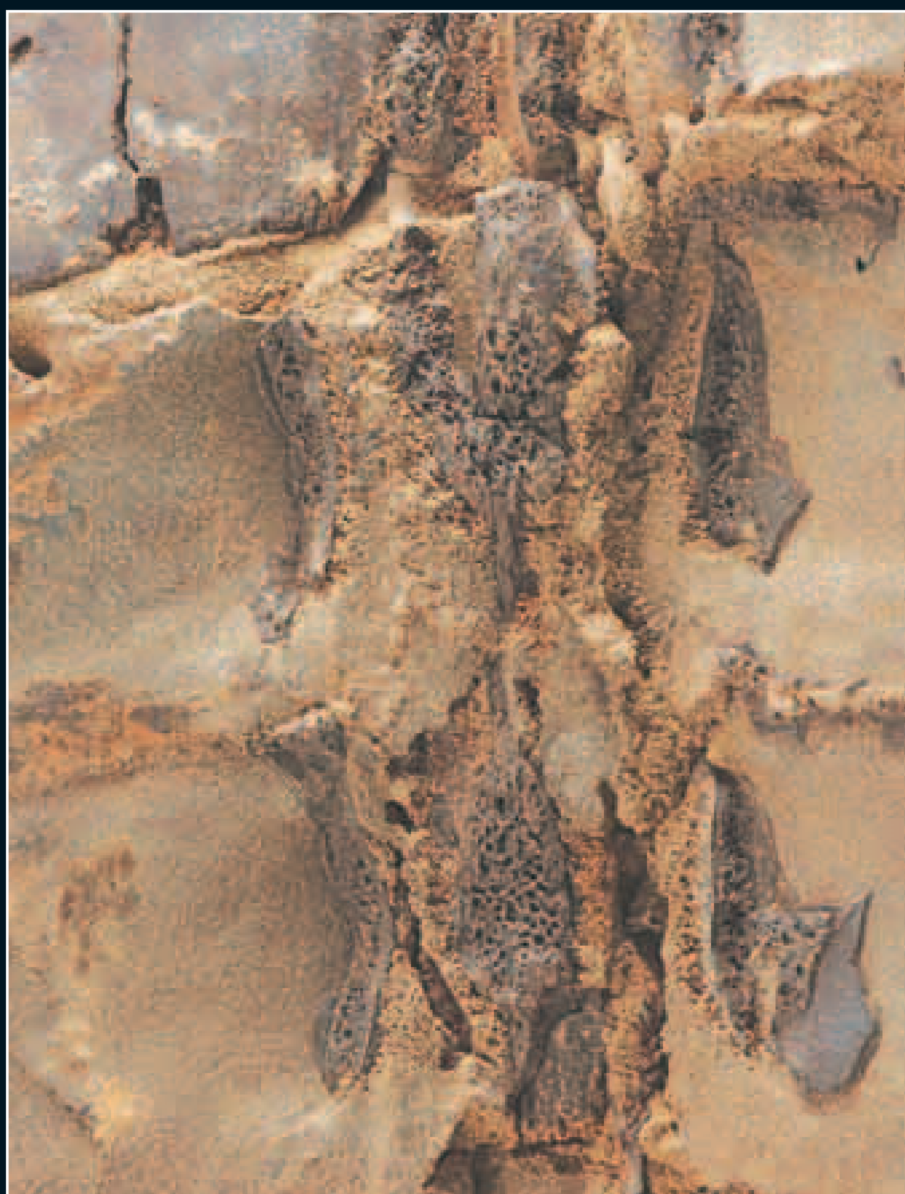
ب





يعود هذا المتحجر ذو الجزأين إلى 54 – 37 مليون سنة.

أ



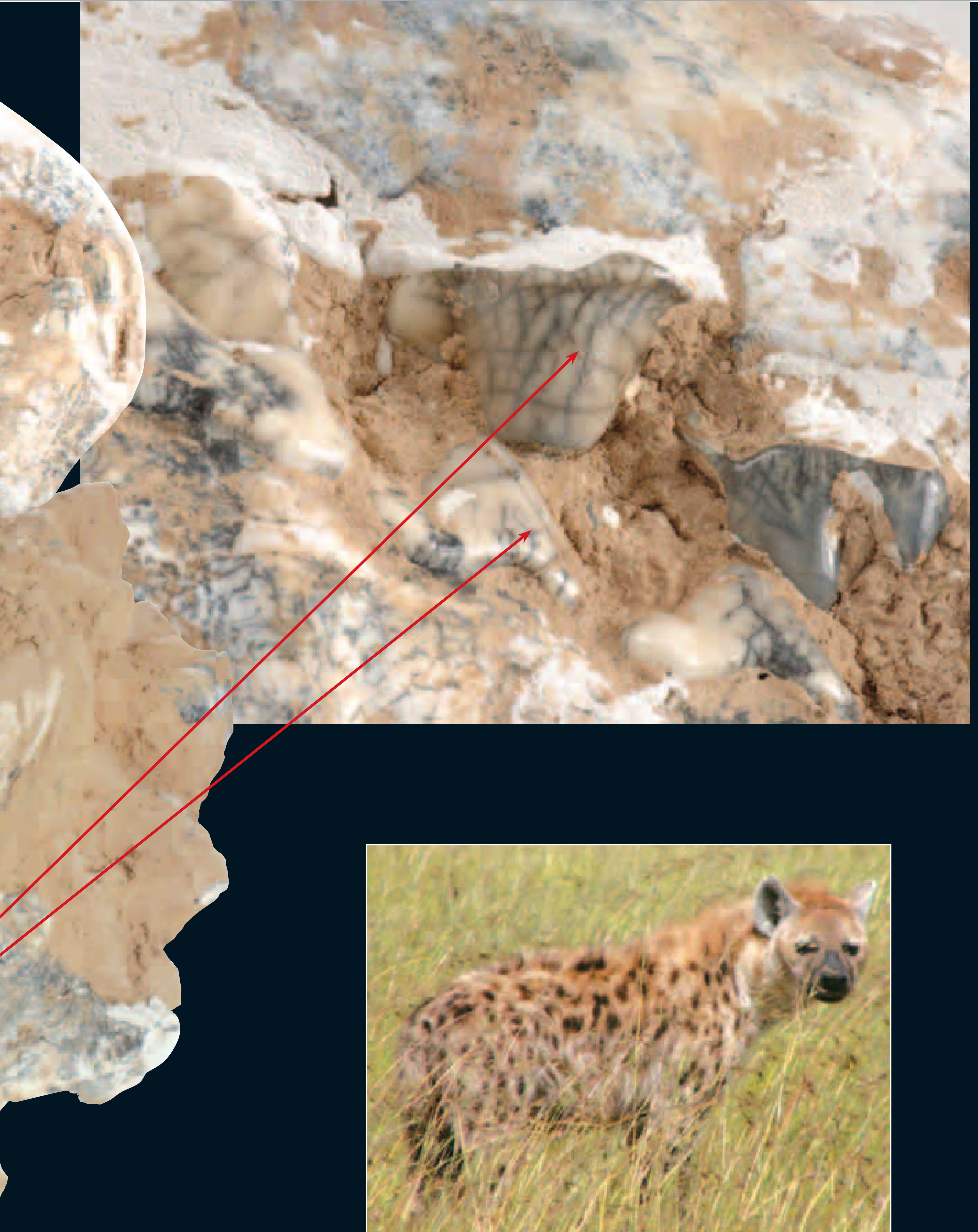




السلحفاة

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي.
العمر : 150 مليون سنة.
المنطقة : الصين.

وإذا حافظ الكائن الحي على هيئته منذ 150 مليون سنة، فإن هذا الأمر يدل على حقيقة هي أن أصحاب النظرية الداروينية يسوقون ادعاءا مخالفا للعلم بزعمهم أن الكائنات الحية تطورت بشكل تدريجي عبر فترات زمنية طويلة. وإن السلحفاة التي لم تتغير على مدى ملايين السنوات هي " لم ترتق بل خـُلقت ".



جمجمة الضبع

العهد : الفترة الحديثة والعهد الميوسيني.
العمر : 10 – 5 ملايين سنة.
المنطقة : إيالة كانسو، الصين.

ينتمي الضبع إلى عائلة Hyaenidae. وتندرج ضمن هذه العائلة أربعة أنواع من الضبع. ويعيش الضبع في شكل مجموعات وتضم كل مجموعة حوالي 80 ضبعا.

وجمجمة الضبع التي ترونها في الصورة تبلغ من العمر ما بين 10 و 5 ملايين سنة وهي دليل على عدم تغير الضبع على مدى ملايين السنوات.





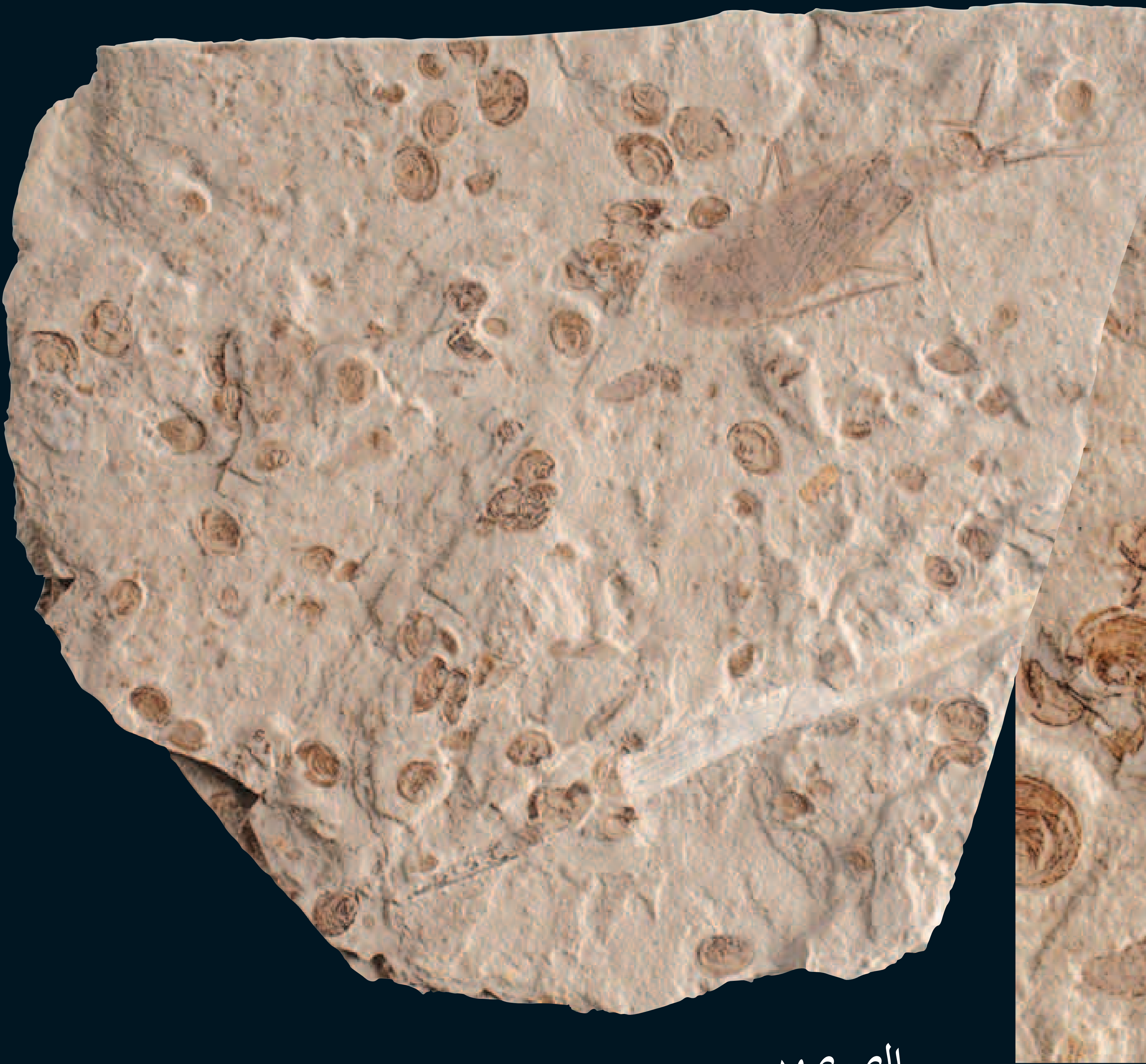


الحفش

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 125 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة جيولونكسونك، لياونينك ، الصين.

تشير سجلات المتحجرات إلى أن الأسماك ظهرت على الأرض كسائر الكائنات الحية فجأة وبهياكلها الخاصة. وقد خـُلقت الأسماك بتركيباتها الخالية عن العيوب، وذلك بشكل فجائي دون المرور بأي مسار " ارتقائي ". ومتحجر الحفش لـ 146 – 65 مليون سنة الذي لا يختلف عن الحفش اليوم أحد الأدلة المؤكدة على هذه الحقيقة.





الصرصور

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الطباشيري.
العمر : 125 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك ، الصين.

تنتمي الحشرات في تصنيف الكائنات الحية، إلى طبقة Insecta ضمن صنف المفصليات. وأقدم متحجرات الحشرات تعود إلى العهد الديفوني (417 – 354 مليون سنة). وأما في العهد الموالي أي في العهد الكربوني (354 – 290 مليون سنة) فتتعدد أنواع الحشرات. وعلى سبيل المثال ظهر الصرصور فجأة وعلى هيئته الحالية. ويؤكد Betty Faber من متحف تاريخ الطبيعية الأمريكي على " أن متحجرات الصرصور لـــ 350 مليون سنة تتطابق مع الصرصور الذي يعيش في يومنا ". (M.Kusinitz, Science World, 4/2/1983 p.1).

والمتحجر الذي ترونه في الصورة وله 125 مليون سنة من العمر دليل على أن الصراصير لم تتعرض لما يسمى بالارتقاء على مدى مئات ملايين السنوات.



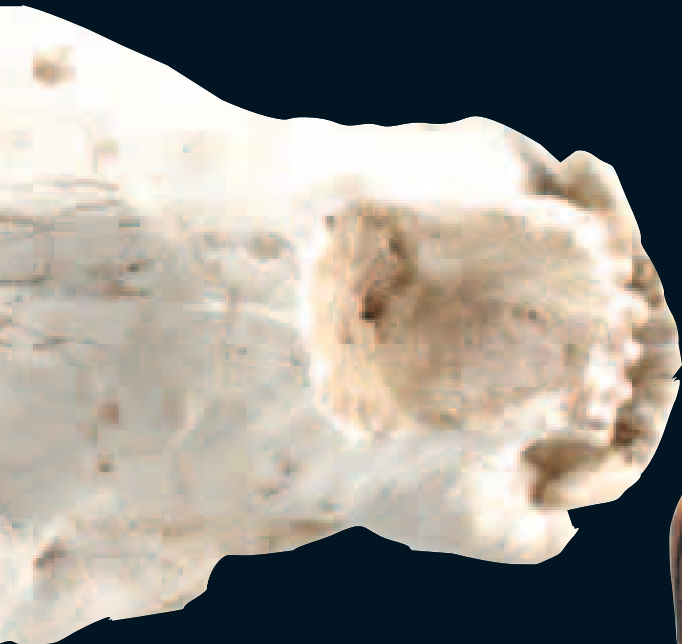
يرقة ذبابة مايو



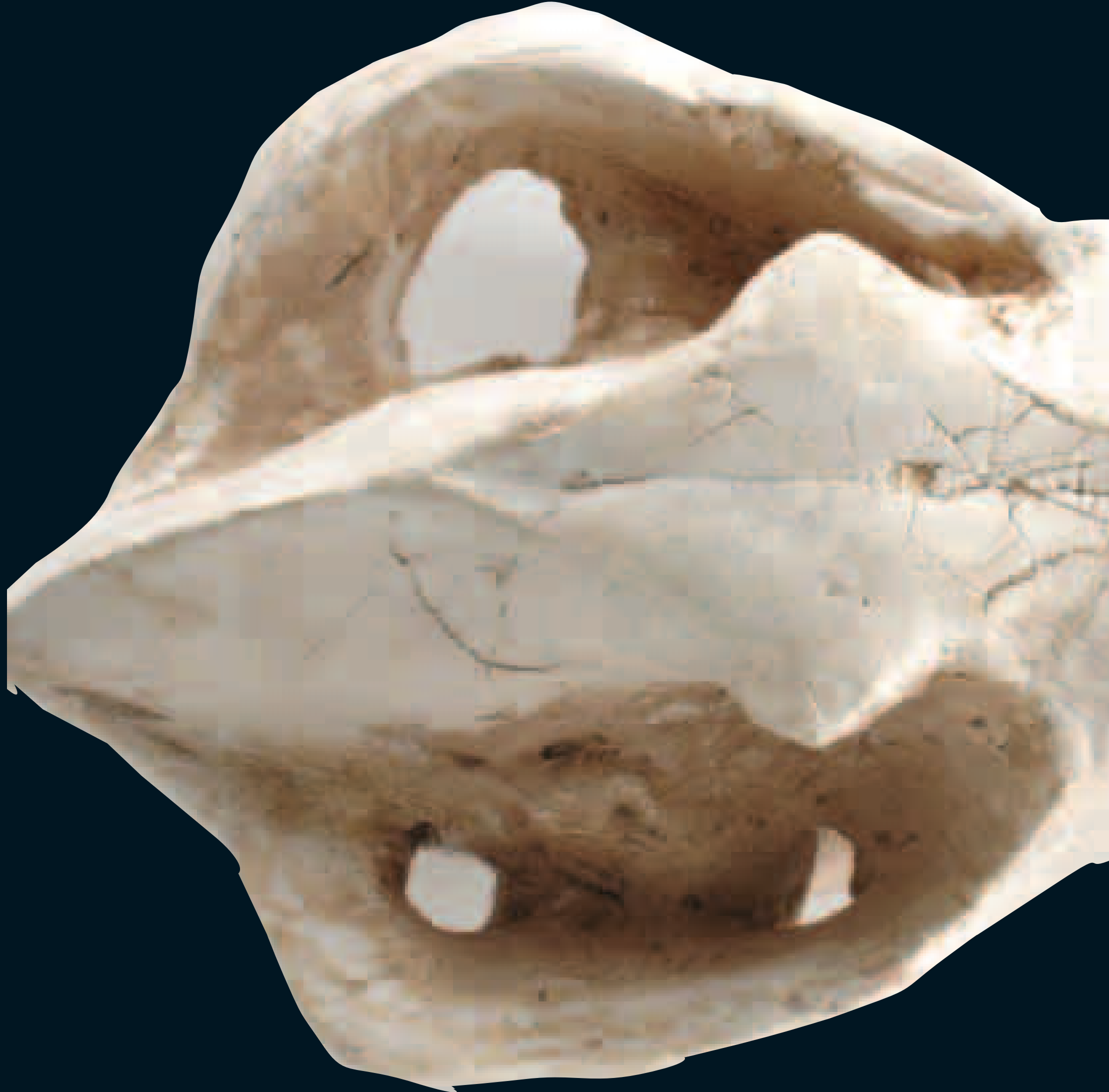
العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي.
العمر : 156 – 150 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك ، الصين.

تنتمي ذبابة مايو إلى مجموعة Efemeropta (الكائنات الحية قصيرة الحياة) ، حيث يدوم عمرها بضعة أيام أو بضع ساعات.

وترون في الصورة يرقة ذبابة مايو، إذ لا فرق بين يرقة ذبابة مايو التي وجدت قبل 156 – 150 مليون سنة وبين التي توجد في يومنا.







جمجمة النمر

العهد : الفترة الحديثة والعهد الميوسيني.
العمر : 20 مليون سنة.
المنطقة : آسيا.

النمر هو من الثدييات التي تنتمي إلى عائلة Felidea. و80 % من أنواع النمر تعيش في شبه جزيرة الهند.

ويبلغ متحجر جمجمة النمر الذي ترونه في الصورة من العمر 20 مليون سنة ويحمل نفس خصائص جمجمة النمر في يومنا. والنمر الذي ظل على بنيته الأصلية منذ ملايين السنوات ينفي صحة نظرية الارتقاء.













جمجمة وحيد القرن

العهد : الفترة الحديثة والعهد الميوسيني.
العمر : 20 مليون سنة.
المنطقة : آسيا.

وحيد القرن الذي ينتمي إلى عائلة Rhinocerotidae غالبا ما يعيش في قارتي أفريقيا وآسيا. وهو من بين الكائنات الحية التي لم تتعرض لأي تغير منذ ملايين السنوات. ومتحجر وحيد القرن لــ 20 مليون سنة الذي ترونه في الصورة هو أحد الأدلة المثبتة بأن وحيد القرن ظل على أصوله منذ ملايين السنوات.



يرقة ذبابة مايو

العهد : الفترة الوسيطة والعهد الجراسي.
العمر : 156 – 150 مليون سنة.
المنطقة : تشكيلة يكزيان، لياونينك ، الصين.

هناك تشابه كامل بين يرقة ذبابة مايو التي وجدت قبل 156 -150 مليون سنة وبين التي توجد في يومنا. وتشير يرقة ذبابة مايو التي لها 156 – 150 مليون سنة من العمر إلى أن نظرية الارتقاء عبارة عن سيناريو مخالف للعلم.

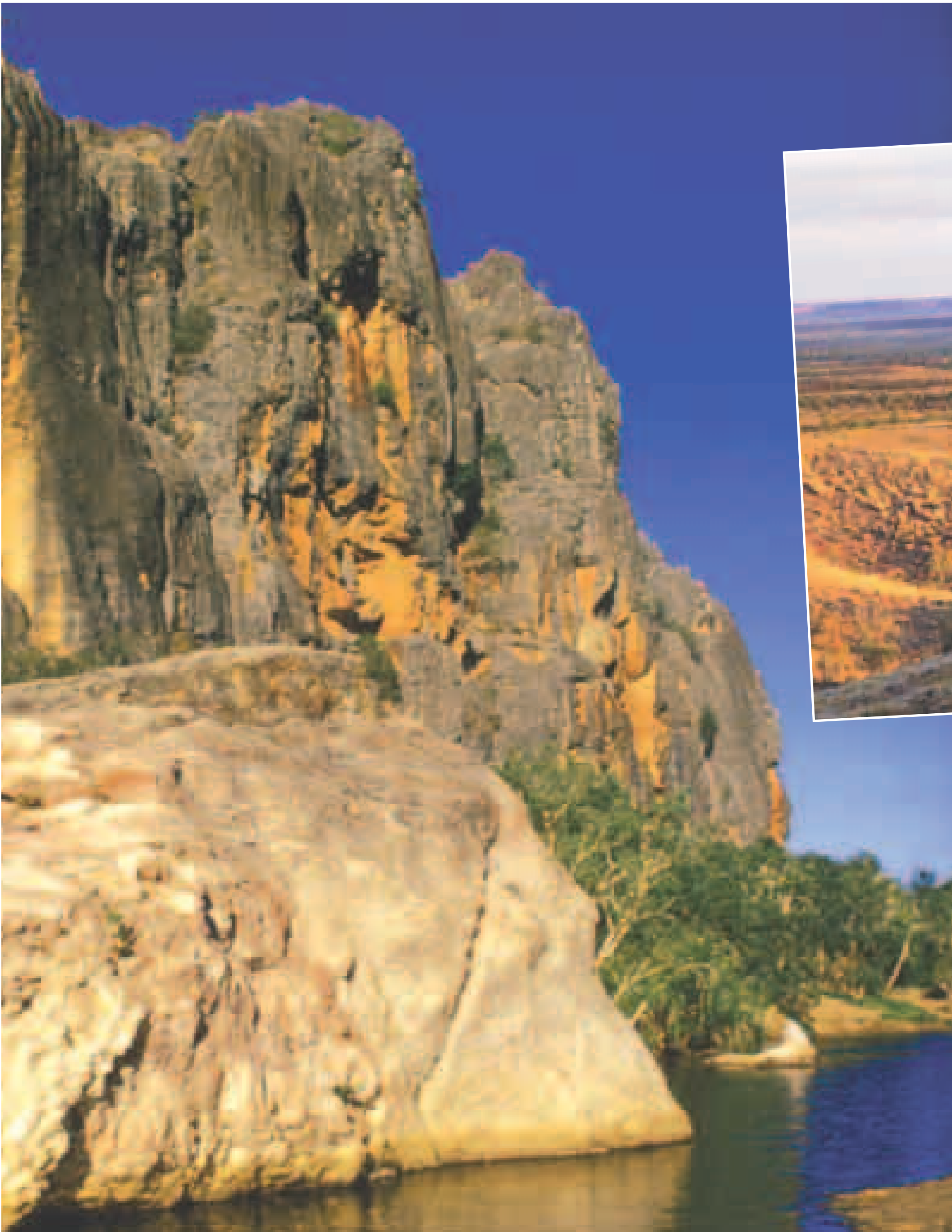
نماذج لمتحجرات عثر عليها في أوستراليا

توجد في أوستراليا حقول عديدة للمتحجرات، بعضها اليوم مناطق تاريخية محفوظة بإعلان من الأمم المتحدة.

ويُعتقد أن أوستراليا والقارة القطبية الجنوبية، انفصلتا عن القارة الكبرى كوندوانا Gondwana. والتغيرات الإقليمية التي حدثت عقب هذا الانفصال كانت من بين العوامل المؤدية إلى كثافة وتنوع المتحجرات في أوستراليا. كما أن العثور على عدد كبير من المتحجرات في حقول المتحجرات بالبلاد، يكتسي أهمية كبيرة من حيث التعرف على أنواع الكائنات الحية. ومن أشهر هذه المناطق : Riversleigh و Bluff Downs و Murgon و Lightning Ridge و Naracoorte .



وتم العثور في هذه الحقول على عدد كبير من المتحجرات المحفوظة بشكل جيد للفترة الحديثة (من 65 مليون سنة إلى يومنا) بداية من الضفادع الصغيرة وصولا إلى حيوانات كبيرة كالتي تشبه الجاموس حجما وتشبه الكنغر في احتوائه على الكيس. وإلى جانب هذه المتحجرات التي توفر إمكانية الاطلاع على تاريخ الحيوانات الفقرية، تم العثور كذلك على متحجرات الحيوانات البحرية التابعة للفترة القديمة (543 – 251 مليون سنة).





إن الجغرافيا البيولوجية لأوستراليا تتميز بخصائص بارزة، حيث يتكون عالم الحيوانات فيها من الزواحف الكبيرة والحيوانات ذات الأكياس على وجه العموم. وأما النمط النباتي في أوستراليا فيتمثل في النباتات الخاصة بالمنطقة حيث لها أوراق سميكة ودبقة وقابلة لمقاومة الجفاف.

منطقة Windjana Gorge التي تحتوي على صخور يعود تاريخها إلى ما قبل 350 مليون سنة، تقع في شمال أوستراليا. وهذه الصخور التي كانت تحت المياه في وقت من الأوقات، تحتوي على عدد كبير من نماذج متحجرات العهد الديفوني.

نماذج المتحجرات في نيوزيلندا

أغلب نماذج المتحجرات المعثور عليها في نيوزيلندا هي للكائنات البحرية، حيث تم الكشف عن عديد النماذج التابعة لمختلف أنواع أصناف الحيوانات البحرية وهي في وضع جيد. ولئن غلب العثور على متحجرات الحيوانات التي عاشت في العهد الطباشري، إلا أنه تم الكشف كذلك ولو نادرا عن متحجرات تابعة للعهود الكمبرية والأردفيشية والبرمية .

والنتيجة التي تـُوصلنا إليها أنواع متحجرات نيوزيلندا هي نفس النتيجة المستخلصة من سائر سجلات المتحجرات، إذ لا يوجد ضمن سجلات المتحجرات أي مؤشر يدعم نظرية الارتقاء. في حين تؤكد جميع المؤشرات على إيجاد الكائنات الحية فجأة وبتركيباتها المعقدة أي أنه وقع خلقها وأن هذه الكائنات الحية لم تتعرض لأي تغير على مدى مئات ملايين السنوات مما يعني عدم ارتقائها.





أنواع الأعشاب البحرية التي تعيش في الموارد الحرارية في " روتورا Routorua " بنيوزيلندا، لا تزال تديم بقاءها منذ العهود الأولى لتاريخ العالم دون التعرض لأي تغير أو تحول.



وترون في الصورة صخور الشست التي تآكلت من قبل الجليد في نيوزيلندا. وصخور الشست هي صخور مسخية تكونت في أعماق الأرض أثناء اصطدام القارات ببعضها.



نبات ذيل الحصان

العصر: زمن الميزوزوي، عصر الترياسي Trias
العمر: 248-206 مليون سنة
الموقع: أستراليا

لا يوجد أدنى فرق بين نبات ذيل الذي عاش قبل نحو 200 مليون سنة وبين مثيله الذي يوجد في الوقت الحالي. فالكائن الحي الذي لم يشهد طيلة 200 مليون سنة أي تغيّر وحافظ على جميع خصائصه لا يمكن الحديث عن تطور بخصوص ذلك الكائن. هذه الاستحالة في موضوع التطور تنسحب على جميع أنواع الكائنات الحية. وآثار متحجرات الكائنات الحية تبطل فكرة التطور هذه.







السرطان البحري

العهد : الفترة الحديثة والعهد الميوسيني.
العمر : 23 – 5 مليون سنة.
المنطقة : نيوزيلندا.

متحجر السرطان البحري الذي ترونه في الصورة والذي يبلغ من العمر ما بين 23 و5 مليون سنة هو أحد الأدلة المثبتة بأن السرطان البحري كان كذلك منذ أول وجوده وأنه لم يتعرض قط لما يسمى بالارتقاء. ويحتوي السرطان البحري الذي له 23-5 مليون سنة والسرطان البحري الذي يعيش في يومنا على نفس الخصائص مما يدل على أن الله هو خالق الكائنات الحية.

متحجّرات الجمـــاجم

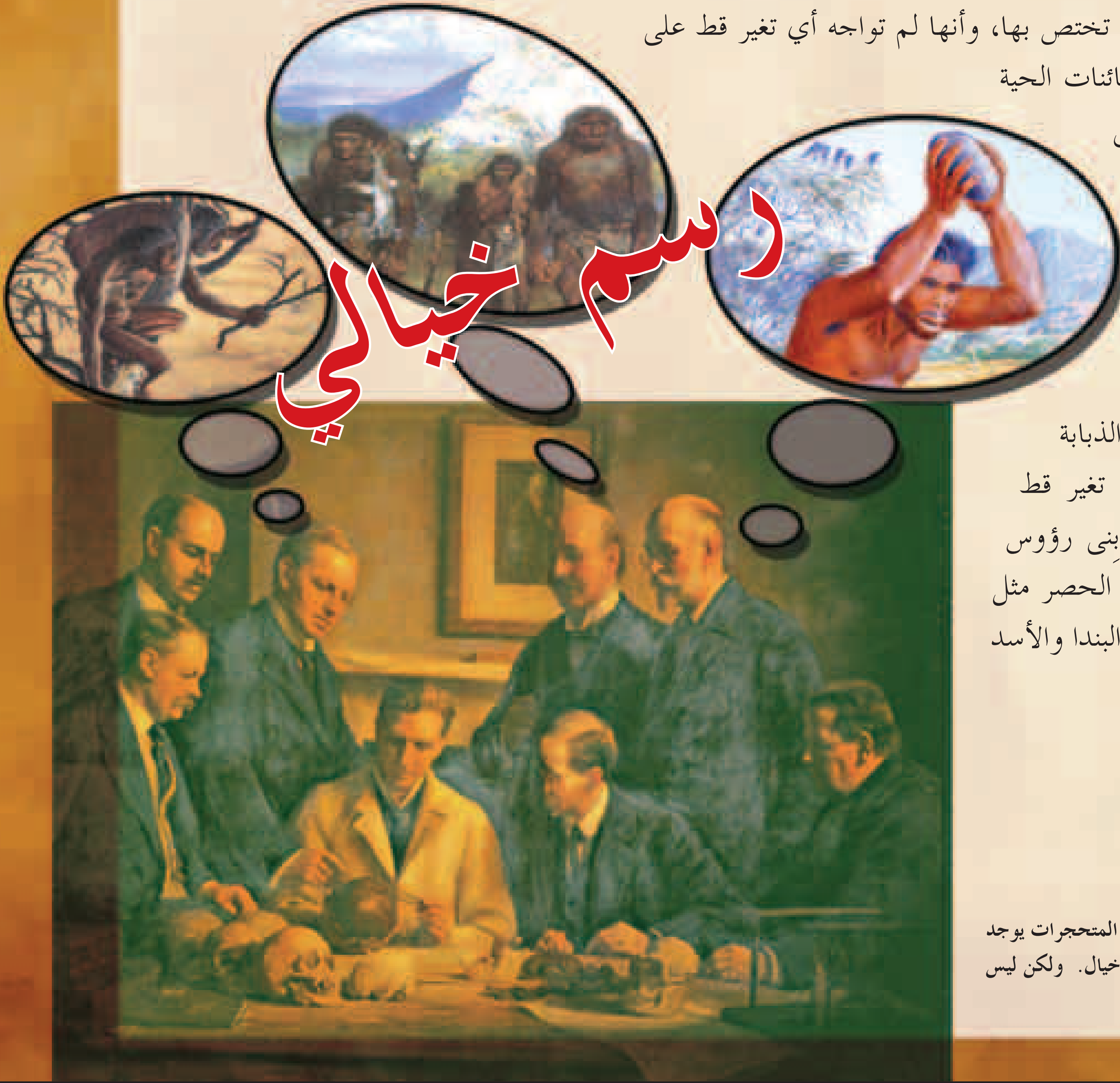


الضربة التي أنزلتها حفريات الجماجم بالداروينية

لم تُدعم أطروحة داروين بأن البشر والقردة ينحدرون عن جد واحد مشترك ، بالاكتشافات العلمية في الفترة التي طُرحت فيها لأول مرة ، وكذا في الفترة اللاحقة لها. ومنذ ذلك الحين وحتى الآن، ذهب كافة ما بُذل من مساع منذ قرابة 150 سنة من أجل تأييد أسطورة تطور الإنسان أدراج الرياح. وأثبتت الحفريات التي عُثر عليها أن القردة وجدت دوما قردةً ، وأن البشر أيضا وُجدوا دوما بشراً ، وأن القردة لم تتحول إلى بشر ، وأن البشر ليس لهم جد مشترك مع القردة . ورغم الدعايات المكثفة للداروينيين ومحاولاتهم التأثير على الأوساط الأكاديمية، عبّر كثير من العلماء عن هذه الحقيقة . ومن هؤلاء ديفيد بيلبيم (David Pilbeam) أحد أساتذة علم الحفريات بجامعة هاورد . ويذهب إلى أن تطور الإنسان المزعوم، إنما هو زعم لا يستند إلى معطيات علمية، فيقول: إنكم إذا جئتم بعالم ذكي من فرع علمي مختلف، وأطلعتموه على الأدلة غير الكافية الموجودة بين أيدينا، لقال بالتأكيد : "انسوا هذا الموضوع، ليس هناك أدلة كافية للاستمرار" (1) . أما وليم فيكس (William Fix) مؤلف الكتاب الذي يحمل عنوان The Bone Peddlers (باعة العظم الجائلين)عن علم الحفريات، فيعبر عن أنّ التطور المزعوم للإنسان لم يتأيد بالاكتشافات إذ يقول:

" هناك علماء يفوقون الحصر الآن يقولون إنه ينبغي ألا يخامرنا أي شك قط حول أصل الإنسان، إلا أن ما يؤخذ عليهم هو افتقادهم للدليل ... (2)

وإزاء حالة اليأس والإحباط التي سببتها السجلات الحفرية للتطوريين، وافتقادهم للبراهين، كان الشيء الوحيد الذي فعلوه هو تصفيف الجماجم العارية تماماً من الحقيقة مرارًا وتكرارًا، وعمل المضاربات على الحفريات التي ثبت منذ زمن بعيد وبالوثائق تزيفيها. في حين أن الدراسات التي أُجريت على جماجم البشر المنتمين لأجناس مختلفة والذين عاشوا في الماضي أظهرت أن هذه الأحياء وُجدت بكافة السمات التي تختص بها، وأنها لم تواجه أي تغير قط على مر التاريخ، وهذا يعني أن هذه الكائنات الحية لم تمر بعملية تطور، وأن الله تعالى خلقها جميعاً. وعلى نحو ما تجلى في النماذج الواردة في الصفحات المتقدمة، فإنه لم يحدث أي تغيّر قط، كما هو الشأن في الأعضاء الأخرى لأجسام كثير من الكائنات الحية مثل حشرة الرعاش والذبابة والصرصور. ولم يحدث أيضا أي تغير قط في مناطق الرأس، ولم تتغير أيضا بِنى رؤوس الطيور والأسماك. فحيوانات تفوق الحصر مثل النمر والذئب والثعلب والكركدن والبندا والأسد



كل واحد من التطوريين الذين يتأملون في المتحجرات يوجد سيناريوهات متنوعة وفقا لما يتمتع به من خيال. ولكن ليس لهذه السيناريوهات أدنى قيمة علمية.

حفرية لجمجمة نمر يبلغ عمرها 20 مليون سنة.

من وجهة نظرهم ترتيباً تطورياً، وشجرة نسب. والواقع أن ما في الجماجم التي أظهرها التطوريون من فروق بنيوية لا يُعد دليلا على التطور. لأن شطراً من هذه الجماجم إنما يخص قردة قد انقرضت سلالتهم، وشطرا آخر يعود لأجناس بشرية مختلفة كانت قد عاشت في الماضي. أما حيازة أجناس بشرية مختلفة لبنى جماجم متباينة، فهو أمر طبيعي إلى أَقصى درجة. ولأنواع الأسماك المختلفة أيضا أشكال رءوس متباينة. فمثلا، شكل رأس سمكة قشر البياض لا يشبه شكل رأس سمكة الثعبان، ولكن كلتاهما كذلك سمكة. وبالشكل نفسه من الممكن أن توجد فروق بين بِنى جماجم الأجناس البشرية المختلفة. وستكون هناك من الطبيعي فروق في بِنى جِباه الباجاميين والإنجليز والروس والصينيين والأبورجينيين (السكان





حفرية لجمجمة كركدن يبلغ عمرها 20 مليون سنة.



لم يحدث أي تغير في جمجمة أي نوع حي قط على مر التاريخ

إن جماجم الكائنات الحية وبِنَى رؤوسها شأنها شأن كافة أعضائها وسماتها، هي نفسها منذ ملايين السنين، ولم يحدث أي تغير تطوري في جمجمة أي كائن حي، ومثلما بقيت كثير من الأحياء منذ ملايين السنين دون أن تتطور، فإن الإنسان هو الآخر لم يمر بتغير تطوري، ووُجد دوماً إنسانا بكافة ما يحوزه من سمات تشريحية.أما الجماجم التي طرحها التطوريون دليلا على التطور المزعوم للإنسان، فهي إما تخص قردة انقرضت سلالتها، أو أجناس بشرية مختلفة لم يعد لها وجود اليوم، ولا تُعد أية واحدة منها دليلاً على التطور.





حفرية لسمكة طمي يبلغ عمرها 54-37 مليون سنة.





حفرية لضفدع يبلغ عمرها 50 مليون سنة.





حفرية لجرادة يبلغ عمرها 108 – 92 مليون سنة.



حفرية لأرنب يبلغ عمرها 30 مليون سنة.



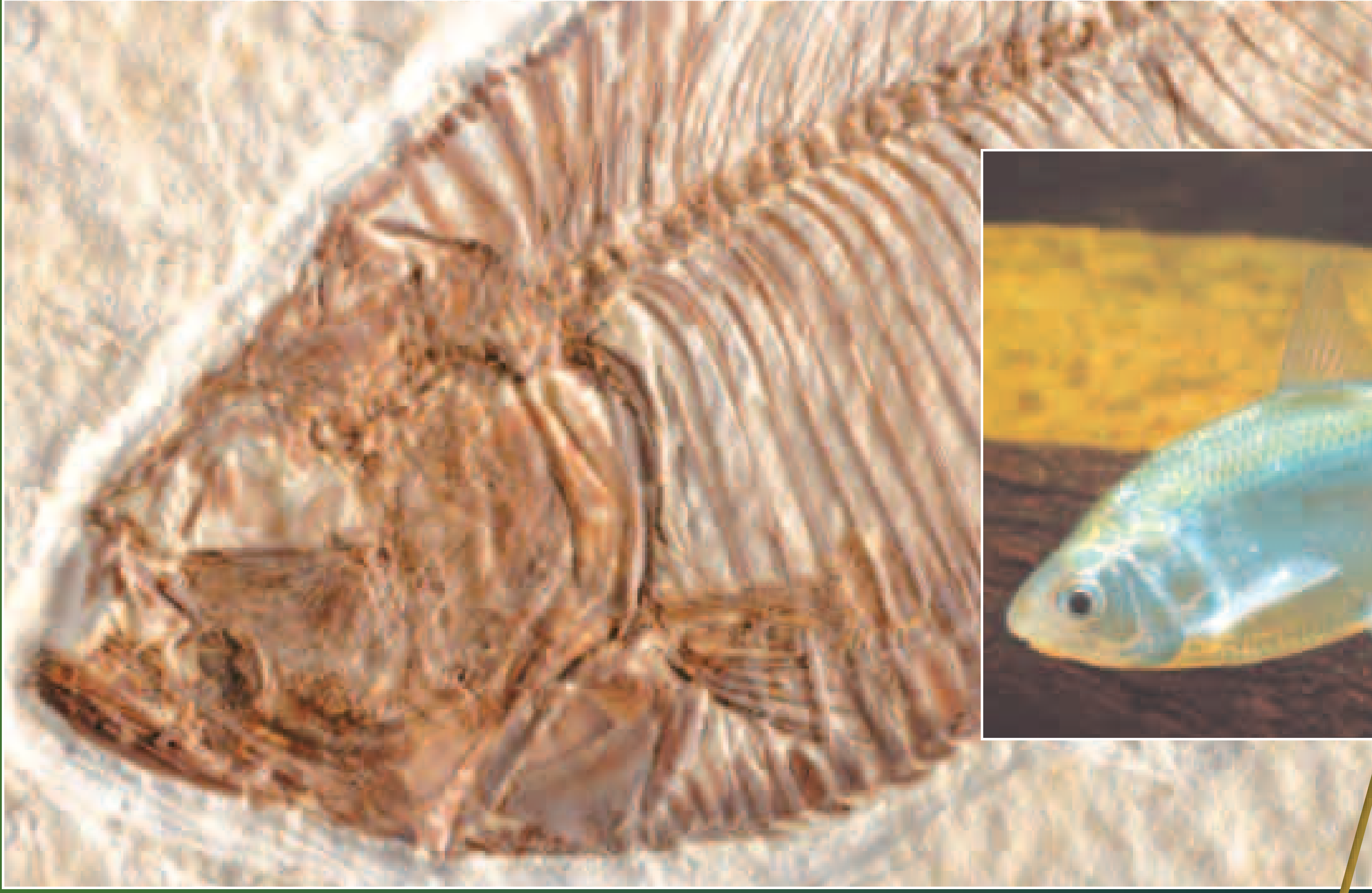
حفرية لنحلة برية يبلغ عمرها 48 – 37 مليون سنة.



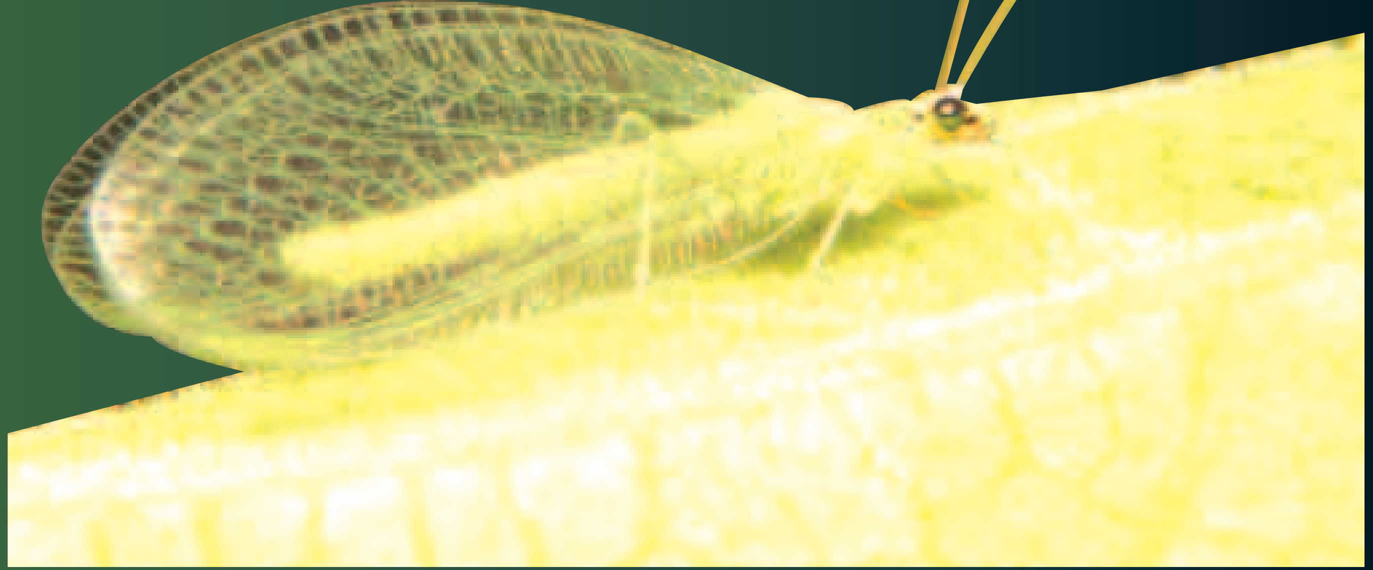


حفرية لسمكة فرخ يبلغ عمرها 54 – 37 مليون سنة.





حفرية لسمكة رنجة يبلغ عمرها 48 – 37 مليون سنة.





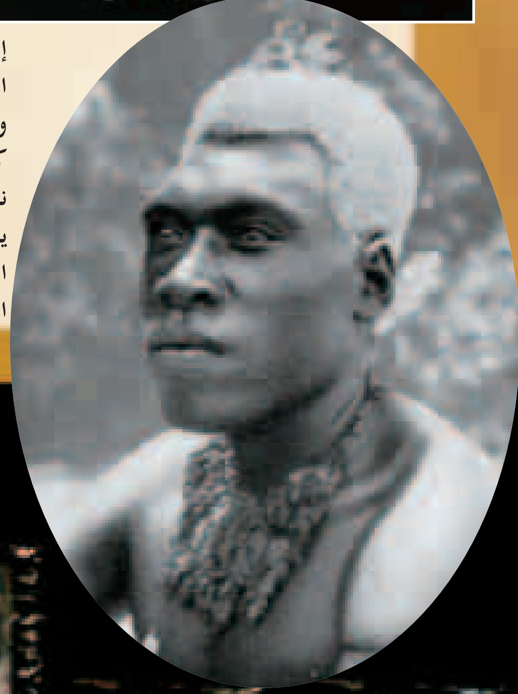
حفرية لحشرة عصبية الأجنحة يبلغ عمرها 125 مليون سنة.

والنمر الأرقط والضبع، منذ اللحظة الأولى لخلقهم وجماجمهم هي نفسها طيلة عشرات الملايين من السنين. وهذا التطابق إنما يبطل الزعم بتطور الكائنات الحية .

ويسري عدم التغير هذا على كافة الأنواع الحية، وأيضا على الإنسان، فمثلما لم يحدث أي تغير في بِنى جماجم عشرات الآلاف من الأنواع الحية على مدار ملايين السنين، لم يطرأ كذلك أيّ تغير تطوري على جماجم البشر. ومثلما وُجدت الأسماك والطيور والزواحف دوما على ذات ما هي عليه، فقد وُجد البشر كذلك وظلوا أنفسهم على الدوام. وليس في أي عضو أو بنية أي كائن حي ثمة شيء يمكن الحديث عنه يسمى " التطور من البدائي إلى الراقي" على نحو ما يزعم التطوريون .

وفيما يسرد التطوريون قصة تطور الإنسان المزعوم، يظهرون أحجام الجماجم التي عثروا عليها ونتوءات الحاجب أو بِنى الجبهة، ويشكلون





إن الخصائص الموجودة لدى الانسان المنتصب (**Homo erectus**) والمتمثلة في وجود نتوءات حواجب كبيرة في جمجمته، وكذلك الانحدار نحو الخلف الواقع في بنية الجبين يمكن ملاحظتها لدى بعض الأجناس التي تعيش اليوم مثلما هو لدى الرجل الماليزي في جهة اليمين.

الاختلاف الموجود بين الأجناس البشرية في بنية الجمجمة

من الطبيعي جدا أن تكون بنية جمجمة الياباني مختلفة عن بنية جمجمة الزنجي، كما أنه من الطبيعي أن تكون بنية جمجمة واحد من الإسكيمو مختلفة عنها لدى الألماني. وهذه الفروق لا تعني أن جنسا ما متطور عن الجنس الآخر أو أنه أكثر تخلفا عنه، وهذا بالتأكيد لا يعتبر البتة دليلا علميا. بل إن هذا الاختلاف يبين التنوع في خلق الله وقدرته تعالى على ذلك.



رجل من البنغال في منتصف عمره.



إنسان من البيرو عاش في القرن الخامس عشر.



رجل من جزر السولومون الواقعة في جنوب شرق آسيا مات في عام 1893.



رجل ألماني عمره ما بين 25 و 30 سنة.



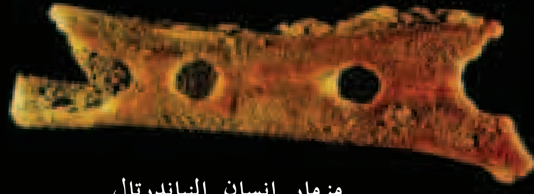
رجل من الإسكيمو عمره ما بين 35 و 40 سنة.



رجل زائيري عمره ما بين 35و 45 سنة.

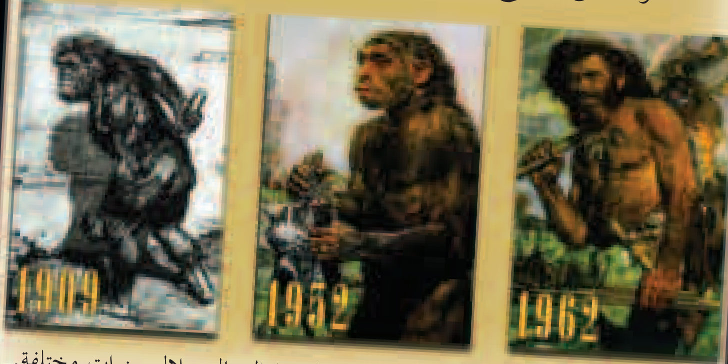
النياندرتال: جنس من البشر

إنسان النياندرتال جنس من البشر منقرض كان يتمتع بقدرات فنية وجمالية. وقد دأب التطوريون منذ سنوات على تعريف هذا الجنس البشري على أنه نوع من القرود يمثل جدا للإنسان، بيد أن هذه القصص تم تفنيدها بشكل كامل بواسطة الدلائل العلمية الحديثة.



مزمار إنسان النياندرتال

مجموعة من نماذج السيناريوهات المزيفة لإنسان النياندرتال



مشاهد من إنسان النياندرتال تم ابتداعها بواسطة قوة الخيال خلال سنوات مختلفة.



الأجناس البشرية المختلفة التي عاشت في الماضي ليست دليلاً على التطور

النياندريون أناس ظهروا فجأة في أوربا قبل 100 ألف سنة من الآن، وانقرضوا أيضا قبل نحو 35 ألف سنة، أو أنهم اختلطوا بأجناس أخرى فذابوا فيهم. ووجه اختلافهم الوحيد عن إنسان اليوم، هو أن هيكلهم العظمي أقوى قليلا، ومتوسطات حجم جماجمهم أعلى قليلا. وتؤكد الاكتشافات العلمية أن النياندريين، من حيث مستوى الذكاء والثقافة، جنس بشري لا يختلف عنا.

أما إنسان الكرو ماجنون (Cro – magnon)، فهو جنس يُرجح أنه عاش حتى قبل 30 ألف سنة، ويحوز جمجمة على شكل قبة، وجبهة عريضة. وحجم جمجمته الذي يبلغ 1600 سنتيمتر مكعب، يزيد عن معدل حجم جمجمة إنسان اليوم. ويوجد في الجمجمة بروزات حواجب ثقيلة، ويوجد في القسم الخلفي نتوء شبه عظمي، وهي السمة التي يختص بها الإنسان النياندري. والفوارق الفيزيائية التي تبدو لدى النياندريين والكروماجنون، تبدو أيضا بين الأجناس البشرية المختلفة الموجودة في عصرنا الراهن. ومهما كانت الفوارق البنيوية بين أمريكي وإسكيمو، أو بين أفريقي وأوربي، فإنها وإن تكن لا تثبت أن هذا الجنس أكثر بدائية من الآخر، أو أنه أكثر تقدماً، فإن السمات الفيزيائية للأجناس السابقة أيضا لا تجعلهم أكثر تخلفاً أو أشباه قردة. ولقد توارت هذه الأجناس من مسرح التاريخ، إما بامتزاجها بجنس آخر وانصهارها فيه، أو بانقراضها بشكل غير معروف. لكن هذه الأجناس ليست بأيّ حال من الأحوال بدائية أو أنصاف قردة، إنهم بشر كاملون.

وسلالة أبورجينية ما لم تمتزج بسلالة أخرى، فإنها سوف تبقى دوماً بالسمات ذاتها، ولن تتحول مثلا إلى جنس أوروبي غربي. ومهما يمر عليها من زمن فإن هؤلاء البشر لن يتطوروا بالشكل الذي يجعلهم يحوزون سمات مختلفة، ولن تكبر أحجام جماجمهم عما هي عليه الآن، ولن يحوزوا سمات تشريحية مختلفة.

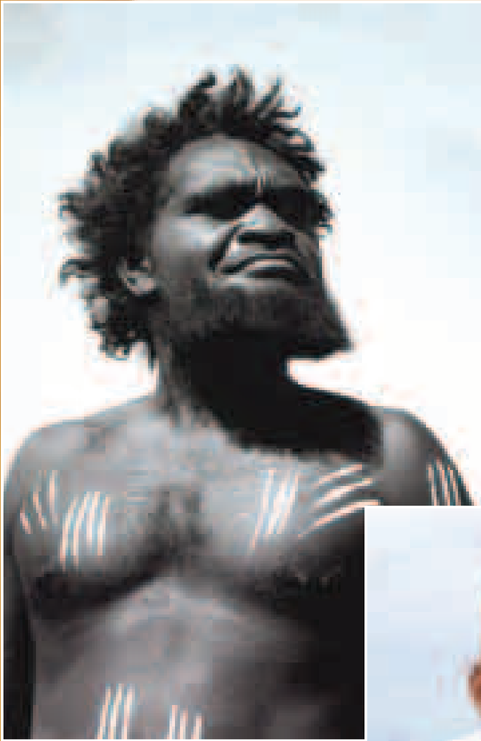
الأصليين لأستراليا) والإسكيمو والزنوج واليابانيين، وكذلك في تجاويف العيون ونتوءات الحواجب وأحجام الجماجم. إلا أن هذه الفروق لا تعني أن جنساً تطور عن الآخر، أو أن جنساً أكثر بدائية أو رقياً من الآخر. وأن سلالة أبورجينية سوف تبقى دوما تختص بذات السمات ما لم تختلط بسلالة أخرى. ومهما مضى من الزمن لن يتطور هؤلاء البشر بالشكل الذي يجعلهم يحوزون سمات أكثر اختلافاً، ولن تكبر أحجام جماجمهم عما هي عليه الآن، ولن تحوز سمات تشريحية مختلفة.

فمثلا النتوءات العظمية للحواجب والبنية المائلة إلى الخلف للجباه التي تحوزها جماجم الهومو إريكتوس (Homo Erectus) الذين يعتبرهم التطوريون ــ زعماً ــ بدائيين، يحوزها أيضا بعض السكان المحليين لماليزيا ممن يعيشون في الوقت الحاضر. ولو صحت مزاعم التطوريين، لوجب أن يكون السكان المحليون لماليزيا الذين نحن بصدد الحديث عنهم، قد ارتقوا لتوّهم من حالة القرد المزعومة، وأصبح لهم بنية وهيئة "إنسان لم يرتق تماماً". إلا أن شيئا كهذا ليس مجال حديث. فظهور السمات التشريحية لجماجم "الهومو إريكتوس" في الوقت الراهن، يوضح أن هؤلاء ليسوا جنساً بدائياً، وأن سيناريو التطوريين لشجرة نسب الإنسان، إنما هو كذب وبهتان.

جملة القول، إن اختصاص بعض أجناس بشرية عاشت في الماضي ببنية تشريحية تختلف عن بنية البشر الذين يعيشون في

العصر الراهن، لا يُعد دليلاً بأي حال من الأحوال على التطور. ومن الممكن أن يبدو التفاوت التشريحي بين كافة الأجناس البشرية المختلفة في كافة عصور التاريخ. فجماجم الأمريكيين واليابانيين والأوربيين و الأربورجينيين والإسكيمو والزنوج والباجاميين ليست واحدة. إلا أن هذا الوضع لا يشير إلى أن أحد الأجناس المذكورة أرقى من الآخر، أو أدنى منه. وبعد آلاف السنين من الآن، لو حدث أن عثر علماء المستقبل على جمجمة أمريكي عاش في سنوات العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ضخم الجثة، طوله 190 سم، وقارنوا بينها وبين جمجمة ياباني عاش أيضا في الحقبة ذاتها، وطوله 160 سم، فسوف يرون فوارق كثيرة جداً في مقدمتها كبر الحجم. ولو زعموا استنادًا على هذه الفوارق، أنّ اليابانيين أشباه إنسان بدائي، أما الأمريكان فهم كائنات حية أكثر تقدما في سلم التطور المزعوم، فإنهم بالتأكيد سوف يقدمون تفسيرًا يجانب الحقيقة.

فضلاً عن ذلك فإن حجم الجمجمة لا يُعد مقياسا لذكاء شخص أو قدراته، وهناك أناس بنيتهم الجسدية متطورة، إلا أن ذكاءهم غير متطور قدر الكفاية. وبالمثل هناك أناس كثيرون أدنى من حيث الجسم والجمجمة بالتبعية، قياسا بأناس آخرين، إلا أنهم حادو الذكاء. ولن يكون هناك قيمة علمية قطعاً لإقحام بعض علماء المستقبل لجماجم أولئك البشر في ترتيب تطوري مزعوم استناداً على أحجامها فقط لأن هذا الترتيب لن يعكس الحقائق. ولا يشكل تفاوت حجم الجمجمة أي فارق قط من جهة الذكاء والاستعداد، وهذا حقيقة معروفة. ولا يكبر حجم جمجمة إنسان يمارس أنشطة ذهنية كثيفة طيلة حياته، وإنما يقوى ذكاؤه. والذكاء يتغير وفقاً للأنظمة الموجودة داخل المخ، لا تبعاً لحجمه. (3)





إن نسل الهنود الحر يبقى محافظا على جميع خصائصه ما لم يختلط بنسل آخر، وكمثال على ذلك فإن إنسانا أوروبيا سوف لن يتغير ويصبح جنسا آخر. فمهما مر عليه الزمن لن يكتسب هذا الإنسان خصائص إضافية جديدة، وبالتالي لن يتطور. وحجم جمجمة رأسه لن يكبر أكثر مما هو عليه الآن، ولن يكتسب خصائص تشريحية مختلفة.

قدرات القردة على التقليد والمحاكاة لا يعني أنها سوف تتحول لبشر:

من بين المعلومات التي سعى الداروينيون لإظهارها سنداً لمزاعمهم بأن البشر تطوروا عن القردة المزعومين، هو ما تتمتع به بعض أنواع القردة من قدرات على التقليد والمحاكاة. فالقردة ذات قدرة على محاكاة الحركات والتصرفات التي تراها أمامهما. ويمكنها أن تميّز بين الأشكال وأنواعها على ضوء ما تتلقّاه من تدريبات. وبإمكانها أن تظهر ردود أفعال ذكية إلى حد ما، ولكن هذا لا يمكن أن يهيئ تحولها ذات يوم إلى بشر. ولو كان الأمر كذلك، لكان من المتعيّن أن تتحول الأنواع الحيوانية الأخرى المعروفة بذكائها، هي الأخرى إلى بشر على مرّ الزمان . فالببغاوات مثلا هي كذلك إضافة إلى القردة تستطيع إذا ما دُربت أن تميز المربع من المستدير، والأحمر عن الأزرق. ويمكنها أن تضع الأشياء على النسق المطلوب منها . فضلا عن أن الببغاوات، علاوة أيضا على القردة، لديها المَقدرة على التحدث مقلدةً الأصوات. وفي هذه الحال، ووفقا للمزَاعم اللامنطقية للداروينيين، يتعين أن يكون احتمال تحول الببغاوات إلى بشر، هو الأقرب للغاية.

وثمة كائن حي آخر معروف بذكائه، ألا وهو الثعلب. وطبقاً للتصورات اللاعقلانية واللامنطقية، يجب أن تكبر أحجام جماجم الثعالب أيضا مع مرور الزمن بشكل اطرادي مع ذكائها، وتتحول إلى كائنات عاقلة وواعية مثل الإنسان. بيد أنّ هذا لم يتحقق في أي وقت من الأوقات، وظلت الثعالب، رغم ما تتمتع به من ذكاء، دوماً ثعالب . وإن شرح الأكاديميين لهذه المزاعم اللامنطقية إلى أقصى درجة وبأسلوب جاد للغاية، مع تزيينه بالمصطلحات العلمية والمفردات اللاتينية، لهو أمر محير. ولتطوّر القردة

ذكاءها ومهاراتها اليدوية قدر ما تريد، ولتحاكي ما تراه قدر ما تبغي، فهذا لن يجعلها بشراً ذات يوم. ولقد وُجدت القردة دوما قردة، وستظل كذلك. أما الإنسان فقد خُلق خلقاً مختلفاً بما أكرمه به الله من العقل والوعي والضمير وكل السمات الفائقة التي يختص بها، وقد وُجد منذ اللحظة التي خُلق فيها وعلى مر التاريخ، دوما إنساناً. وهذه هي الحقيقة التي يثبتها العقل والعلم.

أسطورة تطور الإنسان حافلة بالزيف :

لقد عاش ما يزيد عن 6000 نوع من القردة على مر التاريخ، وقسم عظيم منها انقرضت سلالته، واختفى. ويعيش اليوم نحو 120 نوع من القردة على وجه الأرض. وتمثل حفريات أنواع هذه القردة التي انقرضت سلالتها والتي تقترب من 6000، بالنسبة للتطوريين مصدراً شديد الثراء لمستلزمات الخدع. وكثيرا ما يجعل التطوريون الذين لم يتأّت لهم الكشف عن دليل علمي مجرد في أي وقت قط، حفريات تخص قردة انقرضت سلالتها، موضوعاً للساعة، وكأن كلا منها دليل على التطور، ويزينونها بالتفسيرات ذات الأحكام المسبقة. ومنذ سنوات وهم يسعون متوسلين بهذه الأساليب لحشد أنصار للتطور، وخداع الرأي العام. ولكن يتعين عليهم أن يدركوا أن هذا الأسلوب لن يجدي فتيلا. وبإمكاننا أن نجمل فيما يلي بعض الأدلة الزائفة التي أوردها التطوريون بُغية التمكن من جعل أسطورة تطور الإنسان مقنعة من وجهة نظرهم.

1ـــ إن رجل بيلت داون(Piltdown) الذي عثر عليه تشارلز داوسون (Charles Dawson) عام 1912، وادعى أن عمره 500 ألف سنة، تبناه التطوريون ودافعوا عنه لسنوات على أنه دليل على التطور المزعوم. إلا أن الدراسات التي أُجريت في الآونة الأخيرة كشفت عن خديعة كبرى. فجمجمة رجل بيلت داون كانت لرجل عمره 500 عام، أما عظمة الفك، فكانت لقرد اورانجوتان (إنسان الغابة) حديث النفوق. وقد أُضيفت الأسنان من بعد من أجل إعطاء انطباع أنها تخص إنسان، وقد تم حك أماكن الإضافة، وحتى تبدو قديمة ولُطّخت بدكرومات البوتاسيوم .



لم يحدث في أي فترة من فترات التاريخ أن وُجد إنسان بدائي

هذا الرسم الذي ترونه في الصورة قد يصادفكم على صفحات الجرائد وفي شاشات التلفزيون وفي المجلات وحتى في الكتب المدرسية، وهو لكائنات نصفها قرد ونصفها الآخر إنسان، وهي لم توجد في أي فترة من فترات التاريخ. فالقردة وجدت منذ البدء قردة والإنسان خلق منذ البداية إنسانا. وهذه الرسوم هي نتاج لمنطق التطوريين الخاطىء، وهي لا تعكس المعلومات التاريخية الحقيقية.

2ـــ في عام 1922 صرح هنري فيرفيلد أوسبورن (Henry Fairfield Osborn) مدير المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، أنه عثر على حفرية ضرس ترجع إلى العصر البليوسيني. وهذا الضرس ـــ طبقا للزعم ـــ كان يحمل سمات مشتركة للبشر والقردة. وقد أُطلق على هذا الضرس اسم رجل نبراسكا، واعتماداً على هذا الضرس الوحيد، رُسمت صور بشكل جديد لجمجمة رجل نبراسكا وجسمه، حتى إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك ونشروا صورًا عائلية لرجل نراسكا وعائلته في بيئة طبيعية. إلا أنه في عام 1927 عُثر على الأجزاء الأخرى من الهيكل العظمي، وبحسب الأجزاء التي عُثر عليها حديثا، فإن هذا الضرس لم يكن يخص إنساناً ولا قرداً، وفُهم أن الضرس إنما كان لنوع منقرض السلالة من الخنازير الأمريكية من جنس بروستينوبس (Prosthennops) .

3 ـــ وكذلك من بين أكاذيب أسطورة تطور الإنسان التي استمرت لأطول وقت، الرامابثكوس (Ramapithecus). وكان هذا الاسم قد أُطلق على الحفرية التي قيل إنها أول درجة في سلم الفصل الذي زُعم أنه اكتمل قبل 14 مليون سنة بين الإنسان والقرد، والتي عُثر عليها في بلاد الهند عام 1932. ولقد استعملها التطوريون دليلا قاطعاً طيلة خمسين عاماً، إلا أن الدراسات التي أجريت كشفت عن أن بنية أسنان الرامابثكوس تكاد تكون مطابقة لبنية أسنان الشمبانزي الذي يعيش في عصرنا الراهن. كما إن أحد أنواع قردة الربَّاح (البابون) التي تعيش في القطاعات المرتفعة من أثيوبيا كانت مثل الرامابثكوس ذات وجه قصير وعميق، وأسنان صغيرة حادة وقاطعة مقارنة بأسنان القردة الأخرى. وقد أُعلن في مقال بمجلة (Science) العلم، نشر عام 1982 تحت عنوان "الإنسانية تفقد جدها "، عن أن الرامابثكوس ليس شيئاً سوى الأورانجوتان الذي انقرضت سلالته.

4ـــ ثمة حفرية عُرفت باسم طفل طورقانه (Turkana) لأنه كان قد عُثر عليها بالقرب من بحيرة طورقانه الموجودة بكينيا، سعى التطوريون لفترة لإظهارها دليلاً على تطور الإنسان المزعوم. ولكن فيما بعد تبين أن هذه الحفرية لا تختلف قط عن إنسان العصر الحالي. فـــ"آلان واكر" (Alan Walker) عالم الحفريات الأمريكي على سبيل المثال، يقول: "إنه من الصعب جداً على عالم موضوعي بعلم تشريح الأعضاء أن يميز بين الهيكل العظمي لهذه الحفرية، وبين هيكل عظمي لإنسان معاصر". (4)

إن طفل طورقانه ليس نوعاً وسطياً بين القردة والبشر كما يزعم التطوريون، وإنما هو إنسان من كافة الوجوه.



إن حفرية الراما بثكوس التي عُثر عليها أولاً، كانت عبارة عن فك ناقص يتكون من جزئين، (في الأسفل) لكن الرسامين التطوريين، لم يواجهوا صعوبة قط في أن يرسموا عائلة الراما بثكوس و البيئة الخيالية التي عاش فيها، اعتماداً على جزئي الفك هذين. وعلى إثر إدراك أن هذا الكائن الحي الذي رسموه بكافة تفاصيله حتى عائلته والبيئة التي عاش فيها، بالنظر إلى عظمة فك، ليس سوى قرد عادي، تم استبعاد الراما بثكوس في هدوء تام من شجرة نسب الإنسان الخيالية.

, David Pilbeam)
Human Lose
,an early ancestor
.(Science ,April 1982, pp.6-7

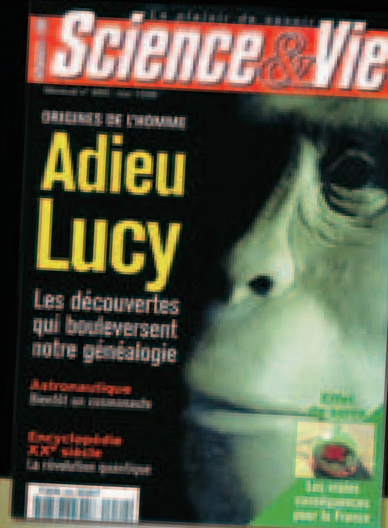
مصدر الإلهام عظمة فك وحيدة !

5ـــ لوسي (Lucy) هو اسم الحفرية الشهيرة التي عثر عليها دونالد جونسون (Donald Johanson) عالم الأنثربولوجيا الأمريكي عام 1974. وقد زعم كثير من التطوريين أن لوسي هي نموذج التحول بين الإنسان وأسلاف أشباه القردة المزعومين. وكشفت الدراسات التي أجريت في السنوات الأخيرة أن لوسي هي مجرد نوع قردة منقرض السلالة. وهي تمثل نوعاً من القردة ينتمي إلى جنس الأسترالوبثكوس (Australopithecus) الذي يثبت أنه ليس له أي صلة بالتطور المزعوم للإنسان. ولهذا النوع مخ بنفس حجم مخ الشمبانزي. كما أن ضلوعه وعظمتي فكه بنفس شكل ضلوع الشمبانزي المعاصر وعظمتي فكه، وذراعاه وساقاه توضح أنه يمشي مثل الشمبانزي الحي، حتى أن عظمة الحوض كذلك مثل تلك التي للشمبانزي. (5)

6ـــ كان ريتشارد ليكي (Richard Leakey) قد عرّف الجمجمة، التي بلغ عمرها 8, 2 مليون سنة، وسماها " ك.ن.م ـــ إ.ر.(KNM- ER) 1470 "، على أنها أعظم اكتشاف في تاريخ الأنثربولوجيا، وأحدث صدى عظيماً. وللكائن الحي الذي عُثر

أسطورة لوسي عفا عليها الدهر

إن العالمين التشريحيين التطوريين الشهيرين سولي زوكرمان(Solly Zucherman)، وتشارلز أوكسنارد(Charles Oxnard) اللذين درسا الحفرية التي سُميت لوسي، والتي قُدمت على أنها جد مفترض للإنسان، والتي أُعلن عن أنها ذات ساقين عقب العثور عليها عام 1974، قد رفضا هذا الزعم، وقالا إن طريقة مشي هذا الكائن وبنيته التشريحية قطعاً لا تشبه الإنسان، وأنه نوع من القردة. وفي السنوات الأخيرة تأكد أن لوسي نوع من القردة. ومثلما كُتب على غلاف مجلة "العلم والحياة" (Science & Vie)، اضطر التطوريون إلى أن يقولوا للوسي "وداعاً " .





1 – هناك فروق تشريحية عظيمة بين أقدام البشر وأقدام القردة، فأصابع أقدام القردة أطول، كما أن الحزام الموجود بأقدام الإنسان، لا وجود له بأقدام القردة.

2 – يبقى الجزء العلوي من جسم الإنسان قائماً، ويمشي البشر منتصبين على قدمين، وهذا شكل حركي خاص بهم. أما القردة فتمشي والأجزاء العلوية من أجسامها مائلة للأمام. وتستخدم أذرعها لتحقيق مزيد من الدعم. وهذا فراغ تشريحي لا يمكن ملؤه بين البشر والقردة، وهو يبطل أسطورة تطور الإنسان برمتها.

3 – وكما يبدو في الصورة أيضا، لا وجود في يد القرد لإصبع الوسطى الطويل والمتحرك والذي يُعد سمة هامة ليد الإنسان. وهذه الفروق فقط كافية لإثبات استحالة تطور البشر والقردة عن جد واحد مشترك.

عليه جمجمة صغيرة مثل الأسترالوبثكوس، لكنه ذو وجه شبيه بوجه الإنسان. وطبقا لوجهة نظر ليكي، فإن هذا الكائن إنما كان الحلقة المفقودة التي بين الأسترالوبثكوس والإنسان. إلا أنه بعد فترة سيُدرك أن الوجه الشبيه بوجه الإنسان لجمجمة الـ(ك.ن.م ـ إ.ر ـ 1470) والتي كانت غلافاً للمجلات العلمية، إنما كان محصلة لخطأ ارتُكب ــ ربما عن عمد ــ أثناء تجميع أجزاء جمجمة في الواقع؛ وعليه فإن هذه الجمجمة لم تكن بالتأكيد اكتشافاً يؤكد التطور المزعوم للإنسان، إنما كانت أحد النماذج التي تفوق الحصر التي توضح بجلاء عجز التطوريين.

إن عدد حيل التطوريين التي أفسحنا المجال لمجموعة من أمثلتها فقط هنا، إنما هي أكثر بكثير. وكافة أخبار جد الإنسان الواردة في وسائل الإعلام هي أخبار مختلقة. ولقد نسفت الاكتشافات العلمية المجردة قصة تطور الإنسان عبر مراحل إلى أن صار إنساناً. وأوردنا بعض حفريات الجماجم التي تفوق الحصر والتي تدحض نظرية التطور. وتُعد هذه الجماجم من الأدلة على أنه ما من كائن حي قط على مدار التاريخ تغير أو تحول إلى كائن آخر، وأن كل الأنواع الحية وُجدت دوماً وبالسمات التي تختص بها. وإلى جانب هذه الأدلة نورد كذلك الإيضاحات التي تؤكد مآزق الداروينية وفرضياتها اللامنطقية. نسأل مثلا الداروينيين الذين يزعمون أن الكائنات الحية تتدرج إلى الأرقى مرورًا بتغيرات مستمرة: كيف يفسرون عدم التغير الذي يبدو بجلاء لدى كافة الأنواع الحية. ويتعين أن تشرح نظرية التطور، التي تفترض أن الإنسان تطور عن القرد المزعوم، مثيلاً لوتيرة التحول الخرافي إلى إنسان والتي شهدتها القردة، وتوضح لِمَ لم تشهده الكائنات الحية الأخرى. وليس ثمة إجابة يمكن للتطوريين أن يجيبوا بها عن سؤال مثل: لِمَ لم يقرر دب ذات يوم أن يمشي على قدمين ؟!، ولِمَ لم يتحول ثعلب طوَّر ذكاءه، إلى أستاذ ؟! ولِمَ لم يصبح أحد حيوانات البندا فناناً يعمل أعمالا مؤثرة. أما سبب شرح الموضوع بهذا الأسلوب، باستخدام الأمثلة والتطبيقات المنطقية التي يمكن أن يفهمها الأطفال أكثر، فهو فضح خرافات الداروينية وترّهاتها غير المنطقية. والداروينية التي قُدمت وكأنها نظرية علمية، هي في الأساس إيديولوجية غير منطقية لدرجة لا يُصدقها عقل. وقد تبين أن الداروينية وهي أكبر فضيحة في تاريخ العالم، إنما تأسست على أباطيل ومزاعم بعيدة تماماً عن العقل والمنطق، وسيعترف العالم أجمع في القرن الحادي والعشرين بسقوط النظرية الداروينية.

1- Richard E.Leakey , The Making of Mankind , Michael Josef Limited , London , 1981 , P.43 .
2- William R.Fix , The Bone Peddlers, Macmillan Publishing Company : New York , 1984 , PP. 150 – 153.
3- Marvin Lubenow , Bones of Contention , Grand Rapids , Baker , 1992 , P. 136 .
4- Marvin Lubenow , Bones of Contention , Grand Rapids , Baker , 1992 , P. 83 .
5- Richard Allan & Tracey Greenwood , Primates and Human Evolution in the textbook : Year 13 Biology , 1999. Student Resource and Activity Manual , (Biozone International , Printed in New Zealand .) P.260 .







جمجمة ثعلب

العصر : الزمن السينوزوي ، العصر الميوسيني.
العمر : 6, 8 مليون سنة.
الموقع : الصين.

يفترض التطوريون أن الإنسان ينحدر عن القرد المزعوم، ويظهِرون مجموعة من الجماجم كدليل من وجهة نظرهم. وكل سيناريو من السيناريوهات التي كُتبت على هذه الجماجم التي تخص قردة منقرضي السلالة أو أجناس بشرية مختلفة كانت قد عاشت في الماضي، ليس سوى خدعة. ففيما لم يحدث أي تغير في البنية التشريحية أو البنية الجمجمية لأي كائن حي عاش على مدار التاريخ، فإن الزعم بأن القردة قد مرت بوتيرة مزعومة كهذه، ليس بحقيقة.
فجماجم الثعالب على سبيل المثال، لم يطرأ عليها أي تغير قط على نحو ما توضحه أيضا حفرية جمجمة الثعلب الموجودة في الصورة والبالغ عمرها 6, 8 مليون سنة. ولم يحدث أن قررت الثعالب ذات يوم أن تزيد من ذكائها، وتوسّع من حجم جماجمها وتغير في بنياتها وتتحول إلى نوع آخر. بل ظلت الثعالب والذئاب والأسود والقردة دوماً على ذات ما هي عليه دونما تغير. ومثلما أوضحت الاكتشافات المجردة، فإن الزعم بتطور الأنواع عن بعضها البعض، وأن جد الإنسان هو القرد المزعوم، ليس إلا كذبة كبرى.







جمجمة ذئب

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 5, 9 مليون سنة.
الموقع : الصين.

توضح حفرية جمجمة الذئب الموجودة في الصورة والبالغ عمرها 5, 9 مليون سنة، أنه لم يحدث أي تغير قط في بنى جماجم الذئاب منذ ملايين السنين، وينسحب عدم التغير هذا على كافة الأنواع الحية الأخرى. فما من تغير حدث لا في جمجمة الذئب، ولا في جماجم النمر والحصان والدب والقرد. وادعاءات التطوريين بإصرار رغم هذا، بأن القردة غيرت بنياتها التشريحية وتحولت إلى بشر، ليست منطقية. ولقد خدع الداروينيون الإنسانية منذ أواخر العقد الأول من القرن التاسع عشر بما لا يفوق الحصر من الأكاذيب المتدثرة بالعلم. إلا أنه بات من غير الممكن أن يستمر هذا الإفك في عصرنا الراهن الذي تطور فيه العلم، وانتشرت فيه الإنترنت.



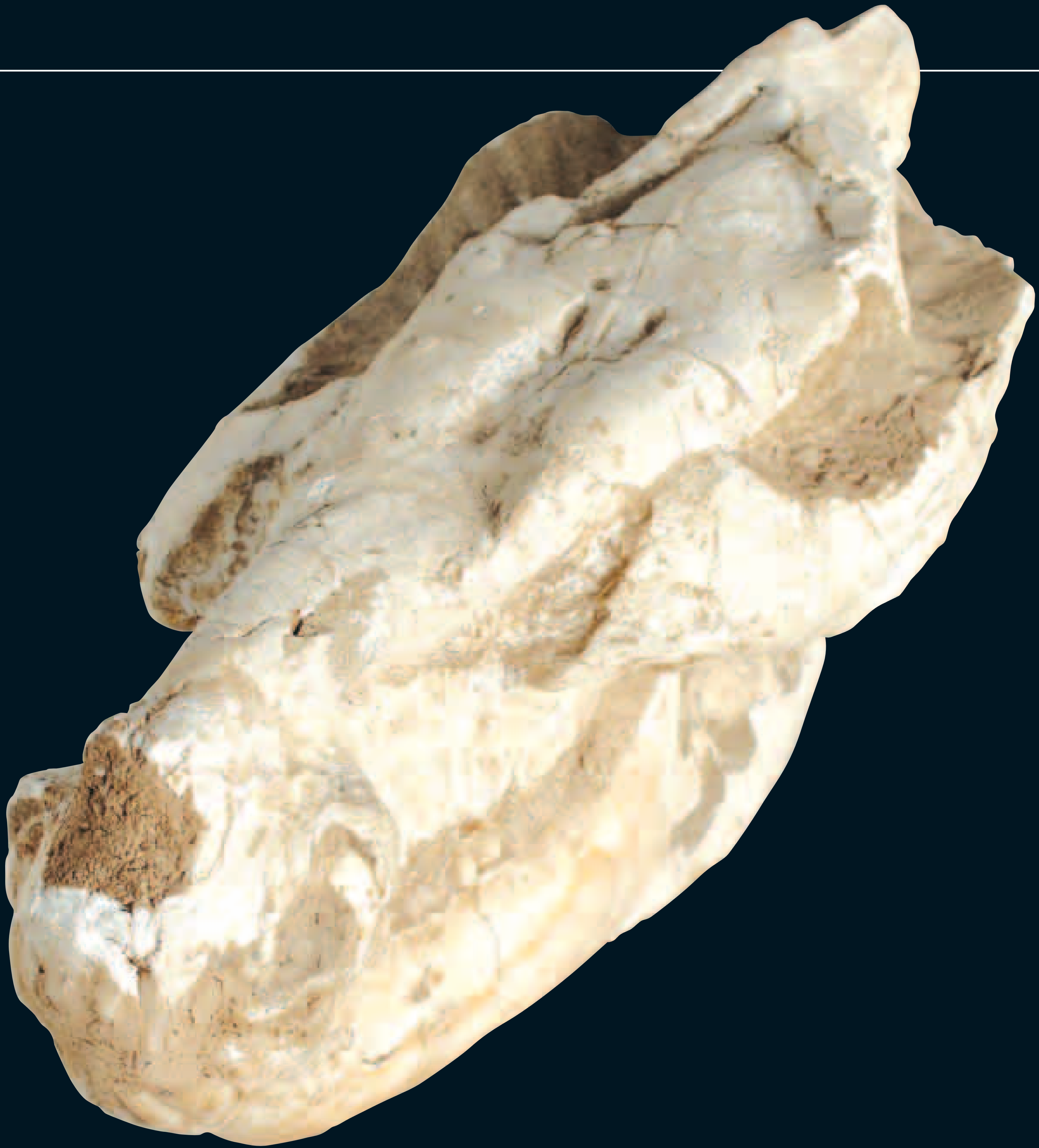


جمجمة نمر

العصر: زمن الميزوزوي، العصر الكريتاسي.
العمر: 79 مليون سنة.
الموقع: الصين.

إن الدعاية التي تقوم بها وسائل الإعلام التابعة لأنصار الداروينية بدون انقطاع لا تعدو أن تكون هراء في هراءٍ. وعما قريب سوف تُقبر هذه النظرية بين طيات التاريخ، والمتحجرات تعتبر من أهم الدلائل التي ألحقت ضربات قاتلة بنظرية التطور. وقد كذبت المتحجرات بشكل قاطع ما قيل من أن الكائنات الحية قد أتت من جدّ واحد، وأنها قد تطورت عبر الزمن حتى أخذت شكلها الحالي. ولا توجد آثار في سجلات المتحجرات تفيد بأن الكائنات الحية تتغير باستمرار. وكل كائن حي حافظ على خصائصه التي وجد بها عند ظهوره في أول مرة. وكمثال على ذلك، فإن النمر حافظ على خصائصه التي ظهر بها منذ 79 مليون سنة، واليوم توجد تلك الخصائص نفسها لدى النّمر. وهذه معلومات من شأنها أن تقلب نظرية التطور ظهرا على عقب.

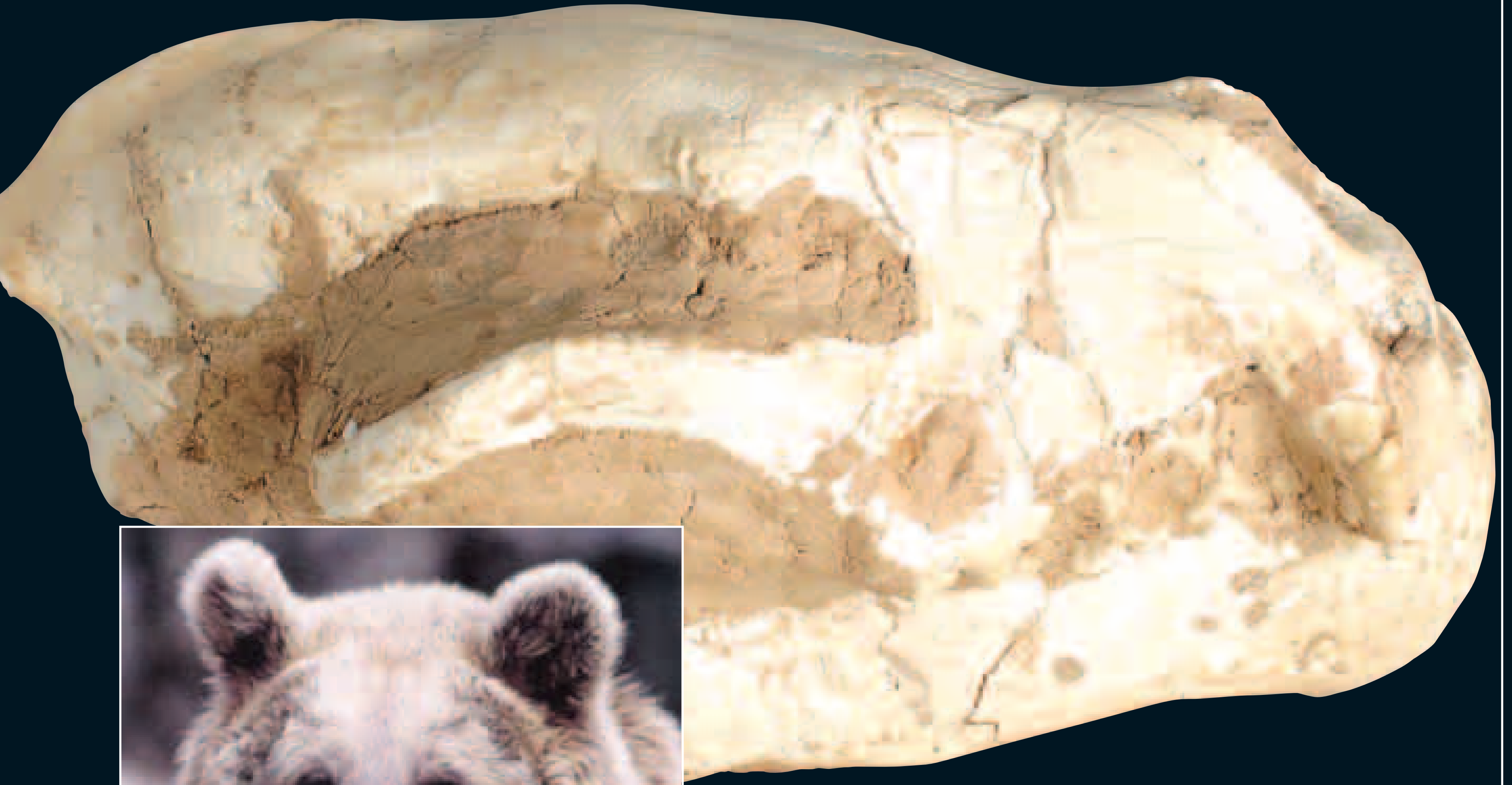




جمجمة ثعلب

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 95 مليون سنة.
الموقع : الصين.

يعتقد الداروينيون في المصادفات العمياء، وأنها سوف تأتي بمعجزات في غضون ملايين الأعوام. وهم يظنون أن تلك المصادفات العمياء سوف تحوّل الجمادات مثل الحجارة والتراب إلى كائنات حية، وأنها ستحول الأنواع الحية فيما بينها إلى أنواع أخرى، فتحول السمكة إلى تمساح، والتمساح إلى ديناصور، والديناصور إلى طائر، وتحول الدب إلى حوت. هذا في حين أنه لم يشهد أي من الثعالب أو التماسيح أو الضباب أو النباتات تحولاً كهذا. ولقد أقامت الحفريات البالغ عمرها مئات الملايين من السنين، الدليل على أن الكائنات الحية لم تمر بأي تحول أو تغير قط. وحفرية جمجمة الثعلب الموجودة في الصورة والبالغ عمرها 95 مليون سنة، تبين بالعِيان بطلان النظرية الداروينية.







جمجمة دب أشهب

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 90 مليون سنة.
الموقع : الصين.

للدببة الشهباء التي تنتمي لفصيلة الشُهْب (Ursidae)، فراء بني، ونادرًا ما يكون قشدي اللون. وهي تعيش بوجه عام في مناطق الغابات والجبال. وحتى يومنا هذا لم يحدث أن فكر دب أشهب قط قائلا : "لِمَ لا أطوِّر ذكائي، وأغيِّر جمجمتي و أقيم حضارة، وأشرع في إنشاء المدن وإقامة الآثار الفنية وإعداد المؤلفات الأدبية والقيام بالكشوف العلمية". بل ظلت الدببة دوما دببة، ولم تتحول إلى أي نوع آخر. وفي حين تابعت كافة الأحياء سلالاتها بالسمات التي تحوزها، فإن افتراض تحول القردة المزعوم إلى بشر، لهُوَ أمر خارج العقل والمنطق. وعليه فإن هذا الزعم ليس له من سند علمي قط.



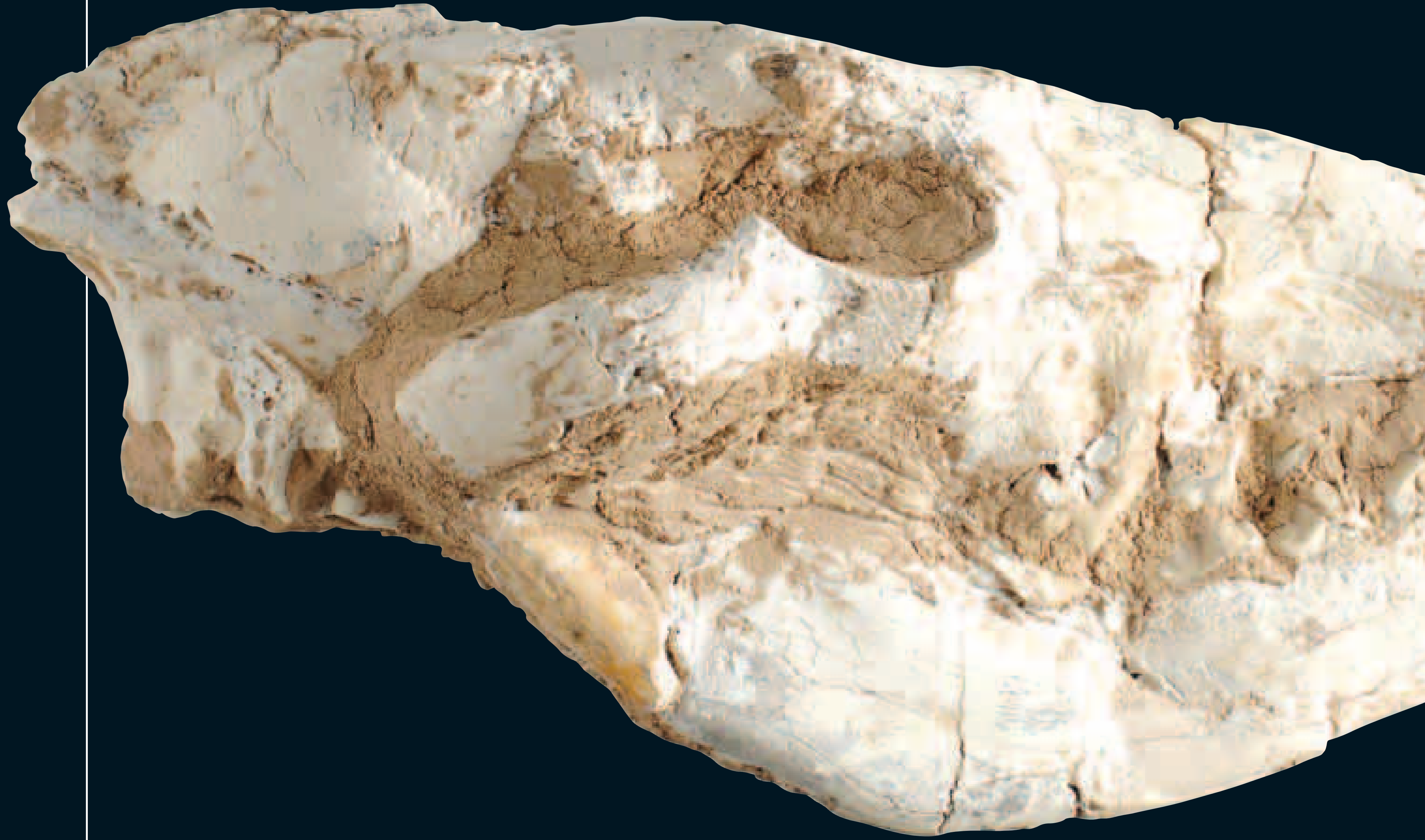


جمجمة ذئب

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 3, 9 مليون سنة.
الموقع : الصين.

لو صحت مزاعم التطوريين لتعيَّن أن تكون جماجم الذئاب التي عاشت قبل 3, 9 مليون سنة، مختلفة للغاية عن جماجم مثيلاتها التي تعيش في عصرنا الراهن. إلا أنه مثلما يبدو كذلك في النموذج الموجود في الصورة، ثمة تطابق تام بين جمجمة الذئب الذي يعيش في زمننا الحالي، وبين جمجمة الذئب البالغ عمرها 3, 9 مليون سنة. ولم يحدث خلال ملايين السنين التي مرت متعاقبة عليه أن تحول ذئب إلى فنان وقال: " لِمَ لا أطور قدراتي، وأقوم بتلحين أوبرا ؟!" ، أو فكر قائلا: "لِمَ لا أخطط لإنشاء قصور؟! " ، وقرر أن يسعى للتحول إلى مهندس معماري. وعلى نحو ما تثبت سجلات الحفريات بجلاء، لم يحدث أي تغير فيزيائي في بنى الذئاب فحسب، وإنما في بنية أي نوع حي قط. ولم يحدث أن تحول أي كائن حي إلى آخر. بيد أن الداروينيين يزعمون أن التغير التطوري الذي لم يبد في البنية الجمجمية والسمات البدنية للأسماك والحشرات والزواحف والطيور والثدييات، حدث لدى القردة المزعومة، وتحولت بعض أنواعها إلى بشر. غير أن عدم التغير الذي في كافة الأنواع الحية، يكفي وحده لإثبات أن هذا الزعم ما هو إلا كذبة.





جمجمة ثعلب قطبي

العصر : الزمن السينوزوي، العصر الميوسيني.
العمر : 2, 8 مليون سنة.
الموقع : الصين.

يزعم الداروينيون أن القردة، تأثراً بقدرات المحاكاة، طورت ذكاءها وتحولت إلى الإنسان المزعوم. هذا في حين أن هناك في الطبيعة الكثير والكثير من الكائنات الحية التي تحوز مهارة المحاكاة، وتُعرف بتصرفاتها الذكية. فالثعالب على سبيل المثال هي أيضا حيوانات ذكية ويقظة إلى أقصى درجات الذكاء واليقظة. لكن لم يحدث ذات يوم أن تحول أي ثعلب قط إلى عالم يفحص الخلايا التي تشكله تحت المجهر الإليكتروني قائلا : "إنني حيوان ذكي لِمَ لا أصبح أستاذاً ؟! ". ومهما كان مبلغ ذكائها، فقد ظلت الثعالب دوماً ثعالب. وبالشكل نفسه وعلى نحو ما أثبتت كذلك الاكتشافات العلمية، فقد وُجدت القردة دوما قردة، ووجد البشر بشراً، ومساعي التطوريين للتعامي عن الحقائق، ضاربين بالعلم عرض الحائط، لا تغير الحقيقة، ولقد انهارت الداروينية، وإن أصل الكائنات الحية، لهُوَ الخَلْق.







جمجمة البندا

العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 88 مليون سنة.
الموقع : الصين.

أقامت الحفريات الشواهد على أن حيوانات البندا وُجدت دوماً على ذات ما هي عليه، ولم تمر بأي عملية تطور. ومن بين هذه الشواهد أيضا هو حفرية جمجمة البندا التي تظهر في الصورة ويبلغ عمرها 88 مليون سنة. ولم يحدث أن حاول أي بندا قط عاش في التاريخ أن يغير هيكله العظمي قائلا : "إنني أستطيع أحياناً أن أقف على قدمي، لِمَ لا أسير دوما هكذا ؟! لِمَ لا أظل قائما ؟! ". لقد ظل نفسه محافظاً على كافة ما له من سمات رغم مرور عشرات الملايين من السنين المتعاقبة عليه. وهذه الحقيقة التي نحن بصدد الحديث عنها بالنسبة لحيوانات البندا، تنطبق كذلك على كافة الأنواع الحية الأخرى، ولم يحدث أن مر كائن حي بوتيرة تطور قط، ولم يشهد أي تطور من أي نوع.









جمجمة نمر

العصر: زمن الميزوزوي، العصر الكريتاسي.
العمر: 78 مليون سنة.
الموقع: الصين.

إنّ جميع الكائنات الحية التي نراها اليوم والتي عاشت في الماضي السحيق ووجدنا سجلاتها على المتحجرات توضح أن جماجمها وجدت دون أدنى نقص أو خلل أو قصور، وأنه لم يحدث لها أي تغيّر على الإطلاق. أما أنصار نظرية التطور فإنهم يزعمون بأن جماجم هذه الكائنات الحية لابد أنها مرت بمراحل كثيرة كانت فيها مشوهة ثم وصلت إلى ما هي عليه من الكمال. وكمثال على ذلك أن المنظر قبل أن يأخذ شكله النهائي المكتمل يجب أن يمر بمراحل يكون فيها غير سويّ، كأن يكون الفك مائلا قليلا إلى اليمين أو إلى الشمال، والأنف قريبا من الخد الأيمن، والأذن في الخلف قليلاً، وأحد تجويفي العين إلى الفوق قليلا، وغير ذلك من ملايين التشوهات. والحال أنه لا توجد أية كائنات حية على هذا النحو في سجلات المتحجرات. فجميع جماجم الكائنات الحية في الأزمنة القديمة مكتملة ومتناسقة شأنها شأن جماجم الكائنات الحية اليوم. ومتحجر جمجمة النمر التي تظهر في الصورة ويبلغ عمرها 78 مليون سنة توثّق هذه الحقيقة. ولا يوجد أدنى فرق بين جماجم النمور التي عاشت قبل 78 مليون سنة وجماجم النمور التي تعيش معنا اليوم.









جمجمة دب

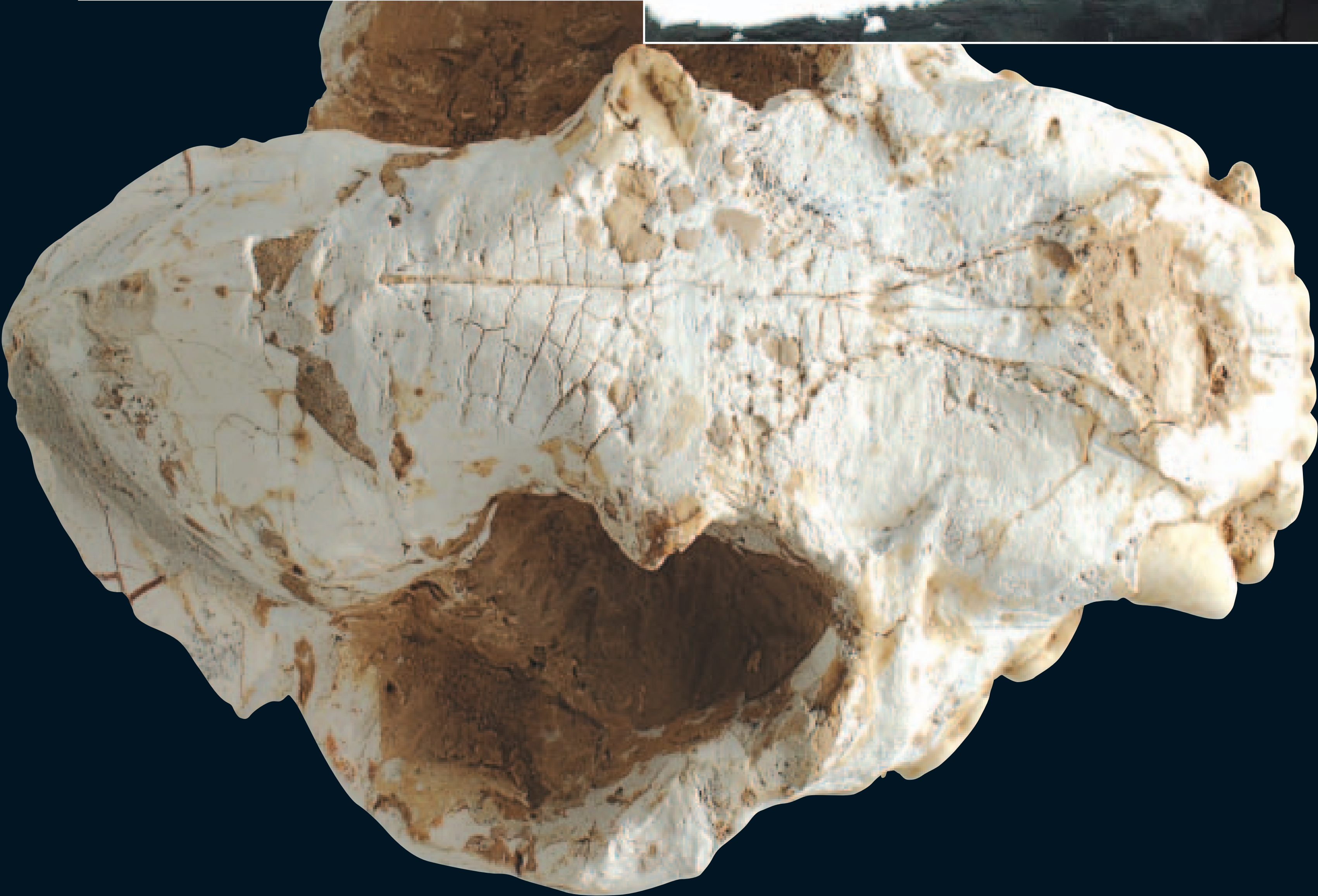
العصر : الزمن الميزوزوي، العصر الطباشيري.
العمر : 80 مليون سنة.
الموقع : الصين.

إن سعي وسائل الإعلام لإظهار الداروينية وكأنها حقيقة علمية ينبغي قبولها والتسليم بها دون نقاش، إنما هو محصلة لصراع أيديولوجي. فكون الداروينية في الأصل نظرية بالية تتعارض مع الاكتشافات العلمية، حقيقة معروفة. وتعد الحفريات كذلك أحد هذه الاكتشافات التي تجلي هذه الحقيقة. وليس بمقدور التطوريين الذين يزعمون أن الإنسان والقرد قد انحدرا عن جد واحد مشترك، أن يفسروا عدم حدوث أي تغير في جمجمة أو بنية رأس أو هيكل عظمي أي كائن حي قط على مدار عشرات الملايين من السنين. وفي حين لم يحدث أي تغير في البنية التشريحية لكثير من الكائنات الحية، فإن السؤال عما حدا القردة إلى أن تقرر ذات يوم التحول إلى بشر،هو سؤال بلا إجابة. ولم يستطع التطوريون على سبيل المثال تقديم رد عقلاني على سؤال هو: "لِمَ لم تبدأ ليس القردة فحسب، وإنما الدببة أيضا، في التحدث وصياغة الألحان ورسم الصور ونحت التماثيل وإنشاء المباني المهيبة، وكتابة سيناريوهات الأفلام والقيام بالاكتشافات التكنولوجية وإجراء الأبحاث الفضائية ؟!". ومثلما لم يحدث أن قرر أي دب قط ذات يوم أن يكتسب هذه السمات التي أحصيناها، وتحول إلى كائن حي آخر، فإن القردة هي الأخرى لم يحدث أن تحولت إلى بشر. فالدببة والقردة وُجدت دوماً ولا تزال على ذات ما وجدت عليه، لم يمسسها تغير. وحفرية جمجمة الدب الموجودة في الصورة والبالغ عمرها 80 مليون سنة والتي لا تختلف في شيء عن جماجم مثيلاته التي تعيش في عصرنا الراهن، تَبسط هذه الحقيقة وتجلّيها أمام العيون.











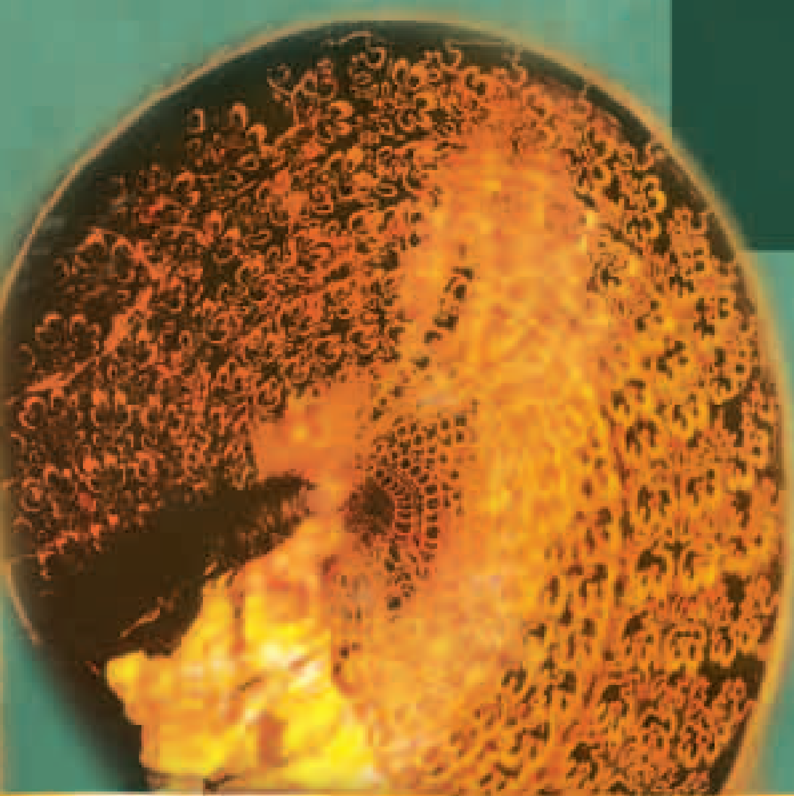
جمجمة الذئب السيبيري

العصر: زمن الميزوزوي، العصر الكريتاسي.
العمر: 80 مليون سنة.
الموقع: الصين.

إن متحجر جمجمة الذئب السيبيري الذي يظهر في الصورة يثبت أن ذئاب سيبيريا ظلت على ما هي عليه منذ 80 مليون سنة، وهي تؤكد أن الكائنات الحية لم يعترها أي تغير على مر التاريخ. وكل ما عثر عليه من متحجرات للذئب السيبيري يؤكد أنه ذئب سيبيري مكتمل بجميع خصائصه وملامحه، ولا يوجد أدنى دليل يبين أنه وصل إلى هيئته الحالية بطريقة مختلفة. وما تتناقله وسائل الإعلام التابعة لأنصار الداروينيين من وجود جدّ أول للذئب السيبيري هو من صنع الخيال، ولا يعكس من الحقيقة شيئا.



خاتمة







إن الله خالق الكون والكائنات الحية

إن نظرية الارتقاء القديمة التي ظهرت في القرن التاسع عشر، أصبحت اليوم منهارة تماما أمام الثوابت العلمية. إذ لم يعد بوسع أصحاب النظرية الدارفينية تقديم أي جواب علمي على سجلات المتحجرات التي ألحقت بنظرية الارتقاء ضررا كبيرا.

وهؤلاء الدارفينيين الذين لم يستطيعوا الإتيان بمتحجر واحد يثبت حدوث الارتقاء، حاولوا إخفاء انهزامهم عبر اللجوء إلى طرق شتى، منها: محاولتهم تارة لتقديم متحجرات بعض الكائنات الحية التي لم تنقرض بعدُ، على أنها نماذج للمتحجرات الانتقالية دون أن يكون لزعمهم أي نصيب من الصواب، ومحاولتهم تارة أخرى لتقديم متحجرات مزورة لبرهنة نظرية الارتقاء. كما حاولوا أحيانا رسم صور خيالية لمخادعة الناس. وخلال كل هذه المحاولات، كانوا يرفعون شعارات مثل " لقد تم العثور على حلقة مفقودة " و" أجدادنا كانوا جراثيم " و" الابتكار الذي يُنبئ بالارتقاء " و" الارتقاء لا زال جاريا " وغيرها من الشعارات المخالفة للواقع، وذلك من أجل توفير سمعة لنظرية الارتقاء على أنها حقيقة لا تقبل النقيض. وكان أصحاب النظرية الدارفينية ناجحين في تكتيكاتهم في أواخر القرن الثامن عشر وفي بدايات القرن التاسع عشر نظرا لعدم تطور العلوم والتكنولوجيات آنذاك. ولكن انكشفت في عالم القرن الواحد والعشرين، أكاذيب الارتقائيين وانكسرت أجنحة الدارفينيين.

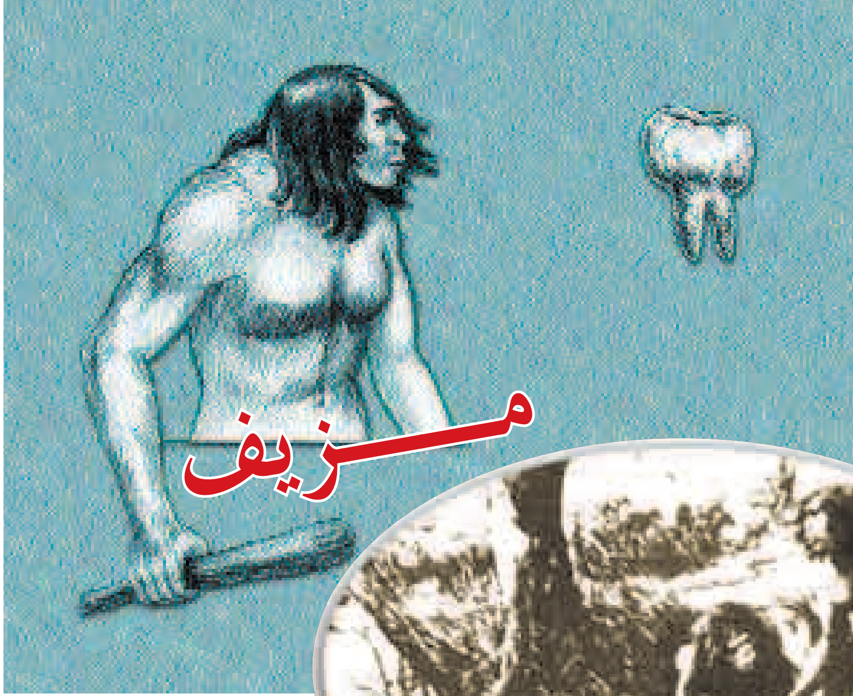
واليوم يدرك الجميع جيدا وحتى الأطفال في المدارس الابتدائية، أنه ليس هناك أي متحجر انتقالي يثبت حدوث ما يسمى بالارتقاء وأن الناس لم يرتقوا من القردة وأنه لا يمكن تفسير البنية المعقدة والمتطورة للكائن الحي بالصدف وأن النظرية الدارفينية هي أكبر خدعة واحتيال وقع في تاريخ العلوم.



ومن أدلة محاولة الارتقائيين لمخادعة الناس، نجد سعيهم على مدى سنوات طويلة إلى إقناع الناس بقصة تحول الزواحف إلى الطيور، وذلك بتقديم Archaeopteryx دليلا على ذلك. و Archaeopteryx هو في الواقع متحجر طير يعود تاريخه إلى ما قبل 150 مليون سنة. وادعوا بأن هذا الطير يحمل بعض خصائص الزواحف وأنه يمثل بذلك " الحلقة المفقودة " بين الزواحف والطيور. ولكن المؤشرات العلمية التي أثبتت بأن Archaeopteryx هو نوع من الطيور الطائرة ، قد ألغت صحة هذا الادعاء. وإضافة إلى ذلك، فإن ديناصورات تروبود التي تُعتبر جد الطيور من الزواحف حسب زعمهم، هي أقل سنا من Archaeopteryx . وهذا الأمر هو حقيقة أخرى يحاول الارتقائيون إخفاءها.

قدموا ضرس الخنزير على أنه " رجل نبراسكا ".

وفي عام 1922، أعلن " **Henry Fairfield** " مدير متحف تاريخ الطبيعة بأمريكا عن وقوع العثور على متحجر ضرس تابع للعهد البليوسيني بجوار نهر الثعابين. وكان هذا الضرس حسب تخيلات الارتقائيين يحمل خصائص مشتركة بين الناس والقردة. وأطلقوا على هذا المتحجر تسمية " رجل نبراسكا ". كما سارعوا إلى ابتكار اسم " علمي " له : **Hesperopithecus harold–cooki** . وقاموا اعتمادا على هذا الضرس الوحيد برسم إعادة بناء جمجمة رجل نبراسكا وجسمه. بل وذهبوا إلى أكثر من ذلك، حيث نشروا رسم زوجته وابنه في محيط طبيعي وفي تصوير عائلي. وفي عام 1927، تم العثور على بقية أجزاء الهيكل العظمي المتبوع لهذا الضرس. وحسب الأجزاء الجدية، فإن هذا الضرس لم يكن للإنسان أو للقرد، حيث كان الضرس لخنزير وحشي من صنف **Prosthennops** المنقرض.





ويخبر القرآن بأن الكفار يأتون دوما بشتى الأكاذيب حتى لا يؤمنوا، وهو ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **ألا إنهم من إفكهم ليقولون**﴾ (**سورة الصافات 151**). وكذلك يأتي الدارفينيين بشتى أنواع الخدع ليجتنبوا الإيمان من جهة ويجنبّوا الناس من الأخلاق الدينية من جهة أخرى، ويقدمون في ذلك ادعاءات عديدة، لا أساس لها من الصحة.

ويلفت القرآن النظر إلى تبريرات الكفار المستمرة بقوله تعالى : ﴿**وإن كانوا (عبدة الأصنام) ليقولون**﴾ (سورة الصافات 167). ولكنهم سوف يرون الحقيبة وسيدركونها عن قرب. وقد ذكر القرآن في آيات عديدة أنه سيأتي وقت ستنكشف الحقائق فيه لدى الكفار. وفي هذه الآيات إشارة ضمنية إلى إدراك أصحاب النظرية الدارفينية لهذه الحقيقة. وبعض هذه الآيات كالآتي :

﴿ **فكفروا به فسوف يعلمون** ﴾ (**الصافات 170**).

﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون** ﴾ (**الحجر 3**).

﴿ **ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون** ﴾ (**العنكبوت 66**).

ونأمل أن يتراجع أصحاب النظرية الدارفينية عن إصرارهم ليقبلوا بالحقيقة بعد إدراك الصواب الذي يمكن أن يدركه الجميع بكل سهولة. والحقيقة التي يشير إليها العلم هي بطلان نظرية الارتقاء وخلق الله للكون وللكائنات الحية.

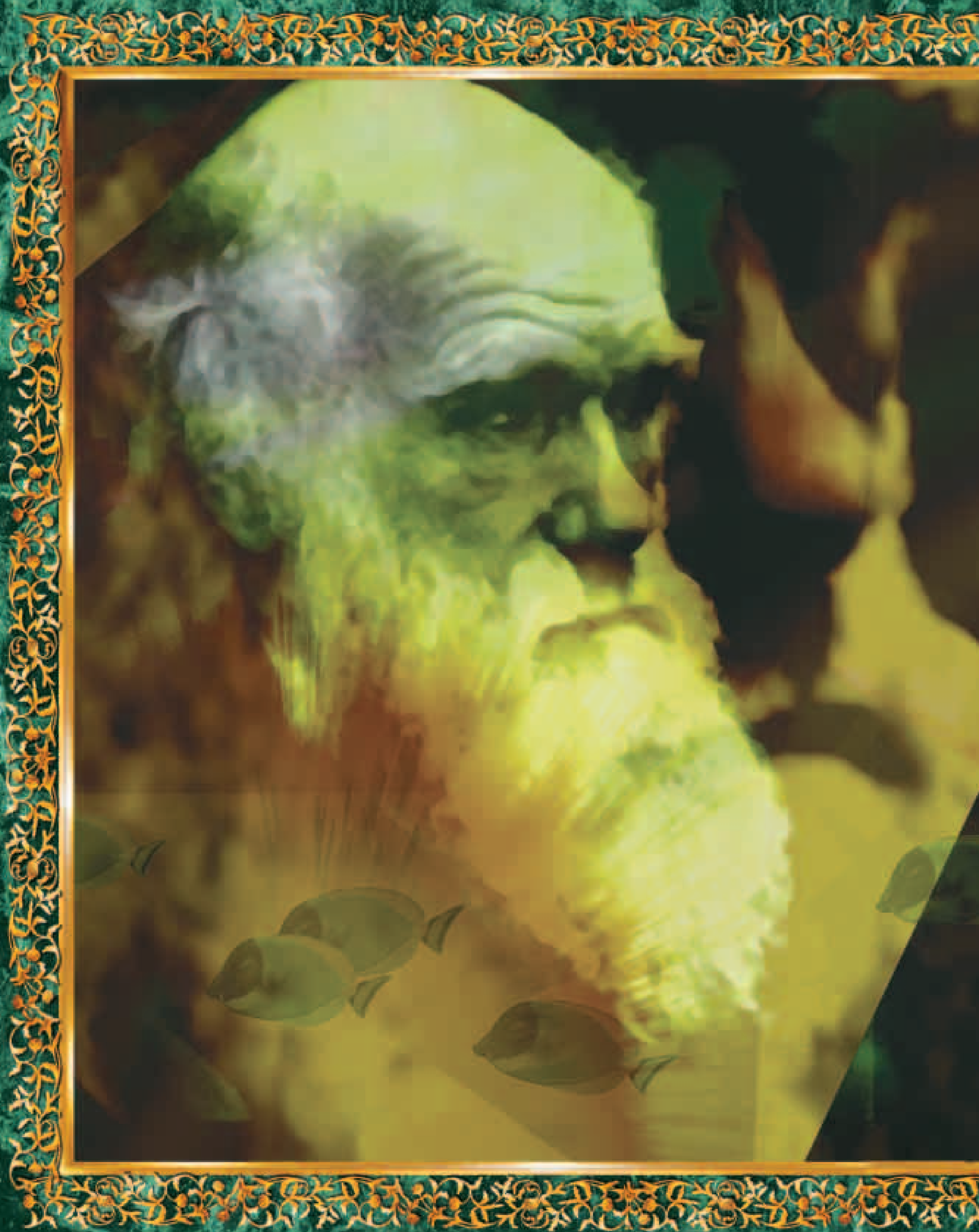
ونماذج المتحجرات التي سقناها في هذا الكتاب، هي شواهد هامة لخلق الله تعالى. ويشير القرآن في آيات كثيرة إلى وجود أدلة عديدة ما تحت الأرض وما فوقها تؤكد حقيقة الخلق. ومن ذلك قول الله تعالى في سورة الصافات 137 :

﴿ **وإنكم لتمرون عليهم...** ﴾ (سورة الصافات 137).

ومن المحتمل أن تكون في هذا الآية إشارة إلى سجلات المتحجرات الموجودة تحت الأرض والتي تكشف لنا عن التاريخ الحقيقي للكائنات الحية. ومعلوم أن هناك تحت الأرض وفي مختلف أنحاء العالم، متحجرات غير قابلة للإحصاء، وكلها تؤكد أن الكائنات الحية لم تتغير منذ لحظة ظهورها وعبر مئات ملايين السنوات، مما يعني عدم تعرضها للارتقاء. والناس يمرون عليها مرورا. وكل هذه المتحجرات تبيّن لنا أنه تم إيجاد الكائنات الحية فجأة وبخصائصها المعقدة التي لا يشوبها نقص ولا عيب، أي أن الله خلقها. وإن الله العلي القدير قد خلق كافة الكائنات الحية في أحسن تقويم. وجميع الكائنات تدل على عظمة الله وعلوها. وما على الإنسان أمام هذا التجلي العظيم إلا أن يستعمل عقله وضميره ليتفكر في الحكمة الإلهية في خلق الكون ويسبح الله رب العالمين حمدا وتسبيحا وأن يعبده على أحسن وجه.

﴿ **الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل. له مقاليد السماوات والأرض، والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون** ﴾ (سورة الزمر 62– 63).


ملحق
انهيار نظرية التطور



الداروينية والفلسفة المادية: المنبعان الاصليان للإرهاب

يعتقد معظم الناس أن تشارلز داروين Charles Darwin هو أول من اقترح نظرية التطور، وأن هذه النظرية ترتكز إلى أدلة وملاحظات وتجارب علمية. ومع ذلك، فمثلما أن داروين ليس مؤسس النظرية، فإن النظرية أيضا لا تقوم على أي سند علمي. ذلك أنها تقوم على تطويع الطبيعة للفلسفة المادية القديمة. وعلى الرغم من أن النظرية لا تدعمها أي اكتشافات علمية، فإنها تلقى تأييدا أعمى باسم الفلسفة المادية.

وقد تسبب هذا التعصب في حدوث كوارث شتى. ذلك أنه بالإضافة إلى انتشار الداروينية والفلسفة المادية التي تدعمها، فقد تغيرت الإجابة على سؤال: "ما هو الإنسان؟". فالناس الذين كانوا يجيبون: "البشر هم خلق الله ويجب عليهم أن يعيشوا وفقا للمبادئ الأخلاقية الجميلة التي علمهم إياها" بدأوا يعتقدون الآن أن "الإنسان قد أتى إلى حيز الوجود بمحض الصدفة، وأنه عبارة عن حيوان تطور بفعل الصراع من أجل البقاء". هناك ثمن باهظ يجب دفعه مقابل هذه الخدعة الخطيرة. ذلك أن الأيديولوجيات العنيفة – مثل العنصرية، والفاشية، والشيوعية، ومذاهب عالمية همجية كثيرة غيرها تقوم على النزاع – قد استمدت جميعها القوة من هذه الخدعة.

وتدرس هذه المقالة هذه الكارثة التي ألحقها داروين بالعالم وتكشف صلتها بالإرهاب، الذي يُعد إحدى أهم المشكلات العالمية في عصرنا هذا.

الأكذوبة الداروينية: "الحياة نزاع"

لقد انطلق داروين في نظريته من مقدمة منطقية أساسية هي: "يعتمد تطور الكائنات الحية على الصراع من أجل البقاء. ويفوز القوي في الصراع، في حين يُحكم على الضعيف بالهزيمة والنسيان".

ووفقا لداروين، يوجد صراع قاس من أجل البقاء ونزاع أبدي في الطبيعة. ويتغلب القوي دائما على الضعيف، وهذا ما يؤدي إلى حدوث التطور. وقد ضمَّن داروين رأيه هذا في العنوان الفرعي الذي أطلقه على كتابه أصل الأنواع، "أصل الأنواع بواسطة الانتقاء

الطبيعي أو الحفاظ على الأجناس المفضلة في الصراع من أجل الحياة" The Origin of Species, "The Origin of Species by, Means of Natural Selection or the Preservation of Favoured Races in the Struggle for life."

وعلاوة على ذلك، فقد زعم داروين أن "الصراع من أجل البقاء" ينطبق أيضا على الأجناس البشرية. ووفقا لهذا الزعم الخيالي، انتصرت "الأجناس الموهوبة" في الصراع. وكانت الأجناس الموهوبة تتمثل، في رأي داروين، في الأوروبيين البيض؛ أما الأجناس الإفريقية أو الآسيوية فقد تخلفت عن الركب أثناء الصراع من أجل البقاء. وقد تمادى داروين في آرائه وألمح إلى أن هذه الأجناب سرعان ما ستخسر "الصراع من أجل البقاء" بأكمله، وبالتالي ستنقرض.

"في فترة ما في المستقبل، ليست بعيدة بمقياس القرون، يكاد يكون مؤكدا أن الأجناس المتحضرة من البشر ستتمكن من استئصال الأجناس الهمجية والحلول محلها في كل أنحاء العالم. وفي نفس الوقت، ستكون القردة الشبيهة بالإنسان قد استؤصلت بلا شك. وستكون الهوة الفاصلة بين الإنسان وأقرب الكائنات إليه أكثر اتساعا، وفي النتيجة لا يبقى هناك إلا الأعراق الأكثر تمدنا حتى من الأعراق الأوروبية... ثم قردة من أنواع البابون التي هي أوطأ من الزنوج ومن سكان استراليا الأصليين" (1)

وتفسر عالمة الأنثروبولوجيا الهندية لاليتا فيديارثي Lalita Vidyarthi كيف قامت نظرية التطور لداروين بفرض العنصرية على العلوم الاجتماعية:

"لقد لاقت نظريته (نظرية داروين) الخاصة بالبقاء للأصلح ترحيبا حارا من قبل علماء العلوم الاجتماعية في ذلك العصر، الذين اعتقدوا أن البشر قد حققوا مستويات متنوعة من التطور وصلت إلى أوجها في حضارة الرجل الأبيض. وبحلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أصبحت العنصرية حقيقة مقبولة لدى الأغلبية العظمى من علماء الغرب.(2)



مصدر إلهام داروين: نظرية مالثوس الخاصة بالقسوة



توماس روبارت مالثوس

لقد تمثل مصدر إلهام داروين في هذا الموضوع في كتاب الاقتصادي البريطاني توماس مالثوس Thomas Malthus الذي يحمل عنوان: مقال حول مبدأ السكان An Essay on the Principle of Population. حيث قدَّر مالثوس أن سكان العالم – إذ تُركوا وشأنهم – قد زادوا زيادة سريعة. وقد رأى أن المؤثرات الأساسية التي سيطرت على عدد السكان هي الكوارث مثل الحروب، والمجاعات، والأمراض. وباختصار، ووفقا لهذا الزعم الوحشي، كان لا بد أن يموت بعض الناس كي يعيش البعض الآخر. وأصبح البقاء يعنى "الحرب الدائمة".

وفي القرن التاسع عشر، لاقت آراء مالثوس قبولا واسعا. وأيد مثقفو الطبقة العليا من الأوروبيين، على وجه الخصوص، هذه الأفكار القاسية. وفي مقالة "الأجندة العلمية السرية للنازيين"، ورد الوصف التالي للأهمية التي أعطتها أوروبا في القرن التاسع عشر لآراء مالثوس حول السكان:

في النصف الأول من القرن التاسع عشر، اجتمع أعضاء الطبقات الحاكمة من جميع أنحاء أوروبا، لمناقشة "المشكلة السكانية" المكتشفة حديثا، ولإيجاد سبل لتنفيذ أفكار مالثوس، وذلك بزيادة معدل الوفيات بين الفقراء: "بدلا من توصية الفقراء بالنظافة، يجب أن نشجعهم على العادات المناقضة. لذا، يجب علينا أن نضيق الشوارع في بلداننا، ونحشر مزيدا من الناس في المنازل، ونشجع على عودة الطاعون. وفي الريف، يجب أن نبني قرانا قرب البرك الراكدة، ونشجع على وجه الخصوص استيطان المستنقعات غير الصحية،" وهكذا دواليك.(3)

ونتيجة لهذه السياسة القاسية، سوف يتم التخلص من الضعفاء ومن أولئك الذين يخسرون الصراع من أجل البقاء، وفي المحصلة سوف تتوازن الزيادة السريعة في عدد السكان. وقد تم تنفيذ سياسة "اضطهاد الفقراء" تلك فعليا في بريطانيا خلال القرن التاسع عشر، وذلك بعد وضع نظام صناعي تم بموجبه إجبار الأطفال في سن الثامنة والتاسعة على العمل ست ساعات في اليوم بمناجم الفحم، مما أدى إلى موت الآلاف منهم نتيجة لظروف العمل الرهيبة. لقد فرض "الصراع من أجل البقاء"، الذي طالب به مالثوس في نظريته، على ملايين البريطانيين أن يعيشوا حياة مليئة بالمعاناة.

ونظرا لتأثره بهذه الأفكار، طبق داروين فكرة الصراع هذه على الطبيعة بأكملها، ورأى أن القوي والأصلح يخرج منتصرا من حرب البقاء تلك. وفضلا عن ذلك، ادعى أن ما يسمَّى صراع البقاء كان أحد قوانين الطبيعة المبررة والثابتة. ومن ناحية أخرى، دعا الناس إلى نبذ معتقداتهم الدينية من خلال إنكار الخلق، ومن ثم فقد استهدف جميع القيم الأخلاقية التي يمكن أن تشكل عائقا أمام قسوة "الصراع من أجل البقاء".

لقد دفعت البشرية في القرن العشرين ثمنا باهظا نتيجة لانتشار هذه الأفكار الزائفة التي دفعت الأفراد إلى القسوة والوحشية.

ما أفضى إليه "قانون الغاب" : الفاشية

مثلما غذت الداروينية العنصرية في القرن التاسع عشر، فقد شكلت أساسا لأيدلوجية تطورت وأغرقت العالم في بحر من الدماء في القرن العشرين وهي: النازية.

ويمكن أن نلاحظ تأثيرا داروينيا قويا في الأيديولوجيات النازية. إذ إن الدارس لهذه النظرية، التي شكلها أدولف هتلر وألفريد روزنبرج Adolf Hitler and Alfred Rosenberg، سوف يصادف أفكارا مثل "الانتقاء الطبيعي"، و"التزاوج المختار"، و"الصراع من أجل البقاء بين الأجناس"، وهي الأفكار التي تتكرر عشرات المرات في كتاب أصل الأنواع. وعندما أطلق هتلر على كتابه اسم Mein Kampf (كفاحي)، استوحى أفكاره من فكرة الصراع الدارويني من أجل البقاء ومن مبدأ النصر للأصلح. وقد تحدث على وجه الخصوص عن الصراع بين الأجناس:

"سوف يصل التاريخ إلى أوجه في إمبراطورية ألفية جديدة تتسم بعظمة لا مثيل لها، وتستند إلى تسلسل جديد للأجناس تقرره الطبيعة ذاتها".(4)

وفي الاجتماع الحاشد لحزب نيورمبيرج Nuremberg عام 1933، أعلن هتلر أن "الجنس الأعلى يُخضع لنفسه الجنس الأدنى ... وهو حق نراه في الطبيعة ويمكن اعتباره الحق الأوحد القابل للإدراك".

إن تأثر النازيين بالداروينية حقيقة يقبلها تقريبا معظم المؤرخين المتمرسين في هذا المجال. إذ يصف المؤرخ هيكمان Hickman تأثير الداروينية على هتلر على النحو الآتي:

لقد كان (هتلر) مؤمنا راسخا بالتطور ومبشرا به. وأيا كانت عقده النفسية الأعمق والأعوص، فإن من المؤكد أن (فكرة الصراع كانت مهمة بالنسبة له لأن) ... كتابه، Mein Kampf (كفاحي)، يبين بوضوح عددا من الأفكار التطورية، وخاصة تلك التي تؤكد على الصراع، والبقاء للأصلح، وإبادة الضعفاء لإنتاج مجتمع أفضل.(5)

لقد تسبب هتلر، الذي ظهر بهذه الأفكار، في جر العالم إلى عنف لم يشهد له مثيلا من قبل. فقد تعرضت العديد من الجماعات العرقية والسياسية، وخاصة اليهود، إلى قسوة رهيبة في معسكرات الاعتقال النازية. ودفع 55 مليون شخص حياتهم ثمنا للحرب العالمية الثانية، التي بدأت بالغزو النازي. إن الفكرة الداروينية القائلة "بالصراع من أجل البقاء" هي المسئولة عن أكبر مأساة في تاريخ العالم.



التحالف الدامي: الداروينية والشيوعية

في حين يحتل الفاشيون الجناح الأيمن من الداروينية الاجتماعية، يشغل الشيوعيون الجناح الأيسر. ولطالما كان الشيوعيون من بين أشرس المدافعين عن نظرية داروين.

ويعود تاريخ هذه العلاقة بين الداروينية والشيوعية إلى مؤسسَيْ هذين "المذهبين". فقد قرأ ماركس Marx وإنجلز Engels، مؤسّسا الشيوعية، كتاب أصل الأنواع لداروين بمجرد صدوره، وانبهرا بالأسلوب "المادي الجدلي" الذي اتبعه. وقد أوضحت المراسلات التي جرت بين ماركس وإنجلز اتفاقهما في الرأي على أن نظرية داروين "تحتوي على أساس للشيوعية في التاريخ الطبيعي". وفي كتابه المنطق الجدلي للطبيعة The Dialectics of Nature، الذي كتبه تحت تأثير داروين، أغدق إنجلز المدح على داروين، وحاول أن يقدم إسهامه في النظرية في الفصل الذي يحمل عنوان: "الدور الذي لعبه العمال في التحول من القرد إلى الإنسان" The Part 'Played by Labour in the Transition from Ape to Man.

وقد اتفق الشيوعيون الروس الذي ساروا على خطى ماركس وإنجلز، من أمثال بليخانوف Plekhanov، ولينين Lenin، وتروتسكي Trotsky، وستالين Stalin، في الرأي مع نظرية التطور لداروين. وكان بليخانوف، الذي يعد مؤسس الشيوعية الروسية، يعتبر الماركسية "تطبيقا للداروينية في العلوم الاجتماعية".(6)

وقال تروتسكي: "يجسد اكتشاف داروين أعلى نصر للمنطق الجدلي في مجال المادة العضوية بأكمله".(7)

وقد لعب "التعليم الدارويني" دورا رئيسا في تشكيل الكوادر الشيوعية. فعلى سبيل المثال، لاحظ المؤرخون حقيقة أن ستالين كان متدينا في شبابه، ولكنه أصبح ملحدا بسبب كتب داروين.(8)

أما بالنسبة لماو Mao، الذي أقام أسس الحكم الشيوعي في الصين وقتل ملايين الأشخاص، فقد أعلن صراحة أن "الاشتراكية الصينية تقوم على فكر داروين ونظرية التطور".(9)

وقد خاض مؤرخ في جامعة هارفارد يدعى جيمس ريف باسي James Reeve Pusey في تفاصيل أكبر حول تأثير الداروينية على ماو والشيوعية الصينية، وذلك في كتابه الأكاديمي الذي يحمل عنوان الصين وتشارلز داروين China and Charles Darwin. (10



وباختصار، هناك رابطة لا تنفصم بين نظرية النشوء والارتقاء والشيوعية. إذ تدعي النظرية أن الكائنات الحية هي نتاج المصادفات، وتقدم سندا علميا مزعوما للإلحاد. ولهذا السبب، توجد رابطة متينة بين الشيوعية، كأيدلوجية إلحادية، وبين الداروينية. وعلاوة على ذلك، تزعم نظرية النشوء والارتقاء أن التطور في الطبيعة ممكن بفضل النزاع (وفي عبارة أخرى "الصراع من أجل البقاء") وتؤيد فكرة "المنطق الجدلي" التي تمثل ركنا أساسيا من أركان الفكر الشيوعي.

وإذا اعتبرنا المفهوم الشيوعي "للنزاع الجدلي" – الذي قتل نحو 120 مليون شخص طوال القرن العشرين – "آلة للقتل"، يمكننا حينئذ أن نفهم بشكل أفضل حجم الكارثة التي ألحقتها الداروينية بكوكبنا.

الداروينية والإرهاب

كما رأينا حتى الآن، تعتبر الداروينية أساسا لعديد من أيديولوجيات العنف التي شكلت كوارث للجنس البشري في القرن العشرين. ومع ذلك، فقد حددت الداروينية، بالإضافة إلى هذه الأيديولوجيات، "فهما خلقيا" و"منهجا" يمكن أن يؤثر في عديد من الآراء المنتشرة في العالم. وتتمثل الفكرة الأساسية وراء الفهم والمنهج المذكورين في "محاربة أولئك الذين ليسوا منا".

ويمكننا أن نفسر ما سبق بالطريقة التالية: هناك معتقدات، وآراء، وفلسفات مختلفة في هذا العالم. ويمكن لمعتنقي هذه المعتقدات والآراء والفلسفات أن ينظروا إلى بعضهم البعج بإحدى طريقتين:

يمكنهم أن يحترموا وجود الآخرين الذين لا يفكرون مثلهم، ويحاولوا أن يقيموا حوارا معهم، باستخدام منهج منطق بشري.

يمكنهم أن يختاروا محاربة الآخرين، ويحاولوا أن يؤمِّنوا ميزة لأنفسهم من خلال تدميرهم، وفي عبارة أخرى، أن يتصرفوا مثل الحيوان.

إن الرعب الذي نطلق عليه الإرهاب ما هو إلا تعبير عن الطريقة الثانية.

وعندما ندرس الاختلاف بين هذين المنهجين، يمكننا أن ندرك أن فكرة "الإنسان بوصفه حيوانا محاربا" التي فرضتها الداروينية على الناس دون وعي منهم مؤثرة بشكل خاص. ومن المحتمل ألا يكون الأفراد والجماعات التي تختار طريق النزاع قد سمعت عن الداروينية ومبادئ هذه الأيدلوجية على الإطلاق. ولكنها تتفق في نهاية الأمر مع رأي يستند أساسه الفلسفي إلى الداروينية. إن ما يدفع هؤلاء الأفراد وتلك الجماعات إلى الاعتقاد بصحة هذا الرأي هو الشعارات القائمة على الداروينية مثل: "في هذا العالم، البقاء للأقوى"، و"السمكة الكبيرة تبتلع السمك الصغير"، و"الحرب قوة"، و"الإنسان يتقدم بشن الحرب". استبعد الداروينيـــة، وكل ما سيتبقى لديك هو شعارات فارغة.



إن الذين يرتكبون أعمال الإرهاب في أي مكان من الأرض هم عبارة عن نسخ من داروين بغض النظر عن الإيديولوجيات التي تحركهم. فالداروينية فلسفة تحرض على الصراع

وفي الواقع، إذا استبعدنا الداروينية، لن تتبقى أية فلسفة "للنزاع". ذلك أن الديانات السماوية الثلاث التي يؤمن بها معظم الناس في العالم، الإسلام، والمسيحية، واليهودية تعارض العنف. وترغب الديانات الثلاث جميعها في نشر السلام والتآلف في العالم، وتعارض قتل الأبرياء وتعريضهم للقسوة والتعذيب. وتنتهك فكرتا النزاع والعنف المبادئ الأخلاقية التي وضعها الله سبحانه وتعالى للإنسان، وهما فكرتان غير طبيعيتين وغير مرغوبتين. ومع ذلك، تنظر الداروينية إلى النزاع والعنف وتصورهما على أنهما فكرتان طبيعيتان، ومبررتان، وصحيحتان يجب أن تبقَيا.

ولهذا السبب، إذا ارتكب بعض الناس أعمالا إرهابية باسم مفاهيم ورموز الإسلام، والمسيحية، واليهودية يمكنك أن تتأكد من أن هؤلاء الناس ليسوا بمسلمين، أو مسيحيين، أو يهود. بل هم في الواقع داروينيون اجتماعيون. فهم يختبئون تحت عباءة الدين، ولكنهم ليسوا مؤمنين حقيقيين. وحتى إذا ادعوا أنهم يخدمون الدين، فهم في الواقع أعداء للدين وللمتدينين. ذلك أنهم يرتكبون هذه الجرائم البشعة التي ينهى عنها الدين ، ويشوهون بهذه الطريقة صورة الدين في عيون الناس.

ولهذا السبب، يتضح أن جذور الإرهاب الذي يعذب كوكبنا لا تكمن في أي من الديانات السماوية، وإنما تكمن في الإلحاد، الذي يتم التعبير عنه في عصرنا هذا من خلال: "الداروينية" و"المادية".

الإسلام هو الحل لمشكلة الإرهاب

إن بعض الناس الذين يقولون إنهم يتصرفون باسم الدين قد يسيئون فهم دينهم أو يمارسونه ممارسة خاطئة. ولهذا السبب، يصبح من الخطأ تكوين أية فكرة عن هذا الدين من خلال نشاطات هؤلاء الناس. وتتمثل أفضل طريقة لفهم الإسلام في مصدره المقدس.

ويتمثل المصدر المقدس للإسلام في القرآن الكريم؛ كما أن نموذج المبادئ الأخلاقية الوارد في القرآن – الإسلام – مختلف تماما عن الصورة التي تكونت عنه في أذهان بعض الغربيين. إذ يرتكز القرآن على مفاهيم الأخلاق، والحب، والشفقة، والرحمة، والتواضع، والتضحية بالنفس، والتسامح، والسلام، كما أن المسلم الذي يعيش حقًّا وفقا لهذه التعاليم الأخلاقية يتميز بدرجة عالية من التهذيب، ورجاحة العقل، والتسامح، والثقة، واللطف. لذا، فهو يمد من حوله بالحب، والاحترام، والسلام، والإحساس ببهجة الحياة.

الإسلام دين السلام والخير

تعني كلمة الإسلام بالعربية "السلام". فقد جاء الإسلام لكي يقدم للبشرية حياة مليئة بالسلام والخير تظهر فيها رحمة الله وعطفه الأبدي على هذا العالم. إذ يدعو الله كل الناس إلى قبول التعاليم الأخلاقية للقرآن بوصفها نموذجا للرحمة، والشفقة، والتسامح، والسلام الذي يمكن أن يلاقيه المرء في هذا العالم. وقد أنزل الله هذا الأمر في الآية 208 من سورة البقرة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. ﴾

وكما نرى في هذه الآية، فلن يتمكن الناس من أن ينعموا بالخير إلا بقبول الإسلام والعيش وفقا للتعاليم الأخلاقية الواردة في القرآن الكريم.



الله تعالى يدعو الناس إلى السلام والامان بينما تسعى الإيديولوجيات اللادينية إلى إثارة الحقد ونشر العنف والصراع والتحريض عليهما..

الله يبغض الأذى

لقد أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان أن يتجنب الشر؛ فقد نهى عن الكفر، والفسوق، والعصيان، والوحشية، والعدوانية، والقتل، وإراقة الدماء. ومن ثم، فإن أولئك الذي يعصون أمر الله يتبعون خطوات الشيطان، كما قال سبحانه وتعالى في الآية المذكورة أعلاه، وقد اتخذوا موقفا أعلن الله بوضوح أنه موقف محرّم. ومن بين الآيات العديدة المتصلة بهذا الموضوع، لن نسوق هنا سوى آيتين:

﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ من بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (سورة الرعد: 25).

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة القصص: 77).

وكما نرى هنا، فقد نهى الله عن شتى أنواع الأفعال المؤذية بما في ذلك الإرهاب والعنف، وأدان الدين الإسلامي أولئك الذي يرتكبون مثل هذه الأفعال. فالمسلم يضيف الجمال إلى العالم ويجعله أفضل.

الإسلام يدافع عن التسامح وحرية التعبير

الإسلام دين يرعى حرية الحياة والفكر. فقد نهى عن التوتر والتراع بين الناس، والافتراء، والأخذ بالشبهات دون تثبت، بل حتى عن التفكير في شخص ما بأفكار سيئة.

و لم ينهَ الإسلام عن الإرهاب والعنف فحسب، بل نهى كذلك عن فرض أية فكرة على إنسان آخر.

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: 256).

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ (سورة الغاشية: 21–22).

إن إجبار أي شخص على اعتناق دين أو ممارسته هو أمر ضد روح الإسلام وجوهره لأن من الضروري أن يكون الإيمان مقبولا بإرادة وضمير حر. وبالطبع، يجوز للمسلمين أن يحثوا بعضهم البعض على المحافظة على التعاليم الأخلاقية التي علمهم إياها القرآن، ولكنهم لا يلجئون إلى الإجبار أبدًا. وعلى أية حال، فمن غير الممكن أن يُستحث الفرد على ممارسة الدين بتقديم ميزة دنيوية له.

دعونا نتخيل نموذجا معاكسا تماما للمجتمع، مثلا، عالَمًا يتم فيه إجبار الناس على ممارسة الدين بقوة القانون. من الواضح أن المجتمع الذي يقوم على مثل هذا النموذج يتنافى تماما مع الإسلام لأن الإيمان والعبادة ليس لهما أية قيمة إلا إذا كانا موجهين لله سبحانه وتعالى. فلو أن هناك نظاما يجبر الناس على الإيمان والعبادة، لاعتنق الناس الدين بدافع الخوف من النظام. ولكن المقبول من وجهة نظر الدين هو وجود بيئة يُسمح فيها بحرية الضمير، ويُمارس فيها الدين لنيل رضا الله.

لقد حرّم الله قتل الأبرياء

حسبما ورد في القرآن الكريم، فإن إحدى أعظم الخطايا هي قتل إنسان دون خطأ ارتكبه.

﴿ ... مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (سورة المائدة: 32)

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (سورة الفرقان: 68).

وكما نرى في الآيتين السابقتين، فقد توعد الله أولئك الذين يقتلون البشر الأبرياء دون ذنب بعذاب شديد. وقد بيّن الله أن قتل شخص واحد خطيئة تعادل في شدتها قتل الناس أجمعين. ومن ثم، فإن أي شخص يحترم حدود الله لن يؤذي حتى شخصا واحدا، ناهيك عن قتل آلاف الناس الأبرياء. ويجب التنويه هنا إلى أن الذين يعتقدون أنهم سيفلتون من العدل والقصاص في هذا العالم لن يستطيعوا أبدا الهرب من تقديم تفسير لتصرفاتهم أمام الله في اليوم الآخر. وهكذا، فإن أولئك المؤمنين الذين يعرفون أنهم سيقدمون تفسيرا لأعمالهم أمام الله بعد الموت سيتوخون قدرا كبيرا من الحذر لاحترام حدود الله التي وضعها.



الله يأمر المؤمنين بالشفقة والرحمة

لقد ورد في هذه الآية تفسير لمبادئ المسلم الأخلاقية:

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ. أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ (سورة البلد: 17–18).

وكما يتضح لنا في هاتين الآيتين، يتمثل أحد أهم التعاليم الأخلاقية التي أنزلها الله على عباده حتى يحصلوا على الخلاص والرحمة وينالوا الجنة، في قوله تعالى "تواصوا بالمرحمة".

إن الإسلام كما هو موصوف في القرآن الكريم هو دين عصري، ومستنير، ومتطور. فالمسلم قبل كل شيء شخص مسالم؛ فهو شخص متسامح يتحلى بروح ديمقراطية، ومثقف، ومستنير، وصادق، وحسن الاطلاع على الفنون والعلوم، ومتحضر.

إن المسلم الذي ينشأ على التعاليم الأخلاقية الرفيعة الواردة في القرآن الكريم؛ يقترب من الجميع بالحب الذي يتوقعه منه الإسلام، ويظهر الاحترام لكل فكرة ويقدر الفن والجماليات. إنه يتحلى بالرضا عند مواجهة أي حدث، مما يقلل من التوتر ويعيد التفاهم. ولا شك في أن المجتمعات المكونة من مثل هؤلاء الأفراد، ستتسم بحضارة أكثر تقدما؛ ومبادئ أخلاقية أسمى؛ وبمزيد من البهجة، والسعادة، والعدل، والأمان، والخير، والنعم التي تفوق ما هو موجود في أكثر الأمم معاصرةً في عالمنا اليوم.

لقد أمر الله بالتسامح والعفو

تعبر الآية 199 من سورة الأعراف، التي تقول "خذ العفو"، عن مفهوم العفو والتسامح الذي يمثل أحد المبادئ الأساسية للدين الإسلامي.

فعندما ننظر إلى التاريخ الإسلامي، يمكننا أن نرى بوضوح كيف رسخ المسلمون هذا المبدأ المهم من التعاليم الأخلاقية القرآنية في حياتهم الاجتماعية. ففي كل مرحلة من مراحل تقدمهم، قضى المسلمون على الممارسات المحرمة وأنشأوا بيئة حرة ومتسامحة. أما بالنسبة للدين واللغة والثقافة، فقد أتاحوا لأناس متعارضين مع بعضهم البعض تماما أن يعيشوا تحت سقف واحد في جو من الحرية والسلام، مما أعطى لرعاياهم ميزات المعرفة، والثراء، والمركز الاجتماعي الرفيع. وبنفس الطريقة، فإن أحد أهم الأسباب التي أتاحت للإمبراطورية العثمانية الكبيرة والمترامية الأطراف أن تحافظ على بقائها لعدة قرون يتمثل في طريقة الحياة السائدة التي كان يوجهها التسامح والفهم اللذان جاء بهما الإسلام. ولعدة قرون، كان المسلمون معروفين بتسامحهم وتراحمهم، وفي كل عصر من العصور كانوا أعدل الناس وأرحمهم. وقد مارست كل المجموعات العرقية داخل هذا المجتمع متعدد القوميات دياناتها التي اعتنقتها على مر السنين، وتمتعت بكل فرصة للحياة في ظل ثقافاتها، وممارسة عباداتها بطريقتها الخاصة.

وفي الواقع، فإن النمط الخاص لتسامح المسلمين، إذا تمت ممارسته على النحو الذي أمر الله به في القرآن الكريم، فإنه سيكفي وحده ليعم السلام والخير العالم بأكمله. ويشير القرآن الكريم إلى هذا النمط الخاص من التسامح في الآية التالية:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (سورة فصلت: 34).

الخاتمة

يتضح لنا من كل ما سبق أن التعاليم الأخلاقية التي يقدمها الإسلام للبشرية هي تعاليم تعود على العالم بالسلام والسعادة والعدل. ومن ثم، يتضح لنا أن الهمجية التي تحدث في عالمنا اليوم باسم "الإرهاب الإسلامي" بعيدة كل البعد عن التعاليم الأخلاقية للقرآن الكريم؛ فهي نتاج لأناس جهلة، متعصبين، مجرمين لا يمتون للدين بصلة. ويتمثل الحل الذي يجب أن يطبق على هؤلاء الأفراد وتلك الجماعات التي تحاول أن ترتكب الأفعال الهمجية تحت ستار الإسلام، في إرشاد الناس إلى تعاليم الإسلام الأخلاقية الحقيقية.

وفي عبارة أخرى، لا يؤيد الدين الإسلامي وتعاليم القرآن الأخلاقية الإرهاب والإرهابيين، بل هما العلاج الذي يمكن من خلاله إنقاذ العالم من كارثة الإرهاب.

---

1. تشارلز داروين، سلالة الإنسان The Descent of Man، الطبعة الثانية، نيويورك، شركة إيه إل بيرت 1874, ،A L. Burt Co. صفحة رقم 178.
2. لاليتا براساد فيديارثي، العنصرية، والعلم، والعلم الزائف Racism, Science, and Pseudo-Science، اليونسكو، فرنسا، فيندوم 1983, ،Vendôme صفحة رقم 54.
3. ثيودور دي. هول Theodore D. Hall، الخلفية العلمية لبرنامج "التطهير العرقي" النازي http://www.trufax.org/avoid/nazi.html ، The Scientific Background of the Nazi «Race Purification » Program
4. إل. إتچ. جان L. H. Gann، "أدولف هتلر، الشمولي الكامل" «Adolf Hitler, The Complete Totalitarian»، استعراف اشتركت فيه كليات متعددة Intercollegiate Review، خريف 1985, صفحة رقم 24؛ ورد في كتاب هنري إم. موريج Henry M. Morris، بعنوان الحرب الطويلة ضد الله The Long War Against God، دار نشر بيكر للكتاب 1989, ،Baker Book House صفحة رقم 78.
5. هيكمان آر.، الخلق الحيوي Biocreation، دار نشر العلوم Science Press، وورثنجتون، أوهايو، الصفحات من 51–1983 ,52؛ جيري بيرجمان Bergman، " Jerryالداروينية والمحرقة النازية للأجناس "، مجلة الخلق من العدم الفنية Creation Ex Nihilo Technical Journal 13 (2): الصفحات من 101–.111,1999.
6. روبرت إم. يونج Robert M. Young، التطور الدارويني والتاريخ البشري Darwinian Evolution and Human History، دراسات تاريخية حول العلم والمعتقدات، 1980.
7. آلان وودز وتيد جرانت Alan Woods and Ted Grant، المنطق المتمرد؛ الماركسية والعلوم المعاصرة Reason in Revolt; Marxism and Modern Science، لندن، 1993.
8. ألكس دو جونغ Alex de Jonge، ستالين وتشكيل الاتحاد السوفييتي Stalin and the Shaping of the Soviet Union، أبناء ويليام كولنز والشركة المحدودة William Collins Sons & Limited Co. ، جلاسكو، 1987, صفحة رقم 22.
9. كي. ميهنرت K. Mehnert، Kampf um Mao's Erbe، Deutsche Verlags-Anstalt، 1977.
10. جيمس ريف باسي، الصين وتشارلز داروين China and Charles Darwin، كيمبردج Cambridge، ماساشوستس، 1983.

مقدمة

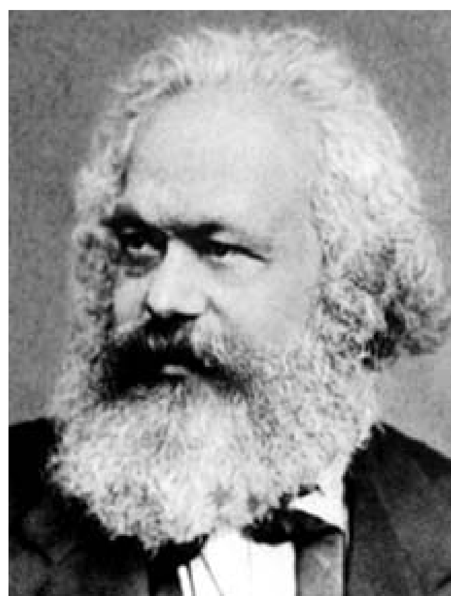
لماذا نظرية التطور؟

إن نظرية التطور أو الداروينية لا تمثل، في رأي بعض الناس، سوى دلالات علمية، ليس لها – حسبما يبدو لهم – أي تأثير مباشر في حياتهم اليومية. وهذا بالطبع سوء فهم شائع. ذلك أن نظرية التطور تتجاوز إلى حد بعيد مجرد كَوْنها موضوعًا في إطار العلوم البيولوجية، لتشكِّل أساس فلسفة خادعة كان لها تأثير بالغ على عدد كبير من الناس، وهي الفلسفة المادية.

إن الفلسفة المادية – التي لا تقبل وجود شيء سوى المادة، وتفترض مقدما أن الإنسان "كومة من المادة" – تؤكد أنه ليس سوى حيوان، يشكل "الصراع" القاعدة الوحيدة لوجوده. وبالرغم من الترويج لها بوصفها نظرية حديثة تقوم على العلم، فإن المادية في الحقيقة ليست سوى عقيدة قديمة تفتقر إلى أي أساس علمي. فهذه العقيدة – التي تم اعتناقها في اليونان القديمة – قد أعاد اكتشافها الفلاسفة الملحدون في القرن الثامن عشر. وبعد ذلك تم غرسها في القرن التاسع عشر في فروع علمية عديدة بواسطة مفكرين مثل كارل ماركس Karl Marx، وتشارلز داروين Charles Darwin، وسيجموند فرويد Sigmund Freud. وبعبارة أخرى، فقد تم تشويه العلم ليفسح المجال للفلسفة المادية.

لقد كان القرنان الماضيان ميدان صراع دموي للفلسفة المادية: فالإيديولوجيات القائمة على المادية (أو الإيديولوجيات المتنافسة المناهضة للمادية، ولكنها تشاركها عقائدها الأساسية) قد أتت بالعنف والحروب والفوضى الدائمة إلى العالم. إن الشيوعية – المسؤولة عن موت 120 مليون إنسان – هي النتيجة المباشرة للفلسفة المادية. وبالرغم من تظاهر الفاشية بأنها بديل للرؤية المادية للعالم، فقد قبلت المفهوم المادي الأساسي المتمثل في التقدم من خلال الصراع، وكانت بمثابة الشرارة الأولى لأنظمة ظالمة، ومذابح، وحروب عالمية، وإبادة جماعية.





لقد صرح كارل ماركس بأن النظرية الداروينية شكلت بالنسبة إلى المادية وبالتالي إلى الإيديولوجية الشيوعية الأساس الصلب. وقد عبر كارل ماركس في أشهر كتبه "رأس المال" عن إعجابه الشديد بداروين، بل و صدر كتابه بإهداء إليه. ففي النسخة الخطية باللغة الألمانية كتب ماركس ما يلي: "إلى شارلز داروين من أشد المعجبين بك كارل ماكس".

وبالإضافة إلى هاتين الإيديولوجيتين الدمويتين، فإن الأخلاق الفردية والاجتماعية قد فسدت كذلك بسبب المادية.

إن الرسالة الخادعة للمادية – باختزالها الإنسان إلى حيوان وُجد بالصدفة، ولا يحمل أي قدر من المسؤولية تجاه أي كائن – قد هدمت الركائز الخُلُقية مثل الحب، والرحمة، والتضحية بالنفس، والتواضع، والأمانة، والعدل. وإذ ضُلل الناس بشعار الماديين "الحياة صراع"، فقد وصل بهم الأمر إلى ألا يروا في حياتهم أكثر من صدام للمصالح، أفضى بدوره إلى حياة يحكمها قانون الغابة.

ويمكننا أن نجد آثار هذه الفلسفة – التي تفسر إلى حد كبير الكوارث التي صنعها الإنسان في القرنين الماضيين – في كل إيديولوجية تنظر إلى الاختلافات بين

البشر بوصفها "سببا للصراع"، بما في ذلك الإرهابيون في عصرنا الحاضر الذين يدعون نصرة الدين، إلا أنهم يرتكبون أحدى أعظم الكبائر بقتلهم الأبرياء.

وتأتي نظرية التطور، أو الداروينية، في هذه المرحلة لتكمل الصورة. إنها تقدم الخرافة المتمثلة في أن المادية فكرة علمية. وهذا ما يفسر أن كارل ماركس، مؤسس الشيوعية والمادية الجدليـــة، قد كتب أن الداروينية هي "الأساس في التاريخ الطبيعي" في رؤيته للعالم.(1)

ومع ذلك، فإن ذلك الأساس فاسد. ذلك أن الاكتشافات العلمية الحديثة تكشف يوما بعد يوم أن الاعتقاد الشائع الذي يربط الداروينية بالعلم هو اعتقاد زائف. إن الأدلة العلمية تدحض الداروينية تماما، وتكشف أن أصل وجودنا ليس التطور، وإنما هو الخلق. لقد خلق الله الكون، وكل الكائنات الحية، والإنسان.

وقد كُتب هذا الكتاب ليجعل هذه الحقيقة معروفة للناس. ومنذ نشره للمرة الأولى في تركيا، ثم في بلدان عديدة أخرى، قرأ ملايين الناس هذا الكتاب وقدَّروه. وبالإضافة إلى اللغة التركية، فقد طُبع هذا الكتاب بالإنجليزية، والإيطالية، والأسبانية، والروسية، والصينية، والبوسنية، والعربية، والماليزية، والإندونيسية، والأوردية. (هذا الكتاب متاح مجانا بجميع هذه اللغات في الموقع التالي على شبكة الإنترنت: www.evolutiondeceit.com).

لقد اعترف بتأثير كتاب "خدعة التطور" «The Evolution Deceit» قادة معارضي هذا الرأي. وكان "هارون يحيى" موضوعا لمقال نشر في مجلة «New Scientist»(العالم الجديد)، بعنوان "إحراق داروين" «Burning Darwin». لقد سجلت هذه المجلة الرائدة المعروفة، المؤيدة للداروينية، في عددها بتاريخ 22 أبريل ،2000 أن "هارون يحيى" هو "بطل عالمي"، معربةً عن قلقها من أن كتبه "قد انتشرت في كل مكان في العالم الإسلامي".

أما مجلة «Science» (العلم)، وهي المجلة الرائدة في المجتمع العلمي بوجه عام، فقد أكدت تأثير ورفعة مستوى كتب "هارون يحيى". وقد سجل مقال مجلة «Science» بعنوان "نظرية الخلق تتأصل حيث تلتقي أوروبا وآسيا" «Creationism Takes Root Where Europe, Asia Meet»، في عددها الصادر بتاريخ 18 مايو ،2001 أنه في تركيا "أصبحت كتب رفيعة المستوى مثل The Evolution Deceit (خدعة التطور) وThe Dark Face of Darwinism (الوجه المظلم للداروينية) ... أكثر تأثيرا من كتب التطور في مناطق معينة من البلاد". ثم يستمر كاتب المقال ليقيِّم كتب "هارون يحيى"، التي أنشأت – على حد قوله –"إحدى أقوى الحركات العالمية المعارضة للتطور خارج أمريكا الشمالية".

وعلى الرغم من أن مثل هذه المجلات المؤيدة للتطور تسجل تأثير كتاب "خدعة التطور"، فإنها لا تقدم أي إجابات علمية للرد على البراهين الواردة به. والسبب – بالطبع – أن هذا ببساطة غير ممكن. إن نظرية التطور في مأزق لا تستطيع الفكاك منه بحال من الأحوال، وهذه حقيقة سوف تكتشفها وأنت تقرأ الفصول التالية من الكتاب. وسوف يساعدك هذا الكتاب في إدراك أن الداروينية ليست نظرية علمية، وإنما هي عقيدة زائفة تتمسح بالعلم، يتم تأييدها – بالرغم من الأدلة التي تثبت خطأها وتدحضها كليةً – باسم الفلسفة المادية.

إننا نأمل أن يستمر كتاب "خدعة التطور"، لوقت طويل، في إسهامه فيدحض العقيدة المادية–الداروينية، التي ضللت الإنسانية منذ القرن التاسع عشر. وسوف يذكِّر هذا الكتاب الناس بالحقائق الحاسمة في حياتهم، مثل كيف جئنا إلى الوجود وما هي واجباتنا تجاه خالقنا.

التصميم الواعي يعني الخلق

من حين إلى آخر تصادفون في هذا الكتاب كلمة "التصميم" تعبيرا عن خلق الله البديع. ومن المهم جدّا فهم المقصد الحقيقي من استعمال هذه الكلمة. وخلق الكون على هذا النحو من الكمال لا يعني أن الله تعالى وضع في البداية مخططا للكون ثم خلقه بعد ذلك. فما ينبغي معرفته وفهمه هو أن الله تعالى لا يحتاج إلى أي تصميم مسبق من أجل خلق الكون، فتصميم الله وخلقه يكون في اللحظة نفسها وفي ا لآن نفسه، فهو سبحانه منزّه عن مثل هذه العيوب. فإذا أراد سبحانه لشيء أن يوجد يكفي أن يقول له : "كن" فيكون

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (سورة يس: 82)

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (سورة البقرة: 117)

مـــدخل

الإيمان بخديعة التطور من أكبر المعجزات في عصرنا

تتمتع ملايين الأنواع من الكائنات الحية التي تعيش على سطح الأرض بخصائص إعجازية تميز كل نوع منها عن الآخر، هذا بالاضافة إلى البُنى الفيزيائية الخاصة بها و التي لا تشوبها شائبة وأنماط السلوك التي تختلف من نوع لآخر. لقد خُلقت كل هذه الكائنات في أحسن صورة وبدقة لا مثيل لها. وبفن وعلم كبير وُجدت الخلايا داخل النباتات والحيوانات وعلى رأس ذلك كله خلقت في الانسان أيضاً. و في خضم هذا يوجد كثير جداً من فروع العلم وعشرات الآلاف من العلماء الذين يبحثون بالتفصيل في كل ما يتعلق بالكائنات الحية و هم من يقوم باكتشاف الجوانب الإعجازية في تلك التفصيلات، ومن ثم يبحثون عن إجابة للسؤال الخاص بكيفية ظهورها.

وكلما اكتشف هؤلاء العلماء الجوانب الإعجازية في البُنى التي يتناولونها بالبحث و الحكمة في وجودها وقفوا أمامها في حالة من الذهول و التعجب، و أصبحوا شهوداً على أن كل تلك المخلوقات إنما خُلقت بعلم و حكمة لا تحدّها حدود. و مع ذلك فهناك فريق آخر من العلماء ما زال يزعم بشكل يثير الدهشة بحق أن كل هذه الخصائص الإعجازية إنما أوجدتها الصدفة غير المقصودة.

وهذا الصنف من العلماء الذي نتحدث عنه هم أنصار نظرية التطور. فهم يرون البروتينات و الخلايا و الأعضاء التي جاءت بهذه الكائنات الحية إنما تكونت تدريجيا و بالترتيب و أن المصادفة وحدها هي التي أوجدتها على هذا النحو. والشيء الغريب بالفعل أن هناك أناسا منهم تلقوا العلوم لسنوات كثيرة ولهم أبحاث مطولة و كتب تناولوا فيها الوظائف الاعجازية لهذه البُنى الخارقة للعادة و مع كل هذا تجد أنه من الممكن أن يدافعوا عن فكرة ظهور هذه البُنى الخارقة للعادة عن طريق المصادفة العمياء.

وهناك سلسلة من المصادفات التي آمن بها علماء ممن بلغت شهرتم الآفاق لا يتصورها عقل بشكل جعل وضعهم هذا يترك كل من ينظر من الخارج في حيرة ودهشة شديدتين. ويرى هؤلاء العلماء أن حدوث عدد كبير من المصادفات أوجدت بروتينا من داخل المواد الكيميائية البسيطة (والواقع أن حدوث مصادفات كتلك أمر مستحيل تماما مثل أن تقوم بالمصادفة بصياغة قصيدة شعرية خالية من الأخطاء من مجموعة من الحروف المتناثرة).(2) وبعد ذلك تكرر الشيء نفسه فأوجدت مصادفات أخرى بروتينات جديدة، و الشيء الغريب أن هذه المصادفات هي التي قامت بتجميع هذه البروتينات في مكان واحد من جديد وقامت بتنظيمها بشكل مناسب. ولا ينطبق هذا على البروتينات فحسب، بل و أوجدت المكونات الداخلية للخلية والتي يتصف كل منها بشدة التعقيد مثل أحماض **DNA** و **RNA** و الإنزيمات والهرمونات ونظمتها إلى جانب بعضها البعض. وكنتيجة لملايين من المصادفات ظهرت الخلية الحية الأولى. ولم يقف دور المصادفة عند هذا الحد بل كانت هي السبب أيضاً وراء بدء ازدياد إعداد هذه الخلية. و وفقاً لهذا الزعم فقد أدت مصادفة أخرى إلى ترتيب الخلايا ومن هذا الترتيب ظهر أول كائن حي.

تقتضي عملية تكوُّن عين واحدة في كائن حي حدوث ملايين من العمليات العبقرية المستحيلة في آن واحد. و ها هي الوتيرة العمياء التي يطلق عليها اسم المصادفة تبدأ في العمل؛ ففي البداية تقوم بعمل فتحتين متناسقتين للغاية سواء في حجميهما أو في موضعيهما في الجمجمة التي تكونت أيضاً عن طريق المصادفة، وبعد ذلك تبدأ الخلايا التي أتت هي الأخري إلى هنا بالمصادفة في إنشاء العين بالمصادفة أيضاً. وكما رأينا فقد تحركت المصادفات وهي على علم بما تريد الوصول إليه في النهاية. و قامت هذه "المصادفة" التي كانت واعية ومدركة منذ البداية الأولي بما تعنيه عمليات الرؤية والسمع و التنفس على الرغم من عدم وجود أي

نموذج موجود على الأرض، في حينها قامت خطوة خطوة بإنشاء الحياة مُظهرةً في ذلك عقلاً و حكمة و سلكت اتجاهاً واعياً إلى أبعد الحدود. وها هم الأساتذة و رجال العلم و الباحثون الذين ننحني احتراماً لأسمائهم، ها هم يتقيدون بلا تفكير بسيناريو لا يمت إلى لعقل بصلة إلى هذا الحد. و هم يعملون بعناد الأطفال على إقصاء كل من لا يؤمن بتلك الحكايات، ليس هذا فحسب بل و يتهمونهم بالتزمُّت وعدم التزام الطرق العلمية في تفكيرهم. ومما لا شك فيه أن هذا لا يختلف عن المفهوم المتعصب الرّجعي الجاهل في العصر الوسيط الذي حاكم وأوقع العقاب على من قال بأن الأرض ليست مستوية.

علاوة على هذا فهناك بين هذا الفريق من يؤمن بالله و يقولون على أنفسهم أنهم مسلمون. وهذا الفريق يجد صعوبة في التسليم بأن ''الله هو الذي خلق كل الكائنات'' و لا يرون هذا القول علمياً، و على العكس من ذلك يرون أن القول بوجود ''وتيرة لا شعورية يطلق عليها اسم الصدفة هي التي فعلت ملايين المعجزات '' هو قول علمي يتوافق تماما و الآراء العلمية.

ولو أننا و ضعنا تمثالا نُحت من الحجر و الخشب أمام هؤلاء الأشخاص و قلنا لهم '' انظروا لقد أتت لنا المصادفة بهذه الغرفة و التمثال أو الصنم الموجود بداخلها''، فمما لا شك فيه أنهم لن يصدقوا هذا تماماً، و سيقولون إن هذا الحديث لا يتعدى كونه هراءً. إلا أنه و على الرغم من هذا فهم يتلون على مسامع الناس خرافة يُعبِّرون عنها في شكل ''انظروا لقد عملت وتيرة لا شعورية من التطور يطلق عليها اسم المصادفة على تكوين هذا العالم وما به من ملايين من الكائنات الحية التي يعتبر كل واحد منها معجزة في حد ذاته''.

باختصار، إن هؤلاء الأشخاص ينظرون إلى المصادفة على أنها إله، ويذهبون في ادعاءاتهم قائلين بأن المصادفة على درجة من العقل والإدراك والقوة تُمكِّنها من خلقِ الأنظمة الحسَّاسة و الكائنات الحية الموجودة في الكون. وعندما تشرح و تُبيِّن لهم بأن الله وحده هو الخالق لكل الكائنات الحَية وأنه هو الذي يملك الحكمة والعقل الذي لا حدود لهما، وفي الوقت الذي يرفضون فيه التسليم بهذه الحقيقة نجدهم لا يجدون حرجا في تأييد وجود القوة الخلّاقة لمليارات المصادفات اللاشعورية الغبية العاجزة اللاإرادية.

والحق يُقال إنها لمعجزة بحق أن يؤمن أناس متعلمون أذكياء أرباب علم كما لو كانوا مسحورين بأكثر المزاعم تخريفاً وبعداً عن العلم و المنطق السليم على مر التاريخ. فإذا كان الله سبحانه و تعالى قد خلق وجودا حياً مثل الخلية له مزايا و نظام خارق للعادة، فإن هؤلاء الأشخاص أيضاً يشكلون معجزةً جديدة من حيث انعدام القدرة لديهم – و هم على ما هم عليه من العلم – على الفهم بحيث أصبحوا مثل الأعمى الذي لا يستطيع أن يرى الحقائق الواضحة للغاية. فأنصار التطور باعتبارهم معجزة أخرى لله عز وجل لا يستطيعون أن يفهموا و يدركوا الحقائق التي لا يرى الأطفال صعوبة في فهمها على الرغم من شرح الأمر لهم مرات كثيرة.

وعندما تقرؤون هذا الكتاب فستصبحون أنتم أيضاً شهوداً على هذه المعجزة، و سوف يتبين لكم أنه إلى جانب أن الدارونية قد أصبحت مجرد نظرية انهارت تماما أمام الادلة العلمية، وهي أيضا لا تتعدى كونها مجرد خدعة كبيرة لا تتماشى بأي شكل من الأشكال مع العقل والمنطق السليم، وقد أخزت كل من دافع عنها.



الفصل الأول

لكي نتحرر من الأحكام والأفكار المسبقة

إن معظم الناس يقبلون كل شيء يسمعونه من العلماء بوصفه صحيحاً تماماً، ولا يكاد يخطر ببالهم أن العلماء قد تكون لهم أيضا أهواء فلسفية أو أيديولوجية شتَّى. والحقيقة أن العلماء التطوُّريين يفرضون أهواءَهم الذاتية وآراءَهم الفلسفية على العامة تحت ستار العلم. وعلى سبيل المثال، فبالرغم من أنهم يعلمون أن الأحداث العشوائية لا تُنتج إلا الشذوذ والفوضى، فإنهم لا يزالون يدَّعون أن النظام والتخطيط والتصميم البديع الذي نراه في كلٍّ من الكون والكائنات الحية قد نشأ بطريق الصدفة.

وعلى سبيل المثال، فإن مثل هذا العالم البيولوجي يدرك –بسهولة– أن في جُزيء البروتين (الذي هو وحدة بناء الحياة) انسجاماً لا يُسبَر غورُهُ وأنه لا يوجد أيَ احتمال لأنَ يكون ذلك قد جاء بطريق الصدفة، ومع ذلك، فإنه يزعم أن هذا البروتين قد وُجد في ظل ظروف بدائية للأرض بطريق الصدفة منذ بلايين السنين. وهو لا يتوقف عند هذا الحد؛ إنه يزعم أيضاً، دون تردد، أن الأمر لم يقتصر على بروتين واحد، وإنما ملايين البروتينات قد تكونت بطريق الصدفة، ثم تجمعت على نحو لا يصدَّق لتكوِّن الخلية الحية الأولى. وبعد ذلك كله، فإنه يدافع عن رأيه بعناد أعمى. إن هذا الشخج هو عالِم تطوُّري!

ولكن لو أن هذا العالِم نفسه كان يمشي في طريق من الطرق فوجد ثلاثةً من أحجار البناء مصفوفةً الواحد فوق الآخر، فإنه لن يفترق أبداً أن هذه الأحجار قد وُجدت معاً بطريق الصدفة ثم تسلقت ليستقر الواحد منها فوق الآخر أيضاً بطريق الصدفة. وفي الواقع، فإنه سيعتبر أيَّ شخص يُصِرُّ على ذلك الزعم مجنوناً.

كيف –إذن– يمكن للأشخاص الذين ينجحون في فهم وتفسير الأحداث العادية على نحو معقول أن يتبنَّوا مثل هذا الموقف غير المعقول عندما يتعلق الأمر بالتفكير في وجودهم هم أنفسهم؟ إن من غير الممكن أن نزعم أن هذا الموقف يُتبنَّى باسم العلم؛ فالعلم يقتضي أخذ كلا البديأتين في الاعتبار كلما وُجد بديلان محتمَلان بنفس القدر فيما يتصل بقضية معينة. وإذا كان احتمالُ أحد البديأتين أقلَّ كثيراً من الآخر (كأَنْ يكونَ واحداً في المئة على سبيل المثال) فإن الشيء المنطقي والعلمي يكون إذن هو اختيار البديل الآخر، الذي يقدَّر احتماله بتسعة وتسعين في المئة، واعتباره البديلَ الصحيح.

ودعونا نواصل حديثنا آخذين في اعتبارنا هذا الأساپ العلمي. إن ثمة رأيين يمكن طرحهما فيما يتصل بالكيفية التي أتت بها الكائنات الحية إلى الوجود على الأرض: الرأي الأول هو أن كل الكائنات الحية قد خلقها الله في صورتها المعقدة الحالية. والرأي الثاني هو أن الحياة قد تكوَّنت بطريق مصادفات عشوائية غير مقصودة، وهذا هو الرأي الذي تزعمه نظرية التطوُّر.

إننا عندما نتأمل المعطيات العلمية (ولتكن معطيات علم البيولوجيا الجزيئية على سبيل المثال) فإنه يكون بوسعنا أن نرى أنه لا توجد أي فرصة أبداً لاحتمال أن تكون خلية حية واحدة (أو حتى واحد من ملايين البروتينات الموجودة في هذه الخلية) قد وُجدت بطريق الصدفة كما يزعم التطوُّريون. وكما سنبين في الفصول الآتية، فإن حسابات الاحتمالات أيضاً تؤكد هذه الحقيقة مراراً وتَكراراً. ومن ثم فإن رأي التطوُّريين بشأن ظهور الكائنات الحية لا يوجَد أي احتمال أبداً لكونه صحيحاً.

إن هذا يعني أن نسبة احتمال كون الرأي الأول صحيحاً هي مئة في المئة، أي أن الحياة قد أُوجِدت على نحو مقصود. وبتعبير

آخر، فإنها قد خُلقت. إن كل الكائنات الحية قد جاءت إلى الوجود بتخطيط خالق تعالت قدرته وحكمته وعلمه. إن هذه الحقيقة ليست مجرد مسألة إيمانية؛ بل إنها النتيجة الطبيعية التي تقود المرءَ إليها الحكمةُ والمنطقُ والعلم.

والحالة هذه، فإنه ينبغي على عالمنا التطوُّري أن يتراجع عن زعمه ويتمسك بحقيقة جلية ومبرهَنة على حد سواء، وهو إذا فعل غير ذلك فإنه يُثبت أنه -في الواقع- شخص يضحّي بالعلم من أجل فلسفته وأيديولوجيته وعقيدته أكثر من كونه عالماً حقيقياً.

إن الغضبَ والعناد ونزعات التعصب لدَى عالمنا تزيد أكثر وأكثر في كل مرة يواجه فيها الحقيقة. إن موقفه يمكن تفسيره بكلمة واحدة: الاعتقاد، إلا أنه اعتقاد خرافي أعمى، ذلكَ أنه لا يمكن أن يوجَد تفسير آخر لتجاهل المرء لكل الحقائق أو لتكريسه حياته بأكملها لخدمة سيناريو لامعقول نَسَجَهُ في خياله.

التعصب الأعمى للفلسفة المادية

إن الاعتقاد الذي تحدثنا عنه هو الفلسفة المادية التي ترى أن المادة موجودة منذ الأزل ولا تقبل وجود شيء إلا المادة ولا شيء غيرها. ونظرية التطور هي ما يزعم أنه الأساس العلمي لهذه الفلسفة المادية، ولذلك فإنهم يدافعون عنها دفاعاً أعمى لتدعيم هذه الفلسفة. أما حين يدحض العلم ادعاءات التطور ويبطلها (وهذا ما توصل إليه العلم في أواخر القرن العشرين) فإنهم يسعون جاهدين إلى تحريف الحقائق العلمية بحيث تبدو وكأنها تؤيد التطور، وذلك من أجل الإبقاء على حياة الفلسفة المادية.

إن سطوراً قليلة كتبها أحد أشهر علماء الأحياء المدافعين عن نظرية التطور في تركيا لَهي نموذج جيد لمشاهدة ما يؤدي إليه التعصب الأعمى من تخبط وفساد في التفكير والتقدير. يقول عالم الأحياء هذا عن موضوع إمكانية التشكل العشوائي (عن طريق الصدفة) لمادة سيتوكروم–سي (Cytochrome-C) التي هي واحدة من أهم الإنزيمات اللازمة للحياة:

> إن احتمال تكوين سلسلة واحدة من (سيتوكروم – سي) قليل جداً يكاد يكون صفراً... أو إن تكوين هذه السلسلة المعقدة حدث من قِبَل قوى فوق تصورنا ولا نستطيع تعريفها. ولكن قبول الاحتمال الأخير لا يناسب الأهداف العلمية؛ إذن علينا فحص الاحتمال الأَول وتمحيصه والاقتصار عليه.(3)

إن هذا العالم يرى أن قبوله احتمالاً ضعيفاً يصل إلى حد الصفر هو أمر أكثر تجسيداً لطبيعة العلم من قبول مسألة الخلق، بينما القواعد العلمية تقضي -كما تناولنا آنفاً- أنه إذا كان يمكن تفسير موضوع ما عن طريق احتمالين وكان احتمال أحدهما صفراً، فالصواب هو الاحتمال الثاني. ومع ذلك، فإن الفكر المادي المتعنت يرفض من الأساس قبول وجود قوة خالقة فوق المادة، وهذا الرفض يؤدي بهذا العالم (وبكثيرين غيره من أنصار التطور المؤمنين بالمادية والمتعصبين لها) يؤدي بهم جميعاً، مع الأسف، إلى تقبل أمور لا يقبلها العقل ولا الفطرة السليمة.

وبالآتي يصبح الأشخاص الذين يؤمنون بهؤلاء العلماء ويثقون بهم عُمياً ومستعبَدين لنفس السحر المادي، ويتبنون ذات النفسية غير العقلانية عند قراءة كتب هؤلاء العلماء ومقالاتهم.

وقد كانت وجهة النظر المادية المتعنتة هذه هي السبب في إلحاد عديد من الأسماء المشهورة في المجتمع العلمي، ولا يتردد أولئك الذين يخلّصون أنفسهم من وطأة عبودية هذا السحر ويفكرون بعقل متفتح في التسليم بوجود خالق. وقد وصف عالم الكيمياء الحيوية الأمريكي، الدكتور مايكل بيهي (وهو أحد هذه الأسماء المشهورة التي تؤيد نظرية التصميم الذكي (intelligent design) التي لاقت مؤخراً قبولاً كبيراً في الأوساط العلمية)، وصف العلماء الذين يقاومون الإيمان بالتصميم أو الخلق في الكائنات الحية بقوله:

> على مدى الأربعين سنة الماضية اكتشف علم الكيمياء الحيوية الحديث أسرار الخلية، وقد استلزم ذلك من عشرات الآلاف من الأشخاص تكريس أفضل سنوات حياتهم في العمل الممل داخل المختبرات... وقد تجسدت نتيجة كل هذه الجهود المتراكمة لدراسة الخلية (ودراسة الحياة عند المستوى الجزيئي) في صرخة عالية، واضحة، حادة تقول: التصميم المبدع!. وكانت هذه النتيجة من الوضوح والأهمية بمكان بحيث كان من المفترض أن تصنَّف ضمن أعظم الإنجازات في تاريخ العلم. ولكن -بدلاً من ذلك- أحاط صمت غريب ينم عن الارتباك بالتعقيد الصارخ للخلية. ولكن لماذا لا يتوق المجتمع العلمي إلى قبول هذا الاكتشاف المذهل؟ لماذا يتم تكميم مفهوم التصميم المبدع بقفازات فكرية؟ تكمن الورطة هنا في أن قبول فكرة التصميم الذكي المبدع، يؤدي حتماً إلى التسليم بوجود الله (4).

ويجسد ما سبق الوضع المؤسف لعلماء التطور الملحدين الذين تراهم في المجلات وتشاهدهم على شاشات التلفزيون، والذين قد تكون من قارئي كتبهم. ذلك أن جميع البحوث العلمية التي قام بها هؤلاء العلماء تبرهن لهم أن هناك خالقاً، بَيد أن هؤلاء العلماء أصبحوا عُمياً ومتبلدي الإحساس بسبب التعليم المادي المتعنت الذي تشربوه لدرجة جعلتهم يصرون على إنكارهم.



ريتشارد داوكنز

ويتحول الأشخاص الذين يُهملون باستمرار الدلائل والبراهين الواضحة على وجود الخالق إلى أشخاص متبلدي الإحساس تماماً. ونتيجة لانغماسهم في الثقة بالنفس المبنية على الجهل بسبب تبلد إحساسهم، فقد ينتهي بهم الأمر إلى تأييد إحدى السخافات على أنها حقيقة. ومن أفضل الأمثلة على ذلك عالم التطور الشهير ريتشارد داوكيتز الذي يطلب من الناس ألا يتسرعوا بالاستنتاج بأنهم قد شاهدوا معجزة حتى لو شاهدوا تمثالاً يلوِّح لهم بيده؛ فحسب رأيه: ربما تصادف أن كل الذرات في ذراع التمثال قد تحركت في نفس الاتجاه في آن واحد... إنه احتمال ضعيف بالطبع، ولكنه ممكن (5)!

لقد وُجدت نفسية الكافر على مر التاريخ، وقد وُصفت في القرآن الكريم كما يأتي:

﴿ وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (سورة الأنعام **111**).

وكما توضح هذه الآية، فإن التفكير المتعنت لعلماء التطور ليس طريقة أصلية في التفكير، ولا حتى طريقة مميِّزة لهم. وفي الواقع، لا تعد الأفكار التي ينادي بها عالم التطور من التفكير العلمي الحديث في شيء، إنما هي مجرد جهل تم الحفاظ عليه منذ عصر أكثر المجتمعات الوثنية بدائية.

وقد تم تعريف ذات النفسية في آية قرآنية أخرى:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴾ (سورة الحجر **14–15**).

التلقين الجماعي لنظرية التطور

كما تشير الآيات المستشهَد بها أعلاه، فإن أحد الأسباب التي تمنع الناس من رؤية حقائق وجودهم يتجسد في نوع من السحر يقوم بإعاقة تفكيرهم. ويشكل هذا السحر عينُه الأساس الذي يقوم عليه القبول العالمي واسع النطاق لنظرية التطور. ونعني بالسحر هنا التهيئة المكتسبة عن طريق التلقين؛ إذ يتم إخضاع الناس لعملية تلقين مكثفة حول صحة نظرية التطور لدرجة تجعلهم لا يدركون حتى التشويه الموجود فيها.

ويوجد هذا التلقين أثراً سلبياً على العقل يُعطِّل مَلَكة التمييز. وفي نهاية الأمر يبدأ العقل، الذي يخضع للتلقين المستمر في تصور الحقائق ليس كما هي بل كما تم تلقينه إياها. ويمكن مراقبة هذه الظاهرة في أمثلة أخرى. فمثلاً: إذا تم تنويم أحد الأشخاص تنويماً مغنطيسياً وتم تلقينه أن السرير الذي يستلقي عليه هو عبارة عن سيارة، فإنه بعد جلسة التنويم المغنطيسي يتصور أن السرير سيارة، كما أنه يعتقد أن هذه المسألة منطقية وعقلانية جداً لأنه يراها فعلياً بهذه الطريقة وليس لديه أدنى شك في أنه على صواب. وتعتبر مثل هذه الأمثلة (التي تؤكد على فعالية آلية التلقين وقوتها) حقائق علمية تم إثباتها عن طريق عدد لا حصر له من التجارب التي تم تناقلها في الأدبيات العلمية، والتي تمثل الزاد اليومي لعلم النفس وكتب علم النفس.

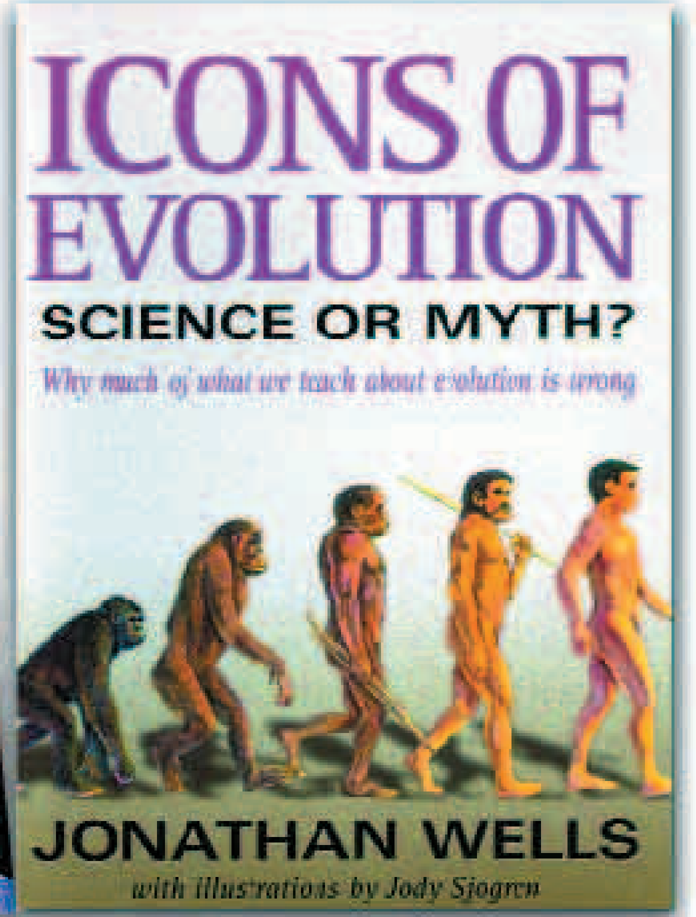
إن نظرية التطور والنظرة العالمية المادية التي تعتمد عليها تُفرض على العامة باستخدام أساليب التلقين هذه؛ إذ يتعذر على الأشخاص (الذين يتعرضون بشكل مستمر لتلقين نظرية التطور في وسائل الإعلام والمراجع الأكاديمية والمنابر العلمية) أن يدركوا أن قبولهم لهذه النظرية يتعارض –في الواقع– مع أبسط المبادئ الأساسية للعقل. ويقع العلماء أيضاً تحت وطأة ذات النوع من التلقين. ذلك أن الأسماء الشابة التي ترتقي سلم مستقبلها العلمي يزداد تبنيها للنظرة العالمية المادية أكثر فأكثر مع مرور الوقت. وبسبب افتتان عديد من علماء التطور بهذا السحر، يظل هؤلاء العلماء يبحثون عن تأكيد علمي لادعاءات التطور غير العقلانية التي عفى عليها الزمن منذ ظهورها في القرن التاسع عشر، والتي دحضتها جميع الأدلة العلمية منذ فترة طويلة.

وهناك آليات إضافية أيضاً تجبر العلماء على أن يؤمنوا بالتطور ويعتنقوا الأفكار المادية. ففي البلدان الغربية، يجب على العالم أن يتقيد ببعض المعايير حتى يتسنى له الترقي، أو الحصول على الاعتراف الأكاديمي، أو نشر مقالاته في المجلات العلمية. ويأتي القبول الصريح لنظرية التطور على رأس هذه المعايير. ويقوم هذا النظام بدفع هؤلاء العلماء إلى حد قضاء كل حياتهم ومستقبلهم العلمي من أجل اعتقاد متعنت(6).

ويعد هذا الوضع تجسيداً للحقيقة التي لا تزال تشكل أساساً للتأكيد القائل بأن: نظرية التطور ما زالت تلقى قبولاً في دنيا العلوم. ومن ثم، فإن السبب في إبقاء نظرية التطور في قيد الحياة لا يرجع إلى قيمتها العلمية بل لكونها التزاماً أيديولوجياً. ولا يوجد سوى قلة قليلة من العلماء المُلمين بهذه الحقيقة يمكنهم المجازفة بالإشارة إلى أن هذه النظرية لا تقوم على أي أساس حقيقي من الصحة!

وفي بقية فصول هذا الكتاب، سنستعرض النتائج العلمية الحديثة التي أدت إلى انهيار الاعتقاد بنظرية التطور كما سنعرض الأدلة الواضحة





جوناثان والس و كتابه المسمى

علم في كل خطوة يخطوها ولكنها أُيدت بغية إسدال الستار على حقيقة الخلق. وما نرجوه من القارئ هو أن يستيقظ من السحر الذي يعمي عقول الناس ويعطل قدرتهم على التمييز، وأن يُعمل فكره بجدية فيما سنرويه في هذا الكتاب.

وإذا استطاع القارئ أن يخلص نفسه من هذا السحر ويفكر بوضوح، وحرية، ودون أي تحيز، فسرعان ما سيكتشف الحقيقة الواضحة وضوح الشمس. وتتمثل هذه الحقيقة الحتمية، التي أثبتها العلم الحديث أيضاً في كل جوانبه، في أن الحياة لم توجد عن طريق الصدفة بل جاءت نتيجة لعملية الخلق. ويمكن للمرء أن يرى حقيقة الخلق بسهولة عندما يتأمل في كيفية خلقه من قطرة ماء، أو في الكمال الموجود في كل كائن حي آخر.

الفصل الثاني

نبذة تاريخية عن نظرية التطور

ترجع جذور الفكر القائم على التطور إلى العصور القديمة؛ وذلك بوصفه اعتقاداً متعنتاً يحاول التنكر لحقيقة الخلق. فقد دافع معظم الفلاسفة الوثنيين في اليونان القديمة عن فكرة التطور. وعندما نلقي نظرة على تاريخ الفلسفة، نجد أن فكرة النشوء والارتقاء تشكل العمود الفقري لكثير من الفلسفات الوثنية.

ومع ذلك فإن الإيمان بالله، لا هذه الفلسفة الوثنية القديمة، هو الذي لعب دوراً محفزاً في ميلاد العلم الحديث وتطوره. فقد آمن بوجود الله غالبية الأشخاص الذين احتلوا مركزاً ريادياً في العلم الحديث؛ وبينما كانوا يدرسون العلم، سعوا إلى اكتشاف الكون الذي خلقه الله بغية وضع تصور لنواميسه وتفاصيل خلقه. وهناك من علماء الفلك (من أمثال ليوناردو دافنشي، وكوبرنيكس، وكبلر، وغاليأتيو، ورائد علم المتحجرات القديمة كوفيير، ورائد علم النبات والحيوان ليناوس، وإسحاق نيوتن الذي يشار إليه بوصفه أعظم عالم عاپ على الأرض مَن قاموا بدراسة العلم وهم مؤمنون ليس فقط بوجود الله ولكن أيضا بأن الكون كله وُجد نتيجة لخلقه سبحانه وتعالى له(7). كما كان ألبرت آينشتاين أيضاً –الذي يعتبر أعظم عباقرة عصرنا– من ضمن العلماء المؤمنين بالله، وهو صاحب المقولة الآتية:لا أستطيع أن أتصور عالماً حقيقياً دون إيمان عميق. ويمكن التعبير عن هذا الوضع من خلال الصورة الآتية: العلم بلا دين علم أعرج(8).

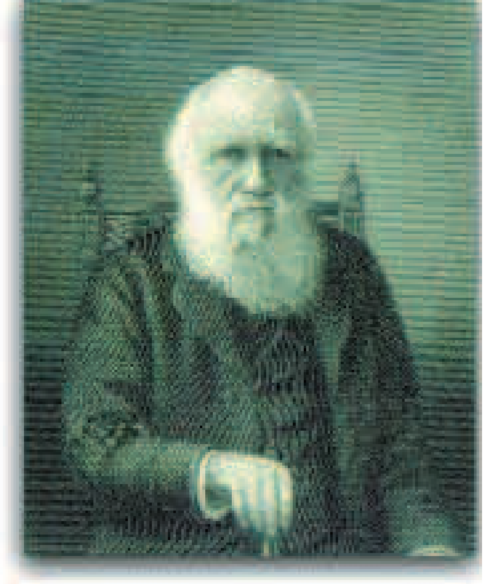
وقد قال أحد مؤسسي الفيزياء الحديثة، الفيزيائي الألماني ماكس بلانك، إنه ينبغي على كل من يدرس العلم بجدية أن يقرأ العبارة الآتية المكتوبة على باب معبد العلم: تَحَلَّ بالإيمان، فالإيمان من الصفات الأساسية المميزة للعالِم (9).

وتعتبر نظرية التطور نتاجاً للفلسفة المادية التي ظهرت على السطح عند إحياء الفلسفات المادية القديمة وانتشرت على نطاق واسع في القرن التاسع عشر. وكما أشرنا من قبل، فإن المادية تسعى لتفسير الطبيعة من خلال العوامل المادية البحتة. وبما أنها تنكر –منذ البداية– حقيقة الخلق، فإنها تؤكد على أن كل شيء، سواء كان كائناً حياً أو جماداً، قد ظهر ليس نتيجة لعملية الخلق بل عن طريق الصدفة التي اكتسبت بعد ذلك طابعاً نظامياً. ولكن العقل البشري مركب على أن يفهم وجود إرادة منظمة كلما رأى نظاماً. وقد أفرزت الفلسفة المادية، المخالفة لأبسط السمات الأساسية في العقل البشري، نظرية التطور (أو النشوء والارتقاء) في أواسط القرن التاسع عشر.

قوة خيال دارْوِن

إن مَن قدم نظرية التطور على النحو الذي يدافع به العلماء عنها اليوم هو عالِم طبيعيات إنكليزي هاوٍ يدعى تشارلز روبرت دارْوِنْ.

ولم يتلقَّ داروِن أي تعليم رسمي في علم الأحياء، ولكنه اهتم بموضوع الطبيعة والكائنات الحية اهتمام الهواة، وحفزه هذا الاهتمام على الانضمام إلى رحلة استكشافية على متن سفينة تسمى إتش. إم. إس بيغل (H.M. S. Beagle) أبحرت من إنكلترا عام 1832 وجابت مناطق مختلفة من العالم لمدة خمس سنوات. وانبهر الشاب داروِن انبهاراً كبيراً بمختلف أنواع الأحياء، وخاصة بنوع معين من العصافير (الحساسين) التي شاهدها في جزر غالاباغوس (Galapagos)، واعتقد داروِن أن التنوع في مناقير العصافير يُعزَى إلى تكيفها مع موطنها. وبوجود هذه الفكرة في عقله، افترض أن أصل الحياة والأنواع يكمن في فكرة التكيف مع البيئة. ووفقا لداروِن، فإن الله لم يخلق مختلف


شارلز داروين

أنواع الأحياء بشكل منفصل، بل إنها انحدرت من سلف مشترك واختلفت عن بعضها البعض نتيجة للظروف الطبيعية.

و لم تستند فرضية دارون على أي اكتشاف أو تجربة علمية؛ ولكنه حوَّلها –مع مرور الوقت– إلى نظرية حظيت بأهمية لا تستحقها، من خلال الدعم والتشجيع الذي تلقاه من أشهر علماء الأحياء الماديين في عصره. وتتمثل فكرة النظرية في أن الأفراد التي تكيفت مع موطنها على النحو الأفضل نقلت صفاتها إلى الأجيال الآتية، وقد تراكمت هذه الصفات المفيدة مع الوقت وحولت الفرد إلى نوع يختلف اختلافاً كاملاً عن أسلافه. (ولم يكن أصل هذه الصفات المفيدة معروفاً في ذلك الوقت). ووفقا لدارون، يمثل الإنسان أكثر نتاج متطور لهذه الآلية.

وأطلق دارون على هذه العملية اسم: التطور بالانتقاء الطبيعي. وظن أنه اكتشف أصل الأنواع ؛ أي أن أصل نوع ما هو نوع آخر. ونشر هذه الآراء في كتابه الذي يحمل عنوان أصل الأنواع بواسطة الانتقاء الطبيعي عام 1859.

ولكن دارون كان يدرك جيداً أن نظريته تعاني من مشكلات كثيرة، وقد اعترف بهذه المشكلات في كتابه في فصل بعنوان صعوبات النظرية. ويأتي على رأب هذه الصعوبات سجل المتحجرات، وتعقيد أعضاء الأحياء الذي لا يمكن أن يفسَّر عن طريق الصدفة (مثل العين) وغرائز الأحياء. وكان دارون يأمل في التغلب على هذه الصعوبات بواسطة الاكتشافات الجديدة؛ ولكن ذلك لم يوقفه عن تقديم عدد من التفسيرات غير الملائمة أبداً لبعض هذه الصعوبات. وقد علق الفيزيائي الأمريكي ليبسون على صعوبات دارون بقوله:

عندما قرأت كتاب أصل الأنواع لمست أن دارون نفسه كان أقل ثقة مما كان الناس يصوّرونه في أغلب الأحيان؛ إذ يوضح الفصل الذي يحمل عنوان صعوبات النظرية –مثلاً– قدراً لا يستهان به من عدم الثقة بالنفس. وبوصفي فيزيائيّاً، فقد أثارتني بشكل خاص تعليقاته حول كيفية ظهور العين (10).

وعندما كان دارون يضع نظريته، انبهر بعديد من علماء الأحياء السابقين المؤمنين بالتطور، وعلى الأخص عالم الأحياء الفرنسي لامارك (11). وحسب رأي لامارك، فقد نقلت الكائنات الحية السمات التي اكتسبتها أثناء حياتها من جيل إلى جيل، وبهذه الصورة تطورت هذه الكائنات. فعلى سبيل المثال: تطورت الزرافات من حيوانات شبيهة بالبقر الوحشي عن طريق إطالة أعناقها شيئاً فشيئاً من جيل إلى جيل عندما كانت تحاول الوصول إلى الأغصان الأعلى فالأعلى لأكل أوراقها، وبالآتي استخدم دارون فرضية توريث السمات المكتسبة التي اقترحها لامارك بوصفها العامل الذي جعل الأحياء تتطور.

ولكن كلاًّ من لامارك ودارون كان مخطئاً، ذلك أنه لم يكن ممكناً في تلك الفترة دراسة الحياة إلا بواسطة تكنولوجيا بدائية جداً وبمستوى غير ملائم أبداً. ولم تكن هناك مجالات علمية مثل علم الوراثة وعلم الكيمياء الحيوية، بل لم يكن اسمها حتى موجوداً؛ ومن ثَم كان لا بد أن تعتمد نظريتهما اعتماداً كاملاً على قوة مخيلتيهما.

وبينما كانت أصداء كتاب دارون مدوية، اكتشف عالم نبات نمساوي اسمه غريغور مندل قوانين الوراثة سنة 1865. وعلى الرغم من أن اكتشافات مندل لم يسمع بها الكثيرون حتى أواخر القرن، فإنها اكتسبت أهمية عظيمة في أوائل القرن العشرين الذي شهد ولادة علم الوراثة. وفي فترة لاحقة، اكتُشف تركيب الجينات والكروموزومات. وفي الخمسينيات، أدى اكتشاف تركيب جزيء «DNA» (الذي يحتوي على المعلومات الوراثية) إلى إيقاع نظرية التطور في أزمة كبيرة. ويرجع ذلك إلى التعقيد المدهش للحياة وبطلان آليات التطور التي اقترحها دارون.

وكان حريّاً بهذه التطورات أن تؤدي إلى إلقاء نظرية دارون في مزبلة التاريخ. ولكن هذا لم يحدث نظراً لإصرار دوائر معينة على تنقيح النظرية وتجديدها والارتفاع بها إلى منابر العلوم. ولن نفهم مغزى هذه الجهود إلا إذا أدركنا أن وراء النظرية أغراضاً أيديولوجية أكثر من كونها اهتمامات علمية.


إن القوانين التي اكتشفها مندل في مجال الجينات حشرت نظرية التطور في مأزق لا مخرج منه.



العلم البدائي والتقنية في عصر داروين

لم يكن هناك وجود لعلوم مثل علم الوراثة و الكيمياء الحيوية والرياضيات الأحيائية في العصر الذي استدل فيه داروين بفرضياته. فلو كانت هذه العلوم قد اكتشفت قبل أن يأتي داروين بأطروحته تلك، لنظر الجميع إلى نظرية داروين على اعتبار أنها أشياء لا تمت للعلم بصلة ولم يكن ليتجرأ ويقترح زعما لا معنى له مثل هذا الذي اقترحه لأن المعلومات التي تحدد الأجناس موجودة في الجينات الوراثية وليس من الممكن اشتقاق أجناس جديدة بإحداث تغيرات في الجينات.

مرة أخرى كان العلم في هذا العصر صاحب مفاهيم بدائية فيما يتعلق ببناء الخلية و وظائفها. فلو كان داروين يملك مجهرًا إليكترونياً لشاهد مكونات الخلية وخاصة ذلك التعقيد في عملها، وسوف يرى أن ذلك النظام المعقد إلى حد بعيد لا يمكن أن يحدث عن طريق مصادفة بسيطة. و لو كان لدية معلومات عن الرياضيات الأحيائية لأدرك أن جزيء البروتين في الخلية لا يمكن أن يتكون أيضاً عن طريق المصادفة.

لقد أصبح من الممكن دراسة بناء الخلية مع وجود المجهر الإلكتروني. أما في عصر داروين فلم يتمكن من الوصول إلا إلى السطح الخارجي للخلية بسبب الميكروسكوبات البدائية التي كانت موجودة في هذا العصر. فالخلية الحية هي معجزة الخلق التي وضعت







العلماء جميعهم في حالة من الدهشة و الذهول. فعندما تنظر إلى الخلية بالميكروسكوب الإلكتروني سترى أنها عبارة عن بناء يموج بالحركة والنشاط يُذَكِّر بالنشاط الموجود في خلية النحل. فهناك خلايا جديدة تأتي لتحل محل ملايين الخلايا التي تموت كل يوم. وتتحرك مليارات أخرى من الخلايا في انسجام تام كي تضمن الحياة لجسم الإنسان. إنه شيء مذهل للعقل بالفعل عندما نرى مثل هذه الحركة المنظمة للخلايا و قدرتها على تجديد نفسها بنفسها. إن الله هو الذي خلق تلك الخلايا التي لا يمكن أن نراها بالعين المجردة و دون مساعدة المكروسكوب الإلكتروني في نظام دقيق لا تشوبه شائبة. فخلق الله الذي لا يشابهه خلق و علمه اللامحدود هو أمر واضح جلي بكل تفاصيله بحيث لا يمكن لأحد إنكاره.

المحاولات اليائسة للدارونية الجديدة

دخلت نظرية دارون في أزمة كبيرة بسبب اكتشاف قوانين الوراثة في الربع الأول من القرن العشرين. ومع ذلك، حاولت مجموعة من العلماء الذين أصروا على ولائهم لدارون أن تتوصل إلى حلول مناسبة لتلك الأزمة. والتقى هؤلاء العلماء في اجتماع نظمته الجمعية الجيولوجية الأمريكية سنة 1941، وبعد مشاورات طويلة نجح –في النهاية– علماء الوراثة (من أمثال ليديارد ستيبنش وثيودوسياس دوبزهانسكي) وعلماء الحيوان (من أمثال إرنست ماير وجوليان هاكسلي) وعلماء المتحجرات القديمة (من أمثال جورج غايلورد سمبسون وغلين جِبسِن) وعلماء الوراثة الرياضية (من أمثال رونالد فيشر وسيول رايت) في التوصل إلى اتفاق حول الطرق المناسبة لترقيع الدارونية.

وقد ركز هذا الفريق من العلماء على مسألة أصل التغيرات المفيدة التي من المفترض أنها قد تسببت في تطور الكائنات الحية (وهي مسألة لم يستطع دارون نفسه تفسيرها، لذلك حاول –ببساطة– أن يتجنبها معتمداً على لامارك). وبدأ الآن تفكير هؤلاء العلماء يدور حول الطفرات العشوائية، وقد أطلقوا على نظريتهم الجديدة اسم النظرية التركيبية الحديثة للتطور التركيبي (The Modern Synthetic Evolution Theory)، التي تم تكوينها بإضافة فكرة الطفرة إلى فرضية دارون الخاصة بالانتقاء الطبيعي. وبعد مرور وقت قصير، أُطلِق على هذه النظرية اسم الدارونية الجديدة كما أُطلق على الأشخاص الذين قدموها اسم الدارونيين الجدد.

وأصبحت العقود الآتية لتلك الفترة بمثابة حقبة للمحاولات اليائسة الرامية إلى إثبات صحة الدارونية الجديدة. وكان معروفاً من قبل أن الطفرات (أو المصادفات) التي حدثت في جينات الكائنات الحية كانت تلحق بها الضرر دائماً، لكن الدارونيين الجدد حاولوا أن يقدموا برهاناً على وجود طفرة مفيدة من خلال القيام بآلاف التجارب على الطفرات ... ولكن كل محاولاتهم باءت بالفشل الذريع!

كما حاولوا أيضاً إثبات أن الكائنات الحية الأولى قد نشأت عن طريق الصدفة وتحت ظروف أرضية بدائية وفقاً لفرضية النظرية، ولكن نفس الفشل صاحَبَ هذه التجارب أيضاً. وكان الفشل حليف كل تجربة تسعى إلى إثبات أن الحياة يمكن أن تنشأ بالصدفة، وأثبت حساب الاحتمالات أنه لا يمكن حتى لبروتين واحد (وهو الوحدة الأساسية للحياة) أن يتكون عن طريق الصدفة. أما بالنسبة للخلية.

(التي من المفترض أنها قد ظهرت عن طريق الصدفة تحت ظروف أرضية بدائية يتعذر التحكم فيها وفقاً لعلماء التطور) فإن من غير الممكن تركيبها حتى في أكثر المختبرات تطوراً في القرن العشرين.

وقد مُنيت نظرية الدارونية الجديدة بالهزيمة من قِبَل سجل المتحجرات أيضاً؛ إذ لم يُعثر قط في أية بقعة من العالم على أي من الأشكال الانتقالية التي من المفترض أن تُظهر التطور التدريجي للكائنات الحية من الأنواع البدائية إلى الأنواع المتقدمة حسبما تزعم نظرية الدارونيين الجدد. وفي نفس الوقت، كشف التشريح المقارن أن الأنواع التي يفترض أنها تطورت بعضها من بعض تتسم –في الواقع– بسمات تشريحية مختلفة تماماً وأنها من غير الممكن أبداً أن تكون أسلافاً أو خلفاء لبعضها البعض.

ولهذا السبب فإنه يمكن لنظرية التطور أن تقوم مقام الخاصية المتعلقة بالإيمان بالله في وقت سابق، أي أن تتحول إلى مبدإ قوي يقوم بعملية تنسيق لمعتقدات وآمال بني آدم. (12)

وقد جاءت الحقيقة نفسها على لسان المفكر الكندي "مايكل روس Michael Ruse" الذي اعتبر نفسه "ارتقائيا محنكا"، وذلك في مؤتمر منعقد في عام 1993 حيث قال : "لا شك أنه في الماضي وحتى اليوم، نجد كثيرًا من أنصار نظرية التطور قد سلموا بنظرية الارتقاء على أنها فكر ذو عناصر تتسم بالإلحاد... وعند إمعان النظر في حقيقة نظرية التطور كنظرية علمية فإنه يبدو بالنسبة إلي أن هذه النظرية قد سخرت نفسها لخدمة الطبيعة..." (13).

ولكن الدارونية الجديدة لم تكن نظرية علمية أبداً، بل كانت مبدأ أيديولوجياً (إن لم تكن نوعاً من الديانة!)؛ ولهذا السبب ظل أنصار نظرية التطور يدافعون عنها على الرغم من كل الأدلة المناقضة لها. ومع ذلك، هناك شيء لم يستطيعوا الاتفاق عليه؛ ألا وهو: أي من النماذج المختلفة المقترحة لفهم التطور هو النموذج الصحيح. ويتمثل أحد أهم هذه النماذج في السيناريو الخيالي المعروف باسم التوازن المتقطع.

التطور على قفزات

إن معظم العلماء الذين يؤمنون بالتطور يقبلون نظرية الدارونيين الجدد المتعلقة بالتطور البطيء التدريجي. ومع ذلك، فقد تم خلال العقود الأخيرة اقتراح نموذج مختلف يُعرف باسم التطور على قفزات أو التوازن المتقطع ويرفض هذا النموذج فكرة الدارونيين بشأن حدوث التطور بشكل تراكمي وتدريجي، ويرى -بدلاً من ذلك- أن التطور قد تم بقفزات كبيرة ومتفرقة.

وظهر أول المدافعين الصاخبين عن هذه الفكرة في بداية السبعينيات. فقد كان عالما المتحجرات الأمريكيّان، نايلز إلدردج وستيفن غولد، يدركان جيداً أن مزاعم نظرية الدارونيين الجدد يدحضها سجل المتحجرات تماماً، لأن المتحجرات أثبتت أن الكائنات الحية لم تنشأ بالتطور التدريجي بل ظهرت فجأة بكامل تكوينها. وعاب الدارونيون الجدد – وما زالوا يعيشون – على أمل عزيز بأن الأشكال الانتقالية المفقودة ستكتشف يوماً ما. وعلى الرغم من أن غولد وإلدردج كانا يدركان أن هذا الأمل لا أساس له من الصحة، فإنهما لم يتمكنا من التخلي عن اعتقادهما التطوري، لذا قدما نموذجاً جديداً هو : التوازن المتقطع. ويزعم هذا النموذج أن التطور لم يحدث نتيجة اختلافات صغيرة بل نتيجة تغيرات فجائية كبيرة.

و لم يكن هذا النموذج سوى نموذج خيالي. فعلى سبيل المثال، زعم عالم المتحجرات الأوربي شايندولف (الذي سار على نهجه إلدرج وغولد) أن أول طائر خرج من بيضة إحدى الزواحف كطفرة هائلة، أي نتيجة مصادفة ضخمة حدثت في التركيب الجيني (14)! وحسب النظرية ذاتها، كان من الممكن أن تتحول بعض الحيوانات البرية إلى حيتان ضخمة إذا تعرضت لتحول فجائي شامل. وتحتل هذه الادعاءات (المخالفة تماماً لجميع قوانين علم الوراثة والفيزياء الحيوية والكيمياء الحيوية) نفس المكانة العلمية التي تحتلها القصص الخيالية التي تدور حول تحول الضفادع إلى أمراء! ومع ذلك، نتيجة لانزعاج بعض علماء المتحجرات المؤمنين بالتطور من الأزمة التي كان يمر بها جزْمُ الدارونيين الجدد، تمسكَ هؤلاء العلماء بهذه النظرية التي كانت تتميز بأنها أكثر غرابة حتى من الدارونية الجديدة نفسها.

ويتمثل الغرض الوحيد من هذا النموذج في توفير تفسير للفجوات الموجودة في سجل المتحجرات التي لم يتمكن نموذج الدارونيين الجدد من تفسيرها. ومع ذلك، يكاد يكون من غير المعقول أن تجري محاولة لتفسير فجوات المتحجرات الموجودة في تطور الطيور عن طريق الادعاء بأن الطائر قد خرج فجأة من بيضة إحدى الزواحف؛ ذلك أن تطور نوع إلى نوع آخر يتطلب -باعتراف علماء التطور أنفسهم- حدوث تغير ضخم ومفيد في المعلومات الوراثية. ومع ذلك، لا يمكن لأية طفرة أياً كانت أن تحسّن المعلومات الوراثية أو تضيف إليها معلومات جديدة؛ ذلك أن الطفرات لا تؤدي سوى إلى إفساد المعلومات الوراثية. ومن ثم فإن الطفرات الهائلة التي تخيلها نموذج التوازن المتقطع لن ينتج عنها غير إضعاف وإتلاف هائل، أي كبير، في المعلومات الوراثية.

وفضلاً عن ذلك، فقد انهار التطور المتقطع من أول خطوة بسبب عدم قدرته على التعامل مع مسألة أصل الحياة، وهي ذات المسألة التي تدحض نموذج الدارونيين الجدد منذ البداية. وما دام من غير الممكن أن يتكون ولو حتى بروتين واحد عن طريق الصدفة، فلا يوجد معنى للجدال حول ما إذا كانت الكائنات الحية المكونة من تريأتيونات البروتينات قد مرت بمراحل تطور متقطعة أو تدريجية.

وعلى الرغم من ذلك، فما زالت الدارونية الجديدة هي النموذج الذي يتبادر إلى الذهن عند مناقشة التطور اليوم. وفي الفصول الآتية، سندرس -أولاً- آليتين متخيَّلتين للدارونية الجديدة ثم سنلقي نظرة على سجل المتحجرات للتحقق منهما. وبعد ذلك سنمعن النظر في مسألة أصل الحياة التي تبطل الدارونية الجديدة وكل نماذج التطور الأخرى مثل التطور بالقفزات.

وقبل أن نشرع في ذلك، قد يكون من المفيد أن نذكر القارئ بأن الحقيقة التي سنواجهها في كل مرحلة تجسد أن سيناريو التطور برمته ما هو إلا قصة خيالية وخدعة تتعارض تماماً مع العالم الواقعي. وقد استُخدم هذا السيناريو لخداع العالم منذ مئة وأربعين سنة، وبفضل الاكتشافات العملية الأخيرة أصبح من المستحيل -أخيراً- الاستمرار في الدفاع عنه.



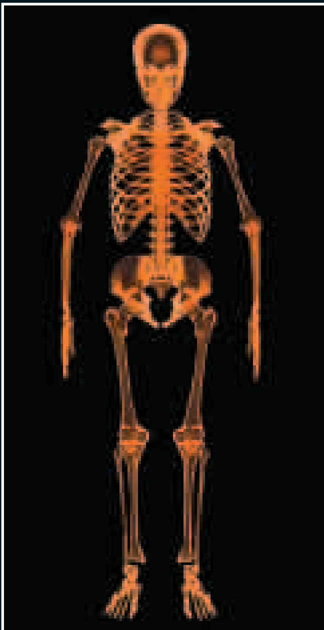
في الوقت الحاضر، يرفض عشرات الآلاف من العلماء في كثير من دول العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية و الدول الأوروبية نظرية التطور . و تُنشر أعداد كبيرة من الكتب التي تشير جميعها إلى عدم صلاحية هذه النظرية، يوجد بعض منها إلى اليسار.

لا وجود لحفريات تدل على مراحل بينية



تزعم نظرية التطور أن الكائنات الحية تحولت إلى كائنات أخرى بفعل عامل الطفرات الوراثية. غير أن العلوم المعاصرة أثبتت أن هذا الزعم لا يعدو أن يكون مجرد خدعة.

تزعم نظرية التطور أن الأحياء قد تحولت بفعل التغيرات الوراثية إلى أحياء أخرى مختلفة تماما عن سابقاتها، بيد أن العلم الحديث أثبت أن هذا الطرح لم يكن سوى كذبة كبيرة. فلو سلمنا بأن الأجناس تشتق و تتخلق تدريجيا من الأجناس الأخرى فلماذا إذن لم تقابلنا أشكال في طور التشكيل؟ لماذا كل شيء في الطبيعة بعيد عن الفوضى و يسير وفق نظام محكم؟ لا بد و أن هناك أشكالا لا نهائية لمرحلة التحول/ الفترة الانتقالية، و لكن لماذا لم نتمكن من وجود أي من هذه المخلوقات التي لا تعد و لا تحصى على وجه الأرض .... لماذا لم نجد جميع الطبقات و الأبنية الجيولوجية ممتلئة بصلات الوصل تلك؟ إن علم الجيولوجيا لا يُظهر سلسلة من الأحداث مرتبة على درجات بشكل جيد، و ربما كان هذا هو أكبر اعتراض يمكن أن يقيد نظريتي. (تشارلز داروين، أصل الأنواع (The Origin of Species ، ص. 172- 280)









هيكل عظمي لإنسان عادي







تزعم نظرية التطور أن الأحياء قد تحولت بفعل التغيرات الو راثية إلى أحياء أخرى مختلفة تماما عن سابقاتها. بيد أن العلم الحديث أثبت أن هذا الطرح لم يكن سوى كذبة كبيرة. و قبل كل شيء لو صح فعلا أن الكائنات الحية قد تحولت إلى كائنات حية مختلفة، فلا بد و أن يوجد وجه لهذا التغير على عدد كبير من الكائنات المتحولة، و لا بد و أن تكون الحفريات ممتلئة بهذا الكائنات الموجودة في مرحلة التحول في كل مكان على الأرض. بيد أن جميع الحفريات التي استخرجناها حتى يومنا هذا و التي يقترب عددها من 100 مليون حفرية تعود جميعها إلى كائنات كاملة غير ناقصة لكائنات حية نعرفها. فلو كان هناك تطور، فلا بد وأن تمتلئ الأرض بالحفريات التي تعود إلى مليارات الكائنات التي تغيرت. علاوة على ذلك كان يجب يكون هناك وجود غير طبيعي لأبعد الحدود لهذه الكائنات بسبب تلك التغيرات الوراثية المزعومة.

يرى أنصار نظرية التطور أن تكوين جميع الأعضاء جاء عن طريق المصادفة و نتيجة للتغيرات و الطفرات الو راثية، و أن كل عضو له بناء غير طبيعي في مرحلة تطور وظائفه قد تعرض عدد من المرات للتغيرات الو راثية. و في كل مرة من هذه المرات كان يمتلك حالة غير طبيعية بعد حالة غير طبيعية أيضاً. و لو سلمنا بصحة هذا الزعم لكان من الواجب أن توجد ملايين من هذه البنى غير الطبيعية في كل مرحلة من مراحلها تحت الأرض. و لكننا لم نعثر حتى على واحدة فقط منها. في حين أنه وفق هذا الزعم كان




عمود فقري لإنسان عادي›

يجب أن نجد كثير جداً من حفريات غريبة لبشر برأسين أو ثلاثة او أربعة أو من يملكون مئات الأعين مثل الحشرات أو أن يكون لهم عدد أذرع كثيرة و طويلة تمتد إلى مترين أو حتى إلى ثلاثة أمتار وما إلى ذلك من الأشياء الغريبة . و بنفس الشكل كان يجب أن تتكون نماذج غريبة لكل كائن حي و لكل نبات. كما كان يجب أن تسجل الحفريات الخاصة بالحيوانات البحرية تطوراً غير طبيعي إلى أبعد الحدود. إلا أنه لا يوجد كائن واحد على هذه الأشكال. فملايين الحفريات التي وجدناها تعود جمعها إلى حيوانات عادية و مألوفة لدينا.

لقد كانت هذه الحقيقة الواضحة بمثابة انهيار لنظرية التطور. وإن الدفاع عن هذه النظرية على الرغم من كذب تحول وتطور كل حفرية منذ 140 عاما ليس بالشيء الذي يفعله إنسان له عقل يفكر. لقد مرت 140 عاماً، و لم يبق جحر إلا و تم فيه التنقيب من أجل الحفريات، و أنفقت مليارات الدولارات، و لكن مع ذلك لم يُعثر على الحفريات الخاصة بتلك الكائنات التي تحدث عنها داروين. فلا توجد حفرية واحدة يمكن أن تستخدم لإثبات صحة الدار وينية. و في مقابل هذا كانت هناك ملايين "الحفريات الحية" التي تشير إلى "حقيقة الخلق".

فلو صح زعم أنصار داروين بخصوص التغير و التطور مع التغيرات الو راثية، لوجدنا في الحفريات أثارا لكائنات غريبة في مظهرها مثل أن يكون لها ثلاثة أمخاخ و ثنائي الفقرات، أو أن يكون لها عدد كبير من الأعين أو أنفان أو ما بين 6 إلى 7 أصابع و ما إلى ذلك من الأشياء الغريبة. إلا أن نتيجة الأبحاث التي أجريت منذ 150 عاماً جاءت لتقول إنه لم يُصادف وجود لأي حفرية غريبة على هذا النحو.


رجل لإنسان عادي



الفصل الثالث

آليات متخيَّلة للتطور

يحاول نموذج الداروينية الجديدة (الذي سنتناوله بوصفه النظرية السائدة للتطور اليوم) أن يبرهن على أن الحياة قد تطورت من خلال آليتين طبيعيتين هما: الانتقاء الطبيعي والطفرة. ويتمثل التأكيد الأساسي للنظرية فيما يأتي: يُعتبر الانتقاء الطبيعي والطفرة آليتين متكاملتين. ويرجع أصل تحورات التطور إلى طفرات عشوائية تحدث في التركيب الجيني للكائنات الحية، ويتم انتقاء السمات الناتجة عن الطفرات عن طريق آلية الانتقاء الطبيعي، وهكذا تتطور الكائنات الحية.

وبإخضاع هذه النظرية إلى مزيد من الدراسة الدقيقة، نكتشف أنها لا يوجد قط أية آلية تطور من هذا القبيل، لأنه لا الانتقاء الطبيعي ولا الطفرات تسهم بأي قدر في تدعيم الادعاء القائل بأن الأنواع المختلفة قد تطورت وتحولت إلى أنواع أخرى.

الانتقاء الطبيعي

كان الانتقاء الطبيعي -بوصفه أحد العمليات الطبيعية- أمراً مألوفاً بالنسبة لعلماء الأحياء قبل داروين، الذين عرّفوه على أنه آلية تحافظ على ثبات الأنواع دون إفسادها. ولكن داروين كان أول شخص يجزم بأن هذه العملية لها قوة تطويرية، وقد أقام نظريته بأكملها على أساس هذا الجزم. ويشير الاسم الذي أطلقه على كتابه إلى أن الانتقاء الطبيعي يشكل أساس نظرية داروين، إذ أطلق عليه: أصل الأنواع بواسطة الانتقاء الطبيعي.

غير أن أدنى دليل لم يقدَّم، منذ عصر داروين حتى اليوم، على أن الانتقاء الطبيعي هو السبب في تطور الكائنات الحية. ويؤكد كولين باترسون، كبير علماء المتحجرات في متحف التاريخ الطبيعي بإنكلترا (وهو يعد من أشهر دعاة التطور أيضاً)، على أن أحداً لم يلاحظ أبداً أن للانتقاء الطبيعي قوة تتسبب في التطور:

> لم ينتجِ أي أحد نوعاً بواسطة آليات الانتقاء الطبيعي، بل لم يقترب أحد منه ويدور معظم الجدال الحالي في إطار الداروينية الجديدة حول هذه المسألة. (15).

ويقضي الانتقاء الطبيعي بأن تسود الأحياء الأكثر تكيفاً مع الظروف الطبيعية لمواطنها بإنجاب الذرية التي يكتب لها البقاء، بينما تختفي تلك غير القادرة على التكيف. فمثلاً، في قطيع الغزلان الذي تهدده الحيوانات البرية، يكون طبيعياً أن الغزلان التي تستطيع الركض أسرع هي التي سيكتب لها البقاء. هذا صحيح، ولكن مهما استمرت هذه العملية فإنها لن تحوّل الغزلان إلى نوع آخر من الأحياء ؛ فسيبقى الغزال غزالاً دائماً.

وعند إلقاء نظرة على الحوادث القليلة التي يسوقها دعاة التطور بوصفها أمثلة مدروسة للانتقاء الطبيعي، نرى أنها ليست أكثر من مجرد محاولة بسيطة للخداع.

الاصطباغ الصناعي

في سنة 1986 نشر دوغلاس فوتويما كتاباً بعنوان بيولوجيا التطور، ويعد هذا الكتاب أحد المصادر التي تفسر بوضوح شديد نظرية التطور بواسطة الانتقاء الطبيعي. وكان أشهر مثال ساقه في هذا الموضوع يدور حول لون نوع من الفراشات التي بدا أنها تكتسب لوناً



إن نموذج فراشات الثورة الصناعية يُعرض كأهم دليل على التطور بعملية الانتقاء، حيث إنه لم يكن هناك أي تطور بأي شكل من الأشكال على الإطلاق، ولم يظهر أي نوع من الفراشات. فعلى اليسار تظهر الأشجار، والفراشات الموجودة عليها قبل الثورة الصناعية، أما على اليمين فتبدو وتظهر حالتها بعد الثورة الصناعية.

قاتماً خلال الثورة الصناعية في إنكلترا.

ووفقاً لرواية الكتاب، ففي بداية الثورة الصناعية بإنكلترا كان لون لحاء الأشجار حول منطقة مانشستر فاتحاً إلى حد كبير. ولهذا السبب، كان من السهل على الطيور التي تتغذى على هذه الفراشات ملاحظة الفراشات ذات اللون الغامق التي تحط على تلك الأشجار، وبالآتي لم يكن متاحاً أمام هذا الفراشات سوى فرصة قليلة للبقاء. ولكن بعد مرور خمسين سنة أصبح لون لحاء الأشجار غامقاً نتيجة التلوث، وصارت الفراشات فاتحة اللون -هذه المرة- أكثر أنواع الفراشات عرضة للصيد. ونتيجة لذلك، تناقج عدد الفراشات فاتحة اللون بينما ازداد عدد الفراشات غامقة اللون لأنه لم يكن من الممكن ملاحظة الأخيرة بسهولة. ويستخدم دعاة التطور هذا المثال باعتباره دليلاً عظيماً على نظريتهم. ومن ناحية أخرى، يجد دعاة التطور عزاء في تحريف الحقائق عن طريق إيضاح أن الفراشات فاتحة اللون قد تطوّرت إلى فراشات غامقة اللون.

ولكن من الواضح جداً أنه لا يمكن استخدام هذا الموقف بأي حال من الأحوال كدليل على نظرية التطور؛ لأن الانتقاء الطبيعي لم ينتج عنه نوع جديد لم يكن موجوداً من قبل. إذ أن الفراشات غامقة اللون كانت موجودة في جماعة الفراشات قبل الثورة الصناعية، و لم تتغير سوى الأعداد النسبية لأنواع الفراشات الموجودة في الجماعة. إذن، لم تكتسب الفراشات خاصية أو عضواً جديداً قد ينتج عنه ظهور نوع جديد. ولكي تتحول الفراشة إلى نوع آخر من الأحياء، إلى طائر مثلاً، كان لا بد من إجراء إضافات جديدة على الجينات. وبعبارة أخرى، كان لا بد من تحميل برنامج جيني منفصل تماماً يتضمن معلومات عن الخواص الجسدية للطائر.

مع زيادة التحري في أصل الموضوع تضخمت أبعاد الفضيحة، حيث اتضح أن ''فراشات العث على قشور الشجر'' التي التقط كيتيلفيل Kettlewell صورها كانت في الواقع فراشات ميتة. وكان كيتيلفيل قد لصق هذه الكائنات الميتة بالشجر عبر استعمال اللاصق والإبرة ثم قام بتصويرها. ونظرا لهبوط الفراشات إلى ما تحت الأغصان بدلا عن جذع الشجر فإنه يتعذر عادة التقاط مثل هذه الصور (16) وأمكن اكتشاف ذلك من قبل عالم العلوم في نهايات التسعينيات. وإن انهيار أسطورة الفراشة الصناعية التي كانت أكبر مادة تـُـدرّس في ''المدخل إلى نظرية الارتقاء'' على مدى عقود، قد أحدث صدمة بين الارتقائيين. وقد صرح جيري كون Jerry Covne قائلا: ''عندما علمت بالحقيقة (خدعة الفراشات المنقطة) فإن الشعور الذي انتابني كان من قبيل ما حدث في نفسي وأنا ابن ستّ سنوات عندما علمت بأن هدايا كريسماس كلها كانت من أبي وليس من بابا كريسماس. (17).

وخلاصة ما سبق: لا يملك الانتقاء الطبيعي القدرة على إضافة عضو جديد إلى كائن حي أو إزالته منه، أو تغيير نوع كائن حي إلى نوع آخر (على عكس الصورة التي يستحضرها دعاة التطور إلى الذهن). و لم يتمكن أعظم دليل تم تقديمه منذ زمن دارون إلى يومنا هذا من المضي أبعد من الاصطباغ الصناعي لفراشات الثورة الصناعية في إنكلترا.

لماذا لا يستطيع الانتقاء الطبيعي تفسير تعقيد الأعضاء؟

لم يسهم الانتقاء الطبيعي بأي شيء في نظرية التطور، لأنه لا يمكن أبداً لهذه الآلية أن تزيد المعلومات الوراثية للأنواع أو تحسنها، كما لا يمكنها أن تحول أحد الأنواع إلى نوع آخر ؛ فليس بمقدورها –مثلاً– أن تحول نجمة البحر إلى سمكة، ولا السمكة إلى ضفدع، ولا الضفدع إلى تمساح، ولا التمساح إلى طائر. وقد قام غولد، أكبر مدافع عن فكرة التطور المتقطع، بالإشارة إلى هذا الطريق المسدود الذي يواجه الانتقاء الطبيعي قائلاً:

> يكمن جوهر الدارونية في عبارة واحدة: الانتقاء الطبيعي هو القوة الإبداعية للتغير القائم على التطور. ولا أحد ينكر أن الانتقاء الطبيعي سيلعب دوراً سلبياً في التخلص من العناصر غير القادرة على التكيف، ولكن النظريات الدارونية تتطلب أيضاً خلق عناصر قادرة على التكيف.(18)

ومن الأساليب المضللة الأخرى التي يستعملها دعاة التطور لإقناعنا بمسألة الانتقاء الطبيعي محاولتُهم إظهار هذه الآلية على أنها مصمِّم يتسم بالوعي. غير أن الانتقاء الطبيعي ليس لديه أي وعي؛ لأنه لا يملك إرادة يمكن أن تقرر ما ينفع الكائنات الحية وما يضرها. ولهذا لا يستطيع الانتقاء الطبيعي أن يفسر النظم البيولوجية والأعضاء الحية التي تتسم بقدر من التعقيد يتعذر تبسيطه. وتتكون هذه النظم والأعضاء نتيجة تعاون عدد كبير من الأجزاء، وهي تصبح عديمة النفع إذا فُقد ولو عضو واحد منها أو صار معيباً (فمثلاً: لا يمكن أن تعمل عين الإنسان ما لم تكن موجودة بكل تفاصيلها). وبالآتي فمن المفترض أن تكون الإرادة التي جمعت كل هذه الأجزاء معاً قادرة على أن تستقرأ المستقبل بشكل مسبق وتستهدف مباشرة الميزة التي ستكتسب في المرحلة الأخيرة. وبما أن آلية الانتقاء الطبيعي لا تمتلك وعياً أو إرادة، فلا يمكنها أن تفعل أي شيء من هذا القبيل. وقد أدت هذه الحقيقة التي تنسف نظرية التطور من أساسها إلى إثارة القلق في نفس دارون، الذي قال:

> إذا كان من الممكن إثبات وجود أي عضو معقد لا يُرجَّح أن يكون قد تكَّون عن طريق تحورات عديدة ومتوالية وطفيفة، فسوف تنهار نظريتي انهياراً كاملاً. (19)

ولا يتعدى دور الانتقاء الطبيعي استبعاد أفراد النوع المشوهة أو الضعيفة أو غير القادرة على التكيف، ولا يمكنه أن ينتج أنواعاً جديدة أو معلومات وراثية جديدة أو أعضاء جديدة؛ أي ليس بمقدوره أن يجعل أي شيء يتطور. وقد قبل دارون هذه الحقيقة بقوله: لا يستطيع الانتقاء الطبيعي أن يفعل شيئاً ما لم تُتح الفرصة لحدوث اختلافات مواتية (20)، ولهذا السبب اضطرت الدارونية الجديدة إلى الارتفاع بمستوى الطفرات بوصفها السبب في التغيرات المفيدة إلى مستوى الانتقاء الطبيعي. ومع ذلك، وكما سنرى بعد قليل، لا يمكن أن تكون الطفرات سوى سبب في التغيرات الضارة.



ليس هناك أي مكسب حصل لنظرية النشوء والإرتقاء من فكرة الانتقاء أو الاختيار الطبيعي. ذلك لأن هذه الآلية لم تعمل في يوم من الأيام على تطوير المعلومات الجينية أو إغنائها لدى أي نوع من الأنواع. إنه لا يمكن لأي نوع أن يتغير إلى نوع آخر مختلف عنه؛ بمعنى أن التطور لا يمكن أن يغير نجم البحر فيصبح سمكة، أو يغير الأسماك فتصبح ضفادع، أو يغير الضفادع فتصبح تماسيح أو يغير التماسيح فتصبح طيورا.

الطفرات الوراثية

تُعرَّف الطفرات على أنها قَطعٌ أو استبدالٌ يحدث في جزيء «DNA» الموجود في نواة خلية الكائن الحي والذي يحمل كل المعلومات الوراثية، ويحدث هذا القطع أو الاستبدال نتيجة تأثيرات خارجية مثل الإشعاع أو التفاعلات الكيميائية. وتعتبر كل طفرة صُدفة، وإما أن تُدمِّر الطفرة النيوكليوتيدات المكوِّنة لجزيء «DNA» أو تغير أماكنها. وفي معظم الحالات تتسبب هذه الطفرات في قدر كبير من التدمير والتحور لدرجة تعجز معها الخلية عن إصلاحه.

ولا يمكن أن ننظر إلى الطفرة (التي يختبئ وراءها دعاة التطور في أغلب الأحيان) على أنه عصا سحرية تحول الكائنات الحية إلى شكل أكثر تطوراً وكمالاً، لأن التأثير المباشر للطفرات ضار. ولا يمكن أن تأخذ التغيرات الناتجة عن الطفرات سوى شكلا مشابها لذلك الذي عانى منه الناس في هيروشيما وناغازاكي وتشيرنوبل؛ أي الوفيات والإعاقة وفلتات الطبيعة!

ويرجع ذلك إلى سبب بسيط جدا هو: أن تركيب «DNA» معقد جداً وأن التأثيرات العشوائية لن تؤدي إلى شيء غير إلحاق الضرر بهذا التركيب. ويوضح رانغانثان ذلك بقوله:

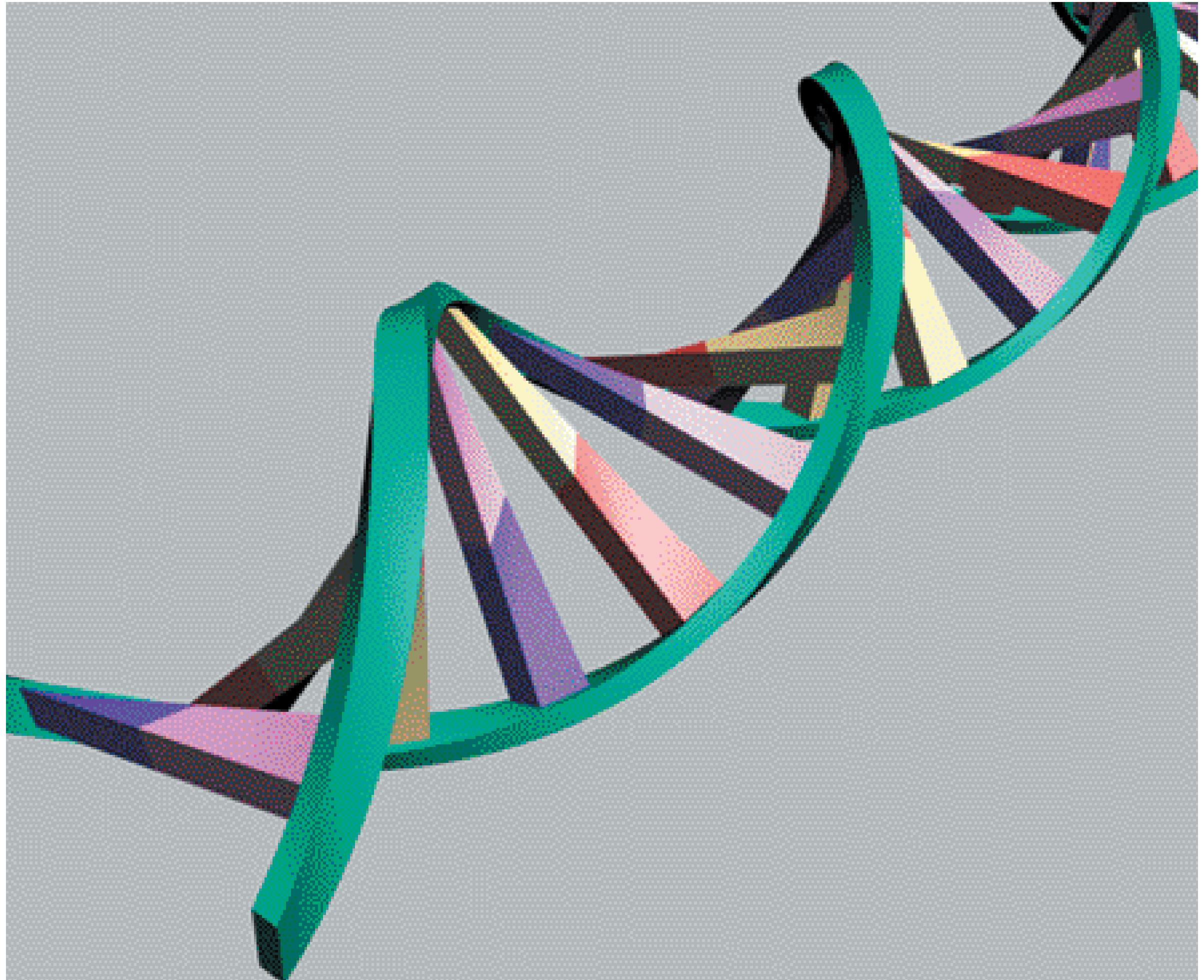
إن الطفرات صغيرة وعشوائية وضارة. وهي تتسم بندرة حدوثها، وتتمثل أفضل الاحتمالات في كونها غير مؤثرة. وتلمّح هذه السمات الأربع إلى أن الطفرات لا يمكن أن تؤدي إلى أي تقدم على صعيد التطور. إن حدوث تغير عشوائي في كائن حي يتسم بقدر عال من التخصص إما أن يكون غير مؤثر أو ضاراً؛ ذلك أن التغير العشوائي في ساعة اليد لا يمكن أن يحسن أداء الساعة، بل أغلب الظن أن هذا التغير سيضرّ بها أو لن يؤثر فيها على أحسن تقدير. فالزلزال لا يحسن المدينة بل يجلب لها الدمار. (21)

وليس مستغربا عدم ظهور أية طفرة مفيدة حتى الآن، فقد أثبتت كل الطفرات أنها ضارة. وعلق عالم التطور وَرن ويفر على التقرير الصادر عن لجنة التأثيرات الجينية للأشعة الذرية (التي شُكلت لدراسة الطفرات التي يمكن أن تكون قد نتجت عن الأسلحة النووية المستخدمة في الحرب العالمية الثانية) قائلاً:

سيتحير الكثيرون من حقيقة أن كل الجينات المعروفة تقريباً التي أصابتها طفرة هي عبارة عن جينات ضارة، فالناس يظنون أن الطفرات تشكل جزءاً ضرورياً من عملية التطور، فكيف يمكن أن ينتج تأثير جيد (أي التطور إلى شكل أعلى من أشكال الحياة) من طفرات كلها ضارة تقريباً ؟ (22)

لقد كان الفشل مصير كل الجهود المبذولة من أجل تكوين طفرة مفيدة. إذ قام دعاة التطور، لعقود عدة، بإجراء كثير من التجارب لإنتاج طفرات في ذباب الفاكهة، لأن هذه الحشرات تتكاثر بسرعة كبيرة ومن ثم تظهر فيها الطفرات بسرعة. وقد أُدخلت الطفرات على هذا الذباب جيلاً بعد جيل، ولكن لم تلاحَظ أية طفرة مفيدة قط. وقد كتب عالم الوراثة التطوري، غوردون تايلور في هذا الموضوع قائلاً:

من بين آلاف التجارب الرامية إلى إنتاج ذباب الفاكهة التي تم إجراؤها في جميع أنحاء العالم لأكثر من خمسين سنة، لم يلاحظ أحدٌ أبداً ظهور نوع جديد متميز... أو حتى إنزيم جديد. (23)



إن الطفرات الوراثية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن أن تظيف معلومات جديدة لــ DNA : فالأجزاء التي تكون المعلومات الجينية عندما تنزع من أماكنها إما أن يحدث لها خراب أو تنتقل إلى قسم آخر من الــ DNA، فالطفرات الوراثية لا يمكن أبدا أن تكسب الكائن الحي عضوا جديدا أو ان تمنحه خاصية إضافية. ما يحدث من جراء الطفرات الوراثية أمور غير عادية كأن تخرج الرجل من الظهر أو تخرج الأذن من البطن.

ويعلق باحث آخر، هو مايكل بيتمان، على إخفاق التجارب التي أجريت على ذباب الفاكهة بقوله:

لقد قام مورغان وغولدشميدت ومولر وغيرهم من علماء الوراثة بتعريض أجيال من ذباب الفاكهة لظروف قاسية من الحرارة، والبرودة، والإضاءة، والظلام، والمعالجة بالمواد الكيماوية والإشعاع. فنتج عن ذلك كله جميع أنواع الطفرات، ولكنها كانت كلها تقريباً تافهة أو مؤكدة الضرر. هل هذا هو التطور الذي صنعه الإنسان؟ في الواقع لا؛ لأنه لا يوجد غير عدد قليل من الوحوش التي صنعها علماء الوراثة كان بإمكانه أن يصمد خارج القوارير الذي أنتج فيها. وفي الواقع، إن هذه الطفرات إما أن يكون مصيرها الموت، أو العقم، أو العودة إلى طبيعتها الأصلية. (24)

وينطبق الوضع نفسه على الإنسان. فقد أظهرت كل الطفرات التي ظهرت على الإنسان نتائج ضارة. وعندما تطرح هذه المسألة يلقي عليها دعاة التطور ستاراً من الدخان، بل يحاولون حتى تقديم أمثلة على مثل هذه الطفرات الضارة بوصفها دليلاً على التطور. وتسبب كل الطفرات التي تحدث في الإنسان تشوهات جسدية، وعاهات مثل المغولية، أو متلازمة داون، أو المهق، أو القزامة، أو السرطان... وتُقدَّم هذه الطفرات في كتب التطور كأمثلة على أثر آلية التطور. ولا داعي لأن نقول إن العملية التي تترك الناس معاقين أو مرضى لا يمكن أن تكون آلية تطور (إذ من المفترض أن يُنتج التطور أشكالاً أفضل وأكثر قدرة على البقاء).

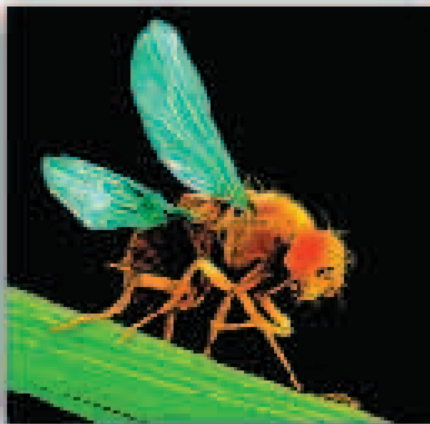
وإيجازاً لما سبق: توجد ثلاثة أسباب أساسية لعدم إمكانية استخدام الطفرات كوسيلة لدعم تأكيدات دعاة التطور، وهي:

1. التأثير المباشر للطفرات ضار: بما أن الطفرات تحدث عشوائياً، فإنها تكاد دائماً تضر بالكائن الحي الذي يتعرض لها. ويقضي المنطق بأن التدخل غير الواعي في تركيب كامل ومعقد لن يحسّن هذا التركيب بل سيفسده. وفي الواقع، لم يلاحظ حدوث أية طفرة مفيدة أبداً.

2. لا تضيف الطفرات أية معلومات جديدة إلى جزيء «DNA» الخاص بالكائن الحي: فإما أن تؤدي الطفرات إلى نزع الجسيمات المكونة للمعلومات الوراثية من أماكنها، أو إلى تدميرها، أو إلى نقلها عنوة إلى أماكن مختلفة. ولا يمكن للطفرات أن تكسب الكائن الحي عضواً جديداً أو خاصية جديدة. ولا ينتج عنها شئ غير الحالات الشاذة مثل بروز القدم من الظهر، أو خروج الأذن من البطن.

3. لكي تنتقل الطفرة إلى الجيل اللاحق، لابد أن تكون قد حدثت في الخلايا التناسلية للكائن الحي: لأن أي تغير عشوائي يحدث عرضاً في خلية أو عضو في الجسم لا يمكن أن ينتقل إلى الجيل الآتي. فعلى سبيل المثال: لن تورث عين الإنسان التي تغير تركيبها بسبب تأثير الإشعاع أو لأي سبب آخر إلى الأجيال اللاحقة.

وباختصار، يستحيل أن تكون الكائنات الحية قد تطورت، نظراً لعدم وجود أية آلية في الطبيعة يمكن أن تؤدي إلى تطورها. ويتفق هذا الرأي مع الأدلة الموجودة في سجل المتحجرات الذي يظهر بوضوح أن هذا السيناريو بعيد كل البعد عن الحقيقة.







إنّ علماء الأحياء الذين هم من أنصار نظرية التطور قد أخذوا يبحثون عن نموذج مفيد للطفرات الأحيائية حيث عرَّضوا الذباب للطفرات الأحيائية منذ بداية القرن، إلا أنه في نهاية تلك المساعي والمجهودات لم يتم الحصول إلا على ذباب مريض، وعليل، وغير تام. ويوجد في الأعلى وعلى اليسار صورة لذبابة فاكهة طبيعية، وفي الأسفل وعلى اليمين توجد ذبابة فاكهة أخرى تعرضت للطفرات الأحيائية وخرجت سيقانها من رأسها، أما في أعلى اليمين فتوجد ذبابة فاكهة قد خرجت أجنحتها بشكل مشوه وذلك بالطبع نتيجة لما تعرضت له من طفرات أحيائية.

الفصل الرابع

سجل المتحجرات يدحض نظرية التطور

وفقاً لنظرية التطور فإن كل نوع حي قد نشأ من سَلَف. وبمرور الوقت، تحول النوع الموجود أصلاً إلى نوع آخر، وبهذه الطريقة تكون كل الأنواع قد دخلت إلى حيز الوجود. وحسبما ورد في النظرية، فإن هذا التحول يتتابع تدريجياً خلال ملايين السنين.

مأزق الفترة الانتقالية

وإذا كان الحال كذلك، فمن المفترض أن توجد العديد من الأنواع المتوسطة التي عاشت خلال هذه الفترة الانتقالية الطويلة.

فعلى سبيل المثال: يفترض أن تكون هناك كائنات نصفها أسماك ونصفها الآخر زواحف قد عاشت في الماضي واكتسبت بعضاً من خواص الزواحف بالإضافة إلى خواص الأسماك التي تتمتع بها فعلياً، أو يفترض أن تكون قد عاشت بعض الزواحف الطيور، التي اكتسبت بعضاً من خواص الطيور بالإضافة إلى خواص الزواحف التي تتمتع بها فعلياً. ويشير دعاة التطور إلى هذه الكائنات الخيالية، التي يؤمنون بأنها قد عاشت في الماضي، باسم: الأشكال الانتقالية.

وإذا كانت مثل هذه الحيوانات قد عاشت بالفعل، فيفترض –إذن– أن توجد منها الملايين، بل البلايين، من حيث العدد والتنوع. وأهم من ذلك، يفترض أن تكون بقايا هذه الكائنات الغريبة موجودة في سجل المتحجرات، كما يفترض أن يكون عدد هذه الأشكال الانتقالية أكبر بكثير من عدد الأنواع الحالية من الحيوانات، ويفترض أن توجد بقاياها في جميع أنحاء العالم. وفي كتاب أصل الأنواع، فسر دارون ذلك بقوله:

> إذا كانت نظريتي صحيحة، فمن المؤكد أن هناك أنواعاً لا حصر لها من الأشكال المتوسطة قد عاشت في الماضي، إذ تربط هذه الأنواع معاً كلَّ الأنواع التابعة لنفس المجموعة برباط وثيق جداً... وبالآتي، لا يمكن أن تتوفر أدلة على وجودها في الماضي إلا بين بقايا المتحجرات. (25)

وكان دارون نفسه على دراية بغياب مثل هذه الأشكال الانتقالية، ولكنه كان يأمل في العثور عليها في المستقبل. وعلى الرغم من آماله، فقد أدرك أن أكبر حجر عثرة في طريق نظريته هو هذه الأشكال الانتقالية المفقودة؛ لذلك كتب في كتابه أصل الأنواع في فصل صعوبات النظرية ما يأتي:

> إذا كانت الأنواع قد انحدرت من أنواع أخرى عن طريق التسلسل الدقيق، فلماذا –إذن– لا نرى في كل مكان أعداداً لا حصر لها من الأشكال الانتقالية؟ لماذا لا تكون الطبيعة كلها في حالة اختلاط، بدلاً من أن تكون الأنواع –كما نراها– محددة تحديداً واضحاً؟ ولكن، وفقاً لما ورد في هذه النظرية، ينبغي أن يكون هناك عدد لانهائي من الأشكال الانتقالية. لماذا –إذن– لا نعثر عليها مطمورة بأعداد لا تعد ولا تحصى في قشرة الأرض؟... لماذا لا نجد الآن في المنطقة المتوسطة، التي تتسم بظروف حياتية متوسطة، أنواعاً متوسطة تربط بصفة دقيقة الأشكال البدائية بالأشكال المتقدمة؟ لقد حيرتني هذه الصعوبة منذ فترة طويلة من الوقت. (26)

وتَمثّلَ التفسير الوحيد الذي استطاع دارون أن يقدمه لمواجهة هذا الاعتراض في الحجة القائلة بأن سجل المتحجرات الذي اكتشف حتى ذلك الوقت لم يكن كافياً، وأكد أنه عند دراسة سجل المتحجرات بالتفصيل سيتم اكتشاف الحلقات المفقودة.

ونتيجة إيمان دعاة التطور بنبوءة دارون ما زالوا يفتّشون عن المتحجرات ويحفرون في كل بقاع الأرض منذ منتصف القرن التاسع عشر باحثين عن الحلقات المفقودة. وعلى الرغم من جهودهم الحثيثة، لم تكتشف حتى الآن أية أشكال انتقالية. وقد أثبتت كل المتحجرات المكتشَفة أثناء الحفر أنه –على عكس ما يعتقد دعاة التطور– فإن الحياة قد ظهرت على الأرض فجأة في تكوين كامل. وبينما كان دعاة التطور يحاولون أن يثبتوا نظريتهم، تسببوا –دون قصد– في انهيارها!

وقد اعترف عالم المتحجرات الإنكليزي المشهور، ديريك آجر، بهذه الحقيقة على الرغم من كونه أحد دعاة التطور قائلاً:

تتمثل نقطة الخلاف في أننا إذا فحصنا سجل المتحجرات بالتفصيل، سواء على مستوى الترتيب أو الأنواع، فسنكتشف –مراراً وتكراراً– عدم وجود تطور تدريجي، بل انفجار فجائي لمجموعة واحدة على حساب الأخرى. (27)

ويعلق داع آخر من دعاة التطور، هو عالم المتحجرات مارك سيزارنكي، على هذا الموضوع قائلاً:

إن المشكلة الأساسية في إثبات النظرية تكمن في سجل المتحجرات؛ أي آثار الأنواع المنقرضة المحفوظة في التكوينات الجغرافية للأرض. ولم يكشف هذا السجل قط أية آثار للأشكال المتوسطة التي افترضها دارون، وعوضاً عن ذلك تظهر الأجناس وتختفي فجأة. ويدعم هذا الشذوذ حجة دعاة الخلق القائلة بأن الأنواع قد خلقها الله. (28)

وقد اضطر دعاة التطور أيضاً إلى التعامل مع عدم الجدوى من انتظار ظهور الأشكال الانتقالية المفقودة في المستقبل، وذلك حسبما أوضح أستاذ علم المتحجرات بجامعة غلاسكو، نيفيل جورج:

لا داعي للاعتذار عن فقر سجل المتحجرات؛ فقد أصبح هذا السجل غنياً لدرجة يكاد يتعذر معها السيطرة عليه، وأصبح الاكتشاف فيه يسبق التكامل... ومع ذلك، ما زال سجل المتحجرات يتكون بشكل أساسي من فجوات. (29)

الحياة ظهرت على الأرض فجأة وفي أشكال معقدة

عند دراسة طبقات الأرض وسجل المتحجرات، يتضح أن كل الكائنات الحية قد ظهرت في وقت واحد. وتعتبر أقدم طبقة من طبقات الأرض اكتشفت فيها متحجرات لكائنات حية هي تلك التي تكونت في العصر الكامبري والتي يقدر عمرها بنحو 550-500مليون سنة.

لقد ظهرت الكائنات الحية التي اكتشفت في طبقة العصر الكامبري فجأة في سجل المتحجرات؛ أي ليس لها أسلاف سابقون. وتعج المتحجرات التي اكتشفت في الصخور الكامبرية قواقع وحيوانات ثلاثيات الفصوص وإسفنجيات وديداناً أرضية وأسماكاً هلامية وقنافذ بحرية، وغيرها من اللافقاريات المعقدة. وقد ظهر هذا الخليط الواسع من الكائنات الحية المكونة من مثل هذا العديد الكبير من الكائنات المعقدة بشكل فجائي جداً لدرجة أن هذا الحدث المدهش يُشار إليه في الأدبيات الجيولوجية باسم الانفجار الكامبري (Cambrian Explosion).

وتتسم معظم أشكال الحياة المكتشَفة في هذه الطبقة بنُظُم معقدة التركيب مثل العين، والخياشيم، وأجهزة الدورة الدموية، والتركيبات الفسيولوجية المتقدمة التي لا تختلف عن نظيراتها الحديثة. فعلى سبيل المثال: يعتبر تركيب عيون الحيوانات ثلاثية الفصوص الممشطة والمكونة من عدسات مزدوجة معجزة في التصميم. ويقول ديفيد روب، أستاذ الجيولوجيا في جامعات هارفرد وروتشستر وشيكاغو : إن عيون ثلاثيات الفصوص تملك تصميما لا يستطيع الإتيان به سوى مهندب بصريات معاصر ذو قابليات كبيرة ومتدرب تدريبا جيدا. (30)

لقد ظهرت هذه اللافقاريات معقدة التركيب فجأة في شكل كامل ودون أي حلقة وصل أو شكل انتقالي يربط بينها وبين الكائنات وحيدة الخلية، التي كانت تمثل –قبل اكتشاف اللافقاريات– الشكل الوحيد من أشكال الحياة على الأرض.

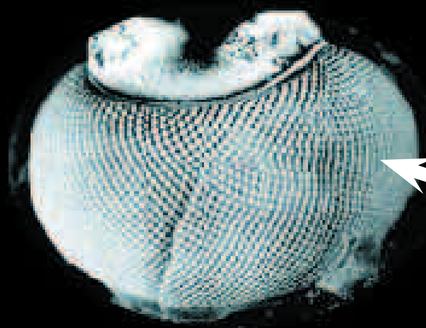
وقام ريتشارد موناسترسكي، المحرر في مجلة علوم الأرض التي تعتبر إحدى أشهر المطبوعات الخاصة بأدب التطور، بتوضيح ما يأتي عن الانفجار الكامبري الذي جاء بمثابة مفاجأة كبيرة لدعاة التطور:

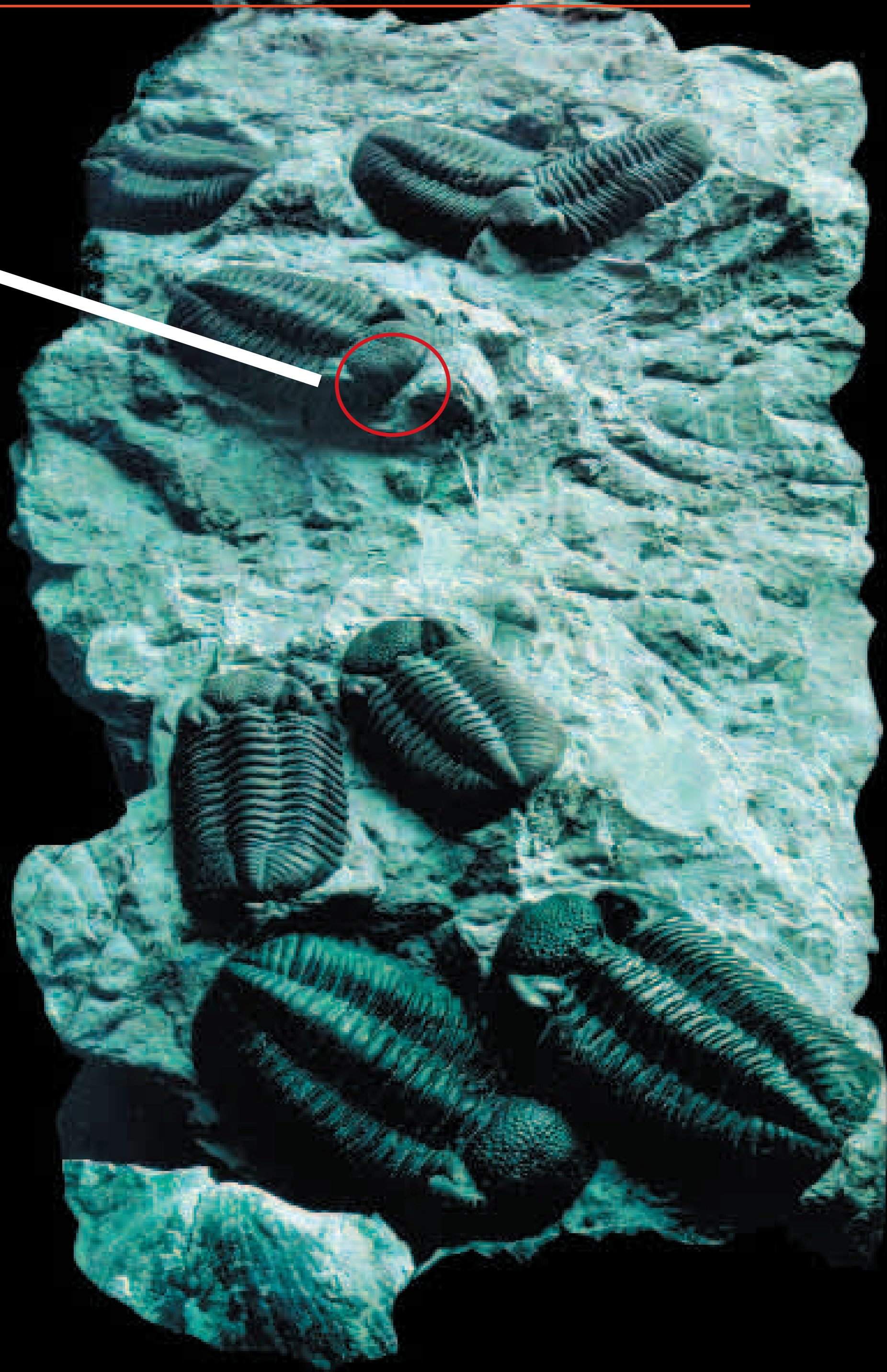
قبل نصف بليون سنة، ظهرت –فجأة– أشكال الحيوانات التي نراها اليوم والتي تتسم بقدر لافت للنظر من التعقيد. وتعد هذه اللحظة، عند بداية العصر الكامبري للأرض بالضبط، أي قبل حوالي 550 مليون سنة، علامة على الانفجار التطوري الذي ملأ البحور بأول كائنات معقدة في العالم. وكانت شعب الحيوانات الكبيرة التي نراها اليوم موجودة بالفعل في أوائل العصر الكامبري، وكانت تتميز عن بعضها البعض بنفس القدر الذي تتميز به عن بعضها البعض اليوم. (31)

عند تكثيف البحث في الانفجار الكمبري فإنه يتضح جليا مدى انعكاسه سلبا على نظرية الارتقاء بسد الطريق أمامها. وتؤكد مؤشرات السنوات الأخيرة على أن كائنات " فايلومس " التي تعتبر من التصنيف الأساسي للحيوانات قد ظهرت فجأة في العهد الكمبري. وفي مقال نشرته مجلة العلوم "Science " في عام 2001 ورد فيها ما يلي : "إن بداية العهد الكمبري الذي حدث قبل حوالي 545 مليون سنة، شهد ظهور أكثر أنواع الحيوانات الموجودة في عالمنا اليوم ضمن سجلات المتحجرات بصورة فجائية". ويوضح المقال نفسه أنه يجب العثور على حقول متحجرات للعهود القديمة تتسم بالثراء والتطور المرحلي للكائنات الحية، وذلك حتى يتسنى تفسير هذه المجموعات الحية المعقدة والمختلفة عن بعضها البعض

إن المتحجرات التي تم العثور عليها في المصادر الكمبيرية تعود إلى أنواع لا فقرية معقدة مثل الحلزون والتريلويت والاسفنج والدود ونجم البحر والكائنات السابحة القشرية والزنابق. والغريب في الأمر أن هذه الأنواع المختلفة عن بعضها البعض اختلافا جذريا قد ظهرت فجأة ودون أن يكون لها أي جد سابق.

معجزة الخلق التي سحبت البساط من تحت نظرية التطور





عيون التريلوبيت

إن الحفريات الموجودة بالمناطق الصخرية من العصر الكمبري ترجع إلى العديد من الأنواع غير الفقرية المعقدة مثل القواقع، والمفصليات ثلاثية الفصوص، والإسفنج، والخراطين، وقناديل البحر، ونجوم البحر، والصدفيات العائمة، وزنابق البحر. والمثير في الموضوع هو ظهور كل هذه الأشياء التي تختلف عن بعضها البعض كثيرا في لحظة واحدة، دون أن يكون لها أي جدود على الإطلاق. ومن ثم فإن هذه الواقعة المعجزة تُذكر في مدونات الجيولوجيا باسم "انفجار العصر الكمبري".

ــ أعين المفصليات ثلاثية الفصوص معجزة الخلق التي جعلت نظرية التطور لا حول لها ولا قوة:

فهذه العين كانت توجد في لحظة ما قبل 350 مليون عاما بشكل لا يشوبه أي نقص. فمن المؤكد أن خروج هذا التصميم وظهوره هكذا، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يُكشف عنه النقاب بنظرية التطور، كما أنه يؤكد في نفس الوقت على حقيقة الخلق.

إن المفصليات ثلاثية الفصوص التي ظهرت في لحظة ما بالعصر الكمبري، تمتلك بناء عين معقد إلى أقصى درجة. ويقول البروفيسور ديفيد روب (David Raup) عالم الجيولوجيا عن هذه العين التي تحتوي على مئات الأجزاء والعدسات التي هي على شاكلة خلية النحل: "إنها لتمتلك تصميما لا يمكن أن يُصممه في أيامنا الحالية إلا مهندسُ بَصريّات ذو كفاءة عالية حصل على نصيب كبير من التعليم الجيد".

وفضلا عن ذلك فإن نظام العين الذي يشبه خلية النحل الموجود في المفصليات ثلاثية الفصوص قد وصل إلى يومنا هذا دون أن يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق. وهناك العديد من الحشرات الموجودة في يومنا هذا تمتلك نفس بناء العين وذلك مثل النحل، والتُرْغُل.* وإن هذا الأمر من شأنه أن يدحض ادعاء نظرية التطور الذي يقول بأن الأحياء تنمو متنقلة من البدائية إلى التعقيد.

(*) R. L. Gregory, Eye and Brain: The Physiology of Seeing, Oxford University Press, 1995, p. 31.

بنظرية الارتقاء، ولكن يتعذر ذلك. وتعبر المقالة عن ذلك بالقول: إن هذا الارتقاء المتنوع والمنتشر يستلزم وجود مجموعة حية عاشت من قبل، ولكن ليس لدينا أي متحجر كدليل على ذلك (32).

فكيف أصبحت الأرض تفيض فجأة بمثل هذا العدد الكبير من أنواع الحيوانات؟ وكيف يمكن أن تكون هذه الأنماط المتميزة من أنواع الأحياء قد ظهرت دون وجود سلف مشترك؟ ما زالت هذه الأسئلة تبحث عن إجابة لدى دعاة التطور. وقام عالم الحيوان، ريتشارد داوكنز من جامعة أكسفورد، وهو أحد أكبر أنصار الفكر التطوري في العالم، بالتعليق على هذه الحقيقة التي تبطل الجذور الأساسية لكل الحجج التي كان يدافع عنها بقوله:

على سبيل المثال، تعتبر طبقات الصخور الكامبرية (التي يبلغ عمرها حوالي 600 مليون سنة) أقدم الطبقات التي وجدنا فيها معظم مجموعات اللافقاريات الأساسية. ولقد عثرنا على العديد منها في شكل متقدم من التطور في أول مرة ظهرت فيها. ويبدو الأمر وكأنها زُرعت لتوها هناك دون أن تمر بأي تاريخ تطوري. وغني عن القول أن مظهر عملية الزرع المفاجئ هذا قد أسعد المؤمنين بالخلق. (33)

وقد اضطر داوكنز للاعتراف بأن الانفجار الكامبري دليل قوي على الخلق، لأن الخلق هو الوسيلة الوحيدة لتفسير ظهور الحياة على الأرض في شكل كامل. وقد قام دوغلاص فوتويما، وهو عالم أحياء شهير من دعاة التطور، بالاعتراف أيضاً بهذه الحقيقة قائلاً:

إما أن تكون الكائنات الحية قد ظهرت على وجه الأرض وهي كاملة التطور وإما أنها لم تظهر. وإذا لم تكن قد ظهرت في شكل كامل التطور، فلابد أنها قد تطورت من أنواع كانت موجودة من قبل عن طريق عملية تحور ما. وإذا كانت قد ظهرت في شكل كامل التطور، فلا بد أنها قد خُلقت بالفعل بواسطة قوة قادرة على كل شيء. (34)

وقد أدرك دارون نفسه احتمال حدوث ذلك عندما كتب: إذا كانت الأنواع الكثيرة، التي تنتمي إلى نفس الأجناس أو الفصائل، قد دبت فيها الحياة فجأة، فستمثل هذه الحقيقة ضربة قاتلة لنظرية انحدار الأنواع بالتطور البطيء من خلال الانتقاء الطبيعي (35) ويمثل العصر الكامبري بالضبط الضربة القاتلة لدارون. ولهذا السبب يعترف عالم المتحجرات السويسري التطوري، ستيفن بنغستون، بعدم وجود حلقات انتقالية أثناء وصفه للعصر الكامبري قائلاً: إن هذا الوضع الذي أربك دارون وأخجله ما زال يبهرنا. (36)

وكما يتضح لنا، فإن سجل المتحجرات يشير إلى أن الكائنات الحية لم تتطور من الأشكال البدائية إلى الأشكال المتقدمة، بل ظهرت فجأة في حالة مثالية. وباختصار، فإن الكائنات الحية لم تأتِ إلى حيز الوجود بواسطة التطور، بل خُلِقَت!

المقارنات الجزئية تزيد من معضلة العهد الكمبري لنظرية الارتقاء

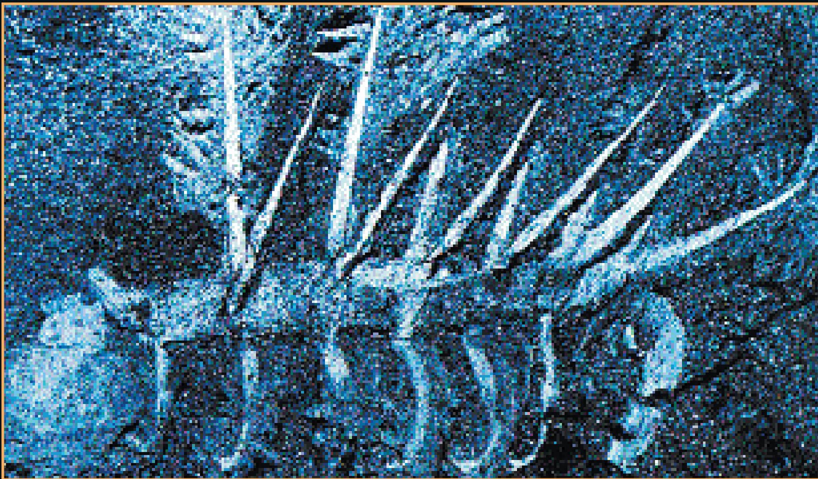
هناك حقيقة أخرى تزيد من معضلة نظرية الارتقاء في موضوع الانفجار الكمبري وهي تتمثل في المقارنات الجينية بين مختلف أصناف الكائنات الحية، حيث أظهرت نتائج هذه المقارنات وجود اختلافات جينية بين أصناف الحيوانات التي اعتبرها علماء الأحياء الارتقائيون بأنها ''أقارب من الدرجة الأولى ''. وبذلك أصبح افتراض ''النوع الانتقالي'' الذي كان عبارة عن نظرية بعيدا عن الآمال والوقائع. ونشرت مجلة '' Proceedings of the National Academy of Sciences '' مقالة في عام 2000 بتوقيع 6 علماء، أوضحت أن تحاليل دي أن أي DNA قد نفت المراحل التي كانت تعتبر ''النوع الانتقالي'' في الماضي، جاء فيها:

إن تحاليل دي أن أي DNA قد استوجبت تقديم تفاسير جديدة لأشجار فيلوجيني Filogenetic. وأصناف الأحياء الموجودة في جذور الأشجار ميتازوا Metazoa (الكائنات الحية متعددة الخلايا) التي كان يعتقد سابقا بأنها تمثّـل درجات التعقد فيما بينها، تم الكشف عن أنها تتنقل في الشجرة حيث تصل إلى أعلاها. وهذا الواقع يفند فكرة ''النوع الانتقالي'' في نظرية الارتقاء ويضطرنا إلى إعادة التفكير في أصول التعقد لكائنات Bilateria (الكائنات الحية ذات الأجسام المتوازية (37).

كما يؤكد الكتّـاب الارتقائيون في المقالة نفسها على أن بعض الأصناف التي كانوا يعتبرونها من ''النوع الانتقالي'' ضمن مجموعات الكائنات البحرية اللافقرية مثل الإسفنج وكينيدارين Cnidarian وستانوفور Ctenophor أصبحت خارج هذا الفكر بسبب ظهور مؤشرات جينية جديدة وعبروا عن ''خيبة آمالهم'' فيما يتعلق بتصور الأشجار الارتقائية وقالوا في هذا الصدد:

إن للكائنات الفيلوجينية ذات الأصول الجزئية نتائج هامة. وأهمها اختفاء كائن ''Urbilateria '' أي آخر جد مشترك لكائنات Biletaria وأصناف ''النوع الانتقالي'' من الإسفنج وكينيدارين Cnidarian وستانوفورCtenophor عن الوجود... وكنتيجة طبيعية لهذا الأمر فإن هناك فراغا كبيرا في شجرة الأصول المؤدية إلى كائن Urbilateria... وأمام تزايد سيناريو التعقد بشكل تدريجي، فإننا فقدنا الأمل في استرجاع هذا الفراغ أي ''الجد'' الذي كان معتمدا في منطق نظرية الارتقاء السابقة (38).





"الأشواك المثيرة: إن نبات الــ"هلوسيكينيا (**Hallucigenia**) الموجود بأعلى اليسار، يُعد أحد الأحياء التي ظهرت في لحظة ما بالعصر الكمبري. وتوجد بهذه الحفريات، وفي غيرها من حفريات الكائنات الحية الخاصة بالعصر الكمبري، أشواك أو قشريات صلبة تؤمن لها الحماية ضد الهجمات التي تتعرض لها. لكن النقطة التي لم يستطع أنصار نظرية التطور كشف النقاب عنها، هي كيف تمتلك هذه الحيوانات هذا الكم الهائل من الحماية في هذا العصر الذي لم يكن به أي كائن حي "صائد" على الإطلاق. فعدم وجود حيوان "صائد" على الساحة في ذلك العصر، يجعل من غير الممكن بمكان توضيح هذا الموضوع وكشف النقاب عنه بواسطة "الاصطفاء الطبيعي".

أما بالنسبة إلى السيناريو الخيالي الخاص بمسألة الانتقال من الماء إلى البر، فهو عبارة عن أن بعض الأسماك لبعض الأسباب مثل ضروريات التغذية تكون بحاجة إلي الانتقال من الماء إلى البر. ولا جرم أنه لا يوجد أي دليل على الإطلاق لهذا السيناريو. ومن ثم فإن هناك سعيا لتدعيم هذا الادعاء مثارَ الجدل برسومات خيالية تخمينية لا أساس لها مثل تلك الرسومات الآتية

الفصل الخامس

حكاية الإنتقال من الماء إلى اليابسة

يفترض علماء التطور أن اللافقاريات البحرية التي ظهرت في الطبقة الكامبرية قد تحولت بطريقة ما إلى أسماك خلال عشرات الملايين من السنين. ومع ذلك، كما لا يوجد أي أسلاف للافقاريات الكامبرية، كذلك لا توجد أية حلقات انتقالية تشير إلى حدوث تطور بين هذه اللافقاريات وبين الأسماك. وجدير بالذكر أن هناك اختلافات تركيبية هائلة بين اللافقاريات والأسماك؛ إذ توجد الأنسجة الصلبة الخاصة باللافقاريات خارج أجسادها في حين تنتمي الأسماك إلى الفقاريات وتوجد أنسجتها الصلبة داخلها. ولا بد أن مثل هذا التطور الهائل قد استغرق بلايين الخطوات ليكتمل، ومن المفترض أن توجد بلايين الأشكال الانتقالية التي تصوره.

وقد أخذ دعاة التطور يحفرون في طبقات الأرض منذ 140 سنة بحثاً عن هذه الأشكال الافتراضية. وقد عثروا على ملايين المتحجرات اللافقارية، وملايين المتحجرات السمكية؛ ولكن لم يعثر أحد أبداً ولو حتى على متحجرة واحدة في حالة متوسطة بين الاثنين.

ويعترف عالم المتحجرات التطوري، جيرالد تود، بهذه الحقيقة في مقال بعنوان: تطور الرئة وأصل الأسماك العظمية:

لقد ظهرت الأقسام الثلاثة الفرعية للأسماك العظمية في سجل المتحجرات لأول مرة في نفس الوقت تقريباً. وتختلف هذه الأسماك فعلياً اختلافاً واسعاً عن بعضها البعض من الناحية الشكلية، كما أنها مصفحة بقوة. فكيف ظهرت هذه الأسماك؟ وما الذي سمح لها بهذا الكم الواسع من الاختلاف؟ وكيف أصبحت جميعها مصفحة بقوة؟ ولماذا لا يوجد أي أثر لأشكال متوسطة بدائية؟ (39)

ويخطو سيناريو التطور خطوة أخرى ويحاول أن يبرهن على أن الأسماك قد تطورت من اللافقاريات ثم تحولت إلى برمائيات. ولكن هذا السيناريو أيضا ينقصه الدليل؛ إذ لا توجد حتى متحجرة واحدة تؤكد وجود كائن نصفه سمكي ونصفه الآخر برمائي. وقد قام أحد أشهر علماء التطور الثقات، روبرت كارول، مؤلف كتاب متحجرات الفقاريات والتطور، بالاعتراف بهذه الحقيقة بشيء من التردد: ليست لدينا متحجرات متوسطة بين الأسماك الرايبدستية (rhipidistian fish) (التي يحبذ كارول اعتبارها أسلافاً للحيوانات التي تدبّ على أربعة أقدام) وبين البرمائيات الأولى (40) وقد قام عالما المتحجرات التطوريان، كولبرت ومورالس، بالتعليق على الطوائف الثلاث الأساسية للبرمائيات وهي: الضفادع والسمندرات والسِّسيأتيات (caecilians) بقولهما:

لا يوجد أي دليل على وجود أية برمائيات تعود إلى العصور القديمة وتجمع بين الصفات المتوقع وجودها في سَلَف واحد مشترك؛ إذ إن أقدم الأنواع المعروفة من الضفادع والسمندرات والسسيأتيات تشبه بدرجة كبيرة أسلافها الحية. (41)

وحتى نحو 50 سنة مضت، كان دعاة التطور يعتقدون أنَ مثل هذا الكائن موجود بالفعل. وقد تم تقديم سمكة تُدعى كولاكانث (Coelacanth)، قُدّر عمرها بنحو 410 ملايين سنة، بوصفها شكلاً انتقالياً لديه رئة بدائية ودماغ متطور وجهاز هضمي وجهاز للدورة الدموية جاهز للعمل على اليابسة، بل ولديه حتى آلية بدائية للمشي. وقد تقبلت الأوساط العلمية هذه التفسيرات التشريحية بوصفها حقيقة لا جدال فيها حتى نهاية الثلاثينيات، وهكذا تم تقديم الكولاكانث باعتبارها شكلاً انتقالياً حقيقياً يثبت حدوث التحول التطوري من الماء إلى اليابسة.

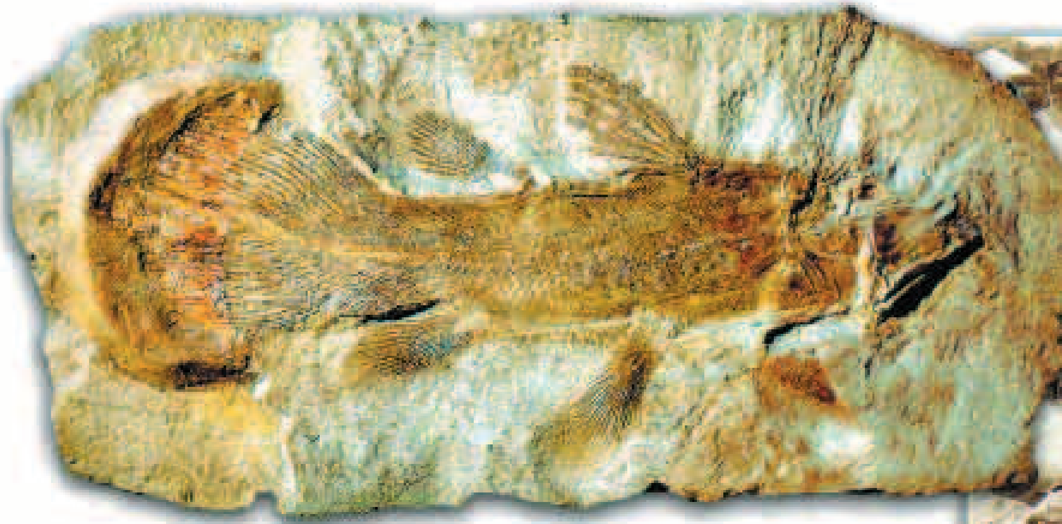
ولكن حدث اكتشاف مثير جداً في المحيط الهندي في 22 كانون الأول (ديسمبر) 1938؛ إذ تم اصطياد سمكة حية من فصيلة الكولاكانث (التي قدمت في السابق بوصفها شكلاً انتقالياً انقرض منذ سبعين مليون سنة مضت)! ولا شك في أن اكتشاف طراز بدائي

حي من الكولاكانث قد جاء بمثابة صدمة قاسية لدعاة التطور. وقد قال عالم المتحجرات التطوري، ج. ل. سميث، إنه ما كان ليندهج أكثر لو أنه صادف ديناصوراً حيا(42) وفي الأعوام الآتية، تم في أحيان عدة اصطياد أكثر من مئتي سمكة كولاكانث في مختلف أرجاء العالم.

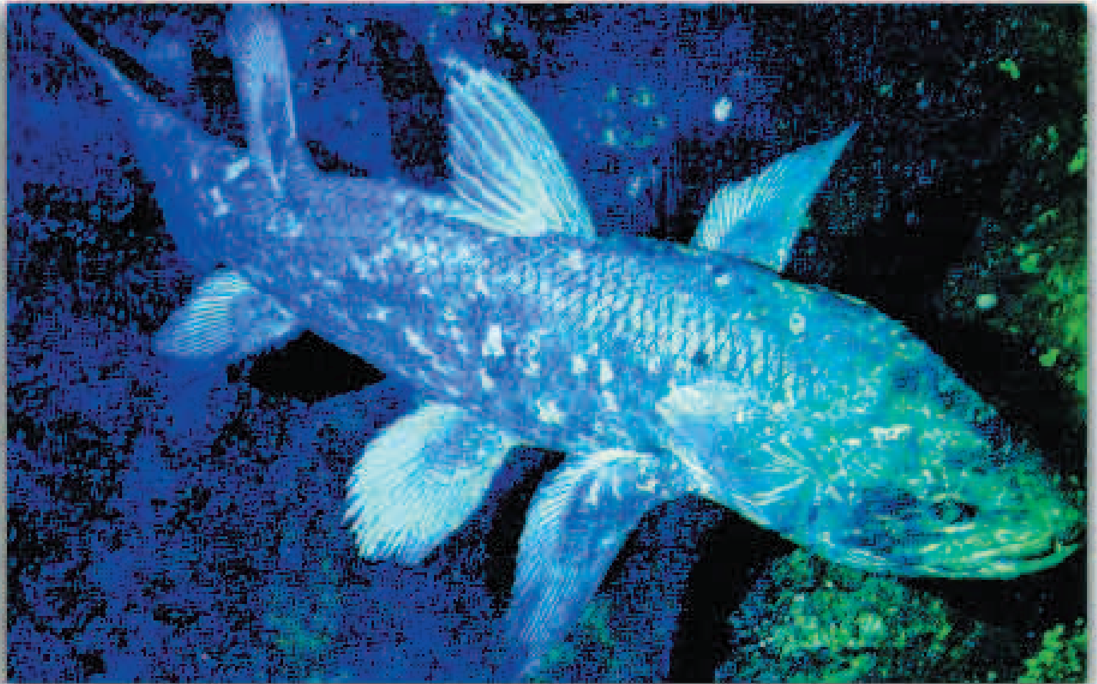
وكشفت أسماك الكولاكانث الحية مدى تمادي دعاة التطور في اختراع السيناريوهات الخيالية. وعلى عكس ادعاءاتهم، فلم يكن لدى هذه الأسماك رئة بدائية ولا دماغ كبير، وتبين أن العضو الذي اقترح دعاة التطور أنه رئة بدائية لم يكن أكثر من مجرد كيج دهني(43) وعلاوة على ذلك، فإن سمكة الكولاكانث التي تم تقديمها باعتبارها مرشحة الزواحف التي تستعد للخروج من الماء إلى اليابسة لم تكن -في الواقع- أكثر من مجرد سمكة تعيش في أعماق المحيطات ولم تقترب قَط بمسافة تقل عن 180 متراً من سطح الماء. (44)

حسب السيناريو الخيالي لأنصار نظرية التطور فإن بعض الأسماك اضطرت بسبب البحث عن الغذاء إلى الانتقال من الماء إلى اليابسة. ولا يوجد أي دليل على صحة هذا السيناريو. ولذلك فإن هذا الزعم لا أساس له من الصحة، وهو يحاول إثبات نفسه برسوم خيالية مبتكرة.

مزيف

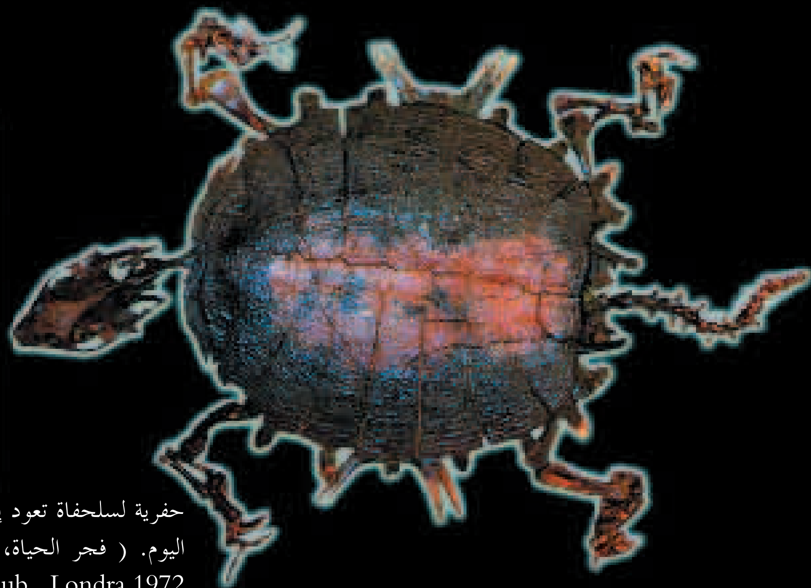



أول الأمر كان بإصابة النماذج الحية لهذه السمكة (في اليمين) بالأمراض لمرات بما فيها عام 19–38، وهو الأمر الذي أشار إلى أي مدى يخوض أنصار فكرة التطور في مضاراباتهم. في الأعلى متحجر للـكولياكانث Cœlacanth ويرجع عمره إلى 410 مليون سنة. وقد اعتمد أنصار نظرية التطور على هذا المتحجر لكي يثبتوا وجود المرحلة الانتقالية المتمثلة في انتقال هذا الكائن من الماء إلى اليابسة.

نموذج على بطلان نظرية التطور

سلحفاة



إلى الجانب، متحجر لسلحفاة يعود عمرها إلى 45 مليون سنة كانت تعيش في الماء العذب تم العثور عليها في ألمانيا. وأما في جهة الشمال فهو أقدم متحجر لسلحفاة بحري: هذا المتحجر الذي عثر عليه في البرازيل ويبلغ عمره 110 مليون سنة لا يوجد أي فرق بينه وبين النماذج الموجودة في الوقت الحاضر.



حفرية لسلحفاة تعود إلى 100 مليون عام، لا فرق بينها و بين السلاحف الموجودة اليوم. (فجر الحياة، دار نشر أوربيس، لندن 1972). (The Dawn of Life, Orbis Pub., Londra 1972)

و كما لم تستطع نظرية التطور أن تقدم تفسيرا للفصائل الحية الرئيسية الأخرى مثل الأسماك والزواحف فإنها لم تستطع وبالشكل نفسه أن تقدم تفسيرا لأصل أي من الأنواع التي تندرج تحت هذه الفصائل الرئيسية. مثال ذلك أن السلاحف و هي من الزواحف تظهر في مدونات الحفريات بغطائها القشري الخاص بها. وعلى حد قول المطبوعات المؤيدة لفكرة التطور: "على الرغم من أن الحفريات الخاصة بالسلاحف كانت محمية ومُصانة بشكل أكبر من الفقاريات الأخرى، إلا أنه لا يوجد حفرية واحدة يُنظر إليها باعتبارها صورة انتقالية بين هذه الكائنات الحية و الزواحف الأخرى التي يُفترض أنها قد تطورت عنها. (Encyclopedia Britannica, 1992, Tome 26, pp. 704-705).

و لم يُلحظ وجود أي فرق بين أقدم حفريات السلاحف وبين النماذج الحية الموجودة في عصرنا الحاضر. و يمكن القول باختصار أن السلاحف لم تمر بأي من مراحل التطور المزعومة، بل ظلت طوال تاريخها تعيش كسلاحف فقط لأنها و ببساطة قد خُلقت على هذا الشكل.



لماذا يكون الانتقال من الماء إلى اليابسة مستحيلاً ؟

يدّعي دعاة التطور أنه في يوم من الأيام تمكّن أحد الأنواع المائية من أن يخطو –بطريقة ما– إلى اليابسة وتحول إلى نوع بري. وهناك عدد من الحقائق الواضحة التي تجعل مثل هذا الانتقال مستحيلاً:

1/ حمل الوزن:

لا تواجه الكائنات البحرية أية مشكلة في حمل أوزانها، في حين أن معظم الكائنات البرية تستهلك 40% من طاقتها لمجرد حمل وزنها هنا وهناك. لذا يتحتم على الكائنات التي تنتقل من الماء إلى اليابسة أن تطور نظماً عضلية وهيكلية جديدة (!) لتفي بالحاجة إلى الطاقة اللازمة في نفس الوقت، وهو الشيء الذي يستحيل أن يحدث بفعل الطفرات العرضية.

2/ الاحتفاظ بالحرارة:

يمكن لدرجة الحرارة على اليابسة أن تتغير بسرعة وتتذبذب على نطاق واسع. ويتمتع الكائن البري بآلية جسدية تستطيع أن تقاوم مثل هذه التغيرات الكبيرة في درجة الحرارة، أما في البحر فتتغير درجة الحرارة ببطء ولا يحدث التغيير على نطاق واسع. فالكائن الحي الذي يمتلك نظاماً بدنياً منظماً حسب درجة حرارة البحر المستقرة يحتاج إلى الحصول على نظام حماية يضمن له أدنى قدر من الضرر من جراء تغيرات درجة الحرارة على اليابسة، ومن الأمور المنافية للعقل الادّعاء بأن الأسماك اكتسبت مثل هذا النظام بفعل طفرات عشوائية بمجرد خطوها إلى اليابسة.

3/ استخدام الماء:

تقضي الحاجة بأن يتم استخدام الماء (بل وحتى الرطوبة) –بوصفهما ضرورين للعيش– بشكل مقيد نظراً لندرة مصادر الماء على اليابسة. فعلى سبيل المثال، يجب أن يتم تصميم الجلد لكي يسمح بفقد الماء بدرجة محددة على أن يقوم في الوقت نفسه بمنع التبخير المفرط. إذن، تشعر الكائنات الحية البرية بإحساس العطش، وهو الشيء الذي لا تشعر به الكائنات البحرية. وفوق ذلك، فإن جلد الحيوانات البحرية لا يناسب البيئة غير المائية.

4/ الكلى:

تستطيع الكائنات الحية البحرية أن تصرف الفضلات، خاصة الأمونيا، الموجودة في أجسادها من خلال الترشيح، نظراً لوجود كمية وفيرة من الماء في بيئتها. أما على اليابسة فلا بد من استخدام الماء بطريقة اقتصادية، ولذلك يوجد لدى هذه الكائنات الحية نظام كلوي. وبفضل الكلى، يتم تخزين الأمونيا من خلال تحويلها إلى يوريا ويتم استخدام أقل كمية من الماء أثناء عملية الإفراز. وإضافة إلى ذلك، هناك حاجة لنظم جديدة لتمكن الكلى من أداء وظيفتها.
باختصار، إذا كان للانتقال من الماء إلى اليابسة أن يحدث لكان سيتحتم على الكائنات الحية التي لا تملك كلى أن تطور نظاماً كلوياً فجأة.

5/ الجهاز التنفسي:

«تتنفس» الأسماك عن طريق الحصول على الأكسجين المذاب في الماء وإخراجه من خلال خياشيمها، ولا تستطيع أن تعيش أكثر من دقائق قليلة خارج الماء. ولكي تعيش على اليابسة عليها أن تكتسب نظاماً رئوياً كاملاً فجأة.
إن من الاستحالة بمكان أن تكون جميع هذه التغيرات الفسيولوجية الدراماتيكية قد حدثت في نفس الكائن الحي وفي نفس الوقت بصورة مفاجئة.

الفصل السادس

أصل الطيور والثدييات

وفقاً لنظرية التطور، فإن الحياة قد نشأت في البحر وانتقلت إلى اليابسة بواسطة البرمائيات. ويقترح هذا السيناريو التطوري أيضاً أن البرمائيات تطورت إلى الزواحف؛ أي إلى كائنات تعيش على اليابسة فقط. ومرة أخرى، لا يُعَد هذا السيناريو مستساغاً من الناحية العقلية نظراً للاختلافات التركيبية الهائلة بين هاتين الطائفتين من الحيوانات. فمثلاً، بيضة الحيوان البرمائي مصممة للنمو في الماء في حين أن بيضة أي زاحف مصممة للنمو على اليابسة، ومن ثَم يعتبر التطور التدريجي للبرمائيات أمراً محالاً، لأنه بدون بيضة مثالية كاملة التصميم لا يمكن أن يُكتب البقاء لأي نوع. وفضلاً عن ذلك، وكالعادة، لا يوجد أي دليل على الأشكال الانتقالية التي يُفترض أن تربط البرمائيات بالزواحف. وهكذا، كان لزاماً على عالم المتحجرات التطوري الذي يعد أحد الثقات في علم المتحجرات الفقارية روبرت كارول، أن يقبل بأن: الزواحف الأولى كانت مختلفة جداً عن البرمائيات وأنه لم يتم العثور على أسلافها بعد.(45)

ولكن سيناريوهات دعاة التطور المحكوم عليها بالفشل لا محالة لم تنته بعد. فما زالت هناك مشكلة في جعل هذه الكائنات تطير! وبما أن دعاة التطور يؤمنون بأن الطيور لا بد أنها قد تطورت بشكل ما، فإنهم يؤكدون أنها تحولت من الزواحف. ومع ذلك، لا توجد أية آلية من الآليات المميزة للطيور (التي تتصف بتركيب مختلف تماماً عن حيوانات اليابسة) يمكن تفسيرها عن طريق التطور التدريجي. فبادئ ذي بدء، تشكل الأجنحة التي تعتبر الخاصية الاستثنائية للطيور مأزقاً كبيراً لدعاة التطور. وقد اعترف أحد دعاة التطور الأتراك، أنكين قورور، باستحالة تطور الأجنحة بقوله:

> إن الخاصية المشتركة في العيون والأجنحة هي أنهما لا تؤديان وظائفهما إلا إذا اكتمل نموهما. وبعبارة أخرى، لا يمكن لعين نصف نامية أن ترى؛ ولا يمكن لطائر أجنحته نصف مكتملة أن يطير. وفيما يتعلق بالكيفية التي تكونت بها هذه الأعضاء، فإن الأمر ما زال يمثل أحد أسرار الطبيعة التي تحتاج إلى توضيح. (46)

وما زالت الكيفية التي تكوَّن بها هذا التركيب المثالي للأجنحة نتيجة طفرات عشوائية متلاحقة تعتبر سؤالاً يبحث عن إجابة؛ إذ لا توجد وسيلة لتفسير الكيفية التي تحولت من خلالها الأذرع الأمامية للزواحف إلى أجنحة تعمل على أكمل وجه نتيجة حدوث تشويه في أجنتها (أي طفرة)

وفوق ذلك، لا يُعد امتلاك الأجنحة أمراً كافياً لطيران الكائن البري؛ إذ تفتقر الكائنات البرية إلى العديد من الآليات التركيبية الأخرى التي تستخدمها الطيور في الطيران. فعلى سبيل المثال: عظام الطيور أخف بكثير من عظام الكائنات البرية، كما أن رئة الطيور تعمل بشكل مختلف تماماً، وتتمتع الطيور بجهاز عضلي وعظمي مختلف وكذلك بجهاز قلب ودورة دموية على درجة عالية من التخصص. وتعتبر هذه الميزات متطلبات ضرورية للطيران يحتاجها الطائر بنفس قدر احتياجه للأجنحة. ولا بد أن تكون كل هذه الآليات قد نشأت معاً وفي نفس الوقت؛ إذ من غير الممكن أن تكون قد تشكلت تدريجياً عن طريق التراكم. ولهذا السبب، تعتبر النظرية التي تؤكد على تطور كائنات اليابسة إلى كائنات جوية نظرية مضللة تماماً.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال آخر: حتى إذا افترضنا أن هذه القصة المستحيلة صحيحة، لماذا –إذن– لم يتمكن دعاة التطور من العثور على أية متحجرات بنصف جناح أو بجناح واحد تدعم قصتهم؟



رئة خاصة بالطيور

تمتلك الطيور شكلا تشريحياً يختلف تماما عن الزواحف التي يُزعم أنها أجداد لتلك الطيور. وتختلف آلية عمل الرئة الخاصة بالطيور اختلافا تاما عن الآلية التي تعمل بها لدى الكائنات البرية الأخرى.

تستنشق الحيوانات البرية الهواء شهيقاً وتخرجه زفيرا من خلال أنبوب أو قناة واحدة. أما لدى الطيور ففي الوقت الذي يدخل فيه الهواء إلى الرئة من الطرف الأمامي يخرج هواء الزفير من الجانب الخلفي. وترجع الحكمة من وراء خلق الله سبحانه و تعالى لنظام يتمتع بخصوصية على هذا الشكل إلى حاجة الطيور إلى غاز الأكسجين بمقادير كبيرة أثناء الطيران. ومن المستحيل أن يكون هذا البناء قد تطور عن رئة الزواحف، لأنه ليس في الإمكان التنفس بواسطة بناء ''فاصل'' موجود بين نظام عمل الرئة المختلف في كلا البناءين.









ريش الطيور: التصميم الذي لم تقدر نظرية التطور على تفسيره

إن نظرية التطور، التي تدّعي أن الطيور تطورت من الزواحف، تجد نفسها عاجزة عن تفسير الفروق الهائلة بين هذين الصنفين المختلفين من الأحياء. إذ تختلف الطيور اختلافاً كبيراً عن الزواحف من حيث مقوماتها؛ مثل البنية الهيكلية، والنظم الرئوية، وسخونة دم الأيس. ويعد الريش ميزة أخرى تشكل فجوة لا تذلل بين الطيور والزواحف، كما يعد الريش ميزة خاصة بالطيور فقط.

وتغطي أجسادَ الزواحف قشورٌ بينما يغطي أجسادَ الطيور الريش. وبما أن دعاة التطور يعتبرون الزواحف أسلافاً للطيور فإنهم مضطرون للادعاء بأن ريش الطيور قد تطور من قشور الزواحف. ولكن لا يوجد أي شبه بين القشور والريش!

ويقبل أ. هـ. بروس، أستاذ الفسيولوجيا والبيولوجيا العصبية من جامعة كنكتكت، هذا الواقع على الرغم من انتمائه لدعاة التطور فيقول: كل مقوم –بدءاً من بنية الجينات وتنظيمها حتى النمو والتشكل وتنظيم النسيج– مختلف في الريش والقشور(1). كما يقوم الأستاذ بروس بدراسة البنية البروتينية لريش الطيور ويبرهن على أنها متميزة بين الفقاريات(2).

ولا يوجد دليل من المتحجرات على أن ريش الطيور قد تطور من قشور الزواحف. بل على العكس، يظهر الريش فجأة في سجل المتحجرات بوصفه صفةً فريدة –بشكل لا يمكن إنكاره– تتميز بها الطيور، كما يبين ذلك الأستاذ بروس (3). وبالإضافة إلى ذلك، لم يكتشف حتى الآن في الزواحف أي تركيب للبشرة يوفّر أصلاً لريش الطيور (4).

وفي عام **1996** أثار علماء المتحجرات القديمة ضجة حول متحجرات ما يُسمّى بالدينصور ذي الريش المكتشف في الصين (المعروف باسم سينوسوروبتْركس **sinosauroptryx**). ومع ذلك، ففي عام **1997** تم الكشف عن أن هذه المتحجرات لا شأن لها ولم تكن تملك أي تركيب مشابه لريش الطيور (5).

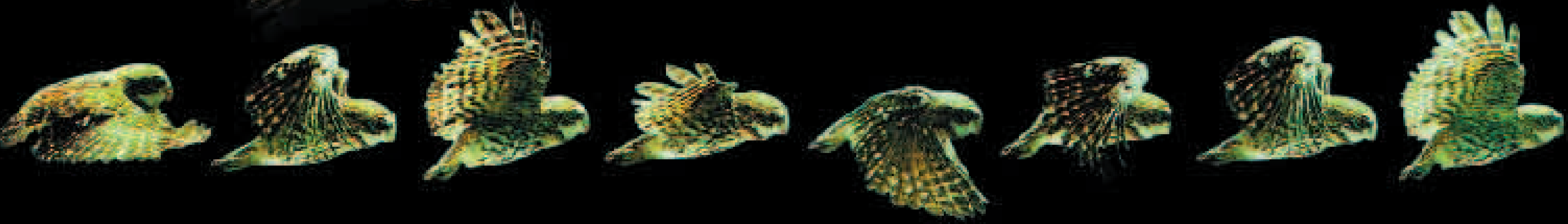
ومن جهة أخرى، وعند إجراء دراسة دقيقة على ريش الطيور، نجد تصميماً معقداً جداً لا يمكن تفسيره بأية عملية تطورية. ويعلن آلان فيدوشيا، عالم تشريح الطيور المشهور،: إن كل مواصفة من مواصفات الريش تملك خاصية أيروديناميكية (ديناميكية–هوائية). فهي خفيفة إلى أقصى حد، ولديها المقدرة على الارتفاع التي تقل عند السرعات المنخفضة، ويمكنها العودة إلى أوضاعها السابقة بكل سهولة. ثم يواصل قائلاً: لا أستطيع أن أفهم أبداً كيف يمكن لعضو مصمم بشكل مثالي للطيران أن يكون قد ظهر نتيجة ضرورة أخرى عند البداية(6).

لقد فرض تصميم الريش على تشارلز دارون أيضاً أن يمعن فيه النظر، كما كان الجمال المثالي لريش الطاووس سبباً في إصابته بالغثيان؛ فقد قال في خطاب كتبه إلى آسا غراي في الثالث من أبريل سنة **1860**: كلما تأملت العين انطفأت حماستي لنظريتي ولكني تغلبت بمرور الزمن على هذه المشكل، أما الآن فبعض التراكيب الموجودة في الطبيعة تسلب راحتي، مثلا إن منظر ريش الطاووس يجعلني سقيما! (7).

1 A. H. Brush, «On the Origin of Feathers». Journal of Evolutionary Biology, Vol. ,9
,1996 p.132
2 A. H. Brush, "On the Origin of Feathers" p. 131
3 Ibid.
4 Ibid.
5 «Plucking the Feathered Dinosaur», Science, Vol. ,872 41 November ,1997 p. 1229
6 Douglas Palmer, «Learning to Fly» (Review of The Origin of and Evolution of Birds by
Alan Feduccia, Yale University Press, 1996), New Scientist, Vol. ,153 March, 1 ,1997 p. 44
7 Norman Macbeth, Darwin Retried: An Appeal to Reason. Boston, Gambit, ,1971 p. 101



عندما بحثنا ريش الطائر بدقة، وجدنا أن هناك آلاف الريش الصغير متماسك مع بعضه البعض بكلاليب خاصة. ويشكل هذا المخلوق الفريد من نوعه خاصية و ميزة فائقتين للغاية لعلم الحركة الهوائية.



شكل آخر من الأشكال الانتقالية المزعومة: الأركيوبتركس

يردد دعاة التطور اسم كائن واحد للإجابة على السؤال السابق، ويشير هذا الاسم إلى متحجرة طائر يدعى الأركيوبتركس (Archaeopteryx)، وهو أحد أشهر الأشكال الانتقالية المزعومة من بين القلة القليلة التي ما زال دعاة التطور يدافعون عنها. وقد عاش الأركيوبتركس، سلف الطيور الحديثة حسب اعتقاد دعاة التطور، قبل 150 مليون سنة. وترى النظرية أن بعضاً من أنواع الديناصورات صغيرة الحجم التي يطلق عليها اسم الفيلوسيرابتور (Velociraptor) أو الدروميوصور (Dromeosaur) قد تطور عن طريق اكتساب الأجنحة ثم ممارسة الطيران. ومن ثم، يفترض أن يكون الأركيوبتركس شكلاً انتقالياً تحول عن الديناصور وبدأ في الطيران لأول مرة.

ومع ذلك، فقد أشارت آخر الدراسات التي أجريت على متحجرات الأركيوبتركس إلى أن هذا المخلوق ليس شكلاً انتقالياً أبداً، بل هو أحد أنواع الطيور التي تتسم ببعض الصفات المختلفة عن صفات طيور اليوم.

وحتى فترة قريبة، كانت الفرضية القائلة بأن الأركيوبتركس نصف طائر لا يجيد الطيران بشكل كامل فرضية تلقى شعبية كبيرة في أوساط دعاة التطور. وقد رأى دعاة التطور أن عدم وجود عظمةالقص أي عظمة الصدر في هذا المخلوق، أو على الأقل عدم وجودها بالشكل الذي توجد به في الطيور التي تجيد الطيران، يعتبر أهم دليل على أن هذا الطائر لم يكن يجيد الطيران إجادة سليمة(وعظمة الصدر هي عبارة عن عظمة توجد تحت الصدر تثبت فيها العضلات اللازمة للطيران. وفي الوقت الحالي، توجد هذه العظمة الصدرية في كل الطيور سواء أكانت تجيد الطيران أم لا، بل حتى إنها موجودة في الخفاپ؛ وهو عبارة عن حيوان ثديي طائر ينتمي إلى فصيلة تختلف كل الاختلاف عن فصيلة الطيور).

ومع ذلك، فقد تسببت المتحجرة السابعة لطائر الأركيوبتركس التي عثر عليها سنة 1992 في إثارة قدر كبير من الذهول بين دعاة التطور. ويرجع السبب في ذلك إلى أن متحجرة الأركيوبتركس المكتشَفة أخيراً قد وجدت فيها -بالفعل- عظمة الصدر التي افترق دعاة التطور أنها مفقودة منذ فترة طويلة. وقد وصفت مجلة الطبيعة (Nature) هذه المتحجرة المكتشفة أخيراً كالآتي:

> تحتفظ العينة السابعة المكتشفة أخيراً من طائر الأركيوبتركس بقص شبه مستطيل كان يشتبه في وجوده منذ فترة طويلة ولكن لم يتم على الإطلاق توثيقه من قبل. وتشهد هذه العينة على قوة عضلات الطيران الخاصة بهذا الطائر. (47)

وقد أبطل هذا الاكتشاف الدعامة الأساسية للمزاعم القائلة بأن الأركيوبتركس كان نصف طائر لا يجيد الطيران إجادة سليمة.

ومن ناحية أخرى، أصبح تركيب ريش هذا الطائر أحد أهم الأدلة التي تثبت أن الأركيوبتركس كان طائراً قادراً على الطيران بالمعنى الكامل للكلمة. إذ إن التركيب غير المتناسق لريش الأركيوبتركس (الذي لا يختلف عنه في الطيور الحديثة) يشير إلى أن هذا الحيوان يجيد الطيران إجادة كاملة. وكما صرح عالم المتحجرات المشهور كارل دانبار فإن: ريش الأركيوبتركس هو السبب في تصنيفه بشكل متميز مع فئة الطيور. (48)

وحقيقة أخرى كشفها تركيب ريش الأركيوبتركس، وتتمثل في سخونة الدم الذي يستخدمه الطائر في عملية الأيش. وكما هو معروف، فإن الزواحف والديناصورات من الحيوانات ذوات الدم البارد التي تتأثر بدرجات الحرارة المحيطة بها بدلاً من أن تنظم حرارة أجسادها بشكل منفصل، أما الطائر فهو من ذوات الدم الحار وأهم وظيفة يؤديها ريشه هي المحافظة على حرارة الجسم. وقد بينت حقيقة وجود الريش على جسم الأركيوبتركس أنه كان طائراً حقيقياً من ذوات الدم الحار يحتاج إلى المحافظة على حرارة جسمه على عكس الديناصور.



حسب أنصار نظرية التطور فإن قسما من أنواع الديناصورات الصغيرة التي أطلق عليها اسم فيلوسلابتور أو دروميسور قد مرت بمرحلة تطور فنبتت لها أجنحة وأصبحت قادرة على الطيران. وكان النوع المسمى Archæopteryx من الديناصورات أول من انفصل عن بقية الديناصورات وأصبح قادرا على الطيران. هذه القصة الخيالية نجدها تتردد تقريبا في كل وسائل الإعلام التابعة لأنصار هذه النظرية.



تشير خصائص الكائن Archaeopteryx إلى كونه طائرًا تاما



1- الريش يبين أن هذا المتحجر هو لكائن قادر على الطيران.

2- عظامه فارغة من الداخل شأنه شان عظام الطيور الموجودة في عصرنا اليوم.

3 - أن يكون لها لسان لا يشكل دليلا على أنها تطورت وتحولت عن الزواحف. ففي الماضي عاشت أنواع كثيرة من الطيور لها ألسنة.

4- اليوم أيضا تعيش أنواع من الطيور تحمل في أجنحتها مخالب مشابهة.

5-لوحظ أن متحجرات Archaeopteryx أركايوبتيريكس السابع يحتوي في منطقة الصدر على عظام. وهذا يدل على وجود أنواع من الطيور كانت في صدورها عظام شبيهة في قوتها بعظلات الطيور الموجودة في الوقت الحاضر.



تكهنات دعاة التطور: أسنان الأركيوبتركس ومخالبه

إن النقطتين المهمتين اللتين يعتمد عليهما دعاة التطور عندما يزعمون أن الأركيوبتركس شكل من الأشكال الانتقالية هما المخالب الموجودة على جناحي الطائر وأسنانه.

وصحيح أن لدى الأركيوبتركس مخالب في أجنحته وأسناناً في فمه، ولكن هاتين الخاصتين لا تُلمحان إلى أن هذا الكائن الحي تربطه أي نوع من أنواع القرابة بالزواحف. إلى جانب أن هناك نوعين من طيور اليوم، وهما التاووراكَو (Taouraco) والهواتزن (Hoatzin)، كلاهما لديه مخالب للتمسك بأغصان الشجر. ويعد هذان الكائنان طائرين كاملين لا يحملان أية صفة من صفات الزواحف. لذلك، فإن الجزم بأن الأركيوبتركس شكل انتقالي لمجرد أنه يمتلك مخالب في أجنحته يعد جزماً لا أساس له من الصحة.

ولا تلمح أيضا الأسنان الموجودة في منقار الأركيوبتركس إلى أنه شكل انتقالي. ويعمَد دعاة التطور إلى حيلة ذات مغزى بقولهم إن هذه الأسنان إحدى صفات الزواحف. ومع ذلك، لا تعد الأسنان صفة نموذجية في الزواحف؛ فبعض الزواحف لديها أسنان في حين لا توجد أسنان لدى البعض الآخر. وفضلاً عن ذلك، فإن الأركيوبتركس لا يعد النوع الوحيد من الطيور الذي لديه أسنان. وصحيح أن الطيور ذات الأسنان لا تعيش بيننا اليوم، ولكن عندما نلقي نظرة على سجل المتحجرات، نرى أنه في نفس عصر الأركيوبتركس وما تلاه من عصور، بل وحتى عصور قريبة، كان هناك جنس مميز من الطيور يمكن أن يصنف تحت فئة الطيور ذات الأسنان.

وتتمثل أهم نقطة في هذا الصدد في أن تركيب أسنان الأركيوبتركس والطيور الأخرى ذات الأسنان يختلف اختلافاً تاماً عن تركيب أسنان أسلافها المزعومة، الديناصورات. وقد لاحظ علماء تشريح الطيور المشهورون، مارتن وستيوارد وويتستون، أن أسنان الأركيوبتركس والطيور الأخرى ذات الأسنان تتصف بسطح علوي مستوٍ وجذور عريضة، في حين تتصف أسنان الديناصورات الثيروبودية (theropod) (السَّلَف المزعوم لهذه الطيور) بسطح بارز مثل المنشار وجذور ضيقة (49) وقارن الباحثون أيضاً بين عظام الرسغ الخاصة بالأركيوبتركج وبين تلك الخاصة بأسلافها المزعومة، الديناصورات، ولكنهم لم يلحظوا أي تشابه بينها. (50)

وقد كشفت دراسات علماء التشريح (أمثال تارسيتانو وهيخت ووالكر) أن تأكيد البعض على أن هناك بعض أوجه الشبه التي كانت موجودة بين هذا الكائن والديناصورات كما فعل جون أوستروم (أحد العلماء الذين يزعمون أن الأركيوبتركس قد تطور من الديناصورات) هو في الواقع تأويلات غير صحيحة. (51)

وتشير كل هذه النتائج إلى أن طائر الأركيوبتركس لم يكن حلقة انتقالية، بل هو مجرد طائر يندرج تحت فئة يمكن أن نطلق عليها فئة الطيور ذات الأسنان.

الأركيوبتركس ومتحجرات الطيور القديمة الأخرى

في حين كان دعاة التطور ينادون منذ عشرات السنين بأن الأركيوبتركس هو أكبر دليل على السيناريو الذي قدموه بشأن ارتقاء الطيور، فإن بعض المتحجرات المكتشفة في الآونة الأخيرة أبطلت هذا السيناريو من جوانب أخرى.

فقد قام اثنان من علماء المتحجرات بـالمعهد الصيني للمتحجرات الفقارية، هما ليانهاي هو وزونجهي زهو، باكتشاف متحجرة طائر جديد سنة 1995أطلقا عليها اسم كونفوشيوسورنِچ (Confuciusornis). وكان هذا الطائر في نفس عمر الأركيوبتركس (أي كان عمره نحو 140 مليون عام)، ولكن لم يكن لديه أية أسنان في فمه. وبالإضافة إلى ذلك، كان منقاره وريشه يتسمان بنفس الصفات التي تتسم بها طيور اليوم. وعلى الرغم من أن هذا الطائر يتصف بنفس التركيب العظمي للطيور الحديثة، فإنه كان يتصف أيضاً بوجود مخالب في أجنحته، تماماً مثل الأركيوبتركس.

وكان هذا النوع من الطيور يتميز بوجود تركيب خاف في جسمه يسمى عظمة الإلية (pygostyle)، وتقوم هذه العظمة بتدعيم ريش الذيل. وباختصار، فإن هذا الطائر الذي كان في نفس عمر الأركيوبتركس (والذي يعتبر أقدم سلف لجميع الطيور والمسلم بأنه كائن شبيه بالزواحف) كان شديد الشبه بالطائر الحديث. لقد أبطلت هذه الحقيقة كل فرضيات دعاة التطور القائلة بأن الأركيوبتركس هو السلف البدائي لكل الطيور. (52)



يبلغ الطائر المسمى بـ **Confuciusornis** نفس العمر مع **Archaeopteryx**

وقد تسببت متحجرة أخرى اكتُشفت في الصين في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام 1996في إثارة قدر أكبر من الارتباك. فقد أعلن هو ومارتن وألان فيدوشيا في مجلة العلوم (Science) عن وجود ذلك الطائر البالغ من العمر 130مليون عام والمعروف باسم لياونينجورنج (Liaoningornis). وكان لدى الطائر عظمة صدرية ترتبط بها عضلات الطيران، تماماً كما هو الحال في الطيور الحديثة. وكان من غير الممكن أيضاً التمييز بين هذا الطائر والطيور الحديثة في نواح أخرى، وكان الفرق الوحيد يكمن في أسنان فمه. ويبين هذا الموقف أن الطيور ذوات الأسنان لم يكن شكلها بدائياً على الإطلاق كما يزعم دعاة التطور(53) وقد تم التصريح بذلك في مقال نشرته مجلة الاكتشاف (Discover) بعنوان: من أين جاءت الطيور؟ هذه المتحجرة تقول إنها لم تأت من الديناصورات. (54)

وهناك متحجرة أخرى تدحض مزاعم دعاة التطور فيما يتعلق بالأركيوبتركس ألا وهي أولولافيز (Eoalulavis)؛ فقد لوحظ أن تركيب جناح الأولولافيز (الذي يقال إنه أحدث من الأركيوبتركس بنحو 30مليون سنة) موجود أيضاً في الطيور الحديثة التي تطير ببطء. ودل ذلك على أنه، قبل 120مليون سنة، كانت تحلق في السماء طيور لا يمكن تمييزها عن الطيور الحديثة من نواحٍ عدة. (55)

وتشير هذه الحقائق مرة أخرى بكل تأكيد إلى أنه لا الأركيوبتركس ولا الطيور الأخرى القديمة المشابهة له كانت أشكالاً انتقالية؛ إذ لا تدل المتحجرات على أن الطيور بمختلف أنواعها قد تطور بعضها من بعض، بل على العكس، يثبت سجل المتحجرات أن طيور اليوم الحديثة وبعض الطيور القديمة مثل الأركيوبتركس قد عاشت مع بعضها البعض بالفعل في نفس الوقت. ومع ذلك، فقد انقرضت بعض من أنواع هذه الطيور مثل الأركيوبتركس والكونفوشيوسورنس ولم يتمكن سوى جزء من الأنواع الموجودة في السابق من الصمود حتى يومنا هذا.

وباختصار، لا تدل بعض السمات المحددة في الأركيوبتركس على أن هذا الكائن الحي يمثل شكلاً انتقالياً! ويقر ستيفن غولد ونايلز إلدردج، عالما المتحجرات بجامعة هارفرد واثنان من أشهر دعاة التطور على مستوى العالم، بأن الأركيوبتركس كائن حي يضم في تكوينه خليطاً من السمات المتنوعة، غير أنه لا يمكن اعتباره أبداً شكلاً انتقالياً! (56).

ومن ناحية أخرى فإن ''التناقض الزمني'' يلحق بالادعاءات الارتقائية حول Archaeopteryx ضربة قاضية. وقد أكد عالم الأحياء الأمريكي ''جوناثان ويلس Jonathan Wells'' في كتابه ''Icons of Evolution '' (رموز الارتقاء) على أن Archaeopteryx أصبح وكأنه "رمز مقدس"، في حين أن الأدلة كشفت بكل وضوح عن أن هذا الكائن ليس "جدا بدائيا للطيور". ومما يثبت ذلك حسب ويلس، أن ديناصور Theropod (ذو الرجلين) الذي يعتبر جدّا لـــ Archaeopteryx، إنما هو أصغر سنا منه في واقع الأمر. وأن الديناصورات ذات الرجلين الراكضة على الأرض وإن كانت تحمل بعض الأوصاف المتوقعة من أجداد Archaeopteryx من الناحية النظرية إلا أنه تم اكتشاف هذه الديناصورات (ضمن سجلات المتحجرات) بعد Archaeopteryx (57).

الرابطة الخيالية بين الطيور والديناصورات

إن ادعاء المؤمنين بالتطور الذين يحاولون تقديم الأركيوبتركس بوصفه شكلاً انتقالياً يقوم على أن الطيور قد تطورت من الديناصورات. ومع ذلك، فقد قام أحد أشهر علماء تشريح الطيور في العالم، وهو ألان فيدوتشيا من جامعة كارولينا الشمالية، بالاعتراض على النظرية القائلة بأن هناك قرابة بين الطيور والديناصورات، على الرغم من أنه هو نفسه أحد دعاة التطور. ويقول فيدوتشيا في هذا الصدد:

حسناً، لقد درستُ جماجم الطيور لمدة خمس وعشرين سنة، وأنا لا أرى أي وجه تشابه بينها وبين جماجم الديناصورات...إن نظرية تطور الطيور من كائنات ذات أربع أرجل هي في رايي وصمة عار على جبين علم البالانتولوجيا في القرن العشرين. (58)

ويبدي لاري مارتن، اختصاصي الطيور القديمة بجامعة كنساس، اعتراضه على النظرية القائلة بأن الطيور والديناصورات تنحدر من نفس السلالة. وأثناء مناقشته للتناقج الذي تقع فيه نظرية التطور في هذا الصدد، يوضح مارتن رأيه قائلاً:

لأصدُقَك القول، إذا اضطرِرْتُ إلى تأييد الفكرةِ القائلة بأن أصل الطيور هو الديناصورات بصفاتها الحالية فسأشعر بالخجل في كل مرة أُضطر فيها للنهوض والتحدث عن هذا الموضوع. (59)



آلان فيدوسيا Alan Feduccia
هو أستاذ في جامعة شمال كارولينا

ما هو أصل الذباب؟

يزعم دعاة التطور أن الديناصورات قد تحولت إلى طيور، وهم يدعمون تأكيدهم هذا بقولهم إن بعض الديناصورات التي تصفق أرجلها الأمامية لتصطاد الذباب «اتخذت أجنحة وطارت» كما يتضح في الصورة. ونظراً لعدم وجود أي أساس علمي من أي نوع لدعم هذه النظرية وكونها لا تعدو أكثر من ضرب من ضروب الخيال، فإنها تستتبع أيضاً تناقضاً منطقياً بسيطاً جداً ألا وهو: المخلوق الذي قدمه دعاة التطور لتفسير أصل الطيران، أي الذبابة، يتمتع بمقدرة مثالية مسبقة على الطيران. وفي حين يعجز الإنسان عن فتح عينيه وإغماضهما بمعدل عشر مرات في الثانية، تصفق الذبابة المتوسطة أجنحتها بمعدل 500 مرة في الثانية. وفوق ذلك، فإنها تحرك جناحيها في وقت واحد! وسيترتب على أدنى تنافر في ذبذبة الجناحين فقد الذبابة لتوازنها، ولكن ذلك لا يحدث أبدا!

وبداية، يجب على دعاة التطور أن يجدوا تفسيراً لكيفية اكتساب الذبابة مثل هذه المقدرة المثالية على الطيران. وبدلاً من ذلك، فإنهم يلفّقون سيناريوهات تخيلية حول الكيفية التي تمكنت بها مخلوقات أكثر ثقلاً (مثل الزواحف) من الطيران.

وحتى الخلْق الأمثل للذبابة المنزلية يبطل ادعاء التطور. وقد كتب عالم البيولوجيا الإنكليزي، روبرت واتُن، في مقال بعنوان «التصميم الميكانيكي لأجنحة الحشرات: »كلما تحسن فهمنا لعمل أجنحة الحشرات كلما ظهرت هذه الأجنحة بشكل أكثر براعة وجمالاً. ويتم تصميم البنية عادة بحيث يكون كم التشوه فيها أقل ما يمكن، وتصمم الآليات لتحرك الأجزاء المركبة بأساليب يمكن التنبؤ بها. وتجمع أجنحة الحشرات كلا التصميمين في تصميم واحد مستخدِمة مركّبات لديها نطاق واسع من الخواص المطاطية، ومجمَّعة بأناقة لتسمح بتشوهات مناسبة استجابة لقوى مناسبة، ولتحصل على أفضل فائدة ممكنة من الهواء. ولا توجد أي مماثلات تكنولوجية لها حتى الآن« (1).

ومن جهة أخرى، لا توجد حفرية واحدة يمكن أن تقدَّم دليلاً على التطور التخيلي للذباب. وهذا ما كان يقصده عالم الحيوان الفرنسي المتميز، بيير غراسيه، عندما قال: نحن جاهلون فيما يتعلق بأصل الحشرات(2).

أنموذج على سيناريو تطوري: ديناصورات تكتسب أجنحة نتيجة محاولاتها صيد الذباب.!!

1 Robin J. Wootton, «The Mechanical Design of Insect Wings», Scientific American, v. ,263 November ,1990 p.120

2 Pierre-P Grassé, Evolution of Living Organisms, New York, Academic Press, 1977 p.30

نموذج من سيناريوهات نظرية التطور: ديناصورات نبتت لها أجنحة بصورة مفاجئة بينما كانت تحاول صيد إحدى الحشرات.

وإيجازاً لما سبق: فإن سيناريو تطور الطيور الذي قام فقط على أساس الأركيوبتركس، ليس أكثر من مجرد نتاج للتحيز والفكر المسبق وقوة الخيال لدى دعاة التطور.

أصل الثدييات

كما ذكرنا من قبل، فإن نظرية التطور تفترض أن بعض المخلوقات الخيالية التي جاءت من البحر قد تحولت إلى زواحف وأن الطيور تكونت بواسطة تطور الزواحف. واستناداً لنفس السيناريو، فإن الزواحف ليست أسلافاً للطيور فحسب، بل هي أيضا أسلاف للثدييات. ومع ذلك، توجد فجوات تركيبية كبيرة بين الزواحف (التي تغطي أجسامها القشور، والتي تعتبر من الحيوانات ذوات الدم البارد، والتي تتكاثر عن طريق وضع البيض) وبين الثدييات (التي يغطي أجسادها الفرو، والتي تعتبر من الحيوانات ذوات الدم الحار، والتي تتكاثر عن طريق ولادة ذريتها حية).

ويتجسد أحد أمثلة العوائق التركيبية بين الزواحف والثدييات في تركيب الفك. إذ يتكون الفك السفلي للثدييات من عظمة فكية واحدة توضع عليها الأسنان. أما في الزواحف، فتوجد ثلاث عظام صغيرة على جانبي الفك السفلي. وهناك اختلاف أساسي آخر هو أن كل الثدييات لديها ثلاث عظام في أذنها الوسطى (المطرقة والسندان والرِّكاب)، بينما توجد عظمة واحدة في الأذن الوسطى لدى كل الزواحف. ويدّعي علماء التطور أن فك الزواحف وأذنها الوسطى قد تطورت تدريجياً إلى فك الثدييات وأذنها. ولكن السؤال ما زال قائماً حول كيفية حدوث هذا التغيير. وعلى وجه الخصوص، فإن من غير الممكن أبداً تفسير كيفية تطور أذن بعظمة واحدة إلى أذن بثلاث عظام، مع استمرار عملية السمع في أداء وظيفتها أثناء حدوث هذا التطور. وليس مستغرَباً أنه لن يُعثر على متحجرة واحدة تربط بين الزواحف والثدييات. ولهذا السبب اضطر عالم المتحجرات التطوري، روجر ليوين، للقول بأن: عملية التحول إلى أولى الثدييات، التي حدثت –على الأرجح– في نسل واحد أو نسلين على الأكثر، ما زالت تمثل لغزاً بالنسبة لنا! (60)

وها هو جورج غايلورد سيمبسون، أحد أكبر الثقات في علم التطور وكذلك أحد أكبر مؤسسي النظرية الدارونية الجديدة، يبدي التعليق الآتي على هذه الحقيقة التي سببت قدراً كبيراً من الحيرة لدعاة التطور:

> إن أكثر حدث محير في تاريخ الحياة على الأرض هو الانتقال الفجائي من العصر المازوزيكي، أي عصر الزواحف، إلى عصر الثدييات. ويبدو الأمر وكأن الستار قد أسدل فجأة على خشبة المسرح حيث كانت الزواحف، وخاصة الديناصورات، تلعب أدوار البطولة الرئيسية بأعداد كبيرة وتنوع محير، ثم أزيح الستار مرة أخرى في الحال ليكشف عن نفس المشهد ولكن بشخصيات جديدة تماماً؛ شخصيات لا تظهر بينها الديناصورات على الإطلاق، في حين تلعب الزواحف الأخرى دور الكومبارس فقط. وأخذت الثدييات تلعب كل الأدوار الرئيسية علما بأننا لا نعثر على أي أثر لها في الأدوار والعهود السابقة. (61)

وبالإضافة إلى ذلك، فعندما ظهرت الثدييات فجأة كانت تختلف –في الواقع– اختلافاً كبيراً بعضها عن بعض. فمثلاً، كانت هناك حيوانات متباينة مثل الخفافيش، والأحصنة، والفئران، والحيتان... كلها تعتبر من الثدييات وكلها ظهرت في نفس العصر الجيولوجي. ويعد من المستحيل إثبات وجود علاقة تطورية فيما بينها حتى في إطار أوسع آفاق الخيال. ويؤكد عالم الحيوان التطوري، إريك لومبارد، على هذه النقطة في مقال ظهر في مجلة التطور (Evolution) بقوله:

> ستكون خيبة الأمل حليفاً لأولئك الذين يبحثون عن أي معلومات حول أي علاقات تطورية بين الثدييات. (62)

ومن كل ما سبق، يتضح أن جميع الكائنات الحية ظهرت على سطح الأرض فجأة بكامل تكوينها، دون أن تمر بأية عملية تطور. ويعد هذا دليلاً دامغاً على أنها قد خُلقت. ومع ذلك، يحاول دعاة التطور أن يفسّروا حقيقة ظهور أنواع الأحياء بترتيب معين باعتبارها دلالة على التطور. إلا أن التسلسل في ظهور الكائنات الحية ما هو إلا ترتيب الخلق، إذ أنه من غير المحتمل أن نتحدث هنا عن عملية تطور. وبواسطة عملية خلق فائقة وخالية من العيوب، امتلأت المحيطات بالأحياء، ثم تلتها في ذلك اليابسة، وأخيراً خُلق الإنسان.

وعلى عكس قصة الإنسان القرد التي فرضتها الدعاية الإعلامية المكثفة على العامة، ظهر الإنسان أيضاً على الأرض فجأة وفي كامل تكوينه.



لا يوجد أي فرق بين حفرية خفاش عاش قبل 50 مليون عام وبين الخفافيش التي تعيش اليوم (Science, Vol. 154)

الخفافيش

يزعم أنصار نظرية التطور أن جميع أنواع الثدييات إنما انحدرت عن جد واحد. غير أننا نلحظ وجود اختلافات كبيرة بين أنواع الثدييات المختلفة الأخرى أمثال الدب والحوت و الفأر و الخفاش. والأدهى من ذلك أن هذه الكائنات الحية تمتلك أنظمة صُمِّمَت بشكل خاص للغاية. مثال ذلك أن الخفافيش خُلقت مزودة بأنظمة استشعار حساسة للغاية تمكنها من الاهتداء إلى طريقها في الظلام. أما القول بأن المصادفة هي التي كانت وراء ظهور مثل تلك الأنظمة المعقدة التي اكتفت التكنولوجيا الحديثة بتقليدها فهو ضرب من ضروب المستحيل. و بناءاً على ذلك أتت مدونات الحفريات لتؤكد على أن الخفافيش قد ظهرت في وقت واحد بنفس بنائها المتكامل وعلى الشكل الذي نراها عليه اليوم وأنها لم تمر بأي من مراحل التطور المزعومة.



خرافة تطور الحصان

حتى وقت قريب، كان يتم تقديم تسلسل تخيلي (يُفترَض فيه أنه يبين تطور الحصان) بوصفه دليل المتحجرات الرئيسي على صحة نظرية التطور. أما اليوم فيعترف كثير من دعاة التطور أنفسهم بأن سيناريو تطور الحصان قد أفلس. وقد قال داعي التطور بويش رينسبرغر (الذي ألقى خطاباً أثناء ندوة استمرت أربعة أيام حول مشكلات نظرية التطور التدرجية وعقدت في عام **1980** في متحف فيلد للتاريخ الطبيعي بشيكاغو بحضور مئة وخمسين من دعاة التطور) قال إن سيناريو تطور الحصان لا أساس له في سجل المتحجرات وإن أحداً لم يلحظ وجود عملية تطورية تستطيع أن تفسر التطور التدريجي للحصان:

لقد عُرف منذ وقت طويل كم هو خاطئ المثال الشائع الذي يُضرب على تطور الحصان للاقتراح بأن هناك تسلسلاً تدريجياً للتغيرات التي طرأت علي مخلوقات بحجم الثعلب، لديها أربعة أصابع في قدمها وكانت تعيش قبل نحو خمسين مليون سنة، إلى حصان اليوم الأكبر حجماً بكثير والذي لديه إصبع واحد في قدمه. فبدلاً من التغير التدريجي، تبدو متحجرات كل نوع متوسط متميزةً تماماً وباقية دون تغير، ثم تنقرض بعد ذلك؛ ومن ثَم فالأشكال الانتقالية غير معروفة (**1**).

وقد قال عالم المتحجرات المشهور كولين باترسون، مدير متحف التاريخ الطبيعي في إنكلترا (حيث كانت تُعرَض مشاريع تطور الحصان الوهمية) المقولة التالية بخصوص هذا المعرض الذي ما زال مفتوحاً للجمهور في الطابق الأرضي من المتحف:

لقد كان هناك كم هائل من القصص،بعضها مغرقة في الخيال أكثر من الأخرى ، عن الماهية الحقيقية لطبيعة الحياة. وأكثر هذه الأمثلة شهرة (والذي ما زال يعرض في الطابق الأرضي للمتحف) هو العرض الخاص بتطور الحصان الذي ربما يكون قد تم إعداده قبل خمسين سنة. لقد ظل هذا العرض يقدَّم بوصفه الدليل الحرفي في كتاب مدرسي بعد كتاب مدرسي. أما أنا فأعتقد أن هذا وضع يدعو إلى الرثاء، خصوصاً عندما يكون الناس الذين يقدّمون مثل هذا النوع من القصص مدركين هم أنفسهم للطبيعة التخمينية لبعض تلك المواد(**2**).

إذن، ما هو أساس سيناريو تطور الحصان؟ لقد تمت صياغة هذا السيناريو بواسطة مخطَّطات خادعة أُعِدّت باستخدام ترتيب تسلسلي حسب خيال التطوريين لمتحجرات أنواع مختلفة من الحيوانات عاشت في فترات مختلفة جداً في الهند وجنوب إفريقيا وشمال أميركا وأوروبا، لمجرد موافقتها للقدرة التخيلية الغنية التي يمتلكها دعاة التطور. ويوجد أكثر من عشرين مخططاً عن تطور الحصان المقترح قدّمها باحثون مختلفون. ولم يصل دعاة التطور إلى اتفاق مشترك بخصوص موضوع أشجار العائلة تلك، التي كانت –بالمناسبة– مختلفة تماماً بعضها عن بعض. وتتمثل النقطة الوحيدة المشتركة بين هذه الترتيبات في الاعتقاد بأن مخلوقاً بحجم الكلب يُسمّى يوهيبّوس (**Eohippus**) قد عاش في العصر اليوسيني منذ **55** مليون سنة وكان سلفاً للحصان. ولكن الخطوط التطورية المفترَضة من اليوهيبوس إلى الحصان متناقضة تماماً. واليوم يعيش في أفريقيا حيوان يسمى "هيراكس" ولا يشبه على الإطلاق الحصان ولا علاقة له به.(**3**)

إن الحفريات التي تظهر كل يوم تؤكد بأكثر جلاء عدم صحة الزعم القائل بتطور الحصان. وقد تم التأكد من ذلك من خلال النظر في الحفريات المتعلقة بهذا النوع مثل حفرية (**Equus Nevadensis ve Equus Occidentalis**) ومقارنتها بالأنواع التي تعيش في عصرنا الحالي (**4**). وهذا يعني أن الحصان الذي يعيش في عصرنا قد عاش أيضا مع جده المزعوم، وهو دليل قاطع على انه لا توجد مرحلة من التطور في أي وقت من الأوقات.

وقد قام الكاتب العلمي التطوري، غوردون تيلور، بشرح هذه الحقيقة التي تلقى قدراً قليلاً من القبول، في كتابه الذي يحمل عنوان اللغز العظيم للتطور بقوله:

ولكن ربما تكمن أخطر أوجه الضعف في الداروينية في فشل علماء المتحجرات في العثور على تطور مقنع في نشوء السلالة أو تتابعات لكائنات حية تبين تغيراً تطورياً أعظم... وغالباً ما يُستشَهد بالحصان بوصفه المثال الوحيد الموضوع بشكل كامل، ولكن الحقيقة هي أن الخط التطوري من اليوهيبوش إلى الحصان خط غريب جداً. إنهم يزعمون أنه يبين تزايداً مستمراً في الحجم، ولكن الحقيقة هي أن بعض الأطوار المتغيرة كانت أصغر من اليوهيبوش وليست أكبر منه. ومن الممكن أن تُجمع العينات من مصادر مختلفة وتُقدَّم في تسلسل يبدو مقنعاً، ولكن لا يوجد دليل على أن هذه الأطوار تسلسلت بهذا الترتيب مع الزمن (**5**).

وجميع هذه الحقائق تمثل دليلاً قوياً على أن الجداول البيانية لتطور الحصان، التي تقدم بوصفها أحد أقوى الدلائل على الداروينية، ما هي إلا قصص وهمية غير مقنعة.

1 Boyce Rensberger, Houston Chronicle, 5 Kasım 1980, Bölüm 4, p. 15.

2 Colin Patterson, Harper's, Şubat 1984, p. 60.

3 Francis Hitching, The Neck of the Giraffe: Where Darwin Went Wrong, New York: Ticknor and Fields, 1982,pp. 30-31.

4 Francis Hitching, The Neck of the Giraffe, pp30-31.

5 Gordon Rattray Taylor, The Great Evolution Mystery, London: Sphere Books, 1984, p. 230



هذه السلسلة من رسوم الأحصنة والتي تم العثور عليها في أحد المتاحف تم رسمها بصورة خيالية ، ولا يوجد لها أي سند في الحفريات وسجلات المتحجرات.

الفصل السابع

التأويلات الخادعة للمتحجرات

قبل أن نخوض في تفاصيل خرافة تطور الإنسان، يجدر بنا التذكير بالأسلوب الدعائي الذي أقنع العامة بفكرة أن كائنات نصفها قرد ونصفها إنسان قد عاشت في الماضي. ويعمد هذا الأسلوب الدعائي إلى استخدام إعادة البناء فيما ينسبه إلى المتحجرات. ويمكن أن نشرح إعادة البناء على أنها رسم صورة لكائن حي أو بناء نموذج له استناداً إلى عظمة واحدة (وفي بعض الأحيان إلى جزء من عظمة!) تم استخراجها من باطن الأرض. ويعتبر كل الرجال القردة الذين نشاهدهم في الصحف والمجلات والأفلام مجرد أمثلة على إعادة البناء.

وبما أن المتحجرات عادة ما تكون ناقصة وفي حالة من الفوضى، فإن أي تصور يستند إليها يُرجّح أن يكون تخميناً محضاً. وفي الواقع، يقوم دعاة التطور بتجهيز إعادات البناء (الرسوم أو النماذج) استناداً إلى بقايا المتحجرات باستخدام التخمين، وذلك فقط من أجل إثبات فرضية التطور. ويؤكد أحد علماء الأنثروبولوجيا من جامعة هارفارد، ديفيد بيلبيم، هذه الحقيقة بقوله: على الأقل في علم المتحجرات الذي هو ساحتي واختصاصي، فإن النظرية_ أي نظرية التطور_ ، وضعت على أساس تأويلات معينة أكثر من وضعها على أساس من المعطيات والأدلة الفعلية (63)، وبما أن الناس يتأثرون بشدة بالمعلومات المرئية فإن إعادات البناء هذه تخدم على أكمل وجه غرض دعاة التطور المتمثل في إقناع الناس بأن هذه المخلوقات المعاد بناؤها قد عاشت فعلياً في الماضي.







– 3 رسوم مختلفة رسمت على أنها لجمجمة واحدة.

– إن التطوريين بارعون براعة كبيرة في موضوع إعادة التركيب، وهم قادرون على إيجاد تشابه لنفس الجمجمة مع وجوه مختلفة اختلافا كبيرا عن بعضها البعض. ومن أكبر النماذج على ذلك أشكال مختلفة عن بعضها البعض لمتحجر يدعى "أوسترالوبثوكوس روبوستوس". من فوق إلى الأسفل بالتسلسل؛ رسم لـــ "موريس ويلسون"، تم نشره في الصنداي تايمز في عددها الصادر بتاريخ 5 أبريل سنة 1960، ورسم لـــ"ن. باكر في نشيونال جيوغرافيكي عددا الصادر في سبتمبر 1960.

وفي هذا الصدد يجب أن نلقي الضوء على نقطة معينة ألا وهي: أن إعادة البناء القائمة على بقايا العظام لا يمكن أن تكشف سوى الصفات العامة جداً للجسم؛ لأن التفاصيل المميزة الحقيقية تتمثل في الأنسجة الليّنة التي تختفي بسرعة مع مرور الوقت. وهكذا، فباستخدام التأويل التخميني للأنسجة اللينة تصبح الرسوم أو النماذج المعاد بناؤها معتمدة تماماً على خيال الشخص الذي يعدها. ويفسر إيرنست هوتن، من جامعة هارفرد، الوضع كما يأتِي:

إن محاولة إعادة بناء أو تركيب الأجزاء اللينة مهمة تحف بها المشاكل والمخاطر ذلك لأن الشفاه والعيون والآذان وطرف الأنف.... إلخ، لا تترك أية آثار على الأجزاء العظمية التي تكسوها. ويمكنك أن تشكّل بنفس السهولة من جمجمة شخص شبيه بالشخج النياندرتالي نموذجاً بملامح شمبانزي أو بقسمات فيلسوف. أما فيما يتعلق بإعادة البناء المزعومة لأنواع قديمة من البشر استنادا إلى بعض بقاياها فإنها لا تحظى بأي قيمة علمية، وهي لا تستعمل إلا للتأثير على العامة وتضليلها، لذا لا يمكن الثقة بإعادة التركيب) (64)

وفي الواقع، لقد ابتدع دعاة التطور مثل هذه القصص المنافية للعقل لدرجة أنهم ينسبون وجوهاً مختلفة لنفس الجمجمة. فمثلاً: تعد الرسوم الثلاث المختلفة المعاد بناؤها لمتحجرة تدعى القرد الإفريقي الجنوبي القوي (Australopithecus robustus) أو (Zinjanthropus) مثالاً شهيراً لمثل هذا التزييف.

وقد تكون التأويلات المتحيزة للمتحجرات أو تلفيق العديد من إعادات البناء الخيالية مؤشراً على مدى لجوء دعاة التطور إلى استخدام الحيل بشكل متكرر. ومع ذلك، فإن هذه الحيل تبدو بريئة إذا ما قورنت بأعمال التزييف المتعمدة التي ارتكبت في تاريخ التطور!





– إن هذين الرسمين لرجل جافا مختلفين عن بعضهما اختلافا كاملا، وهو نموذج جيد على كيفية تقييم المتحجرات من قبل التطوريين بطريقة خيايلية.

– في اليسار: رسم لـــ"موريس ويلسون". (From Ape) to Adam The Search For The Ancestry Of Man, Herbert Wendt)

– في اليمين: رسم لـــ"ستيفن م. ستانلي". (Human Origins)

الفصل الثامن

تزييفات التطوريين

لا يوجد أي دليل دامغ من المتحجرات يؤيد صورة الرجل القرد، التي يتم تلقينها باستمرار في وسائل الإعلام والدوائر الأكاديمية لدعاة التطور. ذلك أن دعاة التطور يمسكون أشكال الرسم في أيديهم ويصنعون بها مخلوقات خيالية، إلا أن حقيقة عدم وجود متحجرات مشابهة لهذه الرسوم تمثل مشكلة خطيرة بالنسبة لهم. وتتمثل إحدى الوسائل المثيرة التي يستخدمونها في التغلب على هذه المشكلة في صنع متحجرات لا يستطيعون العثور عليها. ويعتبر إنسان بيلتداون (Piltdown Man) (الذي يُعدّ أكبر فضيحة في تاريخ العلم) مثالاً نموذجياً لهذه الوسيلة.

إنسان بلتْداون: الفك لغوريلا والجمجمة لإنسان!

في سنة 1912 أكّد طبيب معروف وعالم متحجرات هاو يدعى تشارلز داوسون عثوره على عظمة فك وجزء من جمجمة داخل حفرة في بيلتداون بإنكلترا. وعلى الرغم من أن عظمة الفك كانت أشبه بعظمة فك القرد، إلا أن الأسنان والجمجمة كانت أشبه بأسنان وجمجمة الإنسان. وكُتب على هذه العينات اسم إنسان بلتْداون (Piltdown Man). ونتيجة للمزاعم القائلة بأن عمر العينة هو خمسمئة ألف سنة، تم عرضها في العديد من المتاحف بوصفها دليلاً قاطعاً على تطور الإنسان. ولأكثر من أربعين سنة، كُتبت الكثير من المقالات العلمية عن إنسان بيلتداون كما أُعدّت له العديد من التأويلات والرسوم، وقُدِّمت المتحجرة بوصفها دليلاً مهماً على تطور الإنسان، وكُتب ما لا يقل عن خمسمئة رسالة دكتوراه حول هذا الموضوع (65). وقال عالم المتحجرات الأمريكي المشهور هنري فيرفيلد أوسبورن أثناء زيارته للمتحف البريطاني سنة 1935: يجب أن يتم تذكيرنا مراراً وتكراراً بأن الطبيعة مليئة بالمفارقات، وتُعد هذه المتحجرة اكتشافاً مذهلاً عن الإنسان البدائي. (66)

وفي سنة 1949 حاول(كينيث أوكلي (وهو من قسم المتحجرات في المتحف البريطاني) أن يجرب طريقة اختبار الفلورين، وهي عبارة عن اختبار جديد يستخدم لتحديد تاريخ بعض المتحجرات القديمة. وأجري الاختبار على متحجرة إنسان بيلتداون، وكانت النتيجة مذهلة. ذلك أنه قد اتضح أثناء الاختبار أن عظمة فك إنسان بيلتداون لا تحتوي على أية فلورين. ويدل هذا على أنها لم تظلّ مدفونة في الأرض لأكثر من بضع سنين. أما الجمجمة، التي احتوت على مقدار ضئيل من الفلورين، فقد تبين أن عمرها لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين.

وكشفت الدراسات الكرونولوجية الأخيرة التي أجريت باستخدام طريقة الفلورين أن عمر الجمجمة لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين، كما تحدد أن الأسنان الموجودة في عظمة الفك- والتي تنتمي إلى الأورانغ أوتان، وهو من أنواع الغوريلات- قد تآكلت اصطناعياً، وأن الأدوات البدائية المكتشفة مع المتحجرات هي مجرد أدوات بسيطة مقلّدة شُحذت بواسطة أدوات فولاذية (67) وفي التحليل المفصل الذي أتمه وينر سنة 1953 تم الكشف للجمهور عن هذا التزوير؛ إذ كانت الجمجمة تخص إنساناً عمره نحو خمسمئة سنة في حين كانت عظمة الفك السفلي تخص قرداً مات مؤخراً! وقد تم ترتيب الأسنان على نحو خاف في شكل صف، ثم أُضيفت إلى الفك وتم حشو المفاصل لكي يبدو الفك شبيهاً بفك الإنسان. وبعد ذلك تم تلطيخ كل هذه القطع بثاني كرومات البوتاسيوم لإكسابها مظهراً عتيقاً، ثم بدأت هذه اللطخ بالاختفاء عند غمسها في الحمض . و لم يتمكن غروب كلارك، الذي كان ضمن أعضاء الفريق الذي كشف هذا التزييف، من إخفاء اندهاشه من هذا الموقف فقال: لقد ظهرت للعين في الحال أدلة على حدوث كشط صناعي. وكانت



ذقن سِعلاة لجمجمة الإنسان



1

لقد وُجدت هذه الحفريات من قبل تشارلز داروِن، ثم أُعطيت لـــ "سير آرثور سميث وودوارد **Sir Arthur Smith Woodward**).



2

لقد تم توصيل الأجزاء بعضها البعض لتتكون الجمجمة الشهيرة.



3

ولقد أُقيمت وأُجريت العديد من الرسومات، وعمليات إعادة البناء بشأن هذه الجمجمة، وكُتب بحقها أيضا ما يقرب من خمسمائة مقالة. وعُرضت الجمجمة الأصلية في المُتحف البريطاني.



4

وبعد أربعين عاما من هذا الاكتشاف ثبُت أن حفرية بيلت داون (**Piltdown**) هي نتاج للتزييف والغش لا غير. فأجزاء جمجمة هذا الإنسان ، لم تكن سوى عظام ذقن إنسان الغاب.

هذه الأدلة واضحة جداً لدرجة تجعل المرء يتساءل: كيف لم يتم الانتباه إليها من قبل؟! (68) وفي أعقاب كل هذه الأحداث تم نقل إنسان بيلتداون على عجل من المتحف البريطاني بعدما عُرف فيه لمدة تزيد عن أربعين سنة!



إنسان نبراسكا: سن خنزير!

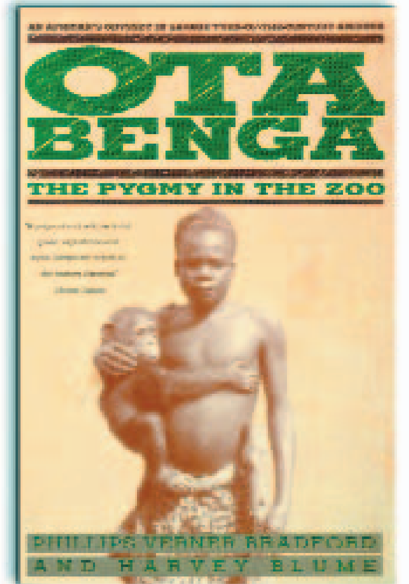
في سنة 1922, أعلن هنري فيرفيلد أوسبرن، مدير المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي عن عثوره على ضرس متحجرة في غرب نبراسكا، بالقرب من سنيك بروك، يعود إلى العصر البليوسيني. وزعم البعض أن هذا الضرب يحمل صفاتا مشتركة بين كل من الإنسان والقرد، وبدأت مناقشات علمية عميقة فسّر فيها البعض هذا الضرب على أنه يعود إلى إنسان جاوة منتصب القامة (Pithecanthropus erectus)، في حين ادعى البعض الآخر أنه أقرب إلى أضراس الإنسان. وقد أطلق على هذه الحفرية، التي أحدثت جدالاً مكثفاً، اسم إنسان نبراسكا، كما أعطيت –في الحال– اسماً علمياً هو: هسبيروبايثيكوس هارولدكوكي (Hesperopithecus haroldcooki).

وأبدى العديد من الخبراء تأييدهم لأوسبرن. واستناداً إلى هذا الضرب الأوحد رُسمت إعادة بناء لرأب إنسان نبراسكا وجسده. وأكثر من هذا، فقد تم حتى رسم إنسان نبراسكا مع زوجته وأطفاله في شكل عائلة كاملة في محيط طبيعي!

إن الرسم الموجود في الأعلى قد تم إنجازه بالاعتماد على قطعة سنّ واحدة، وقد تم نشره في مجلة "Illustrated London News" في عددها الصادر بتاريخ 24 حزيران عام 1922. وقد اتضح أن هذا السن ليس لقرد ولا لإنسان وإنما هو لفصيلة منقرضة من الخنازير، وهو ما كان سببا في خيبة كبيرة لآمال الداروينيين.

وقد وضعت كل هذه السيناريوهات من ضرس واحد فقط! وأجازت الأوساط التطورية هذا الإنسان الشبح لدرجة أنه عندما قام باحث يدعى ويأتيام بريان بالاعتراض على هذه القرارات المتحيزة القائمة على ضرس أوحد تعرض لانتقاد شديد!

وفي سنة 1927 عُثر على أجزاء أخرى من الهيكل العظمي لإنسان نبراسكا. ووفقاً لهذه الأجزاء المكتشفة حديثاً، لم يكن الضرب يخص لا إنساناً ولا قرداً. وأدرك الجميع أنه يخص نوعاً منقرضاً من الخنازير الأمريكية البرية يسمى (prosthennops)، وأطلق ويأتيام غريغوري على مقاله المنشور في مجلة العلوم (Science)، حيث أعلن عن هذا الخطأ، العنوان الآتي: الهسبيروبايثيكوب: يظهر أنه ليس قرداً ولا إنساناً (69). وبعد ذلك، تم على عجل إزالة كل رسوم الهسبيروبايثيكوب هارولدكوكي وعائلته من أدبيات التطور!



أوتا بينغا: الأفريقي المحبوس في القفص

بعد أن قدم داروين في كتابه سلالة الإنسان (The Descent of Man) مزاعم حول تطور الإنسان من كائنات شبيهة بالقرود، بدأ يبحث عن متحجرات تدعم هذا الجدل. ومع ذلك، اعتقد بعض دعاة التطور أن الكائنات المكونة من نصف قرد ونصف إنسان لن توجد في سجل المتحجرات فحسب، بل ستوجد أيضاً على قيد الحياة في مناطق مختلفة من أرجاء العالم. وفي مطلع القرن العشرين، نتجت عن هذه المساعي الرامية إلى إيجاد حلقات انتقالية حية حوادث مؤسفة، يتمثل أكثرها وحشية في قصة قزم يُدعى أوتا بينغا.

فقد قام أحد الباحثين في مجال التطور باصطياد أوتا بينغا سنة 1904 في الكونغو. ويعني اسمه بلغته المحلية: الصديق. وكان هذا الرجل متزوجاً ولديه طفلان، وبعد أن قُيد أوتا بينغا بالسلاسل ووضع في قفج كالحيوان نُقل إلى الولايات المتحدة، حيث قام علماء التطور بعرضه على الجمهور في معرق سينت لويج العالمي إلى جانب أنواع أخرى من القردة، وقدموه بوصفه أقرب حلقة انتقالية للإنسان. وبعد عامين نقلوه إلى حديقة حيوان برونْكج في نيويورك وعرضوه تحت مسمى السلف القديم للإنسان مع بضع أفراد من قردة الشمبانزي وبعج الغوريلاّت، وقام الدكتور التطوري ويأتيام هورناداي، مدير الحديقة ، بإلقاء خطب طويلة عن مدى فخره بوجود هذا الشكل الانتقالي الفريد في حديقته وعامل أوتا بينغا المحبوب في القفج وكأنه حيوان عادي. ونظراً لعدم قدرته على تحمل المعاملة التي تعرض لها، فقد انتحر أوتا بينغا في النهاية! (70)

إنسان بيلتداون، إنسان نبراسكا، أوتا بينغا... تبين كل هذه الفضائح أن علماء التطور لا يتورعون عن استخدام أي نوع من أنواع الوسائل غير العلمية في سبيل إثبات نظريتهم. وإذا أخذنا هذه النقطة في الاعتبار، عندما نلقي نظرة على الأدلة الأخرى المزعومة بشأن خرافة تطور الإنسان، فسنواجه موقفاً مشابهاً. وهنا سنجد قصة خيالية وجيشاً من المتطوعين مستعداً لتجربة كل شيء من أجل إثبات هذه القصة.

الفصل التاسع

سيناريو تطور الإنسان

رأينا في الفصول السابقة أنه لا توجد أية آليات في الطبيعة يمكن أن تؤدي إلى تطور الأحياء، وأن أنواع الأحياء لم تدخل حيز الوجود نتيجة عملية تطورية، بل ظهرت فجأة في تركيبها المثالي الحالي؛ أي أنها خُلِقَتْ -كل نوع منها- على حدة. ومن ثم يتضح لنا أن تطور الإنسان، أيضاً، يجسد قصة لم تحدث أبداً!

ما الذي يقدمه دعاة التطور -إذن- كأساب لهذه القصة؟

يتمثل هذا الأساپ في وجود الكثير من المتحجرات التي يمكن لدعاة التطور أن يبنوا عليها تأويلات خيالية. وعلى مر التاريخ، عاش أكثر من ستة آلاف نوع من أنواع القردة كان الانقراض مصيراً لمعظمها، ولا يوجد -اليوم- على سطح الأرض سوى مئة وعشرين نوعاً من أنواع القردة. وتمثل الستة آلاف نوع هذه (التي انقرض معظمها) مصدراً ثرياً لدعاة التطور.

لقد كتبَ دعاة التطور سيناريو تطور الإنسان عن طريق تنظيم بعض الجماجم التي تخدم أغراضهم بالترتيب من الأصغر إلى الأكبر، وبعثرة جماجم بعض الأجناس البشرية المنقرضة بينها. وحسبما ورد في هذا السيناريو: فإن للبشر والقردة الحديثة أسلافاً مشتركة، وقد تطورت هذه الكائنات بمرور الزمن فصار بعضها قردةَ اليوم، في حين أصبحت مجموعةٌ أخرى اتبعت فرعاً آخر من فروع التطور إنسانَ اليوم

غير أن جميع نتائج البحوث البالانتولوجية، والتشريحية، والبيولوجية قد أظهرت أن هذا الادعاء التطوري يتسم -كغيره من الادعاءات الأخرى- بالخيال والبطلان؛ إذ لم يتم تقديم أية أدلة سليمة أو حقيقية تثبت وجود قرابة بين الإنسان والقرد، اللهم إلا التزييف والتشويه والرسوم والتعليقات المضلِّلة.

ويثبت لنا سجل المتحجرات على مر التاريخ أن الإنسان كان إنساناً وأن القرد كان قرداً. أما بالنسبة لبعج المتحجرات التي يدّعي دعاة التطور أنها أسلاف للإنسان، فإنها تخص أجناساً بشرية قديمة عاشت حتى فترة قريبة جداً (قبل نحو عشرة آلاف عام) ثم اختفت. وفضلاً عن ذلك، فإن العديد من المجتمعات البشرية التي ما زالت تعيش بيننا اليوم تتسم بنفس الهيئة والصفات الجسدية التي تتسم بها الأجناس البشرية المنقرضة، التي يدعي دعاة التطور أنها أسلاف الإنسان. وتعتبر كل هذه الأشياء دليلاً واضحاً على أن الإنسان لم يمرَّ قط بأية عملية تطور في أية فترة من فترات التاريخ.

وأهم من ذلك كله، هو وجود اختلافات تشريحية لا حصر لها بين القردة والبشر، لا يعد أي منها من النوع الذي يمكن أن يظهر من خلال عملية التطور. ويتمثل أحدها في المشي على قدمين. وكما سنصف بالتفصيل لاحقاً: فإن المشي على قدمين يعتبر صفة مميزة للإنسان، كما أنه إحدى أهم الخواف التي تميز الإنسان عن الحيوانات الأخرى.

شجرة العائلة المتخيَّلة للإنسان

يقضي الادعاء الداروني بأن الإنسان العصري قد تطور من أحد أنواع المخلوقات الشبيهة بالقردة. وأثناء عملية التطور المزعومة هذه، التي من المفترض أنها قد بدأت منذ نحو أربعة إلى خمسة ملايين سنة، يدّعي الدارونيون وجود بعض الأشكال الانتقالية بين الإنسان العصري وأسلافه. ووفقاً لهذا السيناريو الخيالي بكل ما في الكلمة من معنى، تم وضع قائمة بأربع فئات أساسية هي:

1-القرد الجنوبي (Australopithecine).

2-الإنسان القادر على استخدام الأدوات (Homo habilis).

3-الإنسان منتصب القامة (Homo erectus).

4-الإنسان العاقل (Homo sapiens).

ويطلق دعاة التطور على ما يزعمون أنها الأسلاف الأولى لكل من الإنسان والقرد اسم Australopithecus (أي: القرد الإفريقي الجنوبي). ولهذه القردة الجنوبية أنواع مختلفة، ولكنها ليست أكثر من مجرد نوع قديم من أنواع القردة المنقرضة. ويتصف بعضها ببنية قوية، في حين يتصف البعض الآخر بصغر الحجم والنحول.

ويصنف دعاة التطور المرحلة الآتية من تطور الإنسان تحت اسم Homo (أي : الإنسان وحسبما يدعي دعاة التطور، فإن الكائنات الحية المندرجة تحت سلسلة الإنسان تعتبر أكثر تطوراً من القرد الجنوبي، ولا تختلف كثيراً عن الإنسان العصري. ويقال إن الإنسان العصري الموجود في الأيام الحالية، أي الإنسان العاقل، قد تكوّن في آخر مرحلة من مراحل تطور الجنس البشري.

وأما فيما يتعلق بمتحجرات مثل إنسان جاوة وإنسان بكين ولوسي (التي تظهر في وسائل الإعلام من حين لآخر، والتي توجد في المنشورات وكتب المحاضرات الخاصة بدعاة التطور) فسوف نجدها متضمَّنة في أحد الأنواع الأربعة المذكورة أعلاه، التي يُفترض أن تنشأ عنها أنواع فرعية (sub-species).

وكان لا بد من استبعاد بعض الأشكال الانتقالية المرشَّحة في الماضي (مثل راماپايثيكوپ Ramapithecus) من شجرة العائلة المتخيَّلة لتطور الإنسان بعد أن تم الإدراك بأنها قردة عادية.(71)

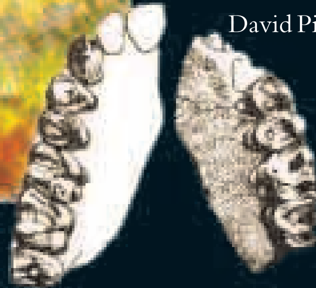
ومن خلال وضع الخطوط العريضة لسلسلة الروابط التي تتمثل في القردة الجنوبية فالإنسان القادر على استخدام الأدوات فالإنسان منتصب القامة فالإنسان العاقل، يلمّح دعاة التطور إلى أن كل نوع من هذه الأنواع يُعتبر سَلَفاً لنوع آخر. ومع ذلك، كشفت البحوث العلمية الأخيرة لعلماء المتحجرات أن القردة الجنوبية والإنسان القادر على استخدام الأدوات والإنسان منتصب القامة قد عاشوا في مناطق مختلفة من العالم في نفس الفترة الزمنية. بل وأكثر من هذا، كشفت البحوث أيضاً أن قسماً معيناً من البشر المصنفين تحت فئة الإنسان منتصب القامة قد عاشوا حتى عصور حديثة جداً. كما أن الإنسان العاقل النياندرتالي والإنسان العصري (Homo sapiens sapiens) قد عاشا معاً في نفس المنطقة. ويشير الوضع بوضوح إلى بطلان الادعاء القائل بأن هذه الأنواع أسلاف لبعضها البعض.

ومن الناحية الفعلية، أظهرت كل الاكتشافات والبحوث العلمية أن سجل المتحجرات لا يوحي بحدوث أية عملية تطور حسب ما اقترحه دعاة التطور. أما فيما يتعلق بالمتحجرات التي ادعى علماء التطور أنها أسلاف البشر فإما أنها تخص أجناساً مختلفة من البشر أو أنها تخص أنواعاً من القردة.

إذن، أي المتحجرات يخص الإنسان وأيها يخص القردة؟ هل من الممكن اعتبار أي واحدة منها شكلاً انتقالياً؟ للحصول على إجابة لهذه الأسئلة، دعونا نلقي نظرة أقرب على كل فئة من الفئات.

عظمة فك واحدة بمثابة شرارة للخيال الجامح





في المتحجرة الأولى لـــ راماپايثيكس تم العثور على فك مفقود مكون من جزأين (كما يظهر في طرف الصورة). وقد قام دعاة التطور –بكل جرأة– بتصوير الراماپايثيكس، وعائلته، والبيئة التي عاشوا فيها، بالاعتماد فقط على عظمتي الفك هاتين! ولقد اتضح أن ذلك الكائن الحي الذي خطوا عليه كافة تفاصيله حتى عائلته، والمناخ الذي عاشه، وذلك من خلال النظر إلى عظام الفك، هو من شجرة النسب الخيالية للإنسان.

(David Pilbeam, "Humans Lose an Early Ancestor", Science, Nisan 1982, p. 6-7)







ويتضح في الصورتين الموجودتين على اليسار شكل سِعلاة الجنوب. أما في الصورة الموجودة أسفل فلقد رُسم "A.boisei"، ولا جرم أن كل هذه الرسومات والصور من صنع الخيال ليس إلا. وفي حقيقة الأمر فإن سلالات سِعلاة الجنوب أحد أنواع القرود القديمة التي انقرض نوعها.

الأوسترالوبايثيكوس: نوع من أنواع القردة

إن كلمة أوسترالوبايثيكوب (Australopithecus)، أي الفئة الأولى، تعني القرد الجنوبي. ويفترض أن يكون هذا الكائن قد ظهر لأول مرة في أفريقيا قبل أربعة ملايين سنة تقريباً وعاش حتى نحو مليون سنة مضت. ويضم هذا النوع بعض الطوائف؛ إذ يفترض دعاة التطور أن أقدم نوع من أنواع القردة الجنوبية هو (A. Afarensis)، يأتيه القرد الجنوبي الأفريقي (A. Africanus) الذي يتسم بعظام أنحل، ثم القرد الجنوبي القوي (A. Robustus) الذي يتسم بعظام أكبر نسبياً. أما فيما يتعلق بالقرد الجنوبي المتوحج (A. Boisei)، فإن بعض الباحثين يقبلونه بوصفه نوعاً مختلفاً، في حين أن البعض الآخر يقبله بوصفه طائفة أو نوعاً فرعياً من أنواع القردة الجنوبية القوية.

وتعد جميع أنواع القردة الجنوبية قردة منقرضة تشبه قردة اليوم. ذلك أن لجماجمها سعة تعادل سعة جماجم قردة الشمبانزي الموجودة اليوم أو تقل عنها. وتوجد في أيديها وأرجلها أجزاء بارزة تستخدمها في تسلق الأشجار كما هو الحال بالنسبة لقردة اليوم، كما تتسم أرجلها بالقدرة على قبض الأشياء لمساعدتها في التعلق على فروع الأشجار. وتتصف هذه القردة بقصر القامة (إذ لا يتجاوز طولها مئة وثلاثين سنتمتراً). وكما هو الحال بالنسبة لقردة الشمبانزي الموجودة اليوم، فإن ذكر القرد الجنوبي أكبر حجماً من أنثاه. وتوجد العديد من الصفات التي تعد دليلاً على أن هذه الكائنات الحية لم تكن تختلف عن قردة اليوم، ومن هذه الأدلة: جماجمها، وتقارب عيونها، وحدة أضراسها، وبنية فكها، وطول أذرعها، وقصر أرجلها.

ويدعي دعاة التطور أنه على الرغم من تطابق الصفة التشريحية للقردة الجنوبية وقردة اليوم، إلا أن القردة الجنوبية تمشي منتصبة القامة مثل البشر بخلاف القردة!

ويجسد ادعاء المشي بقامة منتصبة –في الواقع– الرأي الذي كان يعتنقه علماء متحجرات أمثال ريتشارد ليكي ودونالد يوهانسون منذ عشرات السنين، غير أن الكثير من العلماء قد قاموا بإجراء قدر كبير من البحوث على التركيب الهيكلي للقردة الجنوبية وأثبتوا بطلان هذه الحجة. وقد أجرى أشهر عالِمَي تشريح على مستوى العالم من إنكلترا والولايات المتحدة، وهما اللورد سولي زوكرمان والبروفسور تشارلز أوكسْنَارد، بحوثاً مكثفة على مختلف عينات القردة الجنوبية التي أظهرت أن هذه المخلوقات لا تمشي على قدمين بل تستخدم نفس طريقة المشي التي تستخدمها قردة اليوم. وبعد أن درس اللورد زوكرمان عظام هذه المتحجرات لمدة خمسة عشر عاماً بدعم من الحكومة البريطانية، توصل هو وفريقه المكون من خمسة اختصاصيين إلى نتيجة مفادها أن القردة الجنوبية لم تكن سوى نوع من أنواع القردة العادية وأنها –بلا شك– لم تكن تمشي على قدمين، وذلك على الرغم من أن زوكرمان نفسه كان أحد دعاة التطور (72) وعلى نحو مشابه، قام أيضاً تشارلز أوكسنارد، وهو داع آخر من دعاة التطور المشهورين ببحوثهم في هذا الموضوع، بتشبيه الهيكل العظمي للقردة الجنوبية بالهيكل العظمي لغوريلا الأورانغ أوتان الحديث (73) وأخيراً، في سنة 1994, بدأ فريق من جامعة ليفربول بإنكلترا في إجراء بحوث مكثفة من أجل الوصول إلى نتيجة مؤكدة. وفي النهاية، استنتج الفريق أن: القردة الجنوبية تمشي على أربعة أقدام.

لقد أصبح من المقبول لدى أوساط التطوريين أيضا في المدة الأخيرة أن اوسترالوبيتكوس (Australopithecus) ليس هو الجد المزعوم للإنسان. وقد أوردت مجلة العلم والحياة (Science et Vie) الفرنسية في عددها الصادر في شهر مايو 1999 هذا الموضوع في غلافها الرئيسي. فقد تناول هذا العدد من المجلة المذكورة نموذج "لوسي" الذي يعد من أهم المتحجرات من نوع (Australopithecus afarensis) وأوردت المجلة عنوانا له دلالته وهو "وداعا لوسي"، وبينت أن نوع (Australopithecus) أثبت أنه من الضروري إخراج القردة من شجرة أصل الإنسان. وفي هذه المقالة التي اعتمدت على متحجر لاوسترالوبيتكوس مؤشر عليها برمز St W573 نجد الكلمات التالية: إن ثمة نظرية جديدة تقول بأن نوع اوسترالوبيتكوس لا ينتمي إلى أصل نوع الإنسان. .. إن الشجرة القديمة بتمّ نسفها. وهكذا فإن الإنسان الذي كان يتخذ له مكانا في هذه الشجرة مع جنس القردة يتم الآن قطعه من هذه الشجرة. فجنس اوسترالوبيتكوس وأنواع الهومو (جنس البشر) لا ينتسبان إلى نفس الفرع. فنوع البشر ما زال إلى حد الآن ينتظر البحث في علاقته بأجداده. (74)

وباختصار، لا يوجد ما يربط القردة الجنوبية بالبشر، لأنها مجرد نوع منقرض من أنواع القردة.



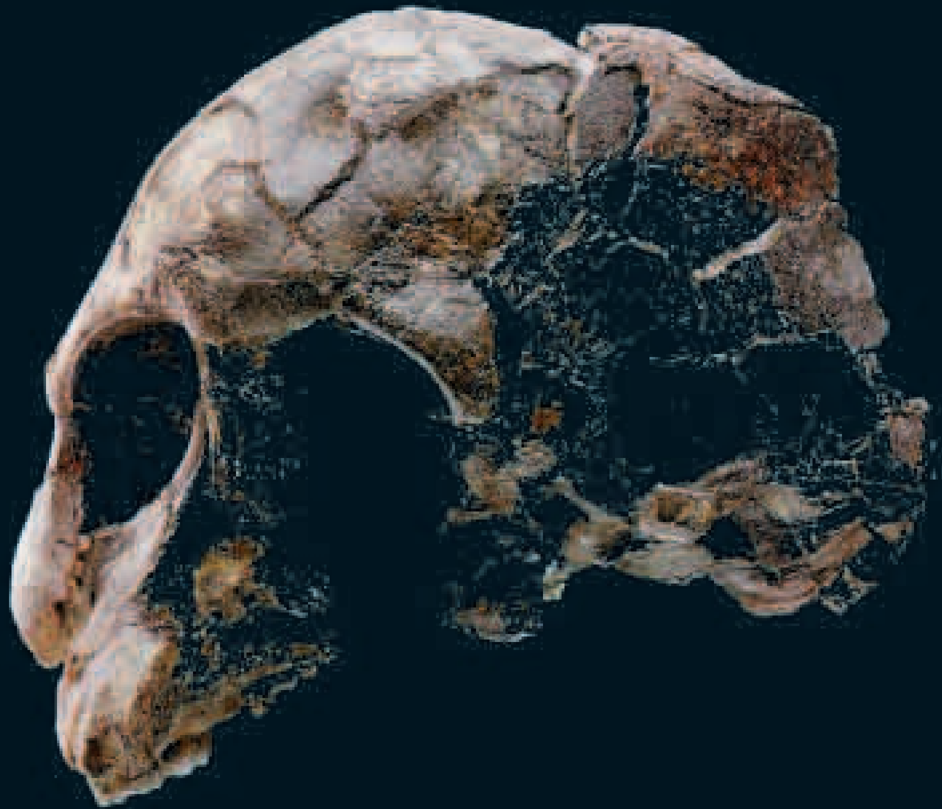
جنس أسترالوبيثكس–شبيه بالشمبانزي



هي بمثابة أول حفرية "Lucy"أو لوسي (AL 288-1) إن تُوجد في أثيوبيا، ويتم التفكير فيها على أنها تعود إلى نوع سِعلاة الجنوب. وأنصار نظرية التطور قد بذلوا مساع وجهودا حثيثة لفترات طويلة من أجل إثبات أن الحفرية لوسي قد كانت تسير منتصبة، إلا أن آخر الأبحاث قد أثبتت بشكل قاطع لا يشوبه أي شك أن هذا الكائن الحي شمبانزي عادي يسير بشكل مائل.

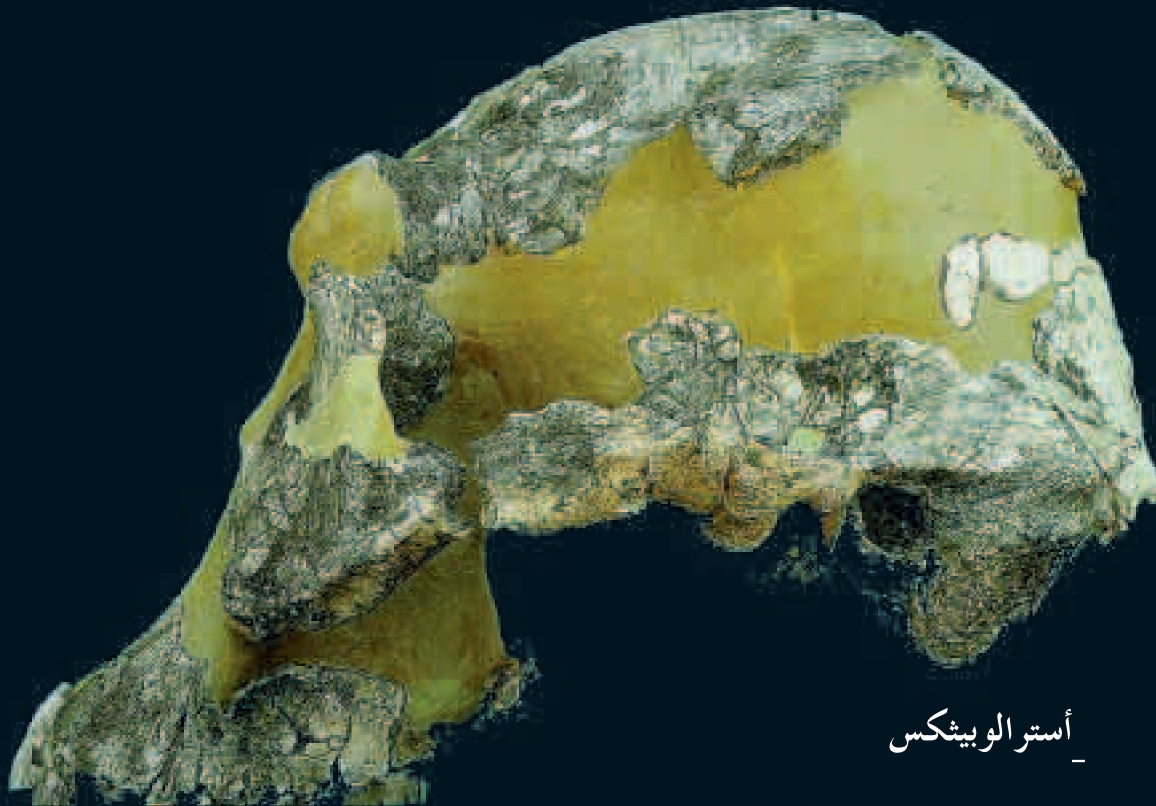
الخاصة بسلالة سِعلاة الجنوب (AL 333-105)والحفرية التي نشاهدها في الأسفل ترجع إلى أحد الأعضاء الشابة من هذا النوع، ومن ثم فإن البروز الكائن بجمجمتها لم يكتمل نضجه بعد.

أما الحفرية التي توضح وتبين بشكل جيد الخصائص والسمات الخاصة بذقن الإنسان اللَّقن ــ أقدم مثال من جنس الأناسي ويشمل الإنسان المعاصر، ولعله تطور عن سِعلاة الجنوب، وهو أشبه بولد صغير الدماغ عاش في شرق أفريقيا منذ حوالي مليوني إلي أربعة ملايين سنةــ إنما هي تلك الحفرية الموجودة على اليمين والمسماة الإنسان الماهر. فهناك أسنان كبيرة قاطعة بذقن تلك الحفرية، والأضراس صغيرة، أما شكل الذقن فهو مربع. فهذه الذقن بكل ما تملكه من هذه الخصائص تشبه وبشدة قرود الأيام الحالية. وبصورة أخرى يمكننا القول إنّ ذقن الإنسان اللَّقن توضح وتبين أن هذا الكائن الحي بمثابة قرد ليس إلا.





جنس أسترالوبيثكس–شبيه بالشمبانزي



أسترالوبيثكس

إن الشبه الكبير بين أسترالوبيثكس وبين جمجمة الشمبانزي جعل التطوريين يقدمون أسترالوبيثكس على أنه الجد المفترض للإنسان، ولكن الحقيقة أنه لا يعدو أن يكون نوعا من أنواع القردة.

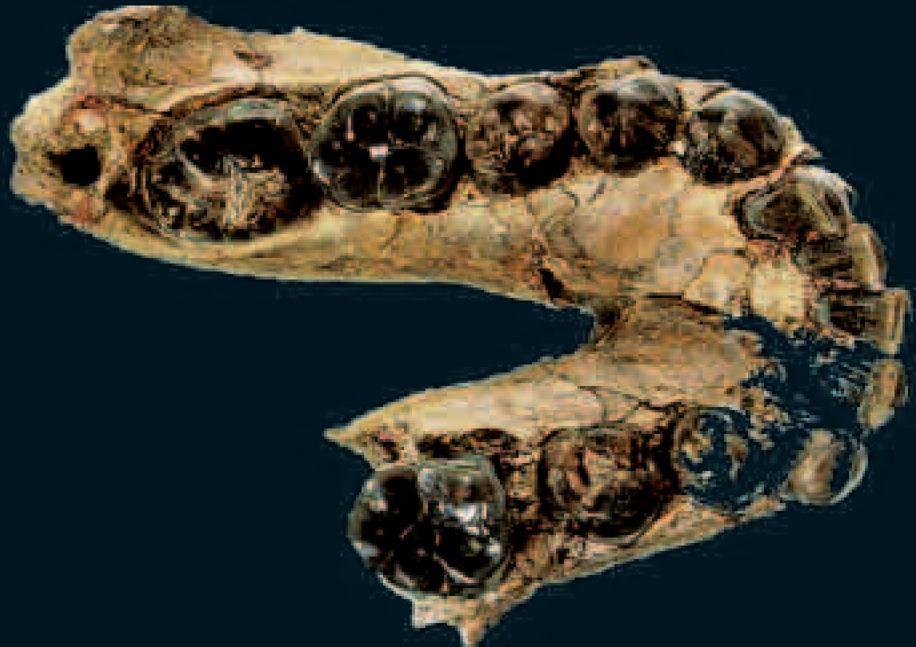


شمبانزي

إنسان اللقَّن: قرد آخر



لقد دافع أصحاب نظرية التطور لفترات طويلة عن تلك المسألة التي كانوا يدعون فيها أن الكائنات الحية التي يسمونها في فترة من الفترات ,,إنسان اللقَّن" كانت تسير بشكل منتصب. وهم كانوا يفكرون، ويعتقدون أنهم بذلك قد تمكنوا من العثور على الحلقة المفقودة التي توضح مسألة الانتقال من القرد إلى الإنسان. إلا أن حفرية "إنسان اللقَّن" الحديثة التي وجدها "تيم وايت" (**Tim White**)، وأسماها **OH 62**، قد تمكنت من تقويض ودحض ادعاءاتهم هذه. فأجزاء هذه الحفرية كانت توضح وتعرض أن سلالة "إنسان اللقَّن" كانت تمتلك أذرعا طويلة، وسيقانا قصيرة مثلها في ذلك مثل قرود الوقت الحاضر. وقضت هذه الحفرية على ذلك الادعاء الذي يقول بأن سلالة "إنسان اللقَّن" كانت كائنات حية تستطيع السير منتصبة على قدمين. فـ"إنسان اللقَّن" ليس شيئا سوى نوع من القرود.



أما الحفرية التي تبين بشكل جيد الخصائص والسمات الخاصة بذقن نوع "إنسان اللقَّن"، إنما هي تلك الحفرية الموجودة على اليمين والمسماة "الإنسان القزم" (**OH 7 Homo Habilis**). فهناك أسنان كبيرة قاطعة بذقن تلك الحفرية. أما الأضراس فصغيرة. وبالنسبة إلى شكل الذقن فهو مربع. فهذه الذقن بكل ما تملكه من هذه الخصائص تشبه وبشدة قرود الأيام الحالية. وبتعبير آخر يمكننا القول إن ذقن "إنسان اللقَّن" توضح أن هذا الكائن الحي هو بمثابة قرد ليس أكثر.

الإنسان القادر على استخدام الأدوات:
القرد الذي تم تقديمه على أنه إنسان

إن التشابه الكبير بين البنيتين العظمية والجمجمية للقردة الجنوبية والشمبانزي، وكذلك دحض الادعاء القائل بأن هذه الكائنات كانت تسير منتصبة القامة، قد تسبّبا في ظهور قدر كبير من الصعوبة بالنسبة لعلماء المتحجرات من أنصار التطور. ويرجع السبب في ذلك إلى أنه، حسب المخطط المتخيل للتطور، يأتي ترتيب الإنسان منتصب القائمة بعد القردة الجنوبية. وكما توحي كلمة إنسان، فإن الإنسان منتصب القامة هو صنف من أصناف البشر لديه هيكل عظمي مستقيم، وتبلغ سعة جمجمته ضعف سعة جمجمة القردة الجنوبية. ويعد التحول المباشر من القردة الجنوبية (التي هي عبارة عن قردة شبيهة بالشمبانزي) إلى الإنسان منتصب القامة الذي لا يختلف عن الإنسان العصري في هيكله العظمي، أمراً محالاً حتى بالنسبة لنظرية التطور. ومن هنا جاءت ضرورة وجود روابط؛ أي أشكال انتقالية. ومن هذه الضرورة، ظهرت فكرة الإنسان القادر على استخدام الأدوات (Homo Habilis).

وفي الستينيات، قامت أسرة ليكي، المعروفة بأكملها بأنها صائدة للمتحجرات، بتقديم التصنيف الخاف بالإنسان القادر على استخدام الأدوات. ووفقاً لأسرة ليكي، فإن هذا النوع الجديد الذي صنفوه على أنه إنسان قادر على استخدام الأدوات يتميز بجمجمة ذات سعة أكبر نسبياً، وقدرة على المشي بقامة منتصبة واستخدام الأدوات الحجرية والخشبية. ومن ثم يمكن أن يكون هذا النوع سَلَفاً للإنسان.

غير أن المتحجرات الجديدة التي اكتُشفت من نفس النوع في أواخر الثمانينيات غيرت هذا الرأي تماماً. فقد صرح بعض الباحثين (أمثال برنارد وود و لورنغ بريس اللذين اعتمدا على هذه المتحجرات المكتشفة حديثاً) بأن الإنسان القادر على استخدام الأدوات، وهو ما يعنيه مصطلح Homo habilis، يجب أن يصنَّف تحت فئة القردة الجنوبية القادرة على استخدام الأدوات، وهو ما يعنيه مصطلح Australopithecus habilis؛ لأن هناك صفات مشتركة كثيرة بين الإنسان القادر على استخدام الأدوات والقردة المسماة بالقردة الجنوبية. إذ يتسم هذا الإنسان –مثله مثل القردة الجنوبية– بأذرع طويلة، وأرجل قصيرة، وهيكل عظمي شبيه بالهيكل العظمي للقردة. كما أن أصابع يديه وأصابع قدميه معدة للتسلق، وتعتبر بنية فكه السفلي مشابهة جدا لتلك الخاصة بقردة اليوم، كما أن متوسط سعة جمجمته البالغ 600 سم3 يعد دليلاً على حقيقة كونه قرداً. وباختصار، يمكن القول بأن الإنسان القادر على استخدام الأدوات، الذي قدمه بعض دعاة التطور بوصفه نوعاً مختلفاً، هو في الواقع نوع من أنواع القردة مثله مثل كافة القردة الجنوبية الأخرى.

وقد أظهرت البحوث التي أجريت في السنوات الآتية فعلياً أن الإنسان القادر على استخدام الأدوات لا يختلف عن القردة الجنوبية في شئ. وقد بينت جمجمة المتحجرة OH 62 وهيكلها العظمي اللذان عثر عليهما تيم وايت أن هذا النوع يتصف بصغر سعة جمجمته وطول ذراعيه وقصر ساقيه، مما يمكنه من تسلق فروع الأشجار، مثله مثل قردة اليوم تماماً.

وقد دلت التحاليل التفصيأتية التي أجرتها عالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية هولي سميث في سنة 1994 أن ما يسمى الإنسان القادر على استخدام الأدوات لم يكن إنساناً، بل كان قرداً. وفيما يتصل بالتحاليل التي أجرتها على أسنان القردة الجنوبية، والإنسان القادر على استخدام الأدوات، والإنسان منتصب القامة، والإنسان النياندرالي، قررت سميث ما يأتي:

> إن التحاليل التي استندت إلى طبيعة وبنية تطور الأسنان أشارت إلى أن الأسترالوبيثاكينيس وهوموهابيلس ينتميان إلى نفس أنماط القرود الأفريقية، وأما تلك الخاصة بالإنسان منتصب القامة والإنسان النياندرتالي فقد أشارت إلى أنهما يملكان نفس البنية العائدة للإنسان المعاصر. (75)

وفي نفس السنة، توصل فرد سبور وبرنارد وود وفرانز زونفيلد (وجميعهم من اختصاصيي التشريح) إلى نفس النتيجة ولكن باستخدام طريقة مختلفة تماماً. وتعتمد هذه الطريقة على التحليل المقارن للقنوات شبه الدائرية الموجودة في الأذن الداخلية للإنسان والقرد والمسؤولة عن الحفاظ على التوازن. وقد اختلفت قنوات الإنسان الذي يمشي منتصب القامة اختلافاً كبيراً عن تلك الخاصة بالقرد الذي يمشي منحنياً إلى الأمام. وفضلاً عن ذلك، جاءت نتائج تحليل قنوات الأذن الداخلية لكل القردة الجنوبية، وكذلك عينات الإنسان القادر على استخدام الأدوات التي حللها كل من سبور ووود وزونفيلد، جاءت كلها مماثلة لقنوات القردة العصرية. أما فيما يتعلق بنتائج تحليل قنوات الأذن الداخلية للإنسان منتصب القامة، فقد أثبت التحليل أنها مماثلة لقنوات إنسان اليوم. (76)

وقد أفرز هذا الاستنتاج نتيجتين هامتين هما:

1– أن المتحجرات المشار إليها باسم الإنسان القادر على استخدام الأدوات لم تكن تنتمي في الواقع إلى طائفة الإنسان، بل كانت تنتمي إلى طائفة القردة الجنوبية.

2– أن الإنسان القادر على استخدام الأدوات والقردة الجنوبية كانا جميعاً من الكائنات الحية التي تتميز بمشية منحية، وبالآتي بهيكل عظمي مماثل لهيكل القردة وليست لها أية علاقة من أي نوع كان بالإنسان.

إنسان رودولف: الوجه الملصق خطأً

إن مصطلح إنسان رودولف (Homo Rudolfensis) هو الاسم الذي أُطلق على بضعة أجزاء تخص متحجرة تم اكتشافها سنة 1972.

وقد أطلق نفس الاسم على الطائفة التي من المفترض أن تمثلها هذه المتحجرة، وذلك بسبب العثور على أجزاء المتحجرة على مقربة من نهر رودولف في كينيا. ويقر معظم علماء المتحجرات بأن هذه المتحجرات لا تنتمي إلى نوع مميز، بل إن الكائن الحي المسمى بإنسان رودولف هو في الواقع إنسان قادر على استخدام الأدوات.

وقد قام ريتشارد ليكي، الذي اكتشف المتحجرات، بتقديم الجمجمة (التي أطلق عليها اسم KNM-ER 1470 وقال إن عمرها يبلغ 2,8 مليون سنة) على أنها أعظم اكتشاف في تاريخ الأنثروبولوجيا وعلى أن لها آثاراً كاسحة. ووفقاً لليكي، فإن هذا الكائن، الذي كانت سعة جمجمته صغيرة مثل القرد الجنوبي ومع ذلك كان وجهه مثل وجه الإنسان، هو الحلقة المفقودة بين القرد الجنوبي والإنسان. ولكن، بعد فترة قصيرة، اتضح أن وجه الجمجمة KNM-ER 1470 الشبيه بوجه الإنسان والذي كثيراً ما ظهر على أغلفة المجلات العلمية جاء نتيجة لصق معيب لأجزاء الجمجمة، الأمر الذي من الممكن أن يكون قد حدث عن عمد. وقد أوجز البروفسور تيم بروماج، الذي أجرى دراسات حول تشريح وجه الإنسان، هذه الحقيقة التي كشفها بمساعدة المحاكاة الحاسوبية سنة ,1992 بقوله:

عندما أُعيدَ بناء الجمجمة «KNM-ER 1470» لأول مرة تم تركيب الوجه على الجمجمة في وضع يكاد يكون عمودياً وأشبه ما يكون بالوجوه المسطحة للإنسان العصري، ولكن الدراسات الأخيرة للعلاقات التشريحية أظهرت أن في الحياة الفعلية لا بد أن يبرز الوجه بشكل ملحوظ مكوِّناً ملامح تشبه ملامح القرد، بل تشبه بالأحرى وجوه القردة الجنوبية (77)

وكتب في هذا الموضوع عالم المتحجرات التطوري كرونين ما يأتي:

(لقد لوحظ في وجه هذه الجمجمة– الذي تم بناؤه أي أعيد تركيبه بشكل تقريبي – صغر حجم القحف،وكبر الأنياب وغيرها من الصفات التي أشارت إلى أن المتحجرة رقم KNM-ER 1470 تشارك القردة الجنوبية هذه الصفات البدائية. كما أن متحجرة KNM-ER 0741 تحمل – مثلها مثل النماذج الأخرى المبكرة للإنسان – صفاتا مشتركة مع القردة الجنوبية ذات البنية الصغيرة. ولا توجد هذه الصفات في النماذج الإنسانية المتأخرة اي في الإنسان المنتصب)(78)

وقد توصل لورنج براپ من جامعة ميشيجان إلى نفس الاستنتاج بعد التحاليل التي أجراها على تركيب فك الجمجمة KNM-ER 1470 وأضراسها، وقال إن كبر حجم الفك وسعة الجزء الذي تشغله الأضراس أوضح أن لهذه الجمجمة نفس وجه القرد الجنوبي وأسنانه بالضبط. (79)

أما البروفسور ألان والكر، عالم المتحجرات من جامعة جون هوبكنز، الذي قام بإجراء دراسات على هذه الجمجمة بنفس القدر الذي أجراه ليكي، فقد دافع قائلاً إن هذا الكائن الحي يجب ألا يصنف تحت فئة الأنواع البشرية مثل الإنسان القادر على استخدام الأدوات وإنسان رودولف، بل على العكس يجب أن يضم إلى الفئة الخاصة بأنواع القرد الجنوبي. (80)

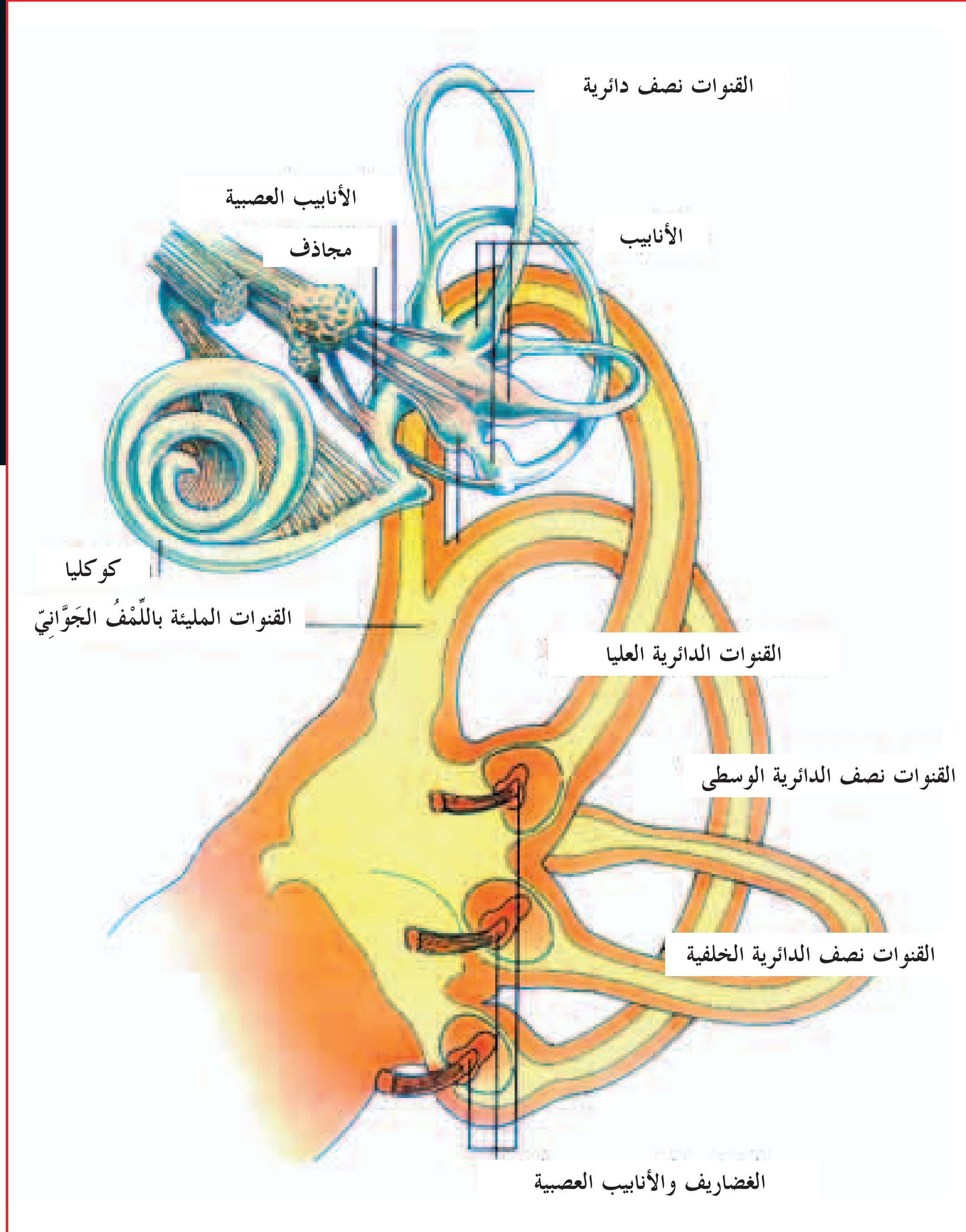
باختصار، إنّ تصنيفات مثل الإنسان اللِّقن ''هو أقدم مثال من جنس الأناسيِّ '' أو Homo rudolfensis و التي حاول بعضهم إظهارها بوصفها الصورة أو الشكل الذي يفصل بين مرحلة سعالي الجنوب ''جنس من الرئيسيات له جمجمة القرد و وجه و أسنان الإنسان'' ومرحلة الإنسان منتصب القامة '' ويطلق عليها أيضا اسم الإنسان القرد الذي يُظن أنه السلف المباشر للإنسان الحالي ''هي في حقيقة الأمر أشياء تخيلية إلى أبعد الحدود. والحقيقة التي آمن بها كثير من الباحثين اليوم أن كل واحد من هذه الكائنات الحية هو في الواقع عضو في سلسلة سعالي الجنوب. و تشير كل الخصائص التشريحية لكل واحد من هذه الكائنات الحية إلى أنها نوع من أنواع القرود. وقد أصبحت هذه الحقيقة أكثر وضوحاً مع الأبحاث التي نُشرت عام 1999 في مجلة ''العلم'' science لكل من برنارد وود Bernard Wood و مارك كولارد Mark Collard وهما من علماء الأنتروبولوجيا المؤيدين لفكرة التطور. وقد أوضحا أن تصنيفات الإنسان اللَّقِن و Homo rudolfensis (النوع 1470 للجمجمة) خيالية وغير صحيحة، و أنه يجب دراسة الحفريات التي أُدخلت خطأً إلى هذه التصنيفات داخل تصنيف آخر و هو سعالي الجنوب:

''لقد كانوا و حتى وقت قريب يدمجون أنواع الحفريات المختلفة داخل التصنيفات الإنسانية مستندين في ذلك على أسس معينة مثل التصورات الذهنية النظرية والاستنتاجات في موضوع حجم المخ المطلق و القدرة اللغوية و في موضوع المهارة اليدوية في صناعة آلة من الحجر. و بخلاف بعض الاستثناءات، فقد قُبل تعريف و استخدام هذا الجنس '' الإنساني'' داخل تطور الإنسان وتحديد هذا الجنس البشري على أنه واقع لا يقبل الجدل. إلا أن الاكتشافات الحديثة والتعليقات التى أضيفت إلى الاكتشافات الموجودة بالفعل وكذلك فرض حالة من التقييد والحصر على المدونات الباليو أنتروبولوجية (الخاصة بعلم الباليو أنتروبولوجيا الذي يبحث في أصول الإنسان القديم و تطوره) كل ذلك جعل من المقاييس التى استخدمت في إدماج هذه التصنيفات ضمن الجنس البشري مقاييس فاسدة غير صحيحة. ومن وجهة النظر التطبيقية نجد أن الأنواع الشبيهة بالإنسان و التي تحولت إلى حفريات قد أُدخلت و أُدمجت ضمن التصنيفات البشرية وفقاً لواحد أو أكثر من المقاييس الأساسية الأربعة... بيد أنه أصبح جلياً في وقتنا الحالي أن أيا من هذه المقاييس لم يكن مقنعاً. لقد انطوي موضوع حجمٍ الجمجمة على بعض المشاكل لأنه من الضروري مناقشة افتراض أنه يوجد أهمية بيولوجية للسعة المطلقة للمخ. كما يوجد بالشكل نفسة أدلة مطمأنة إلى حد ما بخصوص عدم وجود إمكانية الاستنتاج بشكل موثوق به لوظيفة التحدث من خلال الشكل العام للمخ، وهناك أدلة بخصوص عدم تمركز المناطق المسئولة عن الكلام في المخ عكس ما أشارت إليه الدراسات السابقة لذلك...

وبتعبير آخر، إننا إذا أضفنا الاكتشافات الجديدة من الحفريات المتعلقة بالإنسان اللَّقِن و بـــهومو رودولفانسيس Homo rudolfensis فإن جنس الانسان سيصبح حينها جنساً ليس جيداً. ولهذا السبب يجب أن نُخرج الجنس الإنسانى من بين جنس الإنسان اللَّقِن و هومو رودولفانسيس

نتيجة تحليل الأذن الداخلية
لا يوجد ثمة انتقال من الإنسان إلى القرد

إن عملية التحليل للأذن الداخلية لدى كل من الإنسان والقرود من خلال مقارنة القنوات نصف دائرية الموجودة بهما، قد أثبتت بشكل جيد أن كل واحد من تلك الكائنات الحية التي يتم عرضها على أنها قرود للإنسان ليست إلا قرودا عادية. وإن كلا من نوعي "سِعلاة الجنوب"، و"إنسان اللقّن" يمتلكان قنوات أذن داخلية تشبه مثيلاتها الموجودة لدى القرود، أما نوع "الإنسان المنتصب" فلديه قناة أذن داخلية تشبه مثيلاتها الموجودة عند الإنسان.



Homo rudolfensis... و نحن نقترح أن يتم تمرير وإلحاق كل من جنس الإنسان اللَّقِن و هومو رودولفانسيس Homo rudolfensis لينضما إلى جنس سعالي الجنوب".(81).

وإيجازاً لما سبق: تُعتبر تصنيفات مثل تصنيفات الإنسان القادر على استخدام الأدوات أو إنسان رودولف، التي تم تقديمها بوصفها حلقات انتقالية بين القردة الجنوبية والإنسان منتصب القامة، ضرباً من ضروب الخيال. وكما أكد العديد من الباحثين اليوم، فإن هذه الكائنات الحية تعد أفراداً في سلسلة القرد الجنوبي؛ إذ أن كل خواصها التشريحية تكشف أن كلاً منها يمثل نوعاً من أنواع القردة.

وتلي هذه الكائنات، التي يُعتبر كل واحد منها نوعاً من أنواع القردة، المتحجرات البشرية.

الإنسان منتصب القامة وما بعده: البشر

وحسبما ورد في المخطط العجيب لدعاة التطور، ينقسم التطور الداخلي لأنواع الإنسان إلى الأقسام الآتية: أولاً، الإنسان منتصب القامة، ثم الإنسان العاقل القديم والإنسان النياندرتالي، يأتيه الإنسان الكرومانيوني (Cro-Magnon)، وأخيرا الإنسان العصري ومع ذلك، فإن كل هذه التصنيفات ما هي -في الواقع- سوى أجناس بشرية أصلية، ولا يزيد الاختلاف بينها عن الاختلاف بين شخص من الأسكيمو وشخص أسود أو بين غجري وأوروبي.

فلندرب أولاً الإنسان منتصب القامة، الذي يشار إليه بوصفه أكثر أنواع البشر بدائية. فكما توحي كلمة منتصب (erect)، فإن مصطلح Homo erectus يعني الإنسان الذي يمشي منتصب القامة. وقد اضطر دعاة التطور إلى تمييز هذا الإنسان عن سابقيه بإضافة صفة الانتصاب؛ ذلك أن كل المتحجرات المتاحة للإنسان منتصب القامة تتسم باستقامة الظهر بدرجة لم تُلحَظ في أية عينة من عينات القردة الجنوبية أو الإنسان القادر على استخدام الأدوات. ولا يوجد أي فرق بين الهيكل العظمي للإنسان العصري وما يسمى الإنسان منتصب القامة.

ويتمثل السبب الرئيسي الذي دفع دعاة التطور إلى تعريف الإنسان منتصب القامة على أنه بدائي في سعة جمجمته (900 - 1100 سم3)، التي تعتبر أصغر من متوسط السعة لدى الإنسان العصري، وكذلك في نتوءات حواجبه الكثيفة. ومع ذلك، فإن كثيراً من الأشخاف الذين يعيشون في العالم اليوم لديهم نفس السعة الجمجمية للإنسان منتصب القامة (مثل الأقزام على سبيل المثال، وهناك أجناس أخرى تتسم أيضاً بنتوء الحواجب مثل

سكان أستراليا الأصليين على سبيل المثال.

ومن الحقائق المتفق عليها عادة أن الاختلافات في سعة الجمجمة لا تنم –بالضرورة– عن وجود اختلافات في الذكاء أو القدرات؛ ذلك أن الذكاء يعتمد على التنظيم الداخلي للمخ أكثر منه على حجمه. (82)

وتتجسد المتحجرات التي عرّفت العالم بالإنسان منتصب القامة في متحجرتَي إنسان بكين وإنسان جاوة المكتشفتَين في آسيا. ولكن اتضح بمرور الوقت أن هاتين المتحجرتين لا يمكن الاعتماد عليهما؛ لأن إنسان بكين ليس سوى بعض عناصر من الجبس فقدت أصولها، في حين أن إنسان جاوة كان مركَّباً من جزء من جمجمة أضيف إليه عظمة حوض تم العثور عليها على بعد أمتار من الجمجمة دون وجود أية دلائل على أن هاتين القطعتين تنتميان إلى نفس الكائن الحي. لهذا السبب، حظيت متحجرات الإنسان منتصب القامة التي عثر عليها في أفريقيا بأهمية متزايدة.

ولعل أشهر العينات المكتشفة في أفريقيا للإنسان منتصب القامة هي متحجرة Narikotome homo erectus أو غلام توركانا (Turkana Boy) التي عُثر عليها قرب بحيرة توركانا في كينيا. وقد تم التأكيد على أن المتحجرة لغلام في الثانية عشر من عمره كان سيصل طوله في سن المراهقة إلى نحو 183 سم. و لم يكن التركيب العمودي الخاص بالهيكل العظمي للمتحجرة يختلف عن مثيله في الإنسان العصري. وفي هذا الصدد قال عالم المتحجرات الأمريكي ألان والكر إنه يشك في قدرة أي عالم بالانتولوجي على التمييز بين الهيكل العظمي لهذه المتحجرة وبين الهيكل العظمي للإنسان العصري (83) وبالنسة للجمجمة قال والكر: إنها أشبه ما تكون بجمجمة الإنسان النياندرتالي (84) وكما سنرى في الفصل الآتي، يعد الإنسان النياندرتالي أحد أجناس الإنسان العصري.

وحتى ريتشارد ليكي، الذي يعتبر أحد دعاة التطور، أدلى بتصريح مفاده أن الاختلافات الموجودة بين الإنسان منتصب القامة وبين الإنسان العصري ليست أكثر من مجرد تنوعات بين الأجناس :

سيرى المرء أيضاً اختلافات في شكل الجمجمة ودرجة بروز الوجه وغلظة الحواجب، وغير ذلك. ولكن هذه الاختلافات ليست أكثر وضوحاً على الأرجح من الاختلافات التي نراها اليوم بين الأجناس الجغرافية المنفصلة للإنسان العصري. ويظهر هذا التنوع البيولوجي عندما تنفصل الجماعات جغرافياً عن بعضها البعض لفترات طويلة جداً من الزمن. (85)

وقد أجرى البروفسور ويليام لاولن من جامعة كونكتكت دراسات تشريحية مكثفة على شعوب الأسكيمو وسكان جزر أليوت ولاحظ وجود تشابه غير عادي بين هؤلاء الناب والإنسان منتصب القامة. وتجسد الاستنتاج الذي توصل إليه لاولن في أن كل هذه الأجناس المميزة هي –في الواقع– أجناس مختلفة من الإنسان العاقل أي الإنسان العصري:

عندما نتأمل الاختلافات الشاسعة الموجودة بين المجموعات المنعزلة أمثال الأسكيمو والبوشمان، التي من المعروف أنها تنتمي إلى نوع الإنسان العاقل، يبدو من المبرَّر أن يستنتج المرء أن هذه العينات المكتشَفة من الإنسان المنتصب – المعروف بتنوعه – تنتمي إلى نفس نوع هومو سابينس أي الإنسان العصري (86).



مهندسو البحر الذين يبلغ عمرهم 700ألف عام



THIS WEEK

Ancient mariners

Early humans were much smarter than we suspected

OUR ancestors made organised sea journeys more than 700 000 years earlier than previously thought—and they probably used language to coordinate their efforts.

This surprising new theory comes from palaeoanthropologist Mike Morwood and his colleagues at the University of New England in northern New South Wales. It is the result of an intriguing find during their exploration of an ancient lake bed at Mata Menge ...

... ash surrounding the tools were between 800 000 and 880 000 years old. Fossil plants and animals found near the tools dated from the same period.

The researchers believe the tools were used by the ancestral human species Homo ...

:"ـــ ,,والبحارة القدماء

بتاريخ الرابع عشر من شهر مارس لعام 1998، وهو "New Scientist,, إن الناس البدائيين كانوا أكثر عقلانية مما تصورنا ..." هذا الخبر المنشور في جريدة يفيد بأن الناس الذين أطلق عليهم أصحاب نظرية التطور اسم ,,الأناسي منتصبي القامة"، كانوا يعملون بالملاحة البحرية قبل 700ألف عام. ومن ثم فإنه يكون من العبث والمستحيل أيضا اعتبار هؤلاء الناس أناسا بدائيين حيث كانوا يمتلكون من المعلومات، والتكنولوجيا ما يؤهلهم لعمل السفن، وكانوا يمتلكون أيضا من الثقافة .ما هو ضروري وما تقتضيه المواصلات البحرية



الإنسان المنتصب: الإنسان الحقيقي

إن الهيكل العظمي KNM-WT 1500 أو الذي يُعرف باسم آخر وهو (طفل طوركانا)، يُعد من أقدم البقايا البشرية التي وجدت حتى الآن ولا يشوبها أي نقص. وإن الدراسات والأبحاث التي أُجريت على تلك الحفرية التي يُقال عنها أنها تبلغ من العمر 1.6 مليون سنة، أظهرت أنها ترجع إلى شخص يبلغ من العمر اثنتي عشر عاما، وأن قامة هذا الشخص سيبلغ طولها واحد متر وثمانين سنتيمترا (1.80) عندما يبلغ سن البلوغ والرّشد. وإن هذا الأُحفور الذي يُظهر تشابها كبيرا مع الإنسان الذي هو من عرق (Neandertal)، ليعد أحد الأدلة الدامغة التي تُكذب قصة

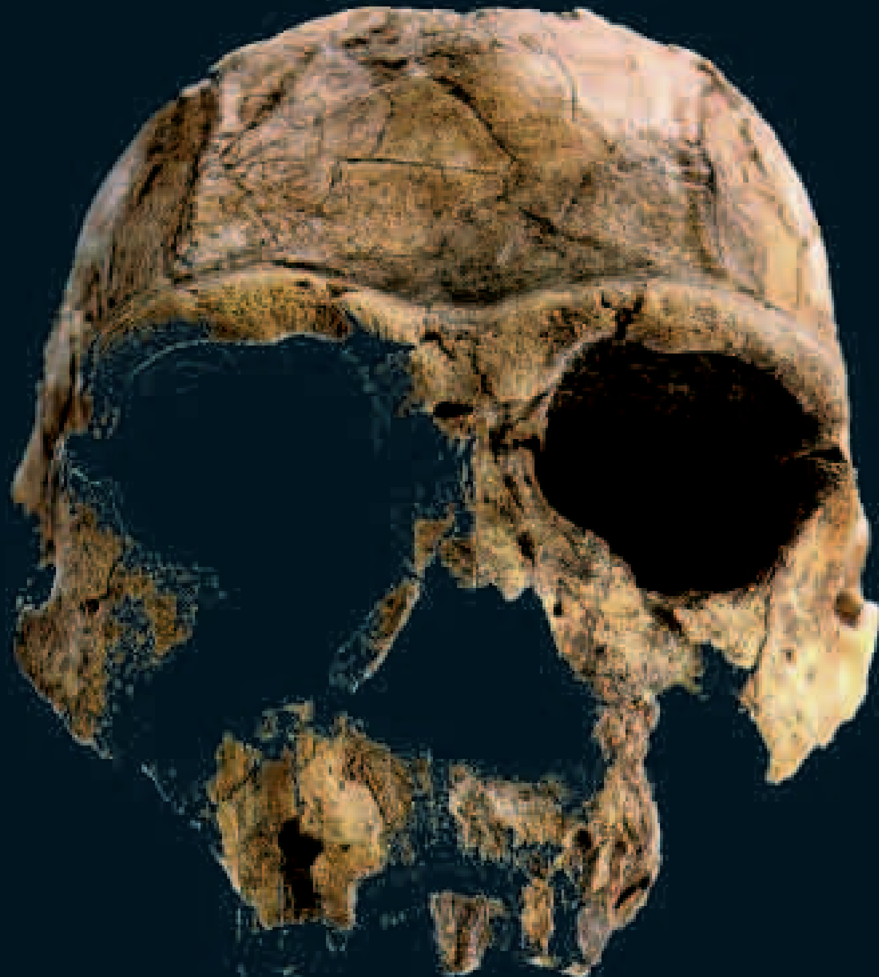




التطور الإنساني.

وقد وصف "دونالد جونسون" عالم التطور ذلك الأُحفور على النحو التالي: "لقد كان طويلا، ونحيفا، وإن شكل الجسم، ونِسَبَ أعضائه، هي نفسُ تلك التي عند سكان المناطق الاستوائية الحاليين. أما مقاسات أعضائه، فتتواءم بشكل تام مع أهالي أمريكا الشمالية البيض البالغين الحاليين".

Donald C. Johanson & M. A. Edey, Lucy: The) Beginnings of Humankind, New York: Simon & (Schuster, 1981



لقد ذُكر في السنوات الأخيرة بشكل أكبر تدريجيا أن الإنسان المنتصب (Homo erectus) بمثابة تصنيف اصطناعي، وذُكر كذلك أن الاكتشافات الحفرية التي تم إدخالها ضمن تصنيف الإنسان المنتصب(Homo erectus) هذا، لا تحمل في حقيقة الأمر فروقا حتى يمكن اعتبارها نوعا يختلف عن نوع "الإنسان بوصفة نوعا بيولوجيا". وفي مجلة "American Scientist" تم إيجاز، وتلخيص المناقشات التي تمت في هذا الموضوع، ونتائج ذلك المؤتمر الذي عُقد في عام 2000 وذلك على النحو الأتي:

إن غالبية المشاركين في مؤتمر سنشنبرغ "Senckenberg" قد انضموا إلى تلك المناقشات حامية الوطيس التي بدأها كل من "ميل فورد ولبوف" من جامعة مشغان (Michigan)، و"ألن زورن" من جامعة كانبرّا (Canberra) وغيرهم من زملائهم في هذا المجال، وكانت هذه المناقشات تتناول الوضع التصنيفي للإنسان المنتصب (Homo erectus). وهما أي "ولبوف" و"زورن" قد دافعا وبقوة عن أن هذا التصنيف (Homo erectus) ليس له قبول أو شرعية كأحد الأنواع، وأنه لا بد من إزالته تماما. وإن جنس الـ"الإنسان"، هو النوع الوحيد الذي انتشر قبل مليوني عام وحتى يومنا هذا في المساحات الواسعة والمفتوحة إلى حد ما، وأخذ يتنوع، أي كان نوعا من"الإنسان بوصفة نوعا بيولوجيا" وذلك على حد قولهما، وكان لا يوجد في هذا النوع انكسارات طبيعية، ولا انقسامات سفلية. وكان موضوع ذلك المؤتمر، أنه لا يوجد شيء اسمه الإنسان المنتصب.(87)

ومن ناحية أخرى، توجد فجوة هائلة بين الإنسان منتصب القامة– أي الجنس البشري –في سيناريو التطور الموضوع وبين أنواع القردة في هذا السيناريو وهي : القردة الجنوبية والإنسان القادر على استخدام الأدوات وإنسان رودولف). ويعني هذا أن البشر الأوائل قد ظهروا في سجل المتحجرات فجأة وعلى الفور دون أي تاريخ تطوري، ولا يمكن أن توجد دلالة أوضح من ذلك على أنهم قد خُلقوا.

ولكن الاعتراف بهذه الحقيقة يتعارض تماماً مع الفلسفة والأيدلوجية المتعنتة لدعاة التطور. ونتيجة لذلك، يحاول هؤلاء الدعاة أن يصوروا الإنسان منتصب القامة، وهو جنس بشري بحق، على أنه كائن نصفه قرد. لذلك نجد أنهم عندما يعيدون بناء الإنسان منتصب القامة يتشبثون برسمه بملامح القرود. ومن ناحية أخرى، وباستخدام نفس طرق الرسم، يضفون الصبغة البشرية على قِرَدة أمثال القرد الجنوبي وما يسمونه الإنسان القادر على استخدام الأدوات. وبهذه الطريقة، يسعون إلى تقريب القردة إلى البشر وإغلاق الفجوة الكبيرة بين هاتين الطائفتين المتميزتين من الأحياء.

النياندرتاليون

النياندرتاليون (Neanderthals) هم عبارة عن مجموعة من البشر ظهرت فجأة قبل مئة ألف سنة في أوروبا واختفت (أو تم استيعابها في أجناس أخرى عن طريق الامتزاج) بهدوء ولكن بسرعة منذ 35 ألف سنة. وكان الفرق الوحيد بينهم وبين الإنسان العصري هو أن هيكلهم العظمي أقوى وسعة جمجمتهم أكبر قليلاً.

ويُعدّ النياندرتاليون جنساً بشرياً، ويكاد الجميع يعترف بهذه الحقيقة اليوم. وقد حاول دعاة التطور بشدة أن يقدموهم على أنهم نوع بدائي، ولكن كل الاكتشافات تدل على أنهم لا يختلفون عن أي إنسان قوي يمشي في الشارع اليوم. وقد كتب أحد العلماء الثقات المشهورين في هذا الموضوع (وهو إريك تراينكاوب، عالم المتحجرات من جامعة نيومكسيكو) ما يأتي:

لقد أظهرت المقارنات بين بقايا الهيكل العظمي للإنسان النياندرتالي وبقايا الهيكل العظمي للإنسان العصري عدم وجود أي شيء في تشريح الإنسان النياندرتالي يدلل بشكل قاطع على أن

مزيف

أقنعة مزيفة: إن أنصار التطور يعرضون اليوم صورا مزيفة تشبه القرد لإنسان النياندرتال الذي لم يكن يختلف إطلاقا عن إنسان اليوم.



الانسان النياندرتالي (نسبة إلى نياندرتال بألمانيا) : إنسان ضخم الجثة

يوجد في الجانب جمجمة لإنسان نياندرتال العاقل ''المعاصر'' الذي عثر عليه في اسرائيل. و مما هو معروف بشكل عام أن انسان نياندرتال قصير القامة صحيح البنية . إلا أنه يُخمن أن هذه الحفرية لشخص طوله 180 سم. أما حجم المخ فهو أكبر المصادفات التي قابلتنا حتى يومنا هذا: 1740 cc . لهذا السبب تعتبر الدلائل القائلة بأن هذه الحفرية هي الشكل البدائي لإنسان نياندرتال في حكم المنهارة تماماً.





و الحفرية الموجودة إلي الجانب (Kebara 2) Moshe هي أكثر الحفريات التي وجدناها حتى يومنا الحالي في حالة كاملة. و يتشابه بناء الهيكل العظمى لهذا الفرد الذي يبلغ طول قامته 170 سم إلى حد لا يمكن التفريق بينه و بين الانسان في يومنا الحالي. و يُعتقد من بقايا الآلة التي وُجدت مع الحفرية أن المجتمع الذي ينتمي اليه هذا الفرد قد تقاسم نفس الثقافة مع مجتمعات الانسان العاقل ''المجتمعات شبيهة بالمعاصرة '' التي عاشت في نفس الزمن و في نفس المنطقة.

قدراته الحركية أو اليدوية أو الفكرية أو اللغوية أقل من نظيراتها في الإنسان العصري. (88)

ولهذا السبب يعمد العديد من الباحثين المعاصرين إلى تعريف الإنسان النياندرتالي بوصفه نوعاً فرعياً من أنواع الإنسان العصري ويطلقون عليه اسم الجنس النياندرتالي للإنسان العاقل (Homo sapiens neandertalensis). وتثبت الاكتشافات العلمية أن النياندرتاليين كانوا يدفنون موتاهم، ويصنعون الآلات الموسيقية، وتجمعهم قرابات ثقافية مع الإنسان العصري الذي كان يعيش في نفس الفترة الزمنية. وعلى نحو دقيق: يعتبر النياندرتاليون جنساً بشرياً قوياً انقرض فقط بمرور الزمن.

الإنسان العاقل القديم، والهومو هيلدربرجنسيس، والإنسان الكرومانيوني

يُعد الإنسان العاقل القديم (Homo Sapiens Archaic) آخر خطوة قبل الإنسان العصري في المخطط التخيأتي للتطور. وفي الواقع، لا يملك دعاة التطور الكثير ليقولوه عن هؤلاء البشر، إذ لا توجد سوى اختلافات بسيطة جداً بينهم وبين الإنسان العصري. بل يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن ممثلي هذا الجنس ما زالوا أحياء حتى اليوم، ويشيرون إلى السكان الأصليين في أستراليا كمثال. ويتسم السكان الأصليون هناك أيضاً، مثلهم مثل الإنسان العاقل، بحواجب بارزة كثيفة وفك سفلي مائل إلى الأمام وجمجمة سعتها أصغر قليلاً. وفضلاً عن ذلك، حدثت اكتشافات مهمة تلمح إلى أن مثل هؤلاء البشر قد عاشوا في المجر وفي بعض قرى إيطاليا قبل فترة ليست بعيدة.

أما فيما يتصل بمجموعة البشر المعروفة في أدب التطور باسم هومو هيلدربرجنسيس (Homo Heilderbergensis)، فإنها تعد من نفس مجموعة الإنسان العاقل القديم. ويرجع السبب في استخدام مصطلحَين مختلفين لتعريف الجنس البشري ذاته إلى اختلاف المفاهيم لدى دعاة التطور. وتشير كل المتحجرات المتضمَّنة تحت تصنيف الهومو هيلدربرجنسيج إلى أنهم أشخاص يشبهون الأوروبيين العصريين شبهاً كبيراً من الناحية التشريحية، وقد عاشوا في إنكلترا أولاً ثم في إسبانيا قبل خمسمئة ألف إلى سبعمئة ألف سنة.

وتشير التقديرات إلى أن الإنسان الكرومانيوني (Cro-Magnon) قد عاش قبل ثلاثين ألف سنة، وكان يتميز بجمجمة على شكل قبة وجبين عريض. وكانت سعة جمجمته البالغة 1600 سم3 تفوق متوسط سعة جمجمة الإنسان العصري وتبرز منها حواجب كثيفة، كما كان يتسم بنتوء عظمي في الظهر يعد أحد السمات المميزة لكل من الإنسان النياندرتالي والإنسان منتصب القامة.

وعلى الرغم من أن الإنسان الكرومانيوني يُعتبر جنساً أوروبياً، إلا أن بنية جمجمته وحجمها يشبهان -بدرجة كبيرة- بعض الأجناس التي تعيش في أفريقيا والمناطق الاستوائية اليوم. واستناداً إلى هذا الشبه، يرى البعض أن الإنسان الكرومانيوني كان أحد الأجناس الأفريقية القديمة. وقد بينت بعض الاكتشافات الباليوأنثروبولوجية الأخرى أن الأجناس الكرومانونية والنياندرتالية قد امتزجت مع بعضها البعض ووضعت الأسس للأجناس التي نراها اليوم. وبالإضافة إلى هذا، فمن المقبول في أيامنا الحالية أن ممثلي الجنس الكرومانيوني ما زالوا يعيشون في مناطق مختلفة من قارة أفريقيا وفي إقليمي سالوت ودوردوين في فرنسا، وقد لوحظ أيضاً وجود أناس يتصفون بصفات مشابهة يعيشون في بولندا والمجر.

أنواع تعيش في نفس العصر مع أسلافها!!

يشكل كل ما درسناه حتى الآن صورة واضحة لنا، ألا وهي: إن سيناريو تطور الإنسان هو خيال في خيال. ذلك أنه لكي توجَد شجرة عائلة كهذه، يجب أن يكون تطور تدريجي قد حدث من القرد إلى الإنسان، كما يجب أن يكون سجل المتحجرات الخاص بهذا التطور قد تم اكتشافه. ومع ذلك، توجد فجوة هائلة بين القِرَدة والبشر؛ إذ يُعدّ بناء الهيكل العظمي، وسعة الجمجمة، ومعايير أخرى مثل المشي بقامة منتصبة أو بانحناء حاد إلى الأمام، من العلامات المميزة الفارقة بين البشر والقردة (وقد أشرنا إلى البحث الحديث الذي أجري في سنة 1994 حول قنوات التوازن في الأذن الداخلية، حين تم تصنيف القرد الجنوبي والإنسان القادر على استخدام الأدوات ضمن فئة القردة، بينما صُنّف الإنسان منتصب القامة ضمن فئة البشر).

وهناك اكتشاف مهم آخر يؤكد عدم إمكانية وجود شجرة عائلة بين هذه الأنواع المختلفة، ويتمثل هذا الاكتشاف في أن الأنواع التي تم تقديمها على أنها أسلاف لبعضها البعض قد عاشت -في الواقع- مع بعضها البعض في نفس العصر. فإذا كان القرد الجنوبي قد تحول -حسبما يدعي دعاة التطور- إلى إنسان قادر على استخدام الأشياء، وإذا كان هذا الا نسان قد تحول، بدوره، إلى إنسان منتصب القامة، فيُفترض -بالضرورة- أن تكون هذه الكائنات قد عاشت في عصور متعاقبة. ومع ذلك، لا يوجد مثل هذا الترتيب الزمني.

وحسب تقديرات دعاة التطور، فقد عاشت القردة الجنوبية منذ أربعة ملايين سنة حتى مليون سنة مضت. ومن ناحية أخرى، يُعتقد أن الكائنات الحية التي تصنف على أنها إنسان قادر على استخدام الأدوات قد عاشت حتى 1,7إلى 1,9 مليون سنة مضت. أما فيما يتصل بإنسان رودلف، الذي يقال إنه أكثر تطوراً من الإنسان القادر على استخدام الأدوات، فمن المعروف أن عمره يتراوح بين 2,5و 2,8 مليون سنة! أي أن إنسان رودلف أكبر بما يقرب من مليون سنة من الإنسان القادر على استخدام الأدوات الذي يُفترض أن يكون سَلَفاً له! ومن ناحية أخرى، يرجع عمر الإنسان منتصب

إبرة عمرها 20 ألف عام



حفرية مدهشة بالفعل فهي توضح أن إنسان نياندرتال قد عرف الملابس و القماش في الفترة التي عاش فيها، أي قبل عشرات الآلاف من السنين التي سبقت يومنا الحاضر: إبرة عمرها 26 ألف سنة.
(D.Johanson, B. Edgar, From Lucy to Language, p.99)

القامة إلى نحو 1,6مليون سنة؛ مما يعني أن عينات الإنسان منتصب القامة قد ظهرت على الأرض في نفس الإطار الزمني لسلفها المزعوم، أي الإنسان القادر على استخدام الأدوات.

ويؤكد آلان والكر على هذه الحقيقة قائلا: توجد أدلة من شرقي أفريقيا على أن أفراداً قليأتين من فئة القردة الجنوبية قد كُتب لهم البقاء حتى فترة متأخرة كانت تعاصر أولاً الإنسان القادر على استخدام الأدوات، ثم الإنسان منتصب القامة (89) وقد عثر لويس ليكي على متحجرات لكل من القرد الجنوبي والإنسان القادر على استخدام الأدوات والإنسان منتصب القامة تكاد تكون مجاورة لبعضها في إقليم أولدوفاي جورج في الطبقة الثانية من طبقات الأرض. (90)

ومن المؤكد أنه لا وجود لشجرة عائلة من هذا النوع. ويفسر عالم المتحجرات من جامعة هارفرد، ستيفن جاي غولد، هذا المأزق الذي يواجه نظرية التطور -على الرغم من كونه هو نفسه من دعاة التطور- بقوله:

ماذا حل بسلّمنا في التطور إذا كانت هناك ثلاث سلالات من الكائنات الشبيهة بالإنسان -القردة الجنوبية الإفريقية والقردة الجنوبية القوية والإنسان القادر على استخدام الأدوات- تعيش معاً في نفس الفترة الزمنية، ومن الواضح أن أياً منها لم ينحدر من الآخر؟ وفوق ذلك، لا تبدي أية سلالة من السلالات الثلاث أية ميول تطورية أثناء فترة بقائها على الأرض!(91)

وعندما ننتقل من الإنسان منتصب القامة إلى الإنسان العاقل، نرى -ثانيةً- أنه لا توجد أية شجرة عائلة يمكن أن نتحدث عنها. فهناك أدلة تبين أن الإنسان منتصب القامة والإنسان العاقل القديم قد ظلا على قيد الحياة حتى قبل 27 ألف سنة، بل حتى عشرة آلاف سنة من زمننا الحالي. ففي مستنقع كاو بأستراليا تم العثور على جماجم لأناس منتصبي القامة يبلغ عمرها نحو 13 ألف سنة تقريباً، أما في جزيرة جاوة فقد عُثر على جمجمة إنسان منتصب القامة عمرها 27 ألف سنة. (92)

التاريخ السري للإنسان العاقل

إن أكثر حقيقة مدهشة ومهمة تقوم بإبطال الأساب الذي تقوم عليه شجرة العائلة المتخيلة في نظرية التطور هي تاريخ الإنسان العصري الموغل في القدم بشكل غير متوقع. ذلك أن البيانات الباليوأنثروبولوجية تكشف أن الأشخاص المنتمين إلى نوع الإنسان العاقل، الذين كانوا يشبهوننا تماما، قد عاشوا حتى تاريخ يمتد إلى ما يقرب من مليون سنة ماضية.

وجدير بالذكر أن لويس ليكي، عالم الباليوأنثروبولجيا الشهير التطوري، هو الذي توصل إلى أول الاكتشافات حول هذا الموضوع. فقد عثر ليكي في سنة 1932 في إقليم كانجيرا حول بحيرة فكتوريا بكينيا على بضع متحجرات تعود إلى العصر البلستوسيني الأوسط لم تكن تختلف عن الإنسان العصري في شئ. ولكن العصر البلستوسيني الأوسط يعني مليون سنة مضت (93). وبما أن هذه الاكتشافات قد قلبت شجرة العائلة التطورية رأساً على عقب، فقد رفضها بعض علماء الباليوأنثروبولجيا من أنصار التطور. ومع ذلك، ظل ليكي يؤكد دائماً أن تقديراته كانت صحيحة.

وعندما كان هذا الجدل على وشك أن يأخذ طريقه إلى النسيان، أد ت متحجرة عُثر عليها في أسبانيا سنة 1995 إلى الكشف بطريقة رائعة عن أن تاريخ الإنسان العاقل أقدم بكثير مما كان مفترضاً. وقد عُثر على المتحجرة محل النقاش في كهف يعرف باسم غْرانْ دولينا في منطقة أتابوركا في إسبانيا بواسطة ثلاثة من علماء الباليوأنثروبولجيا الإسبان من جامعة مدريد. وكانت المتحجرة لوجه غلام في الحادية عشرة من عمره يشبه الإنسان العصري تماماً، ولكن ثمانمائة ألف سنة قد انقضت على موت الطفل. وقد غطت القصة مجلةُ Discover، في عددها الصادر في كانون الأول (ديسمبر) سنة 1997 بقدر كبير من التفصيل.



مجلة "ديسكوفر" من أكثر المجلات شهرة في أدبيات التطوريين، وقد نشرت في عددها الصادر في عام 1997 على غلافها وجها لإنسان يعود عمره إلى 800 ألف سنة. وكتبت عنوانا كبيرا مليئا بالحيرة نصه: " هل هذا هو وجهنا في العصور الغابرة؟"

لقد زعزعت هذه المتحجرة معتقدات فيرارب الذي قاد البعثة الاستكشافية لكهف غران دولينا. فقد قال فيرارب:

لقد توقعنا أن نجد شيئاً كبيراً، شيئاً ضخماً منتفخاً... كما تعلم، شيئا بدائياً لقد توقعنا أن يكون غلام عمره ثمانمئة ألف سنة مشابهاً لطفل توركانا، ولكن ما عثرنا عليه كان وجهاً معاصراً تماماً. بالنسبة لي كان الأمر مثيراً... لقد كان العثور على شئ غير متوقع أبداً كهذا من نوعية المواقف التي تهز كيانك؛ فعدم العثور على متحجرات أمر غير متوقع مثلما يُعتبر العثور عليها أمراً غير متوقع أيضاً، ولكن لا بأس في ذلك. غير أن أروع ما في الأمر أن ما كنت تعتقد أنه ينتمي إلى الحاضر اتضح أنه ينتمي إلى الماضي. إن الأمر يشبه العثور على شئ مثل... مثل جهاز تسجيل في كهف غران دولينا. سيكون هذا أمرا مدهشاً جداً؛ فنحن لا نتوقع العثور على أشرطة كاسيت وأجهزة تسجيل في العصر البلستوسيني الأسبق. ويعتبر العثور على وجه معاصر أمراً مماثلاً. لذلك فقد دُهشنا جداً عندما رأينا هذا الوجه.(94)

لقد أكدت المتحجرة على أن تاريخ الإنسان العاقل يجب أن يعود إلى ثمانمئة ألف سنة مضت. وبعد أن أفاق علماء التطور الذين اكتشفوا المتحجرة من الصدمة الأولى، قرروا أن المتحجرة تنتمي إلى نوع مختلف، لأنه –وفقاً لما ورد في شجرة العائلة التطورية– ليس من المفترَض أن يكون الإنسان العاقل قد عاش قبل ثمانمئة ألف سنة. ولهذا السبب اختلقوا نوعاً خيالياً أطلقوا عليه اسم الإنسان السَّلَف (Homo antecesso) وضموا جمجمة أتابوركا إلى هذا التصنيف.

كوخ عمره 1,7 مليون سنة وآثار أقدام إنسان عمرها 3,6مليون سنة!

هناك الكثير من الاكتشافات التي تثبت وجود الإنسان العاقل حتى قبل 800 ألف سنة. وتتمثل إحدى هذه الاكتشافات في اكتشاف لويس ليكي الذي عثر عليه في أوائل السبعينيات في منطقة أولدوفي جورج. ففي هذه المنطقة، وبالتحديد في الطبقة الثانية من طبقات الأرض (Bed II) اكتشف ليكي أن أنواع القرد الجنوبي والإنسان القادر على استخدام الأدوات والإنسان منتصب القامة كانت تعيش معاً في نفس الفترة الزمنية. ولكن الأمر الأكثر إثارة للدهشة هو البناء الذي عثر عليه ليكي في الطبقة نفسها (الطبقة الثانية). ففي هذه الطبقة، عثر ليكي على بقايا كوخ حجري. ويتمثل الجانب غير العادي في هذا الحدث في أن هذا البناء، الذي لا يزال يستخدم في بعض أجزاء من أفريقيا، ما كان يمكن لأحد أن يقوم ببنائه غير الإنسان العاقل! ومن ثم، ووفقاً لما توصل إليه ليكي، فلا بد أن يكون القرد الجنوبي، والإنسان القادر على استخدام الأدوات، والإنسان منتصب القامة، والإنسان العصري، قد عاشوا معاً قبل نحو 1,7 مليون سنة تقريباً. (95)

ولا يوجد شك في أن هذا الاكتشاف لا بد أن يبطل نظرية التطور التي تدّعي أن الإنسان العصري قد تطور من أنواع شبيهة بالقردة مثل القرد الجنوبي.

تُرجع بعض الاكتشافات الأخرى –بالفعل– أصول الإنسان العصري إلى ما قبل 1,7 مليون سنة. ومن أهم هذه الاكتشافات آثار الأقدام التي عثرت عليها ماري ليكي سنة 1977 في منطقة لاتولي في تنزانيا. لقد عثرت ماري على الآثار في إحدى طبقات الأرض التي قُدِّر عمرها بنحو 3,6مليون سنة، والأهم من ذلك أن هذه الآثار لم تكن تختلف عن آثار الأقدام التي يخلّفها الإنسان العصري.

وقد درب آثارَ الأقدام التي عثرت عليها ماري ليكي –فيما بعد– عددٌ من علماء الباليوأنثروبولجيا المشهورين من أمثال دون يوهانسون وتيم وايت، وجاءت النتائج مماثلة. وقد كتب وايت ما يأتي:

لا يوجد أدنى شك في أن هذه الآثار تشبه آثار أقدام الإنسان العصري؛ ولو أنها تُركت على رمال أحد شواطئ كاليفورنيا وسئل طفل في الرابعة من عمره عن ماهيتها فسيجيب في الحال أن شخصاً ما مشى هناك، ولن يستطيع التمييز بينها وبين المئات من الآثار الأخرى المطبوعة على الشاطئ، ولن تستطيع أنت كذلك! (96)

وبعد أن فحص لويس روبنز (من جامعة شمالي كاليفورنيا) آثار الأقدام أدلى بالتعليق الآتي:

إن قوس القدم مرتفع، ومن الواضح أن أصغر شخص في هذا النوع يتمتع بقوس أعلى من قوس قدمي، كما أن إصبع القدم الكبير ضخمٌ ومحاذٍ للإصبع الثاني... وتقبض أصابع القدم على الأرض مثلما تقبض عليها أصابع الإنسان. وأنت لا ترى هذا في أشكال الحيوانات الأخرى. (97)



كوخ يعود إلى 1,7 مليون سنة، و مع ذلك يتشابه إلى حد كبير مع تلك التي يستخدمها السكان المحليون في إفريقيا.

وقد أظهرت الدراسات التي أُجريت على البنية الشكلية لآثار الأقدام مراراً وتكراراً أنها كان يجب أن تُقبل بوصفها آثار أقدام إنسان، بل أكثر من ذلك، آثار أقدام إنسان عصري (إنسان عاقل). وقد كتب راسل تاتل الذي فحص الآثار قائلاً:



أثر قدم بشرية عمرها 3,6 مليون سنة موجودة في لإيتولي بتنزانيا توضح كيف أنه لم يكن هناك ثمة فرق بينها و بين آثار الأقدام الحقيقية في عصرنا الحاضر.





فك لإنسان يعود عمره إلى 2.3 مليون سنة



هناك مثال آخر يبين عدم صحة النسب الخيالي الذي رسمه التطوريون للإنسان: وهو الفك الذي إلى الإنسان (هومو سابينس) والذي يرجع عمره إلى 2.3 مليون سنة. عظم هذا الفك الذي تم العثور عليه في خضر (**Hdar**)بأثيوبيا قد وضع له هذا الرمز **A.L. 666-1**. وقد أظهر أنصار التطور هذا العظم على أنه "اكتشاف مدهش" .
D. Johanson, Blake Edgar,)
From Lucy to Language,
(p.169

تعود هذه الآثار لأقدام إنسان عاقل(هوموسابيينس)... ومن بين كل السمات الشكلية القابلة للتمييز لا يمكن التمييز بين أقدام الأفراد الذين خلفوا هذه الآثار وبين أقدام الإنسان العصري. (98)

وقد كشفت الدراسات المحايدة التي أجريت على آثار الأقدام عن أصحابها الحقيقيين. فآثار الأقدام هذه قد تكونت -بالفعل- من عشرين أثراً متحجراً لإنسان عصري في العاشرة من عمره وسبعة وعشرين أثراً لإنسان أصغر عمراً. لقد كانوا بالتأكيد أناساً عاديين مثلنا.

لقد جعل هذا الموقف آثار أقدام لاتولي مركزاً للمناقشات لسنين، وقام علماء الباليوأنثروبولجيا من أنصار نظرية التطور بمحاولات يائسة لإيجاد تفسير للموقف لأنه كان من الصعب عليهم أن يقبلوا حقيقة أن إنساناً عصرياً كان يمشي على ظهر الأرض قبل 3,6مليون سنة. وخلال فترة التسعينيات، بدأ هذا التفسير يتبلور؛ إذ قرر دعاة التطور أن آثار الأقدام هذه كان يجب أن تكون من مخلفات القرد الجنوبي، فحسبما ورد في نظريتهم: يستحيل أن يوجد إنسان عاقل قبل 3,6مليون سنة. وكتب راسل تاتل في مقاله الصادر في سنة 1990 ما يأتي:

في المجمل تشبه آثار الأقدام البالغة من العمر 3,5مليون سنة والتي عُثر عليها في الموقع G بمنطقة لاتولي آثار الأقدام المعتادة لإنسان عصري لا ينتعل حذاء. ولا توحي أي من سماتها أن كائنات منطقة لاتولي الشبيهة بالبشر كانت حيوانات ثنائية القدمين أقل قدرة منا، ولو لم يكن معروفاً أن آثار أقدام الموقع G قديمة جداً لاستنتجنا -بسهولة- أنها تعود إلى فرد من أفراد جنسنا الإنساني... ولكن بسبب مشكلة العمر فنحن مضطرون إلى افتراض أن هذه الآثار تعود لمخلوق من نوع (لوسي)، أي من نوع **أفرانسيس** (99).

وباختصار، من غير الممكن أن تكون آثار الأقدام هذه التي يُفترض أن عمرها 3,6 مليون سنة خاصة بقرد جنوبي. وكان السبب الوحيد الذي دعا إلى الاعتقاد بأن آثار الأقدام قد تخلفت عن قرد جنوبي هو الطبقة البركانية البالغة من العمر 3,6مليون سنة التي عُثر فيها على آثار الأقدام، وقد نُسبت الآثار إلى قرد جنوبي على افتراض أن البشر ليس من الممكن أن يكونوا قد عاشوا في مثل هذا العصر المبكر.

وتبين لنا التأويلات الخاصة بآثار أقدام لاتولي حقيقة في غاية الأهمية ألا وهي: أن دعاة التطور لا يدافعون عن نظريتهم عن طريق دراسة الاكتشافات العلمية... بل رغماً عنها! وهنا: لدينا نظرية يتم الدفاع عنها دفاعاً أعمى بغض النظر عن أي شيء، مع إهمال أو تشويه كل المكتشفات الجديدة التي تعارف النظرية لخدمة أغراضها.

وباختصار، لا تعد نظرية التطور علماً، بل هي عقيدة تم إبقاؤها على قيد الحياة رغماً عن أنف العلم.

مأزق المشي على قدمين الذي يواجه نظرية التطور

بصرف النظر عن سجل المتحجرات الذي تناولناه حتى الآن، تبقى فجوات لا يمكن إغلاقها في الصفة التشريحية بين الإنسان والقردة، وتؤدي هذه الفجوات إلى إبطال رواية تطور الإنسان. وتتمثل إحدى هذه الفجوات في طريقة المشي.

إذ يمشي الإنسان منتصب القامة على قدمين، وتُعتبر هذه المشية نوعاً خاصاً للغاية من أنواع الحركة لا يمكن مشاهدتها في أي نوع آخر. وهناك بعض الحيوانات الأخرى التي تتمتع بقدرة محدودة على الحركة أثناء وقوفها على قدميها الخلفيتين؛ إذ يتسنى لحيوانات مثل الدببة والقردة أن تتحرك بهذه

الطريقة، ولكنها تلجأ إليها في أحيان نادرة (حينما تود -مثلاً- أن تصل إلى مصدر طعام) ولا تقوم بها إلا لفترة قصيرة، إذ عادة ما تميل هياكلها العظمية إلى الأمام وتمشي على أطرافها الأربعة كلها.

حسنا إذن، هل تطور المشي على قدمين من مشية القردة على أربع أقدام كما يدعي دعاة التطور؟ بالطبع لا. فقد أظهرت البحوث أن تطور المشي على القدمين لم يحدث، ولا يمكن أن يكون قد حدث. أولاً، لأن المشي على قدمين لا يُعد ميزة تطورية، فالطريقة التي تتحرك بها القردة أسهل وأسرع وأكفأ من مشية الإنسان على قدمين. فلا يستطيع الإنسان أن يتحرك بالقفز من شجرة إلى شجرة دون أن يخطو على الأرض مثل الشمبانزي، كما أنه لا يستطيع الجري بسرعة 125 كيلومتراً في الساعة مثل الفهد. بل على العكس، بما أن الإنسان



يمشي على قدميه، فإنه يتحرك على الأرض بسرعة أبطأ بكثير. ولنفس السبب، يعد الإنسان أحد أكثر الأنواع غير المحمية في الطبيعة من حيث الحركة والدفاع عن النفج. ووفقاً لمنطق نظرية التطور، ما كان من المفترض أن تتطور القردة لتتبنى المشي على القدمين؛ بل كان حرياً بالبشر أن يتطوروا ليصبحوا من الكائنات التي تمشي على أربع!

ويتمثل مأزق آخر يعاني منه الادعاء التطوري في أن المشي على قدمين لا يخدم نموذج التطور التدريجي الخاص بالداروينية. إذ يتطلب هذا النموذج (الذي يشكل أساس نظرية التطور، أو النشوء والارتقاء) وجود مشية مركّبة تجمع بين المشي على قدمين والمشي على أربع أقدام. ومع ذلك، فقد استطاع عالم الباليوأنثروبولوجيا الإنكليزي روبن كرومبتون أن يوضح -بواسطة البحث الحاسوبي الذي أجراه في سنة 1996- أن مثل هذه المشية المركّبة ليست ممكنة. وقد توصل كرومبتون إلى الاستنتاج الآتي: إما أن يمشي الكائن الحي منتصب القامة أو على أطرافه الأربعة كلها (100) إذ من غير الممكن أن تكون هناك مشية وسط بين الاثنين بسبب فرط استهلاك الطاقة، ولهذا السبب يستحيل أن يوجد كائن نصفه يمشي على قدمين.

ولا تقتصر الفجوة الهائلة بين الإنسان والقرد على المشي على قدمين فحسب؛ إذ ما زالت هناك موضوعات تبحث عن تفسير مثل: سعة الدماغ، والقدرة على الكلام، إلى غير ذلك من أمور. وتدلي إلين مورجان، وهي عالمة باليوأنثروبولوجيا ومن دعاة التطور، بالاعتراف الآتي فيما يتصل بهذا الأمر:

هناك أربعة أسرار تُعد من أبرز الأسرار التي تحيط بالبشر وهي:

1- لماذا يمشون على قدمين؟

2- لماذا فقدوا فراءهم؟

3- لماذا أصبحوا يملكون هذه الأدمغة الكبيرة؟

4- لماذا تعلّموا الكلام؟

وتعد الأجوبة التقليدية لهذه الأسئلة هي:

1- نحن لا نعلم بعد؛

2- نحن لا نعلم بعد؛

3- نحن لا نعلم بعد؛

4- نحن لا نعلم بعد! ويمكن أن تطول قائمة الأسئلة بشكل بارز دون أن تتأثر رتابة الأجوبة (101)

لقد أثبتت الأبحاث من خلال الهياكل العظمية لكل من القرد والإنسان أنه من غير الممكن أن يتطور قرد يمشي منحنيا على أربعة أقدام ليصبح قائما يمشي على قدمين.

نظرية التطور: عقيدة غير علمية

يُعد اللورد سولي زوكرمان أحد أشهر علماء المملكة المتحدة وأكثرهم احتراماً. ولسنوات عدة، درب زوكرمان سجل المتحجرات وأجرى الكثير من الدراسات المفصلة، وقد تم تكريمه بإعطائه لقب لورد نظير إسهاماته في مجال العلوم. وبما أن زوكرمان من دعاة التطور، فلا يمكن -إذن- اعتبار تعليقاته حول هذا الموضوع مجرد ملاحظات معاكسة متعمدة. ومع ذلك، فبعد سنين من إجراء البحوث على المتحجرات المتضمنة في سيناريو تطور الإنسان توصل إلى نتيجة تقضي بعدم وجود شجرة عائلة من هذا النوع في الحقيقة.

لقد وضع زوكرمان أيضاً طيفاً للعلوم (spectrum of science) يتسم بالإثارة فقد قام بتشكيل طيف من العلوم يمتد من العلوم التي اعتبرها علمية إلى تلك التي اعتبرها غير علمية. ووفقاً لطيف زوكرمان: تتمثل أكثر العلوم علمية، أي تلك التي تعتمد على معلومات ملموسة، في علوم الكيمياء والفيزياء، تليهما علوم الأحياء، ثم العلوم الاجتماعية. وعلى الطرف الآخر من الطيف-(وهو الجزء الذي يضم أكثر العلوم ابتعاداً عن الصفة

العلمية – يوجد الإدراك غير المعتمد على الحواب وهو يتمثل في مفاهيم مثل التخاطر والحاسة السادسة، وأخيراً يجيء تطور الإنسان. ويشرح زوكرمان منطقه قائلاً:

ونطلق –إذن– من سجل الحقيقة الموضوعية إلى المجالات التي من المفترض أنها تتبع علم الأحياء، مثل الإدراك غير المعتمد على الحواب أو تفسير تاريخ متحجرات الإنسان، حيث يصبح كل شيء ممكناً بالنسبة للمؤمن، وحيث يكون المؤمن الغيور أحياناً قادراً على تصديق عدة أشياء متناقضة في نفس الوقت. (102)

وفي المقالة التي كتبها "روبرت لوكيه" محرر مجلة (Discovering Archeology) التي تعد إحدى أشهر وسائل النشر بشأن موضوع أصل الإنسان، قيل: "إنّ البحث عن جدود الإنسان يمنح كثيرا من الدفء ومن الضوء". وذُكر فيها ذلك الاعتراف الخاص بـ "تيم وايت" عالم الحفريات التطوري الشهير: "بسبب تلك الأسئلة التي لم نستطع الإجابة عليها حتى الآن، فإننا جميعا قد تعرضنا لخسران مبين" *(103)

وتلك المشكلة الموجودة داخل نظرية التطور بشأن أصل الإنسان، وكذلك عدم وقوف تلك الدعاية التي اُستخدمت في هذا الموضوع على أساس متين، كلها أمور قد تم عرضها في تلك المقالة على النحو الآتي:

لا يوجد تقريبا أي فرع من فروع العلم إلا وفيه جدل ونقاش كبيرين عن مجهودات ومساع للعثور علي أصل الإنسان. وإن النخبة المميزة من علماء الحفريات في خلاف بشأن الخطوط الأساسية والرئيسية لشجرة نسب السلالة الإنسانية. وهناك الكثير من الفروع التي تتكون محدثة جلبة وضجيجا، لكنها سرعان ما تفقد مصداقيتها و تتلاشي أمام الاستنتاجات الحفرية الجديدة. (104)

ونفس الحقيقة قد أذعن لها قبل مدة من الزمن "هنري جي" محرر مجلة "الطبيعة" الشهيرة.

فهذا الباحث يقول في كتابه المعنون بـ "In Search of Deep Time" الذي صدر في عام1999: " إن جميع الأدلة الحفرية المتعلقة بتطور الإنسان والتي ترجع إلى ما قبل خمس أو عشر ملايين سنة لقليلة حتى إنه من الممكن وضعها في صندوق صغير". وإن النتيجة التي توصل إليها "جي" مثيرة للغاية:

إن الرّسم البياني لتطور الإنسان الذي يعتمد على علاقات الأجداد والأحفاد، هو بمثابة إيجاد إنسان خُلق بعد كل الحقائق، كما أنه قد تشكل وفق أحكام مسبقة للناس... وإن تناول مجموعة من الحفريات، والقول بأنها تعكس سلسلة من القرابة، لا يمثل فرضية علمية يمكن التحقق منها، وإنما يكون بمثابة ادعاء يحمل من القيمة ما يتساوى به مع حكايات الأطفال، وربما يكون شيئا مسليا ولكنه لا يُعد شيئا علميا.(105)

ما هو –إذن– السبب الذي يجعل العديد من العلماء يتشبثون إلى هذه الدرجة بهذه العقيدة؟ لماذا ظلوا يبذلون قصارى جهدهم للإبقاء على حياة نظريتهم، على حساب اعترافهم بمتناقضات لا حصر لها ونبذهم للأدلة التي وجدوها؟

وتتمثل الإجابة الوحيدة على هذه الأسئلة في خوفهم من الحقيقة التي سيضطرون إلى مواجهتها في حال تخليهم عن نظرية التطور. وتتجسد تلك الحقيقة في أن الإنسان قد خلقه الله. ومع ذلك، إذا أخذنا في الاعتبار افتراضاتهم المسبقة والفلسفة المادية التي يؤمنون بها، تصبح عملية الخلق مفهوماً غير مقبول بالنسبة لدعاة التطور.

ولهذا السبب فإنهم يخدعون أنفسهم، والعالَم معهم، باستخدام وسائل الإعلام التي يتعاونون معها. وإذا لم يتمكنوا من العثور على المتحجرات الضرورية فإنهم يلفّقونها، إما في شكل صور متخيَّلة أو نماذج زائفة، في محاولة منهم لإعطاء انطباع بأن هناك بالفعل متحجرات دالة على التطور. ويحاول أيضاً جزء من وسائل الإعلام الجماهيرية التي تشاركهم وجهة نظرهم المادية خداع العامة وغرس قصة التطور في عقولهم الباطنة.

ومهما بذلوا من محاولات، تظل الحقيقة جلية؛ إذ لم يأت الإنسان إلى حيز الوجود من خلال عملية تطور ولكن الله هو الذي خلقه، ومن ثم



لا تعتمد قصة تطور الإنسان على أية أدلة علمية ، والرسوم الموجودة في الجانب لا تمثل سوى ثراء الخيال الجامح لدى التطوريين.

الفصل العاشر

المأزق الجزيئي لنظرية التطور

يعتبر الإنسان مسؤولاً أمام الله مهما كان غير مستعد لتحمل هذه المسؤولية.

ذكرنا في فصول سابقة من هذا الكتاب كيف أن سجل المتحجرات يبطل نظرية التطور. وفي الواقع فإننا لم نكن بحاجة إلى أن نذكر أي شيء من هذا القبيل؛ لأن نظرية التطور تنهار قبل وقت طويل من وصول المرء إلى أية ادعاءات حول تطور الأنواع وأدلة المتحجرات. ويتمثل الموضوع الذي يجعل النظرية عديمة الجدوى –منذ البداية– في السؤال الخاص بكيفية ظهور الحياة على الأرض أول مرة.

وعندما تتناول نظرية التطور هذه المسألة، تدّعي أن الحياة قد بدأت بخلية تكونت بمحض الصدفة. ووفقاً لسيناريو التطور، فمنذ أربعة بلايين سنة خضعت أعداد متنوعة من المركّبات الكيميائية التي لا حياة فيها إلى تفاعل حدث في جو الأرض البدائي، وفيه حثت الصواعق والضغط هذه المركبات على تكوين أول خلية حية.

بادئ ذي بدء، يجب القول بأن الادعاء القائل إن المواد غير الحية يمكن أن تجتمع معاً لتكوّن حياة هو ادعاء غير علمي لم تثبته أية تجربة أو ملاحظة حتى الآن. ذلك أن الحياة لا تتولد من غير الحياة؛ إذ تتكون كل خلية حية بالنسخ من خلية أخرى، ولم ينجح أبداً أي شخص في العالم في تكوين خلية حية بالجمع بين المواد غير الحية، ولا حتى في أكثر المختبرات تطوراً.

وتدعي نظرية التطور أن خلية الكائن الحي،–التي لا يمكن إنتاجها حتى لو حُشدت كل القوة العقلية والمعلوماتية والتكنولوجية للبشر للقيام بهذا– قد استطاعت مع ذلك أن تتكون بمحض الصدفة تحت ظروف أرضية بدائية. وسوف ندرس في الصفحات الآتية السبب الذي يجعل هذا الإدعاء مناقضاً لأبسط المبادئ الأساسية للعلوم والمنطق.

أسطورة الخلية التي تكونت بمحض الصدفة

إذا صدّق شخص أن الخلية الحية يمكن أن تظهر في الوجود بمحض الصدفة، فلا يوجد ما يمنعه من تصديق قصة مشابهة سنرويها فيما يأتي. إنها قصة مدينة:

ففي أحد الأيام تبلّلُ مياهُ الأمطار كتلةً من الصلصال مضغوطةً بين الصخور في أرض جرداء. ويجف الصلصال المبتلّ ويقسو عند شروق الشمس، ثم يكتسب شكلاً جامداً مقاوِماً. وبعد ذلك تتهشم الصخور (التي أدّتْ دور القالب أيضاً بطريقة ما) إلى قطع، ثم تظهر بعد ذلك طوبة مرتبة قوية حسنة الشكل. وتظل هذه الطوبة تحت نفس الظروف الطبيعية لسنين في انتظار تكوين طوبة مشابهة. ويستمر هذا الوضع إلى أن يتكون المئات والآلاف من نفس الطوب في نفس المكان. ومع ذلك، وبمحض الصدفة، لا تتلف أية طوبة من تلك الطوبات التي تكونت في السابق. وعلى الرغم من تعرض الطوب للعواصف والأمطار والرياح والشمس الحارقة والبرد القارس لآلاف السنين، فأنه لا يتصدع، أو ينكسر، أو ينجرف بعيداً، بل يظل منتظراً هناك في نفس المكان وبنفس العزم حتى يتكون طوب آخر!

وعندما يصل عدد الطوب إلى عدد مناسب، يقوم هذا الطوب بتشييد مبنى من خلال الاصطفاف على الجوانب فوق بعضه البعض بعد أن تجره –عشوائياً– تأثيرات الظروف الطبيعية؛ مثل الرياح، أو العواصف، أو الأعاصير. وفي غضون ذلك تتكون مواد مثل خليط الإسمنت أو الرمال بفعل الظروف الطبيعية في توقيت محكم، وتتخلل ما بين الطوب لكي يتماسك بعضه مع بعض. وبينما يحدث كل ذلك، يتشكل خام الحديد تحت الأرض بفعل الظروف الطبيعية ويضع أساساً للمبنى الذي يتم تشييده بهذا الطوب. وفي نهاية هذه العملية، يعلو مبنى كامل دون أن يلحق بمواده ونجارته وتركيباته أي أذى.

لنفترض أن هناك أرضا طينية حدباء واقعة بين الصخور و أن هذه الأرض قد تحولت في يوم ما بفعل الأمطار التى هطلت عليها إلى أرض وحلة لزجة. و لما أشرقت الشمس من جديد عملت على تجفيف هذا الوحل و تلك الصخور. بعد ذلك تفتت القالب في شكل صخور وتفرقت ليظهر أجُرٌ "لبنة" مستوية و سليمة في الوقت نفسه. ينتظر هذا الآجر أن يتكون آجر آخر مثله تماما بعد سنوات شرط توافر الظروف المحيطة. في تلك المرحلة لن يُفقد أبداً أثر حدث بمصادفة كبيرة عند الآجر التي تكونت من قبل.

وعندما يصل الآجر إلى عدد كافٍ ستقوم العوامل الطبيعية مثل الرياح و العواصف والأعاصير بتشتيتها و تتراص لبنات الأجر إلى جانب بعضها البعض و فوق بعضها البعض بشكل مقصود لتكتمل البناية. وفي تلك الأثناء سيتم – تحت الظروف العادية – إعداد مستلزمات البناء مثل الأسمنت و الملاط الذي من شأنه تثبيت و لصق تلك اللبنات بعضها ببعض، ثم يدخل هذا الملاط بشكل دقيق بين اللبنات و تُشد اللبنات و تشتبك ببعضها البعض. و في النهاية يظهر بناء مكتمل الأساس. إن نظرية التطور التى تزعم أن الحياة قد نشأت أول ما نشات عن طريق المصادفة تتشابه تماما مع ذلك الذي قلناه لأن خلية واحدة بأنظمتها التشغيلية و التوصيلية و الاستخباراتية تتفوق على أي بناء من ناحية التعقيد بمراحل كثيرة.



وبالطبع، لا يتكون المبنى من أساس وطوب وإسمنت فحسب. ترى، كيف يمكن -إذن- الحصول على كل المواد الأخرى الناقصة؟ الجواب بسيط: توجد جميع المواد المطلوبة لإنشاء المبنى داخل الأرض المشيد عليها هذا المبنى. إذ يوجد السيأتيكون للزجاج، والنحاس للكابلات الكهربائية، والحديد للأعمدة والدعائم ومواسير المياه... توجد كل هذه الأشياء في باطن الأرض بكميات وفيرة، ولا يتطلب الأمر أكثر من مهارة الظروف الطبيعية لتشكيل هذه المواد ووضعها داخل المبنى. وتوضع جميع التركيبات وأعمال النجارة وإكسسوارات البناء بين الطوب بمساعدة الرياح العاصفة، والأمطار، والزلازل!

لقد سار كل شيء على ما يرام لدرجة قيام الطوب بترتيب نفسه بشكل يسمح بترك الفراغات اللازمة للنوافذ، وكأن الطوب يعلم أن هناك شيئاً اسمه الزجاج سيتم تكوينه لاحقاً بفعل الظروف الطبيعية. وفضلاً عن ذلك، لم يُغفِل الطوب تركَ بعض الفراغات للسماح بإدخال المياه والكهرباء ونظم التدفئة، التي ستتكون لاحقاً أيضاً بمحض الصدفة. وهكذا، فقد تم كل شيء على أكمل وجه لدرجة أنالمصادفاتوالظروف الطبيعية أنتجت تصميماً لا تشوبه شائبة!

إذا استطعت أن تحافظ على ثقتك بهذه القصة حتى الآن فلن تواجه أية مشكلة في تخمين الكيفية التي تكوّنت بها مباني المدينة الأخرى، ومصانعها، وطرقها السريعة، وأرصفتها، وبنيتها الأساسية، ونظم اتصالاتها ونقلها. وإذا كانت لديك معلومات تقنية وكنت ملماً بالموضوع بدرجة معقولة، فسوف تستطيع أن تكتب كتاباً علمياً بحتاً مكوناً من بضعة مجلدات تطرح فيه نظرياتك بخصوصالعملية التطورية لنظام الصرف الصحي ومدى تماثله مع التركيبات الحالية! بل وقد يتم منحك جائزة أكاديمية تقديراً لك على كل دراساتك المستنيرة ويمكنك أن تعتبر نفسك عبقرياً يشع بنوره على البشرية!

وتدّعي نظرية التطور أن الحياة قد وُجدت بمحض الصدفة. ولا يقل هذا الادعاء سخافة عن قصتنا؛ لأن الخلية بكل نظم تشغيلها واتصالاتها ونقلها وإدارتها، لا تقل تعقيداً عن أية مدينة.

معجزة الخلية وانهيار نظرية التطور

إن التركيب المعقد للخلية الحية لم يكن معروفاً أيام دارون، وفي ذلك الوقت كان دعاة التطور يعتقدون أن إرجاع الحياة إلى المصادفات والظروف الطبيعية يعتبر أمراً مقنعاً بما فيه الكفاية.

ولكن تكنولوجيا القرن العشرين تعمّقتْ في أصغر جسيمات الحياة وكشفت أن الخلية هي أكثر النظم التي

واجهتها البشرية تعقيداً. ونحن نعلم –اليوم– أن الخلية تحتوي على محطات لتوليد الطاقة تنتج الطاقة التي تستخدمها الخلية، ومصانعَ تصنع الإنزيمات والهرمونات اللازمة للحياة، وبنكَ معلومات تسجَّل فيه المعلومات الضرورية حول جميع المنتجات التي سيتم تصنيعها، ونظمَ نقلٍ وخطوطَ أنابيبٍ معقدة لحمل المواد الخام والمنتجات من مكان إلى آخر، ومختبرات ومحطات تكرير متقدمة لتحليل المواد الخام الخارجية إلى أجزائها القابلة للاستخدام، وبروتينات متخصصة تغلف أغشية الخلية لمراقبة المواد الداخلة والخارجة منها... ولا تشكل هذه الأشياء سوى جزء صغير من هذا النظام المعقد بدرجة خيالية.

ويقرّ ثورب، وهو أحد علماء التطور، بأن أبسط نوع من أنواع الخلايا يشكل آلية أعقد بكثير من أية آلة صنعها الإنسان حتى الآن، أو حتى تخيل صنعها. (106)

وتعتبر الخلية من التعقيد بمكان بحيث لا يتسنّى لمستوى التكنولوجيا العالي الذي توصل إليه الإنسان أن ينتج خلية واحدة. و لم يُكتب النجاح أبداً لأي مجهود بُذِلَ لإنتاج خلية صناعية. وفي الحقيقة، لقد تم التخلي عن أي محاولات من هذا النوع.

وتدّعي نظرية التطور أن هذا النظام، الذي لم تستطع البشرية إنتاجه رغم كل الذكاء والمعرفة والتكنولوجيا الموجودة تحت تصرفها، قد ظهر في الوجود بمحض الصدفة في ظل ظروف الأرض البدائية. ولإعطاء مثال آخر: يُعَد احتمال تكون الخلية بالصدفة من الاحتمالات غير المرجحة مثله مثل فرصة قيام الصدفة بطباعة كتاب نتيجة وقوع انفجار في المطبعة!

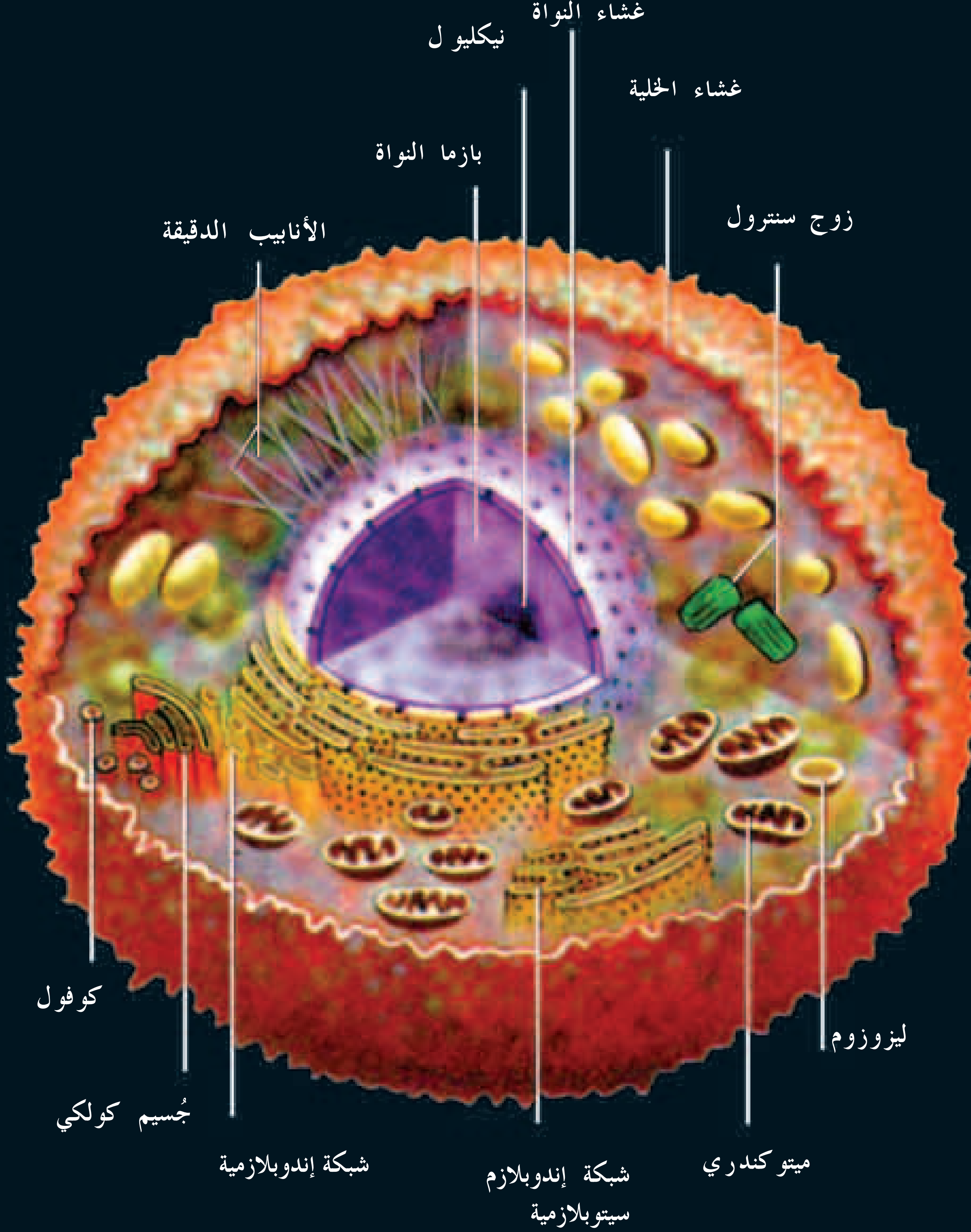
وقد عقد عالم الرياضيات والفلك الإنكليزي، السير فْرِد هويل، مقارنة مشابهة في إحدى مقابلاته التي نُشرت في مجلة الطبيعة في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1981. وعلى الرغم من كونه أحد دعاة التطور، فقد أوضح هويل أن احتمال ظهور أشكال الحياة العليا بهذه الطريقة يقارَن بفرصة قيام إعصار جارف يمر بساحة خردة بتجميع طائرة بوينغ من طراز 747 من المواد الموجودة في الساحة (107) ويعني هذا أن من غير الممكن أن تظهر الخلية في الوجود بالمصادفة، وبالآتي لا مناٌف من حتميةخلقها.

وتتمثل أحد الأسباب الرئيسية لعدم قدرة نظرية التطور على تفسير كيفية ظهور الخلية في تعقيد الخلية الذي لا يمكن تبسيطه. إذ تحافظ الخلية الحية على بقائها من خلال التعاون المتناغم بين العديد من الجزيئات العضوية (organelles). وإذا تعطّل أي من هذه الجزيئات العضوية عن العمل لا يمكن أن تظل الخلية على قيد الحياة؛ إذ لا تملك الخلية فرصة انتظار حدوث آلية لاإرادية مثل الانتقاء الطبيعي أو الطفرة للسماح لها بالنمو.

وبالآتي لا بد –بالضرورة– أن تكون الخلية الأولى على الأرض قد امتلكت كل الجزيئات العضوية والوظائف اللازمة، ويعني هذا بالتأكيد أن هذه الخلية قد خُلِقت.



تعقيد الخلية



فلنفترض أن تربة الطمي التي انحشرت ذات يوم من الأيام بين الصخور في قطعة أرض قاحلة جدباء، قد أصبحت وحلة لزجة نتيجة الأمطار التي تهطل، وأن ذلك الوحل اللزج قد جف بين الصخور لما سطعت الشمس، وأصبح صلدا، وتشكل. ثم بعد ذلك تنقسم، وتتفتت على هيئة صخور تكون بمثابة القلب بالنسبة إليها، ويظهر عندئذ ضرب من الآجر المستقيم، والصلد، وله شكل. فهذا الآجر ينتظر لسنوات طوال تكون أعداد أخرى من الآجر بجواره بنفس الظروف الطبيعية مثلما تكون هو. وفي هذه الأثناء فإن أثر المصادفة الكبرى لا يختفي على الإطلاق في الآجر الذي تكون مسبقا.

وعندما تصل أحجار الآجر هذه إلى عدد كاف فإنها تُقذف من مكان إلى مكان آخر بتأثير الظروف المناخية الطبيعية مثل الرياح، والعواصف، والأعاصير، وبمحض الصدفة تتراص بجوار بعضها البعض، وفوق بعضها البعض بشكل منظم، وتكون بذلك أحد الأبنية. وفي هذه الأثناء تتكون بفعل الظروف، والأحوال الطبيعية المواد التي ستجعل هذه الأحجار تمسك ببعضها البعض، وذلك مثل الأسمنت، و الملاط أو طين البناء، ثم بعد ذلك تدخل بين ثنايا تلك الأحجار بشكل منظم لا تشوبه أي شائبة. وفي نهاية المطاف يتكون منزل كامل بكل أدواته، وتأسيساته. وإن نظرية التطور التي تدعي زاعمة أن الحياة التي هي عكس الموت إنما تتكون بواسطة عرضيات، ما هي إلا ادعاء ليس إلا، وذلك لأن خلية واحدة من الخلايا لديها من التعقيد ما يفوق بكثير بناء واحدا بكل أنظمة عمله واتصالاته، ومواصلاته، وإدارته.

البروتينات تتحدى الصدفة

لم يكن هناك داع لكل هذا الحديث عن الخلية، ولكن التطور يخفق حتى في تفسير نشوء وحدات بناء الخلية. ذلك أن تكوين أي بروتين في ظل الظروف الطبيعية – ولو كان بروتيناً واحداً من بين آلاف الجزيئات البروتينية المعقدة التي تتكون منها الخلية – يُعَد أمراً غيرَ ممكن.

والبروتينات هي عبارة عن جزيئات عملاقة تتكون من وحدات أصغر تسمى الأحماض الأمينية تنتظم في تتابع معين بكميات وتركيبات محددة. وتشكل هذه الجزيئات وحدات بناء الخلية الحية، وتتكون أبسط هذه البروتينات من خمسين حمضاً أمينياً، ولكن بعضها يتكون من آلاف الأحماض الأمينية.

وتتجسد النقطة الحاسمة في أن: غياب حمض أميني واحد من الأحماض الموجودة في البروتين، أو إضافته، أو استبداله، يحوّل البروتين إلى كومة جزيئية عديمة الفائدة. ويجب أن يحتلّ كل حمض أميني المكان الصحيح والترتيب الصحيح. ويعتري اليأس نظرية التطور – التي تدّعي أن الحياة قد ظهرت نتيجة صدفة– في مواجهة هذا الترتيب لأن إعجازه أكبر من أن يُفسَّر بواسطة الصدفة. وبالإضافة إلى ذلك، تعجز النظرية حتى عن تفسير ادّعاء التكوين العَرَضي للأحماض الأمينية الذي ستتم مناقشته لاحقاً.

ويمكن لأي واحد أن يلاحظ –بسهولة– حقيقة أن البنية الوظيفية للبروتينات لا يمكن أن تظهر أبداً من قبيل الصدفة، وذلك حتى باستخدام حسابات الاحتمالات البسيطة التي يستطيع أي شخص أن يفهمها. إذ يتكون جزئ البروتين متوسط الحجم من 288 حمضاً أمينياً يوجد منه 12 نوعاً مختلفاً، ويمكن ترتيب هذه الأحماض بنحو 10^{300} أشكال مختلفة _ أي رقم عشرة أس 300– ويعد هذا عدداً فلكياً ويتكون من الرقم واحد وأمامه ثلاثمئة صفرا. ومن بين كل هذه الترتيبات أو الأنساق (sequences) الممكنة لا يوجد غير ترتيب واحد فقط يكوّن جزيء البروتين المطلوب، أما بالنسبة لبقية الترتيبات فهي عبارة عن سلاسل من الأحماض الأمينية التي إما أن تكون عديمة الفائدة تماماً أو تشكل ضرراً محتملاً للكائنات الحية.

وبعبارة أخرى، يبلغ احتمال تكوين بروتين واحد فقط (1 من10^{300}). ويُعتبر احتمال حدوث هذا البروتين الواحد أمراً مستحيلاً عملياً (ففي علم الرياضيات، يُعد الاحتمال الذي يقل عن 1 من 10^{50} أي عشرة أس خمسون_ بوصفه احتمالا يساوي الصفر.

والأكثر غرابة من هذا أن جزيء البروتين المكون من 288 حمضاً أمينياً يُعتبر جزيئاً متواضعاً مقارنةً ببعض الجزيئات البروتينية العملاقة التي تتكون من آلاف الأحماض الأمينية. وعندما نطبّق حسابات الاحتمالات المشابهة على هذه الجزيئات البروتينية العملاقة نرى أن كلمة مستحيل ذاتها تصبح غير لائقة ولا كافية!

وعندما نخطو خطوة أخرى في طريق تطور مخطط الحياة، نلاحظ أن البروتين وحده لا يعني شيئاً. ذلك أن أصغر بكتيريا تم اكتشافها على الإطلاق (وهي المعروفة باسمها العملي Mycoplasma Hominis H93)، تحتوي على 600 نوع من البروتينات. وفي هذه الحالة، سنضطر إلى تكرار حسابات الاحتمالات التي أجريناها مسبقاً لبروتين واحد لكل نوع من أنواع البروتينات الستمئة المختلفة. وتعجز النتيجة حتى عن وصف مفهوم الاستحالة.

وقد يشك بعض مَن يقرؤون هذه السطور الآن (الذين تقبّلوا حتى هذه اللحظة نظرية التطور بوصفها تفسيراً علمياً) في أن هذه الأرقام مبالَغ فيها ولا تعكس الحقائق. ولكن هذا غير صحيح؛ لأن هذه الحقائق هي حقائق محددة وراسخة. ولا يستطيع أي داع من دعاة التطور أن يعترف على هذه الأرقام، فهم يقرّون بأن احتمال تكون بروتين واحد بالصدفة يُعَدّ احتمالاً غير مرجح مثل احتمال قيام أحد القردة بكتابة تاريخ البشرية على آلة كاتبة دون أن يقع في أية أخطاء (108) ومع ذلك، وبدلاً من أن يقبلوا بالتفسير الآخر (وهو الخلق) يظلّون يدافعون عن هذه الاستحالة!

ويقر الكثير من دعاة التطور بهذه الحقيقة ذاتها؛ إذ يقول هارولد بلوم، وهو أحد علماء التطور المشهورين:

إن التكوين العفوي لبوليبتيد (polypeptide) في حجم أصغر البروتينات المعروفة أمرٌ يفوق كل الاحتمالات. (109)

ويدّعي دعاة التطور أن التطور الجزيئي قد حدث خلال فترة زمنية طويلة جداً وأن هذه الفترة جعلت المستحيل ممكناً. ومع ذلك، مهما كان طول الفترة المعنية، لا يمكن للأحماض الأمينية أن تكوّن بروتينات بمحض الصدفة. ويقرّ عالم الجيولوجيا الأمريكي، وليم ستوكج، بهذه الحقيقة في كتابه أساسيات تاريخ الأرض (Essentials of Earth History) قائلاً إن هذه الصدفة من الصغر بمكان بحيث لا يمكن أن تتكون البروتينات خلال بلايين السنين وعلى بلايين الكواكب التي يكسو كلاً منها غطاء من المحلول المائي المركز الذي يحتوي على الأحماض الأمينية الضرورية. (110)

إذن، ماذا يعني كل هذا ؟ يجيب على هذا السؤال بيري ويفر، أستاذ الكيمياء، قائلاً:

عندما يدرس المرء الأعداد الضخمة للتركيبات المحتمَلة التي يمكن أن تنتج عن اتحاد عشوائي بسيط بين الأحماض الأمينية الموجودة في بركة بدائية متبخّرة، يتردد العقل في تصديق من يزعم أن الحياة كان من الممكن أن تبدأ بهذه الطريقة. ومن المستساغ أكثر أن القيام بمثل هذه المهمة يتطلب بانياً عظيماً لديه خطة بارعة. (111)

وإذا كان من المستحيل أن يتكون حتى بروتين واحد من هذه البروتينات بشكل عرضي، فإن الاستحالة تتضاعف بلايين المرات فيما يتصل باتحاد نحو مليون من هذه البروتينات اتحاداً صحيحاً بمحض الصدفة من أجل تكوين خلية بشرية كاملة. وأكثر من ذلك، لا تتكون الخلية في أي

اعترافات من دعاة التطور

لا تواجه نظرية التطور أزمة أكبر من تلك التي تثيرها النقطة الخاصة بتفسير ظهور الحياة؛ ذلك أن الجزيئات العضوية من التعقيد بمكان بحيث لا يمكن أبداً أن يُفسَّر تكوينُها على أنه قد حدث مصادفة، كما يستحيل تماماً لخلية عضوية أن تكون قد تكونت بمحض الصدفة.

وقد واجه دعاة التطور السؤال الخاص بأصل الحياة في الربع الثاني من القرن العشرين. وفي هذا الصدد قام داعي التطور الروسي، ألكساندر أوبارين، وهو أحد أبرز الثقات في نظرية التطور الجزيئي، بالإدلاء بالمقولة التالية في كتابه «أصل الحياة» الذي نُشر في عام 1936:

«لسوء الحظ، ما زال أصل الخلية سؤالاً يشكل –في الواقع– أكثر نقطة مظلمة في نظرية التطور بأكملها» (1).

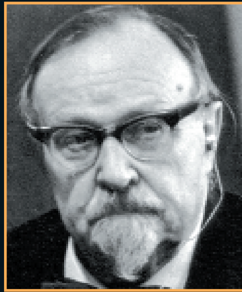
ومنذ زمن أوبارين، أجرى دعاة التطور عدداً لا يحصى من التجارب والبحوث وسجلوا الملاحظات كي يثبتوا أن الخلية كان يمكن تكوينها بمحض الصدفة. ومع ذلك، فقد أدّت كل محاولة من هذا النوع إلى زيادة إيضاح التصميم المعقد للخلية، ومن ثَم دحضت فرضيات دعاة التطور بدرجة أكبر. ويصرح الأستاذ كلاوس دوز، رئيس معهد الكيمياء الحيوية بجامعة جوهانز جوتنبيرغ بالتالي:

«لقد أدت أكثر من ثلاثين سنة من إجراء التجارب عن أصل الحياة في مجالات التطور الكيميائي والجزيئي إلى الوصول إلى إدراك أفضل لضخامة مشكلة أصل الحياة على الأرض بدلاً من حلها. وفي الوقت الحالي، فإن المناقشات الدائرة حولَ نظريات وتجارب أساسية في هذا المجال إما أن تنتهي إلى طريق مسدود أو إلى اعتراف بالجهل» (2).

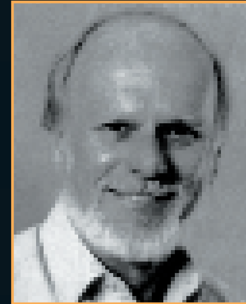
ويوضّح التصريح التالي من الكيمائي الجيولوجي جيفري بادا (من معهد سان دييغو سكريبص) عجز دعاة التطور أمام هذه الأزمة:

«ونحن نترك القرن العشرين اليوم، نواجه أكبر مشكلة لم يتم حلها استمرت معنا منذ دخولنا القرن العشرين؛ ألا وهي: كيف بدأت الحياة على الأرض؟»(3).

في مقالة له نشرت عام 2000 في صحيفة نيويورك تايمز يقول نيكولاس وايد الكاتب في المجال العلمي: "إن كل ما يتعلق بأصل الحياة في الأرض هو عبارة عن سر، ويبدو أنه مهما توصل الإنسان إلى اكتشافات جديدة فإنها سوف تزيد الموضوع أكثر تعقيدا، وتجعله لغزا أعسر على الفهم. (3).

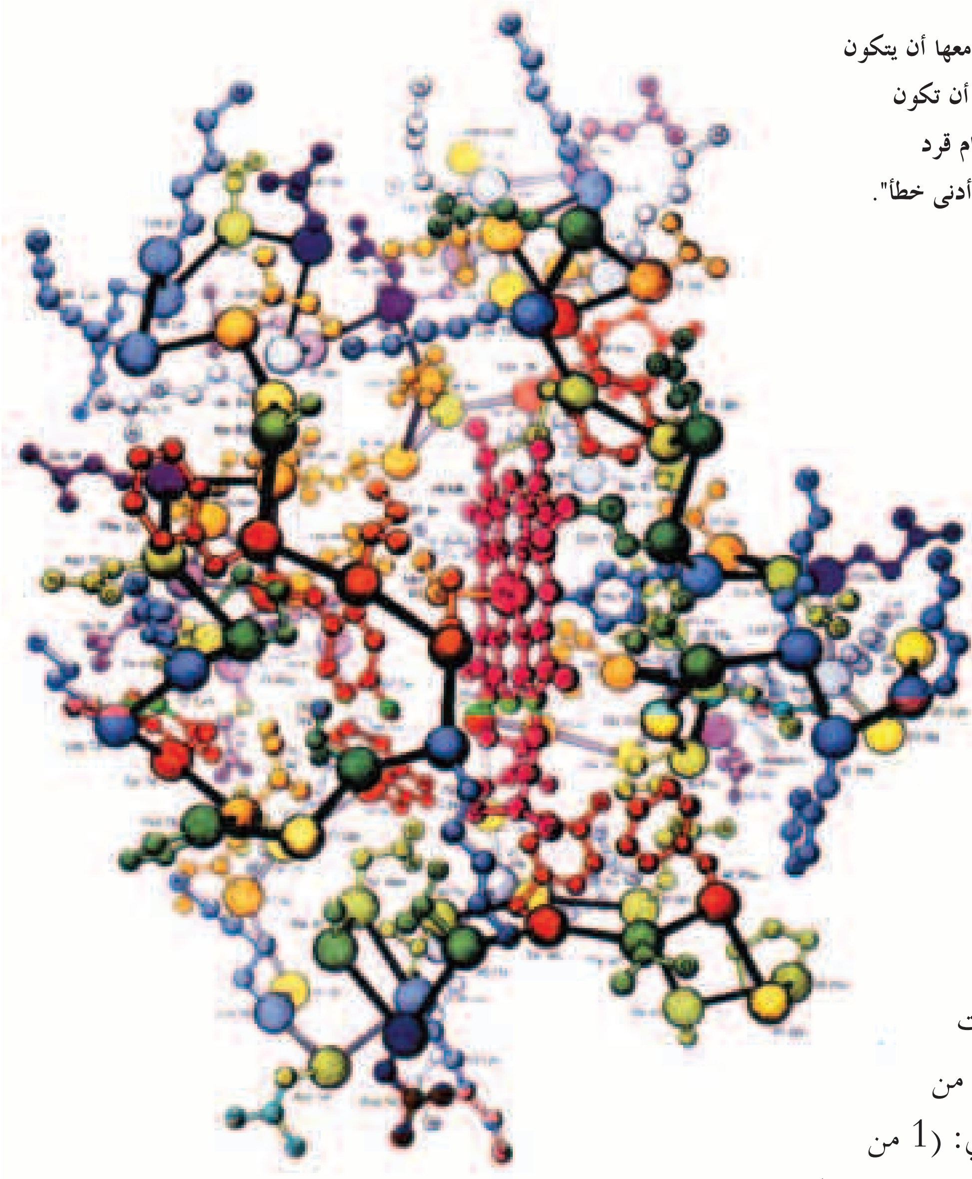


البروفيسور أ. أوبارين: "إننا لا نستطيع أن نشرح كيف تكونت الخلية".



البروفيسور جفري بادا: "إن أكبر سر إلى حد الآن هو كيف تكونت الحياة".

1 Alexander I. Oparin, Origin of Life, (1936) NewYork: Dover Publications, 1953 (Re print), p..196
2 Klaus Dose, «The Origin of Life: More Questions Than Answers», Interdisciplinary Science Rewievs, Vol 13, No. 4 1988, p. 348
3 Jeffrey Bada, Earth, February ,1998 p. 40
4 Nicholas Wade, "Life's Origins Get Murkier and Messier", The New York Times, June 13, 2000, p. D1-D2



إن بروتيين سيتوكروم– س في تركيبته الكيميائية معقد إلى درجة يستحيل معها أن يتكون بالمصادفة. ويعترف التطوري وعالم البيولوجيا البروفيسور علي دمير سوي أن تكون بروتيين سيتوكروم واحد على سبيل المصادفة من الاستحالة بحيث يشبه قيام قرد بالضرب على الآلة الكاتبة فيكتب على سبيل المصادفة تاريخ البشرية دون أدنى خطأ".

وقت من الأوقات من مجرد كومة بروتينية؛ إذ تتضمن الخلية –أيضاً– بالإضافة إلى البروتينات: أحماضاً نووية، وكربوهيدرات، ودهوناً، وفيتامينات، وكيميائيات أخرى كثيرة مثل الإلكترولايت (electrolyte) تنتظم بنسب وتناغم وتصميم دقيق من ناحيتي البنية والوظيفة. وتعمل كل مادة من هذه المواد كوحدة بناء أو جزيء مساعد في الجزيئات العضوية المتنوعة.

وقد قام، روبرت شابيرو، أستاذ الكيمياء بجامعة نيويورك وأحد الخبراء في مجال الحمض النووي، بحساب احتمال التكوين العرَضي لألفَي نوع من أنواع البروتينات الموجودة في بكتيريا واحدة (يوجد مئتا ألف نوع مختلف من البروتينات في الخلية البشرية!)، فجاءت نتيجة الحساب كالآتي: (1 من 10^{40000}) ــ أي رقم عشرة أس أربعة آلاف ــ وهذا رقم هائل لا يمكن تخيله ويتم الحصول عليه بوضع أربعين ألف صفر بعد الرقم 1). (112)

وقد أدلى تشاندرا ويكراماسنغي، أستاذ الرياضيات التطبيقية والفلك بالكلية الجامعية في كارديف، ويلز، بالتعقيب الآتي:

تتجسد احتمالية التكوين العفوي للحياة من مادة غير حية من احتمال واحد ضمن احتمالات عدد مكون من الرقم 1 وبعده 40000 صفر... وهو رقم كبير بما يكفي لدفن داروِن ونظرية التطور بأكملها! وإذا لم تكن بدايات الحياة عشوائية فلا بد أنها قد نتجت عن عقل هادف. (113)

ويعلق السير فرد هويل على هذه الأرقام بقوله:

في الواقع يعد ظهور الحياة من قبل ذات عاقلة ومدركة من الوضوح بمكان بحيث يعجب المرء لماذا لا يلقى قبولاً واسعاً بوصفها إحدى البديهيات. من الواضح أن الأسباب نفسية أكثر منها علمية. (114)

ويرجع السبب في استخدام هويل لتعبير نفسية إلى التكيف المشروط لدى دعاة التطور الذي يدفعهم إلى عدم قبول الفكرة القائلة بأن الحياة يمكن أن تكون قد خُلقت. لقد حدد هؤلاء الناس هدفهم الأساسي في رفض وجود الله؛ ولهذا السبب –وحده– يظلون يدافعون عن سيناريوهات غير معقولة يقرون هم أنفسهم بأنها مستحيلة.

البروتينات العسراء

دعونا الآن ندرب بالتفصيل السبب في استحالة سيناريو التطور المتصل بتكوين البروتينات.

إن الترتيب الصحيح للأحماض الأمينية الملائمة لا يكفي وحده لتكوين جزيء البروتين؛ فإلى جانب ذلك، يجب أن يكون كل نوع من الأنواع العشرين المختلفة للأحماض الأمينية الموجودة في تركيب البروتينات بروتيناً أعسر أو أيسر الاتجاه. إذ يوجد نوعان مختلفان من الأحماض الأمينية أحدهما يعرف باسم الحمض الأعسر (left-handed acid) والآخر بالحمض الأيمن (right-handed acid)، ويكمن الفرق بينهما في تناظر المرآة (mirror symmetry) بين تركيبيهما ثلاثي الأبعاد المشابه لليد اليمنى واليسرى للإنسان.

ومن السهل على أي نوع من نوعي الحمض الأميني أن يرتبط بالنوع الآخر. وقد كشفت البحوث حقيقة مذهلة ألا وهي: إن كل البروتينات الموجودة في النباتات والحيوانات، من أبسط كائن حي إلى أكثره تعقيداً، تتكون من أحماض أمينية عسراء. وحتى إذا ارتبط حمض أميني واحد أيمن بتركيب البروتين، يصبح هذا البروتين عديم الفائدة. ومن المثير للدهشة أن البكتيريا قد أُعطيت في بعض التجارب أحماضاً أمينية يمناء فقامت –في الحال– بإتلاف تلك الأحماض الأمينية وفي بعض الحالات كونت أحماضاً أمينية عسراء من المكوِّنات المنكسرة كي تستخدمها.

دعونا نفترض –للحظة– أن الحياة ظهرت بمحض الصدفة كما يدّعي دعاة التطور. في هذه الحالة يجب أن توجد الأحماض الأمينية اليمناء والعسراء التي تم إنتاجها مصادفة بكميات متساوية تقريباً في الطبيعة، بالآتي يجب أن تظهر في تركيب جميع الكائنات الحية الأحماض الأمينية اليمناء والعسراء كلاهما؛ إذ يمكن –من الناحية الكيميائية– للأحماض الأمينية من كلا النوعين أن تتحد بعضها مع بعض. ولكن، في واقع الأمر، لا تتكون البروتينات الموجودة في جميع الكائنات الحية سوى من أحماض أمينية عسراء.

وفيما يتصل بكيفية اختيار البروتينات للأحماض العسراء فقط من بين جميع أنواع الأحماض الأمينية وكيفية عدم اشتراك ولو حمض أميني واحد أيمن في عملية الحياة، لا يزال هذا الأمر يشكل تحدياً بالنسبة لدعاة التطور؛ إذ لا توجد أمامهم أية طريقة يستطيعون من خلالها تفسير مثل هذا الانتقاء المحدد والواعي.

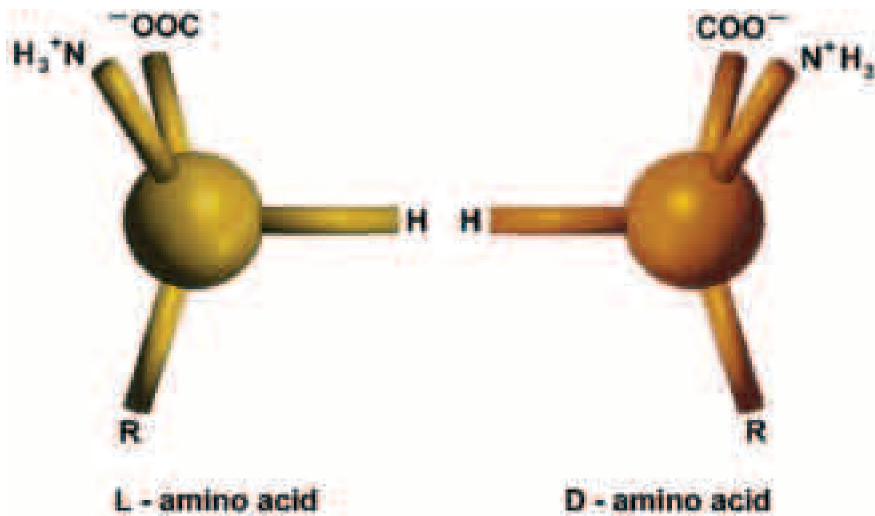
وبالإضافة إلى ذلك، تزيد خاصية البروتينات هذه من حدة الاضطراب الناتج عن مأزق المصادفة الذي يعاني منه دعاة التطور. ذلك أنه لإنتاج بروتين له معنى، لا يكفي أن يكون للأحماض الأمينية عدد معين، وترتيب كامل، وأن يتم الاتحاد فيما بينها بتصميم ثلاثي الأبعاد صحيح. بل بالإضافة إلى ذلك: يجب أن يتم انتقاء جميع هذه الأحماض الأمينية من النوع الأعسر بحيث لا يوجد بينها ولو حمض أميني واحد أيمن. ومع ذلك، لا توجد آلية انتقاء طبيعي بإمكانها أن تحدد أنه قد تمت إضافة حمض أميني أيمن إلى الترتيب ثم تدرك أن وجوده خاطئ وتسعى –بالآتي– إلى إزالته من السلسلة. ويستبعد هذا الوضع مرة أخرى وإلى الأبد إمكانية حدوث المصادفة والفرصة.

وفي الموسوعة البريطانية العلمية (Brittanica Science Encyclopedia)، ذلك المرجع الذي يدافع عن التطور بقوة وصراحة، تم تقديم أدلة على أن الأحماض الأمينية لجميع الكائنات الحية على الأرض ووحدات بناء البوليمارات (polymers) المعقدة مثل البروتينات تتسم بنفس اللاتماثل الأعسر. وتضيف الموسوعة أن هذا الأمر يشبه قذف عملة في الهواء مليون مرة والحصول دائماً على وجه العملة نفسه! وقد ذُكر في نفس الموسوعة أنه من غير الممكن أن يفهم المرء لماذا تصبح الجزيئات عسراء أو يمناء وأن هذا الاختيار له علاقة ساحرة بأصل الحياة على الأرض. (115)

وإذا كانت العملة المقذوفة في الهواء مليون مرة تعود دائماً بالوجه ذاته، فهل من المنطقي أكثر أن يعزى ذلك إلى الصدفة أم أن يتم الإقرار بحدوث تدخل واع؟ يجب أن يكون الجواب واضحاً. ومع ذلك، على الرغم من هذا الوضوح الظاهر، يحتمي دعاة التطور بالمصادفة لا لشيء سوى لأنهم لا يريدون –ببساطة– أن يعترفوا بوجود تدخل واع.

ويتكرر موقف مشابه لموقف الأحماض الأمينية العسراء، ولكنه هذه المرة مع النيوكليوتيدات (nucleotides) التي تعد أصغر وحدات بناء في الحمض النووي DNA والحمض النووي الريبي RNA. وعلى خلاف الأحماض الأمينية في الكائنات الحية، يتم اختيار الأشكال اليمناء فقط من النكليوتيدات، ويعد هذا موقفاً آخر لا يمكن تفسيره بالمصادفة.

والخلاصة: لقد أثبتت الاحتمالات التي درسناها حتى الآن بشكل مؤكد أن تفسير أصل الحياة بالمصادفة غير ممكن. وإذا حاولنا أن نحسب احتمال تكوّن بروتين متوسط الحجم مركب من 400 حمض أميني لا يتم اختياره سوى من الأحماض الأمينية العسراء، تكون نتيجة الاحتمال كالآتي:واحد من(2^{400})- أي العدد 2 أس 400- وهو يساوي (10^{120})، ـ اي رقم عشرة أس 120 - ومن جل المقارنة فحسب، د نتذكر أن عدد الإلكترونات الموجودة في الكون بأجمعه ي بحوالي(10^{79})،ـ أي رقم عشرة أس 79- وهو عدد أ بكثير من الرقم (10^{120}). وستظهر أعداد أكبر من ذلك عند حساب الاحتمالات الخاصة بقيام هذه الأحماض الأمين الترتيب والشكل الوظيفي المطلوب. وإذا ضمنا هذه الاحتم نطاق الموضوع بحيث أصبح يتضمن تكوين عدد ونوع أكبر م فسوف تصل هذا الحسابات إلى أرقام تفوق التصور.



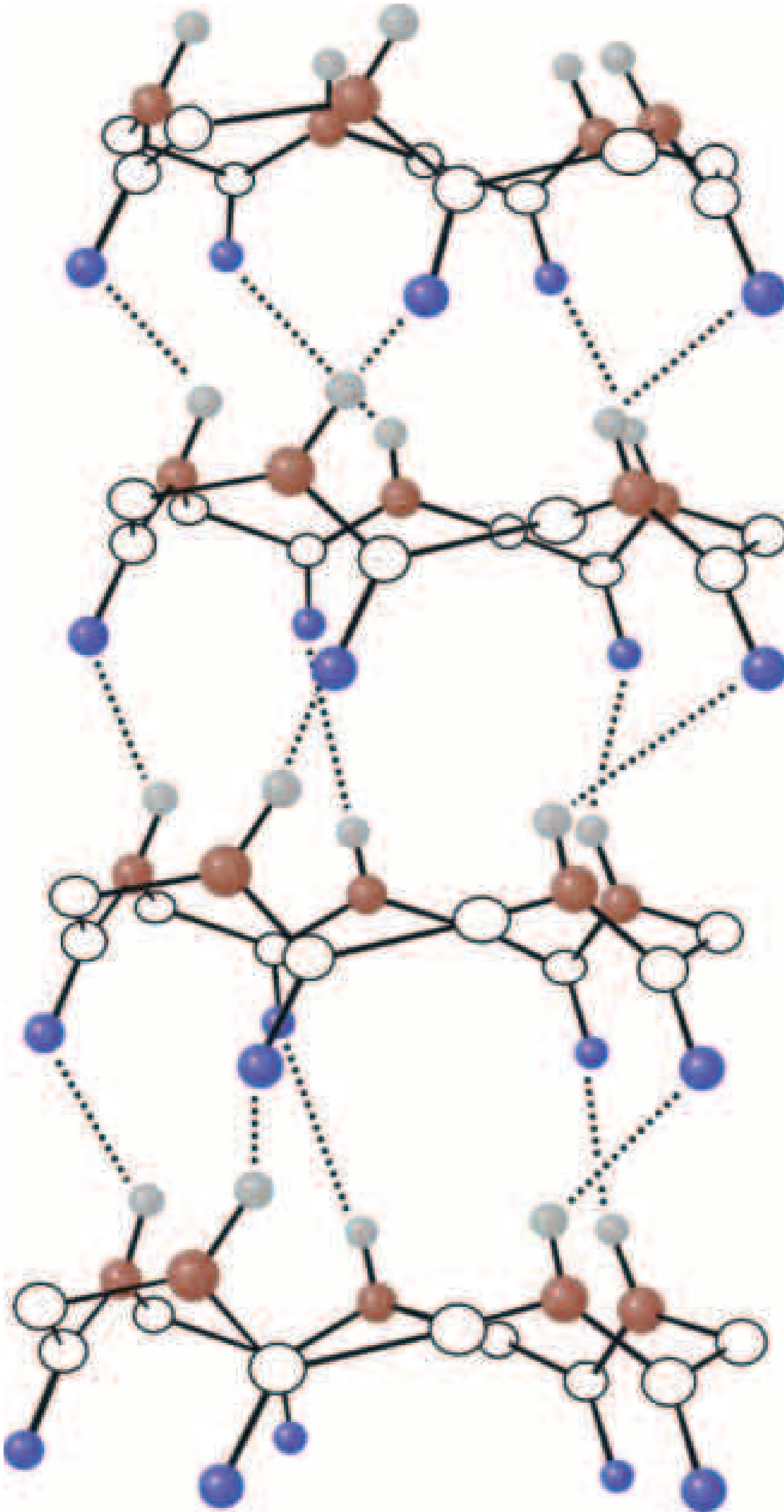
الترابط الصحيح أمر حيوي

لا تستطيع حتى القائمة الطويلة المذكورة أعلاه أن تضع حداً لمأزق التطور. إذ لا يكفي أن تكون الأحماض الأمينية مرتبة بالأعداد، والتتابع، والبنية ثلاثية الأبعاد الصحيحة. ذلك أن تكوين البروتين يتطلب –أيضاً– من جزيئات الأحماض الأمينية التي تمتلك أكثر من ذراع واحد ألا ترتبط مع بعضها البعض سوى من خلال أذرع معينة. ويسمّى مثل هذا الترابط ترابط البِبْتايْد (peptide bond). وتستطيع الأحماض الأمينية أن تكوّن روابط مختلفة فيما بينها، أما البروتينات فلا تتكون إلا من تلك الأحماض الأمينية التي تتحد ببعضها بترابط الببتايد، فقط وفقط لا غير!

وستتضح هذه النقطة من خلال المقارنة الآتية: تصور أن جميع أجزاء سيارة ما قد اكتملت ووُضعت في أماكنها الصحيحة باستثناء إحدى العجلات التي لم تثبت في مكانها بصواميل ومسامير لولبية بل بقطعة من السلك بحيث يواجه محورها الأرض. سيكون من المستحيل على هذه السيارة أن تتحرك ولو حتى لمسافة متر واحد مهما كانت تكنولوجيتها معقدة أو كان محركها قوياً. وللوهلة الأولى يبدو كل شيء في مكانه الصحيح، ولكن التثبيت الخاطئ ولو لواحدة من العجلات يجعل السيارة بأكملها عديمة النفع. وبنفس الطريقة في جزيء البروتين: إذا تم اتحاد حمض أميني واحد بالآخر بترابط غير ترابط الببتايد يصبح الجزيء بأكمله عديم النفع.

وقد أثبتت البحوث أن الأحماض الأمينية التي تتحد ب عشوائية لا تتحد برابطة الببتايد سوى بنسبة خمسين بالمئة وأن البقية تتحد بترابطات مختلفة غير موجودة في البروتينات. يؤدي البروتين وظيفته الصحيحة، ينبغي على كل حمض أميني يد تركيب أحد البروتينات ألا يتحد سوى بترابط الببتايد بنفس ال التي ينبغي أن يتم اختياره بها من بين الأحماض العسراء فقط.

ويعتبر هذا الاحتمال هو نفس احتمال أن يكون كل أعسر. مما يعني أنه عند دراسة بروتين مكون من 400 حمض يصل احتمال اتحاد كل الأحماض الأمينية فيما بينها بترابط بـ إلى 1 من 2^{399} أي رقم واحد مقسوم على رقم 2 وأمامه صفرا.



إن المتحجرات التي تم العثور عليها في المصادر الكمبيرية تعود إلى أنواع لا فقرية معقدة مثل الحلزون والتريلويت والاسفنج والدود ونجم البحر والكائنات السابحة القشرية والزنابق. والغريب في الأمر أن هذه الأنواع المختلفة عن بعضها البعض اختلافا جذريا قد ظهرت فجأة ودون أن يكون لها أي جد سابق.

احتمال الصفر

كما سنرى أدناه، فإن احتمال تكوين جزيء بروتين من 500 حمض أميني هو واحد فقط من رقم مكون من ر وأمامه 950 صفراً، وهو رقم يفوق إدراك العقل البشري. هذا الاحتمال احتمالاً على الورق فقط، أما من الناحية العملية فرصة تحقيق هذا الاحتمال صفراً وفي علم الرياضيات تعتبر تحقيق احتمال أقل من 1 من 10^{50} مساوية للصفر من ا الإحصائية. بينما احتمال 1 من 10^{950} أقل من هذا الت بنسبة هائلة جداً.

وفي حين يصل عدم احتمال تكون جزيء بروتين مكو 500 حمض أميني إلى مثل هذا المدى، نستطيع أن ندفع حدود إلى مستويات أعلى من عدم الاحتمال. ففي جزيء الهيمو (الذي يعد بروتيناً حيوياً) يوجد 574 حمضاً أمينياً، وهو ما عدد الأحماض الأمينية المكوِّنة للبروتين الوارد ذكره أعلاه. تصور ما يأتي: في خلية واحدة فقط من بلايين خلايا الدم الحم جسمك، يوجد مئتان وثمانون مليون جزيء هيموغلوبين!

ولا يكفي العمر المفترض للأرض لتكوين ولو بروتين بطريقة التجربة والخطأ، ناهيك عن تكوين خلية دم حمراء. و

إذا افترضنا أن الأحماض الأمينية قد اتحدت وانحلت بطريقة التجربة والخطأ دون إضاعة أي وقت منذ تكوين العالم من أجل تكوين جزيء بروتين واحد، ستظل الفترة الزمنية المطلوبة أطول من العمر الحالي للأرف كي تلحق باحتمال 1 من 10^{950}.

وتتمثل المحصلة النهائية من كل ذلك في أن التطور يقع في جحيم الاحتمال الرهيب، وذلك فقط عند مرحلة تكوين بروتين واحد.

هل توجد آلية للتجربة والخطأ في الطبيعة؟

في النهاية، نختتم بنقطة مهمة جداً فيما يتعلق بالمنطق الأساسي لحساب الاحتمالات الذي ضربنا عليه بعض الأمثلة. لقد أشرنا إلى أن حسابات الاحتمالات الواردة أعلاه قد وصلت إلى حدود فلكية، وأن هذه الاحتمالات الفلكية يستحيل تحقيقها عملياً، وتشكل هذه المسألة طريقا مسدودا بالنسبة لدعاة التطور؛ ذلك أنه لا يمكن لهذه الاحتمالات تحت الظروف الطبيعية أن تبدأ أية فترة تجريبية أبداً، نظراً لعدم وجود آلية للتجربة والخطأ في الطبيعة تسعى لإنتاج بروتينات.

وبالنسبة للحسابات التي أشرنا إليها أعلاه، فإنها لا تصلح لإيضاح الاحتمال المتوقع لإنتاج جزيء بروتين مكون من 500 حمض أميني سوى في حالة وجود بيئة مثالية للمحاولة والخطأ، الأمر الذي لا يحدث في الحياة الحقيقية. ويعني هذا أن احتمال الحصول على بروتين مفيد هو 1 من (10^{950})، هذا إذا افترضنا أن هناك آلية تخيأتية تقوم من خلالها يد خفية بضم 500 حمض أميني عشوائياً ثم تدرك أن هذا غير صحيح، فتقوم بفك الارتباط بين الأحماض الواحد تلو الآخر وتعيد ترتيبها بشكل مختلف للمرة الثانية، وهلم جرّا. وفي كل اختبار، يجب أن يتم تفكيك الأحماض الأمينية الواحد تلو الآخر ويتم ترتيبها بطريقة جديدة، كما يجب أن تتوقف عملية التركيب بعد أن تتم إضافة الحمض الأميني رقم 500 مع التأكد من عدم اشتراك ولو حمض أميني واحد إضافي في العملية. عندئذ، يجب أن تتوقف المحاولة لمعرفة ما إذا كان البروتين قد تكوّن أو لا. وفي حالة الإخفاق، يجب أن تُحَلّ كل المواد عن بعضها وتُختبَر في تتابع آخر. وهكذا، ينبغي في كل محاولة ألا تشترك ولو حتى مادة واحدة دخيلة. ومن الأمور الملحّة أيضاً ألاّ يتم فصل السلسلة المكونة أثناء المحاولة أو تدميرها قبل الوصول إلى الترابط رقم 499. وتعني هذه الشروط أن الاحتمالات التي ذكرناها أعلاه لا يمكن أن تحدث سوى في بيئة مسيطَر عليها وفيها آلية واعية تدير البداية والنهاية وكل مرحلة من مراحل العملية، ولا يترك فيها للصدفة أي شيء سوى اختيار الأحماض الأمينية فقط.

10^{950} =

100.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.00000
0.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000
.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.0
00.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000
.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.0
00.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000
.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.0
00.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000
.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.0
00.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000
.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.0
00.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000
.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.00
0.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.0
00.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.000.
000.000.000.000.000.000.000.000.000

إلى جانب احتمال اصطفاف جزيء بروتين ذو 500 حامض أميني في ترتيب و شكل مناسبين، فإن احتمال أن تكون كل الأحماض الأمينية التي يحويها يسارية، أي اتجاهها إلى اليسار وأن يقيم كل واحد من هذه الأحماض الأمينية فقط رابطة بيبتيدية هو احتمال لا يتجاوز " 1 " في 10^{950}. و يمكننا أن نكتب هذا الرقم كما ذكرنا في السابق مضافاً إليه 950 صفراً.

ومن المستحيل -دون شك- أن توجد مثل هذه البيئة في ظل الظروف الطبيعية، وبالآتي يستحيل -منطقياً وتقنياً- تكوين البروتين في البيئة الطبيعية، بغض النظر عن مسألة الاحتمال. وفي الواقع، يعد الحديث عن احتمالات وقوع مثل هذا الحدث حديثاً غير علمي.

ولا يستطيع بعض دعاة التطور غير المدربين استيعاب هذا الأمر. ذلك أنهم يفترضون أن تكوين البروتين هو عبارة عن تفاعل كيميائي بسيط، وبالآتي يصلون إلى استنتاجات مضحكة مثل قولهم إن الأحماض الأمينية تنتظم عن طريق التفاعل ثم تكوّن البروتينات. ومع ذلك، نجد أن التفاعلات الكيميائية العَرَضية التي تحدث في بنية غير حية لا تنتج شيئاً سوى تغيرات بسيطة وبدائية بأعداد معينة ومحدودة. أما بالنسبة لتكوين المواد الكيميائية الأعقد بعض الشئ فإنه يتطلب مشاركة مصانع وتجهيزات كيميائية ومختبرات هائلة. وتنتمي الأدوية والكثير من المواد الكيميائية الأخرى التي نستعملها في حياتنا اليومية إلى هذه النوعية، ولكن البروتينات تتسم بتركيبات أعقد بكثير من تلك الكيماويات المنتجة صناعياً، ولذا يستحيل أن تكون البروتينات (التي يشكل كلٌّ منها معجزةً في التصميم والهندسة من حيث ملاءمة كل جزء لمكانه في ترتيب محدد) قد نشأت نتيجة تفاعلات كيميائية عشوائية.

ودعونا ننحي جانباً -للحظة- جميع المستحيلات التي وصفناها حتى الآن ونفترض أن جزيئاً بروتينياً مفيداً قد تطور عفوياً بمحض الصدفة. عند هذه النقطة يظل التطور عاجزاً -مرة أخرى- عن تقديم الإجابات، ذلك أنه للإبقاء على وجود هذا البروتين ينبغي أن يتم عزله عن محيطه الطبيعي وحمايته في ظروف خاصة جداً. وبغير ذلك، إما أن ينحلّ البروتين نتيجةَ تعرضه لظروف الأرض الطبيعية أو ينضم إلى أحماض أو أحماض أمينية أو مركبات كيميائية أخرى، وبذلك يفقد خواصه ويتحول إلى مادة مختلفة تماماً وعديمة النفع.

المحاولات اليائسة للتطوريين لتفسير أصل الحياة

تشكل التساؤلات المحيطة بكيفية ظهور الكائنات الحية لأول مرة مأزقاً حرجاً لدعاة التطور لدرجة أنهم يحاولون عادة عدم التعرف إلى هذا الموضوع، كما يحاولون التغاضي عنه بقولهم: إن المخلوقات الأولى ظهرت في الوجود نتيجة بعض الأحداث العشوائية في الماء، ذلك لأنهم يواجهون عقبة في الطريق لا يستطيعون الالتفاف حولها بأية وسيلة ، وعلى نقيض النظرة التطورية من الناحية البالانتولوجية _ أي علم المتحجرات- لا يملكون هنا أية متحجرات لكي يشوهوها ويسيئوا تأويلها بغية دعم تأكيداتهم، وبالآتي فقد تم -بالتأكيد - دحض نظرية التطور منذ البداية.

وهناك نقطة مهمة جديرة بالأخذ في الاعتبار، ألا وهي: إذا ثبت أن أية خطوة من عملية التطور مستحيلة، فهذا يكفي لإثبات أن النظرية بأكملها مزيفة وباطلة تماماً. فعلى سبيل المثال: إذا أثبتنا أن التكوين العشوائي للبروتينات أمر مستحيل فإننا ندحج بذلك كل الادعاءات الأخرى المتعلقة بالخطوات اللاحقة للتطور. وبعد هذه المرحلة، يصبح من غير المجدي أخذ جمجمة رجل ما وقرد ما لإجراء تخمينات عليها.

وتعد كيفية ظهور الكائنات الحية في الوجود من كائنات غير حية مسألةً لم يرغب دعاة التطور حتى في ذكرها لمدة طويلة. ومع ذلك، أصبحت هذه المسألة التي لطالما تم تجنبها مشكلة حتمية، وجرت محاولات لحسمها من خلال سلسلة من الدراسات التي أجريت في الربع الثاني من القرن العشرين.

وتمثل السؤال الأساسي في: كيف أمكن لأول خلية حية أن تظهر في جو الأرض البدائي؟ وبعبارة أخرى: أي نوع من التفسيرات يمكن أن يقدمه دعاة التطور لهذه المشكلة؟

وجرت محاولات للإجابة على هذه الأسئلة من خلال التجارب. فقد أجرى علماء التطور وباحثوه تجارب معملية موجهة للإجابة على هذه الأسئلة، ولكنها لم تجذب الكثير من الاهتمام. وتتمثل أكثر التجارب احتراماً فيما يتعلق بأصل الحياة في التجربة المسماة باسم تجربة ميلر التي أجراها الباحث الأمريكي ستانلي ميلر سنة 1953 وتُعرف التجربة أيضاً باسم تجربة يوري-ميلر نظراً لإسهام أستاذ ميلر بجامعة شيكاغو، هارولد يوري، فيها.

وتعتبر هذه التجربة الدليل الوحيد المزعَم استخدامه لإثبات فرضية التطور الجزيئي التي تم تقديمها لتكون علامة على المرحلة الأولى من فترة التطور. وعلى الرغم من مرور ما يقرب من نصف قرن وتحقيق تطورات تكنولوجية عظيمة، لم يتخذ أي شخص أية خطوات أخرى في هذا الطريق. ورغم هذا، لا تزال تجربة ميلر تُدرَّس في كتب المقررات التعليمية بوصفها التفسير التطوري لظهور الجيل الأول من الكائنات الحية. ونظراً لإلمام دعاة التطور بحقيقة أن مثل هذه الدراسات لا تدعم فرضيتهم (بل على العكس من ذلك تدحضها) تجنبوا -عن قصد- الخوض في مثل هذه التجارب.

تجربة ميلر: محاولة فاشلة

وقد تمثل هدف ستانلي ميلر من هذه التجربة في تقديم اكتشاف تجريبي يبين أن الأحماض الأمينية (التي هي وحدات بناء البروتينات) يمكن أن تكون قد ظهرت بالصدفة قبل بلايين السنين على الأرض الخالية من الحياة.

وقد استخدم ميلر في تجربته خليطاً غازياً افترض وجوده على الأرض البدائية (ولكن اتضح فيما بعد أنه غير واقعي) يتكون من الأمونيا والميثان والهيدروجين وبخار الماء. وبما أن هذه الغازات لا تتفاعل بعضها مع بعض في الظروف الطبيعية، فقد أدخل ميلر محفّزاً من الطاقة إلى هذا المحيط كي

الاحتمالية لتكوين بروتين واحد بالصدفة تساوي صفراً

توجد ثلاثة شروط لتكوين بروتين مفيد:

الشرط الأول: أن تكون جميع الأحماض الأمينية في سلسلة البروتين من النوع الصحيح وبالتتابع الصحيح.

الشرط الثاني: أن تكون جميع الأحماض الأمينية في السلسلة عسراء.

الشرط الثالث: أن تكون جميع هذه الأحماض الأمينية متحدة فيما بينها من خلال تكوين ترابط كيميائي يسمى "ترابط الببتايد".

ولكي يتم تكوين البروتين بمحض الصدفة، يجب أن تتواجد هذه الشروط الثلاثة الأساسية في وقت واحد. والاحتمالية لتكوين بروتين بمحض الصدفة تساوي حاصل ضرب الاحتماليات المتصلة بتحقيق كل واحد من هذه الشروط.

فعلى سبيل المثال، بالنسبة لجزيء متوسط يحوي 500 حمض أميني:

(1) احتمالية أن تكون الأحماض الأمينية موجودة بالتتابع الصحيح:

يوجد عشرون نوعاً من أنواع الأحماض الأمينية تُستخدَم في تركيب البروتينات، وبناء على ذلك فإن:

احتمالية أن يتم اختيار كل حمض أميني بالشكل الصحيح ضمن العشرين نوعاً هذه = واحداً من 20.

واحتمالية أن يتم اختيار كل الأحماض الخمسمئة بالشكل الصحيح = $1/20^{500}$ = $1/10^{650}$

$1/10^{650}$ وهذا يساوي فرصة واحدة من عدد من الفرص قدره عشرة مرفوعة للأس 650.

(2) احتمالية أن تكون الأحماض الأمينية عسراء:

احتمالية أن يكون الحمض الأميني الواحد أعسر = $1/2$

احتمالية أن تكون جميع الأحماض الأمينية عسراء في نفس الوقت = $1/2^{500}$

وهذا يساوي فرصة واحدة من عدد من الفرص قدره عشرة مرفوعة للأس 150

(أي يساوي $1/10^{150}$)

(3) احتمالية اتحاد الأحماض الأمينية بترابط الببتايد:

تستطيع الأحماض الأمينية أن تتحد معاً بأنواع مختلفة من الترابطات الكيميائية. ولكي يتكون بروتين مفيد، فلا بد أن تكون كل الأحماض الأمينية في السلسلة قد اتحدت بترابط كيميائي خاص يسمى "ترابط الببتايد". ويتضح من حساب الاحتماليات أن احتمالية اتحاد الأحماض الأمينية بترابط كيميائي آخر غير الترابط الببتيدي هي خمسون بالمئة. وفيما يتعلق بذلك:

احتمالية اتحاد حمضين أمينين بترابطات ببتايدية = $1/2$

احتمالية اتحاد جميع الأحماض الأمينية بترابطات ببتيدية = $1/2^{499}$ = $1/10^{150}$

وهكذا تكون المحصلة النهائية للاحتمال =	$1/10^{150} \times 1/10^{150} \times 1/10^{650}$
=	ويساوي $1/10^{950}$

أحدث مصادر دعاة التطور تعارض تجربة ميلر

تحظى تجربة ميلر اليوم بالإهمال الكامل حتى بين علماء التطور. ففي عدد فبراير 1998 من مجلة الأرض EARTH المعروفة بمناصرتها لنظرية التطور، ظهرت التصريحات التالية في مقالة بعنوان بوتقة الحياة: «يعتقد الجيولوجيون الآن أن الجو البدائي قد تكوّن في معظمه من ثاني أكسيد الكربون والنيتروجين، وهما غازان أقل تفاعلاً من تلك الغازات التي استُخدمت في تجربة عام 1953. وحتى إذا أمكن لجو ميلر أن يحدث، كيف يتسنى لك أن تجعل جزيئات بسيطة مثل الأحماض الأمينية تمر بالتغيرات الكيميائية اللازمة التي ستحولها إلى مركّبات أكثر تعقيداً أو بوليمرات مثل البروتينات؟ ميلر نفسه عجز عن حل ذلك الجزء من اللغز، وقد تنهد قائلاً بسخط: "إنها مشكلة"؛ "كيف تصنع البوليمرات؟ لا يتم هذا الأمر بكل هذه السهولة" (1).

وكما رأينا، فإن ميلر نفسه قد تقبّل الفكرة القائلة بأن تجربته لن تؤدي اليوم إلى أي استنتاج بإمكانه تفسير أصل الحياة. إن حقيقة أن علمائنا من دعاة التطور يحتضنون هذه التجربة بحماسة تشير فقط إلى بؤس التطور ويأس من يدعون إليه. وفي عدد مارس من مجلة "ناشيونال جيوغرافيك" نُشرت مقالة بعنوان "ظهور الحياة على الأرض" كُتب فيها عن هذا الموضوع ما يلي: "إن العديد من العلماء الآن يشكّون في أن الجو البدائي كان مختلفاً عمّا افترضه ميلر في البداية. إنهم يعتقدون أنه كان متكوّنا من ثاني أكسيد الكربون والنيتروجين بدلاً من الهيدروجين والميثان والأمونيا. وهذه أخبار سيئة للكيميائيين؛ فعندما يحاولون أن يشعلوا شرارة في ثاني أكسيد الكربون والنيتروجين، سيحصلون على كمية تافهة من الجزيئات العضوية تكافئ إذابة قطرة من ملوّن طعام في ماء بركة سباحة. وهكذا يجد العلماء صعوبة في تخيل أن الحياة قد نشأت من مثل هذا الحساء المخفف"(2).



وباختصار، لا تستطيع تجربة ميلر ولا أية محاولة أخرى لدعاة التطور أن تجيب عن السؤال الخاص بكيفية ظهور الحياة على الأرض؛ إذ أن جميع البحوث التي أُجريت تبين استحالة ظهور الحياة بمحض الصدفة؛ ومن ثَمّ تؤكد على أن الحياة قد خُلقت.

1.Earth, «Life's Crucible», February ,1998 p.34

2. National Geographic, «The Rise of Life on Earth», March ,1998 p.1.68

يبدأ التفاعل بينها. وبافتراض أن هذه الطاقة يمكن أن تكون قد جاءت من ومضات البرق في الجو البدائي استخدم مصدراً صناعياً للتفريغ الكهربائي لإمداده بالطاقة.

وقام ميلر بغلي هذا الخليط الغازي في حرارة شدتها مئة درجة مئوية لمدة أسبوع، وأضاف تياراً كهربائياً كذلك، وفي نهاية الأسبوع قام ميلر بتحليل المواد الكيميائية الموجودة في قاع الوعاء فلاحظ أن ثلاثة أحماض من الأحماض الأمينية العشرين التي تشكّل العناصر الأساسية للبروتينات قد تم إنتاجها اصطناعياً.

وأحدثت هذه التجربة قدراً كبيراً من الإثارة لدى دعاة التطور وتم رفعها إلى درجة النجاح الخارق، وفي خضم حالة النشوى العارمة تلك ظهرت مطبوعات متنوعة بعناوين مثل ميلر يخلق الحياة! ومع ذلك، لم تكن الجزيئات التي استطاع ميلر أن يصطنعها سوى جزيئات غير حية.

وبتشجيع من هذه التجربة، قام دعاة التطور مباشرة بوضع سيناريوهات جديدة؛ إذ تم –على عجل– افتراض المراحل اللاحقة للأحماض الأمينية. ويفترض أن تكون الأحماض الأمينية قد اتحدت لاحقاً في ترتيبات صحيحة بمحض الصدفة لتكوّن البروتينات. وقد قامت بعض هذه البروتينات المكونة بالصدفة بوضع نفسها في تركيبات شبيهة بغشاء الخلية (مثل التركيبات التي دخلت حيز الوجود بطريقة ما وكونت خلية بدائية)، واتحدت الخلايا مع مرور الوقت وكونت الكائنات الحية. ومع ذلك، لم تكن تجربة ميلر سوى ادعاء ثبت فيما بعد أنه مزيف من جوانب عدة.

الحقائق التي أدت إلى إفلاس تجربة ميلر

حاولت تجربة ميلر أن تثبت أن الأحماض الأمينية يمكن أن تتكون وحدها في ظروف الأرض البدائية، إلا أن هذه التجربة تعاني من متناقضات في عدد من النقاط. وتتمثل هذه المتناقضات فيما يأتي:

1– باستخدام آلية تسمى المصيدة الباردة (cold trap) عزل ميلر الأحماض الأمينية من البيئة بمجرد تكونها، لأنه لو لم يفعل ذلك لكانت ظروف البيئة التي تكونت فيها الأحماض الأمينية ستؤدي إلى تدمير هذه الجزيئات في الحال.

ومما لا شك فيه أن هذا النوع من آليات العزل الواعية لم يكن موجوداً في ظروف الأرض البدائية. وبدون مثل هذه الآلية، حتى إذا تكوّن حمض أميني واحد فإنه سوف يُدمَّر في الحال. ويشرح العالم الكيميائي، ريتشارد بليس، هذا التناقض بقوله: حقاً، لولا هذه المصيدة الباردة، لكانت المنتجات الكيميائية قد دُمِّرت بفعل المصدر الكهربائي. (116)

وفي الحقيقة، لم يستطع ميلر في تجاربه السابقة أن يكوّن أي حمض أميني باستخدام نفس المواد بدون آلية المصيدة الباردة.

2– لم تكن البيئة الجوية البدائية (التي حاول ميلر أن يحاكيها في تجربته) بيئة واقعية؛ فقد اتفق العلماء في الثمانينيات على الرأي القائل بأن النيتروجين وثاني أكسيد الكربون كان ينبغي أن يُستخدَما في هذه البيئة الصناعية بدلاً من الميثان والأمونيا. وبعد فترة طويلة من الصمت اعترف ميلر نفسه –أيضاً– بأن البيئة الجوية التي استخدمها في تجربته لم تكن واقعية. (117)

إذن، لماذا أصر ميلر على هذه الغازات؟ الجواب بسيط: فبدون الأمونيا كان من المستحيل تركيب حمض أميني. ويخبرنا كيفن ماكّين بهذا الأمر في مقالة نشرت في مجلة الاكتشافDiscover بقوله:

قام ميلر ويوري بمحاكاة الجو القديم للأرف بخليط من غازي الميثان والأمونيا. وحسبما ورد عنهما، فقد كانت الأرض بحق خليطاً متجانساً من المعدن والصخر والجليد. ولكننا نفهم من أحدث الدراسات أن جو الأرض كان حاراً جداً في تلك الأزمنة وأنها كانت تتكون من النيكل والحديد المذاب، وبالآتي كان يجب أن يتكون الجو الكيميائي لتلك الفترة في معظمه من النيتروجين وثاني أكسيد الكربون وبخار الماء. ولا تعد هذه الغازات غازات مناسبة مثل الميثان والأمونيا لإنتاج جزيئات عضوية. (118)

وقد قام عالمان أمريكيان (هما فيريس وتشين) بتكرار تجربة ميلر في بيئة جوية تحتوي على ثاني أكسيد الكربون والهيدروجين والنيتروجين وبخار الماء، ولكنهما لم يتمكنا من الحصول ولو على جزيء واحد من الحمض الأميني. (119)

3– وتوجد نقطة أخرى مهمة تُبطل تجربة ميلر، وهي أن الأكسجين الموجود في تلك الفترة كان كافياً لتدمير جميع الأحماض الأمينية في الجو في الوقت الذي كان يعتقد أنها قد تكونت فيه. وقد تكشّفت هذه النقطة (التي أغفلها ميلر) عن طريق آثار الحديد واليورانيوم المتأكسد التي وُجدت في الصخور التي يُقدَّر عمرها بنحو 3,5بليون سنة تقريبا. (120)

وهناك اكتشافات أخرى تبين أن كمية الأكسجين الموجودة في تلك المرحلة كانت أكثر بكثير من تلك التي يدّعي دعاة التطور وجودها. وتبين الدراسات كذلك أن كمية الإشعاعات فوق البنفسجية التي كانت تتعرض لها الأرض في تلك الفترة كانت عشرة آلاف ضعف تقديرات دعاة التطور. و لم يكن هناك مفر من قيام هذه الإشعاعات المكثفة بتحرير الأكسجين من خلال تحليل بخار الماء وثاني أكسيد الكربون الموجودَين في الجو إلى عناصرهما الأساسية.

ويبطل هذا الأمر تجربة ميلر –التي أهملت الأكسجين تماما –بالكامل؛ ذلك أنه لو تم استخدام الأكسجين في التجربة لكان الميثان سينحلّ إلى

ثاني أكسيد الكربون والماء، بينما ستنحلّ الأمونيا إلى النيتروجين والماء. ومن ناحية أخرى، ففي البيئة التي لا يوجد فيها أكسجين لا مجال لوجود طبقة أوزون، ويعني هذا أن الأحماض الأمينية كانت ستُدمَّر في الحال لأنها ستتعرض إلى إشعاعات فوق بنفسجية عالية جداً بدون حماية طبقة الأوزون. وبعبارة أخرى: سواء أكان الأكسجين موجوداً في العالم البدائي أم لم يكن، كانت النتيجة ستتمثل في بيئة مدمرة للأحماض الأمينية.

4- بانتهاء تجربة ميلر تكون قد تكوّنت العديد من الأحماض العضوية ذات الخواص المدمِّرة لبنية الكائنات الحية ووظائفها، ولو لم تُعزَل الأحماض الأمينية وتُركت في نفس البيئة مع هذه الكمياويات لكان تدميرها أو تحولها إلى مركّبات مختلفة من خلال التفاعلات الكيميائية أمراً لا يمكن تفاديه.

وفضلاً عن ذلك، فقد تكوّن عدد كبير من الأحماض الأمينية ذات الاتجاه الأيمن عند نهاية التجربة (121) ويعد وجود هذه الأحماض دحضاً للنظرية حتى من خلال منطقها؛ لأن الأحماض الأمينية اليَمناء كانت من نوع الأحماض الأمينية غير القادرة على تأدية وظيفتها في تكوين الكائنات الحية.

وختاماً، لم تكن الظروف التي تكونت فيها الأحماض الأمينية في تجربة ميلر ظروفاً صالحة للحياة؛ فقد اتخذ هذا الوسط -في الواقع- شكل خليط حمضي يدمّر الجزيئات المفيدة التي يتم الحصول عليها ويؤكسدها.

وهناك حقيقة واحدة راسخة تشير إليها جميع تلك الحقائق، ألا وهي: لا تستطيع تجربة ميلر أن تدّعي أنها أثبتت أن الكائنات الحية قد تكونت بمحض الصدفة في ظروف أرضية بدائية. ولم تكن التجربة -بأكملها- أكثر من مجرد تجربة معملية موجَّهة ذات هدف من أجل تركيب الأحماض الأمينية. وقد تم تحديد كميات وأنواع الغازات المستخدَمة في التجربة تحديداً مثالياً كي تتمكن الأحماض الأمينية من الظهور، كما أن كمية الطاقة التي تم إمداد النظام بها لم تكن كثيرة جداً أو قليلة جداً بل تمّ تنظيمها بدقة كي تمكّن التفاعلات الضرورية من الحدوث. أما بالنسبة للأجهزة المستخدَمة في التجربة فقد تم عزلها حتى لا تسمح بتسرب أي نوع من أنواع العناصر الضارة أو المدمرة، أو أي نوع آخر يمكن أن يعوق تكوين الأحماض الأمينية التي كان وجودها محتملاً في ظروف الأرض البدائية. ولم تتضمن التجربة أية مواد أو أملاح أو مركّبات كانت موجودة في ظروف الأرض البدائية وكان من المحتمَل أن تغير مجرى التفاعلات، ويعتبر الأكسجين – الذي كان سيمنع تكوين الأحماض الأمينية بسبب الأكسدة–أحد تلك المواد المدمرة. وحتى في ظل ظروف معملية مثالية، كان من المستحيل بالنسبة للأحماض الأمينية المنتَجَة أن تحافظ على بقائها وتتفادى التدمير بدون آلية المصيدة الباردة.

وفي الواقع فإن دعاة التطور يقومون هم أنفسهم بدحج سيناريو التطور بواسطة هذه التجربة؛ لأن هذه التجربة إذا أثبتت أي شئ فقد أثبتت أن الأحماض الأمينية لا يمكن إنتاجها سوى في بيئة معملية مسيطَر عليها يتم فيها تصميم جميع الظروف بشكل محدد من خلال التدخل الواعي. أي أن القوة التي تُحدِث الحياة لا يمكن أن تأتي من صدفة غير واعية، ولكن -بالأحرى- من عملية خلق واعية.

ويعد السبب الذي جعل دعاة التطور لا يقبلون هذا الحقيقة الجلية هو خضوعهم الأعمى لآراء مسبقة غير علمية البتة. ومن الأمور المثيرة أن هارولد يوري، الذي قام بتنظيم تجربة ميلر مع تلميذه ستانلي ميلر، قد أدلى بالاعتراف الآتي حول هذا الموضوع:

> يكتشف كل من يقوم منا بدراسة أصل الحياة بأنه كلما أمعنا النظر في هذا االموضوع كلما شعرنا بأنه أعقد من أن يتطور في أي مكان. وكلنا نسلم، كقضية عقائدية، بأن الحياة قد تطورت من المادة الميتة في هذا الكون، ولكن كل ما في الأمر أن تعقيدها من الضخامة بمكان بحيث يصعب علينا أن نتخيل وقوع الأمر بهذه الطريقة. (122)

جو العالم البدائي والبروتينات

على الرغم من كل المتناقضات التي استشهدنا بها أعلاه، ما زال دعاة التطور يشيرون إلى تجربة ميلر ليتجنبوا المشكلة المتصلة بكيفية تكون الأحماض الأمينية بمفردها في جو العالم البدائي. إنهم لا يزالون حتى اليوم يخدعون الناب بالتظاهر بأن المسألة قد تم حلها بهذه التجربة الزائفة.

ومع ذلك، فقد واجه دعاة التطور -عند تفسير المرحلة الثانية من أصل الحياة- مشكلة أكبر لا تقارن بمشكلة تكوين الأحماض الأمينية ألا وهي: البروتينات؛ أي: وحدات بناء الحياة المكوَّنة من مئات الأحماض الأمينية المختلفة التي تتحد مع بعضها البعض في نظام معين.

ويعتبر الادعاء القائل بأن البروتينات قد تكونت بمحض الصدفة في ظل الظروف الطبيعية ادعاء يفتقر إلى الواقعية والمعقولية بدرجة أكبر من الادعاء القائل بأن الأحماض الأمينية قد تكونت بمحض الصدفة. وفي الصفحات السابقة درسنا بواسطة حسابات الاحتمالات الاستحالة الرياضية للاتحاد العشوائي للأحماض الأمينية بترتيبات صحيحة بغية تكوين البروتينات، أما الآن فسوف ندرب استحالة تكوين البروتينات كيميائياً في ظروف الأرض البدائية.

تصنيع البروتين في الماء غير ممكن

عندما تتجمع الأحماض الأمينية لتكوين البروتينات تشكل هذه الأحماض ترابطاً خاصاً فيما بينها يسمى ترابط الببتايْد. وأثناء تكوين هذا الترابط يتحرر جزيء مائي واحد.

وتقوم هذه الحقيقة -بلا شك- بدحض تفسير دعاة التطور القائل بأن الحياة البدائية قد ظهرت في الماء؛ لأنه -وفقاً لمبدأ شاتولييه في الكيمياء



إن الاعتقاد بأن الحياة هي التي كونت نفسها بنفسها في مناخ من عالم بدائي هو واحد من أكبر الأخطاء التي وقع فيها أنصار نظرية التطور. فقد حاولوا وبكل السبل إثبات ادعاءاتهم تلك بطرق مختلفة مثال ذلك التجربة التي قام بها ميللر. إلا أن هذه الادعاءات لم تصمد أمام الاكتشافات العلمية، وسرعان ما انهارت. فقد أثبتت نتائج الأبحاث التي أجريت في السبعينات من القرن العشرين أن مناخ تلك الفترة من التاريخ والتي وصفوها بالفترة البدائية لم يكن ملائماً بأي حال من الأحوال لتكوين الحياة المزعومة.

(Le Châtellier Principle)- فإنه لا يمكن أن يحدث تفاعل يحرر ماء – تفاعل تكثيف- في بيئة مائية، والذي يُقال دائماً إن احتمال تحقق مثل هذا التفاعل في بيئة مائية يكاد يكون غير ممكن من بين جميع التفاعلات الكيميائية.

إذن فالمحيطات – حيث يُزعم أن الحياة قد نشأت فيها وكذلك الأحماض الأمينية- هي دون شك ليست الأماكن الصحيحة التي يمكن للأحماض الأمينية أن تنتج فيها البروتينات.

و لهذا السبب فإن المحيط الذي أعلن أنصار نظرية التطور أنه هو المكان الذي تبدأ فيه الحياة و تتكون فيه الأحماض الأمينية هو في حقيقة الأمر مناخ غير ملائم على الإطلاق من أجل تكوين الأحماض الأمينية لبروتينات متحدة معها (123).

ومن ناحية أخرى، سيكون من غير المنطقي بالنسبة لدعاة التطور أن يغيروا آراءهم ويدّعوا أن الحياة قد نشأت على اليابسة؛ لأن البيئة الوحيدة التي كان من الممكن أن تحمي الأحماض الأمينية من الأشعة فوق البنفسجية هي المحيطات والبحار. فعلى اليابسة سيتم تدميرها بفعل الأشعة فوق البنفسجية، كما أن مبدأ شاتوليبيه يدحض ادعاء تكوين الحياة في البحر. وهذه ورطة أخرى تواجه دعاة التطور.

جهد آخر يائس : تجربة فوكس

ولمواجهة التحدي المذكور أعلاه، بدأ دعاة التطور في اختراع سيناريوهات غير واقعية حول مشكلة الماء هذه التي كانت كفيلة بدحض نظريتهم تماما. وقام فوكس، الذي كان من ضمن أشهر باحثي التطور، بتقديم النظرية الآتية لحل هذه المشكلة. فوفقاً لفوكس، لا بد أن تكون الأحماض الأمينية الأولى قد جُرّتْ إلى بعض هضاب قريبة من بركان بعد تكوينها مباشرة في المحيط البدائي، ولا بد أن الماء الموجود في هذا الخليط الذي تضمن الأحماض الأمينية الموجودة على الهضاب قد تبخر عندما ارتفعت درجة الحرارة فوق درجة الغليان. وهكذا كان بإمكان الأحماض الأمينية التي جفت أن تتجمع لتكوين البروتينات.

ومع ذلك، لم تلقَ هذه الطريقة المعقدة للخروج من المأزق قبولاً لدى كثير من الناب، لأن الأحماض الأمينية لم تكن لتتحمل مثل هذه الدرجات من الحرارة ؛ ذلك أن البحوث أثبتت أن الأحماض الأمينية تتدمر كلياً عند درجات الحرارة العالية.

ولكن فوكس لم ييأس، فقد استطاع أن يحقق اتحاد الأحماض الأمينية المنقّاة في المختبر تحت ظروف خاصة جداً من خلال تسخينها في بيئة جافة، ولكن ذلك لم ينتج البروتينات. وفي الواقع، لم يحصل فوكس سوى على حلقات بسيطة وغير منظمة من الأحماض الأمينية التي اتحدت مع بعضها البعض



نجح سيدني فوكس وعدد آخر من الباحثين باستخدام تقنيات تدفئة خاصة في ربط الأحماض الأمينية بعضها البعض وهي التي أطلق عليها مسمى ,,البروتينات" وذلك في ظل ظروف لم تكن موجودة على الإطلاق في العصور البدائية. وعلى الرّغم من ذلك فهذه البروتينات لا تتشابه بأي حال من الأحوال مع البروتينات في ترتيبها الدقيق في الكائنات الحية. فهذه البروتينات التي كونها فوكس عبارة عن بقع غير مرتبة لا تصلح لأي شيء. وحتى لو ثبت صحة ما يزعمونه من أن هذه الجزيئات قد حدثت و تكونت في العصور الأولي فإنه يستحيل تجزيئها.

المادة غير الحية لا تستطيع أن تولد حياة

لقد أجرى دعاة التطور عدداً من التجارب (مثل تجربة ميلر وتجربة فوكس) ليثبتوا ادّعاءهم بأن المادة غير الحية تستطيع أن تنظم نفسها وتكوّن كائناً حياً معقداً. وهذا الادعاء غير علمي أبداً؛ ذلك أن كل ملاحظة وتجربة أثبتت دون جدال أن المادة لا تمتلك مثل هذه المقدرة. ويذكر السير فريد هويل، الفلكي وعالم الرياضيات المشهور، أن المادة لا تستطيع أن تنتج الحياة بنفسها بدون تدخل مقصود:

"لو فرضنا –جدلاً– أن هناك مبدأ أساسياً للمادة استطاع بطريقة ما أن يقود نظماً عضوية نحو الحياة، فيجب أن يكون من السهل إثبات وجوده في المختبر. ويستطيع المرء –على سبيل المثال– أن يأخذ بركة السباحة كمثال على الخليط البدائي. املأ البركة بأية كيماويات تشاء من تلك التي ليس لها طبيعة بيولوجية. ضخ أية غازات فوقها أو خلالها (كما تشاء) ثم سلط عليها أي نوع من أنواع الإشعاع يستهويك. دع التجربة تستمر لمدة سنة وراقب كم من تلك الإنزيمات البالغ عددها 2000 إنزيم (بروتينات تنتجها الخلايا الحية) ظهرت في البركة. سأوافيك بالإجابة كي أوفّر عليك الزمن والمشقة والنفقات اللازمة للقيام بهذه التجربة في الواقع. إنك لن تجد شيئاً أبداً، ربما باستثناء وحلٍ مقطرن مكون من أحماض أمينية وكيماويات عضوية بسيطة أخرى"(1).

ويعترف أندرو سكوت، عالم الأحياء المناصر للتطور، بنفس الحقيقة على النحو الآتي:

"خذ مادة ما، سخنها أثناء تحريكها وانتظر. هذه هي النسخة الحديثة للنشوء. ويفترض من القوى الأساسية للجاذبية والكهرطيسية والقوى النووية القوية والضعيفة أن تقوم بالباقي... ولكن كم من هذه الحكاية المنسقة قد تم إثباته بحسم وكم منها يبقى تخميناً متفائلاً؟ في الحقيقة، إن آلية كل خطوة مهمة تقريباً –من النذر الكيميائية إلى أول الخلايا التي يمكن التعرف عليها– هي موضوع قابل للجدل أو موضوع محيّر تماماً"(2).

1.Fred Hoyle, The Intelligent Universe, New York, Holt, Rinehard & Winston, 1983, p. 256
2. Andrew Scott, "Update on Genesis" , New Scientist, vol. 106, May 2nd, 1985, p. 30

قسراً، وكانت هذه الحلقات بعيدة عن الشبه بأي بروتين حي. وبالإضافة إلى ذلك، لو احتفظ فوكس بالأحماض الأمينية عند درجة حرارة مستقرة فإن تلك الحلقات غير المفيدة كانت ستنحل أيضا. (124)

وهناك نقطة أخرى أبطلت التجربة؛ ألا وهي أن فوكس لم يستخدم الناتج النهائي غير المفيد الذي يتم الحصول عليه في تجربة ميلر، بل استخدم أحماضاً أمينية نقية من كائنات حية. ولكن كان على هذه التجربة التي قُصد منها أن تكون امتداداً لتجربة ميلر أن تبدأ من النتائج التي حققها ميلر. ومع ذلك، فلا فوكس ولا أي باحث آخر استخدم الأحماض الأمينية غير المفيدة التي أنتجها ميلر. (125)

ولم تلقَ تجربة فوكس قبولاً إيجابياً ولا حتى لدى أوساط دعاة التطور؛ لأنه كان واضحاً أن سلاسل الأحماض الأمينية (نظائر البروتينات) «pro-teinoids» عديمةَ الجدوى التي حصل عليها فوكس لم تكن لتتكون في ظروف طبيعية. وبعد ذلك كله، ما زال من غير الممكن إنتاج البروتينات التي هي وحدات الحياة. وهكذا، ظلت مسألة أصل البروتينات معلقة. وفي مقالة نُشرت في المجلة العلمية الرائجة في السبعينيات، أخبار الهندسة الكيميائية (Chemical Engineering News)، ورد ذكر تجربة فوكج على النحو الآتي:

استطاع سدني فوكس والباحثون الآخرون أن يحققوا اتحاد الأحماض الأمينية في شكل نظائر بروتينات باستخدام تقنيات تسخين خاصة جداً في ظروف لم تكن في الواقع موجودة أبداً في مراحل الأرض البدائية، كما أنها لم تكن مشابهة أبداً للبروتينات المنظمة جداً الموجودة في الكائنات الحية. فهي لم تكن سوى بقع غير منتظمة وعديمة الفائدة. وقد ذُكر بوضوح أنه حتى إذا كانت مثل هذه الجزيئات قد تكونت في العصور الأولى فإنها كانت ستتدمر بكل تأكيد. (126)

لقد كانت نظائر البروتينات التي أنتجها فوكس -في الواقع- مختلفة تماماً عن البروتينات الحقيقية من حيث البنية والوظيفة. ويشبه الفرق بين البروتينات ونظائر البروتينات الفرق بين إحدى المعدّات التكنولوجية المتقدمة وكومة من المادة الخام غير المعالجة.

وبالإضافة إلى ذلك لم تتوفر أية فرصة لهذه الأحماض الأمينية كي تبقى حية في الجو البدائي؛ إذا أن التأثيرات المادية والكيميائية الضارة والمدمرة التي يسببها التعرض الشديد للأشعة فوق البنفسجية والظروف الطبيعية غير المستقرة ستجعل نظائر البروتينات تلك تنحل. ووفقاً لمبدأ شاتولييه، كان من المستحيل بالنسبة لهذه الأحماض الأمينية أن تتحد في الماء حيث لن تصلها الأشعة فوق البنفسجية. ونظراً لذلك، فقدت الفكرةُ القائلة بأن نظائر البروتينات كانت تشكل أساس الحياة تأييدَ العلماء في نهاية المطاف.

الجزيء المعجزة: الحمض النووي الصبغيDNA

لقد أوضحت دراساتنا عند المستوى الجزيئي حتى الآن أن دعاة التطور في مأزق كبير على المستوى الجزيئي، ومن ناحية أخرى لم يستطيعوا إلقاء الضوء على تكوين الأحماض الأمينية أبداً. أما تكوين البروتينات فبقي لغزا قائما في حد ذاته. ولكن المسألة لم تعد قاصرة فقط على الأحماض الأمينية والبروتينات؛ إذ أن هذين يشكلان البداية فقط، وحتى بتجاوزهما فإن التركيب المحكم للخلية يقود دعاة التطور إلى مأزق كبير، والسبب في ذلك هو أن الخلية ليست مجرد كومة من البروتينات المركبة من أحماض أمينية؛ إنها آلية حية لديها مئات النظم المتطورة، وهي من التعقيد بمكان بحيث يصبح الإنسان عاجزاً عن حل سرها. وبعيداً عن النظم المعقدة فإن دعاة التطور عاجزون حتى عن تفسير تكوين الوحدات الأساسية للخلية.

وفي حين عجزت نظرية التطور عن توفير تفسير مترابط لوجود الجزيئات التي هي أساس بنية الخلية، فإن التطورات التي طرأت على علم الوراثة واكتشاف الأحماض النووية (الحمض النووي الصبغي "DNA" والحمض النووي الريبي ("RNA" قد أظهرت مشاكل جديدة تماماً لنظرية التطور. ففي عام 1955 استهلّت أعمال العالِمَين، جيمس واتسون وفرانسيج كريك، عصراً جديداً في عالم الأحياء، لذا توجه الكثير من العلماء ببحوثهم نحو علم الأحياء،واليوم وبعد سنوات من البحوث، تم اكتشاف بنية الحمض النووي الصبغي بدرجة كبيرة.

ويحتوي الجزئ المسمى بالحمض النووي الصبغي (الموجود في كل نواة من المئة تريأتيون خلية في جسم الإنسان) على خريطة كاملة لبناء الجسم البشري. إذ أن المعلومات الخاصة بجميع صفات الإنسان (من المظهر الجسدي إلى بنية الأعضاء الداخلية) مسجلة في الحمض النووي الصبغي بواسطة نظام تشفير خاف. ويتم تشفير المعلومات الموجودة في الحمض النووي الصبغي في إطار تتابع اربع جزيئات خاصة بتسلسل خاف. وتسمى هذه الجزيئات ب النيكلوتايد أو القاعدة وترمز لها بالحروف الأولى من أسمائها«A, T, G, C» . وتعتمد جميع الاختلافات التركيبية بين الناب على التنوعات الموجودة في تتابع هذه الحروف، ويعد هذا نوعاً من أنواع بنوك المعلومات المكوَّنة من أربعة حروف.

ويحدد الترتيب التتابعي للحروف في الحمض النووي الصبغي تركيب الإنسان نزولاً إلى أصغر التفاصيل. وبالإضافة إلى الملامح (مثل الطول والعين والشعر ولون البشرة) فإن الحمض النووي الصبغي للخلية الواحدة يحتوي أيضا على تصميم 206 عظمة، و600 عضلة، وشبكة مكونة من 10,000 عضلة سمعية، وشبكة مكونة من مليونَي عصب بصري، و100 بليون خلية عصبية، و130 بليون متراً من الأوردة الطويلة، و100 تريأتيون خلية في الجسم! وإذا أردنا أن نكتب المعلومات المشفَّرة في الحمض النووي الصبغي فسيعني هذا أننا نريد تأليف مكتبة عملاقة تحوي 900 مجلد من الموسوعات يتألف كل مجلد منها من 500 صفحة! إن هذا القدر الغزير من المعلومات المشفَّرة موجود في مكوّنات الحمض النووي الصبغي المسماة بالجينات.

لماذا لا يمكن أن ينشأ الحمض النووي الصبغي مصادفة؟

لا بد من الانتباه –عند هذه النقطة– إلى قضية تفصيأتية دقيقة؛ ألا وهي أن أي خطأ في ترتيب النيوكليوتيد الذي تتكون منه الجينة سيجعلها عديمة الفائدة تماماً. وعند الأخذ في الاعتبار أنه يوجد مئتا ألف جينة في الجسم البشري، يتضح أكثر أن من المستحيل لملايين النيوكليوتيدات المكوِّنة لهذه الجينات أن تتجمع بمحض الصدفة بالترتيب الصحيح. ويعلّق عالم الأحياء التطوري، فرانك سالزبيري، على هذه الاستحالة بقوله:

يضم البروتين متوسط الحجم نحو 300 حمض أميني. وتحوي سلسلة جينات الحمض النووي الصبغي المتحكمة في هذه الأحماض نحو 1000 نيوكليوتيدة. ونظراً لوجود أربعة أنواع من النيوكليوتيدات في سلسلة الحمض النووي الصبغي فيمكن لسلسلة واحدة منها مكونة من 1000 حلقة أن تتواجد في عدد من الأشكال يساوي (4^{1000}) شكلا– أي 4 أُس ألف– وباستخدام قليل من اللوغاريتمات) نجد أن 4^{1000} يساوي رقما هائلا لا يستطيع الخيال الإنساني إدراكه).(127)

يوجد في الجسم 10 تريليون خلية، وفي كل نواة من نوايا كل واحدة يوجد جزيء يسمى دي أن آي DNA ، وجسم الإنسان يحتوي على بنية نظامية خالية من كل نقص. وجميع المعلومات المتعلقة بشخص ما من المظهر الخارجي وحتى الأعضاء الداخلية مسجلة بشفرة خاصة داخل DNA.

ونعرف باستعمال اللوغاريتمات أن رقم 4^{1000} يساوي 10^{600} أي الرقم واحد وأمامه ستمائة صفر، وهو رقم هائل خارج إدراكنا. إذا كان هذا الرقم يُشكَّل عن طريق إضافة 600 صفر إلى الرقم 1, وبما أن الرقم 10 وبعده 11 صفراً يشير إلى التريأتيون، فإن من الصعب علينا إدراك الرقم المكون من 600 صفر بعد الواحد. وقد قام العالم الفرنسي بول أوجر بالتعبير عن استحالة تكوين الحمض النووي الصبغي والحمض النووي الريبي بتجمع النيوكليوتيدات بمحض الصدفة بالطريقة الآتية:

علينا أن ندرك بوضوح تام الفرق بين مرحلتين من مراحل التكوين العَرَضي للجزيئات المعقدة، مثل النيوكلوتيدات، نتيجة الأحداث الكيميائية. وتتمثل هاتان المرحلتان في إنتاج النيوكلوتيدات الواحدة تلو الأخرى، وهذا أمر ممكن، وفي اتحاد هذه النيوكلوتيدات في تتابع خاف جداً، وهذا أمر مستحيل بالتأكيد. (128)

وحتى فرانسيس كريك، الذي آمن بنظرية التطور الجزيئي لسنين عدة، اعترف لنفسه بعد اكتشاف الحمض النووي الصبغي أن مثل هذا الجزيء المعقد لا يمكن تكوينه عفوياً بمحض الصدفة نتيجة لعملية تطورية:

لا يستطيع الرجل الصادق المسلح بكل المعلومات المتوفرة لدينا الآن سوى أن يعلن –بطريقة ما– أن ظهور أصل الحياة في الوقت الحاضر يكاد يكون معجزة. (129)

وقد اضطر العالم التركي التطوري علي ديميرسوي، أن يدلي بالاعتراف الآتي حول هذا الموضوع:

في الحقيقة، تعتبر احتمالية تكوين بروتين وحمض نووي (الحمض النووي الصبغي والحمض النووي الريبي) احتمالية بعيدة جدا عن التحقق. أما فرصة ظهور سلسلة بروتينية معينة فهي من الضآلة بمكان بحيث يمكن القول عنها إنها فلكية. (130)

ويبرز عند هذه النقطة مأزق مثير جداً؛ ألا وهو: في حين أن الحمض النووي الصبغي لا يتكرر إلا بمساعدة بعض الإنزيمات، وهي البروتينات في الواقع، فإن تصنيع هذه الإنزيمات لا يمكن أن يتم سوى عن طريق المعلومات المشفَّرة في الحمض النووي الصبغي. وبما أن كلاً منهما يعتمد على الآخر، فإما أن يكونا موجودَين في نفس الوقت من أجل عملية التكرار أو أن يكون أحدهما قد خُلِق قبل الآخر!

ويعلق عالم الأحياء المجهرية الأمريكي جاكبسون على هذا الموضوع بقوله:

إن التوجيهات اللازمة من أجل إعادة إنتاج الخطط، ومن أجل الطاقة ومن أجل استخراج الأجزاء من البيئة الحالية، ومن أجل تسلسل النمو، ومن أجل آلية الاستجابة التي تترجم الأوامر إلى نمو... كان لا بد من وجودها جميعاً في نفس الوقت في تلك اللحظة (أي عندما بدأت الحياة). وقد بدا هذا الاتحاد بين الأحداث غير محتمَل بدرجة لا تصدَّق وكثيراً ما كان يُعزى إلى تدخل إلهي. (131)



نموذج جزيء الــ DNA
ويظهر كذلك واتسون وكريك.

وقد كتب الاقتباس المذكور أعلاه بعد سنتين من كشف جيمس واتسون و فرانسيس كريك لتركيب الحمض النووي الصبغي. ولكن على الرغم من كل التطورات التي حدثت في مجال العلوم لا تزال هذه المشكلة تبحث عن حل لدى دعاة التطور. وقد شرح عالمان ألمانيان، وهما جونكر وشيرر، أن تصنيع كل جزيء من الجزيئات المطلوبة من أجل التطور الكيميائي يتطلب ظروفاً متميزة، وأن الاحتمالية النظرية لتركيب هذه المواد التي يتم الحصول عليها بأساليب مختلفة جداً تساوي صفراً:

لا توجد –حتى الآن– أية تجربة نستطيع من خلالها الحصول على جميع الجزيئات الضرورية للتطور الكيميائي. لذا، من الضروري أن يتم إنتاج جزيئات متنوعة في أماكن مختلفة في ظروف ملائمة جداً ثم يتم حملها إلى مكان آخر من أجل التفاعل، مع حمايتها من العناصر الضارة مثل الانحلال المائي والتحلل الضوئي. (132)

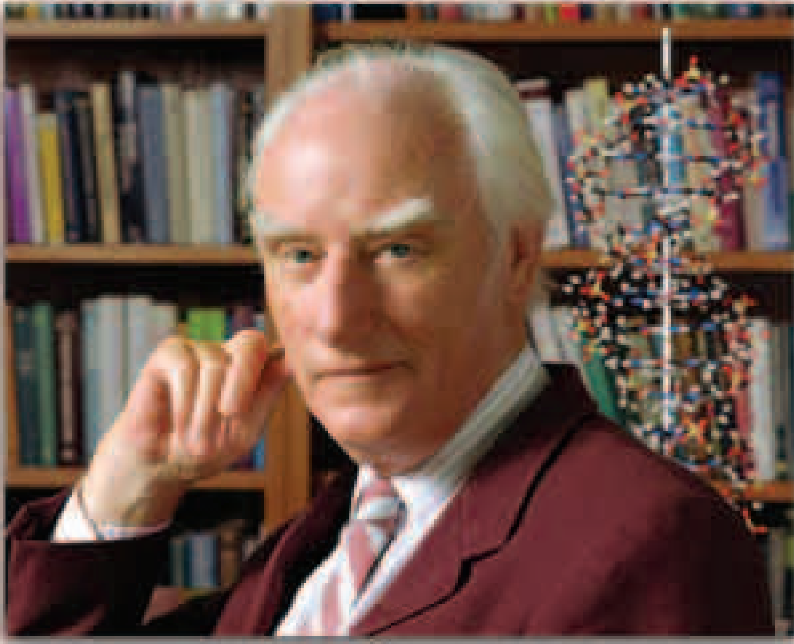
وباختصار، تقف نظرية النشوء والتطور عاجزة عن إثبات أية مرحلة من المراحل التطورية المفترَض حدوثها عند المستوى الجزيئي. وبدلاً من أن يقدم التقدم العلمي إجابات لمثل هذه الأسئلة، أدى إلى جعل هذه الأسئلة أكثر تعقيداً ولا سبيل للخلاف منها.

ومن الأمور المثيرة أن دعاة التطور يعتقدون في صحة جميع تلك السيناريوهات المستحيلة، وكأن كل واحدة منها تشكل حقيقة علمية. وبما أن دعاة التطور مكيَّفون على إنكار الحقيقة، فليج أمامهم أية فرصة سوى الاعتقاد في المستحيل. وقد تعرض لهذا الموضوع عالم الأحياء الأسترالي الشهير، مايكل دنتون، في كتابه الذي يحمل عنوان: التطور: نظرية في أزمة (Evolution: A Theory in Crisis) بقوله:

بالنسبة للشخج المتشكك، فإن الفكرة القائلة بأن البرامج الجينية للكائنات الحية العليا (المكوَّنة من ما يقرب من ألف مليون معلومة، والمكافئة لتتابع حروف ألف مجلد في مكتبة صغيرة، والمتضمَّنة في شكلٍ مشفَّر مكون من آلاف مؤلفة من الرموز التلغرافية المعقدة التي توجه وتحدد وتأمر بالنمو، وكذلك بتكون بلايين وبلايين من الخلايا في شكل كائن حيٍ معقد)، القول بأن هذه البرامج الجينية قد تكونت بعملية عشوائية بحتة تعد إساءة للعقل. ولكن بالنسبة للدارونيين، تعتبر هذه الفكرة مقبولة دون أية ذرة من شك! (133)

محاوِلة أخرى غير مجدية لدعاة التطور: عالَم الحمض النووي الريبي

إن الاكتشاف الذي حدث في السبعينيات (والمتمثل في أن الغازات الموجودة أصلاً في جو الأرض البدائي تجعل تكوين الحمض الأميني مستحيلاً) قد كان ضربة كبيرة لنظرية التطور الجزيئي. واتضح –فيما بعد– أن تجارب الجو البدائي التي أجراها دعاة التطور من أمثال ميلر وفوكس كانت خاطئة، ولهذا السبب ظهرت في الثمانينيات محاولات جديدة لدعاة التطور. ونتيجة لتلك المحاولات، تم تقديم سيناريو عالَم الحمض النووي الريبي (The RNA World) الذي يقترح أن البروتينات لم تتكون أولاً، بل إن جزيئات الحمض النووي الريبي التي تحوي المعلومات الخاصة بالبروتينات هي التي تكونت أولاً



البروفيسور فرانسيس كريك : " إن الحياة لا يمكن أن تكون قد ظهرت إلا بواسطة معجزة".

ووفقاً لهذا السيناريو (الذي قدمه في عام 1986 وولتر غي
قبل بلايين السنين بطريقة ما أن يتكاثر ذاتياً ويتكون بمحض الصد
أصبح من الضروري أن تخزَّن هذه المعلومة في جزيء ثان، وبطريق

ونظراً لتكونه من سلسلة من المستحيلات في كل مرحلة م
وإثارة أسئلة كثيرة لا خلاص منها بدلاً من أن يقدم تفسيراً لأصل

1- فعندما يكون من المستحيل تفسير التكوين العَرَضي ول
-إذن- لهذه النيوكليوتيدات المتخيَّلة أن تكوّن الحمض النووي ال
هورغان، باستحالة تكوين الحمض النووي الريبي بالمصادفة كما

كلما استمر الباحثون في دراسة مبدأ عالَم الحمض النو:
في البداية؟ فمن الصعب تكوين الحمض النووي الريبي ومركباته في المختبر في أفضل الظروف، فكيف -إذن- تمّ ذلك في ظروف معقولة؟ (134)

2- حتى إذا افترضنا أن تكوينه قد تم بمحض الصدفة، فكيف استطاع هذا الحمض النووي الريبي المكون من مجرد سلسلة نيوكليوتيدية أن يقرر تكرار نفسه ذاتياً، وبأي نوع من أنواع الآليات كان يمكنه أن يحقق هذا التكرار الذاتي؟ وأين وَجَد النيوكليوتيدات التي استخدمها أثناء التكرار الذاتي؟ إنه أمر مستحيل لدرجة أن عالِمَي الميكروبات الداعييَن للتطور، جيرالد جويس وليزلي أورغال، يعبّران عن يأسهما من هذا الموضوع في كتابهما الذي يحمل عنوان: في عالَم الحمض النووي الريبي (In the RNA World) :

إن النقاش متركز في نقطة لا يمكن الخروج منها ابدا...إنه حول ظهور RNA السحري الذي يستطيع استنساخ نفسه... ظهوره من وسط حساء من ال بوليتيكلوتيد المعقد جدا ...وهذا الأمر ليس ضد علم الكيمياء فقط، بل يهدم أيضا فكرتنا المتفائلة من أن RNA جزيئة تستطيع استنساخ نفسها بنفسها.(135)

3-حتى إذا افترضنا وجود تكرار ذاتي للحمض النووي الريبي (RNA) في العالم البدائي ووجود أحماض أمينية عديدة من كل نوع جاهزة ليستخدمها الحمض النووي الريبي، وأن جميع هذه المستحيلات حدثت بطريقة ما، فلا يزال الموقف غير مؤهل لأن يؤدي إلى تكوين بروتين واحد. ذلك أن الحمض النووي الريبي لا يشتمل إلا على المعلومات الخاصة بتركيب البروتينات، أما الأحماض الأمينية فهي مواد خام. وعلى الرغم من ذلك، لا توجد آلية لإنتاج البروتينات. وإذا اعتقدنا أن مجرد وجود الحمض النووي الريبي كافٍ لإنتاج البروتين فإن هذا الاعتقاد يكون بلا معنى، تماماً مثل أن نتوقع تجميع سيارة ذاتياً وإنتاجها ذاتياً -بكل بساطة- بمجرد القذف بتصميمها المرسوم على الورق على الآلاف من أجزائها المكومة بعضها فوق بعض. وفي هذه الحالة أيضاً، يكون الإنتاج أمراً غير وارد نظراً لعدم وجود واشتراك المصنع أو العمال في هذه العملية.

ويتم إنتاج البروتين في المصنع الريبوسومي بمساعدة إنزيمات كثيرة ونتيجة عمليات معقدة للغاية تحدث داخل الخلية. والريبوسوم (ribosome) عبارة عن جزيء عضوي خلوي معقد يتكون من البروتينات. إذن، ينشئ هذا الوضع افتراضاً آخر غير معقول بأن الريبوسوم -أيضاً- كان يجب أن ينشأ بمحض الصدفة في الوقت نفسه. وحتى جاك مونود، الحائز على جائزة نوبل والذي يعد من أكثر المدافعين عن التطور تعصباً، يوضح أن تصنيع البروتين لا يمكن بأي حال الاستخفاف به إلى حد افتراق اعتماده فقط على المعلومات الموجودة داخل الأحماض النووية، فهو يقول:

تفقد الشفرة (الموجودة في DNA وفي RNA) معناها إذا لم تتم ترجمتها. وتتكون آلية الترجمة المعاصرة الخاصة بالخلية من عدد لا يقل عن خمسين مركباً كبير الجزيئات يتم تشفيره -بدوره- في الحمض النووي الصبغي(DNA)؛ إذ لا يمكن ترجمة الشفرة ونقلها بدون هذه المركبات. ولكن متى وكيف أُقفلت هذه الدائرة المفرغة ؟ من الصعب جدا مجرد تخيل ذلك. (136)

ولكن كيف يمكن لسلسلة الحمض النووي الريبي في العالم البدائي أن تتخذ مثل هذا القرار؟ وما هي الوسائل التي كانت تستطيع استخدامها لإنتاج البروتين من خلال القيام بمهمة خمسين جسيماً متخصصاً بدون أية مساعدة؟ لا يملك دعاة التطور إجابة على هذه الأسئلة

وقد قامت الدكتورة لزلي أورغل، وهي إحدى مساعدات ستانلي ميلر وفرانسيچ كريك من جامعة سان دييغو بكاليفورنيا، باستخدام تعبيرسيناريو لوصف ظهور الحياة من خلال عالم الحمض النووي الريبي ووصفت أورغل نوعية السمات التي كان على هذا الحمض أن يتميز بها ومدى استحالة حدوث ذلك في مقالها الذي يحمل عنوان: أصل الحياة (The Origin of Life) المنشور في مجلة العالِم الأمريكي (American Scientist) في تشرين الأول (أكتوبر) عام 1994:

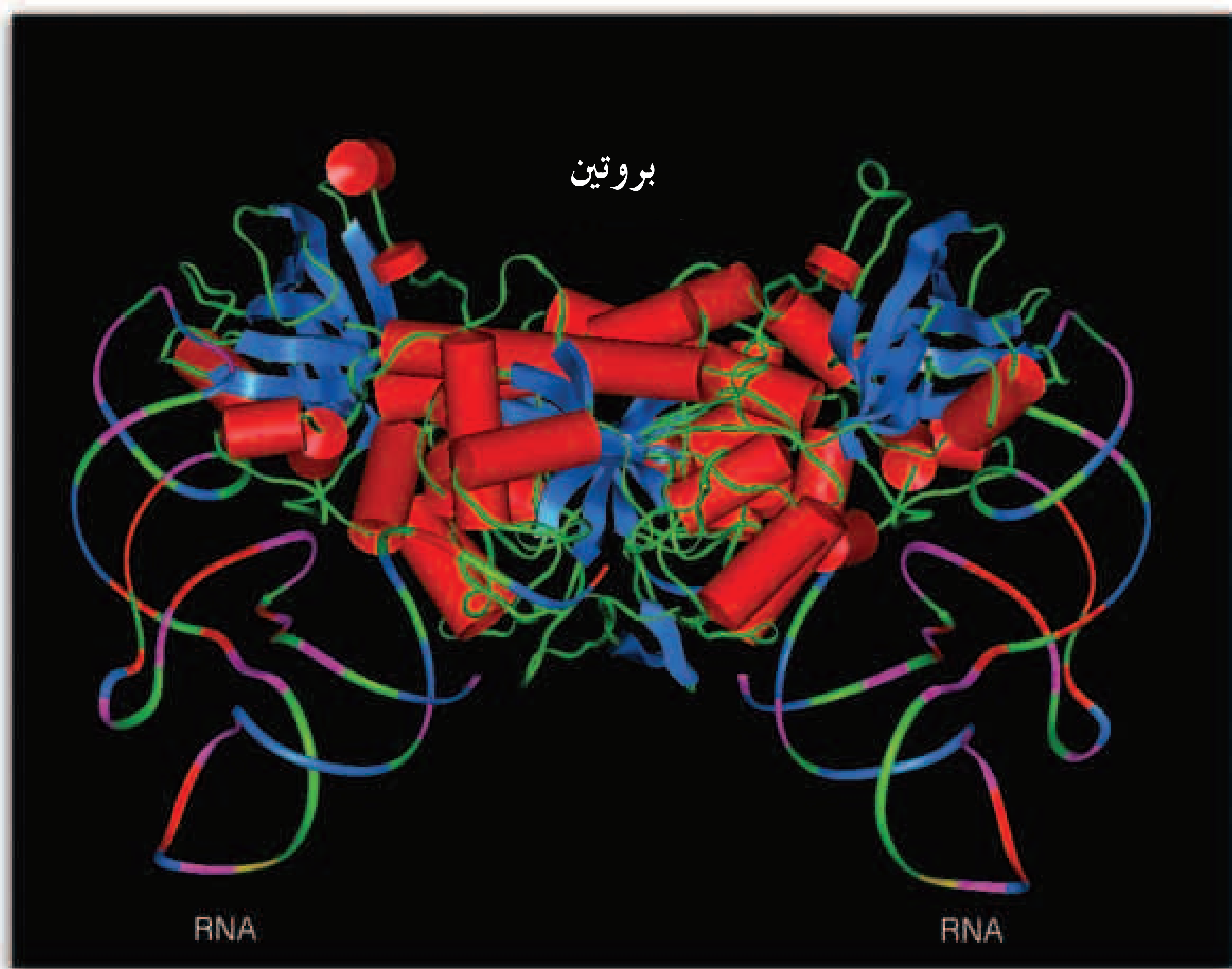
لقد أشرنا –من قبل– إلى أن هذا السيناريو كان يمكن حدوثه لو توفر للحمض النووي الريبي الذي سبق ظهور الحياة العضوية خاصتان مجهولتان اليوم هما: المقدرة على التكرار بدون مساعدة البروتينات، والمقدرة على تحفيز كل خطوة من خطوات عملية تركيب البروتين وتكوينه.(137)

ويجب أن يكون واضحاً أن توقع هاتين العمليتين المعقدتين والحيويتين إلى أقصى حد من جزيء مثل الحمض النووي الريبي لا يحدث إلا من خلال قوة مخيلة أحد دعاة التطور ووجهة نظره. ومن ناحية أخرى، تبين الحقائق العلمية الملموسة بكل وضوح أن فرضية عالَم الحمض النووي الريبي التي هي نموذج جديد قُدِّم لتبرير مسألة تكوّن الحياة مصادفةً هي أيضاً خرافة غير معقولة على حد سواء.

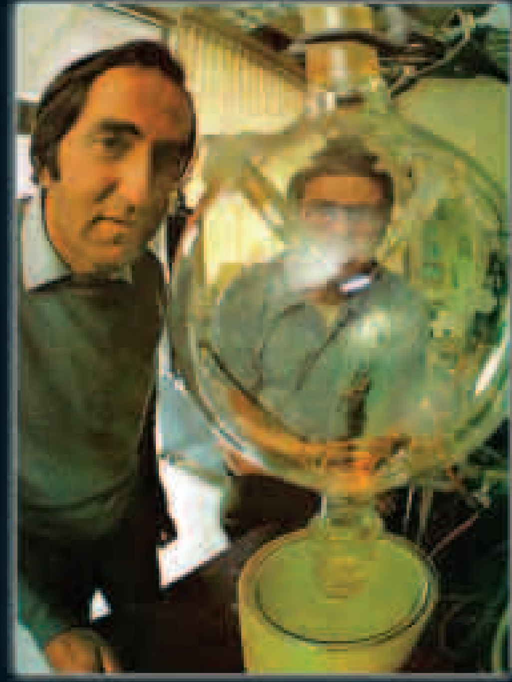
الحياةُ حقيقةٌ أعظم كثيراً من مجرد كونها كومة جزيئات

دعونا نغض الطرف لبرهة عن جميع المستحيلات ونفترض أن جزيء البروتين قد تكوّن فعلاً في أشد البيئات بعداً عن الملاءمة وفي ظل ظروف خارجة عن نطاق السيطرة مثل ظروف الأرض البدائية. وهنا هذه الحقيقة الكبيرة: إن تكوين بروتين واحد لن يكون كافياً؛ ذلك أن هذا البروتين سيضطر إلى الانتظار بصبر لآلاف – بل وربما لملايين– السنين في هذه البيئة الخارجة عن نطاق السيطرة وبدون أن يطرأ عليه أي تلف حتى يتكون جزيء آخر إلى جانبه بمحض الصدفة تحت الظروف نفسها. وسيضطر –أيضاً– إلى الانتظار حتى تتكون ملايين البروتينات الصحيحة والضرورية جنباً إلى جنب في نفس المحيط... على أن يتم كل ذلك مصادَفَة !! وسيكون لزاماً على تلك البروتينات – التي تكونت من قبل– أن تتحلى بالصبر دون أن يصيبها التلف، على الرغم من وجود الأشعة فوق البنفسجية والتأثيرات الميكانيكية القاسية، لكي تتكون بروتينات أخرى إلى جانبها مباشرة. وبعد ذلك، ينبغي على هذه البروتينات الموجودة بكميات ملائمة، والتي نشأت جميعها في نفس الموقع بالضبط، أن تجتمع لتقوم باتحادات مُجدية وتكوّن الجزيئات العضوية للخلية. ويجب ألا تتدخل في هذه الجزيئات العضوية أية مادة دخيلة، أو جزيء ضار، أو سلسلة بروتينية عديمة الفائدة... وبعدئذ، حتى إذا قدر لتلك الجزيئات العضوية أن تجتمع بطريقة متجانسة ومتعاونة إلى أقصى حد وفقاً لخطة وترتيب، يجب عليها أن تصطحب إلى جانبها جميع الإنزيمات الضرورية وتغطي نفسها بغشاء خلوي، على أن يكون محيطه الداخلي مملوءاً بسائل خاص لكي يوفر لها البيئة المثلى. ولكن حتى إذا حدثت –فعلياً– كل هذه الأحداثغير المحتمَلة بدرجة عالية جداً مصادَفَة، هل ستدب الحياة في هذه الكومة؟

الجواب هو: ؛ لأن البحوث قد أوضحت أن مجرد اتحاد جميع المواد الضرورية للحياة لا يكفي لكي تبدأ الحياة. وحتى إذا جُمعت كل البروتينات



اعترافات من دعاة التطور


البروفيسور لسلسي أوركل: "من غير الممكن تكوّن الحياة بطريقة كيميائية".

توضّح حسابات الاحتمالات أن الجزيئات المعقدة مثل البروتينات والأحماض النووية (الحمض النووي الصبغي والحمض النووي الريبي) ما كان من الممكن تكوينها بالصدفة دون الاعتماد على بعضها البعض. ومع ذلك، يجب على دعاة التطور أن يواجهوا المشكلة الأكبر؛ ألا وهي أن على جميع هذه الجزيئات المعقدة أن تتعايش معاً في نفس الوقت من أجل حدوث الحياة أصلاً. ويسبب هذا المتطلب إرباكاً كاملاً لنظرية التطور، وقد أجبرت هذه النقطة بعض دعاة التطور على الاعتراف بها. فعلى سبيل المثال، تقول المساعِدة المقربة لستانلي ميلر وفرانسيس كيريك والعاملة بجامعة سان دييغو بكاليفورنيا، داعية التطور ذائعة الصيت الدكتورة لزلي أورجل:

«إن من غير المحتمل إلى أقصى حد أن البروتينات والأحماض النووية، التي تتسم كل منها بتركيب معقد، قد نشأت تلقائياً في نفس المكان وفي نفس الوقت، كما يبدو من المستحيل أيضاً أن يوجد أحدهما دون الآخر. وعلى ذلك، قد يضطر المرء لأول وهلة أن يستنتج أن الحياة ما كان يمكن أن تكون قد نشأت –في الحقيقة– بوسائل كيميائية»(1).

ويقر علماء آخرون بنفس هذه الحقيقة أيضاً:

«لا يستطيع الحمض النووي الصبغي أن يؤدي عمله، بما في ذلك تكوين مزيد من الأحماض النووية الصبغية، دون مساعدة بروتينات أو إنزيمات محفزة. وباختصار، لا يمكن أن تتكون البروتينات بدون حمض نووي صبغي، ولكن الحمض النووي الصبغي لا يمكن أن يتكون بدون بروتينات!»(2).

«ولكن كيف نشأت الشفرة الجينية إلى جانب آلياتِ ترجمتها (الريباسات وجزيئات الحمض النووي الريبي)؟ في الوقت الحاضر، سنضطر أن نقنع أنفسنا بإحساس من الدهشة والرهبة، بدلاً من الإجابة»(3).

1. Leslie E. Orgel, "The Origin of Life on Earth", Scientific American ,vol 271, October 1994, p. 78.
2. John Horgan, "In the Begining", Scientific American, vol. 264, February 1991, p. 119.
3. Douglas R. Hofstadter, Godel, Escher, Bach: An Eternal Golden Braid, New York, Vintage Books, 1980, p.548

الضرورية للحياة ووضعت في أنبوب اختبار فإن هذه المجهودات لن ينتج عنها خلية حية. لقد فشلت جميع التجارب التي أجريت حول هذا الموضوع؛ فقد أشارت جميع الملاحظات والتجارب إلى أن الحياة لا يمكن أن تنشأ سوى من حياة مثلها. أما التأكيد بأن الحياة قد تطورت من أشياء غير حية، وبعبارة أخرى أشياء مولَّدة ذاتيا، فما هو إلا قصة تعيش في أحلام دعاة التطور وتختلف تماماً عن نتائج كل تجربة وملاحظة.

وفي هذا الخصوف، فإن أول حياة على الأرض لا بد أن تكون قد نشأت من حياة أخرى، وهذا انعكاس لاسم الله الحي؛ إذ لا تستطيع الحياة أن تبدأ وتستمر وتنتهي إلا بمشيئته. أما بالنسبة للتطور، فإنه لم يفشل فقط في تفسير كيفية بدء الحياة، بل فشل أيضاً في تفسير كيفية تكوين المواد اللازمة للحياة واجتماعها مع بعضها البعض.

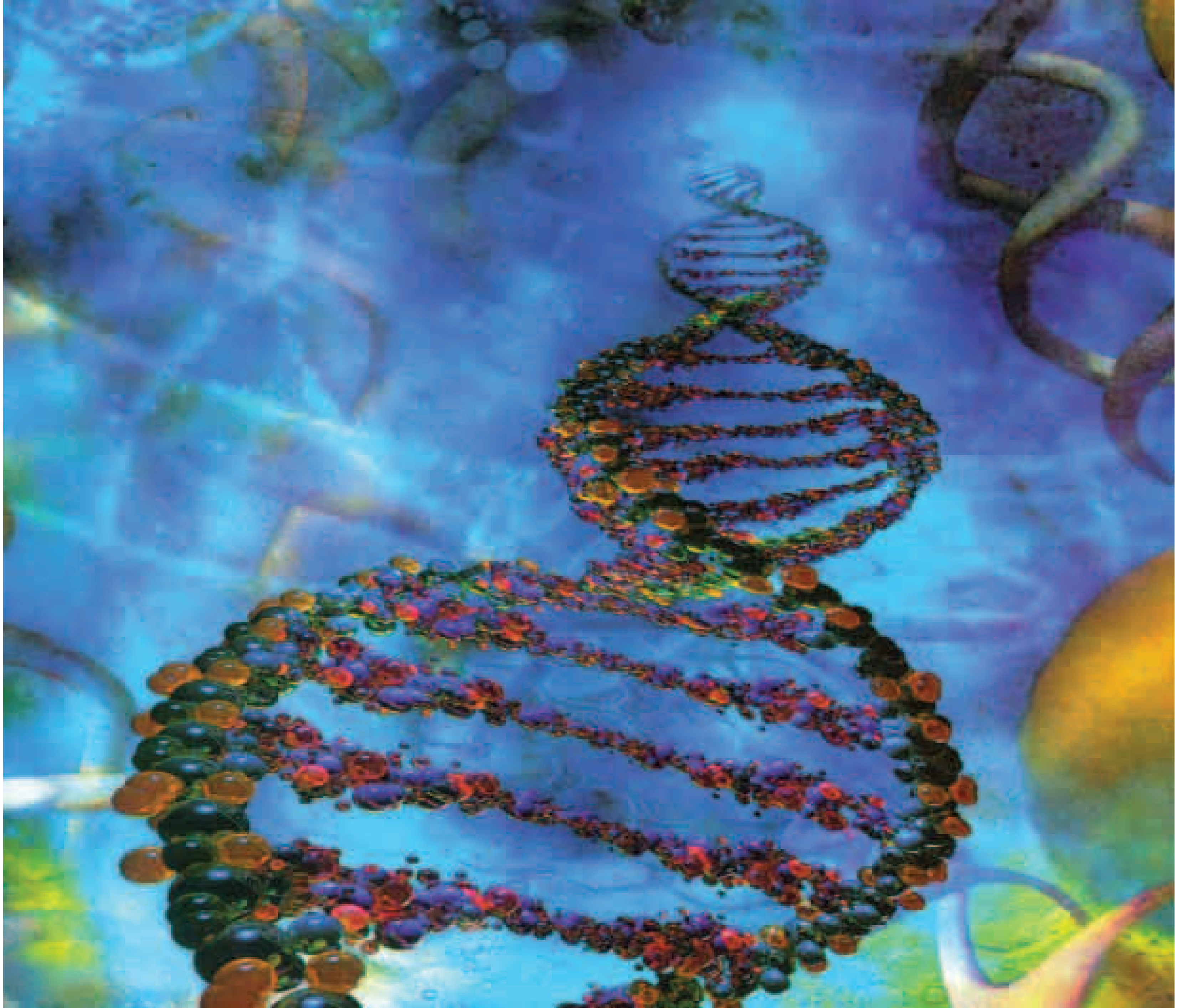
ويصف تشاندرا كراماسنغي الحقيقة التي واجهها بوصفه عالماً أحيط علماً طول حياته بأن الحياة قد ظهرت نتيجة مصادفات عرَضية بقوله:

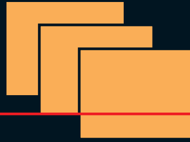
منذ بداية تدريبي كعالم، تعرض دماغي لعملية غسيل هائلة كي أعتقدَ أن العلوم لا يمكن أن تتوافق مع أي نوع من أنواع الخلق المقصود، وكان من الضروري أن تُجتثّ هذه الفكرة على نحو أليم. وفي هذه اللحظة، لا أستطيع أن أجد أية حجة عقلانية تستطيع الوقوف أمام وجهة النظر المؤمنة بالله. لقد اعتدنا أن يكون عقلنا متفتحاً، والآن ندرك أن الإجابة المنطقية الوحيدة للحياة هي الخلق، وليس الخلط العشوائي غير المقصود. (138)

رأينا في الفصل السابق مدى استحالة تكوُّن الحياة عن طريق الصدفة. ومع ذلك، فلنفترض أننا سلَّمنا بكل هذه المستحيلات: لنفترض أن خلية قد حصلت قبل ملايين السنين على كل ما تحتاجه لتعيش، وأنها حصلت على الحياة بشكل ما. مع كل هذه الافتراضات فإن نظرية التطور تنهار هنا مرة أخرى: فحتى لو عاشت هذه الخلية فترة من الزمن فإن مصيرها هو الموت عاجلاً أم آجلاً، وعندما تموت لن يبقى شيء اسمه حياة وسيعود كل شيء إلى نقطة البداية؛ ذلك لأن هذه الخلية الحية الأولى (التي ليس لديها برنامج وراثي) ما كانت لتستطيع التكاثر وما كانت -بالتالي- لتترك نسلاً جديداً بعد موتها، وبموتها كانت الحياة ستنتهي.

إن النظام الوراثي ليس عبارة عن سلسلة DNA فحسب، بل لا بد من أن توجد المكوِّنات الآتية في البيئة ذاتها: إنزيمات تستطيع قراءة شفرة الـــDNA؛ والحمض النووي الناقل RNA الذي سيتم إنتاجه بعد قراءة هذه الشفرة؛ والرايبوزوم (ribosome) الذي سيتعلق به الحمض النووي الناقل RNA حسب هذه الشفرة ليبدأ بالتكاثر؛ والحمض النووي المحوِّل RNA الذي سيحول الأحماض الأمينية إلى رايبوزوم لاستخدامها في عملية التكاثر؛ وإنزيمات معقدة التركيب جداً للقيام بالعمليات الوسيطة الكثيرة. ومثل هذه البيئة لا يمكن أن توجَد إلا في مكان معزول تماماً وتحت تحكّم وسيطرة تامة مثل الخلية، حيث توجد كل المواد الخام الضرورية وموارد الطاقة المطلوبة.

إذن المادة العضوية إنما تستطيع التكاثر إذا وُجدت في صورة خلية كاملة التطور وبها كل أعضائها، وفي بيئة مناسبة يمكنها فيها أن تحيا وتتبادل المواد وتحصل منها على الطاقة. وهذا يعني -بعبارة أخرى- أن أول خلية حية وُجدت في الكون قد وُجدت دفعة واحدة بكل تركيباتها المعقدة.





قوانين الديناميكا الحرارية تفنّد نظرية التطور

يقضي القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية (الذي يعد من القوانين الفيزيائية الاساسية) بأن كل الأنظمة يصيبها الاضطراب والخلل وتؤول إلى الخراب بمرور الزمن إذا ما تركت دون تدخل خارجي في ظل الظروف الطبيعية، وهذا الخلل والخراب يتناسب طرداً مع الزمن الذي يمر عليها. إن جميع الكائنات الحية وغير الحية تبلى وتتعرض للتلف والتحلل، ومن ثم تفنى. وهذه هي النهاية الحتمية التي ستواجهها جميع الكائنات (بطريقة أو بأخرى) طبقاً لهذا القانون، وهذا المصير الذي لا مفر منه لا رجعة منه كذلك.

وما سبق يعد حقيقة نشاهدها كلنا على الدوام. فإنك -على سبيل المثال- إذا ما أخذت سيارة إلى الصحراء وتركتها هناك وعدت لترى ما آلت إليه بعد سنوات فلن تتوقع أن تجدها أفضل حالاً مما تركتها عليه، بل على العكس من ذلك: ستجد أن الإطارات قد هبطت إلى الأرض ونفد منها الهواء، وأن زجاج السيارة مكسور وهيكلها يعلوه الصدأ، وأن محركها قد بدأ يبلى ويتقادم. وهنا تثبت صحة ذات النتيجة الحتمية والتي تتحقق بشكل أسرع في الكائنات الحية منها في الكائنات غير الحية. والقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية هو الوسيلة التي يمكن التعبير من خلالها حسابياً وبالمعادلات عن هذه العملية الطبيعية.

يعرف هذا القانون الفيزيائى الشهير بقانون الإنتروبيا (En-tropy)، وهو عامل رياضى يعتبر مقياساً للطاقة غير المستغلة في نظام ديناميكي حراري؛ أو -بمعنى آخر- يعبّر عن مدى الخلل الذي قد يصيب أحد الأنظمة الفيزيائية. ويزيد هذا العامل كلما تحول أحد الأنظمة من كونه نظاماً مخطَّطاً إلى حالة من الخلل والاضطراب واللانظام. وكلما زادت نسبة الخلل والاضطراب في النظام ارتفع هذا العامل الذي يعبر عن درجة الخلل والاضطراب. ويقضى قانون الإنتروبيا بأن الكون بأسره يتجه بشكل لا يمكن تجنبه نحو حالة من الخلل والاضطراب واللانظام.

لقد ثبتت صحة القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية (أو كما يطلق عليه: قانون الإنتروبيا) عملياً ونظرياً. إن أعظم علماء عصرنا هذا يتفقون على أن قانون الإنتروبيا سيكون هو النموذج المسيطر من القوانين خلال الفترة القادمة من التاريخ، وقد وصفه ألبرت أينشتاين (الذي يعد أعظم علماء عصرنا) بأنه القانون الأول للكون بأجمعه. (1)

أما نظرية التطور فقد اشتهرت وعرفت بتجاهلها هذا القانون الفيزيائي الكوني البديهي والأساسي. وهي تطرح آلية تناقض هذا القانون بالكامل؛ فهي تدّعي أن الذرات والجزيئات المتفرقة وغير المنتظمة وغير الحية قد تجمعت تلقائياً بمرور الزمن بنظام وتخطيط معيَّن، لتكوِّن جزيئات أخرى غاية في التعقيد مثل البروتينات والأحماض النووية DNA وRNA، ثم لتكوِّن -بعد ذلك- الملايين من الأنواع الحية الأكثر تعقيداً. وطبقاً لنظرية التطور، فإن هذه العملية المفترَضة التي تنتج عنها أشكال ونظم حية أكثر تعقيداً وتنظيماً في كل مرحلة زمنية تمر عليها قد بدأت وتطورت من تلقاء نفسها في ظل الظروف الطبيعية، إلا أن قانون الإنتروبيا يوضح تماماً أن هذه العملية الطبيعية المزعومة تخالف القوانين الفيزيائية كلياً.

وحتى العلماء الذين يؤمنون بهذه النظرية يؤكدون هذه الحقيقة بأنفسهم؛ فكما يقول العالم رَس: إن المراحل المعقدة، التي تمر بها الحياة في تطورها تُظهر تناقضات هائلة مع ما تتجه إليه افتراضات القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية. فبينما يقر هذا القانون بأن هناك اتجاهاً دائماً وغير عكسي نحو الخلل والاضطراب تفترض نظرية التطور أن الحياة تتخذ أشكالاً أرقى وأكثر تنظيماً باستمرار وبمرور الوقت.(2)

وعن المأزق الحرج الذي وقعت فيه نظرية التطور بسبب قوانين الديناميكا الحرارية يقول عالم آخر من المؤمنين بهذه النظرية، وهو روجر ليوين، في إحدى المقالات بمجلة العلم: (Science

تتمثل إحدى المشكلات التي واجهها علماء الأحياء في التناقض الصريح بين نظرية التطور والقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية؛ ذلك أن النظم -سواء الحية أو غير الحية- يجب أن تبلى بمرور الوقت لتصبح أقل تعقيداً وانتظاماً وليس أكثر كما تزعم النظرية. (3)

ويقر عالم آخر من المؤمنين بالنظرية، وهو جورج

سترافروبولوس، باستحالة تكون أشكال من الحياة بصورة تلقائية طبقاً للقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية، وعدم جدوى الفرض القائل بوجود وتكون أشكال معقدة من الكائنات الحية في ظل الظروف الطبيعية. حيث يقول في إحدى المقالات المنشورة بمجلة (American Scientist) المعروفة جيداً بمناصرتها لنظرية التطور: في ظل الظروف الطبيعية، لا يمكن أن يتكون أي جزيء عضوي معقد التركيب تلقائياً، بل إنه يجب أن يتحلل طبقاً للقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية. وفي الواقع، فإنه كلما زاد تعقيد تركيب الخلية الحية أصبحت أقل ميلاً للاستقرار على حالها، وبالتالي يصبح من المؤكد -إن عاجلاً أو آجلاً- أن تؤول إلى التحلل والتلاشي. إن عملية التمثيل الضوئي- وهى شكل من أشكال الحياة- والعمليات الحيوية الأخرى، بل والحياة ذاتها، لا يمكن فهمها وتفسيرها على ضوء معطيات القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية أو أي فرع آخر من العلوم، على الرغم من المحاولات الخاطئة – المتعمَّدة أو غير المتعمَّدة- لتفسيرها بالفعل. (4)

وكما هو ملاحَظ: فإن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية يمثّل حجر عثرة أمام افتراضات نظرية التطور ليس فقط من الناحية العلمية بل والمنطقية كذلك. وقد عجزت النظرية عن تقديم أي تفسير علمي دائم لتخطي حجر العثرة هذا، ودعاة التطور يتخيلون فقط أن بإمكانهم بالفعل تخطيه. فعلى سبيل المثال، وعلى حد تعبير أحد علماء نظرية التطور – وهو جيرمي رِفكين- فإن هذه النظرية تتغلب على قانون الإنتروبيا بفعل قوة سحرية:

يقول قانون الإنتروبيا إن التطور يستهلك ويبدد الطاقة الكلية في سبيل الحياة على هذا الكوكب. أما مفهومنا عن التطور فهو على العكس من ذلك تماماً؛ فنحن نرى أن عملية التطور تولّد طاقة أعظم وتزيد من درجة النظام على الأرض بطريقة سحرية ما!! (5)

هل تدل هذه العبارات إلا على أن هذه النظرية ليست سوى عقيدة دوغمائية يعتنقها أصحابها؟

خرافة النظام المفتوح

وإزاء مواجهتهم لكل هذه الحقائق، اضطر أنصار نظرية التطور إلى الدفاع عن نظريتهم باللجوء إلى تشويه قانون الإنتروبيا بزعمهم أن هذا القانون صحيح فقط فيما يتعلق بالأنظمة المغلقة (Closed systems)، أما النظم المفتوحة (-Opened sys tems) فلا ينطبق عليها هذا القانون.

فالنظام المفتوح هو نظام ديناميكي حراري تتدفق الطاقة منه وإليه، وهذا على العكس من النظام المغلق الذي تظل فيه الطاقة الأولية ساكنة. ودعاة نظرية التطور يزعمون أن الدنيا نظام مفتوح وهي معرَّضة دائماً لتدفق الطاقة الشمسية إليها، وأن قانون الإنتروبيا لا ينطبق على الدنيا بأسرها، وأن الكائنات الحية المعقدة التركيب يمكن أن تنشأ من أشكال بسيطة بدائية غير حية.

وتظهر هنا المغالطة ومحاولة التشويه بوضوح. إن مجرد تدفق الطاقة إلى نظامٍ ما ليس كافياً لتأمين النظام فيه . فهناك عدة عمليات لا بد أن تتم لتوظيف وتشغيل الطاقة. فمثلاً، تحتاج السيارة إلى محرك وجهاز لنقل الحركة وآلية تحكم مناسبة لتحول الطاقة الموجودة في الوقود إلى حركة. وبدون مثل هذا النظام الضروري لتحويل الطاقة لا تتسنى للسيارة استخدام الطاقة الكامنة في الوقود.

وما سبق ينطبق على أشكال الحياة أيضاً. صحيح أن الحياة تستمد طاقتها من الشمس، ولكن الطاقة الشمسية يمكن أن تتحول إلى طاقة كيميائية فقط بفعل النظم البالغة التعقيد لتحويل الطاقة في الكائنات الحية (مثل عملية التمثيل الضوئي الذي تقوم به النباتات، والأجهزة الهضمية لدى الإنسان والحيوان). فلا يمكن لأي كائن حي أن يعيش دون نظم تحويل الطاقة هذه، ومن دونها تصبح الشمس مجرد مصدر للطاقة يؤدى إلى الحرق أو الجفاف أو الإذابة.

وكما يتضح لنا، فإن أي نظام ديناميكي حراري بغير نظامٍ ما لتحويل الطاقة ليس في صالح نظرية التطور، سواء أكان هذا النظام مفتوحاً أم مغلقاً. فلا يمكن لأحد أن يجزم بأن هذه الأشكال المعقدة والراقية من الكائنات الحية قد وجدت في ظل الظروف الطبيعية البدائية على سطح الأرض. إن المشكلة الحقيقية التي تواجه أنصار نظرية التطور بالفعل تتمثل في السؤال التالي: كيف يمكن لأنظمة تحويل الطاقة المعقدة (مثل عملية التمثيل الضوئي في النبات التي لا يمكن حتى محاكاتها بأحدث الوسائل التكنولوجية) أن توجد من تلقاء نفسها؟

إن تدفق الطاقة الشمسية إلى الدنيا وهي في مرحلتها البدائية

ليس له تأثير في حد ذاته وليس هو السبب في انتظام هذه الدنيا. فمهما ارتفعت درجة الحرارة فإن الأحماض الأمينية تقاوم تشكيل الروابط المختلفة بالنظام المنطقي المسلسل الذي اعتادت عليه. فالطاقة في حد ذاتها لا تكفى لحمل الأحماض الأمينية على أن تكوّن الجزيئات الأكثر تعقيداً المكوِّنة للبروتينات أو لجعل البروتينات تكوِّن الأشكال الأكثر تعقيداً وانتظاماً من الخلايا الحية. إن المصدر الحقيقي الجوهري لهذا النظام على جميع المستويات هو التصميم الواعي، أو بعبارة أخرى: الخلق.

خرافة نظرية الفوضى

وحيث إن العلماء من أنصار نظرية التطور يدركون تمام الإدراك أن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية يقضى باستحالة تحقق صحة هذه النظرية، فقد قاموا بوضع بعض النظريات الخيالية في محاولة لتقليل الفجوة بين النظرية والقانون ليتمكنوا من إثبات صحة النظرية. وكما هو متوقع، أثبتت هذه المحاولات أو المناورات أن نظرية التطور تواجه عقبة لا يمكن التغلب عليها.

يعد العالم البلجيكي إيليا بريجوجين من العلماءالمعروفين بمحاولاتهم في التوفيق بين الديناميكا الحرارية وبين نظرية التطور. وقد اتخذ هذا العالم من نظرية الفوضى (Chaos Theory) نقطة البداية، واضعاً عدداً من الفرضيات التي تقول إن النظام يحتمل ان يأتي من الفوضى. ولكن على الرغم من كل جهوده فلم يستطع التوفيق بين قوانين الديناميكية الحرارية وبين نظرية التطور. . وهو يعتقد أن بعض النظم المفتوحة يمكن أن تشهد انخفاض درجة الخلل والاضطراب فيها(أي انخفاض درجة الإنتروبيا) بفعل تأثير الطاقة الخارجية، وأن الانتظام الذي يتحقق في هذه الحالة دليل على أن المادة يمكن أن تنظم نفسها وحركتها. ومنذ ذلك الحين أصبح مفهوم التنظيم الذاتي للمادة شائعاً بين أنصار نظرية التطور وعلماء الماديات؛ فهم يتصرفون كأنهم اكتشفوا الأصل المادي وراء التعقيد الذي تتصف به الحياة ووجدوا حلاً مادياً لمشكلة أصل الحياة ذاتها.

بَيد أننا إذا ما تمعنّا في دراسة هذا الفرض لوجدناه حديثاً مجرداً لا تسانده أي حقائق علمية بل يكاد يكون أمنيّات في خيال أنصار نظرية التطور يودون لو تتحقق. وأكثر من ذلك، فإنه يتضمن نوعاً من الخداع الساذج الذي يتمثل في الخلط المتعمّد بين مفهومين محددين هما التنظيم الذاتي والترتيب الذاتي. (6)

ويمكننا توضيح ذلك من خلال المثال التالي: فلنتخيل أحد الشواطئ وعليه أنواع مختلفة من الأحجار مختلطة ببعضها البعض: ما بين أحجار كبيرة ومتوسطة الحجم وأخرى صغيرة للغاية. عندما تضرب موجة عالية هذا الشاطئ قد نلاحظ حدوث ترتيب للأحجار طبقاً لحجمها؛ حيث ستتسبب المياه في تحريك الأحجار من نفس الوزن بنفس المقدار. وعندما ترتد الموجة ثانية نلاحظ أن الأحجار قد تم ترتيبها من الأصغر إلى الأكبر حجماً باتجاه البحر.

وهذا ما يُطلق عليه عملية الترتيب الذاتي: فالشاطئ نظام مفتوح وتأثير الطاقة (طاقة الأمواج في هذه الحالة) قد يسبب هذا الترتيب. وهنا تجدر ملاحظة أن طاقة الأمواج السابق ذكرها لا يمكن أن تتسبب في بناء قلعة من الرمال على الشاطئ. فنحن عندما نرى قلعة من الرمال على الشاطئ نكون على يقين من أن أحداً ما قد صنعها. إن الفرق بين بناء القلعة الرملية والأحجار المرتبة يتمثل في أن الحالة الأولى تعبر عن عملية شديدة التعقيد ذات طابع فريد، بينما الثانية تعبر فقط عن عملية التكرار. وهو ما يشبه الآلة الكاتبة عندما تكتب حرفاً معيناً أ أ أ أ أ أ أ.... وتكرره لمئات المرات، لمجرد أن شيئاً ما (تأثير طاقة معينة) قد وقع تركيزه على هذا الحرف بالذات. وبطبيعة الحال لا تنطوي عملية تكرار كتابة هذا الحرف على أي معلومات، وبالتالي لا تنطوي على أي تعقيد. فالأمر يحتاج إلى عقل واع لتكوين تسلسل من الحروف على درجة من التعقيد لتنطوي على أي معلومات.

وما سبق ينطبق أيضاً عندما تهب الرياح داخل غرفة ما تمتلئ بالغبار والأتربة. فقبل حدوث هذا التأثير- تأثير الرياح- كانت الأتربة تنتشر وتملأ كل أرجاء الغرفة، ومع هبوب الرياح قد تتجمع هذه الأتربة في أحد أركان الغرفة، وهذا ما يُطلق عليه اسم الترتيب الذاتي. ولكن الأتربة أو الجزيئات التي تكوِّن الأتربة لا يمكن أن تتجمع بتنظيم نفسها ذاتياً لتكوّن صورة رجُل على أرضية الغرفة!

وهذه الأمثلة تشبه -إلى حد كبير- سيناريو التنظيم الذاتي الذي يقترحه دعاة نظرية التطور. فهم يقولون إن المادة تميل لتنظيم نفسها، ثم يسوقون مثالاً على الترتيب الذاتي وليس التنظيم الذاتي

محاولين الخلط بين المفهومين. أما العالِم بريغوجين فقد ساق بنفسه أمثلة على الترتيب الذاتي للجزيئات بسبب تأثير طاقة ما. وفى كتاب عنوانه لغز أصل الحياة

(The Mystery of Life's Origin) فسّرَ كلٌّ من ثاكستون وبرادلى وأولسين (وهم العلماء الأمريكيون الثلاثة مؤلفو هذا الكتاب) هذه الحقيقة بقولهم: في كل حالة من حالات الحركة العشوائية للجزيئات في سائل ما تتحول هذه الحركة العشوائية ويُستبدَل بها سلوك يؤدى إلى ترتيبٍ لهذه الجزيئات. لقد اقترح بريغوجين وإيجين وغيرهما إمكانية وجود نمط شبيه من التنظيم الذاتي بصورة متأصلة في الكيمياء العضوية، وأن ذلك يمكن أن يُعَد من الأسباب الجوهرية للتعقيد الشديد الذي تتصف به الجزيئات الكبيرة التي يعد وجودها أساسياً للأنظمة الحية. ولكن هذه الأمثلة التي استخدمها العلماء للقياس ذات صلة ضعيفة بقضية أصل الحياة. وأحد الأسباب الرئيسية لذلك هو فشلهم في التفرقة بين الترتيب والتعقيد؛ فالانتظام أو الترتيب لا يمكن أن يؤدى إلى اختزان الكم الكبير من المعلومات الذي تتطلبه الأنظمة الحية. فما تتطلبه الأنظمة الحية هو تركيب غير منتظم، ولكنه محدد، وليس تركيباً مرتب المكونات. وهذا الخلط يعد عيباً خطيراً في الحالات القياسية التي ساقوها؛ فليست هناك علاقة واضحة بين الترتيب التلقائي الذي يحدث من جراء تدفق طاقة ما إلى مثل هذه الأنظمة وبين العمل الذي يتم لبناء دوري للجزيئات الكبيرة التي تمتلئ بكم مكثف من المعلومات مثل الحمض النووي DNA والبروتينات. (7)

وفي الحقيقة، فقد اضطر بريغوجين نفسه إلى الاعتراف بأن ما ساقه من جدل لا يمكن اعتباره سبب أصل الحياة، قائلاً: إن مشكلة الترتيب الحيوى تتضمن الانتقال من نشاط الجزيء ذاته إلى ترتيب أرقى منه، وهو ترتيب الخلية. وهذه المشكلة هي أبعد ما تكون عن حلها بهذه الفروض . (8)

لماذا -إذن- لا يزال دعاة نظرية التطور يحاولون تصديق تفسيرات وسيناريوهات غير علمية مثل التنظيم الذاتى للمادة؟ لماذا يصرون على رفض وإغفال الذكاء الواضح الذى تتصف به الأنظمة الحية؟ والإجابة هى: لأنهم يؤمنون بالماديات ويعتقدون أن المادة لديها قدرة سحرية على خلق الحياة. وقد فسر البروفسور روبرت شابريو، الأستاذ بجامعة نيويورك والخبير فى خبايا الأحماض النووية، فسر اعتقادات أنصار نظرية التطور وإيمانهم بالماديات الكامن خلف هذه الاعتقادات بقوله: يلزم التوصل إلى مبدأ آخر من مبادئ التطور ليعبر بنا الفجوة الواقعة فى المسافة بين اختلاط المواد الكيميائية الطبيعية وأُولى عمليات التكرار الفعالة. وهذا المبدأ لم يوصَف تفصيلاً بعدُ كما لم يتم إثباته، إلا أنه من المنتظر حدوث ذلك حتى إنه قد أعطي مسميات مثل التطور الكيميائى والتنظيم الذاتى للمادة. إن وجود هذا المبدأ أمر مسلم به فى الفلسفة المادية الجدلية، كما طبقها ألكساندر أوبرين على أصل الحياة. (9)

إن هذا الموقف كله يبين بوضوح أن نظرية التطور هى عقيدة تخالف العلم وما يستند إليه من تجارب، وأن وجود الأحياء يمكن تفسيره فقط بفعل قوى خارقة للطبيعة. هذه القوى الخارقة للطبيعة هى قدرة الله -سبحانه وتعالى- الذى خلق الكون بأسره من العدم. وقد أثبت العلم أن نظرية التطور لا تزال مستحيلة التحقيق من منظور قوانين الديناميكا الحرارية، وأن وجود الحياة لا تفسير له سوى الخلق.

1. Jeremy Rifkin, Entropy: A New World View, New York, Viking Press, 1980, p.6
2. J. H. Rush, The Dawn of Life, New York, Signet, 1962, p 35
3. Roger Lewin, "A Downward Slope to Greater Diversity", Science, vol. 217, 24.9.1982, p. 1239
4. George P. Stravropoulos, "The Frontiers and Limits of Science", American Scientist, vol. 65, November-December 1977, p.674
5. Jeremy Rifkin, Entropy: A New World View, p.55
6. For further info, see: Stephen C. Meyer, "The Origin of Life and the Death of Materialism", 1. Jeremy Rifkin, Entropy: A New World View, New York, Viking Press, 1980, p.6
2. J. H. Rush, The Dawn of Life, New York, Signet, 1962, p 35
3. Roger Lewin, "A Downward Slope to Greater Diversity", Science, vol. 217, 24.9.1982, p. 1239
4. George P. Stravropoulos, "The Frontiers and Limits of Science", American Scientist, vol. 65, November-December 1977, p.674
5. Jeremy Rifkin, Entropy: A New World View, p.55
6. For further info, see: Stephen C. Meyer, "The Origin of Life and the Death of Materialism", The Intercollegiate Review, 32, No. 2, Spring 1996
7. Charles B. Thaxton, Walter L. Bradley & Roger L. Olsen, The Mystery of Life's Origin: Reassessing Current Theories, 4. edition, Dallas, 1992. chapter 9, p. 134
8. Ilya Prigogine, Isabelle Stengers, Order Out of Chaos, New York, Bantam Books, 1984, p. 175
9. Robert Shapiro, Origins: A Sceptics Guide to the Creation of Life on Earth, Summit Books, New York: 1986, p. 207The Intercollegiate Review, 32, No. 2, Spring 1996
7. Charles B. Thaxton, Walter L. Bradley & Roger L. Olsen, The Mystery of Life's Origin: Reassessing Current Theories, 4. edition, Dallas, 1992. chapter 9, p. 134
8. Ilya Prigogine, Isabelle Stengers, Order Out of Chaos, New York, Bantam Books, 1984, p. 175
9. Robert Shapiro, Origins: A Sceptics Guide to the Creation of Life on Earth, Summit Books, New York: 1986, p. 207

الفصل الحادي عشر

إستحالة تفسير التصميم بالمصادفات

حسناً، ماذا يعني وجود تركيب معقد دفعة واحدة؟

للإجابة عن هذا السؤال لنأخذ المثال التالي: لنشبّه الخلية من حيث تعقيدها بسيارة ذات تقنية متقدمة (في الواقع تحتوي الخلية على نظام أكثر تعقيداً وأكثر تطوراً من السيارة بمحركها وبما فيها من تقنية عالية). والآن لنسأل: إذا خرجتم يوماً ما في رحلة إلى غابة لم يمسها فأب و لم يدخلها إنسان، وتوغلتم فيها، ثم عثرتم بين الأشجار على سيارة حديثة من آخر طراز، ماذا كنتم ستقولون؟ هل –يا ترى– سيكون أول ما يخطر ببالكم أن عناصر مختلفة في الغابة وعلى مدى ملايين السنين قد تجمعت بالصدفة فظهر مثل هذا العمل؟ إن كل المواد الخام المكوِّنة للسيارة يتم الحصول عليها من الحديد والبلاستيك والمطاط والتراب أو مشتقاته. لكن هل تدفعكم هذه الحقيقة إلى الاعتقاد بأن هذه المواد قد خرجت وانتظمت بالصدفة، ثم تجمعت فتكونت مثل هذه السيارة؟

مما لا شك فيه أن أي إنسان عادي يتمتع بعقل سليم سيكون أول ما يخطر بباله هو أن السيارة ثمرة تصميم واع؛ أي أنها من إنتاج مصنع، وهو سوف يتعجب من وجودها في الغابة. ذلك أن ظهور تركيب معقد فجأة، ودفعة واحدة وبشكل متكامل، يدل على أنه قد صُنع من قِبَل إرادة واعية. ولا شك –إذن– أن نظاماً معقداً كالخلية قد خلُق من قِبَل قوة ذات إرادة عُليا حكيمة. وبعبارة أخرى: فإنه من صنع الله.

أما حماة التطور فيخرجون بالفعل عن المنطق والعقل وكل الحقائق العلمية بقولهم إن الصدفة تستطيع إنتاج تصميمات بديعة غاية في الإتقان. ومن العلماء الثقات (الذين تحدثوا بصراحة عن هذا الموضوع) عالم الحيوان الفرنسي الشهير بيير غراسيه، الرئيس الأسبق لأكاديمية العلوم الفرنسية. وبالرغم من كون غراسيه ماديّاً، فهو يقر بأن النظرية الدارونية غير قادرة على تفسير نشأة الحياة، ويقول عن منطق الصدفة الذي هو أساس الدارونية ما يلي:

> إن الاعتقاد بظهور طفرات في الوقت المناسب لتوفير ما يحتاج إليه الحيوان والنبات هو من الصعوبة بمكان. غير أن الدارونية تذهب إلى أبعد من ذلك: لا بد أن يتعرض نبات أو حيوان ما إلى آلاف وآلاف من الطفرات المفيدة حتى يكتمل؛ أي لا بد أن تصير المعجزات أحداثاً عادية جدا وأن تقع أحداث هي أبعد ما تكون عن الحدوث، فلا قانون يمنع التخيل، ولكن يجب ألاّ يتورط العلم في هذا .(139)

ويلخص غراسيه مفهوم الصدفة لدى حماة التطور بما يلي: الصدفة جعلت من نفسها إلهاً يُعبَد خفية تحت غطاء الإلحاد (140).

إن الفساد الفكري والمنطقي لدى حماة التطور ما هو إلا ثمرة اتخاذهم مفهوم الصدفة إلهاً. والله يخبرنا في القرآن عن الذين يعبدون

من دون الله مخلوقات أخرى أنهم فاقدون للقدرة على التمييز العقلي فيقول:

(لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا، أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (الأعراف 179).

أطروحة دارون

إضافة إلى كل ما تناولناه حتى الآن من أدلة علمية وتقنية، دعونا نقف على مدى سخافة ما يدعو إليه حماة التطور من خلال مثال بسيط، حتى الأطفال لا يجدون صعوبة في فهمه:

تزعم نظرية التطور أن الحياة تكونت بالصدفة. واستناداً إلى هذا الزعم: تجمعت ذرات غير حية وغير واعية فكوّنت –أولاً– الخلية، ثم –وبشكل ما– تكونت كائنات حية أخرى من بينها الإنسان.

دعونا نفكّر في هذا: فإذا جمعنا العناصر الأساسية للكائن الحي؛ من كربون وفوسفور ونيتروجين وبوتاسيوم، لتكوَّنت لدينا كومة منها لا غير. وأيّاً كانت العمليات المعملية التي تخضع لها هذه العناصر النووية فإنها لا يمكن أن تكوِّن كائناً حياً واحداً. إذا شئتم لنجرِ تجربة، ولنختبر –باسم حماة التطور– ما يزعمونه (حتى ولو لم يصرحوا به بالخط العريض) باسم أطروحة دارون:

لِيُعِدَّ حماةُ التطور براميلَ كبيرة الحجم، وليضعوا فيها وبكميات كبيرة العناصر الاساسية الموجودة في الكائن الحي (من فوسفور ونيتروجين وكربون وأكسجين وحديد ومغنيسيوم)، بل ليضيفوا إلى هذه البراميل ما شاؤوا من مواد لا توجد في الظروف الطبيعية، وليضيفوا إلى هذه الخليط الكمية التي يريدونها من الأحماض الأمينية (التي يستحيل تكونها في الظروف العادية)، وليضيفوا ما شاؤوا من البروتينات (التي يبلغ احتمال تكوُّن واحد منها عن طريق الصدفة واحدا من (10^{-950}) احتمال، وليعرِّضوا هذا الخليط للحرارة والرطوبة التي يريدونها، وليخلطوا كل هذه المواد بأحدث الأجهزة التكنولوجية التي يفضّلونها، وليضعوا على رأس هذه البراميل أشهر علماء العالم وأعظمهم. وليتناوب هؤلاء الخبراء على هذه البراميل مليارات، بل تريليونات السنين، وهم أحرار في استخدام كل العوامل والظروف التي يعتقدون أنها ضرورية لتكوّن الإنسان...

لكنهم –مهما فعلوا– فلن يخرج من تلك البراميل إنسانٌ أبداً. ولن يمكنهم إخراج أي من الزرافات أو الأسود أو النحل أو البلابل أو الببغاوات أو الحيتان أو النخيل أو الورود أو الموز أو البرتقال أو التفاح أو التمر أو التين أو الزيتون أو العنب أو الخوخ أو الفراپ مختلف الألوان... وملايين غيرها من أجناس الكائنات الحية! إنهم لن يستطيعوا حتى الحصول على خلية واحدة من خلايا أي منها.

باختصار: إن الذرات غير الواعية لا يمكنها أن تكوّن خلية باجتماعها سوية، ولا يمكنها اتخاذ القرار بتقسيم هذه الخلية إلى خليتين، ثم اتخاذ قرارات أخرى وصولاً إلى خلق العلماء الذين سيصنعون مجهراً إلكترونياً –بعد ذلك– ليدرسوا بواسطته تركيب خلايا أجسامهم! إن المادة كومة غير واعية ولا حياة فيها، ولن توجد فيها الحياة إلا بقدرة الله الخالق العظيم.

أما نظرية التطور التي تزعم عكس ذلك فليست سوى سفسطة مخالفة للعقل تماماً. وإن التأمل البسيط في مزاعم حماة التطور –كما رأينا في المثال السابق– لَيؤكد هذه الحقيقة؛ حقيقة الخلق.

لو قام أنصار نظرية التطور – الذين يؤمنون بأن الصدفة هي صاحبة القدرة على الخلق – بإحضار براميل ضخمة للغاية، و وضعوا بداخل هذه البراميل أي مواد يعتقدون أنها ضرورية لتكوين كائن حي واحد، و قاموا بعد ذلك بتسخينه أو تبريده أو حتى تهيئة جو عاصف داخله، ولو وقفوا أيضاً من أجل حراسة هذا المزيج فترة مليارات بل تريليونات من السنين وقاموا بالتحكم ومراقبة هذا المزيج في كل لحظة بحيث أنهم لن يتركوا شيئاً للصدفة، وليس هذا فحسب بل وحتى لو أعطيت لهم الحرية كاملة في استخدام كافة الظروف التي يرونها ضرورية لتكوين حياة.... إنهم و مع كل هذا لن يتمكنوا بأي حال من الأحوال من استخراج ولو خلية حية واحدة. وبالتالي لن يتمكنوا من استنتاج أو تكوين الخيول و الفراشات و الطيور و القراصيا و الليمون و البوم و النمل. ليفعلوا ما يحلوا لهم فلن يتمكنوا في النهاية و بالتأكيد من أن يخلقوا من هذا البرميل الإنسان الذي يفكر و يعقل و يُثار ويسعد و يشتاق.




الأكسجين
النيتروجين
الأحماض الأمينية
الكربون
الفسفور
اللِّبيدات
جزيء المياه
جزيء ثاني أكسيد الكربون

التقنية الموجودة في العين و الأذن



عندما نقارن بين العين و الأذن و بين الكاميرا و أجهزة التسجيل، نجد ما لا يدع مجالاً للشك بأنهما قد خُلقتا بشكل أكثر تعقيداً و أكثر دقةً و إتقاناً من تلك الأجهزة التكنولوجية الأخرى التي نتحدث عنها.



التقنية الموجودة في العين والأذن

من الموضوعات الأخرى التي لا تستطيع نظرية التطور تقديم تفسير لها: نوعية الإحساس العالية في السمع والبصر.

قبل الخوض في موضوع البصر لنُجب باختصار عن سؤال: كيف نبصر؟. تسقط الأشعة الضوئية المنعكسة من الأجسام على الشبكية في مؤخرة العين، وتتحول هذه الأشعة الضوئية إلى إشارات كهربائية عن طريق الخلايا الموجودة في الشبكية، ثم تنقل الأعصاب هذه الإشارات إلى نقطة صغيرة جداً موجود في مؤخرة المخ تُسمّى مركز الإبصار. وتتحول هذه الإشارات الكهربائية بعد سلسلة من العمليات إلى صورة يراها هذا المركز. والآن، بعد أن قدمنا –باختصار– هذه المعلومات الفنية، لنتأمل الأمر قليلاً:

المخ معزول عن الضوء؛ أي أن داخل المخ ظلام دامس، ولا يتسرب النور إلى المكان الذي يوجد فيه المخ. ومركز الإبصار هو أيضا في ظلام دامس، ظلام دامس بحيث لا يصل إليه الضوء أبداً، وقد يكون أكثر الأماكن التي تعرفونها إظلاماً. ولكن –رغم ذلك– فإنكم تشاهدون داخل هذا الظلام الدامس عالماً برّاقاً مضيئاً.

زد على ذلك أن هذه الرؤية واضحة وذات نوعية عالية لم يستطع القرن العشرون بكل تقنيته وإمكاناته أن يحصل على مثلها.

انظروا إلى الكتاب الذي بين أيديكم مثلاً، وانظروا إلى الأيدي التي تمسك به، ثم ارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى ما حولكم. هل أبصرتم مثل هذا الوضوح الذي تشاهدونه ومثل هذه النوعية التي ترونها في مكان آخر؟ هذا الوضوح والصفاء الذي تشاهدونه لا توفره لكم أفضل الشاشات التي تنتجها أكبر الشركات المنتجة للتلفزيونات في العالم. إن ما تشاهدونه هو صورة ثلاثية الأبعاد وملونة وواضحة إلى أبعد الحدود. لقد عكف آلاف المهندسين لأكثر من مئة سنة في محاولات للوصول إلى مثل هذه الرؤية؛ فأسّسوا المصانع الكبيرة، وجهزوها بأحدث الأجهزة، وقاموا بإجراء الأبحاث والدراسات والتصميمات. انظروا –مرة أخرى– إلى شاشة التلفزيون، ثم انظروا إلى هذا الكتاب الذي بين أيديكم، ستجدون فرقاً كبيراً بينهما في صفاء ووضوح الرؤية. زد على ذلك أن شاشة التلفزيون تُريكم مشهداً ثنائي الأبعاد، بينما أنتم تبصرون بأبعاد ثلاثة وتشاهدون العمق. وإذا تأملتم الشاشة بعناية ستجدون بها تغبّشاً، فهل في بصركم أي تغبش؟

لقد حاول عشرات الآلاف من المهندسين لسنوات طويلة إنتاج تلفزيون ذي صورة ثلاثية الأبعاد ونوعية تضاهي نوعية الرؤية في العين. نعم؛ لقد تمكنوا من صنع تلفزيون ذي صورة ثلاثية الأبعاد، ولكنها لا يمكن مشاهدتها إلا بوضع نظارة خاصة. إنها رؤية بأبعاد ثلاثة صناعية؛ فالجانب الخلفي من الصورة مغبّش، والجانب الأمامي جامد كأنه جدار من ورق. و لم يمكن تكوين صورة مثل صورة العين قَط. هناك نقص في نوعية الصورة سواء في التلفزيون أو في آلة التصوير.

هذا الصفاء في الرؤية وهذه النوعية العالية في آلية البصر يدَّعي حماة النشوء بأنها قد وُجدت بالصدفة. والآن، ماذا سيكون موقفكم لو قال لكم أحدهم إن التلفزيون الذي في حجرتكم قد تكوَّن بالصدفة؟ وإن الذرات تجمعت وكوّنت هذه الآلة التي تُظهر الصور؟ كيف تستطيع الذرات القيام بعمل عجز عنه آلاف الأشخاص؟

لقد بذل عشرات الآلاف من المهندسين منذ مئة سنة جل طاقتهم، مستخدمين كل وسائل التقنية المتطورة المتاحة لهم، في المعامل ذات التقنية العالية وفي أكبر المؤسسات والمصانع، و لم يستطيعوا أن ينتجوا إلا هذا التلفزيون الذي بين أيدينا فقط.

وإذا كانت آلات البصريات الأكثر بدائية من العين غير قابلة أن تكون قد تشكلت بالصدفة، فمن باب أولى ألا تكون العين والصورة التي تراها العين قد تكونت بالصدفة. العين تتطلب تصميماً مفصلاً وواعياً أكثر مما يتطلبه التلفزيون، فمثل هذه النوعية من البصر، ومثل هذا الصفاء، ومثل هذا التصميم، هو كله من خلق الله القادر على كل شيء.

الوضع نفسه ينطبق على الأذن أيضاً؛ فالأذن الخارجية تجمع الموجات الصوتية المحيطة بها عن طريق صِوان الأذن (الغضروف) وتوصلها إلى الأذن الوسطى، وتقوم الأذن الوسطى –بدورها– بتقوية الذبذبات الصوتية التي تلتقطها وترسلها إلى الأذن الداخلية، وتقوم الأذن الداخلية بتحويل هذه الذبذبات إلى إشارات كهربائية وترسلها إلى المخ. ويتم السمع في مركز السمع في المخ مثلما تتم الرؤية في مركز الإبصار فيه.

وينطبق وضع العين على الأذن أيضا؛ أي أن المخ معزول عن الصوت كما هو معزول عن الضوء؛ فلا يتسرب الصوت إلى المخ، ومن ثَم فمهما كان الجو الخارجي صاخباً فإن داخل المخ هادئ تماماً. ومع ذلك فإن أوضح الأصوات يتم تمييزها في المخ؛ فتستمعون في محكم المعزول عن الصوت إلى كل الأصوات وتسمعون كل ضجيج وصخب في الخارج.

ولكن لو أن جهازاً حسَّاساً وُضع لقياس مستوى الصوت داخل محكم لوجد أن الهدوء التام مسيطر على المخ!

لنقارن –مرة أخرى– بين النوعية العالية والتقنية الراقية الموجودتين في أذن الإنسان ومخه، وبين ما أنتجه البشر من تقنية. كما هو الحال مع الصورة، بذل الإنسان الجهد لعقود في محاولة إصدار وتكرار الصوت الذي يضاهي الأصل، وقد أثمرت هذه الجهود إنتاج أجهزة تسجيل الصوت، وأنظمة صوتية عالية الحساسية، وأنظمة لاستقبال الصوت. إلا أنه –بالرغم من هذه التقنية، وآلاف المهندسين والخبراء الذين شاركوا في هذه المحاولات– فلم يتم التوصل إلى نفس درجة وضوح وصفاء الصوت الذي تتلقاه الأذن. تأملوا أحدث أجهزة تسجيل الصوت التي تنتجها أكبر وأشهر الشركات المتخصصة

في مجال الأجهزة الموسيقية. فحتى عند تسجيل الصوت بواسطة هذه الأجهزة، فلا بد من ضياع قسم منه، أو صدور صوت أزيز عند فتح الجهاز قبل بدء سماع التسجيل. أما الأصوات التي هي ثمرة التقنية الموجودة في جسم الإنسان فإنها كاملة وبديعة وصافية إلى أبعد الحدود. فالأصوات التي تستقبلها أذن الإنسان لا تكون مصحوبة بتشويش ولا بأزيز كما يحدث في الأجهزة الصوتية، فالأذن تتلقى الصوت كما هو بالضبط. وهذا الوضع لم يتغير منذ خلق الإنسان إلى اليوم.

باختصار: إن في جسمنا تقنية أرقى بكثير من التقنية التي أنتجها الإنسان مستخدماً معلوماته التراكمية وخبرته والفرص التي سنحت له. ولا يمكن لأحد أن يقول إن جهازاً صوتياً أو آلة تصوير قد وُجدا بالصدفة. فكيف يمكن الزعم بأن هذه التقنية الموجودة في جسم الإنسان (التي هي أرقى من هذه الأجهزة البشرية) تيسر تكونها نتيجة سلسلة من المصادفات تسمى بالتطور أو النشوء والارتقاء؟

مما لا شك فيه أن عين الإنسان وأذنه، وجميع الأجهزة الموجودة في جسمه، هي أثر لقوة خالقة مبدعة. وهذه الموجودات دليل واضح على خلق الله الفريد الذي لا يقابله شيء، وعلى قوته العظيمة وعلمه الذي لا يحاط به.

إن سبب تناولنا لسمع الإنسان وبصره هنا هو: عدم فهم حماة التطور مثل هذه الأدلة الواضحة على الخلق. فإذا ما طلبتم –يوماً ما– من أحد هؤلاء تفسير كيفية وجود هذه التقنية العالية وهذا التخطيط البديع في العين والأذن عن طريق الصدفة، لشاهدتم عجزه عن تقديم أي جواب معقول أو منطقي. بل إن دارون نفسه يعترف بعجز دعاة التطور حيال التخطيط البديع في المخلوقات، فيقول في رسالة كتبها بتاريخ 3 نيسان (أبريل) سنة 1860 : إن التفكير في العين يُضعف من حماستي لنظرية التطور! (141)

الفصل الحادي عشر
نظرية التطور أكثر السحر تأثيرا في تاريخ العالم

يتعين هنا أن نوضح أن أيما إنسان يُعمل عقله ومنطقه دون أحكام مسبقة ودون الوقوع تحت تأثير أي أيديولوجية، سيدرك بسهولة ويسر أن نظرية التطور التي تذكرنا بخرافات المجتمعات التي عاشت بمنأى عن العلم والحضارة، ليست سوى زعم يستحيل تصديقه.

وعلى النحو المتقدم تبيانه، فإن من يؤمنون بنظرية التطور يعتقدون أن الأساتذة الذين يفكرون ويعقلون ويخترعون، والطلاب الجامعيين والعلماء مثل إينستين هوبل (Einstein Hubble)، والفنانين مثل فرانك سيناترا (Frank Sinatra) وتشارلتون هيستون (Charlton Heston)، يضاف إليهم كائنات مثل الغزلان وأشجار الليمون وزهور القرنفل، سوف يخرجون مع مرور الزمان من مزيج من كثير من الذرات والجزيئات والمواد غير الحية التي تملأ برميلا عظيما. لا سيما وأن من يؤمنون بهذا الخَرَف هم علماء وأساتذة وأناس على قدر من الثقافة والتعليم. ولهذا السبب فإن استخدام تعبير "أشد السحر تأثيراً في تاريخ العالم" بالنسبة إلى نظرية التطور سيكون استخدامًا في محله. إذ إنه ليس في تاريخ العالم اعتقاد أو زعم آخر سلب عقول البشر بمثل هذه الدرجة وحرمهم من فرصة التفكير بالعقل والمنطق، وكأنه أسدل ستارًا أمام أعينهم، حال دون أن يروا الحقيقة التي كانت واضحة بجلاء. وإنّ هذا لغفلة وعدم بصيرة لا يستسيغها عقل مثلها كمثل عبادة بعض القبائل الإفريقية للطوطم وعبادة أهل سبأ للشمس وعبادة قوم إبراهيم عليه السلام للأوثان، التي كانوا يصنعونها بأيديهم، وعبادة قوم موسى عليه السلام للعجل الذي صنعوه من ذهب. وهذا الوضع في حقيقته إنما هو حماقة أشار إليها الله تعالى في القرآن الكريم. وينبئنا المولى عز وجل في كثير من آياته بأن من الناس من سيستغلق عليه الفهم ويترددون إلى حال يعجزون فيه عن رؤية الحقائق. ومن بين هذه الآيات قوله تعالى:

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ" (البقرة: 6-7).

وقوله أيضا :

" لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" (الأعراف: 179).

أما في سورة الحجْر فيخبرنا الله عز وجل بأن أولئك الناس قد سُحروا بحيث أنهم لن يؤمنوا حتى ولو رأوا المعجزات، إذ يقول سبحانه وتعالى: **"وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ"** (الحجر: 14-15)

وإن امتداد هذا السحر بشكل مؤثر على قطاعات عريضة من الناس بهذا القدر، وابتعاد الناس عن الحقائق بهذه الدرجة، وبقاء هذا السحر منذ 150 عاما، لهو وضع مثير للحيرة والدهشة بدرجة لا يمكن شرحها بكلمات، لأنه من الممكن أن يستسيغ العقل اعتقاد شخص أو عدة أشخاص لسيناريوهات مستحيلة ومزاعم حافلة بالخَرَف والهراء والأمور غير المنطقية، إلا أن اعتقاد الكثيرين من البشر في كافة أنحاء العالم بأن الذرات



إذا كنا نرى أن معتقدات القدامى الذين عبدوا التماسيح في الأزمنة الغابرة معتقدات غريبة وبعيدة عن المنطق السليم فإن المعتقدات التي جاءت بها الداروينية اليوم هي على نفس الدرجة من الغرابة. فأنصار داروين يسلمون بأن الصدفة والذرات الجامدة اللاشعورية هي القوة القادرة على الخلق كما لو كانت آراؤهم تلك مرتبطة بدين من الأديان.

اللاوعية والجامدة قد اجتمعت بقرار فجائي، فأتت بالكون الذي نراه يعمل بنظام لا تشوبه شائبة، ويكشف عن تنظيم غير عادي ونظام متقن غاية الاتقان، وبكوكب الأرض الذي يختص بكافة السمات المناسبة للحياة، وبكائنات حية مزودة بأنظمة معقدة تفوق الحصر، ليس له من تفسير سوى أنه سحر.

كما أن الله عز وجل ينبئنا من خلال تلك الحادثة التي وقعت بين موسى عليه السلام وفرعون، بأن بعض الأشخاص ممن ينافحون عن الفلسفة الإلحادية، يؤثّرون على الناس بما يصنعونه من السحر. فحينما قص موسى عليه السلام نبأ الدين الحق على فرعون، طلب فرعون إلى موسى أن يلتقي بسحرته في موضع يحتشد فيه الناس. وحينما التقى موسى السحرة أمرهم أن يبادروا هم باستعراض مهاراتهم. والآية التي تسرد هذه الحادثة تقول: "**قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**"(الأعراف:116). وعلى نحو ما تبدى تمكن سحرة فرعون بما صنعوه من خدع أن يسحروا الناس جميعا باستثناء موسى والذين آمنوا به. إلا أن البرهان الذي ألقاه موسى في مواجهة ما ألقاه هؤلاء على حد التعبير الوارد بالقرآن الكريم "تَلَقَّفَ مَا يَأْفِكُونَ"، أي أنّه أبطل تأثيره، يقول تعالى:"**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ**" (الأعراف: 117-119)

وعلى نحو ما ورد في الآيات، و مع إدراك أن ما فعله هؤلاء الأشخاص الذين سحروا الناس من قبل وأثروا عليهم إنما هو إفك، باؤوا بالذل والضعَّة. وأولئك الذين يؤمنون بمزاعم خرقاء إلى أقصى درجة تحت غلاف من العلم وبتأثير السحر في عصرنا الراهن، وينذرون حياتهم للدفاع عنها، فسوف يسقط شأنهم ويُذلوا ما لم يتخلوا عن هذه المزاعم، وذلك حينما تظهر الحقيقة بجلاء بكامل معانيها، و"يبطل تأثير السحر".

ويشرح مالكوم موجريدج (Malcolm Muggeridge) الذي ظل ينافح عن نظرية التطور حتى ناهز الستين من عمره، وكان فيلسوفاً ملحداً، ولكنه أدرك الحقائق من بعد الوضع الذي ستتردى إليه نظرية التطور في المستقبل القريب قائلا:

"إنني أنا نفسي صرت مقتنعا بأن نظرية التطور ستكون إحدى مواد المزاح الموجودة بكتب تاريخ المستقبل لا سيما في المجالات التي طُبقت فيها. وسيتلقى جيل المستقبل بالدهشة والحيرة اعتناق فرضية متهرئة يكتنفها الغموض بسذاجة لا يصدقها عقل" .(142)

وهذا المستقبل ليس ببعيد، بل على العكس من ذلك، فإن البشر في المستقبل القريب للغاية، سيدركون أن المصادفات ليست إلهاً وسوف يتم الاعتراف بأن نظرية التطور إنما هي أكبر خدعة وأشد أنواع السحر في تاريخ العالم. وسرعان ما بدأ هذا السحر الشديد ينحسر عن الناس في شتى أنحاء الأرض، وبات الكثيرون ممن وقفوا على سر خدعة التطور، يتساءلون بدهشة وحيرة كيف انطلت هذه الخدعة عليهم.

الفصل الثاني عشر

تهافت مزاعم التطور أمام الحقائق

تناولنا في الفصول السابقة بالبحث والدراسة بطلان نظرية التطور بأدلة علم المتحجرات، ومن منظور علم البيولوجيا الجزيئة. وسنتناول بالبحث في هذا الفصل عدداً من الظواهر والمفاهيم البيولوجية التي يسوقها حماة التطور كأدلة على نظريتهم. هذه الظواهر والمفاهيم مهمة بوجه خاص من حيث إنها تبين عدم وجود أي دليل علمي أو معطيات علمية تؤيد نظريتهم، كما أنها –في الوقت نفسه– تكشف للعيان مدى لجوء هؤلاء التطوريين إلى الخداع الكبير والتعتيم المتعمد.

التنوع والأنواع

التنوع (variation) اصطلاح مستخدَم في علم الوراثة، وهو يشير إلى ذلك الحدث الوراثي الذي يتسبب في إكساب أفراد الجنس الواحد أو فئاته خصائصَ تختلف بين الأفراد أو الفئات. فلكل البشر على ظهر الأرض –مثلاً– نفس المعلومات الوراثية في الأصل، إلا أن بعضهم يكون مائل العين، وبعضهم أحمر الشعر، وبعضهم طويل الأنف، وبعضهم قصير القامة... اعتماداً على احتمالات تنوع هذه المعلومات الوراثية.

ويستغل دعاة التطور هذا التنوع بين الجنس الواحد ويحاولون تقديمه كدليل على النظرية، بينما لا ينطوي التنوع على أي دليل على الارتقاء، ذلك أن التنوع ما هو إلا نتاج تزاوجات مختلفة لمعلومات وراثية موجودة بالفعل، وهو لا يضيف إلى المعلومات الوراثية أي جديد.

والتنوع يحدث دائماً في نطاق المعلومات الوراثية. وهذا النطاق يطلق عليه في علم الوراثة اسم حوض الوراثة، ويمكن لكل الخصائص الموجودة في حوض الوراثة الخاص بجنس ما أن تظهر بأشكال مختلفة بفضل التنوع. وكنتيجة لهذا التنوع يمكن أن يظهر نوع ذو ذيل أطول أو قوائم أقصر من غيره داخل الجنس الواحد من الزواحف. غير أن هذا التنوع لا يمكن أبداً أن يحوّل الزواحف إلى طيور بأن يضيف إليها أجنحة أو ريشاً، أو عن طريق تغيير عملية الأيض الخاصة بها. إن مثل هذا التغير يتطلب إضافة معلومات جديدة إلى المعلومات الوراثية في الكائن الحي، وهذا غير متاح في التنوع أبداً.

لم يكن دارون يعي هذه الحقيقة عندما أعلن نظريته، وكان يظن أن التنوع ليس له حدود. وقد قال في مقالة له عام 1844:

يرى كثير من الكتّاب أن للتنوع الموجود في الطبيعة حدوداً، إلا أنني لا أجد دليلاً واحداً يثبت ما يرون (143)، وساق في كتابه أصل الأنواع أمثلة كثيرة للتنوع على أنها أكبر دليل على نظريته.

كان دارون يرى –مثلاً– أن مربّي المواشي الذين كانوا يزاوجون بين أنواع البقر المختلفة بهدف إنتاج أنواع جديدة تُدرّ كميات أكبر من الحليب سيحوّلون الأبقار –في النهاية– إلى أجناس أخرى! ولعل العبارة الآتية التي وردت في كتابه السابق أفضل ما يجسّد ما كان يعتقده دارون من أن التنوع ليس له حدود:

لا أجد أية صعوبة في أن يزداد ارتباط فصيلة من فصائل الدببة (عن طريق التنوع الطبيعي) بالماء، مع زيادة حجم أفواهها شيئاً فشيئاً، حتى يبرز في النهاية مخلوق هائل كالحوت .(144)

والسبب الذي دفع دارون إلى أن يورِد مثل هذا المثال البعيد عن التصور هو المعطيات العلمية والمعارف البدائية التي كانت سائدة في العصر الذي عاش فيه. أما العلم في القرن العشرين فقد أثبت مبدأ يُطلَق عليه مبدأ ثبات المعلومات الوراثية، وذلك نتيجة تجارب أجريت على مخلوقات حية. وهذا

إن التغيرات التي طرأت على الأنواع لا تعدّ تطورا.



لقد اختلط مفهوما داروين لأصل الأنواع بعضهما البعض: التغيرات داخل نوع من الأنواع وتكوين نوع جديد. فعلى سبيل المثال قام داروين بملاحظة الاختلاف والتنوع في فصائل الكلاب، ورسّخ في ذهنه نتيجة لذلك مفادها أنه في يوم من الأيام سوف تتحول هذه التغيُّرات إلى نوع آخر جديد. وحاول أنصار فكرة التطور حتى في يومنا الحاضر تفسير التغيرات الموجودة في نوع ما على أنها نوع من التطور.

المبدأ أثبت أن جميع محاولات التزاوج التي أجريت من أجل إنتاج أنواع جديدة باءت بالفشل، كما أثبت أن بين الأجناس الحية حواجز محكمة لا يمكن اختراقها. وقد عنى هذا أنه من المحال أن يقوم مربُّو الأبقار بتحويلها إلى أجناس أخرى عن طريق تزويج أنواع مختلفة منها كما افترض داروين.

ويتناول نورمان ماكبث هذا الموضوع في كتابه إعادة محاكمة داروين فيقول: إن جوهر المسألة ينحصر فيما إذا كانت الأجناس تتنوع بالفعل بلا حدود أم لا. إن الأجناس تبدو ثابتة، ولقد سمعنا جميعاً عن خيبة الأمل التي أصيب بها المربُّون الذين قاموا بعملهم حتى نقطة معينة لم يتجاوزوها، ليجدوا عندها أن الحيوانات والنباتات تعود إلى النقطة التي بدؤوا منها. وبالرغم مما بذلوه من جهود مضنية طوال قرنين أو ثلاثة قرون من الزمان، فلم يمكن الحصول على وردة زرقاء أو على شقائق نعمانية سوداء .(145)

وقد عبَّر لوثر بيربانك (الذي يعد أكفأ الأخصائيين في تربية الحيوان) عن هذه الحقيقة قائلاً: إن للتطور المتوقع في كائن ما حدوداً، وهذه الحدود تتبع قانوناً (146). أما العالم الدانماركي جونسن فيقول في هذا الموضوع:

إن التنوع الذي أكّده داروين ووالاس يقف بالفعل عند نقطة لا يمكن تجاوزها، وهي أن مثل هذا التنوع لا يحتوي سر التطور المستمر .(147)

إن عصفور ''دوري'' الذي رآه داروين بشكل مختلف في جزر جالاباجوس هو أيضاً نموذج لتغيُّر لا يُشكِّل دليلاً قاطعا على حدوث تغير أو طفرة في هذا الطائر. لقد أثبتت المشاهدات التي أجريت في السنوات الأخيرة أنه لم يحدث تغير كبير غير محدود في عصفور دوري كما تفترض نظرية داروين. بل و الأكثر من هذا أن كثيرا من أنواع ذلك العصفور المختلف التي حددها داروين بـــ 14 نوعاً تختلف عن بعضها البعض هي في الواقع عبارة عن اختلافات عادية يمكن أن تحدث نتيجة اتصال الأعضاء من نفس النوع مع بعضها البعض أي اتصال ''الذكر مع أنثاه''. ولقد أشارت الملاحظات العلمية كذلك، مثال ''مناقير عصفور دوري'' التي تحدثت عنها المصادر المؤيدة لنظرية التطور بشكل أشبه بالأسطورة أنها في الحقيقة نموذج ''تغيُّر''، أي أنه لا يشكل دليلا قاطعا على نظرية التطور. و لم تسفر الدّراسات الشهيرة التي قام بها بيتر (Peter) و روسامري (Rosemary) اللذان توجها إلى جزر جالاباجوس حتى '' يجدوا دلائل على التطور الدارويني'' و قاما طيلة سنوات طوال بملاحظة أنواع عصفور دوري الموجود في الجزر ، لم تسفر هذه الدراسات عن شيء سوى التأكد من أنه لم يحدث أي ''تطور'' في الجزيرة (148).

ادعاءات التطور بخصوص المناعة ومقاومة المضادات الحيوية

يدّعي دعاة التطور أن ما تبديه بعض أنواع البكتيريا من مقاومة ضد المضادات الحيوية والمناعة التي تكتسبها بعض الحشرات ضد مادة الـــDDT دليل على الارتقاء، ويزعمون أنها أمثلة للمقاومة والمناعة المكتسبة أتت بها طفرات تمّت في الكائنات الحية التي تعرضت لهذه المواد.

هذه الخواص التي تتمتع بها البكتيريا والحشرات ليست مميزات تم اكتسابها لاحقاً عن طريق التحور ضد هذه المادة وضد المضادات الحيوية؛ فقد كانت بعض تنوعات هذه الكائنات الحية لديها هذه الخواص قبل تعرض البكتيريا كلها للمضاد الحيوي وقبل تعرض الحشرات كلها للمبيدات الحشرية.

لقد بذل أنصار نظرية التطور جهدهم لبيان هذه الظاهرة على اعتبار ''تطور البكتريا بتوفير المناخ الملائم لها''. بيد أن هذه المسألة تحققت بشكل مختلف للغاية عن هذا التقييم التطوري السطحي. و كان د. Lee Spetner عالم الفيزياء الحيوية الإسرائيلي و المعروف بكتابة Not By Chance المنشور في عام 1997 واحداً من الأسماء التي قامت بأكثر الدراسات تفصيلا في هذا الموضوع. و يحكي Spetner أن مناعة البكتريا قد تحققت بآليتين مختلفتين إلا أن أيّا من هاتين الآليتين لم يشكل أي دليل على نظرية التطور. و هاتان الآليتان هما:

1) انتقال الجينات المقاومة الموجودة بالفعل في البكتيريا.

2) تحول البكتريا التي تعرضت لفقدان المعلومة الو راثية نتيجة للطفرات الأحيائية إلى مضادات حيوية.

و قد فسر Spetner الآلية الأولى في إحدى مقالاته عام 2001 على هذا النحو:

تمتلك بعض الكائنات الحية الدقيقة جينات وراثية تعمل على مقاومة المضادات الحيوية. و تتحقق هذه المناعة بفضل اختلال شكل جزيء المضاد الحيوي و طرده خارج الخلية. و من الممكن أن تعمل الكائنات الحية التي تمتلك هذه الجينات على إكساب المناعة لها ناقلةً هذه الجينات إلى البكتريا الأخرى. و إن كانت آلية المناعة موجهة إلى مضاد حيوي محدد و معلوم فإن هناك أنواعا كثيرة جداً من البكتريا الضارة المسببة للمرض... و قد نجحت هذه البكتريا في أن تقيم سداً جينياً مختلفاً و أن تكتسب المناعة ضد البكتريا المتنوعة (149).

و يوضح البروفيسور Spetner كيف أن هذا الأمر لا يعتبر ''دليلا على التطور'':

إنّ حصول المضاد الحيوي على مناعة بهذا الشكل... لا يشكل نموذجاً للطفرات الأحيائية التي ينتظر منها أن تشكل دليلا من أجل التطور. كما أن الطفرات الأحيائية التي تعرِض لها نظرية التطور ليست هي التغيرات الجينية الو راثية التي تضيف معلومة الخريطة الوراثية للبكتريا; و هذه التغيرات يجب أن تضيف هذه المعلومة إلى العالم الأحيائي بكاملة. إن الانتقال الأفقي للجينات من شأنه فقط تفريق معلومة جينية موجودة في الأساس في بعض الأنواع (150).

أي أنه لا يوجد تطور، و السبب في هذا أنه لم يثبت ظهور معلومة جينية جديدة. فما حدث هو مجرد انتقال أو تنقل للمعلومة الجينية بين البكتريا. والنوع الثاني للمناعة أي أن المناعة التي تظهر نتيجة للطفرات الاحيائية ليست نموذجا أو مثالا على حدوث أي تطور. و يفسر Spetner ذلك بقوله:

''يحدث أحيانا نتيجة تغير أماكن (بصمة الـــ DNA) في أحد الكائنات الحية الدقيقة عن طريق المصادفة أن تتكون مناعة مضادة لواحد من المضادات الحيوية... و عقار الستربتومايسين Streptomycin '' هو عقار مضاد للجراثيم شبيه بالبنسلين''. كما أوضحت التقارير التي أوردها كل من Waksman و Schats للمرة الأولى عام 1994 أنه مضاد حيوي يمكن أن تكتسب البكتيريا مناعة ضده. و لكن و إن كانت الطفرات الأحيائية التي مرت بها مفيدة للكائنات الحية الدقيقة في وجود عقار الستربتومايسين فإنها مع ذلك لا تمثل نموذجاً لنوع من الطفرات الأحيائية التي تحتاج إليها النظرية الدارونية الجديدة لتدعيم رأيها. و يشبه Spetner هذه القضية في كتابه Not By Chance باختلال العلاقة بين القفل و المفتاح. فعقار الستربتومايسين شبيه بالمفتاح الذي يجب أن يتطابق تماماً مع القفل فهو يلتصق بالريبوسوم الخاص بالبكتريا و يفقد هذا الريبوسوم ripozom أي تأثير له. أما الطفرات الأحيائية فتحدث اختلالاً في شكل الريبوسامات و لا يمكن أن يلتصق عقار الستربتومايسين في حالة كتلك بالريبوسومات. و قد علّق أحدهم بالقول: ''إن البكتريا اكتسبت مناعة ضد عقار الستربتومايسين''، فإن هذا ضياع و فقدان بالنسبة للبكتريا و ليس مكسب لها. و يستمر Spetner في تعليقه بالقول:

يتضح أن هذا الخلل ''الموجود في بنية الريبوسوم'' هو عبارة عن تناقص نوعي أي فقدان لإحدى المعلومات. و النقطة الأساسية في هذا الموضوع هي أن ''التطور'' لا يمكن أن يتحقق بمثل هذه الطفرات الأحيائية، مهما كانت كثرتها. كما أنه ليس من الممكن إقامة تطور مع طفرات إحيائية تتناقص نوعيتها (151).

و يمكن تلخيص هذا الموضوع على النحو التالي:

حكاية « أن الحيتان قد تطورت من الدببة

ذكر داروين في كتابه "أصل الأنواع" أن الحيتان قد تطورت عن الدببة التي تجاهد حتى تتمكن من السباحة! والسبب وراء ذلك اعتقادات داروين التي لا تحدها حدود بخصوص حدوث تغيرات في كل نوع من الكائنات الحية. وعلى الرغم من كل هذا جاء العلم في القرن العشرين ليبرهن عدم صلاحية سيناريوهات التطور تلك المعتمدة على القدرة التخيلية.



إن أي طفرة إحيائية تصيب الريبوسوم الخاص بالبكتريا من الممكن أن يجعل هذه البكتريا أكثر مقاومةً ضد عقار الستربتومايسين، إلا أن السبب في هذا يعود إلى ''اختلال'' الريبوسوم الخاص بالطفرة الأحيائية. أي أنه لم تُضف أو تُلحق أية معلومة جينية للبكتريا. و على العكس تختل بنية الريبوسوم، و الحقيقة هي أن البكتريا تتحول إلى حالة تشبه '' الكسيح''. (لقد تحدد أن الريبوسومات الخاصة بالبكتريا التي تعرضت لهذه الطفرة الأحيائية أصبحت عقيمة بالنسبة للبكتريا العادية.) و ما حدث هو أن ''مناعة المضاد الحيوي'' قد ظهرت لأن ذلك الشلل (الكساح) قد أعاق المضاد و شكل عقبة أمام المضاد الحيوي الذي يملك قدرة تصميمية تتمثل في الالتصاق بالريبوسوم.

و النتيجة أنه لا يوجد نموذج لطفرة أحيائية ''تعمل على تطوير المعلومة الجينية''. و إن أنصار نظرية التطور الذين يرغبون في إظهار مقاومة المضاد الحيوي على أنها دليل على التطور قد فهوا الموضوع بشكل خاطيء و قيَّموه بشكل سطحي.

و قد تكرر الوضع نفسه بالنسبة إلى المناعة التي تطورت ضد الـــ DDT و ما يشبهه من أنواع العلاج الأخرى في الحشرات. لقد استخدمت جينات المناعة الموجودة من قبل في كثير من النماذج. و قال عالم الأحياء المؤيد لنظرية التطور Francisco Ayala: '' إن المناعة التي ظهرت ضد أكثر أنواع سموم الحشرات شمولا كانت واضحة للغاية عندما تم إخضاع الحشرات لهذه المواد التي هي من صنع الإنسان''. لذا فهو يسلم و يقبل بهذه الحقيقة (152). أما بعض النماذج الأخرى التي فُسِّرت بالطفرة الأحيائية، فهى عبارة عن ظواهر تفتح الطريق مثلما حدث في الطفرات الأحيائية التي تحدثنا عنها في السابق إلى ''ضياع المعلومة الجينية'' في الحشرات. و لا يمكن الزعم أن البكتريا في هذا الوضع و آليات المناعة الموجودة في الحشرات تشكل دليلاً على صحة نظرية التطور لأن نظرية التطور تستند إلى فرضيات حققتها الكائنات الحية عن طريق حدوث طفرة أحيائية. و يوضح Spetner أنه لا المناعة في المضاد الحيوي و لا أي ظاهرة أحيائية أخرى هي التي كانت السبب وراء ظهور طفرة أحيائية كتلك، ويفسر ذلك بقوله:

لم يشهد أحد في أي وقت من الأوقات الطفرات الأحيائية التي يتطلبها التطور الكبير. كما لم ير أحد أيضا أن الدارونية الجديدة قد أضافت معلومة جينية لأي من الطفرات الأحيائية التي تم بحثها على مستوى الجزيئات و التي يمكن أن تمثل طفرات أحيائية حدثت عن طريق المصادفة كي تدعم به النظرية.. و السؤال الذي بحثته كان ''هل من الممكن أن تكون الطفرات الأحيائية التي لم نلحظها أو نراقبها بعد هي التي ستقدم الدعم للنظرية ؟'' و قد جاءت الإجابة على هذا السؤال بـــ''لا'' (153).

ظهر أيضاً أن رأى أنصار نظرية التطور في أن مقاومة المضادات الحيوية للبكتريا هو دليل على التطور ما هي إلا خدعة لا علاقة لها بالحقيقة.

خداع الأعضاء اللاوظيفية أي الضامرة أو الأثرية

لفترة طويلة ظلت فكرة الأعضاء اللاوظيفية (Vestigial Organs) تتردد في كتابات مؤيدي التطور على أنها دليل على النشوء والارتقاء، لكنها أصبحت نسياً منسياً عندما ثبت بطلانها. غير أن بعض مؤيدي التطور ما زالوا يؤمنون بها ويسوقونها بين الحين والحين كدليل هام على نظريتهم.

طلع هؤلاء علينا بهذا التعبير قبل قرن من الزمان. فحسب زعمهم: ضمت أجساد بعض المخلوقات عدة أعضاء ضامرة ورثها الأحفاد عن الأجداد، لكنها أصبحت –تدريجياً– بلا وظيفة نتيجة لعدم استخدامها. هذا زعم لا يمت إلى العلم بشيء أبداً وهو مبني على معرفة غير كاملة. ففي الواقع: الأعضاء التي بلا وظيفة هي أعضاء لم تُعرَف وظائفها. وأوضح مؤشر على هذا هو تناقض القائمة الطويلة للأعضاء التي بلا وظيفة. وها هو العالِم سكادينغ يعترف بهذه الحقيقة في مقال له تحت عنوان هل تشكل الأعضاء التي بلا وظيفة دليلاً على نظرية التطور؟ والذي نُشر في مجلة نظرية التطور، فيقول:

حيث إنه لا يمكن تحديد الأعضاء التي ليس لها وظيفة دون لبس، وحيث إن الطريقة التي يُبنى بها النقاش المستخدَم في هذا الموضوع ليست ذات قيمة علمياً، فأنا أخلص إلى أن الأعضاء الضامرة لا تشكل أي دليل لصالح نظرية التطور قطعاً .(154)

تضمنت قائمة الأعضاء الضامرة التي أعلنها عام 1895 العالم الألماني فيدرشاين، المتخصص في علم التشريح) نحو مئة عضو، بما فيها الزائدة الدودية وعظم عَجْبُ الذنب. ولكن مع تقدم العلم ثبت أن لكل الأعضاء الواردة في قائمة فيدرشاين وظائف هامة. فعلى سبيل المثال: ثبت أن الزائدة الدودية التي وردت باعتبارها من الأعضاء اللاوظيفية هي عضو لِمفاوي يحارب إصابات الجسم بالجراثيم. وقد وضحت هذه الحقيقة عام 1997 : تعد أعضاء وأنسجة الجسم الأخرى مثل غدة التيموس والكبد والطحال والزائدة الدودية ونخاع العظم ومجموعات الأنسجة اللمفاوية الصغيرة (مثل اللوزتين في الحلق ورقع باير في الأمعاء الدقيقة) جزءاً من الجهاز اللمفاوي، فهذه الأعضاء تساعد الجسم على مقاومة العدوى.(155)

واكتُشف أيضاً أن اللوزتين (اللتين وردتا في قائمة الأعضاء اللاوظيفية المذكورة) تلعبان دوراً هاماً في حماية الحلق من العدوى، خاصة حتى سن المراهقة. أما عظم عجم الذنب (وهو أخر عُظيم في العمود الفقري) فقد ثبت أنه يساعد العظام المحيطة بالحوض على التماسك، كما يساعد بعض العضلات الصغيرة على التمسك به. كما ثبت –في الأعوام اللاحقة– أن غدة التيموس (التي قيل إنها من الأعضاء اللاوظيفية) تنشّط جهاز الدفاع عن الجسم بتحفيزها خلايا T؛ وأن الجسم الصنوبري مسؤول عن إنتاج بعض الهرمونات الهامة؛ وأن الغدة الدرقية توفر النمو المستمر للرضّع والأطفال؛ وأن الغدة النخامية تسيطر على عمل الكثير من الغدد المفرزة للهرمونات بشكل سليم... وكل هذه الأعضاء كانت تُعَد من الأعضاء اللاوظيفية! أما النتوء شبه الهلالي في العين (والذي وصفه دارون بأنه عضوٌ لاوظيفي) فهو مسؤول –في الواقع– عن تنظيف الحاجب وتزليقه.

وقد وقع دعاة التطور في خطأ منطقي كبير في موضوع الأعضاء اللاوظيفية.

فكما سبق بيانه: يدّعي مؤيدو نظرية التطور أن الأعضاء اللاوظيفية قد ورثها الأبناء عن الأسلاف، ومع هذا فإن بعض الأعضاء اللاوظيفية المزعومة غير موجودة في الأجناس الحية التي يدّعون أنها جدود الإنسان! فعلى سبيل المثال: الزائدة الدودية لا توجد في بعض القردة التي زعموا أنها سلف للإنسان. ويتناول عالم الأحياء الشهير إنوس (الذي يعارض نظرية الأعضاء اللاوظيفية) هذا الخطأ المنطقي فيقول:

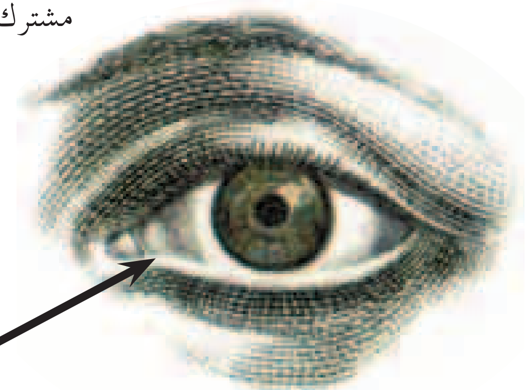
للإنسان زائدة دودية، بينما هي لا توجد لدى أقربائه البعيدين من فصائل القردة الدنيا(الأقدم تاريخياً) ولكن الزائدة الدودية تظهر –مرة أخرى– بين ثدييات من مراتب أوطأ مثل حيوان الأبوسوم. فكيف يمكن لمؤيدي نظرية التطور تفسير ذلك؟ (156)

باختصار: يحتوي السيناريو الذي تخيله دعاة التطور في موضوع الأعضاء اللاوظيفية على عدة أخطاء منطقية، وقد ثبت خطؤه علمياً، فلا توجد في الإنسان أعضاء لاوظيفية حيث إنه لم ينتج بطريق الصدفة عن كائنات أخرى، ولكنه خُلق في شكله الحالي والكامل والبديع

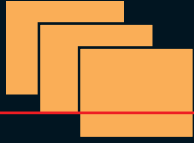
خرافة التماثل

إن التشابه البنيوي بين الأجناس المختلفة يُطلَق عليه في علم الأحياء اسم التماثل (Homology)، ويحاول دعاة التطور تقديم هذا التماثل كدليل على النشوء والارتقاء.

كان دارون يظن أن التماثل في الأعضاء بين الكائنات الحية يعني الارتقاء فيما بينها، وأن هذه الأعضاء المتماثلة لا بد وأنها ميراث من جد أعلى مشترَك لها. فطبقاً لافتراضاته، توجد للحمام وللصقور أجنحة، ومعنى هذا أن الحمام والصقور (وبالقطع كل الطيور ذات الأجنحة) قد ارتقت من جد مشترك أعلى لها.



تعتبر فكرة "الأعضاء الضامرة" من الأفكار التي ثبت عدم صحتها بعد أن تناقلتها مدونات التطور لفترة طويلة نسبياً. فقد ثبت علمياً أن التَحَدُّب الموجود في العين الذي يأخذ شكل نصف قمر والذي وصفه داروين بأنه "العضو الضامر" إنما له وظيفة مقصودة يؤديها وهي تنظيف وترطيب العين.



الثدييات تتحدى فكرة التشاكل



جمجمة ذئب في أمريكا الشمالية



اثنان من الثدييات لهما أسنان ضخمة و مع ذلك لا تربط بينهما صلة أو علاقة مشتركة:

في اليمين)) **Smilodon** هناك تشابه كبير للغاية بين نوعي في اليسار) لدرجة تعتبر معها نموذجاً آخر) **Thylacosmilus**و للتشابه الموجود بين التوائم في الحيوانات من ذوات المشيمة و ذوات الجراب. لقد وضع التكوين المتشابه للغاية سواء لجمجمة أو لأسنان هذه الكائنات الحية مفهوم التشاكل أو التشابه الذي اعتبره أنصار الدارونية دليلا علة التطور في طريق مسدود.



جمجمة ذئب في تازمانيا





ذئب تازمانيا و شبيهه الموجود في أمريكا الشمالية

لقد كان وجود أنواع متشابهة تماما بين الثدييات ذات الجراب والثدييات ذات المشيمة بمثابة ضربةً كبيرةً للغاية لمزاعم التشاكل. فعلى سبيل المثال يوجد تشابه بدرجة خارقة للعادة بين الذئب الموجود في تازمانيا وهو من الجرابيات وذئب أمريكا الشمالية وهو من ذوات المشيمة (في الأعلى). وفي الجانب توجد الجماجم المتشابهة بدرجة كبيرةً. لقد ترك هذا التشابه الكبير الموجود بين هذين النوعين والذي لا يمكن أن يشير إلى "وجود أية قرابة تطورية" ترك زعم التشاكل بلا دليل يؤكد صحته.

النسر والخفاش والذباب هي جميعاً كائنات من ذوات الأجنحة. إلا أنّ امتلاكها لأعضاء متشابهة لا يعتبر دليلا على انحدارها و تطورها جميعاً عن جدٍ أو سلفٍ واحد.

التماثل افتراض خادع اتخذ من المظهر الخارجي منطلَقاً له دون أي دليل آخر. ولم يثبت هذا الافتراض بأي دليل أو معطيات علمية كانت أو غير علمية على مر السنين منذ عصر دارون، كما لم يُعثر على متحجرات في أي من طبقات الأرض تشير إلى هذا الجد المشترَك المزعوم للكائنات ذات التكوينات المتماثلة. وإضافة إلى هذا، توضح النقاط الآتية أن التماثل لا يقدم أي دليل على حدوث التطور:

1. وجود تماثل في أعضاء الأجناس والأنواع المختلفة والتي لم يستطع دعاة التطور أنفسهم إيجاد علاقة ارتقائية بينها.

2. المعلومات الوراثية لبعض الكائنات الحية ذات الأعضاء المتماثلة مختلفةٌ عن بعضها البعض اختلافاً كبيراً.

3. النمو الجنيني للأعضاء المتماثلة في الكائنات الحية المختلفة يختلف جداً عن بعضه البعض. والآن لنتناول هذه النقاط الثلاث، كلاً على حدة

الأعضاء المتشابهة في الأنواع المختلفة

هناك العديد من الأعضاء المتماثلة تشترك فيها الكائنات الحية المختلفة والتي لا يستطيع دعاة التطور إيجاد أي ارتباط تطوري بينها، والأجنحة مثال على هذا. فإضافة إلى الطيور، توجد الأجنحة لدى الخفاپ وهو من الثدييات، كما توجد لدى الحشرات. بل لقد وُجدت ديناصورات طائرة منقرضة ذات أجنحة. ولا يرى دعاة التطور أنفسهم أية علاقة أو قرابة بين هذه الفئات الأربع من الحيوانات.

والمثال الآخر العجيب في هذا الموضوع هو التشابه المحيّر لعيون الحيوانات المختلفة والتقارب في بنيتها. فالإنسان والأخطبوط –مثلاً– نوعان مختلفان عن بعضهما تماماً، ولم يثبت، بل لم يدّعِ أحدٌ، وجودَ أي تماثل تطوري بينهما؛ ومع هذا فإن عيني كل منهما قريبة الشبه بعيني الآخر من حيث بنيتهما ووظيفتهما. وحتى دعاة النشوء والارتقاء أنفسهم لا يزعم أي منهم أن للإنسان والأخطبوط جداً مشتركاً أعلى. هذه الأمثلة (وكثير غيرها) تؤكد لنا أن زعم دعاة التطور أن التماثل في الأعضاء دليل على انحدار الكائنات الحية من جد مشترك أعلى ليس له أي سند علمي.

بل إن الأعضاء المتماثلة هذه ينبغي أن تكون مصدراً كبيراً للحرج لهم؛ فاعترافات أحد مشاهير دعاة التطور، وهو فرانك سالزبوري، والتي جاءت في بيانه عن كيفية وجود عيون متشابهة جداً في كائنات مختلفة تبيّن مأزق التماثل:

إن عضواً معقد التركيب مثل العين قد ظهر أكثر من مرة: في الحبّار والفقاريات والمفصليات على سبيل المثال. إن من العسير التفكير في الكيفية التي ظهر بها مثل هذا العضو مرة واحدة، فكيف بالتفكير في ظهوره كل هذا العدد من المرات كما تقول النظرية التركيبية الحديثة؟ إن التفكير في هذا يصيبني بالدوار .(157).

على الرغم من أن هناك كثير من الكائنات الحية التي لها بُنى فيزيائية متشابهة إلى حد كبير إلا أنه لا يمكن الزعم بوجود علاقة تطور واحدة تربط بين هذه الكائنات. إن الحيوانات ذوات المشيمة و ذوات الجراب أو الجرابيات "مثل الكنغرو " و التي تمثل نوعين من ثلاثة فصائل كبيرة تُصنف تحتها الثدييات هي نموذج لهذا. و يرى أنصار نظرية التطور أن هاتين المجموعتين من الثدييات قد انفصلتا عن بعضهما البعض في فترة الظهور الأولى للثدييات وأنهما أخذتا في التطور مع هذا الشكل المنفصل، إلا أنه مازال هناك الكثير جدا من الكائنات الحية التي تتشابه في البنية تماما مع هاتين المجموعتين التي يُزعم أنهما قد انفصلتا عن بعضهما تماماً. و قد علّق على هذا الموضوع كل من Dean Kenyon و Percival و هما من علماء الأحياء على هذا النحو:

"تري نظرية الدارونية أن وتيرة التطور اللازمة لحيوانات مثل الذئاب و القطط و السناجب والخنازير و آكلات النمل و الفئران لا بد و أن تكون قد حدثت في ثنائيات متتالية؛ مرة من أجل الثدييات من ذوات المشيمة و مرة أيضا من أجل الجرابيات باعتبارها مستقلة تماما عن الأخرى. و يأتي هذا الزعم في مقابل نتيجة لا يتصورها عقل موجودة في الشكل الذي تؤثر فيه طفرة أحيائية حدثت بالمصادفة من دون توجيه من أحد و تؤثر فيه وتيرة الاختيار الطبيعي على نفس الخصائص في الكائنات الحية لمرات كثيرة. (158)





يوجد تشابه إلى درجة كبيرة بين بنية عين الإنسان وبنية عين الأخطبوط. ومع أنه يوجد بالفعل تشابه بين هذين الكائنين في الأعضاء إلا أن هذا لا يعني أن نقول بأن كلا من الإنسان و الأخطبوط قد انحدرا من جدٍ واحد مشترك. حتى أنصار نظرية التطور أنفسهم لم يزعموا بوجود أجداد أو أسلاف مشتركة لهم عيون تتشابه وأعين الإنسان والأخطبوط.

و يشير وجود مثل هذا التشابه غير العادي الذي لم يستطع علماء الأحياء من المؤيدين لنظرية التطور التسليم به باعتباره نموذجا ''للتشاكل أو التناظر'' (تشابه في التكوين أو الوظيفة بين أعضاء كائنات حية مختلفة نتيجة نشوئها من أصل واحد) يشير إلى أن الأعضاء المتشابهة لم تشكل دليلا على الطرح القائل بالتطور من جد واحد. حسناً ! إذن كيف يمكن في ظل وضع كهذا أن نوضح البُنى المتشابهة الموجودة لدى الكائنات الحية؟ والواقع أن الإجابة على هذا السؤال قد أُعطيت حتى قبل أن يأتي داروين بنظريته التي حكمت دنيا العلم. فقد رأى كل من Carl Linneaus و Richard Owen و هما من رجال العلم أن الأعضاء المتشابهة لدى الكائنات الحية هي نموذج لـــ '' الخلق المشترك ''، أي أن وجه التشابه بين الأعضاء المتشابهة أو الجينات المتشابهة حدث ليس لأنها تطورت بالمصادفة من جد واحد مشترك و إنما لأنها خُلقت لتؤدي وظيفة محددة. أما الاستنتاجات العلمية الحديثة فتشير إلى عدم وجود تطابق مع الطرح المُقترح بخصوص الأعضاء المتشابهة و القائل بفكرة ''الجد المشترك''، و يشير إلى أن التفسير الفريد الذي يمكن أن يجري بهذا الخصوص هو '' الخلق المشترك ''، أو بتعبير آخر، هو تصديق و تأكيد مرة أخرى على حقيقة خلق الله للكائنات الحية.

مأزق تماثل المعلومات الوراثية والأجنة

حتى تُؤخَذ مزاعم دعاة التطور بجدية، لا بد أن تكون الأعضاء المتماثلة في الكائنات المختلفة ذات شفرات وراثية متماثلة مع تماثل الحمض النووي DNA، إلا أن هذا ليس متحققاً. ففي معظم الأحيان تكون الشفرة الوراثية مختلفة إلى حد بعيد، زد على هذا أن الشفرات الوراثية المتماثلة في الأحماض النووية DNA للكائنات المختلفة كثيراً ما ترتبط بأعضاء مختلفة تماماً.

يوضح الأسترالي مايكل دانتون، أستاذ الكيمياء الحيوية، في كتابه التطور: نظرية في مأزق المأزق الوراثي الذي يواجهه مؤيدو التطور عند تفسير التماثل: كثيراً ما تكون البنيات المتماثلة ناتجة عن نظم وراثية غير متماثلة، ونادراً ما يمتد مفهوم التماثل ليشمل التطور الجنيني.(159)

وثمة مثال شهير يمكن أن يُساق بخصوص هذا الموضوع هو ''تشاكل أو تناظر الأصابع الخمسة'' الذي يمكن أن نصادفه تقريبا في جميع الكتب المدرسية التي كتبت لخدمة نظرية التطور. حيث توجد أصابع خمسة في كل الأقدام الأمامية و الخلفية للفقاريات رباعية الأرجل التي تعيش على اليابسة. و إن كانت لا تشبه في كل الأحيان شكل الأصابع التي نعرفها، فإنها تعتبر بالنظر إلى شكل بناء العظام فيها ''ذات أصابع خمسة ''. فشكل الأيدي والأقدام عند الضفدعة أو السحلية أو السنجاب أو القرد تدخل تحت هذا البناء، أي يمكن اعتبارها من ذوات الأصابع الخمسة. حتى إن البناء العظمي عند الطيور و الخفافيش هو أيضاً بناء ملائم لهذا التصميم.

أما أنصار نظرية التطور فقد ادعوا أن كل هذه الكائنات الحية إنما أتت من جد واحد مشترك و تداولت الكتب الخاصة بعلم الأحياء هذا الزعم طيلة القرن العشرين على اعتبار أنه يمثل دليلاً قوياً على التطور. بيد أن الاستنتاجات العلمية الخاصة بالجينات التي ظهرت في الثمانيات من القرن العشرين دحضت ذلك الزعم الخاص بهذا الموضوع والمؤيد لفكرة التطور، فقد تأكد أن الجينات الوراثية المختلفة هي التي تتحكم في بناء الإصبع لدى الكائنات الحية المختلفة التي لها هذا البناء من الإصبع. وتحدث عالم الأحياء William Fix المؤيد لنظرية التطور عن انهيار الجزئية الخاصة بالتطور في الأصابع الخمسة كما يلي:

"لقد وقفت كتب الدرس القديمة كثيراً في موضوع التطور عند فكرة التشاكل و التناظر ووقفت بشكل خاص عند شكل بناء الأقدام في الهياكل العظمية لدى الحيوانات المختلفة. و لهذا السبب كان يُعتقد أن البناء خماسي الأصابع في ذراع الإنسان وفي أجنحة الطائر وفي زعانف الخفاش أو الوطواط دليل على انحدار هذه الكائنات الحية من جد واحد. و لو أن هذه البُنى المختلفة كانت تُدار بواسطة تركيب جيني تعرَّض للتغير بين ساعة أخرى بواسطة الطفرات الأحيائية و الاصطفاء أو الاختيار الطبيعي الفطري لأصبح لهذه النظرية معنى واحداً أيضاً، إلا أنه و للأسف لم يكن الوضع بهذا الشكل. فمن الثابت أن الأعضاء المتناظرة لا تُدار و لا يتم التحكم فيها في الأنواع المختلفة إلا بواسطة جينات وراثية مختلفة أيضاً، وبذلك يكون مفهوم التشاكل الذي اعتمد على الجينات الوراثية المتشابهة القادمة من جد واحد مشترك قد انهار بالكامل. (160)

من ناحية أخرى، فحتى يُعَد ادعاء التماثل صحيحاً فإن مراحل النمو الجنيني (مراحل النمو للبويضة أو داخل رحم الأم) للأنواع ذات الأعضاء المتماثلة لا بد أن توازي كل منها الأخرى. وفي الواقع، فإن مراحل النمو الجنيني لهذه الأعضاء مختلفة تماماً في كل نوع من الكائنات الحية.

وختاماً، يمكننا القول إن الأبحاث التي أجريت في علم الوراثة وفي علم الأجنة أثبتت أن فكرة التماثل التي عرَّفها داروِن بوصفها دليل انحدار الأجناس من جد مشترك أعلى لا يمكن أبداً اتخاذها دليلاً بأي حال من الأحوال، وهكذا يمكن القول إن العلم قد أثبت خطأ الفرضية الدارونية المرة تلو الأخرى.

بطلان زعم التماثل في الجزيئات

إن ما يدعيه حماة التطور من أن التماثل في الجزيئات (Molecular Homology) دليل على صحة نظريتهم هو زعم باطل لا على مستوى الأعضاء فحسب، ولكن على مستوى الجزيئات أيضا. فهم يقولون إن شفرات الـــ DNA أو بنى وتراكيب البروتين لدى مختلف أجناس الكائنات الحية متماثلة، وإن هذا التماثل دليل على أنها قد ارتقت من جدود مشتركة عُليا أو ارتقت من بعضها البعض. فعلى سبيل المثال، كثيراً ما تنشر وسائل إعلامهم ما يلي: يوجد تشابه كبير بين شفرة الـــ DNA الخاصة بالإنسان وشفرة الـــ DNA الخاصة بالقردة، ويتم تقديم هذا التشابه بوصفه دليلاً على ما يزعمونه من وجود علاقة ارتقاء بين الإنسان والقردة.

وأكثر الأمثلة الفجة لهذا النمط من الجدل يتعلق بوجود ستة وأربعين كرموزوماً لدى الإنسان وثمانية وأربعين كرموزوماً لدى بعض أنواع القرود مثل الشمبانزي. ويعتبر دعاة التطور أن التقارب في عدد الكرموزومات بين الأجناس المختلفة دليل على علاقة ارتقائية. ولكن إذا صح هذا المنطق، فإن هناك مَن هو أكثر قرباً للإنسان من القردة: وهو البطاطا! ذلك أن عدد كرموزومات البطاطا أقرب إلى عددها في الإنسان من الشمبانزي والغوريلا؛ فهو ستة وأربعون! وبعبارة أخرى، فإن لكل من الإنسان والبطاطا نفس عدد الكرموزومات. وهذا مثال صارخ (وإن كان مضحكاً) يبين أن التشابه في شفرات الـــ DNA لا يمكن أن يعتبر دليلاً على علاقة ارتقائية.



البروفيسور. ميشيل دينتون " التطور: نظرية في أزمة"

وعلى الجانب الآخر، هناك فروق كبيرة بين جزيئات الكائنات الحية التي تبدو متشابهة جداً وقريبة من بعضها البعض. فمثلاً؛ بنية البروتين Cytochrome-C (وهو أحد البروتينات الضرورية للتنفس) تختلف اختلافاً كبيراً لا يكاد يصدق فيما بين المخلوقات الحية التي تنتمي لنفج الفصيلة، وطبقاً للأبحاث التي أُجريت في هذا الصدد فإن الاختلاف بين نوعين مختلفين من الزواحف يفوق الاختلاف بين الطيور والأسماك أو بين السمك وحيوان ثديي. كما أفادت دراسة أخرى بأن الاختلاف الجزيئي بين بعض الطيور يفوق الاختلاف الجزيئي بين نفس هذه الطيور والثدييات. وقد ثبت أن الاختلاف بين جزيئات البكتيريا التي تبدو شديدة التشابه يفوق الاختلاف بين الثدييات والبرمائيات أو بين الثدييات والحشرات.(161) وقد أجريت مقارنات مماثلة في حالات الهيموغلوبين والميوغلوبين والهرمونات والجينات، وكانت النتائج متشابهة .(162)

ويعلق الدكتور مايكل دانتون على هذه النتائج وغيرها من المعطيات ذات العلاقة فيقول: إن كل نوع من الأحياء يُعَد –على المستوى الجزيئي– فريداً ووحيداً وغير مرتبط بوسطاء. ومن ثَم فقد

عجزت الجزيئات –شأنها شأن المتحجرات– عن تقديم الوسطاء الذين يبحث عنهم علماء الأحياء من دعاة التطور منذ زمن طويل؛ فعلى المستوى الجزيئي، لا يوجد كائن هو جد مشترك أعلى أو كائن بدائي أو راقٍ مقارنة بأقربائه... ولا يكاد يوجد شك في أنه لو كان هذا الدليل الجزيئي متاحاً قبل قرن من اليوم فربما لم تكن فكرة التطور العضوي لتجد أي قبول على الإطلاق .(163)

انهيار " شجرة الحياة "

دعَّمت الابحاث التي أجريت في التسعينات من القرن العشرين في مواضيع تتعلق بالشفرات الجينية دعمت هي بدورها عدم صلاحية نظرية التطور. فقد أجريت في هذه الأبحاث مقارنة بين الترتيب الريبوسومي لــ (rRNA) بدلا من المقارنات التي أجريت من قبل على ترتيب البروتين فقط ، من هنا ظهرت الحاجة إلى إقامة " شجرة تطور " استناداً إلى ذلك. إلا أن المناصرين لفكرة التطور أصيبوا بخيبة أمل كبيرة أمام النتائج.

في مقالة كتبها عالما الأحياء الفرنسيان Herve Philippe و Patrick Forterre ونشرت عام 1999 جاء ما يلي: "كلما تناولنا السلسلة المتعاقبة لترتيب الــ DNA ظهر لنا أن النشوء أو التطور النوعي لكثير من البروتينات يختلف مع بعضها البعض ومع شجرة RNA في الوقت نفسه." (164)

و إلى جانب RNA فقد تم مقارنة شفرات DNA الموجودة في جينات الكائنات الحية إلا أن النتائج جاءت في هذه المرة أيضاً مغايرةً تماما لــ "شجرة الحياة" التي تدعو إليها نظرية التطور، و أعلن عن ذلك علماء الأحياء و الجزيئات James Lake و Maria Rivera و Ravi Jain و ذلك في مقالتهم عام 1999:

"لقد بدأ العلماء في تحليل الجينات الوراثية المتنوعة في الكائنات الحية المختلفة و توصلوا إلى أن علاقتها مع نفسها ومع شجرة الحياة التطورية التي تكونت نتيجة لتحليل rRNA أتت متناقضة و مغايرة تماماً. (165)

و كانت النتيجة أن المقارنات التي أجريت على البروتينات و rRNA و الجينات الوراثية أتت غير متوافقة إطلاقا مع فرضيات نظرية التطور. ويقبل Carl Woese وهو من علماء الأحياء في جامعة Illinois المشهورين بأن مفهوم " القرابة في التطور " قد فقد أي معنى له أمام الاستنتاجات و الاكتشافات العلمية الخاصة بالجزيئات، وشرح ذلك قائلا:

"ولم يظهر حتى الآن أي تطور نوعي شامل للكائنات الحية من حالات التطور النوعي الفردية الكثيرة. ويمكننا أن نرى هذه الجوانب غير الملائمة الخاصة بالنشوء و التطور النوعي في كل مكان في الشجرة الكونية (شجرة الأصل الكونية) من جذورها و حتى فروعها و فيما بين المجموعات التي تكوِّن التجمعات الرئيسية.(166).

و لم تكن المقارنات و الموازنات التي أجريت على الجزيئات في صالح نظرية التطور أبدا، بل وعلى العكس جاءت ضدها تماما وهذا ما أيدته مجلة العلم (Science) عام 1999 في مقالها الرئيسي الذي حمل عنوان "هل هذا هو الوقت الذي نجتث فيه شجرة الحياة ؟" " Is it Time to uproot the Tree of Life ". و في مقال آخر حمل توقيع اليزابيث بينيسي Elizabeth Pennisi تم الإعلان عن أن التحليل الجيني والمقارنات التي أجراها علماء الداروينية بهدف إنارة "شجر التطور" جاءت بنتائج عكسية تماماً، "لقد سوَّد النتاج العلمي الجديد وأعتم الصورة الخاصة بالتطور ":

قبل عام من الآن، كان علماء الأحياء الذين يبحثون في الجينات التي رتبت من جديد في ما يزيد عن ستة من الكائنات الحية الدقيقة كانوا يأملون أن تعمل هذه المعلومات على دعم الخطوط المقبولة و التي تتعلق بتاريخ الأزمنة الأولى في الحياة، إلا أن ما رأوه أوقعهم في حيرة ودهشة شديدتين. إن مقارنة الجينات الموجودة في ذلك الوقت أتت بحالة أكثر تشويشا ولم توضح الصورة فيما يتعلق بكيفية نشوء المجموعات الكبيرة في الحياة. وأصبح الوضع الآن ومع الترتيب الميكروبي الجديد في 8 مجموعات أكثر تشويشا للعقل...

لقد كان علماء الدارونية يجزمون أنهم سيتمكنون من العثور على بداية الحياة في ثلاثة عوالم رئيسية...لقد كان الباحثون يأملون عندما انفتح طريق المقارنة بين ترتيب الــ DNA و الجينات المتنوعة الأخرى أنهم سيضيفون تفاصيل أكثر إلى هذه الشجرة البسيطة. ولكن Claire Fraser و هو رئيس معهد أبحاث الجينات في Rockville يقول: "إن كل شيء كان أكثر بعدا عن الحقيقة ". بل و على العكس تسببت هذه المقارنات (الجينية) في رسم أنواع كثيرة جداً من شجرة الحياة كلها كانت متناقضة مع بعضها البعض من ناحية ومع شجرة rRNA من ناحية أخري. (167)

وباختصار، فإنه كلما تطور علماء الأحياء في موضوع الجزيئات، فسوف يتم دحض واستئصال مفهوم التناظر و التشاكل أكثر فأكثر. لقد أظهرت الموازنات و المقارنات التي أجريت سواء على البروتينات أو على rRNA أو على الجينات وجود تباعد بين الكائنات الحية التي تفترض نظرية التطور وجود تقارب بينهما. ولقد أظهرت المقارنات التي أجريت عام 1996 على ترتيب 88 بروتين قرب الرئيسات (منها القرود و الانسان

) لمكان الأرانب و القوارض. و أظهرت التحليلات التي أجريت عام 1998 على 13 جينا تخص 19 حيوانا مختلفا وجود تقارب بين قنافذ البحر وشعبة الكائنات كثيرة الخلايا التي تطورت أجوافها (والتي لا يمكن الزعم بوجود أي تقارب في التطور بينهما). و أظهرت أيضا المقارنات التي أجريت عام 1998 على 12 بروتينا مختلفا وجود تقارب بين البقر والحيتان اكثر من التقارب الموجود بينها و بين الجياد .

و كلما بحثنا على مستوى الجزيئات الحية انهارت فرضيات التناظر الخاصة بنظرية التطور واحدة تلو الأخرى. ويلخص لنا عالم الأحياء الأمريكي Jonathan Wells الوضع في عام 2000 كالآتي:

"إن حالة عدم التوافق الموجودة في الشجر الذي قام اعتمادا على جزيئات مختلفة وعلى النتائج الغريبة التي ظهرت نتيجة لتحليل الجزيئات تعتبر في موقف الذي يسوق التطور النوعي نحو الكارثة."(168)

أما دخول "التطور النوعي للجزيئات" في كارثة، فيعني اتجاه نظرية التطور نحو المصير نفسه أيضا. (المقصود بالتطور النوعي "علاقات القرابة " الموجودة بين الأحياء وهي الفرضية الرئيسية والأولى في نظرية التطور.)

مرة أخرى يدحض العلم الطرح القائل بأن الأحياء تنشأ و تتفرع من بعضها البعض، و يؤكد أن كل مجموعة و فصيلة من الأحياء قد خُلقت بشكل منفصل تماما وعلى نهج مختلف عن الآخر.

خرافة التلخيص الجنيني

على الرغم من أن المراجع العلمية قد أسقطت -منذ زمن بعيد- ما كان يُعرَف باسم نظرية التلخيص (recapitulation theory) فإن بعض الإصدارات العلمية المدافعة عن التطور ما تزال تقدمها على أنها حقيقة علمية. واصطلاح التلخيص هذا هو تعبير موجز عن مقولة تكوُّنُ الفرد تلخيص لأصله التي أطلقها عالم الأحياء التطوُّري أرنست هيغل في أواخر القرن التاسع عشر.

يزعم هيغل في هذه النظرية التي طرحها أن أجنة الكائنات الحية تمر خلال نموها بمراحل الارتقاء التي مرّ بها أجدادها المزعومون. فقد زعم أن جنين الإنسان -أثناء نموه في رحم أمه- يبدي أولاً صفات الأسماك، ثم الزواحف، وأخيراً الإنسان.

وقد ثبت في الأعوام اللاحقة أن هذه النظرية مزيفة تماماً، فمن المعروف الآن أن ما كان يُعتقد أنه خياشيم تظهر في المراحل الأولى من تكون الجنين البشري ليس في الحقيقة سوى المراحل الأولية لتكون قناة الأذن الوسطى والغدة الجاردرقية وغدة التيموس، كما اتضح أن ذلك الجزء من الجنين الذي كان يشبه كيس المح هو كيس يُنتج ما يحتاجه الجنين من الدم، أما الجزء الذي أطلق عليه هيغل وأتباعه اسم الذيل فهو في الحقيقة العمود الفقري في الإنسان، الذي يبدو كالذيل لا لشيء إلا لأن تكوينه يسبق تكوين الساقين.

إن كل ما ذكرناه حقائق معروفة لدى جميع الأوساط العلمية، ودعاة التطور أنفسهم يسلِّمون بها. ويقول أحد مؤسسي الداروينية الحديثة، وهو جورج جايلورد سيمبسون، ما يلي:

لقد شوَّه هيغل المبدأ النشوئي الذي تناوله، فقد ثبت اليوم علمياً بما لا يدع مجالاً للشك أن الأجنة لا تمر بمراحل ارتقاء الأجداد .(169)



لم يستطع أرنست هيكل (Ernst Haeckel) أن يتهرب من قيامه بتحريف الحقائق العلمية وتزوير صور الأجنة رغبةً منه في دعم نظرية علم الأجنة المؤيدة لفكرة التطور والتي كان قد افترضها من قبل.

وقد ورد في مقال نُشر في مجلة العالم الأمريكي (American Scientist) ما يلي:

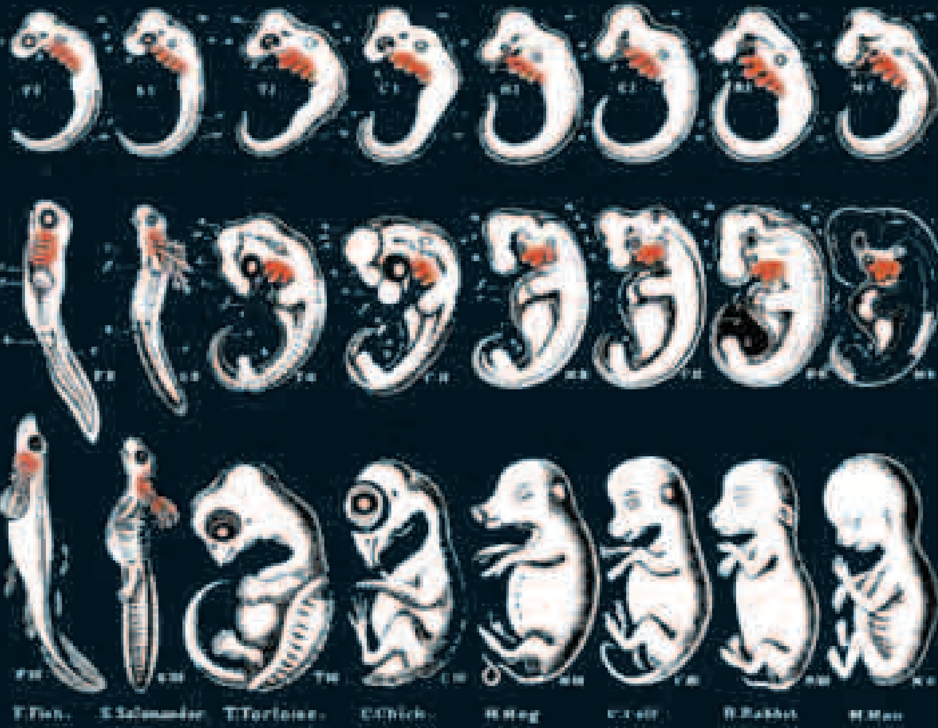
إن قانون النشوء الأحيائي قد مات تماماً. فقد حُذف أخيراً من مراجع علم الأحياء في الخمسينيات، وإن كان قد اندثر كموضوع للبحث النظري الجاد في العشرينيات (170).

من الأوجه المثيرة لهذا الموضوع أن أرنست هيغل كان دجالاً قام بتزييف رسوم المراحل الجنينية لتدعيم النظرية التي طرحها. لقد أظهرت رسوم وصور هيغل المزيفة أن أجنة الأسماك والإنسان متشابهة، وحين ثبت تزييفه هذا كان الدفاع الوحيد الذي قدَّمه هو قوله إن آخرين من دعاة التطور قاموا بمثل هذا التزييف:

كان عليّ بعد الاعتراف بهذا التزوير أن أعُد نفسي مداناً ومنتهياً، لولا أنني أجد العزاء في أن أرى إلى جانبي في قفص الاتهام مئات من الجناة، بينهم كثير من الباحثين الذين يحظون بأكبر قدر من الثقة وعلماء الأحياء المرموقين. وإذ ذاك، فإن الغالبية العظمى من الرسوم الموجودة في أفضل مراجع علم الأحياء وأبحاثه ومجلاته ستكون مستحقة أن تُتهم بالتزوير بنفس القدر؛ إذ إنها جميعاً غير دقيقة وتم تعديلها بصورة أو أخرى .(171)

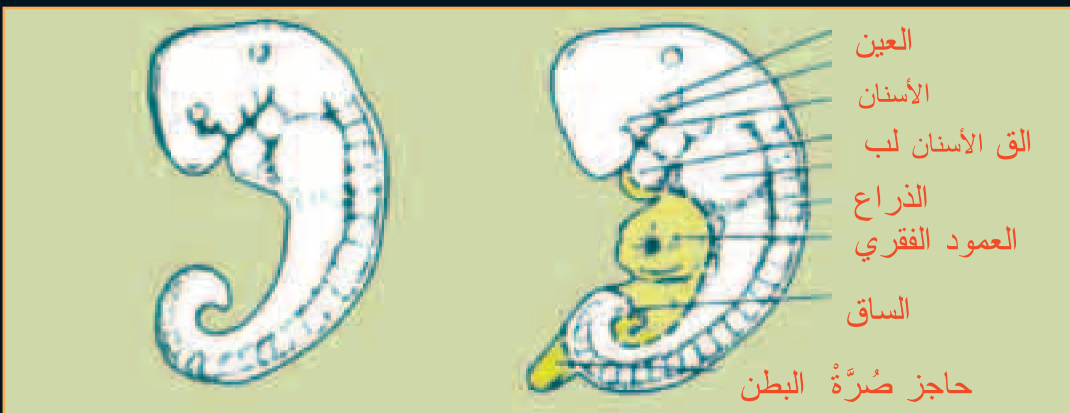
نعم؛ هناك مئات من الجناة بينهم كثير من الباحثين الذين يحظون بأكبر قدر من الثقة وعلماء الأحياء المرموقين، الذين تمتلئ أعمالهم بالتحيز والتحريف، بل والتزييف؛ ذلك أنهم وضعوا نُصب أعينهم هدفاً لا يحيدون عنه، ألا وهو الدفاع عن نظرية التطور بالرغم من عدم توفر دليل علمي واحد يدعم صحته.

صور هيكل المزيفة



يوجد في الجانب الصور المزيفة التي خطّها هيكل ليثبت وجود تشابه بين الأجنة البشرية والأسماك. و قد اتضح عند مقارنتها بأجنة الإنسان الحقيقية أن جزءاً كبيراً من الأعضاء تمّ استنتاجها عن عمد.

(Francis Hitching, The Neck of the Giraffe: Where Darwin Went Wrong, p. 205).



صورة صحيحة — رسم مزيف

الفصل الثالث عشر

نظرية التطور: ضرورة مادية إلحادية

إن كل المعلومات التي سردناها في هذا الكتاب تثبت أن نظرية التطور ليس لها أي سند علمي، بل على العكس، تتناقض كل مزاعم النظرية مع كل الاكتشافات العلمية. ويمكننا القول –بعبارة أخرى– إن القوة التي تبقي على النظرية ليست هي العلم. قد يدافع بعض العلماء عن النظرية، إلا أنه لا مفر من التسليم بوجود عامل جوهري آخر. ذلك العامل الآخر هو الفلسفة المادية.

إن الفلسفة المادية هي إحدى أقدم النظم الفكرية في التاريخ، وقوامها الأساسي هو اعتبارها أن المادة شيء مطلق. وطبقاً لهذه الفلسفة فإن المادة أزلية، وكل ما هو موجود يتكون من المادة فحسب. ومن الطبيعي أن مثل هذا المنهج يجعل من المستحيل الإيمان بوجود خالق، ولذلك فقد كانت الفلسفة المادية منذ قديم الأزل عدواً لكل أنواع المعتقدات الدينية التي تؤمن بالله.

بهذا يصبح السؤال هو عمّا إذا كانت النظرية المادية على حق. وتتمثل إحدى وسائل اختبار صحة أو خطأ فلسفة ما –في دراسة مزاعمها التي تتعلق بالعلم– بطرق علمية؛ فمثلاً، يمكن لفيلسوف في القرن العاشر أن يزعم أن هناك شجرة مقدسة على سطح القمر وأن كل الكائنات الحية نمت على أفرع تلك الشجرة الضخمة كالثمار ثم سقطت إلى الأرض، وقد يفتتن بعض الناس بهذه الفلسفة ويتبنونها، ولكن في القرن العشرين وبعد أن نزل الإنسان على سطح القمر لم يعد بالإمكان طرح مثل هذه الفلسفة. فوجود هذه الشجرة هناك أو عدم وجودها يمكن التحقق منه بالسبل العلمية، أي عن طريق المشاهدة والتجربة.

يمكننا –إذن– تحري مزاعم النظرية المادية بالطرق العلمية؛ أي يمكننا أن ندرس ما إذا كانت المادة موجودة منذ الأزل أو غير موجودة، وما إذا كانت المادة تستطيع أن تنظم نفسها بنفسها دون خالق عظيم، وما إذا كانت المادة تستطيع تكوين كائن حي أو لا تستطيع. عند قيامنا بهذا سنجد أن النظرية المادية قد انهارت بالفعل لأن فكرة وجود المادة منذ الأزل قد أطاحت بها نظرية الانفجار الكبير Big Bang التي تُبيّن أن الكون قد خُلق من العدم. أما الزعم بأن المادة نظمت نفسها بنفسها وأنها أتت بالحياة، فذلك هو الادعاء الذي نطلق عليه اسم نظرية التطور، وهي النظرية التي يمحّصها هذا الكتاب وقد أثبت انهيارها هي الأخرى.

ومع ذلك، فإذا كان شخص ما مصمماً على الإيمان بالمادية، ووضع إيمانه بالفلسفة

الماد ية فوق كل اعتبار، فلن يكون تصرفه على هذا النحو. فإذا كان معتنقاً للفلسفة المادية في المقام الأول، ثم عالِماً في المقام الثاني فلن يتخلى عن المادية عندما يرى العلم يدحض نظرية التطور. بل على العكس، سيحاول الدفاع عن المادية والإبقاء عليها من خلال السعي إلى تأييد نظرية التطور بكل ما يملك ومهما كانت الوسائل. وهذا –بالضبط– هو المأزق الذي يجد أنصار نظرية التطور المدافعون عنها أنفسهم فيه اليوم.

والغريب هنا أن بعضهم يعترف بهذا بين الحين والحين، ومن هؤلاء أستاذ علم الوراثة الشهير في جامعة هارفارد ريتشارد ليونتن، وهو من المجاهرين بآرائهم لصالح التطور، إذ يعترف بكونه مادياً في المقام الأول، ثم عالِماً قائلاً:

ليس الأمر أن الوسائل أو القوانين العلمية تجبرنا بشكل ما على قبول التفسير المادي للعالَم المدرَك بالحواس، ولكن على العكس، فنحن مدفوعون –بتمسكنا البديهي بالأسباب المادية– إلى خلق أداة للبحث ومجموعة من المفاهيم تُنتِج تفسيرات مادية، مهما كانت مخالفة للبديهة وغامضة لغير

المطّلع. وفوق ذلك فإن المادية مطلقة، ولهذا فلا يمكننا السماح لتفسير إلهي بأن يأخذ مكانه على الساحة .(172)

إن تعبير بديهي (a priori) الذي يستعمله ليونتن هنا مهم للغاية، فهذا التعبير الفلسفي يشير إلى افتراض مسبق لا يستند إلى أية معرفة عملية، فالفكرة تكون بديهية عندما تُعَدّ صحيحة ويتم التسليم بصحتها حتى في غياب أية معلومات تشير إلى صحتها. وكما يعترف ليونتن صراحة، فإن المادية هي إحدى المسلّمات البديهية لدى دعاة التطور، وهم يحاولون تطويع العلم ليتفق معها. وبما أن المادية تستلزم بالتأكيد رفض الإيمان بالخالق، فهم يتشبثون بالبديل الوحيد المتاح لهم، وهو نظرية التطور، غير عابئين بأن الحقائق العلمية قد كذبت نظرية التطور. إن هؤلاء العلماء قد قبلوا صحتها بوصفها أمراً بديهياً.

إن هذا الموقف المتحيز يؤدي بدعاة التطور إلى الإيمان بأن المادة الصماء كونت نفسها بنفسها، وهو ما لا يخالف العلم فحسب، ولكنه يخالف المنطق أيضا. ويشرح أستاذ الكيمياء في جامعة نيويورك، الخبير في خبايا الحمض النووي DNA، روبرت شابيرو، اعتقادات أنصار نظرية التطور وإيمانهم بالماديات الكامن خلف هذه الاعتقادات بقوله:

> يجب التوصل إلى مبدأ تطوري يستطيع أن يوصلنا من مرحلة خليط المواد الكيميائية البسيطة التي نتكون منها إلى أول جهاز أو عضو له خاصية وصفة القدرة على الإعادة والتكرار Replicator (مثل DNA أو RNA). ويمكن إطلاق اسم التطور الكيميائي أو تنظيم المادة لنفسها ذاتيا على هذا المبدأ . ولكن لم يتم حتى الآن تعريف هذا المبدأ بشكل دقيق وتفصيلي، بل لم تتم البرهنة على وجوده أصلا حتى الآن. ويتم الإيمان بوجود هذا المبدأ كنتيجة للإيمان بالمادية الديالكتيكية. (173) .

إن المادية الجدلية تلعب دورا مهما في صياغة السيناريوهات المتعلقة بأصل الحياة والتي تكون منسجمة مع عقيدتهم... فلابد أن الحياة قد تكونت بشكل ما، وفي هذا الموضوع بالرغم من عدم وجود أي دليل على ما يقوله الماديون، وبالرغم من أن الأدلة تقف ضدهم فإنهم ما يزالون يدافعون عن عقيدتهم.

إن الدعاية الخاصة بنظرية التطور، التي نراها باستمرار في الوسائل الإعلامية الغربية المشهورة وفي المجلات العلمية العريقة، ما هي إلا ثمرة لهذه الضرورة الأيديولوجية. فحيث إن التطور أصبح يُعَد من الأشياء التي لا يمكن التخلي عنها، فقد حولته الدوائر التي تقرر مقاييس العلم إلى أحد المقدسات التي لا يجوز مناقشتها.

هناك علماء يجدون أنفسهم مضطرين للدفاع عن هذه النظرية البالغة الغرابة، أو على الأقل يتحاشون التفوه بكلمة ضدها، للحفاظ على مركزهم العلمي. إن الأكاديميين في الدول الغربية مضطرون لنشر مقالاتهم في مجلات علمية معينة للحصول على درجة الأستاذية، والمجلات التي تعنَى بعلم الأحياء كلها تحت سيطرة حماة التطور الذين لا يسمحون بنشر مقال واحد معارض لنظرية التطور في مجلاتهم، ومن ثم فكل عالم أحياء عليه أن يقوم بدراساته تحت هيمنة هذه النظرية. وهم أيضاً جزء من النظام القائم الذي يَعُدّ التطور ضرورة أيديولوجية، ولهذا فهم يدافعون عن كل الصدف المستحيلة التي ناقشناها حتى الآن في هذا الكتاب.

اعترافات الماديين

يُعد عالم الأحياء الألماني هومر فون ديثفورت (وهو أحد دعاة التطور المشهورين) مثالاً جيداً لهذا الفكر المادي المتعصب، فبعد أن قدّم ديثفورت مثالاً على التركيب المعقد للغاية في الكائنات الحية، يواصل الحديث فيما يتصل بما إذا كان من الممكن أن توجد هذه الكائنات بالصدفة أو لا فيقول:

> هل من الممكن فعلاً أن يكون مثل هذا التناغم والتوافق وليد الصدفة وحدها؟ هذا هو السؤال الرئيسي في قضية تطور الأحياء. إن الإجابة عن هذا السؤال بـــنعم هي بمثابة تأكيد للإيمان بالعلوم الطبيعية الحديثة. فمن الوجهة النقدية، يمكننا القول إن مَن يقبل العلوم الطبيعية الحديثة ليس لديه خيار آخر سوى أن يقول نعم لأنه يهدف إلى تفسير الظواهر الطبيعية بطرق مفهومة ويحاول استنتاجها من قوانين الطبيعة دون الاعتماد على تدخل أمور ميتافيزيقية. ومع هذا، وعند هذه النقطة، فإن تفسير كل شيء بواسطة قوانين الطبيعة (أي بواسطة المصادفات) هو علامة عجزه عن اللجوء إلى شيء آخر، فماذا عساه يفعل سوى الإيمان بالمصادفات؟(174)

نعم؛ وكما قال ديثفورت، يتبنى المدخل المادي العلمي تفسير وجود الحياة عن طريق إنكار التدخل الخارق، أي الخلق، ويَعُد ذلك التفسير مبدأه الأساسي. وبمجرد تبني هذا المبدأ فإنه يصبح من السهل تبني أكثر الاحتمالات استحالة، ويمكن العثور على أمثلة لهذه العقلية المتعنتة في كل أعمال حماة النشوء تقريباً. ويعَد الأستاذ علي دميرصوي، المؤيد الشهير لنظرية التطور في تركيا، واحداً من كثيرين غيره. وكما سبق أن أشرنا في الصفحات السابقة، طبقاً لما صرح به علي دميرصوي فإن احتمال تكون البروتين Cytochrome –c الضروري للحياة عن طريق الصدفة هو احتمال ضعيف جداً

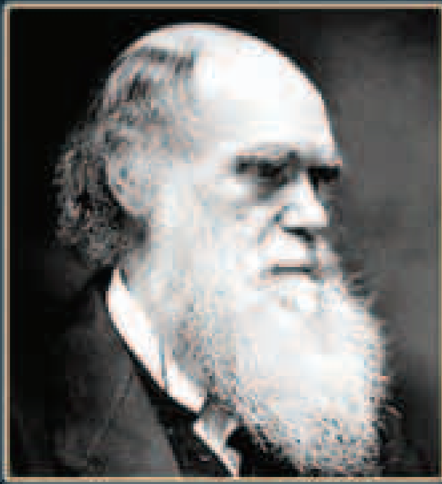
الدارونية والمادية

إن السبب الوحيد لاستمرار الدفاع عن نظرية دارون -بالرغم من دحض العلم لها بوضوح- يرجع إلى الصلة بين هذه النظرية والمادية. فقد قام دارون بتطبيق الفلسفة المادية على العلوم الطبيعية، ويواصل مؤيدو هذه الفلسفة (وفي مقدمتهم الماركسيون) الدفاع عن الدارونية بغض النظر عن أي شيء. وقد كتب أحد أشهر فرسان نظرية التطور المعاصرين، وهو البيولوجي دوغلاص فيوتيما، ما يلي: إلى جانب نظرية مادية التاريخ لماركس، كانت نظرية التطور لدارون ركناً رئيسياً في فكر الآلية والمادية. وهذا اعتراف واضح جدّاً يكشف أهمية نظرية التطور لدى المدافعين عنها(1). كما قال مؤيد آخر شهير لنظرية التطور، وهو عالم المتحجرات ستيفن غولد: لقد طبق داروين فلسفة مادية ثابتة لتفسيره للطبيعة(2). وعلّق ليون تروتسكي (وهو أحد العقول المدبرة للثورة الروسية الشيوعية مع لينين) قائلاً: كان اكتشاف داروين أعظم انتصار للجدل في مجال المادة العضوية بالكامل(3). ومع ذلك، فقد أظهر العلم أن الدارونية ليست انتصاراً للمادية لكنها علامة على سقوط هذه الفلسفة.

1. Douglas Futuyma, Evolutionary Biology, 2nd ed. Sounderland, MA; Sinauer, 1986 p.3
2. Alan Woods and Ted Grant, “Marxism and Darwinism”, Reason in Revolt : Marxism and Modern Science , London, 1993.
3. Alan Woods and Ted Grant, “Marxism and Darwinism” , London ,1993.


ليون تروتسكي


كارل ماركس


شالز داوين

يعادل احتمال كتابة قردٍ لتاريخ الإنسانية كلها على آلة كاتبة دون أي أخطاء! (175)

لا شك أن قبول مثل هذا الاحتمال يعني الضرب بعرف الحائط بأبسط مبادئ العقل والفكر السليم؛ فمجرد وجود حرف واحد مكتوباً على قصاصة من الورق يؤكد أن إنساناً كتبه، وعندما يشاهد المرء كتاباً عن تاريخ البشرية يزداد تأكده من أن هذا الكتاب قد ألّفه كاتبٌ ما. فلن يزعم أي إنسان عاقل أن حروف هذا الكتاب الكبير يمكن أن تكون قد اصطفت بعضها إلى جانب بعض بمحض الصدفة!

ولكن الغريب فعلاً أن نجد الأستاذ علي دميرصوي، العالم المؤيد للتطور، يقبل هذا النوع من الافتراضات غير العقلانية:

الحقيقة أن احتمال تكوُّن سلسلة Cytochrome-c هو احتمال ضعيف جداً يكاد يكون صفراً، أي أنه إذا تطلبت الحياة سلسلة معينة فيمكن القول إن احتمال تكوّن هذه السلسلة هو مرة واحدة في حياة الكون، وإلا فلا بد أن تكون قُوى ميتافيزيقية تفوق إدراكنا قد تدخلت في الأمر. وقَبول هذا الفرض الأخير لا يناسب الأهداف العلمية. إذن لا بد لنا من النظر إلى الفرض الأول! (176)

إن دميرصوي يذهب إلى قول إنه يقبل الاحتمال المستحيل لكي يرفض احتمال تدخل قوى ميتافيزيقية، أي لكيلا يقر بقيام الله بالخلق. ومن الواضح أن هذا المنهج لا يمُتُّ بأي صلة للعلم ومبادئه. ومما لا يبعث على الدهشة أن دميرصوي حين يذكر موضوعاً آخر، هو أصل الميتوكوندريا في الخلية، نجده يقبل صراحة مبدأ الصدفة بالرغم من كونه مخالفاً تماماً للفكر العلمي:

إن لب المشكلة هو كيفية حصول الميتوكوندريا على هذه الخاصية؛ لأن الحصول عليها بالصدفة، حتى بواسطة فرد واحد، يحتاج إلى اجتماع احتمالات لا يستطيع العقل تصورها. فالإنزيمات التي تتيح التنفس وتعمل كعوامل مساعدة للتفاعلات في كل خطوة وبأشكال مختلفة تمثل لب الآلية؛ فلا بد أن تشتمل الخلية على هذه السلسلة من الإنزيمات بالكامل، وإلا أصبح الأمر بلا معنى. وهنا، فإننا لكي نتفادى اللجوء إلى تفسير أكثر تعنتاً أو إلى التكهن، فنحن مضطرون إلى أن نقبل (وإن كان ذلك على مضض) فكرة الوجود المسبق لكل إنزيمات التنفس في الخلية قبل

انهيار الفلسفة المادية علميا

حيث أنها تمثل الأساس الفلسفي لنظرية النشوء والتطور، فقد اقترحت مادية القرن التاسع عشر وجود الكون منذ الأزل وأنه لم يخلق وأن العالم العضوي يمكن تفسيره بواسطة التفاعل بين المادة. لكن اكتشافات القرن العشرين أثبتت الخطأ الكامل لهذه الفرضيات. فقد سقطت فرضية أن الكون وُجد منذ الأزل باكتشاف أنه ظهر نتيجة انفجار هائل (وهو ما يُدعى بالانفجار الكبير Big Bang) وقع قبل 15 بليون عام. ويُظهر الانفجار الكبير أن المواد الطبيعة للكون قد تكونت من لاشيء، وبعبارة أخرى: لقد خُلقت. ويعترف أحد أوائل مؤيدي المادية، وهو الفيلسوف الملحد أنطوني فلو، بما يلي:

من المعروف أن الاعتراف يفيد الروح، لهذا سأبدأ بالاعتراف بأنه على الملحد الشعور بالحرج من الإجماع العالمي المعاصر المتمثل في الانفجار الكبير، حيث يبدو أن علماء الكون يقدّمون الدليل العلمي على أن الكون كانت له بداية(1).

ويوضح الانفجار الكبير أيضاً أن الكون كان يتم فيه خلق تحت السيطرة في كل مرحلة، وهذا واضح في النظام الذي حل بعد الانفجار الكبير والذي كان مكتملاً بدرجة لا يمكن معها أن يكون نتيجةً لانفجار غير خاضع للسيطرة. ويفسر الطبيب المشهور بول ديفيد هذا الموقف قائلاً: يصعب مقاومة انطباع أن التكوين الحالي للكون، الذي يبدو حساساً للتغيرات الصغيرة في المعايير، قد تم التفكير فيه بعناية. فلا بد أن يظل التوافق المعجز الواضح في القيم العددية –التي حددتها الطبيعة لثوابتها الأساسية لها– أكثر الأدلة الدامغة على عنصر التصميم الكوني(2). وتدفع نفس الحقيقة أستاذاً أميركياً في علم الفلك إلى أن يقول: عندما نقوم بمراجعة كل الأدلة يردُ على ذهننا في التو أن قوة فوق الطبيعة لا بد أن تكون قد تدخلت(3). كذلك فإن الفروض المادية بإمكانية تفسير الحياة بواسطة التفاعل بين المادة قد انهارت في مواجهة اكتشافات العلم. وعلى وجه الخصوص، فإنه لا يمكن بحال تفسير أصل المعلومات الوراثية التي تحدد الكائنات الحية بواسطة أي عنصر مادي صرف. ويقرّ أحد كبار المدافعين عن نظرية التطور (وهو جورج وليامز) بهذه الحقيقة في مقال كتبه عام 1995:

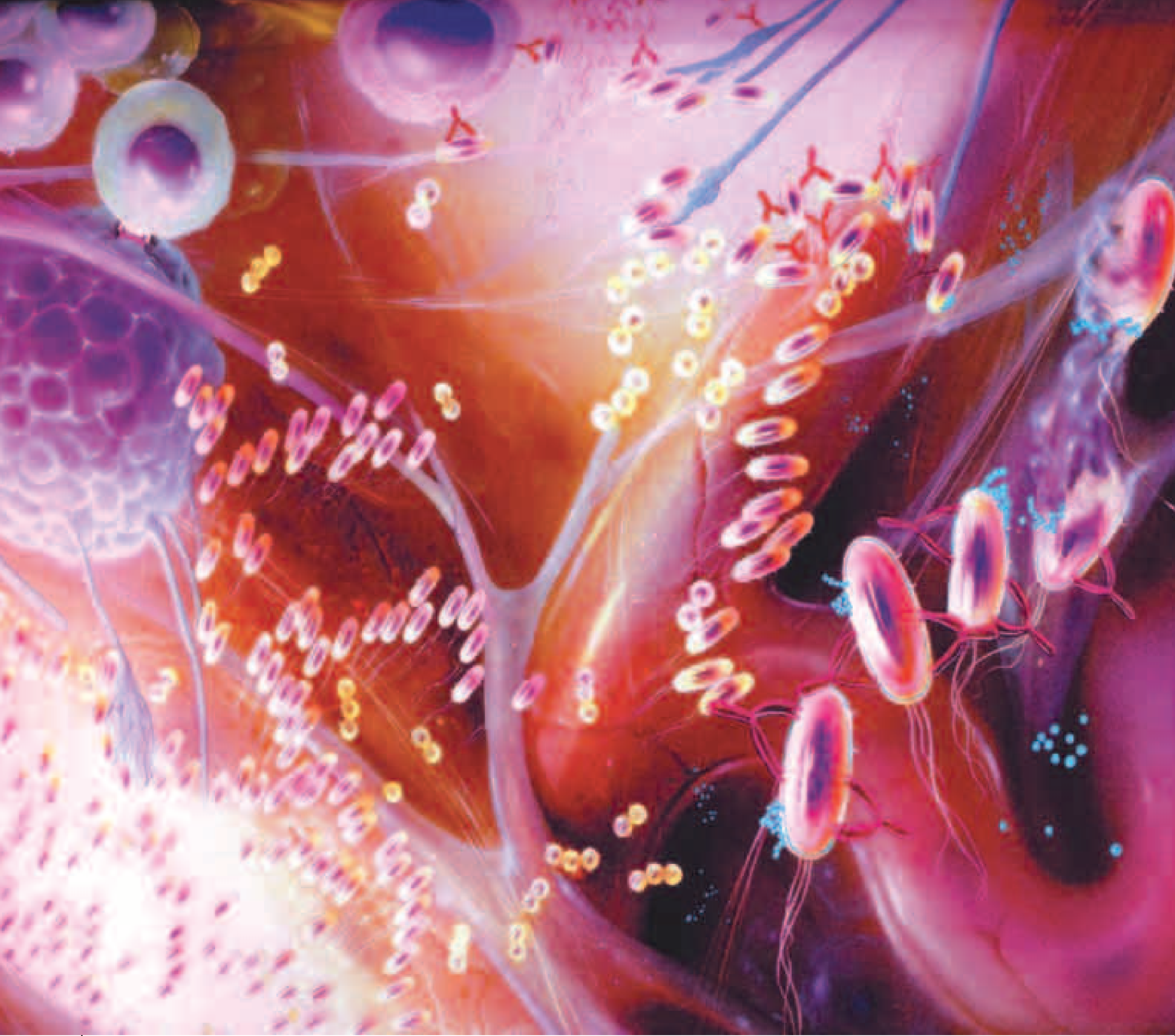
لقد فشل البيولوجيون من مؤيدي التطور في إدراك أنهم يعملون من خلال نطاقين يمكن القول إنهما غير متكافئين: أولها خاص بالمعلومات والثاني خاص بالمادة، ذلك أن الجين هو حزمة من المعلومات وليس شيئاً ما. هذا الواصف النادر يجعل من المادة والمعلومات نطاقين مختلفين للوجود ينبغي مناقشة كل منهما على حدة(4).

هذا الموقف دليل على وجود حكمة غير طبيعية أدت إلى تواجد المعلومات الوراثية؛ فيستحيل على المادة إنتاج المعلومات بنفسها. ويعلق مدير المعهد الألماني الفدرالي للفيزياء والتكنولوجيا، البروفسور فيرنر غت، قائلاً:

تدل كل التجارب على الحاجة إلى كائن مفكّر يستخدم إرادته الحرة وإدراكه وإبداعه طواعية. وليس هناك قانون معروف للطبيعة أو عملية أو تسلسل معروف للأحداث يمكن أن يؤدي إلى ظهور المعلومات تلقائيّاً في المادة(5).

كل هذه الحقائق العلمية تبين أن الكون وكل الأشياء الحية قد خلقها خالق له قوة وعلم لانهائيان، أي خلقها الله. أما فيما يختص بالمادية فيقول عنها آرثر كوستلر، أحد مشاهير فلاسفة القرن العشرين: لم يعد من الممكن لهذه الفلسفة أن تزعم أنها فلسفة علمية(6).

1. Henry Margenau, Roy A. Vargesse.
Cosmos, Bios, Theos. La Salle IL: Open Court Publishing, 1992, 241.
2. Paul Davies .God and the New Physics.New York, Simon & Schuster, 1983, p.198
3.Hugh Ross. The Creator and the Cosmos.Colorado Springs, Co: Nav Press, 1993 pp 15-114
4.George C. Williams . The Third Culture : Beyond the Scientific Revolution , New York ,Simon & Schuster, 1995 p 42-43
5. Verner Gitt. In the Begining Was Information. CLV, Bielefeld, Germany, p. 107,141.
6. Arthur Koestler, Janus: A Summing Up, New York, Vintage Books,1978, p. 250



تعرضها للمرة الأولى للأكسجين، بالرغم من كون ذلك مخالفاً للتفكير العلمي البيولوجي .(177)

نخلُص من كل ما أوردناه فيما سبق إلى أن التطور ليس نظرية تم التوصل إليها بعد دراسات علمية، بل على العكس من ذلك: فإن شكل ونسيج هذه النظرية قد أمْلَتهما متطلبات الفلسفة المادية، ثم تحولت إلى عقيدة بالرغم من الأدلة العلمية الدامغة التي تدحضها. ومرة أخرى يمكننا أن نرى بوضوح من كتابات مؤيدي التطور أن هناك هدفاً لكل هذه الجهود، وهو الحيلولة دون أي اعتقاد بأن كل الكائنات الحية هي من صنع خالق.

ويعرّف دعاة التطور هذا الهدف بأنه علمي، لكن ما يتحدثون عنه ليس علماً بل فلسفة مادية، فالمادية ترفج بشكل قطعي وجود أي شيء فوق المادة (أو أي شيء خارق). والعلم ذاته ليس مضطراً لقبول مثل هذه العقيدة، فالعلم يعني دراسة الطبيعة واستخلاف النتائج من الدراسات، فإذا بينت هذه النتائج أن الطبيعة مخلوقة فلا بد أن يقبل العلم هذا. إن هذا هو واجب العالِم الحقيقي؛ لا الدفاع عما يستحيل تحققه بالتشبث بالعقائد المادية البالية التي تعود إلى القرن التاسع عشر.

الدعاية لنظرية التطور



المجلات العلمية الشهيرة التي أخذت على عاتقها مسؤولية قيادة الترويج والدعاية لنظرية التطور تلعب دوراً هاماً في تشجيع العامة على قبولها وتصديقها.

الفصل الرابع عشر

الإعلام مرتع خصب لنظرية التطور

يتضح مما تناولناه بالدراسة حتى الآن أن نظرية التطور لا تستند إلى أي أساس علمي. ولكن معظم الناس في أنحاء العالم لا يدركون هذه الحقيقة، ويظنون أن نظرية التطور حقيقة علمية. وأكثر ما يسبب ذلك التضليل هو ما تقوم به وسائل الإعلام من تلقين وبث منسّق ومنظم للنظرية والترويج والدعاية لها. ولهذا كان لابد لنا من ذكر الخصائص المميزة لهذه الحملات التلقينية والدعائية.

إذا ما تأملنا وسائل الإعلام الغربية فسنجد أنها لا تكاد تخلو من أخبار عن نظرية التطور، فالمنظمات الإعلامية الرائدة والمجلات الشهيرة الموثوق بها تنشر موضوعات بشكل دوري حول هذه النظرية. أما إذا ما تأملنا أسلوبهم، فسنخرج بانطباع هو أن هذه النظرية حقيقة علمية ثابتة بصورة قاطعة، مما لا يفسح مجالاً لأي نقاش أو جدال.

وعندما يقرأ القارئ العادي مثل هذه الأخبار والموضوعات يبدأ في الاعتقاد بأن نظرية التطور حقيقة علمية مؤكدة شأنها شأن أي قانون رياضي. فما تنشره وسائل الإعلام العالمية الكبرى تلتقطه وسائل الإعلام المحلية وتغطّيه إعلامياً وبسرعة فائقة. فتخرج علينا هذه الوسائل بعناوين بارزة تحتل مساحة كبيرة مثل نقلاً عن مجلة تايم: العثور على متحجرة جديدة تسد الفجوة في سلسلة المتحجرات. أو تشير مجلة Nature إلى أن العلماء قد ألقوا الضوء على آخر وأحدث ما وصلوا إليه في نظرية التطور. إن الإعلان عن العثور على حلقة الوصل الأخيرة المفقودة في سلسلة التطور لا يعنى شيئا البتة، ذلك أنه لا يوجد في الحقيقة أي جانب تم إثباته من هذه النظرية، وكل الأدلة التي ساقوها اتضح زيفها كما بيّنّا في الفصول السابقة. ولا يقتصر الأمر على الوسائل الإعلامية فحسب، بل لقد امتد ليشمل المراجع العلمية والموسوعات وكتب علم الأحياء.

وباختصار، إن وسائل الإعلام والدوائر الأكاديمية، التي تعمل لحساب مراكز القوى المعادية للدين، تعتنق وجهة نظر تعضد تماماً نظرية التطور وتحاول فرضها وتلقينها للمجتمع. وقد كان لهذا التلقين والفرض من التأثير والفعالية ما جعل نظرية التطور تتحول بمرور الأيام إلى ما يشبه العقيدة، وأصبح يُنظر إلى إنكار نظرية التطور باعتباره معارضةً لمعطيات العلم وإغفالاً للحقائق العلمية الثابتة.

ولهذا السبب، فإنه على الرغم من العيوب الكثيرة التي تشوب هذه النظرية والفجوات التي تمتلئ بها والتي ثبتت بالأدلة القاطعة (خاصة منذ الخمسينيات)، وعلى الرغم من أن العلماء من أنصار هذه النظرية قد اعترفوا هم أنفسهم بهذه العيوب والفجوات، على الرغم من هذا كله، فإننا اليوم لا نكاد نعثر على أي نقد لنظرية التطور سواء في الأوساط العلمية أو في الوسائل الإعلامية.

إن كثيراً من المجلات التي تُعد –على نطاق واسع – أكثر منابر النشر مصداقية وتخصصاً في علم الأحياء والطبيعة في الغرب (مثل: Nature, Focus, National Geographic... قد اعتنقت نظرية التطور واتخذتها مذهباً فكرياً لها، وهي لا تألو جهداً في إبراز هذه النظرية كحقيقة مؤكدة.

أكاذيب مسبقة الإعداد

إن دعاة التطور يستفيدون استفادة كبيرة من الميزة التي يوفرها لهم برنامج غسل المخ الذي تقوم به وسائل الإعلام؛ فكثير من الناس يؤمنون بنظرية التطور دون تفكير أو بحث، حتى إنهم لا يفكرون في طرح أسئلة مثل كيف؟ ولماذا؟ وهذا يعني أن بإمكان دعاة هذه النظرية أن يزودوا أكاذيبهم بكل ما يجعلها وسيلة فعالة للإقناع والتأثير.

فعلى سبيل المثال، تتناول أبرز الكتب العلمية الداعية لنظرية التطور ظاهرة انتقال الحياة من المياه إلى اليابسة (وهي من أهم ظواهر نظرية التطور التي لا يوجد لها تفسير بعد) وتحاول تفسيرها بتبسيط مثير للسخرية. فالنظرية تنص على أن الحياة بدأت في الماء وأن أول الكائنات الحية ظهوراً كانت الأسماك، وتذكر النظرية أن الأسماك شرعت ذات يوم، لسبب ما، في إلقاء نفسها على اليابسة (والسبب

خرافات أنصار نظرية التطور بخصوص الحوت

من هذه الأكاذيب المثيرة للفضول التي ساقتها النظرية تلك المتعلقة بـــ«تطور الحوت»، التي نُشرت في مجلة ناشيونال جيوغرافيك (وهي واحدة من أكثر المطبوعات العلمية شهرة وجدية في العالم):

«بدأ تطور الحوت إلى حجمه الحالي قبل ستين مليون سنة عندما غامرت الحيوانات الثديية البرية ذات القوائم الأربع والشعر بالتحول إلى الماء بحثاً عن الغذاء. وعلى مر العصور طرأت التغيرات تدريجياً؛ فاختفت القوائم الخلفية وتحولت القوائم الأمامية إلى زعانف، كما اختفى الشعر ليتحول إلى جلد سميك لين الملمس، وتحولت فتحات الأنف نحو أعلى الرأس، وتغير شكل الذيل ليصبح أكثر تفلطحاً، ثم بدأ جسمه يكبر جداً داخل الماء»*.

وبغض النظر عن عدم وجود أي سند علمي يعضد أياً مما ذكر، فإن مثل هذا التحول مخالفٌ لأبسط قواعد الطبيعة. إن هذا الهراء الذي نشرته مجلة ناشيونال جيوغرافيك إنما يدل على مدى مستوى الكذب والتلفيق الذي وصلت إليه المطبوعات الجادة ظاهرياً التي تساند نظرية التطور.

1.Victor B. Scheffer, "Exploring the Lives of Whales", National Geographic, vol. 50, December 1976, p. 752

الذي يعلّلون به ذلك في معظم الأحيان هو الجفاف)، وتضيف النظرية أن الأسماك التي اختارت الحياة على اليابسة أصبحت لها أرجل بدلاً من الزعانف ورئات بدلا من الخياشيم.

بيدَ أن معظم الكتب المؤلّفة حول نظرية التطور لا تناقض أبداً كيفية حدوث ذلك. وحتى في أبرز الكتب العلمية ذاتها لا يرد شرح لكيفية حدوث ذلك، بل إن ما ينطوي عليه هذا الزعم من سخافة يختفي خلف عبارات مثل تمت عملية انتقال الحياة من الماء إلى اليابسة.

ولكن كيف حدث هذا الانتقال؟ نحن نعلم أن الأسماك لا تستطيع العيش خارج المياه لأكثر من دقائق معدودة. وإذا سلمنا بأن هذا الجفاف المزعوم قد حدث بالفعل ودفع الأسماك للانتقال إلى العيش على اليابسة، فما الذي كان يمكن أن يحدث للأسماك؟ الإجابة واضحة: فكل الأسماك التي خرجت من الماء كانت ستموت خلال عدة دقائق، الواحدة تلو الأخرى. وحتى لو استمرت التجربة لعشرات الملايين من السنوات، فستظل الإجابة واحدة: ستهلك الأسماك الواحدة تلو الأخرى. ذلك أن عضواً حياً في غاية التعقيد مثل الرئة المكتملة لا يمكن أن يتكون عن طريق صدفة مفاجئة، أي عن طريق حدوث طفرة!

ولكن هذا بالضبط هو ما يعرضه دعاة التطور: انتقال الحياة من الماء إلى اليابسة وانتقال الحياة من اليابسة إلى الهواء وغيرها الكثير من مزاعم الانتقال والتحول المفاجئ يتم تفسيرها بهذه المصطلحات غير المنطقية. أما عن تكوُّن الأعضاء المعقدة بالفعل مثل العين والأذن، فإن دعاة التطور يفضّلون ألا يقولوا شيئاً على الإطلاق!

إن من السهل التأثير على رجل الشارع بالمفاهيم والمبادئ العلمية. ما عليك إلا أن ترسم صورة خيالية تمثل عملية انتقال الحياة من الماء إلى اليابسة وتخترع أسماء لاتينية للحيوان الذي عاش في الماء وسليله الذي عاش على اليابسة والصورة الوسيطة الانتقالية (وهي حيوان تخيلي)، ثم تؤلف أكذوبة متقَنة: تحول حيوان أيوسثينوبترون أولاً إلى رايتستيان كروسوبتيرجيان ثم إلى إيشثيوستيغا في عملية تطور طويلة. إنك إذا ما وضعت هذه الكلمات على لسان أحد العلماء ذوي النظارات السميكة والمعاطف البيضاء فسوف تنجح في إقناع الكثيرين، لأن وسائل الإعلام التي تكرس جهودها للترويج لنظرية التطور سوف تخرُج على العالم مذيعةً هذه الأنباء المبشِّرة بحماسة عظيمة.

الفصل الخامس عشر

النتيجة: التطور خدعة

توجد كثير من الأدلة والقوانين العلمية الأخرى التي تُبطل نظرية التطور، ولكننا لم نستطع أن نناقش في هذا الكتاب إلا بعضاً منها. إلا أن ما توصلنا إليه يكفي لكشف حقيقة في غاية الأهمية: وهى أن نظرية التطور –على الرغم من تخفِّيها في رداء العلم– ما هي إلا خدعة، يتم الدفاع عنها فقط لصالح الفلسفة المادية؛ خدعة تقوم على غسل المخ والدعاية والتزوير والتزييف، دون أن تستند بأي حال من الأحوال إلى أي أساس علمي.

وبإمكاننا الآن تلخيص ما تناولناه في الفصول السابقة على النحو التالي:

انهيار نظرية التطور في أولى مراحلها

إن نظرية التطور هي نظرية تفشل في أولى خطواتها. ويرجع السبب في ذلك إلى أن دعاة نظرية التطور لا يستطيعون حتى تفسير كيفية تكون بروتين واحد. فلا قوانين الاحتمالات ولا القوانين الفيزيائية والكيميائية يمكن أن تتيح أي مجال للاعتقاد بأن الحياة قد تكونت بالصدفة.

فإذا كان من غير الممكن تكوّن وتشكل حتى بروتين واحد بالصدفة، فهل يُعقل أن تكون ملايين من هذه البروتينات قد تجمعت بترتيب ما لتكوّن خلية كائن حي؟ وأن المليارات من الخلايا الحية تكوَّنت من تلقاء نفسها ثم تجمَّعت بالصدفة لتنتج كائنات حية، أدَّت بعد ذلك إلى تكوُّن الأسماك، وأن تلك الأسماك التي خرجت إلى اليابسة تحولت إلى زواحف وطيور، وأن ملايين الأنواع والأجناس المختلفة من الكائنات الحية قد ظهرت على سطح الأرض بنفس هذه الطريقة؟!

إن هذه الخرافة (وإن كانت تبدو غير منطقية لكم) إلا أن دعاة نظرية التطور يصدِّقونها ويؤمنون بها.

بيد أن هذه المزاعم هي مجرد عقيدة يعتنقونها، إذ ليس لديهم حتى دليل واحد يثبت هذه القصة المختلَقة؛ فلم يحدث قط أن عثروا على حيوان واحد يمثل صورة انتقالية، مثل حيوان نصفه سمكة ونصفه الآخر من الزواحف، أو حيوان نصفه من الزواحف ونصفه الآخر طائر. كما أنهم لم يتمكنوا من إثبات أن بروتيناً واحداً (أو حتى حمضاً أمينيّاً واحداً من الأحماض الأمينية المكوِّنة للبروتين) قد تكوّن تحت ما أسموه بالظروف البدائية على سطح الأرض؛ ولا حتى نجحوا في تكوينه مع كل ما يملكونه من معامل حديثة ومتطورة. بل على العكس من ذلك تماماً، فقد أثبت دعاة التطور –بكل ما بذلوه من جهد– أن عملية التطور لم تحدث قَط ولا يمكن أن تكون قد حدثت في أي وقت على سطح الأرض.

لا يمكن أيضاً إثبات نظرية التطور مستقبلاً

وحيال ذلك، لا يملك دعاة التطور ما يعزّون به أنفسهم إلا أن يتمنوا أن تُحَل هذه المآزق التي تواجهها نظريتهم بمرور الزمن. بينما لا يمكن للعلم أن يدلل على صحة مزاعم لا تمت للحقيقة والمنطق بصلة مهما مرّ من الزمن. بل على النقيض تماماً؛ فكلما تقدم العلم زادت الأدلة التي تثبت بطلان نظرية التطور وافتقارها إلى العقلانية والمنطق.

وهذا هو ما حدث بالفعل، فمع اكتشاف مزيد من التفاصيل في مجال بنية ووظائف الخلية الحية، أصبح من الواضح تماماً أن الخلية ليست مجرد

بنية بسيطة تكونت عشوائياً كما كان يُعتقد طبقاً للمفاهيم البيولوجية البدائية التي كانت سائدة في زمن دارون.

وإذا كان الأمر واضحاً كل هذا الوضوح، فإن إنكارَ حقيقة الخلق وإرجاعَ أصل الحياة إلى الصدف التي يكاد يستحيل حدوثها في الواقع، ثم الإصرار على الدفاع عن هذه المزاعم، ربما يكون في المستقبل سبباً للشعور بمهانة شديدة. فكلما انكشف الوجه الحقيقي لنظرية التطور أكثر وأكثر، ومع اكتشاف الرأي العام للحقيقة، فربما لن يمر وقت طويل قبل أن يشعر المتعصبون المدافعون عن نظرية التطوردفاعا أعمى بحرج موقفهم فلا يكون بوسعهم حتى حفظ ماء وجوههم.

الروح: العقبة الكبرى أمام نظرية التطور

هناك العديد من أجناس الكائنات الحية على ظهر الأرض التي يشبه بعضها بعضاً. فعلى سبيل المثال، توجد العديد من الحيوانات التي تشبه الخيول أو القطط، والعديد من الحشرات تتشابه في مظهرها، وهذا التشابه لا يأتي غريباً أو مفاجئاً لأي شخص.

غير أن أوجه التشابه الظاهري بين الإنسان والقرد تسترعي –بشكل ما– قدراً كبيراً جداً من الاهتمام. وهذا الاهتمام قد يصل في بعض الأحيان إلى حد تصديق الفروض الزائفة لنظرية التطور. والحقيقة أن أوجه التشابه الظاهري هذه بين الإنسان والقرد لا تثبت شيئاً أبداً؛ فهناك بعض أوجه التشابه الظاهري بين حشرة الكركدن وحيوان الكركدن، إلا أن محاولة إثبات وجود علاقة ارتقائية بينهما (مع كون أحدِهما حشرةً والآخرِ حيواناً ثدييّاً) اعتماداً على التشابه أمر مثير للسخرية.

وبخلاف التشابه في المظهر الخارجي، فلا يمكن القول بأن القرد أقرب إلى الإنسان منه إلى الحيوانات الأخرى. وفي الواقع، فإننا إذا أخذنا في الاعتبار مستوى الذكاء فيمكن أن نقول إن النحل الذي يبني خلايا العسل المعجزة في تكوينها الهندسي، أو العنكبوت الذي يبني شبكته التي تمثل إعجازاً هندسياً هي الأخرى، أقرب إلى الإنسان من القرد. بل هما أرقى من الإنسان في بعض النواحي!

وبغض النظر عن التشابه الخارجي، فهناك اختلاف هائل بين الإنسان والقرد. فالقرد حيوان أولاً وأخيراً، لا فرق بينه وبين الحصان أو الكلب من حيث درجة الوعي والإدراك. أما الإنسان فإنه كائن عاقل مدرك، ذو إرادة قوية، يستطيع أن يفكر ويتكلم ويفهم ويقرر، ولديه القدر

ة على الحكم على الأمور. وكل هذه الصفات لا تتوفر لدى بقية المخلوقات، وهي التي تجعل بينها وبين الإنسان فجوة كبيرة، ولن يستطيع أي تشابه جسماني بين الإنسان وأي مخلوق آخر أن يسد هذه الفجوة.

يخلق الله ما يشاء وكيف يشاء

ماذا لو كان السيناريو الذي يدّعيه حماة التطور قد حدث بالفعل؟ إن ذلك لا يعني شيئاً أبداً. ذلك أن كل مرحلة من المراحل التي تفترضها نظرية التطور، وتزعم أنها مبنية على المصادفة، لا يمكن أن تكون قد حدثت إلا بفعل معجزة. فحتى لو كانت الحياة قد وُجدت بالفعل تدريجياً من خلال تعاقب سلسلة من المراحل، فإن كل مرحلة متطورة من تلك المراحل ما كان يمكن أن توجد إلا بإرادة خلّاقة واعية. إن وجود مراحل الحياة تلك بالصدفة ليس مستبعداً فحسب، بل إنه مستحيل.

وإذا قيل إن جزيء البروتين قد تكوَّن في ظل الظروف البدائية للغلاف الجوي فيجب أن نتذكر أننا قد أثبتنا –بالفعل– من خلال قوانين نظرية الاحتمالات وقوانين علم الأحياء والكيمياء استحالة أن ذلك قد حدث بالصدفة. بيدَ أنه إذا لم يكن بد من افتراض أن هذا الجزيء قد تكوَّن، فلا بديل إذن عن التسليم بأنه يَدين بوجوده إلى إرادة الخالق عز وجل. وهذا المنطق ينطبق على نظرية التطور برمتها. وعلى سبيل المثال، فليج هناك دليل من علم المتحجرات أو دليل فيزيائي أو كيميائي أو أحيائي أو تبرير منطقي يثبت خروج الأسماك من الماء إلى اليابسة وتحولها إلى حيوانات برية، فيثبت حدوث مثل هذا التحول. على أنه إذا فرضنا –جدلاً– أن الأسماك قد زحفت إلى اليابسة وتحولت إلى زواحف، فإن مفترِض هذه المزاعم لا بد له من التسليم أيضاً بوجود خالق قادر على أن يخلق ما يشاء بقوله كن فيكون. وما عدا ذلك من تفسير لهذه المعجزة يناقض نفسه ويخالف مبادئ المنطق.

إن الحقيقة جلية وثابتة؛ فالحياة هي نتيجة تصميم بديع وخلق في أحسن تقويم. وهذا –بدوره– دليل قاطع آخر على وجود خالق لا حدود لقدرته وعلمه وإبداعه.

ذلك الخالق هو الله، سبحانه وتعالى، ربُّ السماوات والأرض وما بينهما.

الفصل العشرون

سلسلة المؤتمرات التي نظمتها مؤسسة البحث العلمي: SRF

أنشطة لتوعية المجتمع بزيف نظرية التطور



إن الدعاية لنظرية التطور، التي تصاعدت في الآونة الأخيرة، تشكل تهديدا خطيرا للمعتقدات والقيم الأخلاقية القومية. وقد أخذت مؤسسة البحث العلمي – التي تدرك تماما هذه الحقيقة – على عاتقها توعية المجتمع التركي بهذا الموضوع عن طريق الحقائق العلمية.

المؤتمر الأول — إستانبول

عُقد المؤتمر الأول – في سلسلة المؤتمرات الدولية التي نظمتها مؤسسة البحث العلمي – في الرابع من أبريل سنة 1998 بمدينة إستانبول، وكان تحت عنوان "انهيار نظرية التطور: حقيقة الخلق". وقد حضر هذا المؤتمر – الذي حقق نجاحا كبيرا – مجموعة من العلماء المتخصصين المشهود بكفاءتهم، من مختلف أنحاء العالم، وكان بمثابة أول محفل في تركيا تتم فيه مناقشة نظرية التطور وتفنيدها علميا. وقد حرصت الجماهير من جميع شرائح المجتمع التركي على حضور المؤتمر الذي اجتذب قدرا كبيرا من الاهتمام، حتى إن أولئك الذين لم يجدوا أماكن داخل قاعة المؤتمر، تابعوا أعمال المؤتمر من خارج القاعة عن طريق شبكة تلفزة مغلقة.

وقد ضم المؤتمر متحدثين معروفين من تركيا ومن خارجها. وبعد أن ألقى أعضاء مؤسسة البحث العلمي كلماتهم التي كشفت الدوافع الإيديولوجية الخفية لنظرية التطور، تم عرض فيلم وثائقي من إعداد مؤسسة البحث العلمي.

ثم قام الدكتور دوان جيس Duane Gish والدكتور كِنث كامينج Kenneth Cumming) – وهما عالمان معروفان عالميا من معهد أبحاث الخلق Institute for Creation Research، متخَصصان في الكيمياء الحيوية وعلم الحفريات، وكلاهما حجة في تخصصه – بإثبات بطلان نظرية التطور بالأدلة الدامغة. وخلال المؤتمر، قام أحد العلماء الأتراك المرموقين – وهو الدكتور جواد بابونا – بشرح المعجزات في كل مرحلة من مراحل خلق الإنسان من خلال عرض بالشرائح الممغنطة، هدَمَ "افتراض المصادفة" الذي تزعمه نظرية التطور من جذوره.

المؤتمر الثاني — إستانبول

عُـــقد المؤتمر الثاني – ضمن نفس هذه السلسلة من المؤتمرات الدولية – بعد المؤتمر الأول بثلاثة أشهر، في الخامس من تموز سنة 1998، بقاعة جمال رشيد ري في إستانبول أيضا. وقد ألقى المتحدثون – وهم 6 محاضرين من أمريكا ومحاضر من تركيا – كلمات بينوا فيها كيف أبطل العلم الحديث النظرية الداروينية. وقد امتلأت قاعة جمال رشيد ري – التي تتسع مقاعدها لألف شخص – عن آخرها بجمهور المتابعين للمؤتمر بقدر كبير من الاهتمام.

وفيما يلي بيان موجز عن المحاضرين والموضوعات التي تناولوها في المؤتمر:

أ.د/ مايكل ب. غيروارد Michael P. Girouard): في محاضرة بعنوان "هل يمكن أن تكون الحياة قد نشأت بالصدفة؟"، شرح الأستاذ الدكتور/ مايكل ب. غيروارد – أستاذ الكيمياء في جامعة (ساوثرن لويزيانا) – من خلال أمثلة مختلفة التركيب المعقَّد للبروتينات، التي تعتبر الوحدات

الأساسية للحياة، وخلص إلى أنه لا يمكن أن تكون هذه البروتينات قد وُجدت إلا نتيجة تخطيط ماهر.

أ. د. (إدوارد بودرو Edward Boudreaux): في محاضرة بعنوان "التنظيم في الكيمياء"، أوضح الأستاذ الدكتور/ إدوارد بودرو - أستاذ الكيمياء في جامعة (نيو أورليانز) - أنه لا بد أن تكون بعض العناصر الكيميائية قد نظِّمت بالخلق على نحو مقصود لكي توجد الحياة.

أ.د. (كارل فليارمانز Carl Fliermans): عالم ذو شهرة واسعة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأستاذ لعلم الأحياء الدقيقة في جامعة (إنديانا)، وهو يجري أبحاثا تقوم بدعمها وزارة الدفاع الأمريكية حول موضوع "إبطال الآثار السيئة للنفايات الكيميائية عن طريق البكتريا"، وقد فنَّد مزاعم نظرية التطور على مستوى علم الأحياء الدقيقة.

أ.د./ أديب كها: هو المحاضر التركي الوحيد الذي اشترك في هذا المؤتمر، وهو أستاذ للكيمياء الحيوية، وقد قدم معلومات أساسية عن الخلية الحية، وأكد من خلال الأدلة الدامغة أنه لا يمكن أن تكون الخلية قد وُجدت إلا بتصميم واع وإبداع خلاق.

أ.د. (ديفيد منتون): أستاذ علم التشريح في جامعة واشنطن. وقد ألقى محاضرة صَحِبها عرض ممتع جدا بالكمبيوتر، وكان موضوعها الفرق التشريحي بين ريش الطيور وحراشف الزواحف، مما يثبت بطلان أطروحة ارتقاء الطيور من الزواحف.

أ.د. دوان جيس: في محاضرته بعنوان "أصل الإنسان"، فنَّد الأستاذ الدكتور/ دوان جيس - وهو من الخبراء المعروفين المتخصصين في الدراسات المتصلة بنظرية التطور - أطروحة ارتقاء الإنسان من القرود.

الأستاذ الدكتور/ جون موريس (John Morris) رئيس معهد أبحاث الخلق (Institute for Creation Research)- وهو عالم معروف في الجيولوجيا - ألقى محاضرة حول الاتجاهات الأيديولوجية والفلسفية الكامنة وراء نظرية التطور، وأوضح كذلك أن هذه النظرية قد تحولت إلى عقيدة وأن المدافعين عنها يؤمنون بالداروينية ويتحمسون لها وكأنها دين من الأديان.

وبعد الاستماع إلى كل هذه الكلمات، تأكد الحاضرون أن نظرية التطور عقيدة يبطلها العلم من جميع جوانبها. وبالإضافة إلى ذلك، فإن معرض اللافتات تحت عنوان "انهيار نظرية التطور: حقيقة الخلق" - الذي نظمته مؤسسة البحث العلمي وأقيم في صالة قاعة جمال رشيد ري - قد اجتذب قدرا كبيرا من الاهتمام. وقد تكوَّن المعرض من 35 لافتة، أبرزت كل منها إما أحد مزاعم النظرية أو برهانا على حقيقة الخلق.



المؤتمر الثالث — أنقرة

عُـقد المؤتمر الثالث - ضمن هذه السلسلة نفسها من المؤتمرات الدولية - في الثاني عشر من يوليو 1998، في قاعة المحاضرات في فندق شيراتون في أنقرة. وقد قدم المحاضرون المشاركون في المؤتمر - وهم ثلاثة من أمريكا ومحاضر من تركيا - أدلة علمية قطعية مدعومة بالعلم الحديث مفادها أن الداروينية باطلة.

وبالرغم من أن قاعة شيراتون-أنقرة، جهِّـزت لتسع ألف مستمع. فإن الوافدين لسماع المحاضرات كانوا 2500. وقد تم إعداد الشاشات خارج قاعة المؤتمر، ليتابعه مِن خلالها مَن لم يجد مكانا مناسبا له داخل القاعة. وقد اجتذب كذلك معرض اللافتات - الذي أقيم بجوار قاعة المؤتمر تحت عنوان "انهيار نظرية التطور: وحقيقة الخلق" - قدرًا كبيرًا من الاهتمام. وفي ختام المؤتمر، وقف الحاضرون معبِّرين عن احتفائهم الكبير بالمتحدثين، وهو ما أثبت أن الجماهير تتوق بشدة إلى تبصيرها بالحقائق العلمية المتصلة بخدعة التطور وبحقيقة الخلق.

لا زالت تُعقد داخل البلاد وخارجها تلك المؤتمرات التي تستفيد من كتب "هارون يحيى" التي أظهرت فشل نظرية التطور، والتي بلغ عدد صفحاتها نحو ستة آلاف صفحة. ففي تركيا عُقدت الكثير من المؤتمرات منذ عام 1998، وحتى الآن. أما خارج البلاد فقد عُقدت المؤتمرات في أنحاء متفرقة من العالم بدءً من النمسا وحتى كندا، ومن انجلترا، وحتى ماليزيا. وتجاوزت المشاركات في تلك المؤتمرات المليون مشترك.



الفصل السادس عشر

حقيقة الخلق

درسنا، في الفصول السابقة من هذا الكتاب، أسباب اعتبار نظرية التطور (التي تدعي أن الحياة لم تُخلق) مغالطةً تناقض تماماً الحقائق العلمية. ورأينا كيف كشفت بعض فروع العلوم الحديثة (مثل علم المتحجرات والكيمياء الحيوية والتشريح) عن حقيقة في غاية الوضوح، ألا وهي أن الله سبحانه وتعالى هو خالق جميع الكائنات الحية.

والواقع أن الإنسان لا يحتاج –لكي يدرك هذه الحقيقة– إلى الرجوع إلى النتائج المعقدة التي يتوصل إليها العلماء في معامل الكيمياء الحيوية، أو التي تظهرها الاكتشافات الجيولوجية وعلم المتحجرات. فمظاهر وجود حكمة تفوق العقل والإدراك البشري واضحة وضوح الشمس للإنسان ويمكنه رؤيتها في أي كائن حي. إن ثمة تقنية عظيمة وتصميماً بديعاً في تكوين جسم حشرة ضئيلة أو سمكة صغيرة في أعماق البحر، ولم يستطع الإنسان قط فيما صنعه بلوغ تلك التقنية أو ذلك التصميم. بل إن بعض الكائنات الحية التي لا تملك عقلاً تقوم بأداء مهام تبلغ من التعقيد درجةً تجعل حتى الإنسان يعجز عن القيام بها.

ومما لا شك فيه أن هذه الحكمة العظيمة وهذا التصميم البديع والتخطيط المحكم الذي يسود الطبيعة بأكملها يثبت بالدليل القاطع وجود خالق عظيم، هو الله سبحانه وتعالى. لقد وهب الله تعالى جميع الكائنات الحية خصائص وصفات خارقة وأظهر للإنسان دلائل وجوده وقدرته.

وسندرس في الصفحات الآتية بضعة أمثلة فقط من أدلة الخلق التي لا حصر لها في الطبيعة.

النحل وروعة البناء المعماري في خلاياها

من المعروف أن النحل تنتج عسلاً أكثر من احتياجها وأنها تخزن ذلك العسل في الخلايا الشمعية، والشكل الذي يبني به النحل هذه الخلايا معروف للجميع، وهو الشكل السداسي. ولكن هل فكّر أحدكم يوماً لماذا لا تبنى النحل خلاياه بشكل ثماني أو خماسي الأضلاع؟

لقد توصل علماء الرياضيات الذين سعوا للإجابة على هذا السؤال إلى نتيجة مثيرة: إن الشكل السداسي هو أنسب الأشكال الهندسية التي تحقق استخدام أكبر قدر من المساحة المتاحة.

فالخلية سداسية الشكل تحتاج لأقل كمية من الشمع لبنائها، بينما تسمح بتخزين أكبر كمية من العسل. وهكذا، فإن النحل تستخدم أنسب الأشكال الهندسية الممكنة.

أما النظام المستخدم في بناء الخلايا الشمعية فهو مذهل كذلك: فالنحل تبدأ في بناء الشكل السداسي من مكانين أو ثلاثة أماكن مختلفة، ثم تبدأ في حبك سلسلة الخلايا في آن واحد من هذين المكانين أو الأماكن الثلاثة. وعلى الرغم من أن النحل تبدأ من أماكن



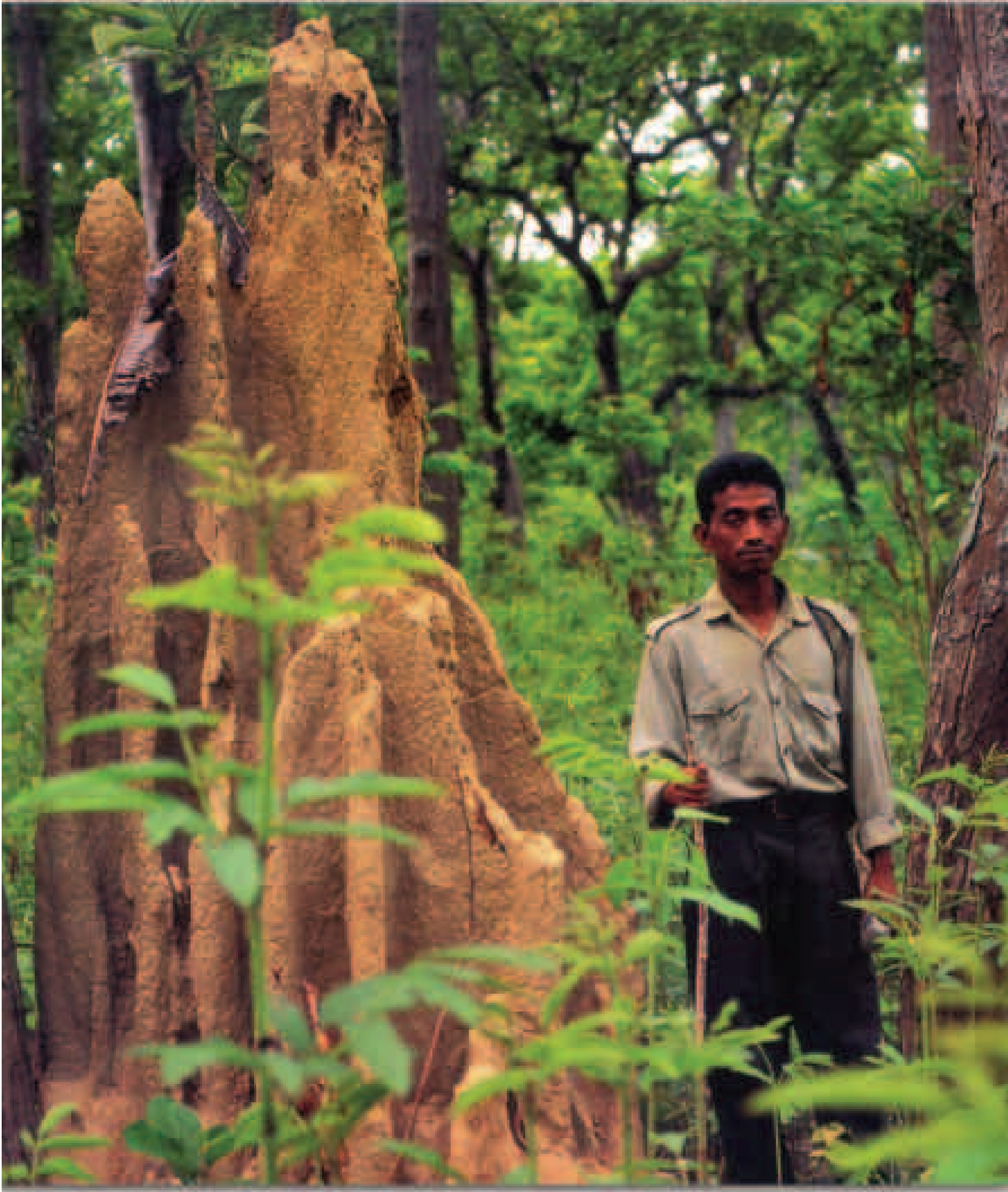
مختلفة فإنه –على كثرة عددها– تبني الأشكال السداسية بتطابق تام، ثم تنسج الخلايا الشمعية بتجميع هذه الأشكال مع بعضها البعض والالتقاء في منطقة الوسط تماماً. وتُظهر نقاط التحام هذه الأشكال السداسية مهارة فائقة، بحيث لا يلاحَظ أبداً أن هذه الأشكال قد التحمت ببعضها البعض تدريجياً.

وبرؤيتنا لهذا الأداء الرائع البديع لا يسعنا إلا التسليم بوجود إرادة مدبرة عظيمة هي المسؤولة عن توجيه هذا الكائن الحي، بينما يفسّر دعاة نظرية التطور ذلك بمفهوم الغريزة ويحاولون تقديمه بوصفه مجرد صفة من صفات النحل. ومع ذلك، فإنه إذا كان هذا العمل بفعل الغريزة، وإذا كانت هذه الغريزة تسيطر على جميع النحل بحيث يعمل بهذا التنسيق معاً دون أن تعلم نحلة ما تقوم به الأخرى، فهذا يعني أن هناك حكمة وقوة عظيمة تهيمن على جميع هذه المخلوقات الدقيقة.

وبعبارة أدق، فإن الله سبحانه وتعالى الذي خلق تلك المخلوقات الدقيقة قد ألهمها ما يجب عليها أن تقوم به، وهذه حقيقة أخبرنا بها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً في قوله تعالى: **{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً، يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** (النحل **68–69**).

البراعة الهندسية للنمل الأبيض

لا يستطيع كل من يشاهد بيتاً من بيوت النمل الأبيض التي بناها منتصبةً فوق الأرض أن يغالب دهشته؛ ذلك أن بيوت النمل الأبيض (التي يبلغ ارتفاعها ما بين خمسة أمتار وستة) تعد تحفة معمارية رائعة. وتوفر هذه البيوت بنظامها الداخلي المعقد كل ما يحتاج إليه النمل الأبيض الذي لا يستطيع الخروج في ضوء الشمس بسبب طبيعة تكوين جسمه؛ فبيوت النمل الأبيض بها نظم للتهوية، وقنوات وممرات وغرف لليرقات، وأماكن خاصة لإنتاج الفطر، ومخارج أمنية، وغرف خاصة للجو الحار وأخرى للجو البارد، وباختصار: فيها كل شيء. والأغرب من كل ذلك هو أن النمل الأبيض، الذي يبني هذه البيوت البديعة، هو في حقيقة الأمر أعمى .(178)



وبالرغم من هذه الحقيقة فإننا نجد –بمقارنة حجم النمل الأبيض بحجم البيوت التي يبنيها– أن النمل الأبيض قد نفّذ بنجاح مشروعاً معمارياً أكبر من حجمه بثلاثمئة مرة.

وللنمل الأبيض صفة مدهشة أخرى: فإذا ما قسمنا بيتاً من بيوت النمل وهو في المراحل الأولى من بنائه إلى قسمين، ثم أعدناهما مرة أخرى، سنجد أن كل الممرات والطرق والدهاليز تتداخل وتتلاقى بعضها مع بعض. ويواصل النمل الأبيض عمله كأنما لم يُقسَّم البيت قَط إلى قسمين، وكأنه يتلقى أوامره من مصدر واحد لا غير!

نقار الخشب

الكل يعرف أن نقار الخشب يبني أعشاشه بنقر جذوع الشجر. إلا أن النقطة التي لا يلتفت إليها كثير من الناس هي كيف لا يتعرض نقار الخشب إلى نزيف في المخ وهو يقوم بهذا النقر القوي، فما يفعله نقار الخشب يشبه -إلى حد ما- قيام إنسان بضرب مسمار في الجدار برأسه. ولو أن إنساناً قام بذلك، فالأرجح أنه سيتعرض أولاً لصدمة في المخ ثم لنزيف فيه، بينما يمكن لنقار الخشب أن ينقر ما بين 38-43 نقرة في جذع شجرة صلب في زمن يتراوح ما بين 2,10و 2,69 ثانية دون أن يصيبه شيء أبداً.

إن تفسير ذلك هو أن بنية رأس نقار الخشب قد خُلقت مناسبة لمثل هذا العمل؛ ففي جمجمته نظام يخفف شدة الضربات ويمتصها، وهو يتكون من أنسجة مليّنة خاصة بين عظام الجمجمة تقوم بذلك .(179)

نظام السونار عند الوطواط

يستطيع الوطواط الطيران في الظلام الدامس دون أي مشقة مستخدماً نظام استكشاف مثيراً للغاية، وهو ما نطلق عليه اسم السونار (Sonar)؛ وهو نظام تتحدد عن طريقه أشكال الأجسام المحيطة من خلال صدى الموجات الصوتية.

يستطيع الإنسان متوسط السن بصعوبة تمييز صوت تردده عشرون ألف ذبذبة في الثانية، بينما يستطيع الوطواط عن طريق نظام السونار، بتصميمه الفريد، تمييز أصوات ترددها ما بين خمسين ألفاً و مئتي ألف ذبذبة في الثانية، وهو يرسل هذه الأصوات في جميع الاتجاهات بمعدل يتراوح بين عشرين وثلاثين مرة في الثانية. ويكون صدى الصوت الذي يستقبله الوطواط قوياً جداً حتى إنه لا يدرك فقط وجود أجسامٍ ما حوله، بل يستطيع كذلك تحديد مكان فريسته وهي تطير مُسرعة .(180)



تصميم البعوض



ما نعرفه عن البعوض هو أنه كائن حي يطير. ولكنه -في واقع الأمر- يقضي مراحل نموه تحت الماء، ثم يخرج من الماء -في تخطيط فريد- مزوَّداً بكل ما يحتاج إليه من أعضاء.

يطير البعوض بفضل نظام حواسه الخاصة المزود بها لتحديد مكان فريسته، وهو يشبه -بهذه الأنظمة- طائرة حربية مزودة بأجهزة لقياس الحرارة والغاز والرطوبة والرائحة. بل إن لديه القدرة على تحديد مكان فريسته في الظلام الدامس عن طريق استشعار الحرارة التي تخرج من الكائن الحي.

أما تقنية مج الدم عند البعوض فهي ترجع إلى مجموعة من النظم شديدة التعقيد في تكوينها؛ فهو يثقب الجلد بمخالبه التي تتكون من ست شفرات فيقطع الجلد كالمنشار، وفي خلال عملية ثقب الجلد يُفرز البعوض مادة تخدر أنسجة الجلد فلا يشعر الإنسان بأن البعوض يمص دمه، وهذا السائل يمنع -في الوقت نفسه- تخثر الدم، ويضمن استمرار البعوض في عملية المص. فلو نقص مجرد عنصر واحد فقط من هذه العناصر لَما تمكن البعوض من التغذي على الدم ولَما استطاع الحفاظ على حياته واستمرار نسله.

إن هذا الكائن الدقيق بما فيه من تصميم رائع، ورغم ضآلة حجمه، علامة جلية على عملية الخلق. والقرآن الكريم يسوق البعوض كمثَل يثبت وجود الله تعالى لأولي الألباب:

(إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ من رَّبِّهِمْ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً؟ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ) (البقرة 26)

الحيتان

تحتاج الحيوانات الثديية إلى التنفس باستمرار، ولهذا فالماء ليس بيئة مناسبة لها. أما الحيتان (وهى حيوانات ثديية بحرية) فتستطيع التغلب على هذه المشكلة بفضل جهازها التنفسي الذي يفوق إلى حد بعيد حيوانات برية كثيرة. فالحوت يطلق في زفير واحد فقط تسعين بالمئة من الهواء الذي تنفسه، وهو بذلك لا يحتاج للتنفس إلا على فترات طويلة جداً. وفى ذات الوقت، يخزّن الحوت كمية كبيرة من الأكسجين في عضلاته بفضل مادة المايوغلوبين (Myoglobin)، وبفضل هذه الأنظمة يستطيع أحد أنواع الحيتان (المعروف باسم Gin-Back) الغوص إلى عمق يبلغ خمسمئة متر، كما يستطيع السباحة لمدة أربعين دقيقة دون تنفس على الإطلاق (181). ومن ناحية أخرى، توجد فتحات أنف الحوت على ظهره -خلافاً للحيوانات الثديية التي تعيش على اليابسة- لكي يستطيع التنفس بسهولة.

الطيور القناصة ذات البصر الحاد

تتميز الطيور القناصة ببصر حاد يمكنها من قياس المسافات بدقة شديدة وهي تهاجم فريستها. وبالإضافة إلى ذلك فإن عيونها الكبيرة تحتوي على خلايا بصرية أكثر، مما يعني رؤية أفضل. فعيون الطائر القناص بها أكثر من مليون خلية بصرية.

إن الصقور التي تحلِّق على ارتفاع يبلغ آلاف الأمتار تستطيع ببصرها الحاد إجراء تمشيط ومسح لسطح الأرض حتى من تلك المسافة البعيدة. فمثلما تحدد الطائرات الحربية أهدافها على بعد آلاف الأمتار، يستطيع الصقر أيضاً تحديد مكان فريسته برؤيته الثاقبة الحادة لأقل تغير في ألوان الأجسام أو لأبسط حركة لها على سطح الأرض. ويمتلك الصقر -كذلك- زاوية إبصار واسعة تصل إلى ثلاثمئة درجة، كما يستطيع تكبير صورة الأجسام التي تتلقاها عيناه إلى نحو ثمانية أضعاف. ويستطيع الصقر مسح وتمشيط مساحة تبلغ ثلاثين ألف هكتار وهو يحلق على ارتفاع أربعة آلاف وخمسمئة متر، ويستطيع بسهولة تمييز أرنب كامن بين الأعشاب وهو يحلق على ارتفاع ألف وخمسمئة متر. وما من شك في أن هذا التكوين المدهش لعين الصقر قد صمم خصيصاً لهذا المخلوق.



الحيوانات ذات البيات الشتوي

تستطيع الحيوانات التي تَبيت بياتاً شتوياً أن تظل على قيد الحياة على الرغم من انخفاض درجة حرارة جسمها إلى درجة برودة تماثل تلك الموجودة في المحيط الخارجي، فكيف تتمكن من ذلك؟

إن الثدييات من الحيوانات ذات الدم الساخن، أي أن أجسامها تحافظ -في ظل الظروف الطبيعية- على درجة حرارتها ثابتة دائماً بفضل منظّم الحرارة الطبيعي الذي يعمل على تنظيم هذه الحرارة باستمرار. ومع ذلك، فإن بعض الثدييات الصغيرة (مثل فأر السنجاب الذي تبلغ درجة حرارة جسمه العادية أربعين درجة) تنخفض درجة حرارة جسمها العادية أثناء البيات الشتوي إلى درجة أعلى قليلاً من درجة التجمد، وكأنما تم تعديلها بمفتاح ما! كما تقل كثيراً عمليات الأيس في الجسم، ويبدأ الحيوان بالتنفج البطيء جداً، وينخفج عدد ضربات القلب من 300 ضربة في الدقيقة إلى عدد يتراوح بين سبع ضربات وعشر ضربات في الدقيقة. وتتوقف حركات الجسم المنعكِسة التي تحدث في الأحوال العادية، كما تتباطأ أنشطة المخ الكهربائية إلى درجة يصعب معها قياسها أو حتى ملاحظتها.

ويتمثل أحد مخاطر انعدام الحركة في تجمد الأنسجة وتدميرها بفعل ذرات الثلج. ولكن بفضل المميزات الخاصة في أجسام هذه الحيوانات لا ينالها أي خطر؛ فيتم الاحتفاظ بسوائل الجسم أثناء البيات الشتوي بفعل مواد كيميائية ثقيلة القوام، ومن ثم تنخفض درجة تجمدها وتتم حمايتها من الخطر (182).

الأسماك الكهربائية

تستخدم بعض أنواع الأسماك (مثل الإنكليس والشفنين شائك الظهر) الكهرباء التي تخرجها من أجسامها للدفاع عن نفسها أو لشل حركة فريستها. ففي أجسام كل الكائنات الحية (بما فيها جسم الإنسان) قدر صغير من الكهرباء، غير أن الإنسان لا يستطيع توجيه هذه الطاقة الكهربية أو السيطرة عليها لاستخدامها لمنفعته. أما الكائنات الحية التي ذكرناها آنفاً فإنها تحمل في جسمها تياراً كهربائياً يُقدَّر بنحو خمسمئة فولت، وهي قادرة على توجيهه ضد أعدائها. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الأسماك لا تتأثر بصورة سلبية بهذه الكهرباء.

وتستعيد هذه الأسماك، بعد فترة معينة، الطاقة التي استهلكتها في الدفاع عن نفسها مثلما تُشحن البطارية، وبذلك تعود الطاقة الكهربية جاهزة للاستعمال مرة أخرى. والأسماك لا تستعمل تلك الطاقة الكهربائية الكبيرة الكامنة في جسمها الضئيل للدفاع عن نفسها فحسب؛ فإلى جانب استخدام هذه الطاقة الكهربية في معرفة الاتجاهات في أعماق البحار المظلمة، فهي تساعد الأسماك على إدراك وجود الأجسام حولها دون أن تراها. فالأسماك تطلق إشارات كهربية من أجسامها، وعندما ترتد هذه الإشارات بعد اصطدامها بجسم صلب تعطي الأسماك معلومات عن هذا الجسم. وبهذه الطريقة تتمكن الأسماك من تحديد المسافة بينها وبين هذا الجسم وحجمه (183).

خطة ذكية للتخفّي لدى الحيوانات: التمويه

من المميزات التي يتمتع بها الحيوان للحفاظ على حياته فن إخفاء نفسه، أو ما يُطلق عليه التمويه. والحيوانات تسعى لإخفاء نفسها لسببين رئيسيين: إما استعداداً للصيد واقتناص فريستها أو لحماية نفسها من الحيوانات القناصة الأخرى. والتمويه يختلف عن سائر أساليب التخفّي الأخرى لأنه يشتمل على عناصر كثيرة مثل الذكاء الشديد، والمهارة، والجوانب الجمالية، والتناغم.

إن أساليب التمويه لدى الحيوان مذهلة بحق، فمن المستحيل تمييز حشرة تختفي على أحد فروع الشجر أو تحت أوراق الشجر. أما قمّل ورق الشجر، الذي يمتج عصارة النبات، فهو يتغذى على سيقان النبات بالتخفي في شكل شوكة. وهو يهدف بهذا الأسلوب إلى خداع الطيور، وهي أعتى أعدائه، ويضمن ألا تحط الطيور على هذه النباتات.

أما الحبّار فلديه طبقة سميكة تحت الجلد تحتوي أكياساً من الصبغة الملونة المطاطة تسمى كروماتوفورز. وتكون هذه الأصباغ –في الغالب– صفراء أوحمراء أو سوداء أو بنية. وعند استشعار خطر ما، تنتفخ الخلايا التي تحتوي على الأصباغ وتضفي على الجلد اللون

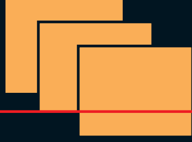








سحلية مختبئة وسط الغصن (أعلى اليسار)، فراشة مختبئة على جذع شجرة (أعلى اليمين)، بومة مختبئة في جذع شجرة (أسفل اليسار)، حشرة (فرس النبي وهي تكاد لا تظهر بين أوراق الشجرة (أسفل اليمين.



خيوط العنكبوت

يتميز أحد أنواع العناكب، وهو العنكبوت المسمى داينوبِس (Dinopis)، بمهارة صيد عالية. فهو لا ينسج خيوط شبكته وينتظر وقوع فريسته بها، بل يقوم بنسج شبكة صغيرة فريدة من نوعها ويلقيها على فريسته لاصطيادها، ويقوم بعد ذلك بلف هذه الشبكة حول فريسته بإحكام. ولا تستطيع الحشرة الحبيسة فعل أي شيء لتخليص نفسها؛ فخيوط شبكة العنكبوت محكمة للغاية على نحو يجعل الحشرة تزداد التصاقاً بخيوط الشبكة كلما ازداد إحساسها بالخطر وحاولت تحرير نفسها. ولتخزين غذائه يقوم العنكبوت باحتواء فريسته بمزيد من الخيوط كأنما يقوم بتغليفها أو تعبئتها.

كيف للعنكبوت أن يقوم بصنع مثل هذه الشبكة شديدة الإتقان في تصميمها الحركي وتركيبها الكيميائي؟ من المستحيل أن يكون العنكبوت قد اكتسب مثل هذه المهارة بالصدفة البحتة كما يعتقد أنصار نظرية التطور؛ فالعنكبوت لا يمتلك القدرة على التعلم والتذكر، كما أنه ليس لديه عقل يفكر به ليقوم بمثل هذه العمليات. من الواضح إذن أن هذه المهارة قد وهبها الله الخالق لهذا الكائن الحي، سبحانه وتعالى القادر على كل شيء.

إن خيوط العنكبوت تخفي بداخلها معجزات هائلة؛ فهذا الخيط الذي يبلغ قطره أقل من واحد من الألف من الملّيمتر أقوى من السلك الصلب ذي السُّمك نفسه. ومع ذلك يتميز بخفته الشديدة. فالطول الذي يكفي للالتفاف حول العالم من هذا الخيط يزن 320 غراما فقط* . إن الحديد الصلب (وهو مادة تستخدم خصيصاً في المشاريع الصناعية) يعد من أقوى المواد التي صنعها الإنسان. ومع ذلك، فالعنكبوت يستطيع أن ينتج داخل جسمه خيطاً أشد قوة وتماسكاً من الحديد الصلب. إن الإنسان يستغل علومه وتقنيته التي توصل إليها عبر القرون في إنتاج الحديد الصلب، فما هي العلوم أو التقنية التي يستخدمها العنكبوت في صنع هذا الخيط؟ وكما نرى، فإن كل الوسائل التقنية والفنية للبشر لا ترقَى إلى الوسائل التي يمتلكها العنكبوت!

(*) “Structure and Properties of Spider Silk”, Endeavour, Jan 1986, p. 42.







المناسب، وبذلك يأخذ الحبار لون الصخرة التي يقف عليها متخذاً أفضل وسيلة ممكنة للتمويه.

ونظام التمويه هذا يعمل بإتقان شديد لدرجة أن الحبّار يمكنه إخفاء نفسه بإعطاء جسمه خطوطاً تشبه خطوط الحمار الوحشي.

نظام خاص للتجميد

يعد الضفدع المجمَّد تجسيداً لتركيب بيولوجي فريد من نوعه. ذلك أن الضفدع المجمد لا يبدِي أية دلائل على الحياة، كما أن نبضات قلبه وتنفسه ودورته الدموية تتوقف تماماً، ولكن عندما يذوب الجليد تدبّ الحياة في نفس الضفدع وكأنه استيقظ من النوم.

وفي العادة، يواجه الكائن الحي في حالة التجمد أخطاراً كثيرة مميتة. ومع ذلك، لا يواجه الضفدع أية واحدة من هذه الأخطار؛ ذلك أن لديه سمة رئيسية تجعله ينتج وفرة من الغلوكوز أثناء وجوده في تلك الحالة.



فمثله مثل مريض البول السكري تماماً، يصل مستوى السكر في الدم عند الضفدع إلى مستويات عالية جداً قد تصل أحيانا إلى 550 ملّيمول/لتر (يقع هذا الرقم عادة بين 1-5 ملّيمول/لتر النسبة للضفادع وبين 4-5 ملّيمول/لتر بالنسبة للجسم بشري). ويمكن أن يتسبب هذا التركيز الهائل للغلوكوز في مشكلات خطيرة في الأوقات العادية.

أما في حالة الضفدع المتجمد فإن هذا الغلوكوز الهائل التركيز يَحول دون مغادرة الماء للخلايا كما يمنع الانكماش. إن الغشاء الخلوي للضفدع شديد النفاذية للغلوكوز بالقدر الذي يسهل عليه الوصول إلى الخلايا، ويخفض المستوى العالي للغلوكوز في الجسم من درجة حرارة التجمد مما يجعل قدراً بسيطاً جداً من السائل الموجود داخل الحيوان يتحول إلى ثلج عند البرودة. وقد أوضحت البحوث أن الغلوكوز يستطيع أن يغذي الخلايا المجمدة أيضاً. وأثناء هذه الفترة يقوم الغلوكوز -بالإضافة إلى كونه الوقود الطبيعي للجسم- بإبطال الكثير من التفاعلات الأيضية مثل تصنيع اليوريا، وذلك يمنع استنفاد منابع غذاء الخلية المختلفة.

ولكن كيف يتسنى لمثل هذه الكمية العالية من الغلوكوز أن تظهر فجأة؟ الجواب مثير جداً: فهذا الكائن الحي مزود بنظام خاص جداً مسؤول عن هذه المهمة؛ فبمجرد ظهور الثلج على الجلد تنطلق رسالة إلى الكبد كي يحوّل بعض مكونات الغليكوجين المخزون فيه إلى غلوكوز. وما زالت طبيعة هذه الرسالة المنطلقة إلى الكبد غير معروفة. وبعد خمس دقائق من تسلُّم الرسالة يبدأ مستوى سكر الدم في الارتفاع بشكل منتظم .

ولا مجال للشك في أن تزويد الحيوان بنظام يغير أيضه كلياً ليفي بجميع احتياجاته عند اللزوم، لا يكون ممكناً إلا من خلال خطة خالية من الأخطاء وضعها الخالق العظيم؛ إذ لا يمكن لأية صدفة أن تُحدث مثل هذا النظام المثالي المعقد.

طائر القَطْرَس

تستخدم الطيور المهاجرة تقنيات مختلفة للطيران لخفج كمية الطاقة المستهلكة إلى أدنى حد، ومن الطيور التي تستخدم هذه التقنيات طائر القطرس. فهذه الطيور (التي تقضي 92% من حياتها فوق البحار) يبلغ عرض جناحَي الواحد منها عند انبساطهما ثلاثة أمتار ونصف المتر. وأهم ما يميز طائر القطرس هو كيفية طيرانه: فهو يستطيع الطيران لساعات دون تحريك أجنحته على الإطلاق، ويقوم بذلك عن طريق الانسياب في الهواء وبسط جناحيه باستمرار بالاعتماد على الرياح.



وعلى الرغم مما يتطلبه تثبيت أجنحة يبلغ عرضها ثلاثة أمتار ونصفَ المتر في الهواء من طاقة وقوة هائلة، فإن طائر

القطرس يستطيع التحليق بهذا الشكل لساعات طويلة. ويرجع ذلك إلى النظام التشريحي الخاص الذي منحه الله لهذا الطائر منذ مولده. وخلال الطيران تكون أجنحة طائر القطرس ثابتة، لذلك فهو لا يحتاج إلى استخدام أي قوة عضلية، وتظل الأجنحة منبسطة بفضل طبقات عضلات الأجنحة فقط مما يساعد طائر القطرس على سهولة الطيران والتحليق، كما يقلل من كمية الطاقة التي يستهلكها الطائر في الطيران. ذلك أن القطرس لا يضرب بجناحيه، كما أنه لا يستهلك طاقة في إبقاء أجنحته مفتوحة، فتحليقه لساعات معتمداً تماماً على الرياح فقط يمثل له مصدر طاقة غير محدود. فعلى سبيل المثال، إذا حلق طائر القطرس الذي يزن عشرة كيلوغرامات لمسافة قدرها ألف كيلومتر فإنه لا يفقد من وزنه إلا واحداً بالمئة فقط، وهى حقاً نسبة ضئيلة جداً. وقد صنع الإنسان –متخذاً من طائر القطرس مثلاً له– الطائرات الشراعية، مستفيداً من أسلوبه المذهل في الطيران والتحليق .

نظم مختلفة للرؤية

بالنسبة لكثير من الحيوانات البحرية تُعتبَر الرؤية أمراً في غاية الأهمية من أجل الصيد والدفاع عن النفس، ومن ثم تمتلك معظم الحيوانات البحرية عيوناً مصممة تصميماً مثالياً للرؤية تحت الماء.

وتحت سطح الماء يزداد انحسار القدرة على الرؤية بازدياد العمق، وخاصة على عمق ثلاثين متراً. ومع ذلك، تملك الكائنات الحية التي تعيش عند هذا العمق عيوناً خُلقت لتتلاءم مع تلك الظروف.

وتمتلك الحيوانات البحرية، بعكس الحيوانات البرية، عدسات كروية تتناسب تناسباً مثالياً مع الاحتياجات الخاصة بكثافة المياه التي تعيش فيها. ومقارنةً بالعيون الإهليلجية (البيضاوية) الواسعة التي تتسم بها الحيوانات البرية، يُعد هذا التركيب الكروي أكثر ملاءمة للرؤية تحت الماء؛ لأنه مضبوط لرؤية الأشياء عن قرب. وعندما تركز العين على جسم موجود على مسافة أبعد يُسحَب نظام العدسات بأكمله إلى الوراء بمساعدة آلية خاصة من العضلات موجودة داخل العين.

ويعد انكسار الضوء في الماء سبباً آخر من أسباب الشكل الكروي لعيون الأسماك؛ ذلك أنه بسبب امتلاء عين السمكة بسائل له نفس كثافة الماء تقريباً لا يحدث أي انكسار أثناء انعكاس صورة مكونة خارج العين عليها، وبالتالي تقوم عدسة العين بتركيز صورة الجسم الخارجي على الشبكية تركيزاً كاملاً. لذلك تبصر السمكة داخل الماء، على عكس الإنسان، بشكل حاد جداً.

وتمتلك بعض الحيوانات –مثل الأخطبوط– عيوناً كبيرة نسبياً لتعويضها عن ضعف الإضاءة في أعماق الماء. ولذلك لا بد للأسماك ذات العيون الكبيرة الموجودة على عمق أكثر من ثلاثمئة متر أن تلتقط ومضات الكائنات الحية المحيطة بها كي تلاحظها. كما يجب عليها أن تكون حساسة بشكل خاص للأشعة الزرقاء الخافتة التي تخترق الماء، ولهذا السبب يوجد قدر كبير من الخلايا الزرقاء الحساسة في عيون تلك الأسماك.



وكما يتضح من هذه الأمثلة، يتمتع كل كائن حي بعيون مميزة صممت خصيصاً لتفي بحاجاته الخاصة، وتثبت هذه الحقيقة أن كل هذه العيون قد خُلقت تماماً كما يجب أن تكون من قِبل خالق يملك حكمة ومعرفة وقوة أبدية.

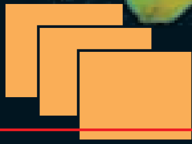
الهجرة المحفوفة بالصعاب

تتميز أسماك السلمون التي تعيش في المحيط الهادي بميزة رائعة؛ وهى قدرتها على العودة إلى النهر الذي فقست فيه أول مرة. فبعد أن تقضي هذه الكائنات جزءاً من حياتها في البحر تعود إلى المياه العذبة للتكاثر.

عندما تبدأ أسماك السلمون رحلتها في أوائل الصيف يكون لونها أحمرَ براقاً، ولكنه يتحول للأسود في نهاية رحلتها. وفى بداية هجرتها، تقترب من السواحل وتحاول الوصول إلى الأنهار، وتجاهد هذه الأسماك مثابرةً حتى تعود إلى مكان ولادتها، وتتمكن من الوصول إلى المكان الذي فقست فيه بالقفز إلى أعلى لتتغلب على اضطراب أمواج الأنهار، سابحةً ضد التيار ومتخطيةً الشلالات والسدود التي تعترضها.

وخلال هذه الرحلة الطويلة (التي تبلغ نحو أربعة آلاف كيلومتر) تحمل





روعة التصميم في ريش الطيور



إذا نظرنا إلى تركيب ريش الطيور فإنه يبدو لنا بسيطاً للوهلة الأولى، بيدَ أننا إذا ما أمعنا النظر فيه فسنجد أن هذا التركيب معقد للغاية، فريش الطيور خفيف جداً ومع ذلك فهو قوي جداً ولا يتأثر بالماء.

ولكي تستطيع الطيور الطيران بسهولة لا بد أن يكون وزنها خفيفاً قدر الإمكان. وريج الطيور يتكون من بروتينات الكيراتين التي تحقق هذا المطلب، فعلى كل جانب من جانبي ساق الريشة توجد عروق، وعلى كل عرق أربعمئة شعرة دقيقة. وعلى هذه الشعرات الدقيقة توجد شعرات أخرى أدق يبلغ عددها ثمانمئة. ومن بين هذه الشعرات الثمانمئة الأدق (التي تتكدس في ريش طائر صغير) تحمل الموجودة منها في الجزء الأمامي من جسم الطائر عشرين شعرة أخرى على كل منها، وتربط هذه الشعرات الدقيقة كل ريشتين معاً؛ تماماً مثلما نحيك قطعتي قماش فوق بعضهما البعض. وفي كل ريشة واحدة يوجد ما يقرب من ثلاثمئة مليون شعرة دقيقة، ويبلغ مجموع الشعرات الموجودة في ريش طائر ما نحو سبعمئة مليار!

وهناك سبب جوهري يفسر حكمة تماسك ريش الطير بعضه ببعض بواسطة هذه الشعرات والمشابك، ذلك أن الريش يجب أن يكون ثابتاً على جسم الطائر حتى لا يقع عند صدور أي حركة منه أياً كانت، وبفضل هذه الشعرات والمشابك يكون الريش ثابتاً بقوة على جسم الطائر، مما يكفل له عدم السقوط بسبب شدة الرياح أو المطر الغزير أو هطول الثلج.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الريش الموجود على بطن الطائر يختلف عن ذلك الموجود على أجنحته وذيله، فريش الذيل أكبر نسبياً ليكون بمثابة دفة توجه حركة الطائر وكذلك مكابح توقف هذه الحركة، أما ريش الأجنحة فهو مصمَّم ليُوسّع المساحة الكلية التي يضرب فيها الطائر بجناحيه، فتزيد بالتالي قوة تحليقه.




في جهة اليسار نلاحظ وجود سمك الحبر الذي يشبه الرمال.
أما في جهة اليمين فنلاحظ السمكة نفسها وهي تنفث لونا أصفر عندما أحست بالخطر مع رؤية أحد الغواصين.

إناث سمك السلمون البيض كما يحمل الذكور السائل المنوي، وما أن تصل إلى المكان الذي خرجت فيه إلى الدنيا لأول مرة حتى تضع الأنثى ما بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف بيضة ويقوم الذكر بتلقيح هذا البيض. وتصاب الأسماك بأضرار كبيرة خلال فترة الهجرة ووضع البيض؛ فالإناث التي تضع البيض تصاب بإرهاق شديد وتتآكل زعانفها الذيلية، ويتغير لون جلد كل من الإناث والذكور على السواء إلى الأسود، ثم يفيج النهر بعد ذلك بأسماك السلمون الميتة. ولكن جيلاً جديداً من الأسماك يكون قد فقص من بيضه ليبدأ رحلة هجرة جديدة.

أما كيف نجح سمك السلمون في القيام بهذه الرحلة، وكيف وصل إلى البحر بعد خروجه من البيض، وكيف وجد طريق عودته مرة أخرى... فهذه كلها أسئلة لا تزال تنتظر الإجابة عنها. وعلى الرغم من وجود تخمينات عديدة، فلا توجد إجابة قاطعة شافية على هذه الأسئلة. فما هي القوة التي تدفع أسماك السلمون إلى قطع رحلة طولها آلاف الكيلومترات للعودة إلى مكان لا تعرفه؟

من الواضح -إذن- أن هناك إرادة عُليا تحكم كل هذه الكائنات الحية وتسيطر عليها؛ وهي إرادة الله رب العالمين.

سمكة أم الْحِبْر

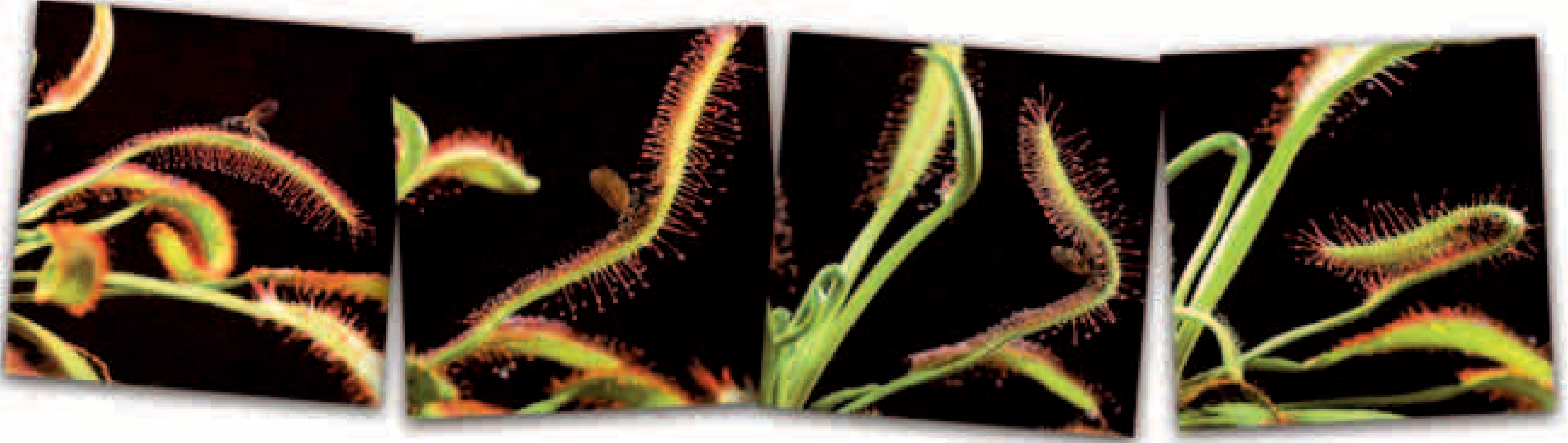
يوجد و بشكل كثيف تحت جلد سمكة أم الْحِبْر مجموعة من المواد الصبغية المرنة يُطلق عليها اسم ''الخلاياَ المُلَوِّنة''. و غالبا ما تكونَ ألوان هذه المواد الصبغية ما بين اللون الأصفر أو الأحمر أو البني. و عندما ننظر إلى الشكل الخارجي نجد أن الخلايا تتمدد و يُغطَى الجلد بلون مناسب و يتوقف هذا على إشارة يُرسل بها المخ. ولهذا السبب تستطيع سمكة أم الحِبر أن تقوم بتمويه متقن للغاية بمحاكاتها للون الصخرة التي تقف فوقها مثلاً.

و يعمل هذا النظام بشكلٍ متقن و على درجة عالية من الدقة لدرجة أنَّ سمكَة أم الحبر تستطيع بفضلِ هذا النظام المعقد أن تُحاكي الألوان المرسومة بانتظام فوق جسم الحمار الوحشي.

الكُوالا

إن الزيت الموجود في ورق أشجار الأوكاليبتوس (وهى أشجار يُستخدم ورقها وزهرها في أغراض طبية) سامٌّ بالنسبة لكثير من الحيوانات الثديية. ويمثِّل هذا السم وسيلة دفاعية كيميائية تستخدمها أشجار الأوكاليبتوپ ضد أعدائها، إلا أن حيواناً واحداً فريداً يتغلب على هذه الوسيلة الدفاعية ويتغذى على أوراق الأوكاليبتوس السامة: هذا الحيوان يسمَّى الكُوالا (وهو من ذوات الجراب). يتخذ الكُوالا من أوراق شجر الأوكاليبتوس مسكناً له ويتغذى عليها، كما يحصل على احتياجه من الماءِ منها أيضاً.

وكغيره من الحيوانات الثديية، لا يستطيع الكُوالا أن يهضم مادة السِليُولوز الموجودة في ورق الأشجار؛ ولهذا فهو يعتمد على الكائنات العضوية الميكروسكوبية داخل جهازه الهضمي التي تستطيع هضم السِليُولوز. وهي



.يلاحظ في الصورة نبتة سونداو وهي مفتوحة، وقد بدأت شيئا فشيئا في الانغلاق

موجودة بكثرة عند نقطة التقاء الأمعاء الدقيقة مع الأمعاء الغليظة، أي عند المصران الأعور (وهو الامتداد الخلفي للأمعاء). والمصران الأعور هو أكثر أجزاء الجهاز الهضمي غرابة لدى حيوان الكُوالا؛ فهذا الجزء من الجهاز الهضمي هو بمثابة غرفة يتخمّر فيها السليُولوز لتقوم الميكروبات بهضمه، بينما يتأخر مرور أوراق الأشجار في الجهاز الهضمي فيتمكن الكُوالا من معادلة وإبطال التأثير السام لَلزيوت الموجودة في أوراق الأوكاليبتوس .

القدرة على الصيد من وضع الثبات

نبات النّديَّة (Sundew) هو نبات ينمو في جنوب أفريقيا، وتفرز أوراقه عُصارة لزجة تعلَق بها الحشرات فيمتصها ويهضمها. أوراق هذا النباَت تمتلئ بشعيرات طويلة حمراء، وعلى أطراف هذه الشعيرات توجد مادة سائلة ذات رائحة تجتذب الحشرات. ويتميز هذا السائل باللزوجة الشديدة، فالحشرة التي تتجه نحو مصدر الرائحة تعلق بين هذه الشعيرات اللزجة، وبعد ذلك تغلق ورقة النبات نفسها على الحشرة التي علقت بين الشعيرات. ويقوم النبات باستخراج البروتين الذي يحتاجه من الحشرة عن طريق هضمها .

إن هذه الموهبة الطبيعية التي تتمثل في قدرة نبات على صيد واقتناف الفريسة دون إمكانية تحركه من مكانه لهي دليل قاطع على وجود تخطيط رائع، ومن المستحيل أن يكون النبات قد اكتسب وطوَّر مثل هذا الأسلوب في الصيد والاقتناف من تلقاء ذاته بإرادته المنفردة أو عن طريق الصدفة. ولذلك، فمن المستحيل أيضاً أن نغفل حقيقة وجود وعظمة الخالق الذي أعطى النبات هذه الموهبة.

البيسلسْك: الخبير في السير علىَ الماء

قليلة هي الحيوانات التي تستطيع السير على سطح الماء، ومن هذه الحيوانات النادرة البيسلسْك الذي يعيش في أميركا الوسطى، واَلذي يبدو في الصورة. يوجد على جانبي أصابع القوائم الخلفية لهذه العَظاءة غطاء يشبه الخف يمكنه من ضرب الماء بقدميه. يتقلج هذا الغطاء حين يمشي الحيوان على اليابسة، وإذا ما تعرض لخطرٍ ما يبدأ في الجري بسرعة على سطح الماء في نهر أو بحيرة حيث تُفتح هذه الأغطية الموجودة على قوائمه الخلفية مما يتيح له مساحة أكبر للجري على سطح الماء بسهولة.

وهذا التصميم الفريد للبيسلسْك ما هو إلا دليل واضح على وجود قوَة وإرادة خلاّقة مبدعة.



سحلية الباسيليسق من الكائنات الحية النادرة التي تتحرك مكونة توازنا بين الماء والهواء.

التمثيل الضوئي

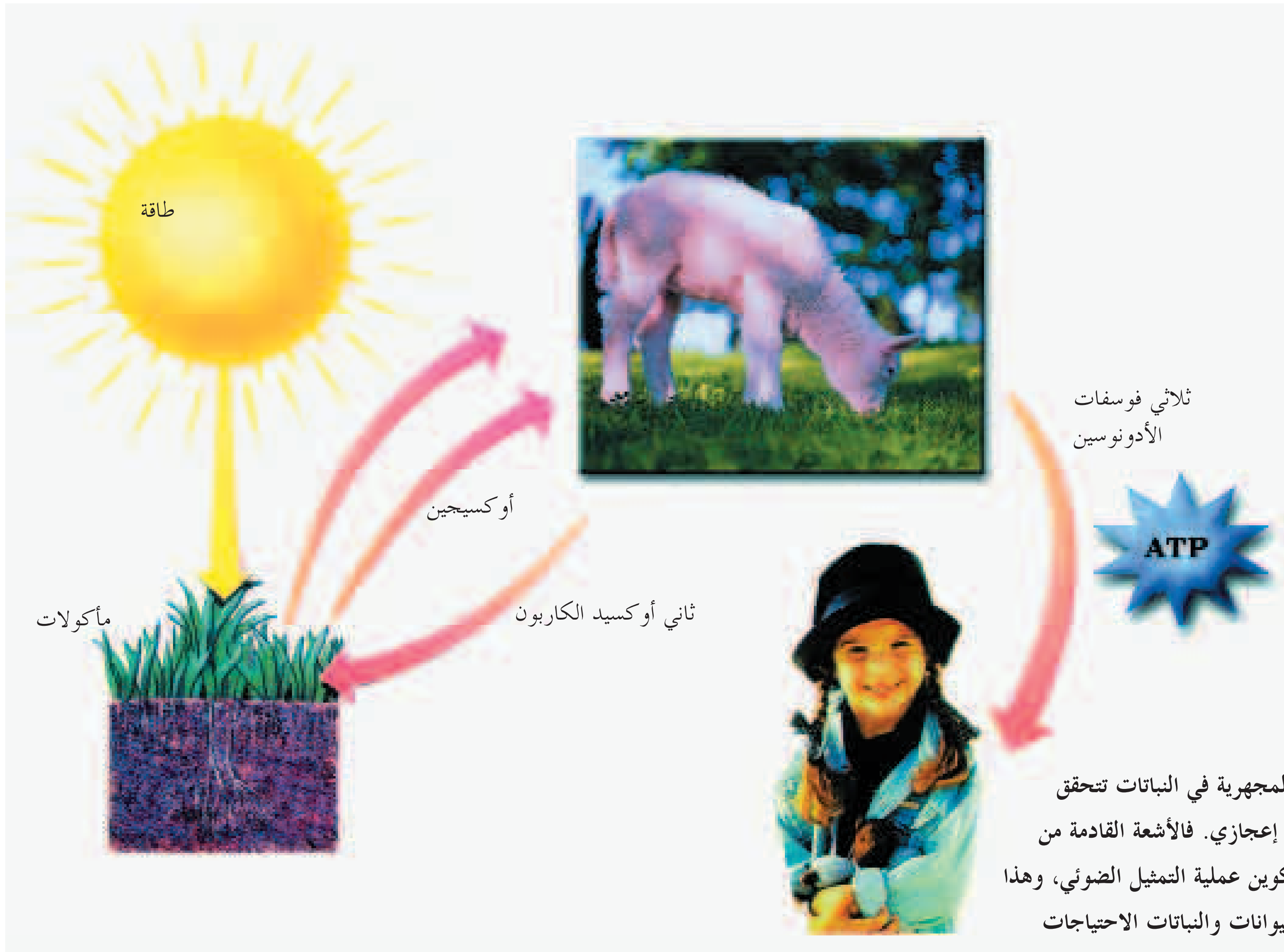
مما لا شك فيه أن الفضل الأكبر يرجع للنبات في جعل الكرة الأرضية مكاناً صالحاً للحياة؛ فالنبات ينقّي لنا الهواء الذي نتنفسه ويحافظ على ثبات درجة حرارة الكوكب الذي نعيج عليه، كما أنه يوازن بين نسَب الغازات الموجودة في الغلاف الجوي. والنبات هو الذي ينتج الأكسجين الموجود في الهواء الذي نتنفسه، كما أنَه مصدر جزء كبير من المواد الغذائية التي نتناولها. إن القيمة الغذائية للنبات ترجع إلى التصميم الخاص لخلايا النبات، كما ترجع إلى هذا التصميم الخصائص الأخرى له كذلك.

تستطيع خلية النبات –على عكس خلايا الإنسان والحيوان– الاستفادة من الطاقة الشمسية مباشرة؛ فهي تحوّل الطاقة الشمسية إلى طاقة كيميائية وتخزنها كمواد غذائية بطرق خاصة فريدة من نوعها، ويطلق على هذه العملية اسم التمثيل الضوئي. وفي واقع الأمر لا تقوم الخلايا بهذه العملية، بل تقوم بها –تحديداً– حبيبات اليخضور (أو الكلوروفيل)، وهي تلك التركيبات العضوية في الخلية التي تعطي النبات لونه الأخضر. هذه التركيبات العضوية الدقيقة التي لا تُرى إلا تحت المجهر هي المَعامل الوحيدة في العالم التي تستطيع تخزين الطاقة الشمسية في مادة عضوية.

تبلغ كمية المادة التي ينتجها النبات على سطح الأرض نحو مئتي مليار طن سنوياً، ولهذا الإنتاج أهمية حيوية لجميع الكائنات الحية على سطح الأرض. وتتم عملية الإنتاج هذه من خلال عمليات كيميائية في غاية التعقيد؛ فالآلاف من الأصباغ الموجودة داخل حبيبات الكلوروفيل تستجيب لضوء الشمس بسرعة مذهلة لا تكاد تصدَّق (خلال جزء من الألف من الثانية). ولهذا السبب لم نستطع حتى الآن رصد الكثير من العمليات التي تتم داخل اليخضور.

ويعتبر تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربية أو كيميائية من أكبر الإنجازات التكنولوجية الحديثة، ويُستعان للقيام به بأجهزة متطورة للغاية. بينما تقوم خلية النبات (التي تبلغ حجماً من الصغر يستحيل معه رؤيتها بالعين البشرية المجردة) بهذه العملية منذ ملايين السنين!

وهذا النظام المتقَن يثبت –مرة أخرى– وجود الخالق. فقد خلق الله –عزّ وجل– نظام التمثيل الضوئي بتعقيده الشديد. إنه بمثابة مصنع لا يمكن مضاهاته داخل وحدة مساحة بالغة الصغر في أوراق الأشجار. هذا التخطيط والتصميم البديع الذي لا تشوبه شائبة هو أحد الأدلة التي تثبت أن الكائنات الحية جميعها قد خلقها الله سبحانه تعالى، الله رب العالمين.



داخل المصانع المجهرية في النباتات تتحقق حركية ذات بعد إعجازي. فالأشعة القادمة من الشمس تقوم بتكوين عملية التمثيل الضوئي، وهذا الانتاج يوفر للحيوانات والنباتات الاحتياجات الضرورية من الطاقة

تنبيه!

إن الفصل الذي أنت مُقدم على قراءته الآن يكشف سرًّا عظيما من أسرار الحياة. فعليك أن تقرأه بكل انتباه وعناية، إذ أنّه يتعلّق بموضوع من شأنه أن يحدث تغييرًا أساسيا في نظرتك إلى العالم الخارجي. فموضوع هذا الفصل ليس مجرد وجهة نظر، أو موقف جديد، أو رأي فلسفي تقليدي فحسب؛ بل إنه حقيقة قطعية أثبتها العلم المعاصر، وينبغي أن يسلِّم بها كل إنسان مؤمنًا كان أو غير مؤمن.

الفصل السابع عشر

السرّ الكامن وراء المادة

إن من يتأملون في الكون وما يحيط بهم بإمعان وعقل واع، يدركون أن كل ما في الكون من حي أو جماد قد خُلق. ومن ثم يصبح السؤال هو "من خالق كل هذه المخلوقات؟".

من الواضح والثابت أن "حقيقة الخلق"، التي تظهر بوضوح في كلّ جزء من أجزاء الكون، لا يمكن أن تكون نتيجة إيجاد الكون نفسه. وعلى سبيل المثال، فالحشرة لا يمكن أن تكون قد خلقت نفسها. والمجموعة الشمسية لم تَخلِق وتُنظِّم نفسَها بنفسها. وكذلك لا يمكن أن تكون الكائنات من نبات، وإنسان، وبكتريا، وكريات الدم الحمراء وفراشات قد خلقت نفسها بنفسها. إن احتمال أن تكون كل هذه الكائنات قد وُجدت "بالصدفة" هو أمر لا يمكن حتى تخيله، ناهيك عن تقبله.

ولهذا يمكننا أن نخلص إلى النتيجة التالية: كل ما تقع عليه أعيننا مخلوق، إلا أن أيًّا من هذه الكائنات لا يمكن أن يكون هو ذاته "خالقًا". فالخالق يختلف عما نشاهده وهو أعظم وأقوى مما تقع عليه العيون. والخالق بقوته لا يُرى، ومع ذلك تشهد كل الكائنات والمخلوقات على وجوده وصفاته.

هذه هي النقطة التي يعترض عليها الذين لا يؤمنون بوجود الله، فهم يشترطون أن يروه بأعينهم قبل أن يؤمنوا به.

إنّ هؤلاء الذين يُعرضون عن حقيقة "الخلق" يضطرون إلى إنكار هذه الحقيقة التي تظهر بجلاء في الكون بأسره، ويحاولون تقديم أدلة مزيّفة على أنّ الكون والكائنات جميعها لم تُخلق، وليست نظرية التّطور سوى مثال واضح لمحاولاتهم اليائسة لتحقيق هذا الغرض.

والخطأ الأساسي، الذي يقع فيه من ينكرون وجود الله، يشاركهم في الوقوع فيه كثير من الناس الذين لا ينكرون في الحقيقة وجود الله، إلا أن لديهم إدراكاً وفهماً خاطئاً لقضية وجود الله. فهم لا ينكرون "الخلق"، إلا أن لديهم معتقدات خرافية عن "مكان وجود" الله. فمعظمهم يعتقد أن الله في "السّماء"، ويتصوّرون حسب اعتقادهم هذا أن الله يوجد خلف كوكب بعيد جدا، ويتدخل في "شؤون الدنيا" بين الحين والآخر، وربما لا يتدخل أبدا: فالله سبحانه وتعالى قد خلق الكون وتركه لشأنه، وترك البشر يحدّدون مصائرهم بأنفسهم.

وهناك أيضا آخرون قد سمعوا أن القرآن الكريم يذكر أن الله سبحانه وتعالى "في كلّ مكان"، إلا أنّهم لم يفهموا ما يعنيه ذلك فهما تامّا. وهم- لا شعوريا- يظنون أنّ الله يحيط بكل شيء مثل موجات الراديو، أو مثل الغاز الذي يحيط بالإنسان ولكنه لا يراه ولا يستطيع لمسه.

وهذا المفهوم وغيره من المعتقدات التي فشلت في الإجابة عن سؤال "أين يوجد الله" (والتي قد تؤدي بأصحابها إلى إنكار وجود الله بسبب ذلك) مصدرها خطأ شائع. ذلك أنهم يعتقدون رأياً مسبقاً لا يقوم على أي أساس، ثم يعتنقون آراء خاطئة عن وجود الله. فما هو هذا الرأي المسبق؟

يتصل هذا الرأي المسبق بماهية المادة وخصائصها. ولقد ربط أكثر الناس حقيقة الأشياء بما نراه بأعيننا من العالم المادي، واعتبروا أن الحقيقة هي المادة نفسها. غير أن العلم الحديث يتصدى لهذا الرأي المسبق ويكشف عن واقع في غاية الأهمية. وسنوضّح في الصفحات التالية هذا الواقع الذي أشار إليه القرآن الكريم.

عالم الإشارات الكهربائية

إنّ كل المعلومات التي نعرفها عن العالم الذي نعيش فيه تصل إلينا عن طريق حواسنا الخمس. فالعالم الذي نعرف يتكون مما نراه بأعيننا، وما تلمسه أيدينا، وما تستنشقه أنوفنا، وتتذوّقه ألسنتنا وتسمعه آذاننا. و لم يخطر لنا أن العالم "الخارجي" يمكن أن يحتوي على خلاف ما تنقله لنا حواسنا الخمس إذ أنّنا نعتمد عليها منذ نعومة أظافرنا.

إلا أنّ كثيرا من الدراسات والأبحاث التي أجريت في فروع العلوم المختلفة تشير إلى مفاهيم مختلفة تماما عما نعرفه، وتخلق شكوكا هامة تتعلق بحواسنا الخمس وما نتلقّاه من معلومات عن العالم من خلالها.

ونقطة البداية التي انطلقت منها هذه المفاهيم هي أن "العالم الخارجي" كما نعرفه في أذهاننا هو ردود فعل تتكون في أدمغتنا نتيجة إشارات كهربائية. فكلّ شيء بداية من لون التفاح الأحمر وصلابة الخشب بل ووالدتك ووالدك، وأسرتك بأكملها، وكل ما تملكه، منزلك وعملك وحتى أسطر هذا الكتاب الذي بين أيدينا، تتكون جميعها من إشارات كهربائية في أدمغتنا فقط لا غير.

ويشرح "فردريك فيستر" (Frederick Vester) ما توصل إليه العلم حتى الآن في هذا الموضوع فيما يلي:

يبدو أن العلم قد أثبت في أيامنا هذه تقريرات بعض العلماء التي تفترض أن "الإنسان مجرد صورة" وأن كل ما يمر بنا من تجارب هي أمور مؤقتة وخادعة وأن الكون كله ما هو إلا خيال". (184)

ولكي نلقي مزيدا من الضوء على هذه القضية، دعونا نتأمل حاسة الإبصار، هذه الحاسة التي تمدّنا بأوفر المعلومات عن العالم الخارجي.

كيف نبصر ونسمع ونتذوق؟

تتم عملية الرّؤية على عدة مراحل متتالية. فالحزمة الضوئية التي يصدرها جسم ما إلى العين تعبر قزحية العين لتنعكس على الشبكيّة في مؤخرة العين. ويتحوّل الضوء الذي تنقله الخلايا العصبية إلى إشارات كهربائية ثم ينتقل إلى نقطة صغيرة جدا تقع في مؤخرة المخ يطلق عليها مركز الإبصار. ويستقبل مركز الإبصار هذه الإشارات الكهربية ويحولها بعد عدّة عمليات إلى صورة كاملة، أي أنّ عملية الرؤية تتم في هذه البقعة شديدة الصغر الموجودة في مؤخرة المخ، وهي بقعة مظلمة جدا لا ترى النّور أبدا.

فلنتفحّص الآن هذه العملية التي تبدو عادية في ظاهرها. عندما نقول إننا "نرى"، فنحن في الواقع نرى تأثير النبضات التي تصل إلى عيوننا وتُرسل إلى المخ بعد تحويلها إلى إشارات كهربيّة، أي أننا عندما نقول إننا "نرى" فإن ما نراه في الحقيقة لا يعدو كونه إشارات كهربية داخل المخ.

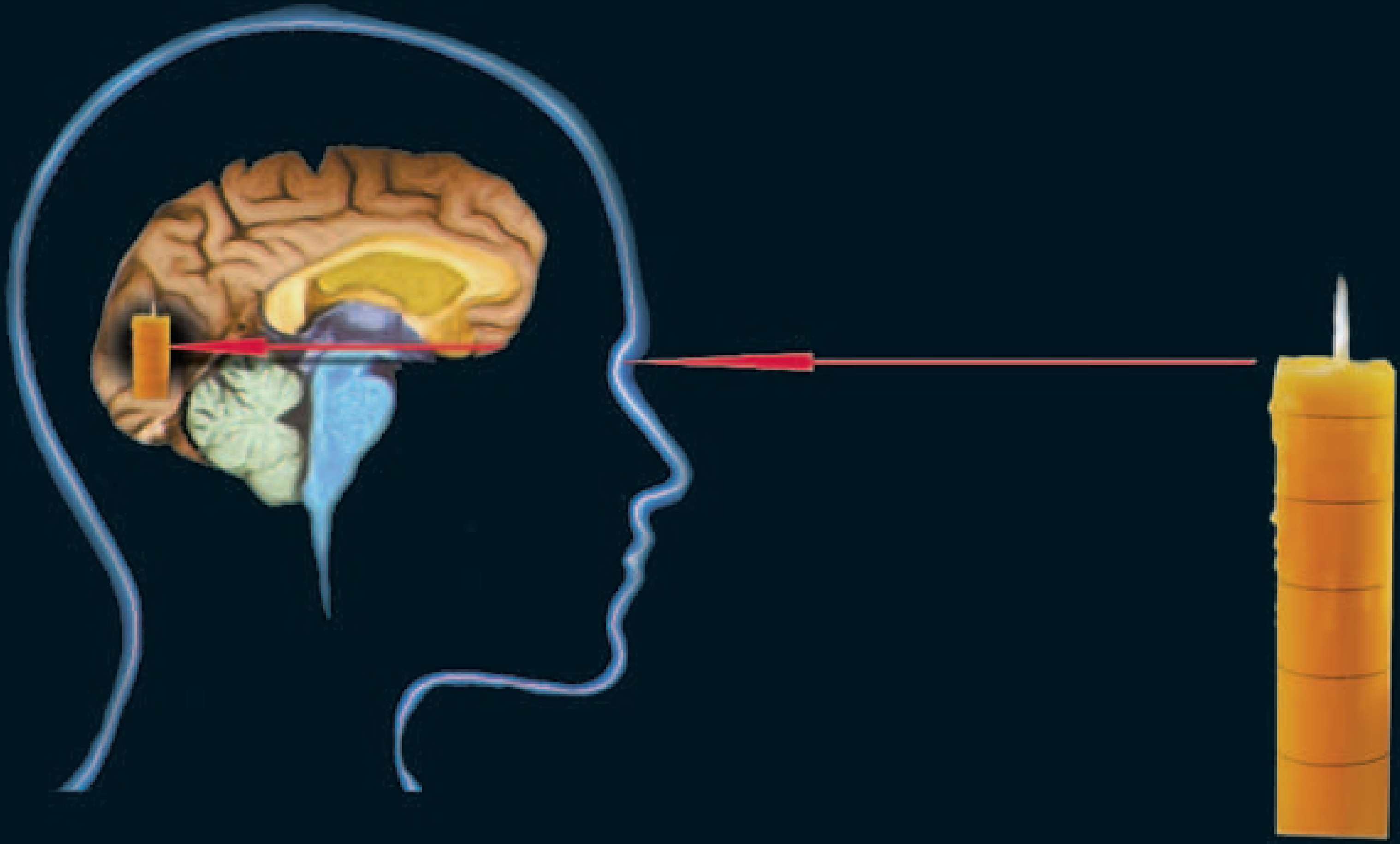
إنّ كل ما نراه حولنا في حياتنا يتكون في مركز الإبصار الذي يبلغ حجمه بضعة سنتيمترات مكعّبة داخل المخ. فالكتاب الذي تقرؤه الآن وجميع المناظر التي تراها في الأفق وعلى مدى البصر، والتي لا حدود لها، تقع في هذه البقعة الصّغيرة. وهناك نقطة أخرى يجب ألاّ تغيب عن الأذهان وهي، كما بينا من قبل، أنّ المخ في حد ذاته معزول عن الضوء الخارجي وداخله ظلام دامس لأنه لا يوجد اتصال مباشر للمخ مع الضّوء بأي حال من الأحوال.

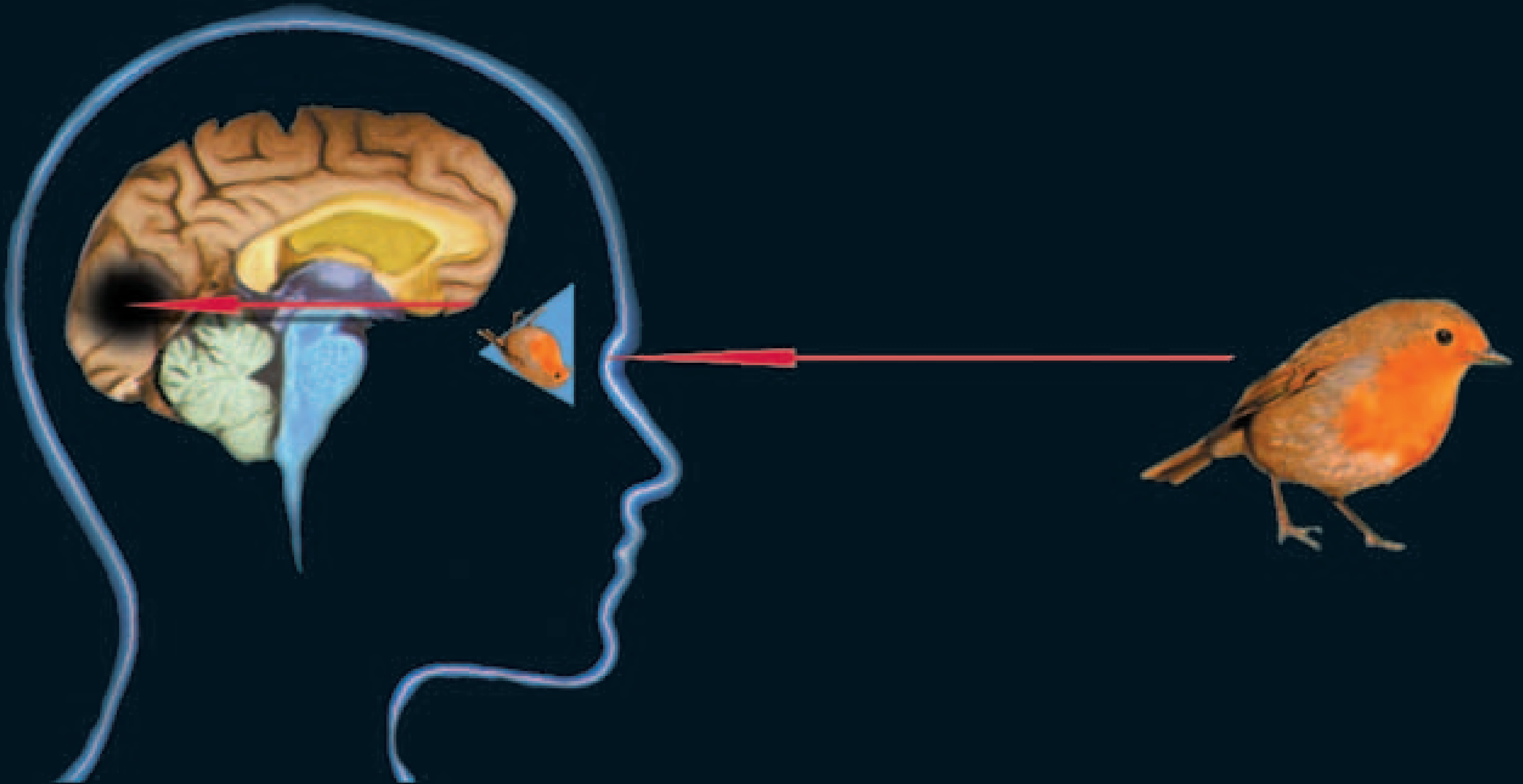
ويمكننا توضيح هذا الأمر المثير بالمثال التالي. فلنفترض أنّنا نرى أمامنا شمعة، فعندما نجلج نحن أمامها نتأملها، لا يكون للمخّ أي اتّصال مباشر بضوء الشّمعة الأصلي. فحتى ونحن نرى ضوء الشمعة، يظل المخ من الداخل غارقا في ظلام دامس. فنحن نرى عالما مليئا بالألوان ومضيئا داخل المخّ الذي يلفّه الظلام الدامس.

ويشرح لنا العالم "ر.ل. جريجوري" (R.L. Gregory) الإعجاز في عمليّة الإبصار، التي نراها شيئا مسلّما به: "إنّ عمليّة الإبصار تبدو لنا مألوفة وعادية جدا، حتى إنّنا لا نحتاج إلى تفكير تخيلي لإدراك وجود مشاكل يجب حلّها. والحقيقة أنه ينبغي علينا التفكير مليّا في الأمر. فالصّور التي تقع على عيوننا تكون صغيرة ومشوّشة ومعكوسة، بينما نحن نرى من حولنا أجساما واضحة منفصلة عن بعضها البعض. وبعد نماذج المحاكاة التي تقوم بها الشبكية داخل العين، نرى العالم الخارجي وما به من أجسام مختلفة، وهذا ليس بعيدا عن المعجزة في شيء" .(185)

وقچ على ذلك بالنّسبة إلى بقية الحواس. فما نتلقاه عن طريق الصّوت واللّمس والتذوق والشمّ ينتقل إلى المخ في شكل إشارات كهربائية، ويتم إدراكه في المركز الخاص بكل من هذه الحواس.

وعمليّة السّمع هي أيضا كذلك، فالأذن الخارجيّة تجمع الموجات الصّوتية المحيطة بها وتوصلها إلى الأذن الوسطى. وهكذا فالأذن الخارجيّة تلتقط الأصوات بواسطة غشائها الخارجي وتنقلها إلى الأذن الوسطى، ثم تنقل الأذن الوسطى الذبذبات الصوتية التي تلقتها إلى الأذن الداخلية، وتقوم الأذن الدّاخلية بتحويل هذه الذبذبات إلى إشارات كهربائية ثم ترسلها إلى المخ. وكما يتم الإبصار في مركز الإبصار في المخ، تتم عملية السّمع في مركز السمع بالمخ كذلك. والمخّ معزول عن مصدر الصّوت الخارجي تماماً مثلما هو معزول عن مصدر الضوء





تسقط أشعة الضوء القادمة من جسم ما على شبكية العين في وضع مقلوب. ويتم إرسال هذه الصورة إلي مركز الرؤية الموجود في الجزء الخلفي من المخ في شكل إشارات كهر بائية. ومركز الرؤية الذي نتحدث عنه هو مكان صغير جدا. و بالطبع لا يمكن للضوء أن يصل إلى المخ لأن المخ لا يستقبل الضوء كما هو و لا يسمح بنفاذه. أي أننا نستطيع إدراك العالم ورؤية رونقه بواسطة نقطة لا يستطيع الضوء الوصول إليها على الإطلاق.

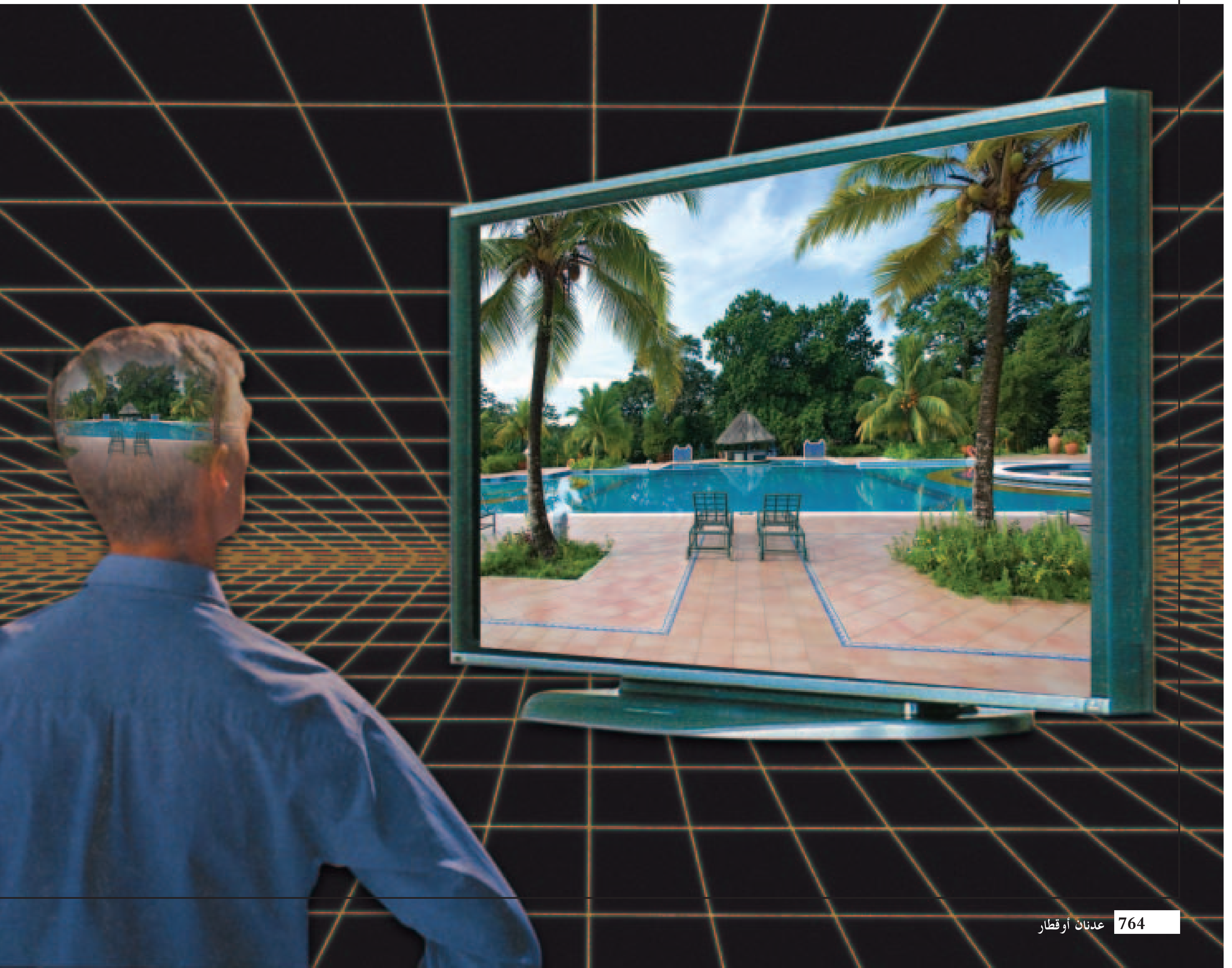
الخارجي. فمهما كانت شدّة الضوضاء في الخارج، يظل المخّ من الداخل هادئًا تماما.

ومع ذلك، فحتّى أدقّ الأصوات يستطيع المخّ تمييزها. وهذا يعني تحديدا أن أذن الإنسان السليم تسمع كلّ الأصوات بوضوح دون أي تشويج أو تداخل. فعن طريق مركز السّمع بالمخ، وعلى الرّغم من أنّ هذا المركز معزول عن كلّ مصدر صوت خارجي، فإنكم تستمعون إلى سيمفونيات تعزفها الأوركسترا، وتسمعون الضّوضاء في الزّحام، وتسمعون كلّ الأصوات الأخرى ذات الترددات المختلفة بدءا من حفيف ورق الأشجار وانتهاء بهدير الطائرة النّفاثة. ولكن لو حاولنا قياس شدّة الصّوت داخل المخ بأحد الأجهزة الدقيقة– في هذه اللحظات التي نستمع فيها بالفعل إلى الأصوات الخارجية– لوجدنا أنّ الصمت المطبق هو الذي يسود داخل المخ.

إنّ إدراكنا للروائح التي نستنشقها يتحقق بنفس الطريقة. فالذّرات المتطايرة من أشياء مثل الفانيليا أو زهرة ما تصل إلى المستقبلات التي تقع على الشعيرات الدقيقة متناهية الصّغر في منطقة تجويف الأنف، ثم يحدث لها ما يشبه التفاعل. هذا التفاعل ينتقل إلى المخ على شكل إشارات كهربائية، يتلقاها المخ على هيئة رائحة. فكل ما نستنشقه من روائح– طيبة كانت أو كريهة– هو عبارة عن تلقي المخ للتفاعلات التي تجرى على الذّرات الصغيرة المتطايرة بعد أن تكون قد تحولت إلى إشارات كهربائية. فنحن نستقبل رائحة العطور والزهور ورائحة الطّعام الذي نحبه ورائحة البحر وكلّ الروائح الأخرى التي نحبها أو لا نحبّها عن طريق المخ. وكما هو الحال بالنسبة إلى حاسّة السّمع والإبصار، فإنّ الذّرات المتطايرة لا تصل إلى المخ أبدا. أما الذي يصل إلى المخ فهو مجرّد إشارات كهربائية. وبمعنى آخر، إنّ كلّ الروائح التي نفترض، منذ ولادتنا، أنها تصدر من الأجسام الخارجية، ما هي إلا إشارات كهربائية نشعر بها من خلال حواسّنا العضوية.

وما سبق يسرى بالمثل على حاسّة التذوق. فهناك أربعة أنواع مختلفة من المستقبلات الكيميائيّة، تقع على الجزء الأمامي من لسان

التحذيرات أو التهديدات القادمة من جسم ما تتحول هي الأخرى إلى إشارات كهربائية يكون لها تأثيرها داخل المخ. ونحن نشاهد تأثير الإشارات الكهربائية الموجودة في أذهاننا ونحن نتكلم.



الإنسان وهي المسؤولة عن التعرف على المذاق المالح والحلو والمر والحامض. تقوم هذه المستقبلات بتحويل المذاقات- بعد أن تمرّ بعدة عمليات كيميائية- إلى إشارات كهربائية وترسلها إلى المخّ، وهذه الإشارات يستقبلها المخ على أنها مذاقات مختلفة. فالمذاق الذي نستشعره من تناول قطعة شيكولاتة أو ثمرة فاكهة هو تفسير المخّ لهذه الإشارات الكهربائية. ونحن لا نصل إطلاقا إلى الجسم الموجود بالخارج، إذ إننا لا نرى أو نشم أو نتذوق الشّيكولاتة ذاتها. وعلى سبيل المثال، إذا انقطعت أعصاب التذوق الموصلة للمخ، لن يدرك المخ أو يستشعر أي مذاق لما تأكله، وستفقد حاسّة التذوق تماما.

وهنا تظهر لنا حقيقة أخرى، وهي أنه لا يمكن التأكّد من أنّ ما نشعر به عند تناولنا طعاما معينا هو نفس ما يشعر به شخص آخر عند تناوله الطّعام نفسه، أو أنّ ما نتلقاه من مؤثّرات عند سماع صوت ما هو نفس ما يتلقاه شخص آخر من مؤثرات عند سماع الصّوت نفسه. وعن هذه الحقيقة، يقول "لينكولن بارنت" ما يلي:

"نحن لا نستطيع أن نحدّد ما إذا كان ما يراه شخص ما من لون أحمر، أو ما يسمعه من نغمة مثل (دو) الموسيقية، هو نفسه ما يراه غيره ويسمعه. لا يمكن لأحد أن يتأكّد من ذلك أبدا" .(186)

ولا تختلف حاسّة اللمس كثيرا عن بقية الحواس التي تناولناها. فعندما نلمس جسما ما، فإنّ كل المعلومات التي ستساعدنا على تمييز العالم الخارجي المحيط بنا وما به من أجسام، ستنتقل إلى المخ عن طريق الأعصاب الحسّية الموجودة على الجلد. فالشعور بلمج شيء ما يتكون داخل المخ. فعلى عكج الاعتقاد الشائع، نحن لا ندرك الشّيء عندما نلمسه بأطراف أيدينا أو عن طريق الجلد، بل إنّ عملية اللمس تتم في مركز الإحساس داخل المخ. وكنتيجة لتقدير المخ للتنبيهات الكهربائية التي تنطلق من جسم ما، نشعر بأحاسيس مختلفة ترتبط بما نلمسه من أجسام، مثل الصّلابة أو النّعومة، والسخونة أو البرودة، فنحن نستمدّ جميع المعلومات التي تساعدنا على تمييز جسم ما بعينه من خلال هذه التـــنبيهات. وعن هذه الحقيقة المهمّة أيضا، كتب اثنان من مشاهير الفلاسفة "ب. راسيل، و ل. ويتجينستين" (B. Russel & L. Wittgeinstein) آراءهما كما يلي:

"لا يمكن مناقشة قضية وجود ثمرة اللّيمون من عدمه وكيف وُجدت هذه الثمرة، فالليمون عبارة عما نتذوقه من طعم باللّسان، وما نشمه من رائحة بالأنف، وما نراه من لون وشكل بالعين، وهذه الصّفات فقط هي التي يمكن أن تخضع للدراسة والتقييم، فالعلم لا يمكن أن يدرك حقيقة العالم ويعرفها".(187)

يستحيل على العقل البشرى أن يصل إلى الحقيقة المادية للعالم. فكل الأشياء التي حولنا هي عبارة عن مجموعة من المؤثرات التي ندركها بواسطة حواسنا كالإبصار والسمع واللمس. وعن طريق تحليل البيانات التي يتلقاها مركز الإبصار وغيره من مراكز الإحساس في المخ، يواجه المخ، خلال مراحل حياتنا المختلفة، الصورة التي تكوّنت داخله للأجسام المادية، وليس هذه الأجسام ذاتها. وهنا يضل الإنسان بافتراضه أنّ هذه الصّور أو النّسخ هي أمثلة لمادة حقيقيّة موجودة خارجنا.

"العالم الخارجي" كما يتشكّل في عقولنا

إنّ الحقائق المادية التي بيناها حتى الآن تقودنا إلى النتيجة التالية: إنّ ما نراه ونلمسه ونسمعه وندركه بوصفه "المادة"، "والعالم" و"الكون" بأسره هو عبارة عن إشارات كهربائية يتلقاها المخ. نحن لا نستطيع على الإطلاق أن نصل إلى حقيقة المادة خارج عقولنا، ولكنه بإمكاننا أن نرى ونسمع ونتذوق العالم الخارجي كما تشكل في أذهاننا.

إنّ الشخص الذي يتناول فاكهةً ما لا يواجه في الحقيقة الفاكهة بعينها، بل الصّورة التي يدركها المخ لها. فالجسم الذي يمثل "الفاكهة" بالنسبة إلى شخص ما يتكون من إشارات كهربائية خاصة بشكل هذه الفاكهة ومذاقها ورائحتها. فإذا تم قطع العصب البصري الذي يمتد إلى المخ فجأة، فإنّ صورة الفاكهة ستختفي فجأة أيضا. وكذلك لو انقطع الاتصال بين الأعصاب الممتدة من أجهزة الإحساس في الأنف إلى المخ، فسيؤدّى ذلك إلى انعدام حاسة الشم تماما. وبعبارة بسيطة، إن صورة الفاكهة ليست إلاّ تفسير المخ للإشارات الكهربائية.

الأمر الآخر الذي لابد أن نتوقف عنده هو الإحساس بالمسافة، فالمسافة بينك وبين هذا الكتاب على سبيل المثال هي ذلك الشعور بالفراغ الذي يتكون في المخ، فالأجسام التي يظنها المرء بعيدة عنه توجد أيضا داخل مخه. فمثلا،عندما يراقب الإنسان النجوم في السماء، يظن أنها تبعد عنه ملايين السنين الضوئية، ولكن ما "يراه" من نجوم يوجد أيضا داخل المخ في مركز الإبصار. وبينما تقرؤون هذه الأسطر، لستم- كما تظنون- داخل الغرفة التي تجلسون فيها، بل إن الغرفة هي التي توجد داخلكم، ولكن لأنكم تستطيعون رؤية أجسامكم، فإنكم تظنون أنكم بداخل الغرفة. ومع ذلك، فإن عليكم أن تتذكروا أنّ أجسامكم هي أيضا صور تكونت داخل أمخاخكم.

وما سبق ينطبق على بقية الحواس. فعندما تظن أنك تسمع صوت التليفزيون في الحجرة المجاورة، فإنك في الواقع تسمع الصوت الذي يوجد داخل مخك وتتفاعل معه. فلا يمكنك إثبات وجود غرفة مجاورة لك، ولا أنّ هناك صوتًا يصدر من تليفزيون بداخلها. فالصوت الذي تسمعه على بعد أمتار منك والمحادثة التي يجريها شخص مع آخر بالقرب منك، كلاهما يتكون داخل بقعة صغيرة لا تتعدى بضعة

سنتيمترات مربعة هي مركز السّمع بالمخ. وبدون مركز الإدراك الحسي هذا ، فلا يوجد ما يسمّى باتجاه اليمين أو اليسار أو الأمام أو الخلف، أي أن الصّوت لا يأتي من أيّ من هذه الاتجاهات أو حتى من الهواء؛ فالاتجاهات ذاتها لا وجود لها.

وكذلك الروائح التي نشمها، فنحن لا نشم هذه الروائح عن بعد، بل نعتقد أن ما يصل إلينا في النهاية عن طريق مركز الشم في المخ هو رائحة الأجسام الموجودة في الخارج. ومع ذلك، فكما أن صورة الزهرة تتكون داخل مركز الإبصار، فإن رائحة هذه الزهرة كذلك تتكون داخل مركز الشم في المخ. فلا وجود في العالم الخارجي للزهرة ولا لرائحتها.

إن "العالم الخارجي" الذي ندركه بحواسنا ما هو إلا "الإشارات الكهربائية" التي تصل إلى المخ. وعلى مدار حياتنا، تخضع هذه الإشارات لعمليات مختلفة في المخ، فنحيا دون أن ندرك الخطأ الذي وقعنا فيه بافتراف أن ما نراه هو أصل المادة التي يتكون منها "العالم الخارجي". وقد ضللنا لأننا لا يمكن أن نصل إلى المادة ذاتها بحواسنا.

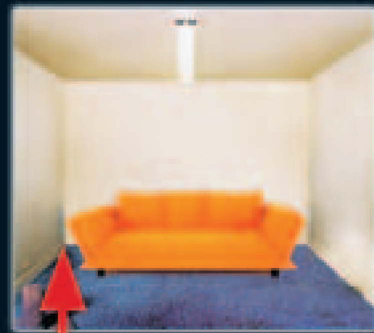
إنّ المخ هو المسؤول عن التفسير وإعطاء معنى للإشارات التي نفترض أنها هي "العالم الخارجي". ولنأخذ على سبيل المثال حاسة السمع: إن المخ في حقيقة الأمر هو الذي يحول الموجات الصوتية في "العالم الخارجي" إلى سيمفونية، أي أنّ الموسيقى هي نوع من المدرَكات الحسية التي يوجدها المخ. وبنفس الطريقة، فعندما نرى ألوانا مختلفة، فإنّ ما يصل إلى أعيننا هو مجرد إشارات كهربائية مختلفة الطول الموجي، والمخ هو الذي يحول هذه الإشارات إلى ألوان. فلا توجد أي ألوان في "العالم الخارجي". فلا التفاحة لونها أحمر، ولا السّماء لونها أزرق ولا الأشجار لونها أخضر. فهي تبدو بألوانها هذه لأننا نستقبلها بهذا الشكل. إنّ "العالم الخارجي" يعتمد كليا على وسيلة الإدراك.

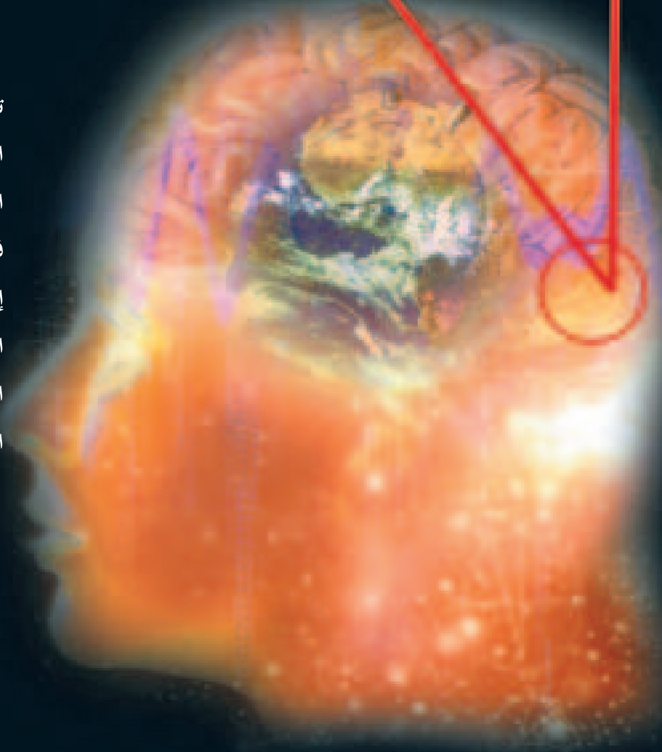
وقد يؤدى خلل بسيط في شبكية العين إلى إصابتها بعمى الألوان، فيرى بعض الناس اللون الأزرق على أنه لون أخضر، ويرى البعض الآخر اللون الأحمر أزرق، ويرى آخرون الألوان كلها كدرجات مختلفة من لون واحد فقط هو الرمادي، وفى هذه المرحلة لا يهم كثيرا ما إذا كان الجسم الخارجي ملونا بالفعل أم لا.

ويناقش المفكر المعروف "بيركلي" Berkeley هذه الحقيقة بقوله:

"في بداية الأمر كان الاعتقاد الشائع هو أن الألوان والروائح ... "توجد بالفعل" في العالم الخارجي، ولكن وجهات النظر هذه تم التخلي عنها فيما بعد، فقد ثبت أن وجودها إنما هو متوقِّف على إحساساتنا" .(188)







تتكون أية صورة رأيناها طيلة حياتنا في مركز الإبصار الموجود في الجزء الخلفي من المخ الذي لا يتجاوز حجمه بضعة سنتيمترات مكعبه فقط. فصورة حجرة ضيقة و منظر كبير لا يسع إلا مكانا صغيرا للغاية داخل هذا المركز البصري. إذن فالذي نراه لا يكون بنفس الحجم الحقيقي الموجود في الخارج، بل هو الحجم الذي أدركه مخنا فقط.



تشير الاكتشافات الفيزيائية الحديثة إلى وجود إدراكي للكون المادي. وقد وضعت مجلة "العلم" الأمريكية التي تناولت هذه الحقيقة في عددها الصادر بتاريخ 30 كانون الثاني لعام 1999 وضعت هذا السؤال علي غلافها:
في ما وراء الحقيقة: هل الكون هو رقص للعلم و المادة لا تتعدى كونها مجرد سراب؟

والنتيجة التي نخلُص إليها هي أننا لا نرى الأجسام ملونة لأن لها لونها الخاص بها أو لأن لها وجودها المادي المستقل في العالم الخارجي. إن حقيقة المادة هي أن كل الصفات التي نضفيها على الأشياء والأجسام إنما توجد بداخلنا فقط وليس في "العالم الخارجي".

وإذا كان الأمر كذلك، كيف نستطيع أن نزعم بأننا نعرف جيدا "العالم الخارجي"؟

علم الإنسان المحدود

إن أهم نتيجة توصّلنا إليها إلى حد الآن هي أن علم الإنسان بالعالم الخارجي محدود جدا.
فعلمنا بالعالم الخارجي محدود أولا بسبب ما تمدنا به حواسنا الخمسة من معلومات، وثانيا لأنه ليس لدينا أية أدلة تفيد بأن ما نتلقاه بواسطة هذه الحواس متطابق مع الحقائق الموجودة في هذا العالم.
ولذلك فإن "حقيقة العالم" يمكن أن تكون مختلفة تماما مع ما ندركه نحن بهذه الحواس، ففي هذا العالم موجودات كثيرة وأبعاد لموجودات كثيرة لم نتمكن من إدراكها. وحتى إذا وصلنا إلى أبعد نقطة في هذا العالم فسوف تبقى معرفتنا بهذا العالم ناقصة، وسوف تظل دوما في كذلك. والذي يعرف جميع الموجودات على حقيقتها ودون أدنى نقص هو الله تعالى خالق هذه الكائنات. والمخلوقات لا تحصل على العلم إلا بمقدار ما يأذن لها الله تعالى به. وهذه الحقيقة يقررها القرآن الكريم على النحو التالي:
﴿ اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة البقرة: 255)

"العالم الخارجي" كما يتشكل صناعيا

إن العالم الوحيد الذي نعرفه هو العالم الموجود داخل أذهاننا. فهناك داخل أذهاننا عالم متكون من الأشكال والأصوات والألوان. هذه الإدراكات التي نشاهدها داخل أذهاننا هناك من يرى أن مصدرها "صناعي".

لقد تكرّر حديثنا حتى الآن عن "عالم خارجي" وعن عالم من الإدراكات يتشكل داخل عقولنا، وهو العالم الذي نراه. لكن مادمنا لن نصل أبدا إلى "العالم الخارجي"، فكيف نتأكد أن عالَماً كهذا يوجد بالفعل؟

في واقع الأمر ليس بإمكاننا أن نتأكد، فما دامت كل الأجسام التي نراها هي مجموعة من الإدراكات الحسية التي لا توجد إلا في الأذهان، فإنه يصبح أكثر دقةً أن نقول إن العالم الوحيد الموجود هو عالم الإدراكات الحسية. العالم الوحيد الذي نعرفه هو الذي يتشكل داخل المخ، وهذا هو العالم الوحيد الذي نحن على يقين من وجوده.

إننا لا نستطيع إثبات أن ما ندركه داخل عقولنا له أصل مادي، فهذه الإدراكات يمكن أن يكون مصدرها وهميا.

ويمكن لنا أن نلاحظ ما يلي: إن التنبيهات الوهمية يمكن أن تخلق داخل عقولنا صورة خيالية تماما للعالم المادي. ولنأخذ المثال التالي: فلنتخيل جهاز تسجيل حديثا يمكنه التقاط جميع الإشارات الكهربائية وتسجيلها، وليكن أول ما نقوم به هو نقل جميع البيانات المتعلقة بموقف معين (وليكن جسدك أحد عناصر هذا الموقف) إلى جهاز التسجيل هذا بتحويل هذه البيانات إلى إشارات كهربائية. وثانيا، فلنتخيل معا أن بإمكان مخك أن يحيا خارج الجسد، وأخيرا، فلنربط بين جهاز التسجيل والمخ (المفترض وجوده خارج جسدك) عن طريق موصلات كهربائية (تقوم بوظيفة الأعصاب)، ثم نرسل الإشارات التي سبق تسجيلها إلى المخ. إن الشعور الذي سينتابك في هذه الحالة هو أنك تعيش في موقف "صنعته" أنت بنفسك، ويصبح من السهل أن تصدق أنك تقود سيارتك على الطريق السّريع. ويصعب عليك إدراك أنك لا تتكون من شيء سوى مخك لأنّ تكوين عالم داخل عقلك لا يتطلب وجود هذا العالم بالفعل بل يتطلب فقط وجود تنبيهات، ومن الممكن تماماً أن يكون مصدر التنبيهات "مصطنعا" مثل جهاز التسجيل في المثال السابق.

وعن هذا يقول العالم والفيلسوف الكبير "برتراند راسيل" : (Bertrand Russel)

"أما ما نشعر به عندما نضغط بأطراف أصابعنا على طاولة ما، فهو يرجع إلى الاضطراب الكهربائي الذي يحدث في الإلكترونات والبروتونات الموجودة في أطراف أصابعنا، وطبقا لعلم الفيزياء الحديث، فإنه يحدث بسبب تقارب الإلكترونات والبروتونات الموجودةعلى الطاولة. ولو أن هذا الاضطراب الكهربائي نفسه الذي حدث في أطراف أصابعنا قد حدث بأي أسلوب مختلف، لشعرنا بالشعور نفسه ولو لم تلمس أصابعنا سطح أي طاولة" .(189)

نعم، من السّهولة بمكان أن ننخدع فنعتبر الإدراكات الحسية التي ليس لها أي صلة مادية بالواقع أشياء حقيقية. ففي أحلا منايحدث كثيرا أن نرى أحداثا وأناسا وأشياء ومواقف تبدو لنا واقعية تماما، ولكنها في الحقيقة ليست سوى إحساسات تدركها المراكز الحسية بالمخ لا أكثر. فليس هناك فرق جوهري بين الأحلام و"العالم الخارجي الواقعي"، فكل منهما نشهده في العقل.

من الْمُدرك؟

مما ناقشناه حتى الآن، يتضح بلا شك أن العالم الذي نظن أننا نعيش فيه أو ما نطلق عليه "العالم الخارجي" لا يوجد إلا في عقولنا فقط. وهنا يظهر سؤال على قدر كبير من الأهمية، فإذا كانت جميع الأحداث المادية التي نعرفها ما هي إلا إدراكات حسية داخل المخ، فماذا عن المخ ذاته؟ فبما أن المخ جزء من العالم المادي شأنه شأن الذراع والقدم وأي جزء آخر، فإنه يجب أن يكون كذلك مجرد إدراك حسي مثل بقية الأجسام الأخرى تماما.

ولنأخذ من الأحلام مثالا لإلقاء مزيد من الضوء على الموضوع. فإذا كنا نحلم بهذه الطريقة، فسيخيل إلينا أن لدينا ذراعاً وبدناً وعيناً ومخاً، وإذا ما سألك شخص ما أثناء الحلم "أين ترى؟" لأجبته: "إنني أرى في مخي". ومع ذلك، فإنه لا يوجد أي مخ مما نتحدث عنه. كل ما هنالك بدن خيالي ورأس خيالي ومخ خيالي. أما الكائن الذي يرى هذه الصور الخيالية فهو ليس "المخ الخيالي" الذي نراه في الحلم، ولكنه كائن آخر أرقى بكثير.

نحن نعلم أنه لا يوجد فرق جوهري بين الوضع الذي نكون فيه أثناء الحلم والوضع الذي نطلق عليه الحياة الواقعية التي نعيشها. لذالك فعندما تُسأل السؤال السابق ("أين ترى") في الوضع الذي نطلق عليه الحياة الواقعية، فإن الإجابة بـــ "في مخي" تكون لا معنى لها تماماً مثلما رأينا أنها لا معنى لها في المثال السابق. ففي كلتا الحالتين، فإن الذي يرى ويدرك ليس هو المخ، الذي لا يعدو كونه قطعةً من اللحم لا حياة فيها.

إلى حد الآن كان حديثنا عن الصورة التي ارتسمت في عقولنا بخصوص العالم الخارجي. والنتيجة المهمة لذلك هو أنه ليس من الممكن أبدا إدراك حقيقة العالم الخارجي في أي وقت من الأوقات. وأما الحقيقة الثانية المهمة فهي أن "الإرادة" التي نشاهد بها العالم



الحقيقة التي تكونت بواسطة تنبيه اصطناعي



الحقيقة الصماء أو غير الواقعية هي عبارة عن بث لبعض المناظر ثلاثية الأبعاد إلى الإنسان بواسطة الحاسِب الآلي ليجعل هذا الانسان من خلال استخدام بعض الآلات الأخرى يعايش هذه المناظر كما يفعل في الواقع تماماً. و تستخدم هذه الطريقة لأغراض مختلفة في كثير من المجالات.

و لعل أهم خاصية تميز الحقيقة الصماء تلك أنها تجعل من يستخدم هذه الآلات يظن أن المناظر التي يراها واقعية تماما حتى إنه ينهمك في مشاهدة هذه المناظر. و يمكن بواسطة هذه الطريقة تكوين عالم مادي حي تماما كما لو كان في العالم الواقعي الذي نعيشه. ونتيجة لهذه التنبيهات و التحذيرات المعطاة فإن أي شخص يمكن أن يظن أنه أمسك أو لمس طائرا على الرغم من أن هذا الطائر ليس له وجود فعلي.





داخل عقولنا ليست هي الدماغ نفسه. فالدماغ شبيه بشاشة الحاسوب التي ترتسم عليها المعطيات القادمة إليها ثم تحولها إلى مَشاهد ومناظر؛ ولكن إذا انتبهنا نلاحظ أن شاشات الحواسيب لا يمكن أن تشاهد نفسها، وهي ليست واعية أيضا بوجودها.

وإذا ما قمنا بتحليل المخ، فسنجد أنه لا يوجد به إلا دهون وبروتينات، وهذه المكونات نفسها توجد في كثير من الأعضاء الحيّة الأخرى، أي أنه لا يوجد في قطعة اللحم التي نطلق عليها "المخ" ما يجعلنا نرى صورا مختلفة، أو يشكل لدينا الوعي، أو يوجِد لدى كل منا الكيان الذي يسميه "أنا".

ويشير "ر. ل. جريجوري" (R.L. Gregory) إلى الخطأ الذي يقع فيه الناس فيما يتعلق بإدراك الصور في المخ:

"يجب أن نتجنب الإغراء الذي يقودنا إلى القول بأن العين تكوّن الصور داخل المخ. ووجود صورة في المخ يتطلب ما يشبه العين الداخلية لرؤيته، مما يتطلب عينا أخرى لرؤية الصورة. وهكذا دواليك... عدد لا نهائي من الأعين والصور، مما يجعل الأمر يبدو سخيفا للغاية".(190)

هذه هي النقطة الرئيسية التي تضع الماديين، الذين لا يؤمنون بوجود شيء غير المادة، في مأزق: فلمن تكون "العين الداخلية" التي ترى وتدرك ما ترى وتستجيب له ؟

وقد ركز "كارل بريبرام" (Karl Pribram) على هذا السؤال الهام في العلوم والفلسفة، وهو ماهية المدرِك:

"منذ عهد اليونانيين، والفلاسفة يفكرون عن "الشبح الموجود داخل الآلة"، و "الإنسان الصغير الموجود داخل الإنسان الصغير"، إلخ. ويطرحون ذلك السؤال: "أين أوجد أنا"؟ الشخص الذي يستخدم عقله؟ من هو ذلك الكائن الذي يدرك ويعرف؟ فكما يقول القديس فرنسيس من "أسِّيسي" (Saint Francis of Assisi) : "إن ما نبحث عنه هو الكائن الذي يرى".(191)

والآن فكر في هذا: الكتاب الذي تقرؤه والحجرة التي تجلس فيها، وباختصار كل الصّور التي أمامك تراها داخل مخك. فهل الذرات إذن هي التي ترى هذه الصّور؟ وهي ذرات عمياء، صماء، لا وعي لها ولا إدراك ... ولماذا اكتسبت بعض الذرات هذه الخاصية و لم تكتسبها غيرها من الذرات؟ وهل كل ما نفعله من تفكير، وفهم وإدراك وتذكر وشعور بالسعادة أو الحزن يتكون من تفاعلات كهربائية ميكانيكية بين هذه الذرات؟

وعندما نفكر في هذه الأسئلة نجد أنه من غير المجدي أن نحاول البحث عن الإرادة في الذرات. فمن الواضح أن الكائن الذي يرى ويسمع ويشعر هو كائن أرقى من المادة بكثير. هذا الكائن هو كائن "حي" وليس مجرد مادة أو صورة لمادة. وهذا الكائن يربط بين المدركات الحسية التي أمامه مستخدما صورة جسده.

إن هذه الإدراكات الحسية، التي نطلق عليها مجتمعةً "العالم المادي"، هي عبارة عن حلم تعيشه هذه الروح. فكما أن الجسد الذي نملكه والعالم المادي الذي نراه في أحلامنا لا وجود لهما في الواقع، كذلك الكون الذي نشغله ونوجد فيه والجسد الذي نملكه ليس لهما حقيقة مادية.

إن الكائن الحقيقي الوحيد الموجود هو الروح، أما المادة فليست سوى إدراكات حسية تراها الروح. فالكائن الأرقى والأذكى الذي يكتب ويقرأ هذه السطور ليس مجرد ركام من الذرات والجزيئات ومجموعة من التفاعلات الكيميائية التي تتم بينها. إن هذا الكائن هو "الروح".

الكائن المطلق الحقيقي

إنّ كل هذه الحقائق تضعنا أمام سؤال آخر في غاية الأهمية. إذا كان ما نعرفه عن العالم المادي يتكون من بضعة إدراكات حسية نراها بأرواحنا، فما هو مصدر هذه الإدراكات؟

وعند إجابتنا على هذا السؤال يجب أن نأخذ الحقائق التالية في الاعتبار: إن المادة لا نراها سوى في خيالنا، ولا يمكننا على الإطلاق الوصول إلى حقيقة معناها في الواقع الخارجي. فالمادة ليس لها كيان ذاتي مستقل، وما دامت المادة عبارة عن إدراك فحسب، فهي إذن شيء "مصطنع". ومعنى هذا أنه لا بد أن يكون مصدر هذا الإدراك قوة أخرى، أي أنه لابد أن يكون قد خُلق. إضافة إلى هذا، فإن عملية الخلق يجب أن تكون مستمرة، فإذا لم تكن كذلك، فإن ما نطلق عليه المادة سوف يختفي. ويمكن تشبيه ذلك بالصورة التي تظل ظاهرة على شاشة التليفزيون طالما استمر البث التلفزيوني. فمن إذن الذي يجعلنا ندرك ونبصر بأرواحنا النجوم والأرض والنبات والأشخاص وأجسامنا وكل ما نراه بخلاف ذلك؟

يتضح إذن ضرورة وجود خالق عظيم، خلق الكون المادي بأسره، الذي يتكون من مجموع الإدراكات الحسية، ويستمر في عملية الخلق إلى ما يشاء. وحيث إن هذا الخالق يظهر لنا تلك الأدلة الرائعة على الخلق، فهو إذن ذو قوة أبدية وقدرة على كل شيء. إن هذا الخالق العظيم يُعرّفنا بنفسه. فقد أرسل إلينا كتاباً منزَلا، وفي ذلك الكتاب وصف نفسه، سبحانه وتعالى، ووصف الكون، وبين لنا سبب وجودنا.

هذا الخالق هو الله سبحانه وتعالى، وكتابه هو القرآن الكريم.

إن حقيقة عدم استقرار السماوات والأرض وعدم ثباتها ،أي الكون، وأن وجودهما ممكن فقط لأن الله قد خلقهما وأن هذا الكون سيختفي عندما يشاء العليّ العزيز إنهاء خلقه، يأتي في سياق الآيات القرآنية الكريمة التالية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (سورة فاطر، الآية 41).

لا شك أن الذي يُفهم من خلال هذه الآية أن العالم المادي محفوظ بقدرة الله تعالى، فالله عز وجل خلق الكون والأرض والجبال وجميع الكائنات الحية وغير الحية، وهو سبحانه الذي يمسكها ويحفظها في كل لحظة. وصفة الخلق تتجلى عند الله في هذا العالم المادي. فالله تعالى خالق، بمعنى أنه موجد كل شيء من العدم. وهذا يوضح لنا أن ثمة عالما ماديا موجودًا خارج عقولنا، غير أن الله سبحانه وتعالى يرينا هذا العالم على هيئة "خيال" و "ظلال" و"مشاهد" وهو تجلّ لإعجازه سبحانه وقدرته وعلمه اللامحدود. وكنتيجة لقدرة الله العظيمة في خلقه فإن الإنسان لا يستطيع بأي حال من الأحوال الوصول إلى العالم الخارجي الموجود خارج ذهنه. ولا أحد يعرف حقيقة العالم المادي غير الله تعالى.

وكتأويل آخر للآية الواردة في سورة فاطر فإن مناظر العالم المادي التي يراها الإنسان هي في كل لحظة تحت عناية الله تعالى (والله تعالى أعلم بذلك). ولو أراد الله أن يحجب عن أذهاننا مناظر هذا العالم فإن هذا العالم يصبح عدمًا بالنسبة إلينا ثم لا نستطيع أن ندركه أو نصل إليه مرة أخرى.

إن حقيقة كوننا لا نستطيع أن نصل إلى العالم المادي على الإطلاق تقدم للإنسان إجابة واضحة حول السؤال الذي يطرحه أكثر الناس وهو سؤال "أين الله".

ومثلما بينا في المدخل، هناك كثير من النّاس يعتقدون – بسبب عجزهم عن فهم واستيعاب قدرة الله– أنه سبحانه موجود في مكان ما

من السّماوات ولا يتدخل في شؤون العالم (تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرًا). هذا المنطق أساسه الفهم الذي يعتبر أن الكون وحدة مادية وأن الله تعالى يوجد في مكان "خارج" هذه الوحدة المادية.

ومثلنا رأينا إلى حد الآن، كما أننا لا نستطيع بأي شكل من الأشكال أن نصل إلى العالم المادي فإننا كذلك لا يمكن أن نعرف حقيقة هذا الكون المادي. والشيء الوحيد الذي نعرفه هو خالق كل هذه المادة، بمعنى وجود الله تعالى. وقد عبر الإمام رباني عن هذه الحقيقة بقوله:

"إن الوجود المطلق الوحيد هو الله تعالى، وكل وجود غيره هو عبارة عن ظلال".

ذلك لأن العالم الذي نراه موجود فقط في أذهاننا، ومن غير الممكن على الإطلاق الوصول إلى العالم الذي يوجد خارجه.

وبما أن الأمر كذلك، فهذا يعني أن الاعتقاد بأن الله "خارج" العالم المادي الذي لا نستطيعه الوصول إليه على الإطلاق اعتقاد خاطئ

فالله في كل مكان ويسع كل مكان، وهذه الحقيقة يبينها القرآن الكريم على النحو التالي:

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة البقرة: 255).

﴿ أَلاَ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ سورة فصلت: 47)

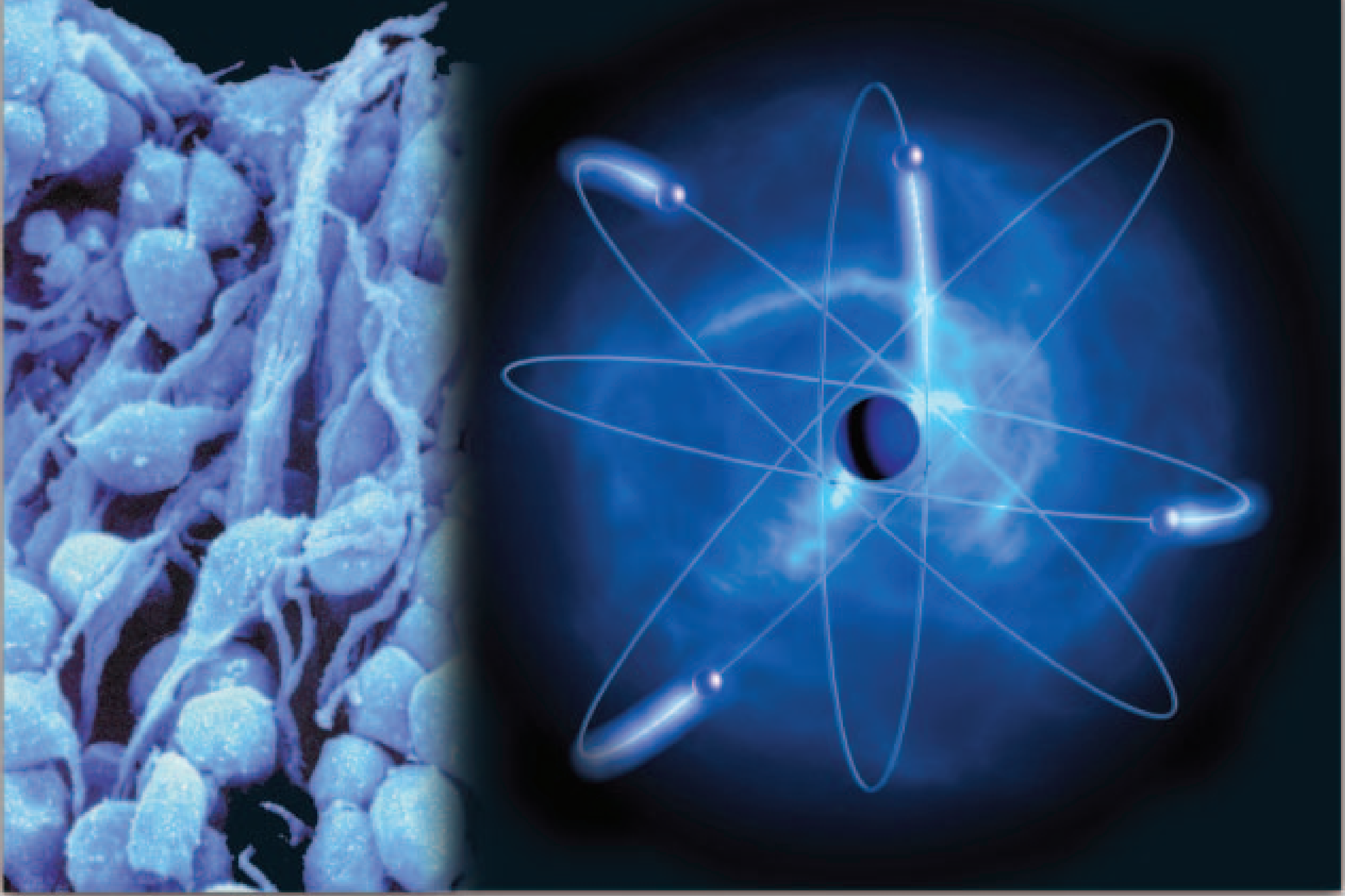
وكما سبق أن ذكرنا في البداية، فإن بعض الناس لا يدركون الله إدراكا حقيقيا ويتخيلونه كائنا موجودا في مكان ما في السماوات ولا يتدخل في شؤون الدنيا. وأساس هذا الاعتقاد هو أن هذا الكون عبارة عن مجموعة من المكونات المادية وأن الله يوجد في مكان ما خارج هذا العالم المادي، بل في مكان يبعد عنه كثيرا. ويظهر ذلك في بعض الأديان الأخرى التي تقصر الإيمان بالله على هذا الاعتقاد.

ولكن المادة، كما بيّـــنا، تتكون من مشاعر وأحاسيس فقط. والكائن المطلق الحقيقي الوحيد هو الله سبحانه وتعالى. ومعنى ذلك أن الله وحده هو الموجود ولا أحد سواه: وأن كل ما عداه موجود كالظّلال. وبالتالي يستحيل تصوّر أن الله كائن مستقل يوجد خارج هذه الكتلة المادية بأسرها. فالله سبحانه وتعالى موجود في "كل مكان" ويسع ملكه كل شيء. ويوضح القرآن هذه الحقيقة كما يلي:

﴿ اللهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة البقرة– آية الكرسي 255).

أما حقيقة كون الله مُترهّا عن المكان ومحيطا بكل شيء، فيوضحها الله لنا في آية أخرى بقوله: **﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة– الآية 115).**

ومادامت الكائنات المادية مجرد إدراكات حسية، فهي إذن لا يمكن أن ترى الله. غير أن الله يرى المادة التي خلقها بجميع أشكالها.



يكتظ المخ بعدد كبير من الخلايا التي تتكون من خلايا تتكون بدورها من البروتينات أو الجزيئات. و تتكون الخلية العصبية من خلايا عصبية ذكرنا اسمها في السابق (أعلى جهة اليسار). و هي ليست الخلايا العصبية التي تكوّن الوعي. و عندما نفحص هذه الخلايا العصبية فسنرى عددًا كبيرًا جداً من الذرات. و مما لا شك فيه أنه ليس من المستساغ أن تقوم الذّرات اللاشعورية بجلب الشعور. ولا يوجد في الجزء اللحمي في المخ أية قوة تمكن من مشاهدة الأشياء وتكوين الوعي، وباختصار لا توجد قوة يمكنها أن تكوّن "الأنا" في هذا الجزء "(أعلى جهة اليمين). من هنا يمكن أن نفهم بوضوح أن هناك وجودا للروح أيضاً.

ويوضح القرآن هذه الحقيقة بقوله:

﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (**سورة الأنعام – الآية 103**)

إن أبصارنا لا يمكن أن تدرك الله ولكن الله محيط بما في صدورنا ويعلم ما تسرّه أنفسنا ويعلم إلى أين تتجه أنظارنا وأفكارنا. فنحن لا نتفوه بكلمة دون علمه. بل ولا نتنفس دون مشيئته.

وبينما نحن نعيش عالم المحسوسات هذا، فإن أقرب الكائنات إلينا ليس هو أحد هذه المحسوسات، بل هو الله سبحانه وتعالى. والآية القرآنية التالية تؤكد هذه الحقيقة:

﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ (**سورة ق – الآية 16**).

ولكن عندما يعتقد الإنسان أن جسده مصنوع من "مادة"، لا يستطيع أن يتفهم أو يدرك هذه الحقيقة الهامة. وإذا اعتقد أن مخه هو الذي يمثله هو "نفسه"، فإن المكان الذي يمثل بالنسبة إليه العالم الخارجي سيصبح على بعد 20 – 30 سم منه. ولكنه إذا ما أدرك أنه لا يوجد ما يسمى مادة، وأن كل الموجودات حوله مجرد خيال، فإن مفاهيم من قبيل الخارج والداخل والقرب تفقد معناها. إن الله هو المحيط بالإنسان "والأقرب له" من حبل الوريد.

ويخبر الله تعالى البشر بهذا القرب المطلق في الآية التالية: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ (**سورة البقرة – الآية 186**). والتعبير القرآني في آية أخرى: ﴿... **إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ**...﴾ (**سورة الإسراء – الآية 60**) يؤكد الحقيقة نفسها.

يخطئ الإنسان عندما يظن أنه أقرب مخلوق إلى نفسه. فالله أقرب إلينا من أنفسنا. يقول الله عزّ وجلّ:

﴿ **فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ. وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ** ﴾ (**سورة الواقعة– الآيات 83–85**). لكن كما هو واضح في الآية القرآنية، لا يشعر الناس بهذه الحقيقة المذهلة لأنهم لا يرونها بأعينهم.



لو أعمل الإنسان ذهنه بعض الشيء في هذا الذي يروى له، فإنه سيدرك و بالتأكيد الشيء الخارق للعادة والباعث على الحيرة. فالدنيا هي عالم خُلق حتى يُجرّب فيه الإنسان وحده. فالناس يجرّبون طيلة حياتهم القصيرة الوصول إلى الحقائق التي لن يستطيعوا الوصول إليها. أما هذا الإدراك فيظهر منمقًا جذابا.

ومن ناحية أخرى، لا يمكن للإنسان الذي ليس سوى كائن كالظّل، أن يكون ذا إرادة مستقلة عن الله. والآية التالية تبين أن كل مل نقوم به وكل ما نمر به هو تحت سيطرة الله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ **(سورة الصافات – الآية 96)**. والقرآن الكريم يبين هذه الحقيقة في الآية التالية أيضا: ﴿**...وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى...**﴾ **(سورة الأنفال – الآية 17)**. وهذه الآية تدل على أن أي فعل يقوم به الإنسان هو بأمر الله. فالإنسان لا يستطيع أن يقوم بفعل الرمي بنفسه لأنه كائن كالظل. فالله سبحانه وتعالى يبث في الإنسان شعوره بنفسه. فالله هو الذي يفعل كل شيء، ولذلك، فإذا ظنّ المرء أنه يفعل أي شيء بإرادته، فمن الواضح أنه يعمد إلى خداع نفسه .

إن هذه هي الحقيقة، ولكن الإنسان قد لا يود التسليم بهذه الحقيقة فيظن أنه كائن مستقل بذاته عن إرادة الله، ولكن هذا لا يغير من حقيقة الأمر شيئا. فحتى إنكار الإنسان لهذه الحقيقة هو بإرادة ومشيئة الله تعالى.

كل ما يمتلكه الإنسان وهم وخيال

وكما يتضح لنا، فإن من الحقائق العلمية والمنطقية أن "العالم الخارجي" ليس له أصل ماديّ وإنما هو مجموعة من الصور التي يبثها الله باستمرار لأرواحنا كي تراها. ومع ذلك، فالناس لا يضعون عادةً كل شيء تحت هذا المفهوم، أو بالأحرى فهم لا يريدون ذلك.

ولكنك إذا ما أمعنت التفكير بصدق وجرأة في هذه المسألة، فستجد أن منزلك وما به من أثاث، وسيارتك التي ربما اشتريتها حديثا، ومكتبك ومجوهراتك وحسابك في البنك، وخزانة ملابسك وزوجتك وأطفالك وزملاءك... كل هؤلاء ما هم إلا جزء من العالم الخارجي الخيالي الذي يظهر لك. وكل ما تراه وتسمعه وتشمه- باختصار كل ما تدركه بحواسك الخمس- هو جزء من هذا العالم الخيالي: صوت مغنيك المفضل، وصلابة المقعد الذي تجلج عليه، والعطر الذي تضعه، والشمس التي تدفئك بأشعتها والزهرة بألوانها الجميلة، والطائر الذي يطير أمام نافذتك، والقارب الذي يبحر سريعا في المياه، وحديقتك الخصبة والكمبيوتر الذي تستخدمه في عملك، أو جهاز التسجيل الحديث...

وهذا هو الواقع لأن العالم الذي يتكون من هذه الصور لم يُخلق إلا لاختبار البشر. وهم يخضعون للاختبار على مدار حياتهم القصيرة

بصورة غير حقيقية. وهذه الصور قدمت للبشر في شكل جميل وجذاب، وكان ذلك مقصودا. وقد ذكر الله هذه الحقيقة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ **(سورة آل عمران – الآية 14).**

إن معظم الناس ينحّون دينهم جانبا، ويهتمون أكثر بما يمتلكون وبالغنى وتخزين الذهب والفضة والأموال والمجوهرات وحسابات البنوك والبطاقات الائتمانية والدواليب المكدسة بالملابس وامتلاك أحدث السيارات، وباختصار، فهم يفضلون كل أشكال الرفاهية التي يمتلكونها أو التي يسعون جاهدين لامتلاكها ويركزون على هذا العالم فقط وينسون الآخرة. إنهم ينخدعون بزخرف الحياة الدنيا وزينتها وينسون الصلاة والإحسان إلى الفقراء وأداء العبادات التي ستقودهم إلى الفوز في الآخرة، وهم يبررون ذلك بقول مثل: "إن لدي ما أفعله الآن"، "لدي الكثير من المسؤوليات"، و"ليس لدي وقت كاف لأفعل ذلك"، "يتعين علي إنهاء بعض الأعمال"، "سألتزم بالصلاة والزكاة مستقبلا". وهم يستهلكون حياتهم بمحاولتهم التمتع في الحياة الدنيا فقط. والآية القرآنية التالية تصف خلط الإنسان للمفاهيم على النحو الذي أشرنا إليه: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنْ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ **(سورة الروم – الآية 7).**

إنّ الحقيقة التي سقناها في هذا الفصل - والتي تتمثل في أن كل شيء ليس سوى صورة – على قدر كبير من الأهمية لأنها تعني أن كل الرغبات والحدود لا معنى لها. وإثبات هذه الحقيقة يعني بوضوح أن كل شيء يمتلكه الإنسان ويسعى لامتلاكه، مثل الثروة التي كونها بجشعه وذريته التي يزهو بها، وزوجته التي يدعي أنها الأقرب إلى نفسه، وأصدقائه المقربين ومنصبه الذي يمده بالقوة والفخر، والمدارس التي درس بها والعطلات التي قضاها، كل هذا ما هو إلا وهم وخيال. ولذلك فإن كل الجهود التي يبذلونها والوقت الذي يستنزفونه والجشع الذي يعمي أعينهم سيذهب هباء منثورا.

إنّ بعض الناس يظهرون جهلهم دون وعي منهم، عندما يتباهون بغناهم وثرائهم أو ممتلكاتهم من "اليخوت والطائرات الهليوكوبتر الخاصة والمصانع والشركات والمنازل والعقارات"، وكأن كل هذه الأشياء توجد بالفعل. فهؤلاء الأثرياء الذين يتباهون بطريقة تلفت الأنظار في يخوتهم وسياراتهم ولا يكلون من الحديث عن ثرواتهم، ويعتقدون أن مناصبهم تجعلهم فوق سائر البشر ويظنون أن نجاحهم يرجع لكل هذه الأشياء فقط، يجب عليهم التفكير مليا في الحالة التي سيصبحون عليها عندما يكتشفون أن نجاحهم هذا ما هو إلا وهم وخيال.

ونحن في واقع الأمر نشاهد ذلك في الأحلام كثيرا. ففي أحلامهم، يمتلك الناس أيضا منازل فخمة، وسيارات سريعة ومجوهرات ثمينة جدا ورزم الدولارات وأكواما مكومة من الذهب والفضة. وفي أحلامهم أيضا يرون أنفسهم في مناصب رفيعة، ويملكون مصانع يعمل فيها الآلاف من العمال، ويملكون من القوة ما يستطيعون به السيطرة على كثير من الناس، ويلبسون من الثياب ما يلقى إعجاب الجميع واستحسانهم... وكما أن الإنسان يكون مثار سخرية عندما يتباهى بما يملكه في أحلامه، كذلك يصبح مثار سخرية عندما يتباهى بما في هذا العالم الذي يعيش فيه. فكلاهما مجرد صور وتخيلات في عقله فقط.

وبالمثل، فإنّ الطريقة التي يستجيب بها الناس للأحداث التي تجرى حولهم في العالم يجب أن تشعرهم بالخجل من أنفسهم عندما يدركون الحقيقة.

إن هؤلاء الذين يحارب بعضهم بعضا بشراسة، ويصيحون بغضب ويخدعون ويقبلون الرشاوى ويقومون بالتزوير، والذين يكذبون ويكدّسون أموالهم بدافع الجشع، ويخطئون في حق الآخرين، والذين يظلمون الآخرين ويتلفظون بالشتائم، والذين يعتدون بوحشية على الآخرين وعلى حقوقهم، والذين يحبون المناصب والسّلطة، والذين يحسدون غيرهم، ويتفاخرون، والذين يحاولون تقديس أنفسهم والاستعلاء على سائر البشر، كل هؤلاء سيصيبهم الخزي في الدنيا والآخرة عندما يدركون أنّ كل ذلك كان مجرد حلم.

وحيث إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يخلق كل هذه الصور، فهو المالك وحده لا شريك له لكل شيء. ويبرز القرآن الكريم هذه الحقيقة في قول الله تعالى:

﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا** ﴾ **(سورة النساء – الآية 126).**

إنه لضرب من الغباء أن ينحي المرء دينه وإيمانه جانبا في سبيل مشاعر وأحاسيس وهمية فيخسر الحياة الآخرة التي هي النعيم الذي لا يزول.

يجب علينا في هذه المرحلة أن نتفهم جيدا الأمر التالي: إنّ ما نسوقه هنا من حديث لا يقول بأن الحقيقة التي تواجهها تعني "أن كل ممتلكاتك وثروتك وذريتك وزوجاتك وأصدقاءك ومنصبك الذي يبعث فيك الشعور بالزهو سيختفي إن عاجلا أو آجلا، ولذا فهي لا تعني شيئا". ولكن ما نقصده هو "أن كلّ ما يبدو لك أنك تملكه لا وجود له أساسا وهو مجرد حُلم يتكون من صور يريها لك الله تعالى ليختبرك". وكما ترى، فإنّ الفرق بين المقولتين كبير.

وبالرغم من أن الإنسان لا يريد الاعتراف بهذه الحقيقة على الفور ويفضل أن يخدع نفسه وأن يفترض أن كل ما يملكه موجود بالفعل، فإنه سيواجه مصيره الأخير وهو الموت، وعندئذ تتضح الحقيقة عندما يُبعَث مرة أخرى. ففي ذلك اليوم سيبصر الإنسان كل شيء

على حقيقته كما توضح لنا الآية الكريمة: ﴿...**فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾ (سورة ق – الآية 22). وهو إن كان قد قضى حياته الدنيوية سعيا وراء أغراض خيالية، فسوف يتمنى في الآخرة لو أنه لم يعش مثل تلك الحياة في الدنيا. ﴿**يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ. مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيه**﴾ (**سورة الحاقة– الآيات 27-29**).

أما الإنسان العاقل فيجب عليه أن يحاول أن يفهم ويدرك حقيقة هذا الكون وهو لا يزال في عالمه وبين يديه فسحة من الزمن. وإلا سيقضي حياته سعيا وراء الأحلام، وسيلقى في النهاية أشد العذاب. والله تعالى يصف لنا عاقبة هؤلاء الذين يلهثون وراء الخيالات أو "وراء السراب" ويتناسون خالقهم بقوله:

﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ (**سورة النور – الآية 39**).

أوجه القصور المنطقي في وجهة نظر الماديين

لقد بيَّنَّا منذ بداية هذا الفصل أن المادة ليست ذات وجود مطلق كما يَدّعي الماديون، بل هي مجموعة من الأحاسيس التي خلقها الله ونحن بدورنا لا نستطيع الوصول إلى حقيقتها. ولكن الماديين يقاومون في تعصب شديد هذا الواقع الملموس الذي ينقض فلسفتهم التي تسوق حججا واهية ليست من الحق في شيء.

لقد ساق لنا "جورج بوليتزر" (George Politzer)- أحد أشهر المدافعين عن الفكر الماديّ في القرن العشرين والمتعصب للماركسية – مثالا عن الحافلة "كأعظم دليل" على وجود المادة. يقول "بوليتزر": حتى الفلاسفة الذين يؤمنون بأن المادة عبارة عن إحساس وإدراك، يهربون مبتعدين عن مسار الحافلة إذا ما رأوها، وما هذا إلا إثبات ودليل على أن للمادة وجودا".(192)

أما عندما قيل لمفكر مادي مشهور آخر، هو "جونسون" (Johnson)، إن المادة عبارة عن مجموعة من الأحاسيس، فما كان منه إلا أن حاول أن يركل الأحجار بقدمه "ليثبت" وجودها الماديّ .(193)

وقد ساق "فردريك إنجلز" (Friedrich Engels)، الأستاذ الذي تتلمذ على يديه بوليتزر ومؤسج المادية الجدلية مع "ماركس" (Marx)، مثالا يشبه مثال بوليتزر حيث قال:"إذا كانت قطعة الكعك التي نتناولها مجرد إحساس وصورة خيالية لما جعلتنا نشعر بالشبع" (194).

إن كتب مشاهير الماديين أمثال ماركس، وإنجلز، ولينين مليئة بمثل هذه الأمثلة التي تستخدم عبارات مثل: "سيدرك المرء وجود المادة إذا ما تلقى صفعة على وجهه".

إن الخلل في إدراك الماديين وفهمهم ، الذي يجعلهم يسوقون مثل هذه الأمثلة، هو محاولتهم تفسير أن "المادة عبارة عن إدراك حسي" بأن "المادة خدعة ضوئية". فهم يظنون أن الإدراك الحسي مقصور على الرؤية، أما الإدراكات الحسية الأخرى مثل اللمس فلها واقع مادي. فحين تصدم حافلة شخصا ما يقولون: "انظروا، لقد صدمته الحافلة. فهو ليس مجرد إدراك حسي إذن". إن الأمر الذي لا يفهمونه هو أن كل ما يحس به الإنسان في حادثة مثل تصادم الحافلة من صلابة، واصطدام، وألم، يحدث في المخ فقط.

مثال الأحلام

إذا كانت الحاسة التي نستخدمها من بين حواسنا الخمس لا يمكما أبدا الوصول إلى حقيقة العالم الخارجي فهذا يوضح لنا حقيقة مهمة وهي اعتقادنا بوجود الأشياء في الأحلام بينما هي غير موجودة في الحقيقة.

إن أفضل مثال يلقي الضوء على هذه الحقيقة ويشرحها هو الأحلام. فالإنسان قد يرى أحداثا تبدو واقعية تماما وهو يحلم. قد يرى الإنسان في الحلم أنه يقع على السلم فتنكسر قدمه، أو يرى حادث سيارة مُرَوِّعا، وقد يحلم بأن حافلة قد صدمته، أو أنه يأكل قطعة من الكعك ليشبع جوعه.

فالشخص الذي يرى في المنام أن حافلة صدمته، قد يفتح عينيه – وهو لا يزال في المنام – فيجد نفسه في مستشفى، ويشعر أنه قد أصبح مُعوّقا، لكن كل هذا سيكون حلما. وقد يرى أيضا أنه مات في حادث سيارة، وأن ملائكة الموت قد قبضوا روحه، وأن الحياة الآخرة قد بدأت. (هذا الموقف يقع بنفس التفاصيل في الحياة الدنيا، التي هي عبارة عن أحاسيس كالحلم تماما.)

إن الشخص الذي يرى هذه الأحداث في نومه يرى المناظر ويسمع الأصوات ويشعر بالصلابة ويرى الضوء والألوان ويحس بجميع الأحاسيس الأخرى المتعلقة بهذا الحادث. وهذه الأحاسيس التي يشعر بها في نومه تكون طبيعية كما في الحياة "الحقيقية". والكعكة التي يتناولها في نومه تُشعره بالشبع رغم أنها ليست إلا إحساسا، ذلك أن الشبع في حد ذاته هو كذلك مجرد شعور وإحساس. ولكن هذا الشخص في واقع الأمر يكون مستلقيا على فراشه في نفس اللحظة التي يرى فيها كل هذه الأحداث. فليس ثمة سُلم، ولا مرور، ولا حافلة، ولا كعك. فالشخص الذي يحلم يعيش أحاسيس ومشاعر لا تمت للعالم الخارجي بصلة. وحيث إننا عندما نحلم نرى ونشاهد ونشعر بأحداث لا توجد

في "العالم الخارجي"، فهذا يثبت أن العالم الخارجي الواقعي ذاته ليس إلا مشاعر وأحاسيس.
وهذا يقيم الدليل على أنه عالم لا يمكننا في أي وقت من الأوقات معرفة حقيقته وماهيته. وهذا العالم لا طريق إلى فهم كنهه وحقيقته إلا بواسطة الوحي الذي أنزله خالق هذا الكون.

إن أولئك الذين يؤمنون بالفلسفة المادية وخاصة الماركسيين يجتاحهم الغضب عندما يُواجَهون بهذه الحقيقة، حقيقة المادة. ويستعينون بأمثلة سطحية غير ذات مغزى مقتبسة عن ماركس، وإنجلز، ولينين، ويطلقون تصريحات عاطفية.

ولكن على هؤلاء أن يتذكروا أنهم قد يطلقون هذه التصريحات أيضا في أحلامهم. ففي أحلامهم يمكن أن يقرؤوا كتاب (Das Kapital) "رأس المال"، أو يشتركوا في أحد الاجتماعات أو يتشاجروا مع الشرطة، أو يتلقوا ضربة على رؤوسهم أو غير ذلك، وسيشعرون بالألم. ولو سئلوا في الحلم سيجيبون بأن ما يرونه ويشعرون به يتكون أيضا من "مادة مطلقة"، تماما مثلما يفترضون أن الأشياء التي يرونها في يقظتهم هي "مادة مطلقة". وسواء أكانوا يحلمون أو يعيشون حياتهم اليومية، فإن كل ما يرونه ويشعرون به هو مجرد أحاسيس ويجب أن يعرفوا أنه ليس بإمكانهم على الإطلاق الوصول إلى مصدر هذه الأحاسيس.

مثال ربط الأعصاب بالتوازي

ولنأخذ مثال حادث التصادم الذي ساقه بوليتزر. فإذا ما أخذنا أعصاب الحواس الخمس المتصلة بالمخ لدى الشخص الذي تعرض للحادث، ووصَّلناها بالتوازي مع مخ شخص آخر، وليكن بوليتزر، ففي اللحظة التي صدمت فيها الحافلة هذا الشخص ستصدم بوليتزر في حين أنه جالس في بيته. بل إنه سيشعر بكلّ الأحاسيس التي شعر بها الشخص الذي تعرض للحادث، وأوضح تشبيه لذلك هو الأغنية التي تستمع إليها من سماعتين مختلفتين كلتاهما متصلة بنفس جهاز التسجيل. فبالرغم من وجوده في بيته أثناء حادث التصادم، فإن بوليتزر سيرى ويسمع صوت فرملة الحافلة، ومرورها على جسده، ويشاهد نزيف الدم، وسيشعر بآلام الكسر، ويرى نفسه عند دخوله غرفة العمليات، ويشعر بصلابة الجبس على ذراعه وقدمه المكسورة، كما سيشعر بضعف ذراعه.

ولو قمنا بتوصيل الأعصاب الحسية للشخص المصاب على التوازي بأي عدد آخر من البشر فإن جميعهم سيعيشون الحادث من بدايته إلى نهايته مثل بوليتزر تماما. ولو وقع الشخص المصاب في غيبوبة سيقع الآخرون بدورهم في غيبوبة. بل إننا لو قمنا بتسجيل هذه الأحاسيس بجهاز معيَّن ثم نقلناها إلى مخ شخص ما، فإن هذا الأخير سيعيش الحادث ويشعر باصطدام الحافلة به أيضا.

ولنسأل الآن: أي من هذه الحافلات التي صدمت هؤلاء الأشخاص حقيقية؟ إن الفلسفة المادية ليست لديها إجابة محددة عن هذا السؤال. فالإجابة الصحيحة هي أن كل هؤلاء مروا بتجربة حادث التصادم بكل تفاصيله في أذهانهم فقط.

ويسري نفس المبدأ على أمثلة الكعكة وركل الأحجار. فلو أن أعصاب أعضاء الحواس لدى إنجلز الذي شعر بالشبع بعد تناوله لقطعة الكعك، قد رُبطت بمخ شخص آخر بالتوازي، لَشَعر الشخص الآخر أيضا بالشبع والامتلاء عندما يأكل إنجلز الكعكة. ولو أن الأعصاب الحسية لدى جونسون الذي شعر بألم في قدمه عندما ركل الحجر، قد رُبطت بالتوازي بمخ شخص آخر، لشعر الأخير بالألم نفسه.

فأي من الكعكتين والحجرين حقيقي إذن؟ وللمرة الثانية تعجز الفلسفة المادية عن الإجابة على هذا السؤال، فكلٌّ من إنجلز والشخص الآخر قد أكل الكعكة في ذهنه وشعر بالشبع، كما أن كلاًّ من جونسون الآخر قد شهِد لحظة ركل الحجر في ذهنه وأحس بكل ما حدث فيها.

ولنحاول إجراء تعديل على مثال بوليتزر: لنوصِّل الأعصاب الحسية للشخص المصاب بمخ بوليتزر ونوصل الأعصاب الحسية لدى بوليتزر، الجالس في مترله، بمخ الشخص المصاب. ففي هذه الحالة، سيعتقد بوليتزر أن الحافلة قد صدمته رغم جلوسه في مترله، أما الشخص الذي تعرض للحادث فعلا فلن يشعر بأي أثر للاصطدام وسيعتقد أنه جالس في مترل بوليتزر. ويمكن إجراء التعديل نفسه والمقارنة نفسها على مثالَي الكعكة والحجر.

يتضح لنا الآن أن الإنسان لا يستطيع أن يتجاوز أحاسيسه ويتحرر منها. فروح الإنسان يمكن أن تتعرض لجميع أنواع الأحاسيس بالرغم من أنه ليس لها وجود مادي وتفتقر حتى للوزن المادي. ومن الصعب على المرء أن يدرك هذه الحقيقة، لأنه يفترض أن هذه الصور ثلاثية الأبعاد حقيقية ويكاد يكون على يقين من وجودها، ذلك أننا جميعا نعتمد على أحاسيسنا التي تقودنا إليها أعضاؤنا الحسية.

كل هذا يبين إلى أي مدى تعتبر المادية متزمتة، فهذه الفلسفة قد أقيمت على فرضية أن المادة هي الوجود الوحيد. فالإنسان ليس في علاقة أبدا مع الوجود المادي، حتى تزعم أن كل شيء هو عبارة عن مجرد مادة. فالكون الذي نعيش فيه هو في الحقيقة عبارة عن الكون الذي ندركه بأهاننا.

ويعبر لنا الفيلسوف البريطاني الشهير "ديفيد هيوم" (David Hume) عن أفكاره فيما يتعلق بهذه الحقيقة كالتالي:"بصراحة، عندما أدخل نفسي فيما أسميه "نفسي"، أجد نفسي دائما أشعر بأحاسيس معينة تتعلق بالحرارة والبرودة، والضوء والظل، والحب والكراهية، والمرارة والحلاوة أو غير ذلك من الأحاسيس. وبدون هذه الأحاسيس لا يمكنني أن أجد نفسي في موقف ما في توقيت

معين، ولا أستطيع الشعور بشيء إلا بهذه الأحاسيس.(195)
ونظرا إلى أنه ليس من الممكن على الإطلاق تجاوز هذه الحواس وإدراك حقيقة المواد وماهيتها الأصلية فإن ابتكار فلسفة خاصة بـــ"المادة"، وبالأحرى اعتبار هذه المادة وجودًا مطلقا يمثل هراء كبيرا... ولهذا السبب فإن الفلسفة المادّية مُفلسة منذ البداية.



الأحاسيس التي تتكون في أذهاننا ليست فلسفة بل حقيقة علمية

يدّعي أنصار الفكر المادّي أن ما سردناه حتى الآن هو وجهة نظر فلسفية، والحقيقة أن ما نراه ليس المادة الموجودة في الواقع بل نحن نرى العالم المرتسم في أذهاننا. فاعتبار "العالم الخارجي"- كما نسميه- مجموعة من المدارك والأحاسيس ليست مسألة تتعلق بالفلسفة بل هو حقيقة علمية واضحة. حتى إنه في كليات الطب يدرس الطلاب بالتفصيل كيف تتشكل الصور والمشاعر في المخ.

هذه الحقائق التي أثبتها العلم في القرن العشرين، وخاصة علم الفيزياء، تثبت بشكل قاطع أنه ليس بإمكاننا على الإطلاق الوصول إلى حقيقة المادة لأنه ليس لها وجود حقيقي مطلق وكل واحد منّا إنما يشاهد ما تعرضه عليه تلك "الشاشة" المزروعة في ذهنه.

إن كل من يؤمن بالعلم والحقائق العلمية، أيا كان مذهبه، بوذيا كان أو غير ذلك، بل كل من يعتنق أي وجهة نظر أخرى، يجب أن يتقبل هذه الحقيقة. فالماديون أنفسهم قد ينكرون وجود الخالق لكنهم لا يستطيعون إنكار هذه الحقيقة العلمية.

وبالرغم من أن التقدم العلمي لم يبلغ مستوى كبيرا في فترة كارل ماركس، وفريدريك إنجلز، وجورج بوليتزر، فإن هذا ليس بعذر ولا يبرر عدم قدرتهم على فهم هذه الحقيقة البسيطة الواضحة. وفي وقتنا هذا وبفضل التقدم العلمي والتكنولوجي والاكتشافات الحديثة، أصبح من السهل فهم هذه الحقيقة وإدراكها.

ولكن الماديين على أية حال يملأ الخوف قلوبهم إلى حد كبير، ليس فقط من فهمهم لهذه الحقيقة، ولكن من تأكدهم من أن هذه الحقيقة تدحض دون شك فلسفتهم.

أكبر مخاوف الماديين

لقد مرّ بعض الوقت دون أن يصدر من دوائر الفكر المادي في تركيا أي رد فعل جوهري ضد القضية التي أثرناها في هذا الكتاب، وهي أن المادة ليست إلا مجرد إحساس وإدراك، مما أعطانا انطباعا بأننا لم نبين وجهة نظرنا على النحو الأمثل وأن الأمر لا يزال يحتاج إلى مزيد من التوضيح، ولكن الوقت لم يطل حتى نما إلينا أن الماديين قد ساورهم القلق والانزعاج بسبب الشعبية التي حظيت بها هذه القضية، والأكثر من ذلك، أنهم شعروا بالخوف الشديد مما يترتب على ذلك.

لقد ظل الماديون لبعض الوقت يعلنون على الملأ خوفهم فيما ينشرونه وفي المؤتمرات وفي دوائرهم العلمية. فكتاباتهم ومقالاتهم التي لا رجاء منها والتي تنطق بالقلق الشديد، توحي بأنهم يعانون من أزمة فكرية حادة. فقد جاء التفنيد العلمي لنظرية التطور- التي يزعمون أنها أساس فلسفتهم- بمثابة صدمة لهم. والآن، هاهم أولاء يدركون أنهم على وشك خسارة جوهر القضية ذاتها (المادة)- التي هى لهم سند أكثر من "نظرية داروين" ذاتها، فيعانون صدمة أشد. لقد صرحوا بأن هذه القضية هي "أكبر تهديد" يواجههم وأنها "تدحض تماما ثقافتهم المصطنعة".

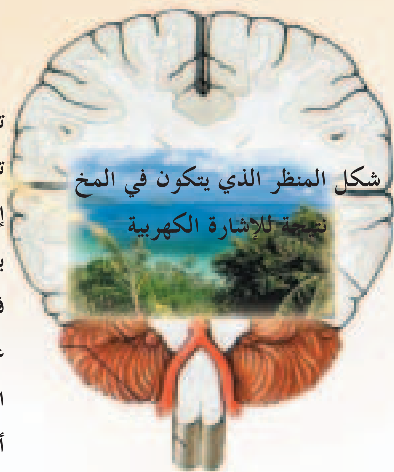
وكان أحد الذين عبروا عن قلق الماديين وذعرهم بأكثر الطرق صراحة، هو "رينان بيكانلو" (Renan Pekunlu) وهو أكاديمي وكاتب في مجلة "العلم والمدينة الفاضلة" (Science and Utopia) الدوريّة، التي أخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن الماديين. ففي مقالاته في هذه المجلة وفى تصريحاته بالدوائر العلمية والمؤتمرات التي يحضرها، يقدم بيكانلو كتاب "خدعة نظرية التطور" (Evolution Deceit) على أنه مصدر التهديد الأول للفكر المادي. وقد انزعج بيكانلو من الجزء الذي تقوم بقراءته الآن أكثر من الفصول التي فندنا فيها نظرية داروين. لقد ألقى بيكانلو على قرائه وعلى جمهوره (الذي لا يزيد عن حفنة أشخاص) رسالة تقول "لا تتركوا أنفسكم للانسياق وراء دروس مذهب المثالية وتعاليمها وحافظوا على إيمانكم بالمذهب المادي"

ذاكراً "فلاديمير لينين" (Vladimir I. Lenin) زعيم الثورة الاشتراكية الدموية في روسيا كمثال على ما قاله. وكان كل ما فعله بيكانلو بعد أن نصح الجميع بقراءة كتاب لينين الذي كتبه منذ قرن مضى بعنوان "المذهب المادي والنقد الجدليّ" (Materialism and Empirio-criticism) هو أن كرَّرَ نصائح لينين التي تقول: "لا تفكروا في هذه القضية، وإلا ستنحرفون عن طريق المادية ويجرفكم تيار الدين". وفي إحدى مقالاته التي كتبها بالمجلة المذكورة آنفا، نقل الآتي عن لينين:

"فور إنكاركم للواقع المادي الذي تنقله لنا حواسنا، تكونون قد خسرتم بالفعل كل سلاح يمكنكم به محاربة المذهب الإيمانيّ، لأنكم ستكونون قد انسقتم خلف اللاأدرية، أو الذاتانية (وهي مذهب فلسفي يقيم المعرفة على أساس الخبرة الذاتية)، وهذا هو كل ما يتطلبه المذهب الإيماني. فالطائر يقع في الشرك لو علق مخلب واحد فيه، وأنصارنا جميعهم قد وقعوا في شرك المثاليّة، أي في شرك صورة مخفّفة ماكرة للمذهب الإيمانيّ. لقد وقعوا في الشرك في اللحظة التي اعتبروا فيها أن الإحساس ليس صورة للعالم الخارجي ولكنه "عنصر أو مكون" خاص. فلا إحساس لشخص بعينه، ولا عقل لشخص بعينه، ولا نفس لشخص بعينه، ولا إرادة لشخص بعينه " .(196).



الشخص الذي ينظر من الشباك لمشاهدة منظر ما في الخارج هو في الحقيقة لا يشاهد المنظر الخارجي و كل ما حدث أنه شاهد الصورة الخاصة بهذا المنظر الموجودة داخل المخ.



تعمل الخلايا الموجودة داخل العين على تحويل الضوء الذي يصل إلى العين إلى إشارات كهربائية يفهمها المخ لتذهب بعد ذلك إلى مركز الرؤية الموجود في الجزء الخلفي من المخ. وبناءا على "شعورٍ" موجودٍ داخل المخ يُدرك الإنسان هذه الإشارات الكهربائية على أنها منظر معين.

إن هذه العبارات تبين بوضوح أن الحقيقة التي أدركها لينين وفزع منها وحاول أن يخرجها من ذهنه ومن أذهان "رفاقه" تزعج أيضا الماديين المعاصرين. ولكن بيكانلو وغيره من الماديين يعانون أزمة أخرى أشد وقعا، لأنهم يدركون أن هذه الحقيقة تُعرض وتُناقش الآن بوضوح وبيقين أكبر وبطريقة أكثر إقناعا مما كان عليه الأمر منذ 100 عام مضى. فلأول مرة في التاريخ، يتم تفسير هذا الموضوع ومناقشته بهذا الأسلوب الذي لا يمكن مقاومته.

ومع ذلك، وبصفة عامة، لا يزال عدد كبير من العلماء الماديين يتخذون موقفا مضادا سطحيا للغاية من حقيقة أن "المادة ليست إلا وهما". إن الموضوع الذي طرحناه في هذا الفصل من الكتاب هو من أكثر الموضوعات أهمية وإثارة لأي إنسان على مدار حياته كلها. فلا يمكن للماديين أن يكونوا قد صادفوا من قبل مثل هذا الأمر البالغ الأهمية. ولكن مع هذا، فردود أفعالهم وأسلوب حديثهم ومقالاتهم ينم عن ضحالة تفكيرهم وسطحيته.

بل إنها من الضحالة والسطحية إلى درجة أن استجابة بعض الماديين لمناقشة الموضوع الواردة هنا تبين أن انقيادهم الأعمى للمادية قد سبب نوعا من الخلل في منطقهم، ولهذا فهم أبعد ما يكون عن فهم هذا الموضوع وإدراكه. فمثلا، نجد أن "ألاتين سينيل" (Alaattin Senel)، وهو أيضا أكاديمي وكاتب في مجلة "العلم والمدينة الفاضلة" Science and Utopia أرسل رسالة مشابهة لتلك التي أرسلها رينان بيكانلو يقول فيها: "دعكم من انهيار نظرية داروين، فهذا هو التهديد الحقيقي". وطالب قائلا: "عليكم إثبات ما تقولون" وهو يشعر أن فلسفته لا أساس لها. والأكثر عجبا من ذلك، أن هذا الكاتب نفسه كتب سطورا كشف فيها أنه هو نفسه لا يستطيع مطلقا فهم هذه الحقيقة التي يراها تهديدا.

فعلى سبيل المثال، كتب سينيل في مقال يناقش فيه باستفاضة هذا الموضوع، أنه يتقبل كون العالم الخارجي عبارة عن خيالات وصور يستقبلها الذهن. ولكنه يزعم بعد ذلك أن هذه الصور تنقسم إلى قسمين: صور لها واقع مادي وأخرى ليس لها ذلك الواقع الماديّ، وأن الصور التي تتعلق بالعالم الخارجي لها ارتباطات ملموسة. ولتعضيد زعمه، يعطي "مثال التليفون". وكان ما كتبه: "أنا لا أعرف إذا ما كانت

الصور في ذهني لها ارتباطات بالعالم الخارجي أم لا، ولكن نفس الشيء ينطبق على التليفون. فعندما أتحدث في التليفون، لا أستـــطيع رؤية الشخص الذي أتحدث إليه، ولكني أستطيع أن أؤكد هذه المحادثة عندما أراه لاحقا وجها لوجه".(197)

وبقوله هذا، فما يعنيه هذا الكاتب حقيقة هو التالي: "إذا كنا نشك في مداركنا وأحاسيسنا، يمكننا أن ننظر للمادة نفسها ونتحقق منها". ولكن هذا دليل قاطع على خلط المفاهيم لأنه من المستحيل أن نصل إلى حقيقة المادة نفسها. لا يمكن أن نخرج من عقولنا ونرى ما هو "بالخارج". ومسألة صوت الشخص الذي نحادثه على التليفون وهل هو واقعي أم لا فذلك يمكن تأكيده من خلال الشخص ذاته. ولكن حتى هذا التأكد هو أمر وهمي يحدث في عقولنا فقط.

وفي الواقع، يرى هؤلاء هذه الأحداث في أحلامهم أيضا. فمثلا، قد يحدث أن يرى سينيل في الحلم انه يحدِّث شخصا على التليفون ثم يتأكد من إجراء هذه المحادثة عندما يلقاه وجها لوجه. وقد يشعر بيكانلو بأنه يواجه "تهديدا ما" أيضا وهو يحلم وينصح القراء بأن يقرؤوا كتب لينين التي كتبها من قرن مضى. ولكن مهما حاول هؤلاء، فليس بمقدورهم أبدا أن ينكروا أن الأحداث التي مروا بها والأشخاص الذين تحدثوا إليهم ما هم إلا صور في أذهانهم.

ولكن كيف يمكن للمرء أن يتأكد من أن الصور التي يراها في ذهنه لها ارتباطات واقعية من عدمه؟ مما لا شك فيه أن الماديين من المستحيل أن يجدوا مصدرا للمعلومات يعطي بيانات تتعلق بالمحيط الخارجي للمخ ويؤكد وجوده.

ولكن التسليم بأن كل الرؤى تتكون في المخ، مع الافتراض في ذات الوقت بأن المرء يمكن أن يتخطى هذا المحيط ويؤكد هذه الرؤى في العالم الخارجي يكشف عن محدودية القدرات الاستيعابية لدى هذا الشخص وخلل منطقه.

والحقيقة التي نسوقها هنا يمكن للشخص ذي المستوى الطبيعي من الفهم والمنطق أن يدركها. فالشخص غير المتعصب سيعرف، إذا ما فكر في كل ما سردناه هنا، أنه لا يمكنه اختبار وجود العالم الخارجي بحواسه. إلا أنه يبدو أن الانصياع الأعمى للمادية يخل بقدرات الفهم والإدراك لدى هؤلاء. ولهذا السبب، يُظهر الماديون المعاصرون قصورا شديدا في منطقهم تماما مثل أساتذتهم الذين حاولوا "إثبات" وجود المادة بركل الحجر وتناول الكعك.

يتعين علينا أن نقرر أن مواقف هؤلاء لا تدعو للدهشة، لأن عدم القدرة على الفهم هي سمة كل الجاحدين الكافرين. وفي القرآن الكريم يظهر الله صفتهم في الآية الكريمة التالية: ﴿...**قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ**﴾ **(سورة المائدة – الآية 58)**.

لقد وقع الماديون في أكبر كمين في التاريخ

إن مناخ الرعب الذي يجتاح الماديين في تركيا، والذي ذكرنا بعض ملامحه فقط، يثبت أن الماديين يواجهون هزيمة تامة لم يلقوها من قبل في التاريخ. فحقيقة كون المادة مجرد إحساس ولا يمكن الوصول إلى حقيقتها في العالم الخارجي تم إثباتها بوسائل العلم الحديث وعُرضت بكل وضوح وقوة. ويبقى على الماديين أن يشاهدوا انهيار العالم المادي بأسره الذي يعمون عيونهم عن غيره ويعتمدون عليه.

كانت فكرة الوجود المادي قائمة على مدار تاريخ الإنسانية، وكان الماديون واثقين من أنفسهم وفلسفتهم التي يؤمنون بها حتى إنهم كفروا بالله سبحانه وتعالى الذي خلقهم. ويفترض السيناريو الذي نسجوه أن المادة ليس لها بداية أو نهاية ولا يمكن أن تكون قد خُلقت. وبينما أنكروا وجود الله لتكبرهم وعنادهم، لجأوا إلى المادة التي اعتقدوا أن لها وجودا حقيقيا. وقد كانوا على يقين تام من فلسفتهم حتى إنهم لم يظنوا قط أن من الممكن إثبات العكس.

وهذا هو السبب في أن الحقائق التي ذكرت في هذا الكتاب بخصوص الطبيعة الحقيقية للمادة قد أدهشت هؤلاء الناس بدرجة كبيرة. إن ما ذكرناه هنا يهدم أساس نظريتهم تماما، ولا يترك أي مجال لمزيد من المناقشة. لقد انهارت فجأة المادة التي أسسوا عليها كل أفكارهم وحياتهم وغرورهم وإنكارهم. فكيف توجد الفلسفة المادية عندما لا توجد المادة، فلا أحد من البشر رأى المادة حتى يؤسس عليها فلسفة؟

من صفات الله تعالى الكيد للمنكرين. فهو يقول: ﴿... **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ **(سورة الأنفال – الآية 30)**.

فقد أضل الله الماديين بأن جعلهم يظنون أن المادة توجد حقيقة، وبذلك أذلّهم دون أن يعوا هم أنفسهم ذلك. فقد اعتبر الماديون كل شيء يمتلكونه، وأحوالهم ومناصبهم والمجتمع الذي ينتمون إليه والعالم بأسره وكل شيء آخَرَ حقيقةً قائمةً. وأكثر من ذلك، فقد تكبّروا أمام الله واعتمدوا على هذه الماديات بدلا من الله سبحانه وتعالى. لقد تمردوا بتبجح على الله وتباهوا بذلك فزاد هذا من كُفرهم وجحودهم. وقد اعتمدوا على المادة في كل ما تَقَدّم، إلا أنهم بسبب ضعف فهمهم، فشلوا في إدراك أن الله يحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم. ويصف لنا الله النتيجة التي وصل إليها الكافرون بسبب عنادهم في الآية الكريمة التالية:

﴿ **أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ**﴾ **(سورة الطور – الآية 42)**.

قد تكون هذه هي أكبر هزيمة تلحق بهم في التاريخ. فبينما ظن الماديون أنهم يزدادون كِبرا أمام الله سبحانه وتعالى، كانوا ينجرفون

إلى الكمين الذي نصبه الله لهم وعانوا تلك الهزيمة الثقيلة في حربهم التي شنّوها ضد الله بتصديهم له. ففي الآية الكريمة التالية، يبين لنا الله أن هؤلاء الذين ثاروا ضده سبحانه وتعالى لا يدركون ما يفعلون ويبيّن لنا نهايتهم:

﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ **(سورة الأنعام – الآية 123)**. ويؤكد الله هذه الحقيقة في آية أخرى فيقول:﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ **(سورة البقرة – الآية 9)**.

وبينما يمكر المشركون، لم يتنبّهوا لحقيقة هامة ساقتها الآية الكريمة السابقة في قوله تعالى:(**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**). وهى أن كل شيء يشهدونه هو وَهم صُمم ليروه هم، وأن كل محاولات المكر التي يقومون بها هي في عقلهم فقط، تمت مثل أي عمل آخر يقومون به. لقد نسوا بسبب حماقاتهم أنهم وحدهم مع الله سبحانه وتعالى ولذلك فقد وقعوا في شرك خططهم المنحرفة.

ومثلما حدث لأسلافهم، سيواجه المشركون في أيامنا هذه واقعا سيهدم كل خططهم المنحرفة من أساسها. فالقرآن يخبرنا أن مكائدهم إلى زوال وهي لا تزل في مهدها بقوله تعالى: ﴿... **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ **(سورة النساء – الآية 76)**، كما يطمئن القرآن المؤمنين بقوله: ﴿... **لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا** ...﴾ **(سورة آل عمران – الآية120)**.

وفي آية أخرى يقول عزَّ وجلَّ:﴿...**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**...﴾ **(سورة النور – الآية 39)**. فالمادية أيضا ستصبح سرابا للذين عَصَوا كماً تَذكرُ الآية، وعندما يحتمون بها سيجدونها وهماً وخيالا. فقد أضلهم الله بهذا السراب وجعلهم يعتقدون أن كل هذه الصور التي يرونها حقيقية. إن كل هؤلاء "المشهورين" من أساتذة، ورُوّاد فضاء وعلماء أحياء وفيزياء وكل من عداهم بغض النظر عن مناصبهم وألقابهم قد خُدعوا ببساطة مثل الأطفال، وكان ذلك سببا في إذلالهم لأنهم اتخذوا المادة إلها لهم. لقد افترضوا أن هذه المجموعة من الصور لها حقيقة مطلقة، وبنوا عليها فلسفتهم وأفكارهم وانخرطوا في نقاش جاد حولها متخذين ما أسموه "حديثا فكريا". لقد رأوا أن لديهم من الذكاء والحكمة ما يؤهلهم للاشتراك في جدال حول حقيقة الكون، والأهم من ذلك، للجدال في وجود الله بمعرفتهم المحدودة. والله يصورهم بقوله:

﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ **(سورة آل عمران – الآية 54)**.

إن بعض الخطط والكمائن في هذه الدنيا يمكن تحاشي الوقوع فيها، لكن الكمين الذي نصبه الله لهؤلاء المنكرين محكم لدرجة أنه لا مفر منه أمامهم. فمهما حاولوا وأيا كان من يلجأون إليه، فلن يجدوا من دون الله وليا ولا نصيرا. وذلك كما أخبرنا الله في قوله:﴿... **وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا** ﴾ **(سورة النساء – الآية 173)**.

لم يتوقع الماديون قط أن يقعوا في مثل هذا الكمين فهم يُسخِّرون كل ما هو حديث في القرن العشرين لخدمة أغراضهم، وقد ظنوا أن بإمكانهم أن يتمسكوا بإنكارهم وعنادهم أكثر وأن يسوقوا الناس إلى الكفر والشِّرك. وهذا التفكير الذي طالما سيطر عليهم يصفه الله بقوله:

﴿**وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ* فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ **(سورة النمل– الآيات 50–51)**.

وهذه هي الحقيقة التي تبرزها الآية الكريمة: لقد قصد الله أن يجعل الماديين يدركون أن كل ما يملكونه ليس إلا وهما وخيالا ولذلك تعرض كل ما يمتلكونه للدمار والفناء. فهم يشاهدون ممتلكاتهم ومصانعهم وذهبهم وأموالهم وأطفالهم وزوجاتهم وأزواجهم وأصدقاءهم ومناصبهم وحتى أجسادهم، وكل ما يظنونه موجودا بالفعل، يتسرب من تحت أيديهم ويفنى. فهي تفنى ويأتي الله عليها بالدمار كما تذكر الآية 51 من سورة النمل. وهم عندئذ ليسوا من المادة في شيء بل هم مجرد روح، وقد وجدوا أنفسهم وجها لوجه مع وجود الله المطلق لا مع وجود المادة الفاني.

إن إدراك هذه الحقيقة هو بلا شك أسوأ ما يمكن أن يحدث للماديين. فحقيقة أن كل ما يملكونه هم وهم وخيال يعادل على حد تعبيرهم "الموت قبل أن يموت الإنسان فعلا".

وتتركهم هذه الحقيقة وحدهم مع الخالق سبحانه. فالله يلفت انتباهنا إلى أنه في حقيقة الأمر كل منا يعيش وحيدا مع الله في هذا الوجود، فيقول: ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا** ﴾ **(سورة المدثر – الآية11)**.

هذه الحقيقة يؤكدها الله في آيات كثيرة أخرى منها:

﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**...﴾ **(سورة الأنعام – الآية 94)**

. والآية:﴿ **وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** ﴾ **(سورة مريم – الآية 95)**.

إن الحقيقة التي تشير إليها الآية هي أن هؤلاء الذين يؤمنون بالمادة ويتخذونها إلها قد خلقهم الله وإليه مرجعهم. وقد سلّموا إرادتهم إلى الله سواء شاءوا أو لم يشاءوا. وهم الآن ينتظرون يوم الحساب الذي سيُنادى فيه كل منهم على حدة لمحاسبته، مهما كانت رغبتهم في عدم فهم ذلك وإدراكه.

أهمية الموضوع

من المهم للغاية أن نفهم بدقة ذلك السر الذي يكمن خلف المادة التي تحدثنا عنها في هذا الجزء، فكل الموجودات التي نراها من جبال وسهول وأزهار وبشر، وباختصار إن كل شيء نراه موجود في القرآن الكريم. و قد بيّن لنا الله عز و جل أنه خلق كل هذه الأشياء وأوجدها من العدم إلا أن البشر ليس بمقدورهم أن يروا أو حتى يسمعوا أصل هذه الأشياء عن طريق أعضاء الحس البشرية. فكل ما يرونه ويشعرون به هو في حقيقة الأمر نسخة موجودة في أذهانهم لأصل يعجزون عن إدراكه تماماً. وهذه حقيقة علمية تُدرَّس في جميع المعاهد والكليات بما في ذلك كليات الطب. و لتقريب ذلك نقول إن أيّ شخص وهو يقرأ هذه الكتابة الآن هو في الواقع لا يرى أصل هذه الكتابة، فلا يمكن لأحد أن يلمس أصل هذه الكتابة. وما يحدث هو أن بعض الخلايا الموجودة في العين تقوم بتحويل الشعاع المنبعث من أصل هذه الكتابة إلى إشارات كهربائية. تتوجه هذه الإشارات الكهربائية بعد ذلك إلى مركز الرؤية في المخ و تنبهه، فيتكون في مؤخرة المخ شكل أو مشهد لهذه الكتابة. أي أنكم في هذه اللحظة لا تقومون بقراءة أي كتابة موجودة أمامكم عن طريق أعينكم. فهذه الكتابة تتكون في مركز الرؤية الموجود في الجزء الخلفي من المخ. والكتابة التي تقرءونها هي في الواقع "نسخة" من الكتابة الأصلية الموجودة في الجزء الخلفي من المخ. أما أصل هذه الكتابة فالله يراها.

ولكن مع هذا، يجب علينا أن لا ننسى أن كون المادة خيالا يتكون في العقل لا يعني ذلك أنها تحولت إلى "عدم" جرّاء هذا. فهي تعطينا معلومة تتعلق بماهية المادة التي تخاطب الإنسان، أما أصل المادة فليس بمقدور أحد أن يخاطبها مباشرة. علاوة على ذلك فليس نحن فقط من يرى هذه المادة التي تحيط بنا فهناك، موجودات أخرى ترى المادة نفسها معنا: فهناك ملائكة الله الذين يدونون كل شيء ليشهدوا بعد ذلك على هذه الدنيا:

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (سورة ق: 18).

والأهم من ذلك كله هو أنّ الله سبحانه وتعالى يرى كل شيء. فالله خلق هذه الدنيا بكل ما بها من تفاصيل: وهو يرى الأشياء بكل أحوالها، ويخبرنا عن ذلك القرآن الكريم في آياته بقوله:

﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة البقرة: 233)

﴿ قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾ (سورة الإسراء: 96)

كما يجب علينا أيضاً أن لا ننسى أن الله سبحانه وتعالى قد احتفظ بكل ما يقع ويحدث في كتاب عنده يطلق عليه اسم "اللّوح المحفوظ". ويخبرنا القرآن الكريم أنّ كل شيء قد سُجّل وأُخفي عند الله في أم الكتاب الذي يطلق عليه اسم اللوح المحفوظ:

﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (سورة الزخرف:4)

﴿ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (سورة ق: 4)

﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (سورة النمل: 75).

النتيجة

إن الموضوع الذي بحثناه هنا يتعلق بواحدة من أعظم الحقائق التي يمكن للإنسان أن يواجهها على الإطلاق ذلك لأن ما نراه ونحسه من العالم الخارجي هو في الحقيقة لا يوجد إلا في أذهاننا. وهو إثبات أنّ العالم الخارجي "كيان وهمي". إنّ هذا الموضوع هو أساس فهم وجود الله وإدراكه وخلقه لكل شيء، والإيمان بأن الله هو الكائن الوحيد الموجود وجودا مطلقا.

ومن يتفهم هذا الأمر يدرك أن العالم ليس كما يظنه البشر. فالعالم ليس كيانا مطلقا له وجود حقيقي كما يظن هؤلاء الذين يجولون بلا هدف في الشوارع، والذين يتشاجرون على الملأ، والذين يتفاخرون وهم جالسون في المقاهي والمطاعم المُكلّفة، والذين يتباهون بممتلكاتهم، أو الذين يكرسون حياتهم لأهداف واهية. فالعالم ليس سوى مجموعة من الأحاسيس، وبعبارة أخرى، إنه عبارة عن وهم. حتى إن كل من ذكرناهم آنفا هم كائنات كالظل، ترى وتدرك هذه الأحاسيس والمشاعر في عقلها، ومع ذلك فهم لا يدركون ذلك.

وهذا المفهوم في غاية الأهمية لأنه يُفنّد فلسفة الماديين التي تنكر وجود الله وبالتالي يتسبب في انهيارها. ولهذا انتاب الذعر الماديين أمثال ماركس وإنجلز ولينين، واجتاحهم الغضب، وحذروا زملاءهم من "عدم التفكير" في هذا المفهوم، عندما أصبحوا أخيرا في مواجهته. وحقيقة الأمر أن مثل هؤلاء يعانون من خلل في تفكيرهم العقلي لدرجة أنهم لا يمكنهم فهم هذه الحقيقة وهي أن المشاعر والأحاسيس تتشكل في المخ. وهم يفترضون أن العالم الذي يرونه في أذهانهم هو العالم الحقيقي ولا يستطيعون إدراك الحقيقة الواضحة وهي عكس ما

يظنون تماما.

إن الله سبحانه وتعالى لم ينعم على هؤلاء برجاحة العقل والحكمة الكافية فكان ذلك السبب في نقج وعيهم وإدراكهم. ويخبرنا القرآن الكريم بذلك في الآية القرآنية التالية:

﴿ ...لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (سورة الأعراف – الآية 179).

إن بإمكانك أن تعلم أكثر عن هذا الأمر إذا ما استخدمت "طاقة تأملاتك الشخصية". ولكي تفعل ذلك، يجب أن تركز وأن تتنبه وأن تفكر جيدا في الطريقة التي ترى بها الأشياء من حولك والطريقة التي تشعر بها بملمج الأشياء. وإذا ما فكرت جيدا، ستشعر أن الكائن العاقل الذي يرى ويسمع ويلمس ويفكر ويقرأ هذا الكتاب في هذه اللحظة، هو مجرد روح ترى وتشاهد الأحاسيس التي تُسمّى المادة على شاشة ما. ومن استطاع أن يدرك هذا جيدا، فإنه يكون قد تحرر من سيطرة العالم المادي التي تخدع معظم البشر ويكون قد انتقل إلى حيز الوجود الحقيقي.

لقد نجح بعض المؤمنين بالله والفلاسفة في فهم هذه الحقيقة على مدار التاريخ. إن الإمام رباني قد وضع الميزان الصحيح عندما بين هذه الحقيقة وأعلن أن فكرة "وحدة الوجود" قد انحرفت عن الصراط المستقيم وفهمت هذه الحقيقة فهما خطأ وأنكرت وجود جميع المخلوقات.وقد أدرك بعض مفكري الإسلام مثل الإمام ربّاني، ومحيي الدين بن عربي، ومولانا كامي، هذه الحقيقة من آيات القرآن الكريم وبإعمال عقلهم وتفكيرهم. وقد توصل بعض فلاسفة الغرب أيضا إلى الحقيقة نفسها من خلال العقل والمنطق. وقد كتب الإمام ربّاني في رسائله أن الكون المادي بأسره هو وهم وخيال وأن الكائن الوحيد ذا الوجود المطلق هو الله:

إن الجوهر الذي خلق منه الله هذه الكائنات هو العدم. بل خلق الله الكون من أحاسيس وخيالات وهي ليست لها طبيعة مادية. وفي الحقيقة، لا يوجد شيء في الخارج سوى الكائن الأعظم وهو الله سبحانه وتعالى.

لقد أوضح الإمام ربّاني أن كل ما يشاهده الإنسان ما هو إلا وهم وخيال وليس له أصل مادي في الخارج. إن دائرة التخيل تنتقل في عقولنا فقط ونحن نراها بمقدار ما تنتقل، ولكن بالعين التي يرى بها عقلنا. وخارج هذا المحيط، يبدو لنا أننا نرى ولكن بأعيننا التي خلقها الله في رؤوسنا. ولكن الأمر ليس كذلك بالفعل، فهي ليس لها كيان مادي ولا يمكن اقتفاء أثرها في الخارج. فليس هناك ما يمكن أن نراه. حتى عندما نرى انعكاس وجه شخص ما في المرآة، فحتى هذا لا أساس له في الخارج. ومما لا شك فيه أن ثبات هذه الصورة التي نراها وانتظامها هو في خيالنا فقط. والله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم بواطن الأمور. (198)

يلخص عبد الحكيم بيلجه و هو متخصص في موضوع التصوف الإسلامي المقياس الصحيح الذي بيّنه الإمام ربّاني في هذا الموضوع و ذلك في مقالة له حملت عنوان ''الوجود المطلق و الوجود الظلي و العدم'':

يري الامام رباني أن العالم عبارة عن مراتب من ''العدم'' حتى أن الأسماء و الصفات الإلهية قد انعكست من دائرة العلم على مراتب العدم، ومع وجود الله في المرتبة الخارجية أصبحت موجودة في شكل ''الموجودات الظلية'' من مراتب ذلك المساق والعدم.

و يفهم من هذا الشكل أن العالم موجود مع وجود ذاتي بل وأصلي في الخارج و لكن هذا ''الخارج'' هو ظل لذلك الخارج تماما مثل الوجود و الصفات. فليس من الممكن أن نقول إن العالم هو ''عين/ نفس الله'' لأنه يوجد بينهما فرق و اختلاف خارجي، تماما مثلما نقول على سبيل المجاز إن ظل شخص ما هو نفس ذلك الشخص تماما و هو أمر ليس بصحيح...

ويرى الامام رباني أن ذلك الظل هو الوجود الخارجي، أي أن الوجود الظلي موجود في عالم الموجودات الخارجي، وهو بالتأكيد لا يصل الظل بأصله. (عبد الرحمن بيلجه، ''الوجود المطلق والوجود الظلي والعدم ''، مجلة آرافيان، تشرين الثاني 1994).

لقد توصل مولانا جامي إلى الحقيقة نفسها التي اكتشفها من خلال آيات القرآن وبالتفكير العقلاني المنطقي. كما كتب مفكرون عظماء أمثال ربّاني أنه ربما لم يكن من الحكمة إطلاع البشر على هذه الحقيقة حيث إن معظمهم لن يستطيع فهمها والاقتناع بها.

وفي عصرنا هذا الذي نعيش فيه، أصبحت هذه الحقيقة ثابتة وتستند إلى الدلائل والبراهين بفضل إثبات العلم لها. إنها المرة الأولى التي تثبت فيها هذه الحقيقة بهذا الشكل القاطع والواضح والصريح الذي حدث في عصرنا هذا.

ولهذا سيشهد القرن الحادي والعشرون نقطة تحول تاريخية عندما يدرك البشر جميعا الحقائق الإلهية وينقادون إلى طريق الله. فالقرن الحادي والعشرون سيشهد زوال معتقدات القرن التاسع عشر– المعتقدات المادية– و فناءها في غياهب التاريخ، وسيدرك البشر وجود الله وخلقه، وسيفهم الجميع حقائق مثل انعدام المكان والزمان، وستتحرر البشرية من حُجُب القرون الماضية والخدع والخرافات التي تحيط بها. وليس لهذا المسار المحتوم أن يتغير أو تؤثر فيه أي كائنات وهمية.

الفصل الثامن عشر

نسبية الزمن وحقيقة القدر

يتضح لنا من كل ما سبق أنه لا يوجد في الواقع "مكان ذو ثلاثة أبعاد" ولا يمكننا الوصول إلى هذا العالم الخارجي، وإنما هو حكم ينبع تماما من الإدراك الحسي ومن الشعور، وأن المرء يقود حياته كلها في "اللامكان"، . وتوكيد عكس ذلك ما هو إلا إيمان بالخرافات بعيد عن المنطق والحقائق العلمية، حيث لا يوجد دليل واضح على وجود عالم مادي ذي ثلاثة أبعاد. وتبطل هذه الحقيقة الفرضية الأولى للفلسفة المادية التي تشكل الأساس لنظرية التطور، والتي تفترض أن المادة حقيقة مطلقة وأبدية، أما الفرضية الثانية التي تعتمد عليها الفلسفة المادية فهي كون الزمن حقيقة مطلقة وأبدية، وهذه أيضا خرافة مثل السابقة.

إدراك الزمن

إن الإحساس الذي نطلق عليه الزمن، هو في الواقع نظام يتم فيه مقارنة لحظة بأخرى، ويمكننا شرح ذلك بهذا المثال: إذا ما نقر شخص جسمًا ما فسيسمع صوتًا معينًا، وإذا ما نَقر هذا الجسم نفسه بعد خمس دقائق فسيسمع صوتًا آخر، وبالتالي يدرك المرء أن هناك فترة بين الصوت الأول والثاني، ويسمِّي هذه الفترة "زمنا". إلا أنه عند سماع الصوت الثاني لا يكون الصوت الأول إلا خيالا في ذهنه أو مجرد معلومة في ذاكرته، فالمرء يشكل إدراكه "للزمن" عن طريق مقارنة اللحظة التي يعيشها بما هو موجود في ذاكرته، وإذا لم تتم هذه المقارنة فلن يكون هناك إدراك للوقت.

وبالمثل، يُجري المرء مقارنة عندما يرى شخصا يدخل من باب الحجرة ويجلس على مقعد في وسط تلك الحجرة، ففي الوقت الذي يجلج فيه الشخص في هذا المقعد تتجمع الصور المرتبطة بلحظات فتح الباب ودخول الحجرة والذهاب إلى المقعد، كل ذلك في شكل معلومات في الذهن. وبالتالي فإن إدراك الوقت يحدث عندما يقارن المرء بين الشخص الجالس في المقعد وبين مجموعة المعلومات المتوفرة لديه.

وباختصار فإن الزمن يأتي نتيجة المقارنة بين مجموعة من الصور المختزنة بالذهن، فإن لم يكن للمرء ذاكرة، ما كان ذهنه ليقوم بهذه الاستنتاجات وبالتالي ما كان وُجد لديه أي إدراك للزمن. والسبب في قول المرء إنه في الثلاثين من عمره هو تراكم معلومات مرتبطة بتلك الفترة في ذهنه، فلو لم تكن هناك ذاكرة لما فكّر المرء في الفترة السابقة من حياته ولما عرف إلا اللحظة التي يعيشها.

التفسير العلمي للازمنية

سنحاول الآن توضيح هذا الموضوع من خلال تقديم بعض من آراء العلماء والمفكرين الذين أدلوا بدلوهم فيه. وعن تراجع الزمن يقول أستاذ علم الوراثة والمفكر المعروف والحاصل على ميدالية نوبل (فرانسوا يعقوب Francois Jacob) في كتابه «Le Jeu des Possibles» (لعبة الممكنات) ما يلي:

"إن عرض الأفلام للخلف جعل من الممكن أن نتخيل عالما يسير فيه الزمن للخلف، عالما ينفصل فيه اللبن عن القهوة التي في الفنجان، ويتطاير اللبن في الهواء ليرجع إلى وعائه؛ عالما تخرج فيه حزمة الأشعة من الجدران لتتجمع في مركز جاذبية، بدلا من الخروج من مصدر للضوء؛ عالما يسقط فيه حجر في كف شخص نتيجة تجمع عدد لانهائي من قطرات الماء تجعل الحجر قادرا على القفز من الماء. إلا أنه في مثل هذا العالم الذي تنقلب فيه معالم الزمن، ستنقلب بالتالي عمليات الذهن والطريقة التي تجمع بها الذاكرة المعلومات لتكون للخلف. والشيء نفسه صحيح بالنسبة إلى الماضي والمستقبل حيث سيبدو لنا العالم على ما هو عليه تماما".(199)

وحيث إن أذهاننا اعتادت تسلسلا معينا من الأحداث، فإن العالم لا يعمل بالطريقة التي وصفناها سابقا، ونحن نفترض أن الزمن دائما يسير إلى الأمام، إلا أن هذا استنتاج نسبي توصلت إليه الأذهان، فنحن في الواقع لا نعرف كيفية مرور الزمن أو حتى إذا كان يمر أم لا، وهذا مؤشر إلى أن الزمن ليس حقيقة مطلقة وإنما هو مجرد نوع من الإدراك.

ونسبية الزمن هي حقيقة قام بإثباتها (آينشتاين) الذي يعتبر أكبر عالم فيزيائي في القرن العشرين. وقد كتب (لينكولن بارنت Bar-nett Lincoln) في كتابه:The Universe and Dr. Einstein (الكون وآينشتاين) عن هذا الموضوع ما يلي:

ومثل الفراغ المطلق، تجاهل آينشتاين مفهوم الزمن المطلق الذي هو زمن عالمي يمر بشكل مستمر وثابت، ويمر من الماضي اللانهائي إلى المستقبل اللانهائي، وينبع كثير من الغموض الذي يحيط بنظرية النسبية من رفض الإنسان الاعتراف بأن الإحساس بالزمن- شأنه شأن الإحساس باللون - هو نوع من الإدراك. ومثلما يعتبر الفضاء منظومة من الأجسام، فكذلك يعتبر الزمن منظومة من الأحداث، وأفضل العبارات التي تصف ذاتية الزمن هي عبارة آينشتاين: "تبدو لنا خبرات الفرد على شكل سلسلة من الأحداث، وما نتذكره من أحداث منفردة في هذه السلسلة مرتب حسب معيار "ما قبل" و"ما بعد". فللفرد زمن هو "زمني أنا"، أو زمن ذاتي، وهذا الزمن لا يقاس في حد ذاته. ويمكنني بالفعل إنشاء علاقةٍ ما بين الأحداث والأرقام، بشكل يجعل الرقم المرتبط بحدث لاحق أكبر من الرقم المرتبط بحدث سابقٍ عليه.(200)

ويوضح آينشتاين على حد تعبير بارنت "أن كلا من الزمن والفضاء هو شكل من أشكال الفطرة لا يمكن فصله عن الوعي، مثلما هي الحال مع مفاهيم اللون والشكل والحجم. وبناء على النظرية النسبية، فإن الزمن ليس له وجود مستقل بمعزل عن تسلسل الأحداث التي نقيسه بها".(201)

وحيث إن الزمن يعتمد على الإدراك فهو يعتمد بشكل كامل على الشخص، وبالتالي فهو عملية نسبية.

وتتغير سرعة مرور الزمن حسب المعايير التي نعتمدها في قياسه، إذ لا توجد في جسم الإنسان ساعة طبيعية يقيس بها سرعة الزمن بشكل محدد. وكما قال (لينكولن بارنت Lincoln Barnett) "مثلما أنه ليس هناك شيء اسمه لون بدون عين تميز هذا اللون، فليس هناك شيء يسمى لحظة، ولا ساعة، ولا يومًا، إذا لم يكن هناك حدث يحدد الزمن".(202)

وتظهر نسبية الزمن في الأحلام بشكل أوضح، فبالرغم من شعورنا بأن ما شاهدناه قد استغرق ساعات وساعات، فإنه في الواقع

إدراك الزمن عن طريق القياس بين لحظة وأخرى، فعلى سبيل المثال نحن ندرك مرور الزمن بين أحداث معينة مثل زرع البذور و ظهور الزّهر و قطعه و ترتيبه في شكل باقة، ونطلق على هذا التمشّي اسم " الزمن ". فالزمن، هو إدراك يظهر عند القياس بين المُعاش " تلك اللحظة " وبين الماضي.





الرؤية أيضاً أمر له أهميته إلى حد ما من ناحية الإدراك النسبي للزّمن. فالإنسان يرى من خلال رؤية رآها في منامه لا تتعدى عدة ثوان أحداثاً قد تستمر وقائعها لعدة أيام.

قد استغرق مجرد دقائق وربما ثوان.

ولننظر إلى هذا المثال حتى نتعرف على الموضوع بشكل أوضح: لنفترض أننا وُضعنا في حجرة ذات نافذة واحدة مصممة تصميما خاصا، ولنفرض أننا أمضينا بها فترة معينة من الزمن، وأنه وُضعت ساعة على الجدار لمشاهدة ما مضى من الزمن. وفي الوقت نفسه، نشاهد من النافذة الشمس وهي تشرق وتغرب في فترات معينة، فبعد مرور بضعة أيام، وبسؤالنا عن الوقت الذي أمضيناه في تلك الحجرة، سيعتمد جوابنا على تقييم المعلومات التي حصلنا عليها من النظر إلى الساعة من وقت لآخر، ومن حساب المرات التي أشرقت فيها الشمس وغربت، فعلى سبيل المثال إذا حسبنا أننا مكثنا فيها ثلاثة أيام مثلا، و حضر الشخص الذي وضعنا في الحجرة وقال لنا إننا مكثنا في الحجرة يومين فقط، وأن الشمس التي شاهدناها هي شمس اصطناعية، والساعة التي وُضعت في الحجرة ساعة نظمت بشكل خاص لتعمل بشكل سريع، فلن يكون لحسابنا أية قيمة.

هذا المثال يؤكد لنا بوضوح أن معرفتنا لسرعة مرور الزمن إنما تعتمد على مرجعيات نسبية. إن نسبية الزمن حقيقة مجردة ثبتت بطرق علمية. فنظرية النسبية العامة لآينشتاين تؤكد أن سرعة الزمن تتغير حسب سرعة الجسم وحسب بعده عن مركز الجاذبية. فكلما زادت السرعة تناقص الزمن وتكثف وتباطأ حتى يبدو وكأنه يتوقف.

لنشرح هذا بمثال آخر ضربه آينشتاين نفسه: لنتخيل توأمين في العمر نفسه، أحدهما بقي على الأرض بينما قام الآخر برحلة فضائية بسرعة تقترب من سرعة الضوء، عندما يعود التوأم من الفضاء سيجد توأمه أكبر منه سنا، وسبب ذلك أن الزمن يمر بالنسبة إلى التوأم – الذي قام برحلة فضائية بسرعة تقترب من سرعة الضوء – بسرعة أقل كثيرا من سرعته على الأرض. ويمكن تطبيق المثال نفسه على أب

يعمل رجل فضاء وابنه الذي يعيش على الأرض، فلو كان عمر الأب 27 سنة عندما انطلق إلى الفضاء، وعمر الابن 3 سنوات، فعندما يعود الأب إلى الأرض بعد 30 سنة (بزمن الأرض)، فسيكون عمر الابن 33 سنة بينما الأب 30 سنة فقط.(203)

وجدير بالذكر أن نسبية الزمن لا علاقة لها بسرعة عمل الساعة أو بطئها، وإنما ترجع نسبية الزمن إلى التفاوت في فترات عمل كل الأجسام المادية التي تتناهى في الصغر حتى تصل إلى ما هو أصغر من الذرة. وبعبارة أخرى، فإن قصَر الزمن ليس مثل مشاهدة مشهد سينمائي بالتصوير البطيء، ولكن في ذلك النطاق الذي يقصر فيه الزمن، تكون ضربات القلب وانقسامات الخلايا ووظائف المخ أبطأ مما تكون عليه لدى الشخص الذي يتحرك بسرعة أقل على الأرض، فالمرء يمارب حياته اليومية ولا يلاحظ قصر الزمن. وفي الواقع، لا يبدو ذلك القصر واضحا حتى تتم المقارنة.

النسبية في القرآن

تفيد نتائج معطيات العلم الحديث أن الزمن ليس حقيقة مطلقة كما يزعم الماديون ولكنه مجرد إدراك نسبي، والشيء الأعجب من ذلك أن هذه الحقيقة التي لم يتوصل إليها العلم إلا في القرن العشرين قد تم نقلها إلى البشرية عن طريق القرآن الكريم قبل 14 قرناً من الزمان، ففي آيات القرآن عبارات تؤكد نسبية الزمن.

وفي كثير من آيات القرآن يمكن رؤية الحقيقة التي أثبتتها العلم، وهي أن الزمن إدراك نفسي يعتمد على الأحداث والموقف والظروف، فعلى سبيل المثال يخبرنا القرآن أن حياة الإنسان كلها ما هي إلا زمن قصير.

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا ﴾ (الإسراء– الآية 52)

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ...﴾ (يونس– الآية 45)

وهناك آيات تشير إلى اختلاف الناس في إحساسهم بالزمن فبعضهم قد يظن الفترة القصيرة جدا فترة طويلة جدا؛ وخير مثال لذلك هو الحوار الذي سيجري بين مجموعة من الناس يوم القيامة:

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ. قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (المؤمنون – الآية 112–114)

وفي آيات أخرى يخبرنا القرآن أن الزمن تختلف سرعته باختلاف المكان: **﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (الحج – الآية 47)**

﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج– الآية 4)

﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (السجدة– الآية5)

توضح هذه الآيات بما لا يدع مجالا للشك نسبية الزمن، أما إخبار القرآن بهذه النسبية قبل 1400 سنة بينما توصل إليها العلم في القرن العشرين، فهو دليل على نزول القرآن من قبل الله الذي يحيط بالزمان والمكان.

والعبارات التي يستخدمها القرآن في كثير من آياته تؤكد أن الزمن ما هو إلا إدراك، ويمكن لمس ذلك بوضوح في آيات القصص، فالقرآن يحدثنا في قصة أهل الكهف عن فئة مؤمنة غرقت في نومها أكثر من ثلاثة قرون، ثم يخبرنا أن تلك الفئة بعد قيامها من نومها ظنت أنّها لم يمج عليها في تلك الحالة إلا وقت قصير، و لم تستطع تقدير الزمن الذي نامته.

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ (الكهف– الآية 11–12)

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ...﴾ (الكهف– الآية 19)

ويعتبر الموقف المشار إليه في الآية التالية دليلا على أن الزمن في الحقيقة ما هو إلا إدراك نفسي.

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة– الآية 259)

وتبين لنا أيضا هذا الآية وبوضوح أن الله الذي خلق الزمن منزّه عن الزمن. أما الإنسان فهو مقيّد بالزمن الذي قدره الله له. فالإنسان لا يستطيع أن يعرف حتى مقدار الزمن الذي يقضيه في النوم. وإذا كان الأمر كذلك، فإن الزعم بأن الزمن حقيقة مطلقة (كما يرى الفكر المادي المنحرف) يعتبر زعماً غير عقلاني.

القـــدر

إن كون الزمن نسبيا يوضح لنا حقيقة مهمة أخرى، فهذه النسبية متغيرة وغير ثابتة إلى درجة أن فترة زمنية تبدو بالنسبة إلينا مليارات من السنين، قد تكون في بُعد آخر مجرد بضْع ثوان، وبالإضافة إلى ذلك فإن فترة طويلة من الزمن قد تمتد منذ بداية الكون إلى آخره قد لا تستغرق ثانية أو أقل في بُعد آخر.

هنا يكمن لب القدر وحقيقته التي لم يدركها كثير من الناس، والتي لم يشأ الماديون فهمها، فالقدر هو علم الله التام بكل الأحداث الماضية والمستقبلية، ويتساءل كثير من الناس عن كيفية معرفة الله للأحداث التي لم تقع بعد، مما يؤدي بهم إلى عدم فهم حقيقة القدر، "فالأحداث التي لم تقع بعد" هي أحداث لم تقع بعد بالنسبة إلينا فقط، أما الله فهو خارج عن الزمان والمكان، إذ هو خالقهما، فالماضي والحاضر والمستقبل، بالنسبة إلى الله شيء واحد، وكلها بالنسبة إليه حدثت وانتهت.

يتناول لينكولن بارنت كيف تقود نظرية النسبية العامة إلى هذه الحقيقة، وذلك في كتابه (الكون وأينشتاين)، ويرى بارنت أن الكون لا يمكن أن يطوَّق في سلطان شامل إلا بوجود ذهن كوني، ويقصد بارنت بالإرادة التي يسميها "الذهن الكوني" حكمة الله ومعرفته، الله المهيمن على الكون.(204) يعلم الله الزمن الذي نعيش فيه من أوله إلى آخره، تماماً مثلما نرى نحن أيضا أول مسطرة ما ووسطها وآخرها، وما بين ذلك من أجزاء، أما البشر فيعيشون هذه الأحداث حينما يحين زمانها فقط، ويشهدون بذلك القدر الذي قدره الله لهم.

تجدر بنا الإشارة هنا إلى سطحية المفهوم الخاطئ للقدر، السائد في المجتمع، ومن جملة هذا المفهوم الخاطئ عن القدر، اعتقاد باطل بأن الله تعالى قد كتب قدرا للإنسان، إلا أن الناس يستطيعون أحيانا تغيير هذا القدر، فعلى سبيل المثال، عندما يشفَى شخص من مرضه ويتخلص من الموت تجد الناس يطلقون عبارات مثل "لقد انتصر على قدره". بيدَ أنه ليس في وسع أحد تبديل قدره، ومن تخلص من الموت، فقد تخلص منه لأنه مكتوب عليه أن يتخلص من الموت، وما هو إلا خداع للنفس أن يقول الشخص "تغلبت على قدري"، فحين يقولون هذه الجمل لا يقولونها إلا لأنه مكتوب عليهم أن يقولوها كما أن دخولهم في مثل هذه النفسية هو أيضا قدرهم المكتوب لهم.



الزمن أيضاً مفهوم يرتبط بمن يُدرك بشكل كامل و تام. فبينما تمر فترة معينة كأنها طويلة على شخص ما نجد أنه من الممكن أن يُدرك شخص آخر الفترة نفسها قصيرة نسبياً. وحتى يمكننا أن نفهم أيّ من هذين التخمينين صحيح و أيهما خاطيء فإننا بحاجة إلى مصادر أخرى مثل الساعة والنتيجة. فبدونهما لا يمكن أن نبني تخميناً قاطعاً بخصوص الزّمن.

إن القدر هو علم الله الأزلي الذي يجمع جميع الأزمنة في آن واحد، فكل شيء بالنسبة إلى الله المسيطر على كل الأزمنة والأمكنة مقرَّر ومكتوب في القدر، ونحن ندرك أن الزمن واحد بالنسبة إلى الله من العبارات القرآنية وأسلوب القرآن، فبعض الأحداث التي ستجري في المستقبل بالنسبة إلينا هي حسب الأسلوب القرآني قد حدثت منذ زمن بعيد وانتهت، فعلى سبيل المثال نجد الآيات التي تقرر محاسبة الله الإنسان يوم القيامة كلها جاءت في صيغة الماضي وأنها حدثت وانتهت:

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. وَأَشْرَقَتْ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ... وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ... وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا...﴾ (الزمر– الآية 68–73)

أما الشواهد القرآنية الأخرى على هذا الموضوع فهي:

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (ق– الآية 21)

﴿ وَانشَقَّتْ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ (الحاقة– الآية 16)

﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا ﴾ (الإنسان– الآية 12–13)

﴿ وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ (النازعات– الآية 36)

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ (المطففين– الآية 34)

﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ (الكهف– الآية 53)

وكما يتضح لنا، فإن الأحداث التي سنعيشها بعد الموت (من منظورنا)، قد وردت في القرآن على أنها أحداث جرت وانتهت، ذلك أن الله خارج عن حيز الزمن النسبي الذي نحن في داخله. والله قد كتب كل الأحداث في اللازمان: فالناس قد مرت بكل هذه الأحداث، أما كون كل صغيرة أو كبيرة تحدث بعلم الله وكلها مكتوبة في سجل، فالآية التالية تخبرنا به:

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (يونس– الآية 61)

قلق الماديين

ما تناولناه بالبحث في هذا الفصل عن أصل المادة، واللازمان، واللامكان، إنما هو في الواقع حقائق واضحة جدا، وكما سبق أن أشرنا، فإن هذه الحقائق ليست ضربا من الفلسفة ولا نموذجا فكريا، وإنما هي نتائج علمية لا يمكن إنكارها. وبالإضافة إلى كونها حقيقة تقنية فإن العقل والمنطق لا يستطيعان تقديم أي أدلة في هذه القضية: فالكون بالكامل إنما هو وَهم بكل العناصر المكونة له والبشر الذين يعيشون فيه. إنه مجموعة من الإدراكات الحسية.

يجد الماديون صعوبة في فهم هذه الحقائق، فلو عدنا إلى حافلة بوليتزر مثلا؛ نجد أنه بالرغم من أن بوليتزر نفسه يعرف جيدا أنه لا يمكنه تقنيا الخروج عن أحاسيسه، فإنه لم يستطع الاعتراف بهذه الحقيقة إلا في حالات معينة فقط، أي أن بوليتزر يرى أن الأحداث التي سبقت اصطدام الحافلة قد جرت في الذهن، أما بعد الصدام فقد خرج الحدث من الذهن فجأة إلى حيز المادية والحقيقة، فالخلل المنطقي هنا واضح للعيان؛ وهنا وقع بوليتزر في الخطأ الذي وقع فيه المادي (جونسون) القائل: "إنني ألكم الحجر بقدمي، وقدمي تؤلمني، إذن هي موجودة". فلم يستطع أن يفهم أن الشعور بشدة الصدمة إنما هو مجرد إحساس أيضا.

أما السبب الرئيسي الكامن وراء عدم فهم الماديين لهذه الحقيقة فهو شعورهم بالخوف من النتائج التي سيواجهونها من فهمهم لهذه الحقائق، ويوضح لينكولن بارنت أن هذا الموضوع قد "أدركه" بعض العلماء، حيث يقول:

"إذا كان الفلاسفة يختزلون كل الأجسام المادية إلى عالم ظلي من الإدراكات الحسية، فقد أصبح العلماء على وعي بالتقييدات المثيرة للقلق لحواس الإنسان".(205)

إن أي إشارة إلى حقيقة أن المادة والزمن هما مجرد أحاسيس يثير الخوف في الشخص المادي، وذلك لأن هذه هي المفاهيم التي يتمسك بها وبشكل ما يؤلهها وذلك لإيمانه أنه خُلق من المادة والزمن (عن طريق التطور).

وإذا ما شعر المادي أن الكون الذي يعيش فيه، والعالم، وذاته، وغيره من الناس، والفلاسفة الذين تأثر بأفكارهم، وباختصار إذا شعر أن كل ذلك إحساس لا غير فإن الرعب والهلع يستوليان عليه، فكل ما وثق به، واعتمد عليه، ولجأ إليه يتلاشى فجأة، في الواقع إنه يعيش الآن ما سيعيشه يوم الحساب، عيشة الذي لا حول له ولا قوة كما ورد في الآية التالية:

﴿ **وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ **(النحل– الآية 87)**

وهكذا فإن المادي يسعى إلى إقناع نفسه بوجود المادة، ويحاول البحث عن أدلة لذلك مثل لَكْم الجدار، وضرب الحجارة بقدميه، والصراخ، إلا أنه لن يستطيع أبدا الهروب من الحقيقة.

ومثلما يسعى الماديون إلى إلغاء هذه الحقيقة من أذهانهم، فهم يريدون أيضا إبعاد الناس عنها، ذلك أنهم يعرفون جيدا أن الناس إذا ما أدركوا حقيقة المادة، ستظهر بدائية فلسفتهم هم أنفسهم، وستتضح جهالة آرائهم، ولن يبقى هناك أي مجال لبث أفكارهم. هذا هو السبب الحقيقي لقلقهم وتخوفهم، ويقول الله إن مخاوف الذين لا يؤمنون ستزداد في الآخرة، ففي يوم القيامة يقال لهم:

﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾ **(الأنعام– الآية 22)**

أما الكافرون فإنهم سيشهدون ممتكاتهم، وأولادهم، وأخلاءهم – الذين ظنوا أن لهم وجودا حقيقيا وجعلوهم شركاء لله – يفرون منهم، ويهلكون كما أخبرت الآية التالية:

﴿ **انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ **(الأنعام– الآية 24)**

مكســـب المؤمنين

إذا كانت حقيقة أن المادة والزمن هما إدراك حسي غير مطلق تثير الرعب لدى الماديين، فالعكس هو الصحيح بالنسبة إلى المؤمنين، فالمؤمنون يشعرون بالسعادة عندما يدركون السر وراء المادة، ذلك أن هذه الحقيقة هي المفتاح لجميع الأسئلة، فالمرء الذي ربما يجد صعوبة في الأحوال العادية في فهم كثير من الموضوعات يستطيع فهمها بفضل هذه الحقيقة.

وكما قلنا آنفا، فإن إدراك السر الذي وراء المادة يسهل فهم حقائق مثل الموت والجنة والنار والآخرة والأبعاد المتغيرة وغيرها، كما يعطي بسهولة الإجابة على أسئلة كثيرة مهمة منها؛ "أين الله"، و"ماذا كان قبل الله"، و"مَن خلق الله"، و"كم تستغرق حياة القبر"، و"أين الجنة والنار"، و"أين الجنة والنار في الوقت الحالي". كما أن هذه الحقيقة تساعد في فهم كيف خلق الله الكون من العدم وبأي نظام خلقه، حتى إن إدراك هذا السر يجعل أسئلة كثيرة مثل "متى"، و"أين"، أسئلة فارغة لا معنى لها، حيث لا يبقى عندئذ زمان ولا مكان، وإذا ما فُهم اللامكان فسيُفهم أن الجنة والنار والدنيا كلها توجد في المكان نفسه، أما إذا ما فهم اللازمان فسيفهم أن كل شيء يتم في لحظة واحدة: لا يتم انتظار أي شيء ولا يمر الزمن لأن كل شيء قد حدث وانتهى.

بإدراك هذا السرّ ستبدو الدنيا للإنسان المؤمن مثل الجنة ويتلاشى كل القلق والهم والخوف، وسيدرك الإنسان أن للكون حاكما واحدا فقط، وأن ذلك الحاكم يبدل كل الماديات كيفما يشاء، وما على الإنسان إلا التوجه إلى ذلك الحاكم المطلق. وبذلك سيكون الإنسان قد أسلم لله، ﴿ ..**مُحَرَّرًا**...﴾ **(آل عمران 35)** إن فهم هذا السر وإدراكه أكبر مكسب في الدنيا.

وبإدراك هذا السر تُفهم حقيقة أخرى وردت في القرآن وهي: حقيقة قرب الله من الا نسان، ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾ **(ق– الآية 16)**... كما هو معروف فإن عرق الوريد موجود داخل الإنسان، وما الذي يمكن أن يكون أقرب إلى الإنسان من داخله؟ إن هذا الوضع يمكن تفسيره بسهولة بإدراك حقيقة اللامكانية. وكما يلاحظ فإن هذه الآية يمكن أيضا فهمها على نحو أفضل كثيراً عن طريق إدراك هذا السر.

هذه هي الحقيقة، ينبغي ألا يفوتنا هنا أنه ليس للإنسان من ولي ولا نصير إلا الله، ولا وجود لمطلق حقيقي سوى الله تعالى. لا واجب وجود ينتظر منه الجزاء إلا هو ... حيثما توجهنا فوجه الله هناك ...

المصادر والمراجع

1. Cliff, Conner, "Evolution vs. Creationism: In Defense of Scientific Thinking", International Socialist Review (Monthly Magazine Supplement to the Militant), November 1980.
2. Ali Demirsoy, Kalitim ve Evrim (Inheritance and Evolution), Ankara: Meteksan Publishing Co., 1984, p. 61.
3. Michael J. Behe, Darwin's Black Box, New York: Free Press, 1996, pp. 232-233.
4. Richard Dawkins, The Blind Watchmaker, London: W. W. Norton, 1986, p. 159.
5. Jonathan Wells, Icons of Evolution: Science or Myth? Why Much of What We Teach About Evolution is Wrong, Regnery Publishing, 2000, pp. 235-236
6. Dan Graves, Science of Faith: Forty-Eight Biographies of Historic Scientists and Their Christian Faith, Grand Rapids, MI, Kregel Resources.
7. Science, Philosophy, And Religion: A Symposium, 1941, CH.13.
8. Max Planck, Where is Science Going?, www.websophia.com/aphorisms/science.html.
9. H. S. Lipson, "A Physicist's View of Darwin's Theory", Evolution Trends in Plants, Vol 2, No. 1, 1988, p. 6.
10. Although Darwin came up with the claim that his theory was totally independent from that of Lamarck's, he gradually started to rely on Lamarck's assertions. Especially the 6th and the last edition of The Origin of Species is full of examples of Lamarck's "inheritance of acquired traits". See Benjamin Farrington, What Darwin Really Said, New York: Schocken Books, 1966, p. 64.
11. Michael Ruse, "Nonliteralist Antievolution", AAAS Symposium: "The New Antievolutionism," February 13, 1993, Boston, MA.
12. Steven M. Stanley, Macroevolution: Pattern and Process, San Francisco: W. H. Freeman and Co. 1979, pp. 35, 159.
13. Colin Patterson, "Cladistics", Interview with Brian Leek, Peter Franz, March 4, 1982, BBC.
14. Jonathan Wells, Icons of Evolution: Science or Myth? Why Much of What We Teach About Evolution is Wrong, Regnery Publishing, 2000, pp. 141-151
15. Jerry Coyne, "Not Black and White", a review of Michael Majerus's Melanism: Evolution in Action, Nature, 396 (1988), pp. 35-36
16. Stephen Jay Gould, "The Return of Hopeful Monsters", Natural History, Vol 86, July-August 1977, p. 28.
17. Charles Darwin, The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, 1964, p. 189.
18. Ibid, p. 177.
19. B. G. Ranganathan, Origins?, Pennsylvania: The Banner Of Truth Trust, 1988.
20. Warren Weaver, "Genetic Effects of Atomic Radiation", Science, Vol 123, June 29, 1956, p. 1159.
21. Gordon R. Taylor, The Great Evolution Mystery, New York: Harper & Row, 1983, p. 48.
22. Michael Pitman, Adam and Evolution, London: River Publishing, 1984, p. 70.
23. Charles Darwin, The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, 1964, p. 179.
24. Charles Darwin, The Origin of Species, Oxford University Press, New York, 1998, pp. 140, 141, 227.
25. Derek V. Ager, "The Nature of the Fossil Record", Proceedings of the British Geological Association, Vol 87, 1976, p. 133.
26. Mark Czarnecki, "The Revival of the Creationist Crusade", MacLean's, January 19, 1981, p. 56.
27. R. Wesson, Beyond Natural Selection, MIT Press, Cambridge, MA, 1991, p. 45
28. David Raup, "Conflicts Between Darwin and Paleontology", Bulletin, Field Museum of Natural History, Vol 50, January 1979, p. 24.
29. Richard Monastersky, "Mysteries of the Orient", Discover, April 1993, p. 40.
30. Richard Fortey, "The Cambrian Explosion Exploded?", Science, vol 293, No 5529, 20 July 2001, pp. 438-439.
31. Ibid.
32. Richard Dawkins, The Blind Watchmaker, London: W. W. Norton 1986, p. 229.
33. Douglas J. Futuyma, Science on Trial, New York: Pantheon Books, 1983, p. 197.
34. Charles Darwin, The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, 1964, p. 302.
35. Stefan Bengston, Nature, Vol. 345, 1990, p. 765.
36. The New Animal Phylogeny: Reliability And Implications, Proc. of Nat. Aca. of Sci., 25 April 2000, vol 97, No 9, pp. 4453-4456.
37. Ibid.
38. Gerald T. Todd, "Evolution of the Lung and the Origin of Bony Fishes: A Casual Relationship", American Zoologist, Vol 26, No. 4, 1980, p. 757.
39. R. L. Carroll, Vertebrate Paleontology and Evolution, New York: W. H. Freeman and Co. 1988, p. 4.; Robert L. Carroll, Patterns and Processes of Vertebrate Evolution, Cambridge University Press, 1997, p. 296-97
40. Edwin H. Colbert, M. Morales, Evolution of the Vertebrates, New York: John Wiley and Sons, 1991, p. 99.
41. Jean-Jacques Hublin, The Hamlyn Encyclopædia of Prehistoric Animals, New York: The Hamlyn Publishing Group Ltd., 1984, p. 120.
42. Jacques Millot, "The Coelacanth", Scientific American, Vol 193, December 1955, p. 39.
43. Bilim ve Teknik Magazine, November 1998, No: 372, p. 21.
44. Robert L. Carroll, Vertebrate Paleontology and Evolution, New York: W. H. Freeman and Co., 1988, p. 198.
45. Engin Korur, "Gözlerin ve Kanatlar›n S›rr›" (The Mystery of the Eyes and the Wings), Bilim ve Teknik, No. 203, October 1984, p. 25.
46. Nature, Vol 382, August, 1, 1996, p. 401.
47. Carl O. Dunbar, Historical Geology, New York: John Wiley and Sons, 1961, p. 310.
48. L. D. Martin, J. D. Stewart, K. N. Whetstone, The Auk, Vol 98, 1980, p. 86.
49. Ibid, p. 86; L. D. Martin, "Origins of Higher Groups of Tetrapods", Ithaca, New York: Comstock Publising Association, 1991, pp. 485, 540.
50. S. Tarsitano, M. K. Hecht, Zoological Journal of the Linnaean Society, Vol 69, 1985, p. 178; A. D. Walker, Geological Magazine, Vol 177, 1980, p. 595.
51. Pat Shipman, "Birds do it... Did Dinosaurs?", New Scientist, February 1, 1997, p. 31.
52. "Old Bird", Discover, March 21, 1997.
53. Ibid.
54. Pat Shipman, "Birds Do It... Did Dinosaurs?", p. 28.
55. Robert L. Carroll, Patterns and Processes of Vertebrate Evolution, Cambridge University Press, 1997, pp. 280-81.
56.. Jonathan Wells, Icons of Evolution, Regnery Publishing, 2000, p. 117.
57. Pat Shipman, "Birds Do It... Did Dinosaurs?", p. 28.
58. Ibid.
59. Roger Lewin, "Bones of Mammals, Ancestors Fleshed Out", Science, vol 212, June 26, 1981, p. 1492.
60. George Gaylord Simpson, Life Before Man, New York: Time-Life Books, 1972, p. 42.

61. R. Eric Lombard, "Review of Evolutionary Principles of the Mammalian Middle Ear, Gerald Fleischer", Evolution, Vol 33, December 1979, p. 1230.
62. David R. Pilbeam, "Rearranging Our Family Tree", Nature, June 1978, p. 40.
63. Earnest A. Hooton, Up From The Ape, New York: McMillan, 1931, p. 332.
64. Malcolm Muggeridge, The End of Christendom, Grand Rapids, Eerdmans, 1980, p. 59.
65. Stephen Jay Gould, "Smith Woodward's Folly", New Scientist, February 5, 1979, p. 44.
66. Kenneth Oakley, William Le Gros Clark & J. S, "Piltdown", Meydan Larousse, Vol 10, p. 133.
67. Stephen Jay Gould, "Smith Woodward's Folly", New Scientist, April 5, 1979, p. 44.
68. W. K. Gregory, "Hesperopithecus Apparently Not An Ape Nor A Man", Science, Vol 66, December 1927, p. 579.
69. Philips Verner Bradford, Harvey Blume, Ota Benga: The Pygmy in The Zoo, New York: Delta Books, 1992.
70. David Pilbeam, "Humans Lose an Early Ancestor", Science, April 1982, pp. 6-7.
71. C. C. Swisher III, W. J. Rink, S. C. Antón, H. P. Schwarcz, G. H. Curtis, A. Suprijo, Widiasmoro, "Latest Homo erectus of Java: Potential Contemporaneity with Homo sapiens in Southeast Asia", Science, Volume 274, Number 5294, Issue of 13 Dec 1996, pp. 1870-1874; also see, Jeffrey Kluger, "Not So Extinct After All: The Primitive Homo Erectus May Have Survived Long Enough To Coexist With Modern Humans, Time, December 23, 1996.
72. Solly Zuckerman, Beyond The Ivory Tower, New York: Toplinger Publications, 1970, pp. 75-94.
73. Charles E. Oxnard, "The Place of Australopithecines in Human Evolution: Grounds for Doubt", Nature, Vol 258, p. 389.
74. Holly Smith, American Journal of Physical Antropology, Vol 94, 1994, pp. 307-325.
75. Fred Spoor, Bernard Wood, Frans Zonneveld, "Implication of Early Hominid Labryntine Morphology for Evolution of Human Bipedal Locomotion", Nature, vol 369, June 23, 1994, pp. 645-648.
76. Tim Bromage, New Scientist, vol 133, 1992, p. 38-41.
77. J. E. Cronin, N. T. Boaz, C. B. Stringer, Y. Rak, "Tempo and Mode in Hominid Evolution", Nature, Vol 292, 1981, pp. 113-122.
78. C. L. Brace, H. Nelson, N. Korn, M. L. Brace, Atlas of Human Evolution, 2.b. New York: Rinehart and Wilson, 1979.
79. Alan Walker, Scientific American, vol 239 (2), 1978, p. 54.
80. Bernard Wood, Mark Collard, "The Human Genus", Science, vol 284, No 5411, 2 April 1999, pp. 65-71.
81. Marvin Lubenow, Bones of Contention, Grand Rapids, Baker, 1992, p. 83.
82. Boyce Rensberger, The Washington Post, November 19, 1984.
83. Ibid.
84. Richard Leakey, The Making of Mankind, London: Sphere Books, 1981, p. 116.
85. Marvin Lubenow, Bones of Contention, Grand Rapids, Baker, 1992. p. 136.
86. Pat Shipman, "Doubting Dmanisi", American Scientist, November- December 2000, p. 491.
87. Erik Trinkaus, "Hard Times Among the Neanderthals", Natural History, vol 87, December 1978, p. 10; R. L. Holloway, "The Neanderthal Brain: What Was Primitive", American Journal of Physical Anthropology Supplement, Vol 12, 1991, p. 94.
88. Alan Walker, Science, vol 207, 1980, p. 1103.
89. A. J. Kelso, Physical Antropology, 1st ed., New York: J. B. Lipincott Co., 1970, p. 221; M. D. Leakey, Olduvai Gorge, Vol 3, Cambridge: Cambridge University Press, 1971, p. 272.
90. S. J. Gould, Natural History, Vol 85, 1976, p. 30.
91. Time, November 1996.
92. L. S. B. Leakey, The Origin of Homo Sapiens, ed. F. Borde, Paris: UNESCO, 1972, p. 25-29; L. S. B. Leakey, By the Evidence, New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1974.
93. "Is This The Face of Our Past", Discover, December 1997, p. 97-100.
94. A. J. Kelso, Physical Anthropology, 1.b., 1970, pp. 221; M. D. Leakey, Olduvai Gorge, Vol 3, Cambridge: Cambridge University Press, 1971, p. 272.
95. Donald C. Johanson & M. A. Edey, Lucy: The Beginnings of Humankind, New York: Simon & Schuster, 1981, p. 250.
96. Science News, Vol 115, 1979, pp. 196-197.
97. Ian Anderson, New Scientist, Vol 98, 1983, p. 373.
98. Russell H. Tuttle, Natural History, March 1990, pp. 61-64.
99. Ruth Henke, "Aufrecht aus den Baumen", Focus, Vol 39, 1996, p. 178.
100. Elaine Morgan, The Scars of Evolution, New York: Oxford University Press, 1994, p. 5.
101. Solly Zuckerman, Beyond The Ivory Tower, New York: Toplinger Publications, 1970, p. 19.
102. Robert Locke, "Family Fights", Discovering Archaeology, July/August 1999, p. 36-39.
103. Ibid.
104. Henry Gee, In Search of Time: Beyond the Fossil Record to a New History of Life, New York, The Free Press, 1999, p. 126-127.
105. W. R. Bird, The Origin of Species Revisited, Nashville: Thomas Nelson Co., 1991, pp. 298-99.
106. "Hoyle on Evolution", Nature, Vol 294, November 12, 1981, p. 105.
107. Ali Demirsoy, Kalitim ve Evrim (Inheritance and Evolution), Ankara: Meteksan Publishing Co., 1984, p. 64.
108. W. R. Bird, The Origin of Species Revisited, Nashville: Thomas Nelson Co., 1991, p. 304.
109. Ibid, p. 305.
110. J. D. Thomas, Evolution and Faith, Abilene, TX, ACU Press, 1988. pp. 81-82.
111. Robert Shapiro, Origins: A Sceptics Guide to the Creation of Life on Earth, New York, Summit Books, 1986. p.127.
112. Fred Hoyle, Chandra Wickramasinghe, Evolution from Space, New York, Simon & Schuster, 1984, p. 148.
113. Ibid, p. 130.
114. Fabbri Britannica Bilim Ansiklopedisi (Fabbri Britannica Science Encyclopaedia), vol 2, No 22, p. 519.
115. Richard B. Bliss & Gary E. Parker, Origin of Life, California: 1979, p. 14.
116. Stanley Miller, Molecular Evolution of Life: Current Status of the Prebiotic Synthesis of Small Molecules, 1986, p. 7.
117. Kevin Mc Kean, Bilim ve Teknik, No 189, p. 7.
118. J. P. Ferris, C. T. Chen, "Photochemistry of Methane, Nitrogen, and Water Mixture As a Model for the Atmosphere of the Primitive Earth", Journal of American Chemical Society, vol 97:11, 1975, p. 2964.
119. "New Evidence on Evolution of Early Atmosphere and Life", Bulletin of the American Meteorological Society, vol 63, November 1982, pp. 1328-1330.
120. Richard B. Bliss & Gary E. Parker, Origin of Life, California, 1979, p. 25.
121. W. R. Bird, The Origin of Species Revisited, Nashville: Thomas Nelson Co., 1991, p. 325.
122. Richard B. Bliss & Gary E. Parker, Origin of Life, California: 1979, p. 25.

123. Ibid.
124. S. W. Fox, K. Harada, G. Kramptiz, G. Mueller, "Chemical Origin of Cells", Chemical Engineering News, June 22, 1970, p. 80.
125. Frank B. Salisbury, "Doubts about the Modern Synthetic Theory of Evolution", American Biology Teacher, September 1971, p. 336.
126. Paul Auger, De La Physique Theorique a la Biologie, 1970, p. 118.
127. Francis Crick, Life Itself: It's Origin and Nature, New York, Simon & Schuster, 1981, p. 88.
128. Ali Demirsoy, Kal›t›m ve Evrim (Inheritance and Evolution), Ankara: Meteksan Publishing Co., 1984, p. 39.
129. Homer Jacobson, "Information, Reproduction and the Origin of Life", American Scientist, January 1955, p. 121.
130. Reinhard Junker & Siegfried Scherer, "Entstehung und Geschichte der Lebewesen", Weyel, 1986, p. 89.
131. Michael Denton, Evolution: A Theory in Crisis, London: Burnett Books, 1985, p. 351.
132. John Horgan, "In the Beginning", Scientific American, vol. 264, February 1991, p. 119.
133. G.F. Joyce, L. E. Orgel, "Prospects for Understanding the Origin of the RNA World", In the RNA World, New York: Cold Spring Harbor Laboratory Press, 1993, p. 13.
134. Jacques Monod, Chance and Necessity, New York: 1971, p.143.
135. Leslie E. Orgel, "The Origin of Life on the Earth", Scientific American, October 1994, vol. 271, p. 78.
136. Gordon C. Mills, Dean Kenyon, "The RNA World: A Critique", Origins & Design, 17:1, 1996.
137. Brig Klyce, The RNA World, http://www. panspermia.org/rnaworld.htm
138. Chandra Wickramasinghe, Interview in London Daily Express, August 14, 1981.
139. Pierre-P Grassé, Evolution of Living Organisms, New York: Academic Press, 1977, p. 103.
140. Ibid, p. 107.
141. Norman Macbeth, Darwin Retried: An Appeal to Reason, Boston: Gambit, 1971, p. 101.
142. Malcolm Muggeridge, The End of Christendom, Grand Rapids: Eerdmans, 1980, p. 43.
143. Loren C. Eiseley, The Immense Journey, Vintage Books, 1958, p. 186.
144. Charles Darwin, The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition, Harvard University Press, 1964, p. 184.
145. Norman Macbeth, Darwin Retried: An Appeal to Reason, Harvard Common Press, New York: 1971, p. 33.
146. Ibid, p. 36.
147. Loren Eiseley, The Immense Journey, Vintage Books, 1958. p. 227.
148. H. Lisle Gibbs and Peter R. Grant, "Oscillating selection on Darwin's finches", Nature, 327, 1987, pp. 513; For more detailed information, please see Jonathan Wells, Icons of Evolution, 2000, pp. 159-175.
149. Dr. Lee Spetner, "Lee Spetner/Edward Max Dialogue: Continuing an exchange with Dr. Edward E. Max", 2001, http://www.trueorigin. org/spetner2.ap
150. Ibid.
151. Ibid.
152. Francisco J. Ayala, "The Mechanisms of Evolution", Scientific American, Vol. 239, September 1978, p. 64.
153.Dr. Lee Spetner, "Lee Spetner/Edward Max Dialogue: Continuing an exchange with Dr. Edward E. Max", 2001, http://www.trueorigin. org/spetner2.ap
154. S. R. Scadding, "Do 'Vestigial Organs' Provide Evidence for Evolution?", Evolutionary Theory, Vol 5, May 1981, p. 173.
155. The Merck Manual of Medical Information, Home edition, New Jersey: Merck & Co., Inc. The Merck Publishing Group, Rahway, 1997.
156. H. Enoch, Creation and Evolution, New York: 1966, pp. 18-19.
157. Frank Salisbury, "Doubts About the Modern Synthetic Theory of Evolution", American Biology Teacher, September 1971, p. 338.
158. Dean Kenyon & Percival Davis, Of Pandas and People: The Central Question of Biological Origins, (Dallas: Haughton Publishing, 1993), p. 33.
159. Michael Denton, Evolution: A Theory in Crisis, London, Burnett Books, 1985, p. 145.
160. William Fix, The Bone Peddlers: Selling Evolution (New York: Macmillan Publishing Co., 1984), p. 189.
161. W. R. Bird, The Origin of Species Revisited, Thomas Nelson Co., Nashville: 1991, pp. 98-99; Percival Davis, Dean Kenyon, Of Pandas and People, Haughton Publishing Co., 1990, pp. 35-38.
162. W. R. Bird, The Origin of Species Revisited, pp. 98-99, 199-202.
163.Michael Denton, Evolution: A Theory in Crisis, London: Burnett Books, 1985, pp. 290-91.
164. Hervé Philippe and Patrick Forterre, "The Rooting of the Universal Tree of Life is Not Reliable", Journal of Molecular Evolution, vol 49, 1999, p. 510
165. James Lake, Ravi Jain ve Maria Rivera, "Mix and Match in the Tree of Life", Science, vol. 283, 1999, p. 2027
166. Carl Woese, "The Universel Ancestor", Proceedings of the National Academy of Sciences, USA, 95, (1998) p. 6854
167. Ibid.
168. Jonathan Wells, Icons of Evolution, Regnery Publishing, 2000, p. 51
169. G. G. Simpson, W. Beck, An Introduction to Biology, New York, Harcourt Brace and World, 1965, p. 241.
170. Keith S. Thompson, "Ontogeny and Phylogeny Recapitulated", American Scientist, Vol 76, May/June 1988, p. 273.
171. Francis Hitching, The Neck of the Giraffe: Where Darwin Went Wrong, New York: Ticknor and Fields 1982, p. 204.
172. Richard Lewontin, "The Demon-Haunted World", The New York Review of Books, January 9, 1997, p. 28.
173. Robert Shapiro, Origins: A Sceptics Guide to the Creation of Life on Earth, Summit Books, New York: 1986, p. 207.
174. Hoimar Von Dithfurt, Im Anfang War Der Wasserstoff (Secret Night of the Dinosaurs), Vol 2, p. 64.
175. Ali Demirsoy, Kalitim ve Evrim (Inheritance and Evolution), Ankara: Meteksan Publishing Co., 1984, p. 61.
176. Ibid, p. 61.
177. Ibid, p. 94.
178. Bilim ve Teknik, July 1989, Vol. 22, No.260, p.59
179. Grzimeks Tierleben Vögel 3, Deutscher Taschen Buch Verlag, Oktober 1993, p.92
180. David Attenborough, Life On Earth: A Natural History, Collins British Broadcasting Corporation, June 1979, p.236
181. David Attenborough, Life On Earth: A Natural History, Collins British Broadcasting Corporation, June 1979, p.240
182. Görsel Bilim ve Teknik Ansiklopedisi, pp.185-186
183. WalterMetzner, http://cnas.ucr.edu/ ~bio/ faculty/Metzner.html
184. Frederick Vester, Denken, Lernen, Vergessen, vga, 1978, p.6
185. R.L.Gregory, Eye and Brain: The Psychology of Seeing, Oxford University Press Inc. New York, 1990, p. 9.
186. Lincoln Barnett, The Universe and Dr.Einstein, William Sloane Associate, New York, 1948, p. 20.
187. Orhan Hancerlioglu, Dusunce Tarihi (The History of Thought), Istanbul: Remzi Bookstore, 6.ed., September 1995, p. 447.

188. V.I.Lenin, Materialism and Empirio-criticism, Progress Publishers, Moscow, 1970, p. 14.
189. Bertrand Russell, ABC of Relativity, George Allen and Unwin, London, 1964, pp. 161-162.
190. R.L.Gregory, Eye and Brain: The Psychology of Seeing, Oxford University Press Inc. New York, 1990, p. 9.
191. Ken Wilber, Holographic Paradigm and Other Paradoxes, p.20
192. George Politzer, Principes Fondamentaux de Philosophie, Editions Sociales, Paris 1954, p. 53.
193. Orhan Hancerlioglu, Dusunce Tarihi (The History of Thought), Istanbul: Remzi Bookstore, 6.ed., September 1995, p. 261.
194. George Politzer, Principes Fondamentaux de Philosophie, Editions Sociales, Paris 1954, p. 65.
195. Paul Davies, Tanr› ve Yeni Fizik, (God and The New Physics), translated by Murat Temelli, Im Publishing, Istanbul 1995, pp. 180-181.
196. Rennan Pekunlu, "Aldatmacanin Evrimsizligi", (Non-Evolution of Deceit), Bilim ve Utopya, December 1998 (V.I.Lenin, Materialism and Empirio-criticism, Progress Publishers, Moscow, 1970, pp. 334-335).
197. Alaettin Senel, "Evrim Aldatmacasi mi?, Devrin Aldatmacasi mi?", (Evolution Deceit or Deceit of the Epoch?), Bilim ve Utopya, December 1998.
198. Imam Rabbani Hz. Mektuplari (Letters of Rabbani), Vol.II, 357, Letter, p.163.
199. Francois Jacob, Le Jeu des Possibles, University of Washington Press, 1982, p.111.
200. Lincoln Barnett, The Universe and Dr.Einstein, William Sloane Associate, New York, 1948, pp. 52-53.
201. Ibid., p. 17.
202. Ibid., p. 58.
203. Paul Strathern, The Big Idea: Einstein and Relativity, Arrow Books, 1997, p. 57.
204. Lincoln Barnett, The Universe and Dr.Einstein, William Sloane Associate, New York, 1948, p. 84.
205. Ibid., pp. 17-18.